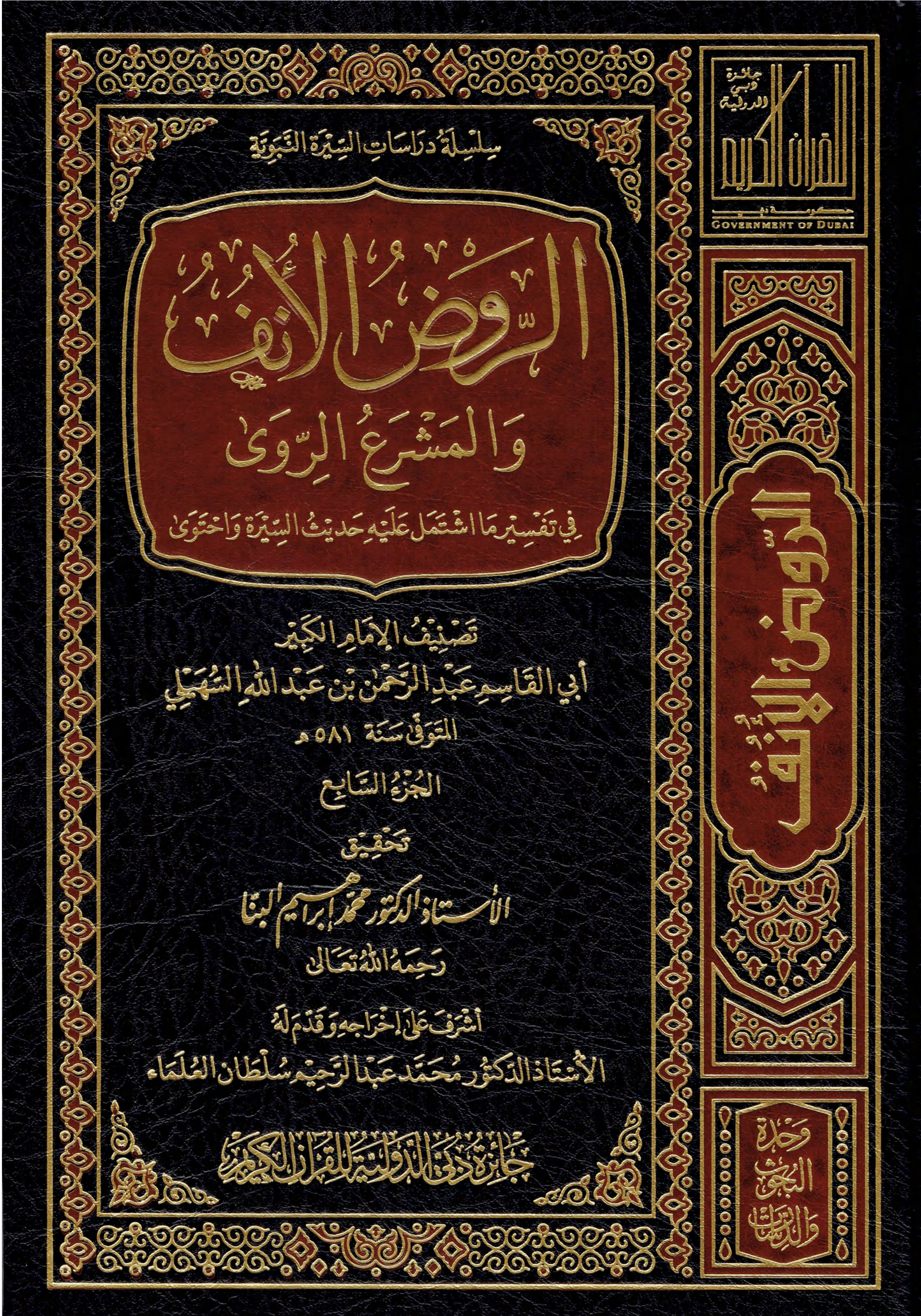
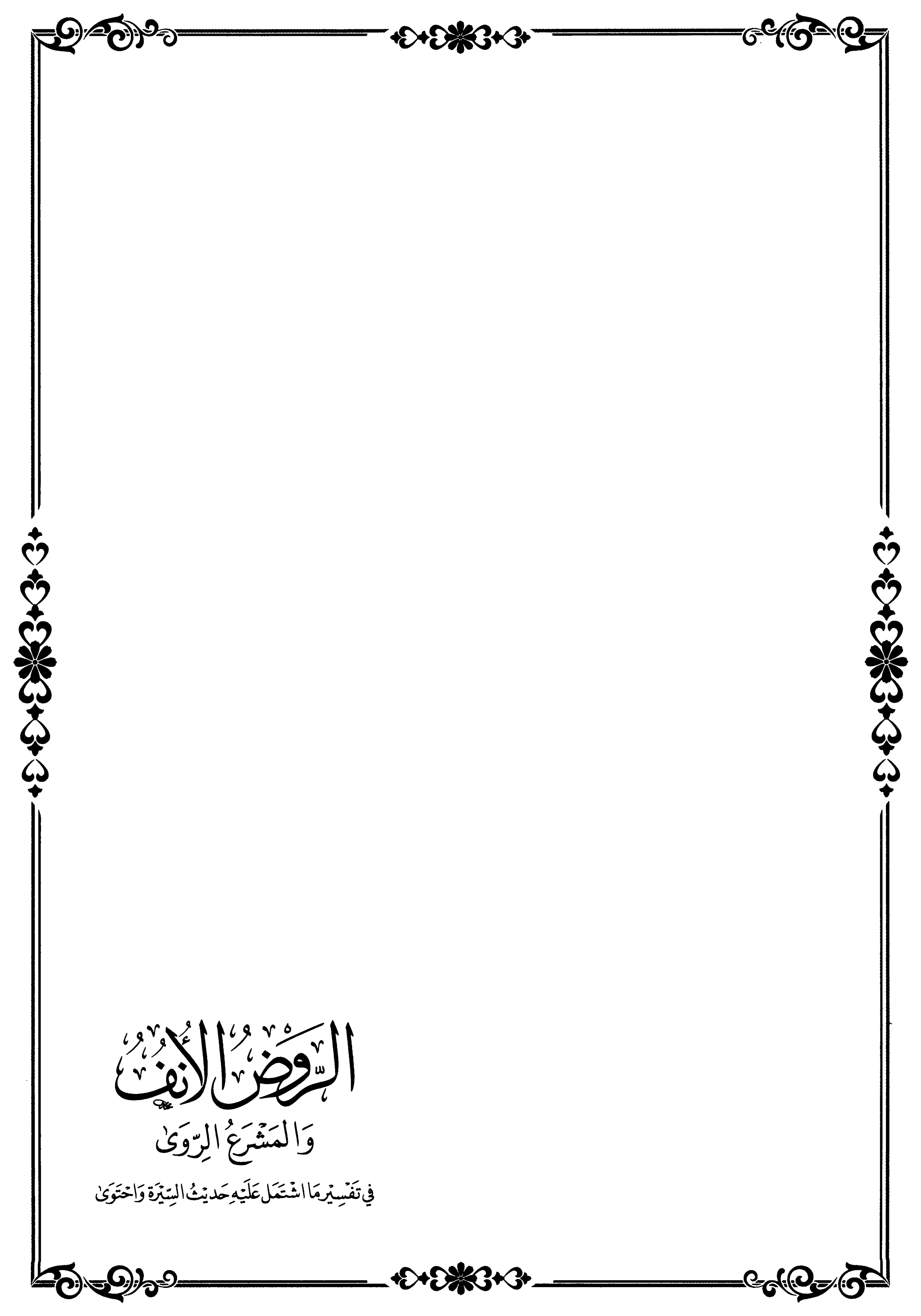
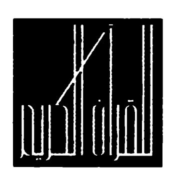

سلسلة دراسات السيرة النبوية
الروض الأنف
والمشرع الروى
في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة واحتوى
تصنيف الإمام الكبير
أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي
المتوفى سنة ٥٨١ هـ
الجزء السابع
تحقيق
الأستاذ الدكتور محمد ابراهيم البنا
رحمه الله تعالى
أشرف على إخراجه وقدم له
الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحيم سلطان العلماء
جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم
القرآن الكريم
حكومة دبي
GOVERNMENT OF DUBAI
الروض الأنف
وحدة البحوث والدراسات


الروض الأنف
والمشرع الروى
في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة واحتوى

الرّوض الأنف والمشرع الرّوى في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة واحتوى
تصنيف الإمام الكبير : أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي
تحقيق : الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم البنّا
الطبعة الأولى : ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

طبع بموجب إذن طباعة من المجلس الوطني للإعلام بدولة الإمارات العربية المتحدة
رقم (MC-03-01-2218168) تاريخ (٣٠/ ٠٣/ ٢٠٢١م)
الترقيم الدولي (ISBN) : 978-9948-8664-5-9



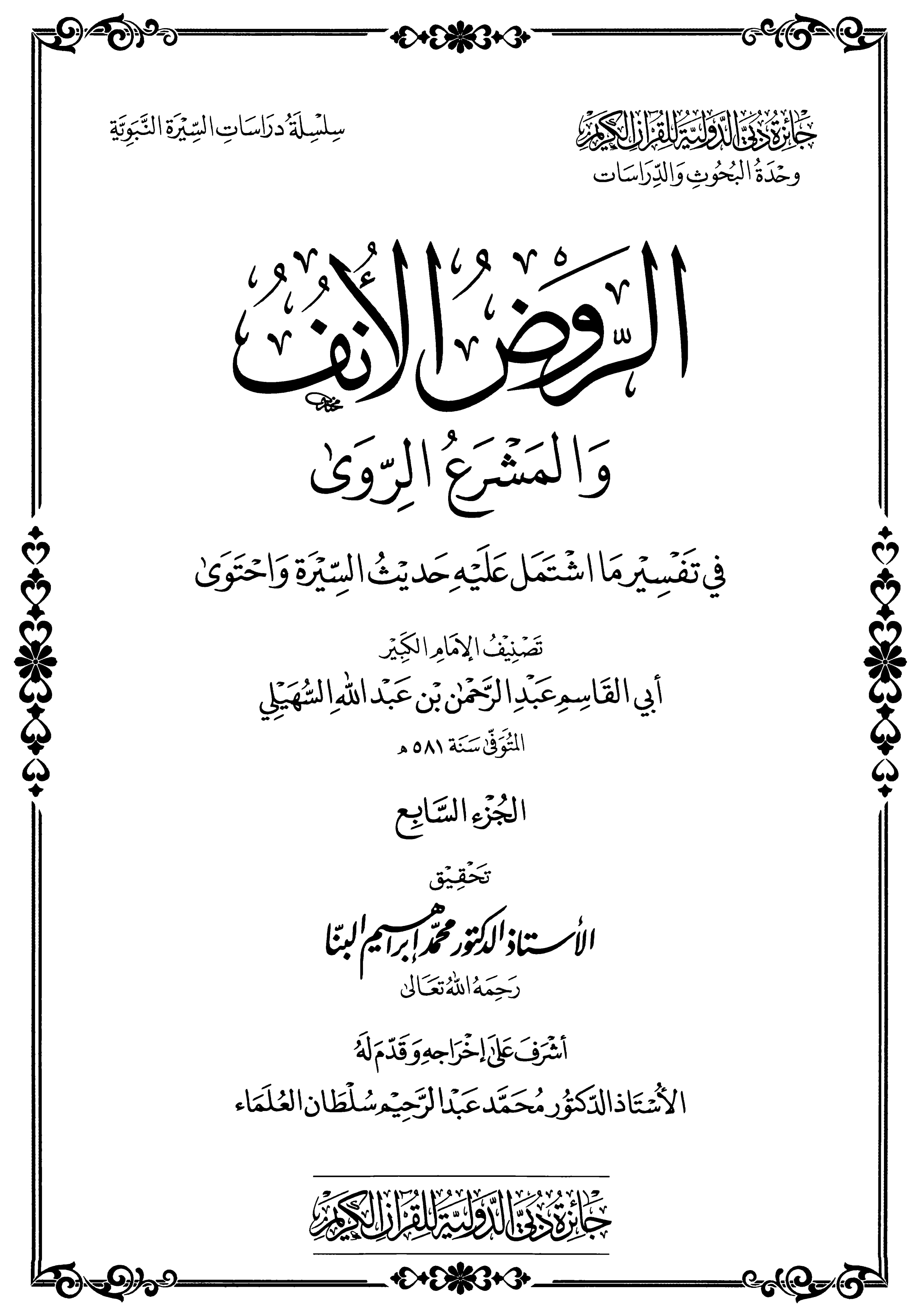




ص.ب: ٤٢٠٤٢ دبي - الإمارات العربية المتحدة
هاتف: ٢٦١٠٦٦٦ ٤ ٩٧١ +
فاكس: ٢٦١٠٠٨٨ ٤ ٩٧١ +
الموقع على الإنترنت : www.quran.gov.ae
البريد الإلكتروني : research@quran.gov.ae







جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم
وحدة البحوث والدراسات

سلسلة دراسات السيرة النبوية

الروض الأنف

والمشرع الروى

في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة واحتوى

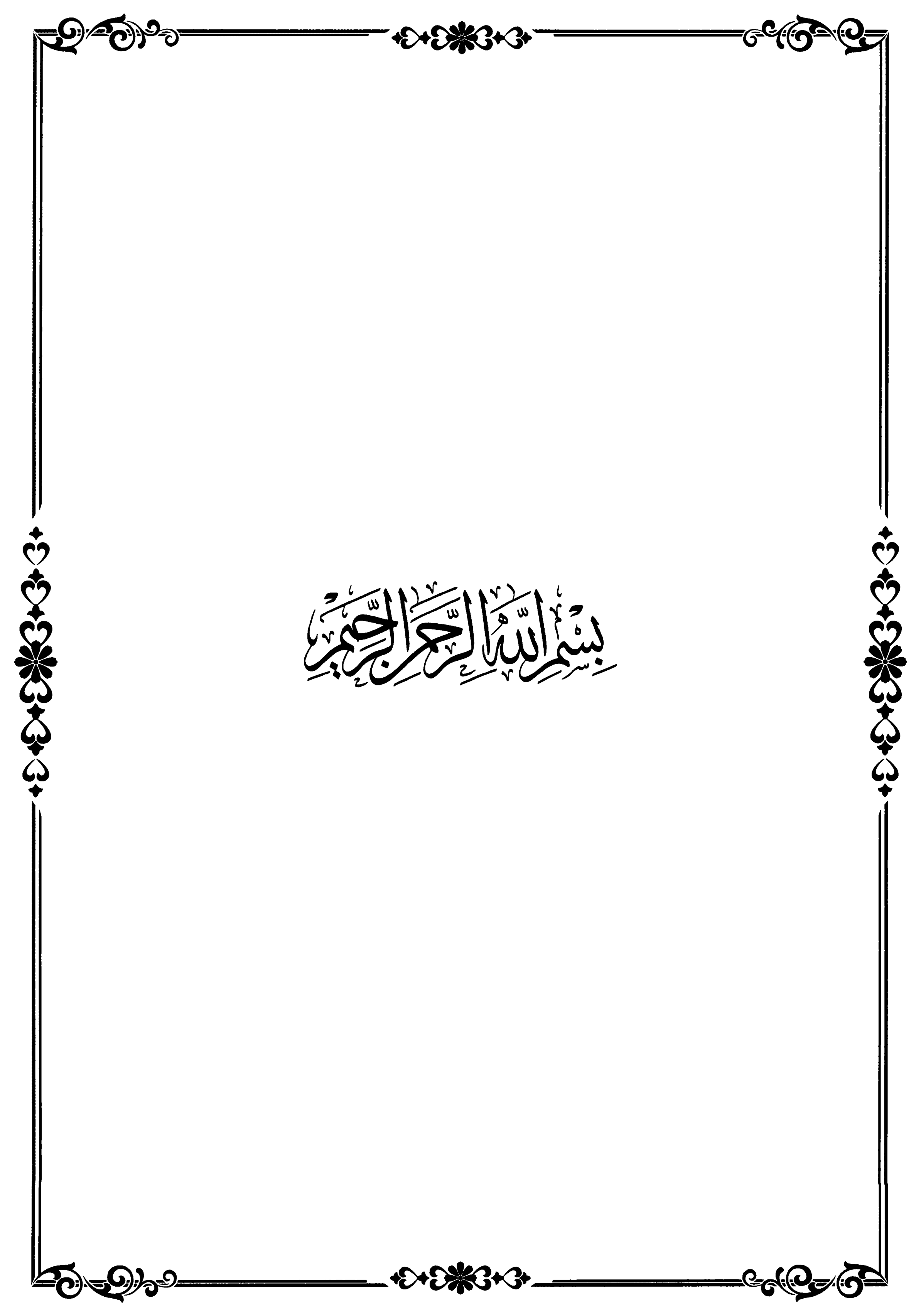
تصنيف الإمام الكبير
أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي
المتوفى سنة ٥٨١ هـ

الجزء السابع

تحقيق
الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم البنا
رحمه الله تعالى

أشرف على إخراجه وقدم له
الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحيم سلطان العلماء

جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم


بسم الله الرحمن الرحيم

عُمْرةُ القَضاءِ في ذِي القَعْدةِ سَنةَ سَبْعٍ

[خُرُوجُ الرَّسُولِ مُعْتَمِرًا في ذِي القَعْدةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا رَجَعَ رَسُولُ الله ﷺ إلى المَدِينةِ مِنْ خَيْبَرَ، أقامَ بِها شَهْرَيْ رَبِيعٍ وجُمادَيَيْنِ ورَجَبًا وشَعْبانَ ورَمَضانَ وشَوّالًا، يَبْعَثُ فيما بَيْنَ ذلك مِنْ غَزْوِهِ وسَراياهُ ﷺ. ثُمَّ خَرَجَ في ذِي القَعْدةِ في الشَّهْرِ الَّذي صَدَّهُ فيهِ المُشْرِكُونَ مُعْتَمِرًا عُمْرةَ القَضاءِ، مَكانَ عُمْرَتِهِ الَّتِي صَدُّوهُ عَنْها.

[ابنُ الأضْبَطِ على المَدِينةِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: واسْتَعْمَلَ على المَدِينةِ عُوَيْفَ بنَ الأضْبَطِ الدِّيلِيَّ.

[سَبَبُ تَسْمِيَتِها بِعُمْرةِ القِصاصِ]

وَيُقالُ لَها: عُمْرةُ القِصاصِ لِأنَّهُمْ صَدُّوا رَسُولَ الله ﷺ في ذِي القَعْدةِ في الشَّهْرِ الحَرامِ مِنْ سَنةِ سِتٍّ، فاقْتَصَّ رَسُولُ الله ﷺ مِنْهُمْ، فدَخَلَ مَكّةَ في ذِي القَعْدةِ في الشَّهْرِ الحَرامِ الَّذي صَدُّوهُ فيهِ مِنْ سَنةِ سَبْعٍ.

وَبَلَغَنا عنِ ابنِ عَبّاسٍ أنَّهُ قالَ: «فأنْزَلَ الله في ذلك: ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ [البقرة: ١٩٤]».

[خُرُوجُ المُسْلِمِينَ الَّذينَ صُدُّوا أوَّلًا مَعَهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وخَرَجَ مَعَهُ المُسْلِمُونَ مِمَّنْ كانَ صُدَّ مَعَهُ في عُمْرَتِهِ

تِلْكَ، وهِيَ سَنة سَبْعٍ، فلَمّا سَمِعَ بِهِ أهْلُ مَكّةَ خَرجُوا عَنْهُ، وتَحَدَّثَتْ قُرَيْشٌ بَيْنَها أنَّ مُحَمَّدًا وأصْحابَهُ في عُسْرةٍ وجَهْدٍ وشِدّةٍ.

[سَبَبُ الهَرْوَلَةِ بَيْنَ الصَّفا والمَرْوةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي مَنْ لا أتَّهِمُ عَنِ ابنِ عَبّاسٍ، قالَ: صَفُّوا لَهُ عِنْدَ دارِ النَّدْوةِ لِيَنْظُرُوا إلَيْهِ وإلى أصْحابِهِ، فلَمّا دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ المَسْجِدَ اضْطَبَعَ بِرِدائِهِ، وأخْرَجَ عَضُدَهُ اليُمْنى، ثُمَّ قالَ: «رَحِمَ الله امْرًا أراهُمُ اليَوْمَ مِنْ نَفْسِهِ قُوّةً»، ثُمَّ اسْتَلَمَ الرُّكْنَ، وخَرَجَ يُهَرْوِلُ ويُهَرْوِلُ أصْحابُهُ مَعَهُ، حَتّى إذا واراهُ البَيْتُ مِنْهُمْ، واسْتَلَمَ الرُّكْنَ اليَمانِي، مَشى حَتّى يَسْتَلِمَ الرُّكْنَ الأسْوَدَ، ثُمَّ هَرْوَلَ كَذلك ثَلاثةَ أطْوافٍ، ومَشى سائِرَها. فكانَ ابنُ عَبّاسٍ يَقُولُ: كانَ النّاسُ يَظُنُّونَ أنَّها لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ؛ وذلك أنَّ رَسُولَ الله ﷺ إنَّما صَنَعَها لِهذا الحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ لِلَّذِي بَلَغَهُ عَنْهُمْ، حَتّى إذا حَجَّ حَجّةَ الوَداعِ فلَزِمَها، فمَضَتِ السُّنّةُ بِها.

عُمْرةُ القَضِيّةِ

ويُقال أيْضًا: عُمْرةُ القَضاءِ، ويُقالُ لَها[1]: عُمْرةُ القِصاصِ، وَهَذا الِاسْمُ أوْلى بِها؛ لِقَوْلِهِ تَعالى: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وَهَذِهِ الآيَةُ فِيها نَزَلَتْ، فَهَذا الِاسْمُ أوْلى بِها. وَسُمِّيَتْ عُمْرةَ القَضاءِ؛ لِأنَّ رسول الله ﷺ قاضى قُرَيْشًا عَلَيْها، لا لِأنَّهُ قَضى العُمْرةَ الّتِي صُدَّ عَنِ البَيْتِ فِيها؛ فَإنّها لَمْ تَكُ[2] فَسَدَتْ بِصَدِّهِمْ عَنِ البَيْتِ، بَلْ كانَتْ عُمْرةً تامّةً متقبَّلة،

---

(١) بعده في (ف): «أيضًا».

(٢) في (ف): «لم تكن».

حتى إنهم حين حلقوا شُعورَهم بالحِلِّ احْتَمَلَتْها الرِّيحُ فَأَلْقَتْها فِي الحَرَمِ، فَهِيَ مَعْدُودةٌ فِي عُمَرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهِيَ أَرْبَعٌ: عُمْرةُ الحُدَيْبِيةِ، وَعُمْرةُ القَضاءِ، وعُمرة الجِعْرانة، والعمرة التي قَرَنَها مَعَ حَجّهِ فِي حَجّةِ الوَداعِ، فَهُوَ أَصَحُّ القَوْلَيْنِ أَنّهُ كانَ قارِنًا فِي تِلْكَ الحَجّةِ وَكانَتْ إحْدى عُمَرِهِ عَلَيْهِ السّلامُ فِي شَوّالٍ، كَذَلِكَ رَوى[1] عُرْوةُ عَنْ عائِشةَ[2]، وَأَكْثَرُ الرّواياتِ أَنّهُنّ كُنّ كُلّهُنّ فِي ذِي القَعْدةِ إلّا الّتِي قَرَنَها[3] مَعَ حَجّهِ، كَذَلِكَ رَوى الزُّهْرِيّ، وانْفَرَدَ مَعْمَرٌ عَنِ الزّهْرِيّ بِأَنّهُ عَلَيْهِ السّلامُ كانَ قارِنًا، وَأَنّ عُمَرَهُ كُنّ أَرْبَعًا بِعُمْرةِ القِرانِ.

وأمّا حَجّاتُهُ ﷺ فَقَدْ رَوى التِّرْمِذِيُّ أَنّهُ حَجّ[4] ثَلاثَ حَجّاتٍ؛ ثِنْتَيْنِ بِمَكّةَ، وَواحِدةً وهو بِالمَدِينةِ[5] وَهِيَ حَجّةُ الوَداعِ. [وَلا يَنْبَغِي أَنْ يُضافَ إلَيْهِ فِي الحَقِيقةِ إلّا حَجّةُ الوَداعِ][6]، وَإنْ كانَ حَجَّ مَعَ النّاسِ إذْ كانَ بِمَكّةَ كَما رَوى التِّرْمِذِيُّ[7] فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الحَجُّ على سُنّةِ الحَجّ وَكَمالِهِ؛ لأنه كان مغلوبًا على أَمْرِهِ، وَكانَ الحَجُّ مَنْقُولًا عَنْ وَقْتِهِ، كَما تَقَدّمَ فِي أَوّلِ الكِتابِ[8]، فَقَدْ ذُكِرَ أَنّهُمْ كانُوا يَنْقُلُونَهُ على حَسَبِ[9] الشُّهُورِ الشّمْسِيّةِ، وَيُؤَخِّرُونَهُ فِي كُلّ سَنةٍ أَحَدَ عَشَرَ

---

(١) في (ب)، (س): «روى عن عروة».

(٢) «سنن أبي داود»، كتاب المناسك: (٢: ٢٠٥)، وانظر: «سبل الهدى والرشاد» (٨: ٦٠٧-٦٠٨).

(٣) في (ف): «قرن».

(٤) في (ف): «قد حج».

(٥) في (س)، (ج): «وواحدة من المدينة».

(٦) سقط من (ب).

(٧) «عارضة الأحوذي»، أبواب الحج: (٤: ٣٠-٣١).

(٨) انظر: (١: ٢٧٥).

(٩) في (ف): «حساب».

يَوْمًا، وَهَذا [هُوَ][١] الَّذِي مَنَعَ رسولَ الله ﷺ أَنْ يَحُجَّ مِنَ المَدِينةِ حَتّى كانَتْ مَكّةُ دارَ إسْلام، وَقَدْ كانَ أرادَ أَنْ يَحُجّ مَقْفَلَهُ مِنْ تَبُوكَ، وَذَلِكَ بِأثَرِ فَتْح مَكّة بِيَسِير، ثُمّ ذَكَرَ أَنَّ بَقايا المُشْرِكِينَ يَحُجُّونَ وَيَطُوفُونَ عُراةً، فَأَخَّرَ الحَجّ حَتّى نَبَذَ إلى كُلّ ذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، وَذَلِكَ فِي السّنةِ التّاسِعةِ، ثُمّ حَجّ فِي السّنةِ العاشِرةِ بَعْدَ امّحاءِ رُسُوم الشِّرْكِ، وانْحِسامِ سِيَرِ الجاهِلِيّةِ؛ وَلِذَلِكَ[٢] قالَ فِي حَجّةِ الوَداعِ: «إنّ الزّمانَ قَدِ اسْتَدارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السمواتِ والأَرْضَ»[٣].

والعُمْرةُ واجِبةٌ فِي قَوْلِ أَكْثَرِ العُلَماءِ، وَهُوَ قَوْلُ ابنِ عُمَر وابنِ عَبّاس، وَقالَ الشَّعْبِيُّ: لَيْسَتْ بِواجِبة، وَذُكِرَ عَنْهُ أَنّهُ كانَ يَقْرَؤُها: ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ والْعُمْرةُ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٦] بِالرّفْع[٤]، لا يَعْطِفُها[٥] على الحَجّ. وَقالَ عَطاءٌ: هِيَ واجِبةٌ إلّا على أَهْلِ مَكّةَ. وَيَكْرَهُ مالِكٌ أَنْ يَعْتَمِرَ الرّجُلُ فِي العامِ مِرارًا، وَهُوَ قَوْلُ الحَسَنِ وابنِ سِيرِينَ، وَجُمْهُورُ العُلَماءِ على الإباحةِ فِي ذَلِكَ، وَهُوَ قَوْلُ عَلِيٍّ وابنِ عَبّاسٍ وَعائِشةَ والقاسِمِ بنِ مُحَمّدٍ؛ قالُوا: يَعتمِر الرّجلُ في العامِ ما شاء.

* * *

(١) ليس في (ب).

(٢) في (ف): «وكذلك».

(٣) أخرجه الشيخان، «فتح الباري»، تفسير سورة التوبة: (٨: ٣٢٤)، ومسلم، كتاب القسامة: (٣٠٥).

(٤) انظر: «الدر المصون» (٢: ٣١٢-٣١٣).

(٥) في (ف): «ولا يعطفها».

[ارْتِجازُ ابنِ رَواحةَ وهُوَ يَقُودُ ناقةَ الرَّسُولِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني عَبْدُ اللهِ بنُ أبي بَكْرٍ، أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ دَخَلَ مَكّةَ في تِلْكَ العُمْرةِ دَخَلَها وعَبْدُ اللهِ بنُ رَواحةَ آخِذٌ بِخِطامِ ناقَتِهِ يَقُولُ:

خَلُّوا بَني الكُفّارِ عَنْ سَبِيلِهِ ... خَلُّوا فكُلُّ الخَيْرِ في رَسُولِهِ

يا رَبِّ إنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ ... أعْرِفُ حَقَّ اللهِ في قَبُولِهِ

نَحْنُ قَتَلْناكُمْ على تَأْوِيلِهِ ... كما قَتَلْناكُمْ على تَنْزِيلِهِ

ضَرْبًا يُزِيلُ الهامَ عَنْ مَقِيلِهِ ... ويُذْهِلُ الخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: «نَحْنُ قَتَلْناكُمْ على تَأْوِيلِهِ...» إلى آخِرِ الأبْياتِ، لِعَمّارِ ابنِ ياسِرٍ في غَيْرِ هذا اليَوْمِ، والدَّلِيلُ على ذلك أنَّ ابنَ رَواحةَ إنَّما أرادَ المُشْرِكِينَ، والمُشْرِكُونَ لَمْ يُقِرُّوا بِالتَّنْزِيلِ، وإنَّما يُقْتَلُ على التَّأْوِيلِ مَنْ أقَرَّ بِالتَّنْزِيلِ.

وذَكَرَ قَوْلَ عَبْدِ اللهِ بنِ رَواحةَ وَهُوَ آخِذٌ بزِمام ناقةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ:

[من الرجَز]

خَلُّوا بَنِي الكُفّارِ عَنْ سَبِيلِهِ

وفيه: [من الرجز]

نَحْنُ قَتَلْناكُمْ على تَأْوِيلِهِ ... كَما قَتَلْناكُمْ على تَنْزِيلِهِ

ويُرْوى: [من الرجز]

اليَوْمَ نَضْرِبْكُــمْ على تَأْوِيلِهِ

بسُكُونِ الباءِ، وَهُوَ جائِزٌ فِي الضّرُورةِ، نَحْوُ قَوْلِ امْرِئ القَيْسِ[١]: [من الكامل]

فاليَوْمَ أشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ

ولا يَبْعُدُ أنْ يَكُونَ جائِزًا فِي الكَلامِ إذا اتّصَلَ بِضَمِيرِ الجَمْعِ؛ فَقَدْ رُوِيَ عَنِ أبي عَمْرٍو أنّهُ كانَ يَقْرَأُ[٢]: «يَأْمُرْكُم» [البقرة: ٦٧]، وَ« يَنْصُرْكُم» [آل عمران: ١٦٠].

وهَذانِ البَيْتانِ الآخرانِ هُما لِعَمّارِ بنِ ياسِرٍ؛ كَما قالَ ابنُ هِشامٍ، قالَهُما يَوْمَ صِفِّينَ، وَهُوَ اليَوْمُ الّذِي قُتِلَ فِيهِ عَمّارٌ، قَتَلَهُ أَبُو الغادِيةِ الفَزارِيُّ وابنُ جَزْءٍ، اشْتَرَكا فِيهِ[٣].

* * *

(١) «ديوانه» (ص: ١٤٩)، وعجزه:

إثمًا مــن الله ولا واغلِ

وهو من شواهد «الكتاب» (٤: ٢٠٤)، و«المحتسب» (١: ١١٠).

(٢) «الدر المصون» (١: ٤١٦).

(٣) «أسد الغابة» (٤: ١٣٥).

[زَواجُ الرَّسُولِ بِمَيْمُونَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني أبانُ بنُ صالِحٍ وعَبْدُ الله بنُ أبي نَجِيحٍ، عَنْ عَطاءِ بن أبي رَباحٍ ومُجاهِدٍ أبي الحَجّاجِ، عَنِ ابنِ عَبّاسٍ، أنَّ رَسُولَ الله ﷺ تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ بِنْتَ الحارِثِ في سَفَرِهِ ذلك وهُوَ حَرامٌ، وكانَ الَّذي زَوَّجَهُ إيّاها العَبّاسُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وكانَتْ جَعَلَتْ أمْرَها إلى أُخْتِها أُمِّ الفَضْلِ، وكانَتْ أُمُّ الفَضْلِ تَحْتَ العَبّاسِ، فجَعَلَتْ أُمُّ الفَضْلِ أمْرَها إلى العَبّاسِ، فزَوَّجَها رَسُولَ الله ﷺ بِمَكّةَ، وأصْدَقَها عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أربعَ مئةِ دِرْهَمٍ.

[إرْسالُ قُرَيْشٍ حُوَيْطِبًا إلى الرَّسُولِ يَطْلُبُ مِنْهُ الخُرُوجَ مِنْ مَكّةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فأقامَ رَسُولُ الله ﷺ بِمَكّةَ ثَلاثًا، فأتاهُ حُوَيْطِبُ بنُ عَبْدِ العُزّى بنِ أبي قَيْسِ بنِ عَبْدِ وُدِّ بنِ نَصْرِ بنِ مالِكِ بنِ حِسْلٍ، في نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، في اليَوْمِ الثّالِثِ، وكانَتْ قُرَيْشٌ قَدْ وكّلَتْهُ بِإخْراجِ رَسُولِ الله ﷺ مِنْ مَكّةَ، فقالُوا لَهُ: إنَّهُ قَدِ انْقَضى أجَلُكَ، فاخْرُجْ عَنّا، فقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وما عَلَيْكُمْ لَوْ تَرَكْتُمُونِي فأعْرَسْتُ بَيْنَ أظْهُرِكُمْ، وصَنَعْنا لَكُمْ طَعامًا فحَضَرْتُمُوهُ». قالُوا: لا حاجَةَ لَنا في طَعامِكَ، فاخْرُجْ عَنّا. فخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ، وخَلَّفَ أبا رافِعٍ مَوْلاهُ على مَيْمُونَةَ، حَتّى أتاهُ بها بسَرِفَ، فبَنى بها رَسُولُ الله ﷺ هُنالِكَ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ إلى المَدِينةِ في ذِي الحِجّةِ.

[ما نَزَلَ مِنَ القُرْآنِ في عُمْرةِ القَضاءِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: فأنْزَلَ الله عَزَّ وجَلَّ عَلَيْهِ، فيما حَدَّثَنِي أبو عُبَيْدَةَ: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧] يَعْنِي خَيْبَرَ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ تَزَوُّجَ[١] رَسُولِ اللهِ ﷺ لِمَيْمُونةَ[٢] بِنْتِ الحارِثِ الهِلالِيّةِ، وأُمُّها هِنْدُ بِنْتُ عَوْفٍ الكِنانِيّةُ إلى آخِرِ قِصّتِها.

وفِيهِ أنَّ حُوَيْطِبَ بنَ عَبْدِ العُزّى قالَ لِلنَّبِيّ ﷺ فِي اليَوْمِ الثّالِثِ: اخْرُجْ عَنّا. [وَقَدْ كانَ أرادَ أنْ يَبْتَنِيَ بِمَيْمُونةَ فِي مَكّةَ، وَيَصْنَعَ لَهُمْ طَعامًا، فقالَ لَهُ حُوَيْطِبٌ: اخرُجْ عنّا][٣] فلا حاجةَ لَنا بِطَعامِك، فَقالَ لَهُ سعْدٌ: يا عاضًّا[٤] ببَظْرِ[٥] أمِّه، أأرضُك وَأرْضُ أُمِّك هِيَ دُونَهُ؟! فَأسْكَتَهُ رسولُ الله ﷺ، وَخَرَجَ وَفاءً لَهُمْ بِشَرْطِهِمْ، وابْتَنى بِها بِسَرِفَ، وَبِسَرِفَ كانَتْ وَفاتُها رَضِيَ اللهُ عَنْها حِينَ ماتَتْ، وَذَلِكَ سَنةَ ثَلاثٍ وَسِتِّينَ، وَقِيلَ: سَنةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ، وَصَلى عَلَيْها ابنُ عَبّاسٍ،

---

(١) في (أ)، (ص): «تزويج».

(٢) في (أ): «بميمونة».

(٣) سقط من (ب).

(٤) في (ف): «يا عاض».

(٥) في (ف)، (ب)، (ج)، (ص): «بَظْر». والبظر: الهنة التي تقطعها الخافِضةُ من فرج المرأة عند الختان.

وَيَزِيدُ بنُ الأَصَمّ، وَكِلاهُما ابنُ أُخْتٍ لَها، وَيُقالُ: فِيها نَزَلَتْ: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠] فِي أَحَدِ الأقوال، وَذَلِكَ أَنَّ الخاطِبَ جاءَها وَهِيَ على بَعِيرِها، فَقالَتْ: البَعِيرُ وَما عَلَيْهِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

واخْتَلَفَ النّاسُ فِي تَزْوِيجِهِ إيّاها أكانَ مُحْرِمًا أمْ حَلالًا؟ فَرَوى ابنُ عَبّاسٍ أَنّهُ تَزَوّجَها مُحْرِمًا، واحْتَجّ بِهِ أَهْلُ العِراقِ فِي تَجْوِيزِ نِكاحِ المُحْرِمِ، وَخالَفَهُمْ أَهْلُ الحِجازِ، واحْتَجُّوا بِنَهْيِهِ ﷺ عَنْ أَنْ يَنْكِحَ المُحْرِمُ أَوْ يُنْكِحَ، وَزادَ بَعْضُهُمْ فِيهِ: «أَوْ يَخْطُبَ» مِنْ رِوايةِ مالِكٍ[1] [ذكره الدّارقطنيُّ][2]، وَعارَضُوا حَدِيثَ ابنِ عبّاس بحديثِ يزيدَ بنِ الأَصَمّ؛ أَنّ رسولَ الله ﷺ تزوّج ميمونةَ وهو حلالٌ[3]، [وخرّج الدّارَقُطْنِيّ[4] والتّرْمِذِيُّ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ أَبِي رافِعٍ أَنّ رسول الله ﷺ تَزَوّجَ مَيْمُونةَ وَهُوَ حَلالٌ][5]. وَرَوى الدّارَقُطْنِيّ مِنْ طَرِيقٍ[6] ضَعِيفٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرةَ أَنّهُ تَزَوّجَها وَهُوَ مُحْرِمٌ[7] كَرِوايةِ ابنِ عَبّاسٍ. وَفِي «مُسْنَدِ البَزّارِ» مِنْ حَدِيثِ مَسْرُوقٍ عن عائِشةَ، قالَتْ: «تَزَوّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُحْرِمٌ، واحْتَجَمَ وَهُوَ مُحْرِمٌ»[8]، وَإِنْ لَمْ تُذْكَرْ فِي هَذا الحَدِيثِ مَيْمُونةُ، فَنِكاحُها أرادَتْ، وَهُوَ حَدِيثٌ غَرِيبٌ. وَخَرّجَ البُخارِيُّ[9] حَدِيثَ

---

(١) «الموطأ»، كتاب الحج، باب نكاح المحرم: (ص: ٣٤٨-٣٤٩).

(٢) عن (ص) وحدها. وانظر: «سنن الدارقطني» (٢: ٢٦٧).

(٣) انظر: «تحفة الأشراف» (٥: ٢٥٤).

(٤) «سنن الدارقطني»، كتاب النكاح: (٣: ٢٦١) وما بعدها.

(٥) ليس في (أ).

(٦) في (ب): «من حديث».

(٧) «سنن الدارقطني»، كتاب النكاح: (٣: ٢٦٣).

(٨) «كشف الأستار عن زوائد البزار»، كتاب النكاح: (٣: ١٦٧).

(٩) «صحيح البخاري»: كتاب الحج، باب تزويج المحرم، رقم (١٨٣٧). (ج)

ابنِ عباسٍ، ولم يُعَلِّله هُوَ وَلا غَيْرُهُ، وَرُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بنِ المُسَيَّبِ أَنَّهُ قالَ: «غَلِطَ ابنُ عَبّاسٍ ـ أَوْ قالَ: وَهِمَ ـ ما تَزَوَّجَها النَّبِيّ ﷺ إلّا وَهُوَ حَلالٌ». وَلَمّا أَجْمَعُوا عَنِ ابنِ عَبّاسٍ أنه تَزَوَّجَها مُحْرِمًا، وَلَمْ يَنْقُلْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنَ المُحَدِّثِينَ غَيْرَ ذَلِكَ؛ اسْتَغْرَبْتُ اسْتِغْرابًا شَدِيدًا ما رَواهُ الدّارَقُطْنِيّ فِي «السّنَنِ» مِنْ طَرِيقِ أَبِي الأَسْوَدِ يَتِيمِ عُرْوَةَ، وَمِنْ طَرِيقِ مَطَرٍ الوَرّاقِ عَنْ عِكْرِمَةَ عَن ابنِ عَبّاسٍ، أَنَّ رسولَ الله ﷺ تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ وَهُوَ حَلالٌ، فَهَذِهِ الرِّوايةُ عَنْهُ مُوافِقَةٌ لِرِوايَةِ غَيْرِهِ، فَقِفْ عَلَيْها، فَإِنّها غَرِيبَةٌ عَنِ ابنِ عَبّاسٍ، وَقَدْ كانَ مِنْ شُيُوخِنا رَحِمَهُم اللهُ مَنْ يَتَأَوَّلُ قَوْلَ ابنِ عَبّاسٍ: «تَزَوَّجَها مُحْرِمًا» أَيْ: فِي الشَّهْرِ الحَرامِ، وَفِي البَلَدِ الحَرامِ، وَذَلِكَ أَنَّ ابنَ عَبّاسٍ رَجُلٌ عَرَبِيّ فَصِيحٌ، فَتَكَلَّمَ بِكَلامِ العَرَبِ، وَلَمْ يُرِدِ الإِحْرامَ بِالحَجّ، وَقَدْ قالَ الشّاعِرُ[1]: [من الكامل]

قَتَلُوا ابنَ عَفّانَ الخَلِيفَةَ مُحْرِمًا وَدَعا فَلَمْ أَرَ مِثْلَهُ مَخْذُولا

وذَلِكَ أَنّ قَتْلَهُ كانَ فِي أَيّامِ التّشْرِيقِ، فاللهُ أعلمُ أأرادَ ذلك ابنُ عباس أم لا.

* * *

(١) الراعي عُبَيد بن حُصَين النميري، شاعر إسلامي مقدم. والبيت من قصيدة له في «خزانة الأدب» (٣: ١٤٧).

ذِكْرُ غَزْوةِ مُؤْتةَ في جُمادى الأُولى سَنةَ ثَمانٍ ومَقْتَلِ جَعْفَرٍ وزَيْدٍ وعَبْدِ الله بنِ رَواحةَ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فأقامَ بِها بَقِيّةَ ذِي الحِجّةِ، ووَلِيَ تِلْكَ الحَجّةَ المُشْرِكُونَ، والمُحَرَّمَ وصَفَرًا وشَهْرَيْ رَبيعٍ، وبَعَثَ في جُمادى الأُولى بَعْثَهُ إلى الشّامِ الّذينَ أُصِيبُوا بِمُؤْتةَ.

[بَعْثُ الرَّسُولِ إلى مُؤْتةَ واخْتِيارُهُ الأُمَراءَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَني مُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ، قالَ: بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ بَعْثَهُ إلى مُؤْتةَ في جُمادى الأُولى سَنةَ ثَمانٍ، واسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ زَيْدَ بنَ حارِثةَ، وقالَ: «إنْ أُصِيبَ زَيْدٌ فجَعْفَرُ بنُ أبي طالِبٍ على النّاسِ، فإنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ فعَبْدُ الله بنُ رَواحةَ على النّاسِ».

غَزْوةُ مُؤْتةَ

وهِيَ مَهْمُوزةُ الواوِ، وَهِيَ قَرْيةٌ مِنْ أرْضِ البَلْقاءِ مِنَ الشّامِ، وَأمّا المُوتةُ بِلا هَمْزٍ فَضَرْبٌ مِنَ الجُنُونِ[١]، وَفِي الحَدِيثِ أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يَقُولُ فِي صَلاتِهِ: «أعُوذُ بِالله مِنَ الشّيْطانِ الرّجِيمِ؛ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ». وَفَسَّرَهُ راوِي الحديث فقال: نفثُه: الشِّعْرُ، وَنفْخُهُ: الكِبْرُ، ....

(١) «تاج العروس» (موت).

وَهَمْزُهُ: المُوتةُ[١].

[بُكاءُ ابنِ رَواحةَ مَخافةَ النّارِ، وشِعْرُهُ لِلرَّسُولِ]

فَتَجَهَّزَ النّاسُ ثُمَّ تَهَيَّئُوا لِلْخُرُوجِ، وهُمْ ثَلاثةُ آلافٍ، فلَمّا حَضَرَ خُرُوجُهُمْ ودَّعَ النّاسُ أُمَراءَ رَسُولِ الله ﷺ وسَلَّمُوا عَلَيْهِمْ. فلَمّا ودَّعَ عَبْدُ الله بنُ رَواحةَ مَنْ ودَّعَ مِنْ أُمَراءِ رَسُولِ الله ﷺ بَكى، فقالُوا: ما يُبْكِيكَ يا ابنَ رَواحةَ؟ فقالَ: أما واللهِ ما بِي حُبُّ الدُّنْيا ولا صَبابةٌ بِكُمْ، ولَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقْرَأُ آيةً مِنْ كِتابِ الله عَزَّ وجَلَّ يَذْكُرُ فيها النّارَ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٧١] فَلَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ لِي بِالصَّدَرِ بَعْدَ الوُرُودِ. فقالَ المُسْلِمُونَ: صَحِبَكُمُ الله ودَفَعَ عَنْكُمْ، ورَدَّكُمْ إلَيْنا صالِحِينَ، فقالَ عَبْدُ الله بنُ رَواحةَ:

لَكِنَّنِي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرةً ... وضَرْبةً ذاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدا
أَوْ طَعْنةً بِيَدَيْ حَرّانَ مُجْهِزةً ... بِحَرْبةٍ تَنْفُذُ الأَحْشاءَ والكَبِدا
حَتّى يُقالَ إذا مَرُّوا على جَدَثِي ... أَرْشَدَهُ الله مِنْ غازٍ وقَدْ رَشَدا

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ إنَّ القَوْمَ تَهَيَّئُوا لِلْخُرُوجِ، فأتى عَبْدُ الله بنُ رَواحةَ رَسُولَ الله ﷺ فوَدَّعَهُ، ثُمَّ قالَ:

فَثَبَّتَ الله ما آتاكَ مِنْ حَسَنٍ ... تَثْبِيتَ مُوسى ونَصْرًا كالَّذِي نُصِرُوا
إنِّي تَفَرَّسْتُ فيكَ الخَيْرَ نافِلةً ... الله يَعْلَمُ أَنِّي ثابِتُ البَصَرِ
أَنْتَ الرَّسُولُ فمَنْ يُحْرَمْ نَوافِلَهُ ... والوَجْهَ مِنْهُ فقَدْ أَزْرى بِهِ القَدَرُ

---

(١) «سنن أبي داود»، كتاب الصلاة: (١: ٢٠٣).

قالَ ابنُ هِشامٍ: أَنْشَدَنِي بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ هَذِهِ الأَبْياتَ:

أَنْتَ الرَّسُولُ فمَنْ يُحْرَمْ نَوافِلَهُ ... والوَجْهَ مِنْهُ فقَدْ أَزْرى بَه القَدَرُ

فَثَبَّتَ اللهُ ما آتاكَ مِنْ حَسَنٍ ... في المُرْسَلِينَ ونَصْرًا كالَّذِي نُصِرُوا

إِنِّي تَفَرَّسْتُ فيكَ الخَيْرَ نافِلَةً ... فِراسةً خالَفَتْ فيكَ الَّذي نَظَرُوا

يَعْنِي المُشْرِكِينَ، وهَذِهِ الأَبْياتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

قالَ ابنُ إِسْحاقَ: ثُمَّ خَرَجَ القَوْمُ، وخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَتّى إذا ودَّعَهُمْ وانْصَرَفَ عَنْهُمْ، قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ رَواحةَ:

خَلَفَ السَّلامُ على امْرِئٍ ودَّعْتُهُ ... في النَّخْلِ خَيْرَ مُشَيِّعٍ وخَلِيلِ

[تَخَوُّفُ النّاسِ مِنْ لِقاءِ هِرَقْلَ، وشِعْرُ ابنِ رَواحةَ يُشَجِّعُهُمْ]

ثُمَّ مَضَوْا حَتّى نَزَلُوا مَعانَ، مِنْ أَرْضِ الشّامِ، فبَلَغَ النّاسَ أَنَّ هِرَقْلَ قَدْ نَزَلَ مَآبَ، مِنْ أَرْضِ البَلْقاءِ، في مئةِ أَلْفٍ مِن الرُّومِ، وانضمّ إِلَيْهِم من لَخْمٍ وجُذامٍ والقَيْنِ وبَهراءَ وبَلِيٍّ مئةُ أَلْفٍ مِنْهُمْ، عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ بَلِيٍّ ثُمَّ أَحَدُ إراشةَ يُقالُ لَهُ: مالِكُ بنُ زافِلةَ. فلَمّا بَلَغَ ذلك المُسْلِمِينَ أقامُوا على مَعانَ لَيْلَتَيْنِ يُفَكِّرُونَ في أَمْرِهِمْ وقالُوا: نَكْتُبُ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فنُخْبِرُهُ بِعَدَدِ عَدُوِّنا، فإمّا أَنْ يُمِدَّنا بِالرِّجالِ، وإمّا أَنْ يَأْمُرَنا بِأَمْرِهِ، فنَمْضِيَ لَهُ.

وذَكَرَ فِي هَذِهِ الغَزْوةِ قَوْلَ عَبْدِ اللهِ بنِ رَواحةَ حِينَ ذَكَرَ قَوْلَ اللهِ تبارك وتَعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١]، وذكرَ اغتمامَهُ لها، وقوله: «لا أَدْري كَيْفَ الصَّدَرُ بَعْدَ الوُرُودِ». وَقَدْ تكَلَّمَ العُلَماءُ فِيها بِأَقْوالٍ، مِنْها: أَنَّ الخِطابَ مُتَوَجِّهٌ إلى الكُفّارِ على الخُصُوصِ، واحْتَجّ قائِلُو هَذِهِ المَقالةِ بِقِراءةِ

ابنِ عَبّاسٍ: «وَإنْ مِنْهُمْ إلّا وارِدُها»، وَقالَتْ طائِفةٌ: الوُرُودُ هاهنا هو الإشرافُ عليها ومُعاينتُها، وَحَكَوْا عَنِ العَرَبِ: «وَرَدْتُ الماءَ فَلَمْ أشْرَبْ». وَقالَتْ طائِفةٌ: الوُرُودُ هاهُنا هُوَ المُرُورُ على الصِّراطِ؛ لِأنّهُ على مَتْنِ جَهَنّمَ، أعاذَنا اللهُ مِنْها. وَرُوِيَ «أنّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالى يَجْمَعُ الأوّلِينَ والآخِرِينَ فِيها، ثُمّ يُنادِي مُنادٍ: خُذِي أصْحابَكِ وَدَعِي أصْحابِي». وَقالَتْ طائِفةٌ: [الوُرُودُ][1] أنْ يأخذَ العبدُ بحظٍّ مِنْها، وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ فِي الدُّنْيا بِالحُمِّيّاتِ؛ فَإنّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «الحُمّى كِيرٌ مِنْ جَهَنّمَ[2]، وَهِي حَظُّ كُلّ مُؤْمِنٍ مِنَ النّارِ»[3].

* * *

(١) ليس في (ب).
(٢) في (ب): «الحمى من كير جهنم». والكير: كير الحداد. وقيل: الزِّقُّ الذي يُنفخ به النار.
(٣) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣٦/ ٤٩٥) برقم (٢٢١٦٥).

[تَشْجِيعُ ابنِ رَواحةَ النّاسَ على القِتالِ]

قالَ: فشَجَّعَ النّاسَ عَبْدُ الله بنُ رَواحةَ، وقالَ: يا قَوْمِ، واللهِ إنَّ الَّتي تَكْرَهُونَ لَلَّتي خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ الشَّهادةُ، وما نُقاتِلُ النّاسَ بِعدَدٍ ولا قُوّةٍ ولا كَثْرةٍ، ما نُقاتِلُهُمْ إلّا بِهذا الدِّينِ الَّذي أكْرَمَنا اللهُ بِهِ، فانْطَلِقُوا فإنَّما هِيَ إحْدى الحُسْنَيَيْنِ؛ إمّا ظُهورٌ وإمّا شَهادةٌ. قالَ: فقالَ النّاسُ: قَدْ واللهِ صَدَقَ ابنُ رَواحةَ. فمَضى النّاسُ، فقالَ عَبْدُ الله بنُ رَواحةَ في مَحْبِسِهِمْ ذلك:

جَلَبنا الخَيْلَ مِنْ أجَإٍ وفَرْعٍ ... تُغَرُّ مِنَ الحَشِيشِ لَهَا العُكُومُ
حَذَوْناها مِنَ الصَّوّانِ سِبْتًا ... أزَلَّ كَأنَّ صَفْحَتَهُ أدِيمُ
أقامَتْ لَيْلَتَيْنِ على مَعانٍ ... فأعْقَبَ بَعْدَ فتْرَتِها جُمُومُ
فَرُحْنا والجِيادُ مُسَوَّماتٌ ... تَنَفَّسُ في مَناخِرِها السَّمُومُ
فَلا وأبي مَآبَ لَنَأْتِيَنْها ... وإنْ كانَتْ بِها عَرَبٌ ورُومُ
فَعَبَّأْنا أعِنَّتَها فجاءَتْ ... عَوابِسَ والغُبارُ لَها بَرِيمُ
بِذِي لَجَبٍ كَأنَّ البَيْضَ فيهِ ... إذا بَرَزَتْ قَوانِسُها النُّجُومُ
فَراضِيةُ المَعِيشةِ طَلَّقَتْها ... أسِنَّتُها فتَنْكِحُ أوْ تَئِيمُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وَيُرْوى:

جَلَبنا الخَيْلَ مِنْ آجامِ قُرْحٍ

وقَوْلُهُ: «فَعَبَّأْنا أعِنَّتَها» عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ مَضى النّاسُ، فحَدَّثَني عَبْدُ اللهِ بنُ أبي بَكْرٍ أنَّهُ حُدِّثَ عَنْ زَيْدِ بنِ أرْقَمَ، قالَ: كُنْتُ يَتِيمًا لِعَبْدِ اللهِ بنِ رَواحةَ في حَجْرِهِ، فخَرَجَ بِي في سَفَره ذلك مُرْدِفي على حَقِيبة رَحْله، فوالله إنَّهُ لَيَسِيرُ لَيْلةً إذْ سَمِعْتُهُ وهُوَ يُنْشِدُ أبْياتَهُ هَذِهِ:

إذا أدَّيْتِـــنِي وحَمَلْــتِ رَحْلِي مَسِــيرةَ أرْبَعٍ بَعْدَ الحِســاءِ
فَشَـــأْنُكِ أنْعُمٌ وخَـــلّاكِ ذَمٌّ ولا أرْجِـــعْ إلى أهْـــلِي ورائِي
وَجاءَ المُسْـــلِمُونَ وغادَرُونِي بِأرْضِ الشّـــامِ مُشْتَهِيَ الثَّواءِ
وَرَدَّك كُلُّ ذِي نَسَـــبٍ قَرِيبٍ إلى الرَّحْمَنِ مُنْقَطِـــعَ الإخاءِ
هُنالِـــكَ لا أُبالِي طَلْـــعَ بَعْلٍ ولا نَخْـــلٍ أســـافِلُها رِواء

فَلَمّا سَمِعْتُهُنَّ مِنْهُ بَكَيْتُ. قالَ: فخَفَقَنِي بِالدِّرَّةِ، وقالَ: ما عَلَيْكَ يا لُكَعُ أنْ يَرْزُقَنِي اللهُ شَهادةً وتَرْجِعَ بَيْنَ شُعْبَتَيْ الرَّحْلِ! قالَ: ثُمَّ قالَ عَبْدُ اللهِ ابنُ رَواحةَ في بَعْضِ سَفَرِهِ ذلك وهُوَ يَرْتَجِزُ:

يا زَيْدُ زَيْدَ اليَعْمَلاتِ الذُّبَّلِ تَطاوَلَ اللَّيْـــلُ هُدِيتَ فانْزِلِ

[لِقاءُ الرُّومِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فمَضى النّاسُ، حَتّى إذا كانُوا بِتُخُومِ البَلْقاءِ لَقِيَتْهُمْ جُمُوعُ هِرَقْلَ مِن الرُّومِ والعَرَبِ بِقَرْيةٍ مِنْ قُرى البَلْقاءِ يُقالُ لَها: مَشارِفُ، ثُمَّ دَنا العَدُوُّ، وانْحازَ المُسْلِمُونَ إلى قَرْيةٍ يُقالُ لَها: مُؤْتةُ، فالتَقى النّاسُ عِنْدَها، فتَعَبَّأ لَهُمُ المُسْلِمُونَ، فجَعَلُوا على مَيْمَنَتِهِمْ رَجُلًا مِنْ بَنِي عُذْرةَ، يُقالُ لَهُ: قُطْبةُ بنُ قَتادةَ، وعلى مَيْسَرَتِهِمْ رَجُلًا مِن الأنْصارِ يُقالُ لَهُ: عَبايةُ ابنُ مالِكٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: عُبادةُ بنُ مالِكٍ.

[مَقْتَلُ ابنِ حارِثَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثمَّ التَقى النّاسُ واقْتَتَلُوا، فقاتَلَ زَيْدُ بنُ حارِثَةَ بِرايةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتّى شاطَ في رِماحِ القَوْمِ.

وذَكَرَ شِعْرَ عَبْدِ اللهِ بنِ رَواحةَ وَفِيهِ: [من الوافر]

تُفَرُّ مِنَ الحَشِيشِ لَها العُكُومُ

تُفَرُّ: أيْ يُجْمَعُ بَعْضُها إلى بَعْضٍ، والعُكُومُ: جَمْعُ عِكْمٍ.

وفيه: «والغُبارُ[١] لها بَرِيمُ»، البَرِيمُ: خَيْطٌ تَحْتَزِمُ بِهِ المَرْأةُ، والبَرِيمُ أيْضًا: لَفِيفُ النّاسِ[٢] وَأخْلاطُهُمْ، وَيُقالُ: هُمْ[٣] بَرِيمانِ؛ أيْ: لَوْنانِ مُخْتَلِطانِ.

وفِيهِ: [من الوافر]

أقامَتْ لَيْلَتَيْنِ علـى مَعانٍ

قالَ الشَّيْخُ [أبُو بَحْرٍ][٤]: مُعان بِضَمِّ المِيمِ، وَجَدْتُهُ[٥] فِي الأصْلَيْنِ، وَأصْلَحَهُ عَلَيْنا القاضِي رَحِمَهُ اللهُ حِينَ السّماعِ: مَعان بِفَتْحِ المِيمِ، وَهُوَ

---

(١) كذا في (س) وحدها: «والغبار». وفي غيرها: «من الغبار».

(٢) في (ب): «لفيفٌ من الناس».

(٣) في (ب): «منهم».

(٤) ليس في (ب)، (ص)، (ج).

(٥) في (ف): «ووجدته».

اسْمُ مَوْضِعٍ، وَذَكَرَهُ البَكْرِيُّ بِضَمّ المِيمِ، وَقالَ[١]: هُوَ اسْمُ جَبَلٍ، والمَعانُ أيْضًا: حَيْثُ تُحْبَسُ الخَيْلُ والرِّكابُ، وَيَجْتَمِعُ النّاسُ، وَيَجُوزُ أنْ يَكُونَ مِنْ أمْعَنْتُ النّظَرَ، أوْ مِنَ الماءِ المَعِينِ، فَيَكُونُ وَزْنُهُ: فَعالًا، وَيَجُوزُ أنْ يَكُونَ مِنَ العَوْنِ، فَيَكُونُ وَزْنُهُ: مَفْعَلًا، وَقَدْ جَنّسَ المَعَرِّي بِهَذِهِ الكَلِمةِ، فقالَ[٢]: [من الوافر]

مَعــانٌ مِــنْ أحِبّتِنــا مَعانُ تُجِيبُ الصّاهِلاتِ بِها القِيانُ

وَقَوْلُهُ: [من الوافر]

فَراضِيــةُ المَعِيشــةِ طَلَّقَتها

أيِ: المَعِيشةُ المَرْضِيّةُ، وَبَناها على فاعِلةٍ؛ لِأنّ أهْلَها راضُونَ، ولِأنّها[٣] فِي مَعْنى صالِحةٍ، وَقَدْ تَقَدّمَ طَرَفٌ مِنَ القَوْلِ فِي هَذا المَعْنى.

وَقَوْلُهُ: «وَخَلاكِ ذَمٌّ»، أيْ: فارَقَكِ الذّمُّ، فَلَسْتِ بِأهْلٍ لَهُ. وَقَدْ أحْسَنَ فِي قَوْلِهِ: [من الوافر]

فَشَأْنَكِ فانعَمِي وَخَلاكِ ذَمٌّ

بَعْدَ قَوْلِهِ: «إذا بَلَّغْتَنِي»، وَأحْسَنَ أيْضًا مَنِ اتّبَعَهُ فِي هَذا المَعْنى، كَقَوْلِ أبِي نُواسٍ[٤]: [من الكامل]

وَإذا المَطِــيُّ بِنا بَلَغْنَ مُحَمّدًا فَظُهُورُهُنّ على الرِّجالِ حَرامُ

---

(١) في (أ): «وقيل».

(٢) «شروح سقط الزند»، القسم الأول: (ص: ١٧٢). وانظر ما قيل في تفسير هناك.

(٣) في (ف)، (أ)، (ج)، (س): «لأنها».

(٤) «ديوانه» (ص: ٥٧٥)، يمدح الأمين.

وكَقَوْلِ الآخَرِ[١]: [من السريع]

نَجوتِ من حَـلٍّ ومن رِحْلةٍ يـا نـاقُ إنْ قَرَّبْتِني مِـنْ قُثَمْ

وقَدْ أساءَ الشّمّاخُ حَيْثُ يَقُولُ[٢]: [من الوافر]

إذا بَلّغْتِنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي عَرابةَ فاشـرَقِي بدَمِ الوَتينِ

وَيُذْكَرُ عَنِ الحَسَنِ بنِ هانِئٍ أنّهُ كانَ يشنَؤُهُ إذا ذَكَرَ هَذا البَيْتَ. وَذَكَرَ مُهَلْهِلُ ابنُ يَمُوتَ بنِ المُزَرَّعِ[٣] عَنْ أَبِي تَمّامٍ أنّهُ قالَ: [كان][٤] الحسنُ يَشْنَأُ الشّمّاخَ، وَأنا ألْعَنُهُ؛ [يعني][٥] مِنْ أجْلِ قَوْلِهِ هَذا.

وَقَوْلُ النّبيِّ ﷺ [لِلْغِفارِيّةِ][٦]: «بِئْسَ ما جَزَيْتِها»[٧] يَشُدُّ الغَرَضَ المُتَقَدِّمَ، وَيَشْهَدُ بِصِحّتِهِ.

وَقَوْلُهُ: «مُنْتَهِيَ الثَّواءِ»: مُفْتَعِلٌ[٨] مِنَ النِّهايَةِ والانْتِهاءِ؛ أيْ: حَيْثُ انْتَهى مَثْواهُ، وَمَنْ رَواهُ: «مُشْتَهِيَ الثّواءِ»؛ أيْ: لا أُرِيدُ رُجُوعًا.

---

(١) داود بن سلم شاعر مخضرم من شعراء الدولتين الأموية والعباسية، كذا نسب البيت له في «الأغاني» (٦: ٢١٠٠)، ونسبه أبو الحسن في «الكامل» للمبرد: (٢: ٧٧٣) إلى سليمان ابن قتة، شاعر مقرئ، وقتّة أمه كما في «سير أعلام النبلاء» (٤: ٥٩٦). وانظر: «ذيل أمالي القالي» (٣: ١٣٠).

(٢) الشماخ بن ضرار الذبياني، «ديوانه» (ص: ٣٢٣).

(٣) شاعر إخشيدي، توفي بعد (٣٢٤هـ)، له «سرقات أبي نواس». وانظر خبره في ترجمة أبيه في «وفيات الأعيان» (٢: ٣٤٥).

(٤) ليس في (ب).

(٥) عن (ص).

(٦) ليس في (ب).

(٧) «سنن أبي داود»، كتاب الأيمان والنذور: (٣: ٢٣٩-٢٤٠).

(٨) في النسخ: «مستنهى الثواء، مستفعل». ولا يستقيم الوزن به.

وَقَوْلُهُ: [من الوافر]

حَذَوْناها مِنَ الصَّوّانِ سِـبْتًا

[أيْ: حَذَوْناها نِعالًا مِنْ حَدِيدٍ][(١)]، جَعَلَهُ سِبْتًا لَها مَجازًا. وَصَوّانٌ مِنَ الصَّوْنِ، أيْ: يَصُونُ حَوافِرَها، أوْ أخْفافَها[(٢)]، إنْ أرادَ الإبِلَ، فَهُوَ فَعّالٌ مِنَ الصَّوْنِ، فَقَدْ كانُوا يَحْذُونَها السَّرِيحَ، وَهُوَ جِلْدٌ يَصُونُ أخْفافَها، وَأظْهَرُ مِنْ هَذا أنْ يَكُونَ أرادَ بِالصَّوّانِ[(٣)] يَبِيسَ الأرْضِ؛ أيْ: لا سِبْتَ لَهُ[(٤)] إلّا ذَلِكَ، وَوَزْنُهُ فَعَلانٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: نَخْلَةٌ صاوِيَة؛ أي: يابسة، وأنشد أبو عليٍّ[(٥)]: [من البسيط]

قد أُوبِيَـتْ كُلَّ ماءٍ فَهْيَ صاوِيَةٌ

وَيَشْهَدُ لِمَعْنى الصّوّانِ هُنا قولُ النّابغة الذُّبياني[(٦)]: [من الطويل]

برى وَقَعُ الصَّوّانِ حَدَّ نُسُورِها

---

(١) سقط من (ب).

(٢) في (ص)، (ف): «وأخفافها».

(٣) في غير (أ)، (س): «بالصوان».

(٤) في (ف): «لها».

(٥) البيت لساعدة بن جؤية، «ديوان الهذليين» (١: ١٩٨)، وفيه: «فهي طاوية». وعجزه:

«مهما تصب أفقًا من بارقٍ تشمِ»

أُوبِيَت: مُنِعت. وتشم: تقرر أين تذهب ثم تمضي إليه.

(٦) «ديوانه» (ص: ١٤٥)، وعجزه:

«فهنَّ لطافٌ كالصِّعادِ الذوابلِ»

الوقع: أن يصيب الحافر وجع من وطئها على الغليظ من الأرض. والنسور: لحمات في باطن الحافر كنوى الزيتون. والصعاد: جمع صعدة: قناة ليست طويلة. والذوابل: الصخور الصم الصلاب.

وَعَيْنُ الفِعْلِ ولامُهُ في صَوّانٍ واوٌ، وَأَدْخَلَ صاحِبُ «العَيْنِ»[1] فِي بابِ الصّادِ والواوِ والياءِ هَذا اللّفْظَ، فَقالَ: صَوِيَ يَصْوى: إذا يَبِسَ، وَنَخْلَةٌ صاوِيةٌ. وَلَوْ كانَ مِمّا لامُهُ ياءً، لَقِيلَ فِي صَوّان: صَيّان، كَما قِيلَ: طَيّان وَرَيّان، وَلَكِنْ لَمّا انْقَلَبَتِ الواوُ ياءً من أجلِ الكسرةِ توهّمَ الحَرْف مِنْ ذَواتِ الياءِ. وَقَوْلُ عَبْدِ اللهِ:

[من الرجز]

هَلْ أَنْتِ إلّا نُطْفةٌ فِي شَــنّهْ؟

النُّطفة: القليلُ من الماء، والشَّنة: السِّقاء البالي، فَيُوشِكُ أَنْ تُهَراقَ النّطْفةُ، أَوَ يَتخَرَّقَ السِّقاءُ، ضَرَبَ ذَلِكَ مَثَلًا لِنَفْسِهِ فِي جَسَدِهِ.

* * *

(١) «العين» (٧: ١٧٤-١٧٥).

[إمارةُ جَعْفَرٍ ومَقْتَلُهُ]

ثُمَّ أَخَذَها جَعْفَرٌ فقاتَلَ بِها، حَتّى إذا أَلْحَمَهُ القِتالُ اقْتَحَمَ عَنْ فرَسٍ لَهُ شَقْراءَ، فعَقَرَها، ثُمَّ قاتَلَ القَوْمَ حَتّى قُتِلَ. فكانَ جَعْفَرٌ أَوَّلَ رَجُلٍ مِنَ المُسْلِمِينَ عَقَرَ في الإِسْلامِ.

وَحَدَّثَنِي يَحْيى بنُ عَبّادِ بنِ عَبْدِ الله بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أبيهِ عَبّادٍ، قالَ: حَدَّثَنِي أبي الَّذي أَرْضَعَنِي، وكانَ أَحَدَ بَنِي مُرّةَ بنِ عَوْفٍ، وكانَ في تِلْكَ الغَزْوةِ غَزْوةِ مُؤْتَةَ، قالَ: والله لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إلى جَعْفَرٍ حِينَ اقْتَحَمَ عَنْ فرَسٍ لَهُ شَقْراءَ، ثُمَّ عَقَرَها ثُمَّ قاتَلَ حَتّى قُتِلَ وهُوَ يَقُولُ:

يا حَبَّذا الجَنّةُ واقْتِرابُها ... طَيِّبةً وبارِدًا شَرابُها

والرومُ رومٌ قدْ دَنا عَذابُها ... كافِرةٌ بَعِيدةٌ أَنْسابُها

عَلَيَّ إذْ لاقَيْتُها ضِرابُها

وَأمّا عقْرُ جَعْفَرٍ فَرَسَهُ، وَلَمْ يَعِبْ ذَلِكَ عَلَيْهِ أَحَدٌ، فَدَلّ على جَوازِ ذَلِكَ إذا خِيفَ أَنْ يَأْخُذَها العَدُوّ، فَيُقاتِلَ عَلَيْها المُسْلِمِينَ[١]، فَلَمْ يَدْخُلْ هَذا فِي بابِ النَّهي عن تعذيبِ البهائم وقَتْلِها عَبَثًا. غَيْرَ أَنّ أبا داوُدَ خَرّجَ هَذا الحديث، فَقالَ[٢]:

حَدّثَنا النُّفَيْلِيّ، قالَ: حَدّثَنا مُحَمّدُ بنُ مَسْلَمةَ، عَنْ مُحَمّدِ بنِ إسْحاقَ، عَن

(١) في (ف): «المسلمون».

(٢) «سنن أبي داود»، كتاب الجهاد: (٣: ٢٩).

ابنِ عَبّادٍ ـ يَعْنِي: يَحْيى بنَ عَبّادٍ ـ عَنْ أَبِيهِ عَبّادِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ، قالَ: حَدّثَنِي أَبِي الّذِي أَرْضَعَنِي، وَهُوَ أَحَدُ بَنِي مُرّةَ بنِ عَوْفٍ، وَكانَ فِي تِلْكَ الغَزاةِ؛ غَزاةِ مُؤْتَةَ، قالَ: «واللهِ لَكَأَنّي أَنْظُرُ إلى جَعْفَرٍ حِينَ اقْتَحَمَ عَنْ فَرَسٍ لَهُ شَقْراءَ فَعَقَرَها، ثُمّ قاتَلَ القَوْمَ حَتّى قُتِلَ».

قالَ أَبُو داوُدَ: وَلَيْسَ هَذا الحَدِيثُ بِالقَوِيّ، وَقَدْ جاء فيه نهيٌ كَثِيرٌ عَنْ أَصْحابِ رسولِ الله ﷺ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وحَدَّثَنِي مَنْ أَثِقُ بِهِ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ؛ أَنَّ جَعْفَرَ بنَ أَبِي طالِبٍ أَخَذَ اللِّواءَ بِيَمِينِهِ فقُطِعَتْ، فأَخَذَهُ بِشِمالِهِ فقُطِعَتْ، فاحْتَضَنَهُ بِعَضُدَيْهِ حَتّى قُتِلَ رَضِيَ الله عَنْهُ وهُوَ ابنُ ثَلاثٍ وثَلاثِينَ سَنَةً، فأَثابَهُ اللهُ بِذلك جَناحَيْنِ في الجَنّةِ يَطِيرُ بِهِما حَيْثُ شاءَ. ويُقالُ: إنَّ رَجُلًا مِن الرُّومِ ضَرَبَهُ يَوْمَئِذٍ ضَرْبةً فقَطَعَهُ بِنِصْفينِ.

وَذَكَرَ قَوْلَ رسول الله ﷺ فِي جَعْفَرٍ: «إنّ الله قد أبدلَهُ من يديه جَناحَيْنِ يَطِيرُ بِهِما فِي الجَنّةِ حَيْثُ شاءَ». وَرَوى عكرمةُ عنِ ابنِ عَبّاسٍ أنّ رسول الله ﷺ قال: «دَخَلْتُ الجَنّةَ البارِحةَ، فَرَأَيْتُ جَعْفَرًا يَطِيرُ مَعَ المَلائِكةِ، وَجَناحاهُ مُضَرّجانِ بِالدَّمِ»(١).

وَعَنْ سَعِيدِ بنِ المُسَيَّبِ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مُثِّلَ لِي جَعْفَرٌ وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللهِ بنُ رَواحةَ فِي خَيْمةٍ مِنْ دُرٍّ على أَسِرّةٍ، فَرَأَيْتُ زَيْدًا وَعَبْدَ اللهِ وفِي

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك»، كتاب المغازي: (٣: ٤٠)، وانظر: «سبل الهدى والرشاد» (١١ : ٥٨١).

أَعْناقِهِما صُدُودٌ، وَرَأَيْت جَعْفَرًا مُسْتَقِيمًا. [فتساءلتُ][١] فَقِيلَ لِي: إِنّهُما حِينَ غَشِيَهُما المَوْتُ أَعْرَضا بِوُجُوهِهِما، وَمَضى جَعْفَرٌ فَلَمْ يُعْرِضْ».

وَسَمِعَ رسول الله ﷺ فاطِمَةَ حِينَ جاءَ نَعْيُ جَعْفَرٍ تقول: واعمّاهْ، فَقالَ: «على مِثْلِ جَعْفَرٍ فَلْتَبْكِ البَواكِي»[٢].

وَكانَ أَبُو هُرَيْرةَ يَقُولُ: «ما احْتَذى النّعالَ، وَلا رَكِبَ المَطايا بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَفْضَلُ مِنْ جَعْفَرٍ»[٣]. وَقالَ عَبْدُ اللهِ بنُ جَعْفَرٍ: «كُنْتُ إِذا سَأَلْتُ عَلِيًّا حاجةً فَمَنَعَنِي أُقْسِمُ عَلَيْهِ بِحَقِّ جَعْفَرٍ فَيُعْطِينِي»[٤].

وَمِمّا يَنْبَغِي الوُقُوفُ عَلَيْهِ فِي مَعْنى الجَناحَيْنِ أَنّهُما لَيسا كَما يَسْبِقُ إِلى الوَهمِ [على][٥] مِثْلِ جَناحَي الطّائِرِ وَرِيشِهِ؛ لِأَنَّ الصّورةَ الآدَمِيّةَ أَشْرَفُ الصُّوَرِ وَأَكْمَلُها، وَفِي قَوْلِهِ ﷺ: «إِنّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ على صُورَتِهِ» تَشْرِيفٌ لها عَظِيمٌ، وَحاشا للهِ مِنَ التّشْبِيهِ والتّمْثِيلِ، وَلَكِنّها عِبارة عَنْ صِفةٍ مَلَكِيّةٍ وَقُوّةٍ رُوحانِيّةٍ أُعْطِيَها جَعْفَرٌ كَما أُعْطِيَتْها المَلائِكَةُ، وقد قال الله تبارك وتعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ [طه: ٢٢]، فَعَبّرَ عَنِ العَضُدِ بِالجَناحِ تَوَسُّعًا، وَلَيْسَ ثَمّ طَيَرانٌ، فَكَيْفَ بِمَنْ أُعْطِيَ القُوّةَ على الطّيَرانِ مَعَ المَلائِكَةِ أَخْلِقْ بِهِ إِذًا أَنْ يُوصَفَ بِالجَناحِ مَعَ كَمالِ الصّورةِ الآدَمِيّةِ وَتَمامِ الجَوارِحِ البَشَرِيّةِ! وَقَدْ قالَ أَهْلُ العِلْمِ فِي أَجْنِحةِ المَلائِكَةِ: لَيْسَتْ كَما يُتَوَهّمُ مِنْ أَجْنِحةِ الطّيْرِ، وَلَكِنّها

---

(١) عن (ب)، (ص).

(٢) «أسد الغابة» (١: ٣٤٣).

(٣) «عارضة الأحوذي»، أبواب المناقب: (١٣: ١٨٩-١٩٠).

(٤) «أسد الغابة» (١: ٣٤٤).

(٥) ليس في (ب).

صِفاتٌ مَلَكِيَّةٌ لا تُفْهَمُ إلّا بالمُعايَنةِ، واحْتَجُّوا بقَوْلِهِ تَعالى: ﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [فاطر: ١]، فكَيْفَ تكونُ كأجنحةِ الطَّيْرِ [على هَذا][1]، ولَمْ يُرَ طائِرٌ لَهُ ثَلاثةُ أجْنِحةٍ، ولا أرْبَعةٌ، فكَيْفَ بِستِّ مِئةِ جَناحٍ، كَما جاءَ فِي صِفةِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السّلامُ، فدَلّ على أنّها صِفاتٌ لا تَنْضَبِطُ كَيْفِيَّتُها لِلْفِكْرِ، ولا وَرَدَ أيْضًا فِي بَيانِها خَبَرٌ، فيَجِبُ عَلَيْنا الإيمانُ بها، ولا يُفِيدُنا عِلْمًا إعمالُ الفِكْرِ في كيفيّتها، وكل امرئٍ قَريبٌ مِنْ مُعايَنةِ ذَلِكَ، فإمّا أنْ يَكُونَ من الذين: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]، وإمّا أنْ يَكُونَ مِنَ الّذِينَ تَقُولُ لَهُم الملائكةُ وهم باسِطُو أيْدِيهِمْ: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣].

* * *

(١) ليس في (ب).

[إمارةُ ابنِ رَواحةَ ومَقْتَلُهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني يَحْيى بنُ عَبّادِ بنِ عَبْدِ الله بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أبيهِ عَبّادٍ قالَ: حَدَّثَني أبي الَّذي أرْضَعَني، وكانَ أحَدَ بَني مُرّةَ بنِ عَوْفٍ، قالَ: فلَمّا قُتِلَ جَعْفَرٌ أخَذَ عَبْدُ الله بنُ رَواحةَ الرّايةَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ بِها وهُوَ على فرَسِهِ، فجَعَلَ يَسْتَنْزِلُ نَفْسَهُ، ويَتَرَدَّدُ بَعْضَ التَّرَدُّدِ، ثُمَّ قالَ:

أقْسَمْتُ يا نَفْسُ لَتَنْزِلِنَّهْ لَتَنْزِلِنَّ أوْ لَتُكْرَهِنَّهْ
إنْ أجْلَبَ النّاسُ وشَدُّوا الرَّنّه ما لي أراكِ تَكْرَهِينَ الجَنَّهْ
قَدْ طالَ ما قَدْ كُنْتِ مُطْمَئِنَّهْ هَلْ أنْتِ إلّا نُطْفةٌ في شَنَّهْ

وَقالَ أيْضًا:

يا نَفْسُ إلّا تُقْتَلِي تَمُوتِي هذا حِمامُ المَوْتِ قَدْ صَلِيتِ
وَما تَمَنَّيْتِ فقَدْ أُعْطِيتِ إنْ تَفْعَلِي فِعْلَهُما هُدِيتِ

يُرِيدُ صاحِبَيْهِ زَيْدًا وجَعْفَرًا. ثُمَّ نَزَلَ، فلَمّا نَزَلَ أتاهُ ابنُ عَمٍّ لَهُ بِعَرْقٍ مِنْ لَحْمٍ فقالَ: شُدَّ بِهذا صُلْبَكَ؛ فإنَّكَ قَدْ لَقِيتَ في أيّامِكَ هَذِهِ ما لَقِيت، فأخَذَهُ مِنْ يَدِهِ ثُمَّ انْتَهَسَ مِنْهُ نَهْسةً، ثُمَّ سَمِعَ الحَطْمةَ في ناحِيةِ النّاسِ، فقالَ: وَأنْتَ في الدُّنْيا! ثُمَّ ألْقاهُ مِنْ يَدِهِ، ثُمَّ أخَذَ سَيْفَهُ فتَقَدَّمَ، فقاتَلَ حَتّى قُتِلَ.

[ابنُ الوَلِيدِ وانصرافُه بِالنّاسِ]

ثمَّ أخَذَ الرّايةَ ثابِتُ بنُ أقْرَمَ أخُو بَنِي العَجْلانِ، فقالَ: يا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ

اصْطَلِحُوا على رَجُلٍ مِنْكُمْ، قالُوا: أَنْتَ، قالَ: ما أنا بِفاعِلٍ. فاصْطَلَحَ النّاسُ على خالِدِ بنِ الوَلِيدِ، فلَمّا أَخَذَ الرّايةَ دافَعَ القَوْمَ، وحاشى بِهِمْ، ثُمَّ انْحازَ وانْحِيزَ عَنْهُ، حَتّى انْصَرَفَ بِالنّاسِ.

[تَنَبُّؤُ الرَّسُولِ بِما حَدَثَ لِلْمُسْلِمِينَ مَعَ الرُّومِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولَمّا أُصِيبَ القَوْمُ قالَ رَسُولُ الله ﷺ فيما بَلَغَنِي: «أَخَذَ الرّايةَ زَيْدُ بنُ حارِثةَ فقاتَلَ بِها حَتّى قُتِلَ شَهِيدًا، ثُمَّ أَخَذَها جَعْفَرٌ فقاتَلَ بِها حَتّى قُتِلَ شَهِيدًا». قالَ: ثُمَّ صَمَتَ رَسُولُ الله ﷺ حَتّى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُ الأَنْصارِ، وظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ كانَ في عَبْدِ الله بنِ رَواحةَ بَعْضُ ما يَكْرَهُونَ، ثُمَّ قالَ: «ثُمَّ أَخَذَها عَبْدُ الله بنُ رَواحةَ فقاتَلَ بِها حَتّى قُتِلَ شَهِيدًا». ثُمَّ قالَ: «لَقَدْ رُفِعُوا إِلَيَّ في الجَنّةِ، فيما يَرى النّائِمُ، على سُرُرٍ مِنْ ذَهَبٍ، فرَأَيْتُ في سَرِيرِ عَبْدِ الله بنِ رَواحةَ ازْوِرارًا عَنْ سَرِيرَيْ صاحِبَيْهِ، فقُلْتُ: عَمَّ هذا؟ فقِيلَ لِي: مَضَيا وتَرَدَّدَ عَبْدُ الله بَعْضَ التَّرَدُّدِ، ثُمَّ مَضى».

[حُزْنُ الرَّسُولِ على جَعْفَرٍ ووِصايَتُهُ بِآلِهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أَبي بَكْرٍ، عَنْ أُمِّ عِيسى الخُزاعِيّةِ، عَنْ أُمِّ جَعْفَرٍ بِنْتِ مُحَمَّدِ بنِ جَعْفَرِ بنِ أَبي طالِبٍ، عَنْ جَدَّتِها أَسماءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ، قالَتْ:

لَمّا أُصِيبَ جَعْفَرٌ وأَصْحابُهُ دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ وقَدْ دَبَغْتُ أَرْبَعِينَ مَنًا ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُرْوى أَرْبَعِينَ مَنِيئةً ـ وعَجَنْتُ عَجِينِي، وغَسَلْتُ بَنِيَّ ودَهَنْتُهمْ ونَظَّفْتُهم. قالَتْ: فقالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «ائْتِينِي بِبَنِي جَعْفَرٍ»،

قالَتْ: فأتَيْتُهُ بِهِمْ، فتَشَمَّمَهُمْ وذَرَفَتْ عَيْناهُ، فقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ، بِأبي أنْتَ وأُمِّي، ما يُبْكِيكَ؟ أبَلَغَكَ عَنْ جَعْفَرٍ وأصْحابِهِ شَيْءٌ؟ قالَ: «نَعَمْ، أُصِيبُوا هذا اليَوْمَ». قالَتْ: فقُمْتُ أَصِيحُ، واجْتَمَعَتْ إلَيَّ النِّساءُ، وخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى أهْلِهِ، فقالَ: «لا تُغْفِلُوا آلَ جَعْفَرٍ مِنْ أنْ تَصْنَعُوا لَهُمْ طَعامًا، فإنَّهُمْ قَدْ شُغِلُوا بِأمْرِ صاحِبِهِمْ».

وحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ القاسِمِ بنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أبيهِ، عَنْ عائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قالَتْ: لَمّا أتى نَعْيُ جَعْفَرٍ عَرَفْنا في وجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الحُزْنَ. قالَتْ: فدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فقالَ: يا رَسُولَ اللهِ، إنَّ النِّساءَ عَنَّيْنَنا وفَتَنَّنا، قالَ: «فارْجِعْ إلَيْهِنَّ فأسْكِتْهُنَّ». قالَتْ: فذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ، فقالَ لَهُ مِثْلَ ذلك، قالَ: تَقُولُ: ورُبَّما ضَرَّ التَّكَلُّفُ أهْلَهُ، قالَتْ: قالَ: «فاذْهَبْ فأسْكِتْهُنَّ، فإنْ أبَيْنَ فاحْثُ في أفْواهِهِنَّ التُّرابَ »، قالَتْ: وقُلْتُ في نَفْسِي: أبعدَكَ اللهُ! فو اللهِ ما تَرَكْتَ نَفْسَكَ وما أنْتَ بِمُطِيعٍ رَسُولَ اللهِ ﷺ. قالَتْ: وَعَرَفْتُ أنَّهُ لا يَقْدِرُ على أنْ يَحْثِيَ في أفْواهِهِنَّ التُّرابَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ كانَ قُطْبةُ بنُ قَتادةَ العُذْرِيُّ، الَّذي كانَ على مَيْمَنةِ المُسْلِمِينَ، قَدْ حَمَلَ على مالِكِ بنِ زافِلةَ فقَتَلَهُ، فقالَ قُطْبةُ بنُ قَتادةَ:

طَعَنْتُ ابنَ زافلةَ بنِ الإرا ... شِ بِرُمْحٍ مَضى فيهِ ثُمَّ انْحَطَمْ
ضَرَبْتُ على جِيدِهِ ضَرْبةً ... فمالَ كَما مالَ غُصْنُ السَّلَمْ
وسُقْنا نِساءَ بَنِي عَمِّهِ ... غَداةَ رَقُوقَيْنَ سَوْقَ النَّعَمْ

قالَ ابنُ هِشامٍ: قَوْلُهُ: «ابنِ الإراشِ» عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

والبَيْتُ الثّالِثُ عَنْ خَلّادِ بنِ قُرّةَ، ويُقالُ: مالِكُ بنُ رافِلةَ.

[كاهِنةُ حَدَسٍ وإنْذارُها قَوْمَها]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ كانَتْ كاهِنةٌ مِنْ حَدَسٍ حِينَ سَمِعَتْ بِجَيْشِ رَسُولِ الله ﷺ مُقْبِلًا، قَدْ قالَتْ لِقَوْمِها مِنْ حَدَسٍ، وقَوْمُها بَطْنٌ يُقالُ لَهُمْ: بَنُو غَنْمٍ: أُنْذِرُكُمْ قَوْمًا خُزْرًا، يَنْظُرُونَ شَزْرًا، ويَقُودُونَ الخَيْلَ تَتْرى، ويُهَرِيقُونَ دَمًا عَكْرًا. فأخَذُوا بِقَوْلِها، واعْتَزَلُوا مِنْ بَيْنِ لَخْمٍ، فلَمْ تَزَلْ بَعْدُ أثْرى حَدَسٍ. وكانَ الَّذينَ صَلَوُا الحَرْبَ يَوْمَئِذٍ بَنُو ثَعْلَبةَ؛ بَطْنٌ مِنْ حَدَسٍ، فلَمْ يَزالُوا قَلِيلًا بَعْدُ. فلَمّا انْصَرَفَ خالِدٌ بِالنّاسِ أقْبَلَ بِهِمْ قافِلًا.

[رُجُوعُ الجَيْشِ وتَلَقِّي الرَّسُولِ لَهُ وغَضَبُ المُسْلِمِينَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ، قالَ: لَمّا دَنَوْا مِنْ حَوْلِ المَدِينةِ تَلَقّاهُمْ رَسُولُ الله ﷺ والمُسْلِمُونَ.

قالَ: ولَقِيَهُمُ الصِّبْيانُ يَشْتَدُّونَ، ورَسُولُ الله ﷺ مُقْبِلٌ مَعَ القَوْمِ على دابّةٍ، فقالَ: «خُذُوا الصِّبْيانَ فاحْمِلُوهُمْ، وأعْطُونِي ابنَ جَعْفَرٍ». فأتى بِعَبْدِ الله فأخَذَهُ فحَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ. قالَ: وجَعَلَ النّاسُ يَحْثُونَ على الجَيْشِ التُّرابَ، ويَقُولُونَ: يا فُرّارُ، فرَرْتُمْ في سَبِيلِ الله! قالَ: فيقُولُ رَسُولُ الله ﷺ: «لَيْسُوا بِالفُرّارِ، ولَكِنَّهُم الكُرّارُ إنْ شاءَ الله تَعالى».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ، عَنْ عامِرِ بنِ عَبْدِ الله ابنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ بَعْضِ آلِ الحارِثِ بنِ هِشامٍ، وهُمْ أخْوالُهُ، عَنْ أُمِّ سَلَمةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قالَ: قالَتْ أُمُّ سَلَمةَ لِامْرَأةِ سَلَمةَ بنِ هِشامِ بنِ العاصِ بن المُغيرةِ: ما لي لا أرى سَلَمةَ يَحْضُرُ الصَّلاةَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ ومَعَ المُسْلِمِينَ؟ قالَتْ:

والله ما يَسْتَطِيعُ أنْ يَخْرُجَ، كُلَّما خَرَجَ صاحَ بِهِ النّاسُ: يا فُرّارُ، فرَرْتُمْ في سَبِيلِ الله، حَتّى قَعَدَ في بَيْتِهِ فما يَخْرُجُ.

[شِعْرُ قَيْسٍ في الِاعْتِذارِ عَنْ تَقَهْقُرِ خالِدٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ قالَ فيما كانَ مِنْ أمْرِ النّاسِ وأمْرِ خالِدٍ ومُخاشاتِهِ بِالنّاسِ وانْصِرافِهِ بِهِمْ، قَيْسُ بنُ المُسَحَّرِ اليَعْمَرِيُّ، يَعْتَذِرُ مِمّا صَنَعَ يَوْمَئِذٍ وصنع النّاسُ:

فو الله لا تَنْفَكُّ نَفْسِي تَلُومُني ... على مَوْقِفي والخَيْلُ قابِعةٌ قُبُلُ
وَقَفْتُ بِها لا مُسْتَجِيرًا فنافِذًا ... ولا مانِعًا مَنْ كانَ حُمَّ لَهُ القَتْلُ
على أنَّني آسَيْتُ نَفْسِي بِخالِدٍ ... ألا خالِدٌ في القَوْمِ لَيْسَ لَهُ مِثْلُ
وجاشَتْ إلَيَّ النَّفْسُ مِنْ نَحْوِ جَعْفَرٍ ... بِمُؤْتَةَ إذْ لا يَنْفَعُ النّابِلَ النَّبْلُ
وضَمَّ إلَيْنا حَجْزَتَيْهِمْ كِلَيْهِما ... مُهاجِرةٌ لا مُشْرِكُونَ ولا عُزْلُ

فَبَيَّنَ قَيْسٌ ما اخْتَلَفَ فيهِ النّاسُ مِنْ ذلك في شِعْرِهِ، أنَّ القَوْمَ حاجَزُوا وكَرِهُوا المَوْتَ، وحَقَّقَ انْحِيازَ خالِدٍ بِمَنْ مَعَهُ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: فأمّا الزُّهْرِيُّ فقالَ فيما بَلَغَنا عَنْهُ: أمَّرَ المُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ خالِدَ بنَ الوَلِيدِ، ففَتَحَ الله عَلَيْهِمْ، وكانَ عَلَيْهِمْ حَتّى قَفَلَ إلى النَّبِيِّ ﷺ.

وَأمّا عَبْدُ اللهِ بنُ رَواحةَ فَقَدْ ذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ ما ذَكَرَ مِنْ فَضائِلِهِ، وَذَكَرَ قَوْلَهُ لِلنّبِيّ ﷺ[1]: [من البسيط]

---

(١) انظر البيت (ص١٧) من هذا المجلد. (ج)

فَثبَّــتَ اللهُ مــا آتــاكَ مِــنْ حَسَــنٍ تَثْبِيتَ مُوسى ونَصْرًا كالذي نُصِرُوا

وَرَوى غَيْرُهُ أنّ رسول الله ﷺ قالَ لَهُ: «قُل شعرًا تَقْتَضبه اقتضابًا، وأنا أنظُر إليك»، فَقالَ مِنْ غَيْرِ رَوِيّةٍ: [من البسيط]

إنِّي تَفرّسْــتُ فِيــك الخَيْرَ أجمعَهُ

الأبْيات، حَتّى انْتَهى إلى قَوْلِهِ: [من البسيط]

فَثَبّتَ اللهُ ما آتاك مِنْ حَسَنٍ

فَقالَ لَهُ النّبيّ ﷺ: «وَأنْتَ فَثَبّتَك اللهُ يا ابنَ رَواحةَ»(١).

وَأمّا زَيْدٌ فَقَدْ تَقَدَّمَ التّعْرِيفُ بِهِ وَبِجُمْلةٍ مِنْ فَضائِلِهِ فِي أحادِيثِ المَبْعَثِ(٢)، وَحَسْبُك بِذِكْرِ اللهِ لَهُ باسْمِهِ فِي القُرْآنِ، وَلَمْ يَذْكُرْ أحَدًا مِن الصّحابة باسْمِهِ سِواهُ، وَقَدْ بيّنا النُّكْتةَ فِي ذَلِكَ فِي كِتابِ «التّعْرِيفِ والإعْلامِ»، فَلْتُنظَرْ هُنالِكَ(٣)(٤).

فَصْلٌ

وَذَكَرَ رُجُوعَ أهْلِ مُؤْتة، وَما لَقُوا مِن النّاسِ، إذْ قالُوا لَهُمْ: يا فَرّارون، فَرَرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَفي غير روايةِ ابنِ إسْحاقَ أنّهُمْ قالُوا لِلنّبيّ ﷺ: نَحنُ

---

(١) انظر: «طبقات ابن سعد» (٣/ ٢/ ٨١)، و«أسد الغابة» (٣: ٢٣٥).

(٢) انظر: (٣: ١٤).

(٣) في (ف): «هناك».

(٤) قال السهيلي في «التعريف والإعلام» عند آية الأحزاب ٣٧: «إنّ زيدًا كان يقال له: زيد ابن محمد، حتى أنزل الله تعالى: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٥] فلما نزع منه هذا الشرف وهذا الفخر، وعلم الله تعالى وحشته من ذلك، شرّفه بخصيصةٍ لم يكن يخصُّ بها أحدًا من أصحاب النبي ﷺ، وهو أنه سماه في القرآن فقال: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٧]... فكان في هذا تأنيسٌ له».

الفَرّارُونَ يا رَسُولَ اللهِ؟ فَقالَ: «بَلْ أَنْتُم العكّارون»؛ أيِ: الكرّارون، وَقالَ لَهُمْ: «أنا فِئَتُكُم»، يُرِيدُ: أنّ مَنْ فرَّ متحيِّزًا إلى فئةِ المسلمين، فَلا حَرَجَ عَلَيْهِ.

وَإنّما جاءَ الوَعِيدُ فِيمَنْ فرَّ عن الإمامِ، وَلَمْ يَتَحَيّزْ إِلَيْهِ؛ أيْ: لَمْ يَلْجأْ إلى حَوْزَتِهِ فَيَكُونَ مَعَهُ، فالمُتَحَيِّزُ مُتَفَيْعِلٌ مِن الحَوْزِ، وَلَوْ كانَ وَزْنُهُ مُتَفَعِّلًا كَما يَظُنُّ بَعْضُ النّاسِ لَقِيلَ فِيهِ: مُتَحَوِّزٌ[1].

وَرُوِيَ أَنّ عُمَرَ بنَ الخطابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حِينَ بَلَغَهُ قَتْلُ أَبِي عُبَيْدِ بنِ مَسْعُودٍ وَأَصْحابِهِ فِي بَعْضِ أَيّامِ القادِسِيّةِ، قالَ: «هَلا تَحَيّزُوا إِلَيْنا؛ فَإِنّا فِئَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»[2].

وَذَكَرَ ابنُ إِسْحاقَ مُخاشاةَ خالِدِ بنِ الوَلِيدِ بِالنّاسِ يَوْمَ مُؤْتة. والمُخاشاةُ: المُحاجَزةُ، وَهِيَ مُفاعَلةٌ مِن الخَشْيةِ؛ لِأَنّهُ خَشِيَ على المُسْلِمِينَ لِقِلّةِ عَدَدِهِمْ، فَقَدْ قِيلَ: كانَ[3] العَدُوُّ[4] مِئَتَيْ أَلْفٍ مِن الرُّومِ، وَخَمْسِينَ أَلْفًا مِن العَرَبِ، وَمَعَهُمْ مِن الخُيُولِ والسّلاحِ ما لَيْسَ مَعَ المُسْلِمِينَ، وَفِي قَوْلِ ابنِ إِسْحاقَ: كانَ العَدُوّ[5] مِئةَ أَلْفٍ وَخَمْسِينَ أَلْفًا، وَقَدْ قِيلَ: إِنّ المُسْلِمِينَ لَمْ يَبْلُغْ عَدَدُهُمْ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ ثَلاثَةَ آلافٍ.

وَمَنْ رَواهُ: «حاشى» بِالحاءِ المُهْمَلةِ، فَهُوَ مِن الحَشى، وَهِيَ النّاحِيةُ، وَفِي رِوايةِ قاسِمِ بنِ أَصْبَغَ عَن ابنِ قُتَيْبَةَ فِي «المَعارِفِ» أَنّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ: حاشى بِهِمْ، فَقالَ: مَعْناهُ: انْحازَ بِهِمْ[6].

---

(١) «سنن أبي داود»، كتاب الجهاد، باب في التولي يوم الزحف: (٣: ٤٦).

(٢) «أسد الغابة» (٦: ٢٠٥)، و«تفسير ابن كثير»، سورة الأنفال، الآية ١٥: (٤: ٥٨).

(٣) في (ف): «إن».

(٤) في (ب)، (ج): «العدد».

(٥) في (ب)، (ج): «العدد».

(٦) «المعارف» (ص: ١٦٣). وفيه: «فحاشى بهم: يعني اتقى بهم».

وَشِعْرُ قُطْبَةَ بنِ قَتادةَ يَدُلُّ على أَنّهُ قَدْ كانَ ثَمّ ظَفَرٌ وَمَغْنَمٌ؛ لِقَوْلِهِ: [من المتقارب]

وَسُــقْنا نِســاءَ بَنِي عَمِّهِ ... غَداةَ رقوقين سَوْقَ النَّعَمْ

وَفِي هَذا الشِّعْرِ أَنّهُ قَتَلَ رَئِيسًا مِنْهُمْ، وَهُوَ مالِكُ بنُ زافِلةَ، وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي ذَلِكَ كَما ذَكَرَ ابنُ إِسْحاقَ، فَقالَ ابنُ شِهابٍ: فَأَخَذَ خالِدٌ الرّايةَ حَتّى فَتَحَ اللهُ على المُسْلِمِينَ، فَأَخْبَرَ أَنّهُ قَدْ كانَ ثَمَّ فَتْحٌ، وَفِي الرِّوايةِ الأُخْرى حِينَ قِيلَ لَهُمْ: «يا فَرّارُون» [دَلِيلٌ على أَنّهُ قَدْ كانَ ثَمّ[1] مُحاجَزةٌ، وَتَرْكٌ لِلْقِتالِ، [حَتّى قالُوا: نَحْنُ الفَرّارُونَ][2]، فَقالَ لَهُم النّبِيّ ﷺ ما تَقَدَّمَ، فاللهُ أَعْلَمُ.

فَصْلٌ

وَذَكَرَ أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَ أَنْ يُصْنَعَ لِآلِ جَعْفَرٍ طَعامٌ، فَإِنّهُمْ قَدْ شغلَهُم ما هُم فيه. وَهَذا أَصْلٌ فِي طَعامِ التَّعْزِيةِ، وَتُسَمِّيهِ العَرَبُ: الوَضِيمةَ، كَما تُسَمِّي طَعامَ العُرْسِ: الوَلِيمةَ، وَطَعامَ القادِمِ مِن السّفَرِ: النَّقِيعةَ، وَطَعامَ البِناءِ: الوَكِيرةَ، وَكانَ الطَّعامُ الّذِي صُنِعَ لِآلِ جَعْفَرٍ فِيما ذَكَرَ الزُّبَيْرُ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ جَعْفَرٍ؛ قالَ: فَعَمَدَتْ سَلْمى مَوْلاةُ النّبِيِّ ﷺ إلى شَعِيرٍ، فَطَحَنَتْهُ [ونسَفَتْهُ][3] ثُمّ [طبخَتْهُ][4] وآدَمَتْهُ بِزَيْتٍ، وَجَعَلَتْ عَلَيْهِ فُلْفُلًا، قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ جعفَر: فَأَكَلْتُ مِنْهُ، وَحَبَسَنِي رسول الله ﷺ مَعَ إِخْوَتِي فِي بَيْتِهِ ثَلاثَةَ أَيّامٍ.

---

(١) بعده في (ف): «هناك».

(٢) سقط من (ب)، (ف).

(٣) عن (ج)، (ص). ونسفَته: غربلَته ونقَّته.

(٤) عن (ج)، (ص)

[شِعْرُ حَسّانَ في بكاء قتلى مُؤْتَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ مِمّا بُكِيَ بِهِ أصْحابُ مُؤْتَةَ مِنْ أصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَوْلُ حَسّانَ بنِ ثابِتٍ:

تَأَوَّبَنِي لَيْلٌ بِيَثْرِبَ أعْسَرُ ... وهَمَّ إذا ما نَوَّمَ النّاسُ مُسْهِرُ
لِذِكْرى حَبِيبٍ هَيَّجَتْ لِي عَبْرَةً ... سَفُوحًا وأَسْبابُ البُكاءِ التَّذَكُّرُ
بَلى إنَّ فِقْدانَ الحَبِيبِ بَلِيّةٌ ... وكَمْ مِنْ كَرِيمٍ يُبْتَلى ثُمَّ يَصْبِرُ
رَأَيْتُ خِيارَ المُؤمِنِينَ تَوارَدُوا ... شَعُوبَ وخَلْفًا بَعْدَهُمْ يَتَأَخَّرُ
فَلا يُبْعِدَنَّ اللهُ قَتْلى تَتابَعُوا ... بِمُؤْتَةَ مِنْهُمْ ذُو الجَناحَيْنِ جَعْفَرُ
وَزَيْدٌ وعَبْدُ اللهِ حِينَ تَتابَعُوا ... جَمِيعًا وأَسْبابُ المَنِيّةِ تَخْطِرُ
غَداةَ مَضَوْا بِالمُؤْمِنِينَ يَقُودُهُمْ ... إلى المَوْتِ مَيْمُونُ النَّقِيبةِ أزْهَرُ
أغَرُّ كَضَوْءِ البَدْرِ مِنْ آلِ هاشِمٍ ... أبِيٌّ إذا سِيمَ الظُّلامَةَ مِجْسَرُ
فَطاعَنَ حَتّى مالَ غَيْرَ مُوَسَّدٍ ... لِمُعْتَرَكٍ فِيهِ قَنًا مُتَكَسِّرُ
فَصارَ مَعَ المُسْتَشْهَدِينَ ثَوابَهُ ... جِنانٌ ومُلْتَفُّ الحَدائِقِ أخْضَرُ
وَكُنّا نَرى في جَعْفَرٍ مِنْ مُحَمَّدٍ ... وفاءً وأَمْرًا حازِمًا حِينَ يَأْمُرُ
فَما زالَ في الإسْلامِ مِنْ آلِ هاشِمٍ ... دَعائِمُ عِزٍّ لا يَزُلْنَ ومَفْخَرُ
هُمُ جَبَلُ الإسْلامِ والنّاسُ حَوْلَهُمْ ... رِضامٌ إلى طَوْدٍ يَرُوقُ ويَقْهَرُ
بَهالِيلُ مِنْهُمْ جَعْفَرٌ وابنُ أُمِّهِ ... عَلِيٌّ ومِنْهُمْ أحْمَدُ المُتَخَيَّرُ
وَحَمْزَةُ والعَبّاسُ مِنْهُمْ ومِنْهُمُ ... عَقِيلٌ وماءُ العُودِ مِنْ حَيْثُ يُعْصَرُ

بِهِمْ تُفْرَجُ اللَّأْواءُ في كُلِّ مَأْزِقٍ ... عَماسٍ إذا ما ضاقَ بِالنّاسِ مَصْدَرُ
هُمُ أوْلِياءُ الله أنْـزَلَ حُكْمَهُ ... عَلَيْهِمْ، وفيهِمْ ذا الكِتابُ المُطَهَّرُ

وَذَكَرَ قَوْلَ حَسّان يَرْثِي جَعْفَرًا: [من الطويل]

تَأَوَّبَنِي لَيْلٌ بِيَثْرِبَ أعْسَرُ

أَعْسَرُ: بِمَعْنى: عَسِرٍ، وفي التّنزيل: ﴿يَوۡمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٨]، وفيه أيضًا: ﴿عَسِيرٌ﴾ [المدثر: ٩]، [والمَعْنى مُتَقارِبٌ، فَمَنْ قالَ: عَسُرَ قالَ: عَسِيرٌ بِالياءِ، وَمَنْ قالَ: عَسِرَ يَعْسَرُ، قالَ فِي الِاسْمِ: عَسِرٌ][1] وَأعْسَرُ، مِثْلَ: حَمِقٍ وَأحْمَقَ.

قَوْلُهُ فِي هَذا الشِّعْرِ: [من الطويل]

بَهالِيلُ مِنْهُمْ جَعْفَرٌ وابنُ أُمِّهِ ... عَلِيٌّ وَمِنْهُمْ أحْمَـدُ المُتَخَيَّرُ

البَهالِيلُ: جَمْعُ بُهْلُولٍ، وَهُوَ الوَضِيءُ الوَجْهِ مَعَ طولٍ.

وقوله: «منهم أحْمَدُ المُتَخَيَّرُ»، قدَ عابَهُ بَعْضُ النّاسِ لَمّا أضافَ أحْمَدَ المُتَخَيّرَ إلَيْهِمْ، ولَيْسَ بعَيْبٍ؛ لِأنّها لَيَسَتْ بإضافةِ تَعْريفٍ، وَإنّما هُوَ تَشْرِيفٌ لَهُمْ حَيْثُ كانَ مِنْهُمْ، وَإنّما ظَهَرَ العَيْبُ فِي قَوْلِ[2] أبِي نُواسٍ[3]: [من المديد]

كَيْـفَ لا يُدْنِيك مِـنْ أمَلٍ ... مَنْ رَسُـولُ اللهِ مِـنْ نَفَرِهْ؟

---

(١) سقط من (ب).

(٢) في (ب): «في حديث».

(٣) «ديوانه» (ص: ٣١٠)، من قصيدة يمدح فيها العباس بن عبيد الله بن جعفر بن المنصور، وصدرها:

أيهـا المنتابُ عـن عُفُرهْ ... لستَ من ليلي ولا سَمَرِهْ

لأنّه ذكرَ واحدًا، وَأضافَ إلَيْهِ، فَصارَ بِمَنْزِلَةِ ما عِيبَ على الأعشى[١]: [من السريع]

شَتّانَ ما يَوْمِي على كُورِها ... وَيَـوْمُ حَيّانَ أخِـي جابِرِ

وَكانَ حَيّانُ أَسَنَّ مِنْ جابِرٍ وَأشْرَفَ، [فَغَضِبَ][٢] على الأعْشى حَيْثُ عَرّفَهُ بِجابِرٍ، واعْتَذَرَ إلَيْهِ مِنْ أجْلِ الرَّوِيّ، فَلَمْ يَقْبَلْ عُذْرَهُ، وَوَجَدْتُ فِي رِسالَةِ المُهَلْهِلِ[٣] بنِ يَمُوتَ بنِ المُزَرِّع، قالَ: قالَ عَلِيُّ بنُ الأصْفَرِ، وَكانَ مِنْ رُواةِ أبِي نُواسٍ، [قالَ][٤]: لَمّا عَمِلَ أبُو نُواسٍ: [من المديد]

أيُّهـا المُنتابُ مِـنْ[٥] عُفُرِهْ

أنْشَدَنِيها، فَلَمّا بَلَغَ قَوْلَهُ: [من المديد]

كَيْفَ لا يُدْنِيكَ مِنْ أمَلٍ ... مَنْ رَسُولُ اللهِ مِنْ نَفَرِهْ؟

وَقَعَ لِي أنّهُ كَلامٌ مُسْتَهْجَنٌ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ؛ إذْ كانَ حَقُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ أنْ يُضافَ إلَيْهِ، وَلا يُضافَ إلى أحَدٍ، فَقُلْتُ لَهُ: أعَرَفْتَ عَيْبَ هَذا البَيْتِ؟ قالَ: ما يَعِيبُهُ إلّا جاهِلٌ بِكَلامِ العَرَبِ[٦]، وَإنّما أرَدْتُ أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنَ القَبِيلِ الّذِي هو المَمْدُوحُ مِنْهُ، أما سَمِعْتَ قَوْلَ حَسّانَ شاعِرِ دِينِ الإسْلامِ[٧]: [من الطويل]

وَما زالَ فِي الإسْلامِ مِنْ آلِ هاشِمٍ ... دَعائِـمُ عِـزٍّ لا تُـرامُ وَمَفْخَـرُ

---

(١) «ديوانه» (ص: ٩٦).
(٢) ليس في (ح)، وسقط من (ط).
(٣) في (أ): «لمهلهل»، وفي (ب): «مهلهل».
(٤) ليس في (ب).
(٥) في (ف): «عن».
(٦) في (ب): «بمجال كلام العرب».
(٧) ديوانه: (ص: ٩٨-٩٩). يرثي أهل مؤتة.

بَهالِيـلُ مِنْهُـمْ جَعْفَـرٌ وابنُ أُمّهِ ... عَلِـيٌّ وَمِنْهُـمْ أحْمَـدُ المُتَخَيَّرُ؟

وَقَوْلُهُ: «فِي كُلِّ مَأْزِقٍ عَماسٍ»، المَأْزِقُ: المَضِيقُ مِنْ مَضائِقِ الحَرْبِ والخُصُومةِ، وَهُوَ مِنْ أَزَقْتُ الشّيْءَ إذا ضَيّقْتَه، وَفِي قِصّةِ ذِي الرُّمّةِ قالَ: سَمِعْتُ غُلامًا يَقُولُ لِغِلْمةٍ: قَدْ أَزَقْتُمْ هَذِهِ الأُوقةَ[1] حَتّى جَعَلْتُمُوها كالمِيمِ، ثم أدخل مِنْجَمَهُ يعني عقِبهُ فيها، فَنَجْنَجَه، حَتّى أَفْهَقَها؛ أيْ: حَرَّكَهُ حَتّى وَسَّعَها. والعَماسُ: المُظْلِمُ، والأعْمَسُ: الضّعِيفُ البَصَرِ، وَحُفْرةٌ مُعَمَّسة؛ أي: مغطّاة، قالَ الشّاعِرُ: [من الطويل]

فَإنَّـكَ قَدْ غَطَّيْـتَ أرْجاءَ هُوّةٍ ... مُعَمَّسَـةٍ لا يُسْـتَبانُ تُرابُهـا

بِثَوْبِك فِي الظَّلْماءِ، ثُمّ دَعَوْتَنِي ... فَجِئْتُ إلَيْها سـادِرًا لا أهابُها

أنشدَهُ ابنُ الأنباري[2] في خَبَرٍ لِزُرارةَ بنِ عُدُسٍ.

* * *

(١) الأُوقة: مثل البالوعة في الأرض خَليقة في بطون الأودية إذا كانت قامتين فما فوق. «تهذيب اللغة» (٩: ٢٨٠).

(٢) «الزاهر في معاني كلمات الناس» (٢: ١٠٨)، و«اللسان» (هوا). يقال: وقع في هُوة: أي في بئر مغطاة. وسَدِر بصرُه: لم يهتم ولم يبال ما صنع.

[شِعْرُ كَعْبٍ فِي بُكَاءِ قَتْلَى مُؤْتَةَ]

وَقَالَ كَعْبُ بنُ مالِكٍ:

نامَ العُيُونُ ودَمْـعُ عَيْنِكَ يَهْمُلُ ... سَحًّا كَما وَكَفَ الطِّبابُ المُخْضَلُ

في لَيْلَـةٍ ورَدَتْ عَـلَيَّ هُمُومُهـا ... طَـوْرًا أحِـنُّ وتـارةً أتَمَلْمَـلُ

واعْتـادَنِي حُـزْنٌ فبِـتُّ كَأنَّني ... بِبَنـاتِ نَعْشٍ والسِّـماكِ مُوَكَّلُ

وَكَأنَّما بَـيْنَ الجَوانِـحِ والحَشى ... مِمّـا تَأَوَّبَـنِي شِـهابٌ مُدْخَلُ

وَجْـدًا على النَّفَرِ الَّذيـنَ تَتابَعُوا ... يَوْمًا بِمُؤْتَةَ أُسْـنِدُوا لَـمْ يُنْقَلُوا

صَـلّى الإلَهُ عَلَيْهِـمْ مِـنْ فِتْيَةٍ ... وسَـقى عِظامَهُمُ الغَمامُ المُسْبِلُ

صَبَرُوا بِمُؤْتَـةَ لِلْإلَهِ نُفُوسَـهُمْ ... حَـذَرَ الرَّدى ومَخافَـةً أنْ يَنْكُلُوا

فَمَضَوْا أمامَ المُسْـلِمِينَ كَأنَّهُمْ ... فُنُقٌ عَلَيْهِـنَّ الحَدِيـدُ المُرْفَلُ

إذْ يَهْتَـدُونَ بِجَعْفَـرٍ ولِوائِـهِ ... قُـدّامَ أوَّلِهِـمْ فنِعْـمَ الأوَّلُ

حَتّى تَفَرَّجَـتِ الصُّفُوفُ وجَعْفَرٌ ... حَيْثُ التَقى وعْـثُ الصُّفُوفِ مُجَدَّلُ

فَتَغَـيَّرَ القَمَـرُ المُنِـيرُ لِفَقْدِهِ ... والشَّمْسُ قَدْ كَسَـفَتْ وكادَتْ تَأْفِلُ

قَـرْمٌ عَـلا بُنْيانُهُ مِنْ هاشِـمٍ ... فرْعًا أشَـمَّ وسُـؤْدُدًا مـا يُنْقَلُ

قَـوْمٌ بِهِـمْ عَصَـمَ الإلَهُ عِبادَهُ ... وعَلَيْهِمُ نَـزَلَ الكِتـابُ المُنْزَلُ

فَضَلُوا المَعاشرَ عِـزَّةً وتَكَرُّمًا ... وتَغَمَّـدَتْ أحْلامُهُمْ مَـنْ يَجْهَلُ

لا يُطْلِقُـونَ إلى السَّـفاهِ حُباهُمُ ... ويُـرى خَطِيبُهُـمُ بِحَـقٍّ يَفْصِلُ

بِيضُ الوُجُوهِ تُـرى بُطُونُ أكُفِّهِمْ ... تَنْدى إذا اعْتَـذَرَ الزّمانُ المُمْحِلُ

وبِهَدْيِهِـمْ رَضِيَ الإلَهُ لِخَلْقِـهِ ... وبِجَدِّهِمْ نُـصِرَ النَّبِيُّ المُرْسَـلُ

وَذَكَرَ شِعْرَ كَعْبٍ وَفِيهِ: [من الوافر]

كَما وَكَفَ الطِّبابُ المُخْضِلُ

الطِّبابُ: جَمْعُ طِبابةٍ، وَهو سَيْرٌ بَيْنَ خُرْزَتَيْنِ فِي المَزادةِ، فَإذا كانَ غَيْرَ مُحْكَمٍ وَكَفَ مِنْهُ الماءُ، والطِّبابُ أَيْضًا: جَمْعُ طَبّةٍ، وَهِيَ شُقّةٌ مُسْتَطِيلَةٌ[١].

وَقَوْلُهُ: «طَوْرًا أَخِنُّ». الخَنِينُ بِالخاءِ المَنْقُوطةِ حَنِينٌ بِبُكاءٍ، فَإذا كانَ بِالحاءِ المهملة فليس معه بكاءٌ ولا دمعٌ.

وَقَوْلُهُ: [من الكامل]

وَسَــقى عِظامَهُم الغَمامُ المُسْــبِلُ

يَرُدُّ قَوْلَ مَنْ قالَ: إنّما اسْتَسْقَتِ العَرَبُ لِقُبُورِ أَحِبّتِها لِتَخْصُبَ أَرْضُها فَلا يَحْتاجُوا إلى الِانْتِقالِ عَنْها لطلبِ النُّجْعةِ فِي البِلادِ. وَقالَ[٢] قاسِمُ بنُ ثابِتٍ فِي «الدّلائِلِ»: فَهَذا كَعْبٌ يَسْتَسْقِي لِعِظامِ الشُّهَداءِ بِمُؤْتة، وَلَيْسَ مَعَهُمْ، وَكَذَلِكَ قَوْلُ الآخَرِ[٣]: [من الطويل]

سَقى مُطْفِئاتُ المَحْلِ جَوْدًا ودِيمةً عظامَ ابنِ ليلى حيثُ كانَ رميمُها

فَقَوْلُهُ: «حَيْثُ كانَ رَمِيمُها»، يَدُلُّ على أَنّهُ لَيْسَ مُقِيمًا مَعَهُ، وَإنّما اسْتِسْقاؤُهُمْ لِأَهْلِ القُبُورِ اسْتِرْحامٌ لَهُمْ؛ لِأَنّ السّقْيَ رَحْمةٌ، وَضِدُّها عَذابٌ.

وَقَوْلُهُ: «كَأَنّهُمْ فُنُقٌ»، [فُنُق][٤] جَمْعُ: فَنِيقٍ، وَهُوَ الفَحْلُ، كَما قالَ الآخَرُ،

---

(١) أي: من الثوب.

(٢) في (ف): «قاله».

(٣) البيت لكثيّر في «غريب الحديث» للخطابي: (١: ١٥٠)، وليس في «ديوانه». (ج)

(٤) عن (أ).

وَهُوَ طُخَيْمٌ[١]: [من الطويل]

مَعِي كُلُّ فَضْفاضِ الرِّداءِ كَأَنَّهُ إذا ما سَـرَتْ فِيهِ المُدامُ فَنِيقُ

وَقَوْلُهُ: [من الكامل]

فَتَغَيَّــرَ القَمَــرُ المُنِيــرُ لِفَقْدِهِ والشَّمْسُ قَدْ كَسَفَتْ وَكادَتْ تَأْفُلُ

قَوْلُهُ: «حقّ»؛ لأنه إنْ كانَ عنى بِالقَمَرِ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَجَعَلَهُ قَمَرًا، ثُمَّ جَعَلَهُ شَمْسًا، فَقَدْ كانَ تَغَيَّرَ بِالحُزْنِ لِفَقْدِ جَعْفَرٍ، وَإِنْ كانَ أرادَ القَمَرَ نَفْسَهُ، فَمَعْنى الكَلامِ وَمَغْزاهُ حَقٌّ أَيْضًا؛ لِأَنَّ المَفْهُومَ مِنْهُ تَعْظِيمُ الحُزْنِ والمُصابِ، وَإذا فُهِمَ مَغْزى الشَّاعِرِ فِي كَلامِهِ والمُبالِغِ فِي الشَّيْءِ فَلَيْسَ بِكَذِبٍ، ألا تَرى إلى قَوْلِهِ عَلَيْهِ السّلامُ[٢]: «أمّا أَبُو جَهْمٍ فَلا يَضَعُ عَصاهُ على عاتِقِهِ»؟ أرادَ بِهِ المُبالَغَةَ فِي شِدَّةِ أَدَبِهِ لِأَهْلِهِ، فَكَلامُهُ كُلُّهُ حَقٌّ ﷺ ، وَكَذَلِكَ قالُوا فِي مِثْلِ قَوْلِ الشّاعِرِ[٣]: [من الطويل]

إذا مــا غَضِبنــا غَضْبــةً مُضَرِيّــةً هَتَكْنا حِجابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دَما

قالَ: إنّما أرادَ فَعَلْنا فِعْلَةً عَظِيمةً شَنِيعةً، فَضَرَبَ المَثَلَ بِهَتْكِ حِجابِ الشَّمْسِ، وَفُهِمَ مَقْصِدُهُ، فَلَمْ يَكُنْ كَذِبًا، وَإنّما الكَذِبُ أَنْ يَقُولَ: فَعَلْنا، وَهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا، أو: قَتَلْنا[٤] وَهُمْ لَمْ يَقْتُلُوا.

* * *

(١) هو طُخَيم بن أبي الطخماء الأسدي يمدح قومًا من أهل الحيرة في أبيات ذكرها المبرد في «الكامل» (١ : ٥٨).

(٢) «سنن أبي داود»، كتاب الطلاق: (٥: ٢٨٥-٢٨٦).

(٣) بشار بن برد، «ديوانه» (ص: ١٩٩).

(٤) في غير (أ)، (س)، (ف): «وقتلنا».

[شِعْرُ حَسّانَ فِي بُكاءِ جَعْفَرِ بنِ أبي طالِبٍ]

وَقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ يَبْكِي جَعْفَرَ بنَ أبي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

وَلَقَدْ بَكَيْتُ وعَزَّ مُهْلَكُ جَعْفَرٍ ... حِبِّ النَّبِيِّ على البَرِيّةِ كُلِّها
وَلَقَدْ جَزِعْتُ وقُلْتُ حِينَ نُعِيتَ لِي ... مَنْ لِلْجِلادِ لَدى العُقابِ وظِلِّها
بِالبِيضِ حِينَ تُسَلُّ مِنْ أغْمادِها ... ضَرْبًا وإنْهالِ الرِّماحِ وعَلِّها
بَعْدَ ابنِ فاطِمةَ المُبارَكِ جَعْفَرٍ ... خَيْرِ البَرِيّةِ كُلِّها وأجَلِّها
رُزْءًا وأكْرَمِها جَمِيعًا مَحْتِدًا ... وأعَزِّها مُتَظَلِّمًا وأزَلِّها
لِلْحَقِّ حِينَ يَنُوبُ غَيْرَ تَنَحُّلٍ ... كَذِبًا وأنْداها يَدًا وأقَلِّها
فُحْشًا، وأكْثَرِها إذا ما يُجْتَدى ... فضْلًا وأبْذَلِها نَدًى وأبَلِّها
بِالعُرْفِ غَيْرَ مُحَمَّدٍ لا مِثْلُهُ ... حَيٌّ مِنَ احْياءِ البَرِيّةِ كُلِّها

وَذَكَرَ أبْياتَ حَسّان، وَفِي بَعْضِ أبياتِها تَضْمِينٌ؛ نَحْوُ قَوْلِهِ: «وَأذَلِّها»، ثُمّ قالَ فِي أوّلِ بَيْتٍ آخَرَ: «لِلْحقّ»، وَكَذَلِكَ [قالَ][1] فِي بَيْتٍ آخَرَ: «وَأقَلِّها»، وَقالَ فِي الذِي بَعْدَهُ: «فُحْشًا»، وَهَذا يُسَمّى التَّضْمِينَ.

وَذَكَرَ قُدامةُ[2] فِي كِتابِ «نَقْدِ الشّعْرِ» أنّهُ عَيْبٌ عِنْدَ الشّعَراءِ، وَلَعَمْري إنّ فِيهِ مَقالًا؛ لِأنّ آخِرَ البَيْتِ يُوقَفُ عَلَيْهِ، فَيُوهِمُ[3] الذّمّ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: «وَأذَلِّها، وَكَذَلِكَ «وَأقَلّها»، وَقَدْ غُلِّبَ الزِّبْرِقانُ على المُخَبَّلِ السَّعْدِيّ ـ واسْمُهُ: كَعْبٌ

(١) ليس في (أ).
(٢) سماه قدامة في «نقد الشعر» (ص: ٢٥٢-٢٥٤): المبتور.
(٣) في (ب): «فيتوهم».

ـ بِكَلِمةٍ قالَها، وكان المُخَبّلُ أشْعَرَ مِنْهُ، وَلَكِنّهُ لَمّا قال يهجوه[1]: [من الكامل]

وَأبُوكَ بَدْرٌ كانَ يَنْتَهِزُ الخُصى وَأبي الجَــوادُ رَبِيعةُ بنُ قِتالِ

وَصَلَ الكَلامَ بِقَوْلِهِ: «وَأبي»، وَأدْرَكَهُ بُهْرٌ أوْ سُعْلَةٌ، فَقالَ لَهُ الزّبْرِقانُ: فَلا بَأْسَ إذًا، فَضُحِكَ مِن المُخَبّلِ، وَغُلِّبَ عَلَيْهِ الزّبْرِقانُ، وَإذا كانَ هَذا مَعِيبًا فِي وَسَطِ البَيْتِ، فَأحْرى أنْ يُعابَ فِي آخِرِ البيت إذا كانَ يُوهِمُ الذّمَّ، وَلا يَنْدَفِعُ ذَلِكَ الوَهْمُ إلّا بِالبَيْتِ الثّانِي، فَلَيْسَ هَذا مِن التَّحْصِينِ على المَعانِي والتّوَقّي لِلاعْتِراضِ.

* * *

(١) انظر الخبر والبيت في «الأغاني» (١٣: ٤٧٠٥).

[شِعْرُ حَسّانَ في بُكاءِ ابنِ حارِثَةَ وابنِ رَواحَةَ]

وَقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ في يَوْمِ مُؤْتَةَ يَبْكِي زَيْدَ بنَ حارِثَةَ وعَبْدَ اللهِ بنَ رَواحَةَ:

عَيْنِ جُودِي بِدَمْعِكَ المَنْزُورِ ... واذْكُرِي في الرَّخاءِ أَهْلَ القُبُورِ
واذْكُرِي مُؤْتَــةً وما كانَ فيها ... يَوْمَ راحُوا في وقْعَــةِ التَّغْوِيرِ
حِينَ راحُــوا وغادَرُوا ثَمَّ زَيْدًا ... نِعْمَ مَأْوى الضَّرِيكِ والمَأْسُورِ
حِبَّ خَيْرِ الأنامِ طُــرًّا جَمِيعًا ... سَــيِّدَ النّاسِ حُبُّهُ في الصُّدُورِ
ذاكُــمُ أَحْمَدُ الَّذي لا سِــواهُ ... ذاكَ حُــزْنِي لَهُ مَعًا وسُرُورِي
إنَّ زَيْدًا قَــدْ كانَ مِنّــا بِأَمْرٍ ... لَيْسَ أَمْرَ المُكَــذِّبِ المَغْرُورِ
ثُمَّ جُودِي لِلْخَــزْرَجِيِّ بِدَمْعٍ ... سَــيِّدًا كانَ ثَــمَّ غَــيْرَ نَزُورِ
قَدْ أَتانا مِــنْ قَتْلِهِمْ ما كَفانا ... فبِحُــزْنٍ نَبِيتُ غَــيْرَ سُرُورِ

وَقالَ شاعِرٌ مِنَ المُسْلِمِينَ مِمَّنْ رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ مُؤْتَةَ:

كَفى حَزَنًا أَنِّي رَجَعْتُ وجَعْفَرٌ ... وزَيْدٌ وعَبْدُ اللهِ في رَمْسِ أَقْبُرِ
قَضَوْا نَحْبَهُمْ لمّا مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ ... وخُلِّفْتُ لِلْبَلْــوى مَعَ المُتَغَبِّرِ
ثَلاثَةُ رَهْطٍ قُدِّمُــوا فتَقَدَّمُوا ... إلى وِرْدِ مَكْرُوهٍ مِنَ المَوْتِ أَحْمَرِ

وَقَوْلُ حَسّانَ: [من الخفيف]

عَيْنِ جُودِي بِدَمْعِــكِ المَنْزُورِ

النَّزْرُ[١]: القَلِيلُ، وَلا يَحْسُنُ هٰهُنا ذِكْرُ القَلِيلِ، وَلَكِنَّهُ مِنْ نَزَرْتُ الرَّجلَ؛ إذا أَلححتَ عَلَيْهِ، وَنَزَرْتُ الشَّيْءَ إذا اسْتَنْفَدْتَه، وَمِنْهُ قَوْلُ عُمَرَ رضي الله عنه: «نَزَرْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ»[٢]، الأصحُّ فيه التّخفيف، وقالَ الشّاعِرُ[٣]: [من الطويل]

فَخُذْ عَفْوَ مَـنْ تَهْواهُ لا تَنزُرنَّه   فعندَ بُلُوغِ الكدِّ رَنْقُ المَشارِبِ

وَقَوْلُهُ: «التّغْويرِ»، هُوَ مَصْدَرُ غَوّرْتُ تَغْوِيرًا إذا تَوَسّطَ القائِلَةَ مِن النّهارِ، وَيُقالُ أيْضًا: أغْوَرَ فَهُوَ مُغْوِرٌ، وَفِي حَدِيثِ الإفْكِ: «مُغْورِينَ فِي نَحْرِ الظّهِيرةِ»[٤]، وَإنّما صَحَّت الواوُ فِي مُغْورٍ وَفِي أغْوَرَ مِنْ هَذا؛ لِأنّ الفِعْلَ بُنِيَ[٥] فِيهِ على الزّوائِدِ، كما بُني[٦] اسْتَحْوَذَ. وَأَغْيَلَتِ المَرْأةُ[٧]، وَلَيْسَ كَذَلِكَ أغارَ على العَدُوِّ، وَلا أغارَ الحَبْلَ[٨].

* * *

(١) في (ف): «والنزر».

(٢) «فتح الباري»، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية: (٧: ٤٥٢-٤٥٣).

(٣) البيت في «لسان العرب» (نزر).

(٤) «فتح الباري»، كتاب المغازي: (٧: ٤٣٢). وفيه: «موغرين». وفي «النهاية» (غور): «مُغورين؛ أي: للقائلة».

(٥) في (ب): «يبني».

(٦) في (ب): «يبني».

(٧) انظر: «الكتاب» (٤: ٣٤٦-٣٤٧، ٣٥٨).

(٨) في (س): «الخيل». وهو تصحيف، يقال: أغارَ الحبلَ: فتله فتلًا شديدًا.

[شُهَداءُ مُؤْتَةَ]

وَهَذِهِ تَسْمِيةُ مَنِ اسْتُشْهِدَ يَوْمَ مُؤْتَةَ.

[مِنْ بَنِي هاشِمٍ]

مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ مِنْ بَنِي هاشِمٍ: جَعْفَرُ بنُ أبي طالِبٍ رَضِيَ الله عَنْهُ، وزَيْدُ بنُ حارِثَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ.

[مِنْ بَنِي عَدِيٍّ]

وَمِنْ بَنِي عَدِيِّ بنِ كَعْبٍ: مَسْعُودُ بنُ الأَسْوَدِ بنِ حارِثَةَ بنِ نَضْلَةَ.

[مِنْ بَنِي مالِكٍ]

وَمِنْ بَنِي مالِكِ بنِ حِسْلٍ: وهْبُ بنُ سَعْدِ بنِ أبي سَرْحٍ.

[مِنَ الأنْصارِ]

ومِنَ الأنْصارِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ: عَبْدُ الله بنُ رَواحةَ، وعَبّادُ بنُ قَيْسٍ.

وَمِنْ بَنِي غَنْمِ بنِ مالِكِ بنِ النَّجّارِ: الحارِثُ بنُ النُّعْمانِ بنِ إسافَ بنِ نَضْلَةَ بنِ عَبْدِ بنِ عَوْفِ بنِ غَنْمٍ.

وَمِنْ بَنِي مازِنِ بنِ النَّجّارِ: سُراقةُ بنُ عَمْرِو بنِ عَطِيّةَ بنِ خَنْساءَ.

[مَنْ ذَكَرَهُمُ ابنُ هِشامٍ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: ومِمَّنِ اسْتُشْهِدَ يَوْمَ مُؤْتَةَ فيما ذَكَرَ ابنُ شِهابٍ:

مِنْ بَنِي مازِنِ بنِ النَّجّارِ: أبو كُلَيْبٍ وجابِرٌ ابنا عَمْرِو بنِ زَيْدِ بنِ عَوْفِ ابنِ مَبْذُولٍ، وهُما لِأَبٍ وأُمٍّ.

وَمِنْ بَنِي مالِكِ بنِ أَفْصى: عَمْرٌو وعامِرٌ ابنا سَعْدِ بنِ الحارِثِ بنِ عَبّادِ ابنِ سَعْدِ بنِ عامِرِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ مالِكِ بنِ أَفْصى.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: أبو كِلابٍ وجابِرٌ ابنا عَمْرٍو.

وذَكَرَ فِيمَنِ اسْتُشْهِدَ بِمُؤْتة أبا كُلَيْبِ بنَ أَبِي صَعْصَعةَ، وَقالَ ابنُ هِشامٍ: [فِيهِ][1] أَبُو كِلابٍ، وَهُوَ المَعْرُوفُ عِنْدَهُمْ، وَقالَ أَبُو عُمَرَ: لا يُعْرَفُ فِي الصَّحابةِ أحدٌ يُقالُ له: أبو كُليب[2].

* * *

(١) ليس في (ب).

(٢) انظر: «الاستغناء في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى» لابن عبد البر (١/ ٢٠٣) رقم (١٥٢).

ذِكْرُ الأَسْبابِ المُوجِبةِ المَسِيرَ إلى مَكّةَ
وذِكْرُ فتحِ مَكّةَ في شَهْرِ رَمَضانَ سَنةَ ثَمانٍ

[القِتالُ بَيْنَ بَكْرٍ وخُزاعةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ أقامَ رَسُولُ الله ﷺ بَعْدَ بَعْثِهِ إلى مُؤْتةَ جُمادى الآخِرةَ ورَجَبًا.

ثُمَّ إنَّ بَنِي بَكْرِ بنِ عَبْدِ مَناةَ بنِ كِنانةَ عَدَتْ على خُزاعةَ وهُمْ على ماءٍ لَهُمْ بِأسْفَلِ مَكّةَ يُقالُ لَهُ: الوَتِيرُ، وكانَ الّذي هاجَ ما بَيْنَ بَنِي بَكْرٍ وخُزاعةَ أنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي الحَضْرَمِيِّ، واسْمُهُ مالِكُ بنُ عَبّادٍ ـ وحِلْفُ الحَضْرَمِيِّ يَوْمَئِذٍ إلى الأسْوَدِ بنِ رَزْنٍ ـ خَرَجَ تاجِرًا، فلَمّا تَوَسَّطَ أرْضَ خُزاعةَ، عَدَوْا عَلَيْهِ فقَتَلُوهُ، وأخَذُوا مالَهُ، فعَدَتْ بَنُو بَكْرٍ على رَجُلٍ مِنْ خُزاعةَ فقَتَلُوهُ، فعَدَتْ خُزاعةُ قُبَيْلَ الإسْلامِ على بَنِي الأسْوَدِ بنِ رَزْنٍ الدِّيلِيِّ وهُمْ مَنْخَرُ بَنِي كِنانةَ وأشْرافُهُمْ ـ سَلْمى وكُلْثُوم وذُؤَيْب ـ فقَتَلُوهُمْ بِعَرَفةَ عِنْدَ أنْصابِ الحَرَمِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي الدِّيلِ، قالَ: كانَ بَنُو الأسْوَدِ بنِ رَزْنٍ يُودَوْنَ في الجاهِلِيّةِ دِيَتَيْنِ دِيَتَيْنِ، ونُودي دِيةً دِيةً، لِفَضْلِهِمْ فينا.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فبَيْنا بَنُو بَكْرٍ وخُزاعةُ على ذلك حَجَزَ بَيْنَهُم الإسْلامُ، وتَشاغَلَ النّاسُ بِهِ. فلَمّا كانَ صُلْحُ الحُدَيْبِيةِ بَيْنَ رَسُولِ الله ﷺ وبَيْنَ قُرَيْشٍ،

كانَ فيما شَرَطُوا لِرَسُولِ الله ﷺ وشَرَط لَهُمْ، كما حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، عَنْ عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنِ المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمةَ ومَرْوانَ بنِ الحَكَمِ، وغَيْرِهِمْ مِنْ عُلَمائِنا: أَنَّهُ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ في عَقْدِ رَسُولِ الله ﷺ وعَهْدِهِ فلْيَدْخُلْ فيهِ، ومَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ في عَقْدِ قُرَيْشٍ وعَهْدِهِمْ فلْيَدْخُلْ فيهِ. فدَخَلَتْ بَنُو بَكْرٍ في عَقْدِ قُرَيْشٍ وعَهْدِهِمْ، ودَخَلَتْ خُزاعةُ في عَقْدِ رَسُولِ الله ﷺ وعَهْدِهِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا كانَتِ الهُدْنةُ اغْتَنَمَها بَنُو الدِّيلِ مِنْ بَنِي بَكْرٍ مِنْ خُزاعةَ، وأرادُوا أَنْ يُصِيبُوا مِنْهُمْ ثَأْرًا بِأُولَئِكَ النَّفَرِ الَّذينَ أصابُوا مِنْهُمْ بِبَنِي الأسْوَدِ بنِ رَزْنٍ، فخَرَجَ نَوْفَلُ بنُ مُعاوِيَةَ الدِّيلِيُّ في بَنِي الدِّيلِ، وهُوَ يَوْمَئِذٍ قائِدُهُمْ، ولَيْسَ كُلُّ بَنِي بَكْرٍ تابَعَهُ حَتّى بَيَّتَ خُزاعةَ وهُمْ على الوَتِيرِ؛ ماءٌ لَهُمْ، فأصابُوا مِنْهُمْ رَجُلًا، وتَحاوَزُوا واقْتَتَلُوا، ورَفَدَتْ بَنِي بَكْرٍ قُرَيْشٌ بِالسِّلاحِ، وقاتَلَ مَعَهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ مَنْ قاتَلَ بِاللَّيْلِ مُسْتَخْفِيًا، حَتّى حازُوا خُزاعةَ إلى الحَرَمِ، فلَمّا انْتَهَوْا إلَيْهِ، قالَتْ بَنُو بَكْرٍ: يا نَوْفَلُ، إنّا قَدْ دَخَلْنا الحَرَمَ، إلَهَكَ إلَهَكَ، فقالَ كَلِمةً عَظِيمةً: لا إلَهَ لَهُ اليَوْمَ، يا بَنِي بَكْرٍ أَصِيبُوا ثَأْرَكُمْ، فلَعَمْرِي إنَّكُمْ لَتَسْرِقُونَ في الحَرَمِ، أفَلا تُصِيبُونَ ثَأْرَكُمْ فيهِ. وقَدْ أصابُوا مِنْهُمْ لَيْلَةَ بَيَّتُوهُمْ بِالوَتِيرِ رَجُلًا يُقالُ لَهُ: مُنَبِّهٌ، وكانَ مُنَبِّهٌ رَجُلًا مَفْؤُودًا خَرَجَ هُوَ ورَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ يُقالُ لَهُ: تَمِيمُ بنُ أَسَدٍ، وقالَ لَهُ مُنَبِّهٌ: يا تَمِيمُ، انْجُ بِنَفْسِكَ، فأما أنا فواللهِ إنِّي لَمَيِّتٌ، قَتَلُونِي أَوْ تَرَكُونِي، لَقَدِ انْبَتَّ فُؤادِي. وانْطَلَقَ تَمِيمٌ فأفْلَتَ، وأدْرَكُوا مُنَبِّهًا فقَتَلُوهُ، فلَمّا دَخَلَتْ خُزاعةُ مَكَّةَ، لَجَؤُوا إلى دارِ بُدَيْلِ بنِ ورْقاءَ، ودارِ مَوْلًى لَهُمْ يُقالُ لَهُ: رافِعٌ.

بَدْءُ فتحِ مكّة

ذَكَرَ فيه الأَسْوَدَ بنَ رَزْنٍ الكِنانِيَّ، بِفَتْحِ الرّاءِ، وَذَكَرَ الشّيْخُ الحافِظُ أبُو بَحْرٍ أنّ أبا الوَلِيدِ أصْلَحَهُ: رِزْنًا بِكَسْرِ الرّاءِ، قالَ: والرِّزْنُ: نُقْرةٌ فِي حَجَرٍ تُمْسِكُ الماءَ. وَفِي كِتابِ «العَيْنِ»: الرِّزْنُ: أكَمةٌ تحبِسُ الماءَ[1]، والمَعْنى مُتَقارِبٌ. وَذَكَرَ أنّ بَنِي رَزْنٍ مِنْ بَنِي الدِّيلِ بنِ بَكْرٍ، وَقَدْ قِيلَ فِيهِ: الدُّئِلُ، وَقَدْ أشْبَعْنا القَوْلَ فِيهِ فِي أوّلِ الكِتابِ[2]، وَما قالَهُ اللُّغَوِيّونَ والنّسّابُونَ، وَذَكَرْنا هُنالِكَ كُلَّ دِيلٍ فِي العَرَبِ وَكُلَّ دُئِلٍ، والحَمْدُ لله.

* * *

---

(١) لم أجده في «العين» (٧: ٣٥٩)، وهو في «مختصر العين» للزبيدي: (٢: ٢٥١).

(٢) انظر: (١: ٤٦٢).

[شِعْرُ تَمِيمٍ فِي الِاعْتِذارِ مِنْ فِرارِهِ عَنْ مُنَبِّهٍ]

فقالَ تَمِيمُ بنُ أَسَدٍ يَعْتَذِرُ مِنْ فِرارِهِ عَنْ مُنَبِّهٍ:

لَمّا رَأَيْتُ بَنِي نُفاثَةَ أَقْبَلُوا ... يَغْشَوْنَ كُلَّ وتِيرَةٍ وحِجابِ

صَخْرًا ورَزْنًا لا عَرِيبَ سِواهُمُ ... يُزْجُونَ كُلَّ مُقَلَّصٍ خِنّابِ

وَذَكَرْتُ ذَحْلًا عِنْدَنا مُتَقادِمًا ... فيما مَضى مِنْ سالِفِ الأَحْقابِ

ونَشَيْتُ رِيحَ المَوْتِ مِنْ تِلْقائِهِمْ ... ورَهِبْتُ وقْعَ مُهَنَّدٍ قَضّابِ

وَعَرَفْتُ أنْ مَنْ يَثْقَفُوهُ يَتْرُكُوا ... لَحْمًا لِمُجْرِيَةٍ وشِلْوَ غُرابِ

قَوَّمْتُ رِجْلًا لا أخافُ عِثارَها ... وطَرَحْتُ بِالمَتْنِ العَراءِ ثِيابِي

وَنَجَوْتُ لا يَنْجُو نَجائِي أَحْقَبٌ ... عِلْجٌ أَقَبُّ مُشَمِّرُ الأَقْرابِ

تَلْحى ولَوْ شَهِدَتْ لَكانَ نَكِيرُها ... بَوْلًا يَبُلُّ مَشافِرَ القَبْقابِ

القَوْمُ أَعْلَمُ ما تَرَكْتُ مُنَبِّهًا ... عَنْ طِيبِ نَفْسٍ فاسْأَلِي أَصْحابِي

قالَ ابنُ هِشامٍ: وتُرْوى لِحَبِيبِ بنِ عَبْدِ الله الأَعْلَمِ الهُذَلِيِّ. وبَيْتُهُ: «وَذَكَرْتُ ذَحْلًا عِنْدَنا مُتَقادِمًا» عَنْ أبي عُبَيْدَةَ.

وقَوْلُهُ: «خِنّابِ» و «عِلْجٌ أَقَبُّ مُشَمِّرُ الأَقْرابِ» عَنْهُ أيْضًا.

[شِعْرُ الأَخْزَرِ فِي الحَرْبِ بَيْنَ كِنانَةَ وخُزاعَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ الأَخْزَرُ بنُ لُعْطٍ الدِّيلِيُّ، فيما كانَ بَيْنَ كِنانَةَ وخُزاعَةَ فِي تِلْكَ الحَرْبِ:

ألا هَلْ أتى قُصْوى الأحابِيشِ أنَّنا … رَدَدْنا بَنِي كَعْـبٍ بِأفْوَقِ ناصِلِ
حَبَسْناهُمْ في دارةِ العَبْدِ رافِعٍ … وعِنْدَ بُدَيْلٍ مَحْبِسًا غَيْرَ طائِلِ
بِدارِ الذَّلِيلِ الآخِذ الضّيم بعدَما … شَفَينا النَّفُوسَ مِنْهُمْ بِالمَناصِلِ
حَبَسْناهُمْ حتّى إذا طالَ يَوْمُهُمْ … نَفَحْنا لَهُمْ مِنْ كُلِّ شِعْبٍ بِوابِلِ
نُذَبِّحُهُـمُ ذَبْحَ التُّيُوسِ كَأنَّنا … أُسُودٌ تَبارى فيهِمُ بِالقَواصِلِ
هُمْ ظَلَمُونا واعْتَدَوْا في مَسِيرِهِمْ … وكانُـوا لَدى الأنْصابِ أوَّلَ قاتِلِ
كَأنَّهُمْ بِالجِـزْعِ إذْ يَطْرُدُونَهُمْ … بِفاثُور حَفّانُ النَّعـام الجَوافِلِ

وذَكَرَ قولَ تَمِيمِ بنِ أسَدٍ، وَفِيهِ: [من الكامل]

يُزْجُـونَ كُلَّ مُقَلَّصٍ خِنّابِ

الخِنّابُ: الطَّوِيلُ مِن الخَيْلِ، وَقَعَ ذَلِكَ فِي «الجَمْهَرةِ»، وَيُقالُ: الخِنّابُ: الواسِعُ المَنْخِرَيْنِ، والخِنّابَةُ: جانِبُ [الأنْفِ][1]، وَفِي «العَيْنِ»: الخِنّابُ: الرَّجُلُ الضَّخْمُ[2]، وَهُوَ الأحْمَقُ أيْضًا، والمُقَلَّصُ مِن الخَيْلِ: المُنْضَمُّ البَطْنِ والقَوائِمِ، وَإنْ قُلْتَ: المُقَلِّصُ ـ بِكَسْرِ اللّام ـ فهو من قَلَّصَتِ الإبِلُ إذا شَمَّرَتْ[3]، قالَهُ صاحِبُ «العَيْنِ».

وَفِيهِ: «ظِلُّ عُقاب»، وَهِيَ[4] الرّايةُ، وَكانَ اسْمُ رايةِ رسولِ الله ﷺ

---

(١) سقط من (ب).

(٢) «مختصر العين» للزبيدي: (١: ٤٥٨).

(٣) في «العين» (٥: ٦٢): «استمرت». وفي «مختصر العين» للزبيدي: شمّرت. ومعنى شَمَّرت: اشتدت في سيرها.

(٤) في (ف): «وهو».

العُقابَ(١)، والدّلِيلُ على أنّهُ يُقالُ لِكُلِّ رايةٍ: عُقابٌ قَوْلُ قَطَرِيٍّ(٢): [من البسيط]

يا رُبَّ ظِلِّ عُقــابٍ قد وَقَيتُ بِها(٣) مُهْرِي مِنَ الشّمْسِ والأبْطالُ تَجْتَلِدُ

وَفِيهِ: «يَبُلُّ مَشافِرَ القَبْقابِ»، أرادَ بِهِ الفَرْجَ، والقَبْقَبُ والقَبقابُ: البطنُ أيضًا.

وذَكَرَ قَولَ الأخْزَر، وفيه: [من الطويل]

قَفا ثَوْرَ حَفّــانُ النَّعام الجَوافِلِ

قفا [ثور](٤)، يَعْنِي: الجَبَلَ، وَقَفا ظَرْفٌ لِلْفِعْلِ الّذِي قَبْلَهُ، وقال: قفا ثور، وَلَمْ يُنَوِّنْ؛ لِأَنّهُ اسْمُ عَلَمٍ مَعَ ضَرُورةِ الشِّعْرِ، وَقَدْ تَكَلَّمْنا على هَذا فِيما قَبْلُ(٥). وقفا ثور بِهَذا(٦) اللّفْظِ تَقَيّدَ فِي الأصْلِ، وَظاهِرُ كَلامِ البَرْقِيّ فِي شَرْحِ هَذا البَيْتِ أنّهُ «بِفاثُور»؛ لِأَنّهُ قالَ: الفاثُورُ: سَبِيكةُ الفِضّةِ، وَكَأَنّهُ شَبّهَ المكانَ بالفِضّةِ لنقائهِ واستوائه، فإن كانتِ الرِّواية كما قالَ، فَهُوَ اسْمُ مَوْضِعٍ، والفاثُورُ: خِوانٌ مِنْ فِضّةٍ، وَيُقالُ: إبْرِيقٌ مِنْ فِضّةٍ، قِيلَ ذَلِكَ فِي قَوْلِ حسّانَ(٧): [من الطويل]

---

(١) قال ابن الأثير في «النهاية» (٣: ٢٦٩): «أنه كان اسم رايته عليه السلام: العُقاب، وهي القلم الضخم».

(٢) «شعر الخوارج» للدكتور إحسان عباس: (ص: ١٠٩).

(٣) في (ف): «به».

(٤) ليس في (ب).

(٥) بعده في (ب)، (ج) زيادة في تعليل منع الصرف لا تشبه كلام السهيلي، وكأنها من حاشية أُدرجت في صلب النص.

(٦) في (ب): «هذا».

(٧) في (ف): «جميل»، وهو عجز بيت لجميل بثينة صدره:

سَــبَتْنِي بِعَيْنَي جُؤْذُرٍ وَسْطَ رَبربِ =

وَصَدْرٌ كَفاثُورِ اللُّجَيْنِ وَجِيدُ

وَفِي قَوْلِ لَبِيدٍ[١]: [من الطويل]

حَقائِبُهُـــمْ راحٌ عَتِيقٌ وَدَرْمَكٌ وَمِسْـــكٌ وَفاثُورِيَّةٌ وَسُلاسِلُ

وَكَما قالَ البَرْقِيُّ: أَلْفَيْتهُ فِي نُسَخٍ صَحِيحةٍ سِوى نُسْخةِ الشَّيْخِ، وإنْ صَحَّ ما فِي نُسْخةِ الشَّيْخِ، فَهُوَ كَلامٌ حُذِفَ مِنْهُ، وَمَعْناهُ: قَفا فاثُور، وَحَسُنَ حَذْفُ الفاءِ الثّانِيةِ، كَما حَسُنَ حَذْفُ إحدى اللّامين فِي قَوْلِهِمْ: عَلْماءِ بَنو فُلانٍ، لا سيّما مَعَ ضَرُورةِ الشِّعْرِ، وتَرِكَ الصَّرْفَ لِأَنَّهُ جَعَلَهُ اسم بُقعةٍ، ومن الشاهد على أنّ فاثُورَ اسْمُ بُقْعةٍ قَوْلُ لَبِيدٍ[٢]: [من الطويل]

وَيَوْمَ ظَعَنْتُمْ فاصمعَدَّتْ وُفُودُكُمْ بِأَجْمـــادِ فاثُـــور كَرِيـــم مُصابِرِ

[أَيْ: أنا كَرِيمٌ مُصابِرٌ][٣]، وَكذَلِكَ قالَ البَكْرِيّ في «المعجم»[٤] وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ اخْتِلافًا، وَقالَ: هُوَ اسْمُ جَبَلٍ، يَعْنِي: فاثُورَ[٥]، وَقالَ ابنُ مُقْبِلٍ[٦]: [من البسيط]

حَيٌّ مَحاضِرُهُمْ شَتّى وَجَمْعُهُمُ دَوْمُ الإيادِ، وَفاثُورٌ إذا انْتَجَعُوا

= «ديوانه» (ص: ٣٨). (ج)

(١) «ديوانه» (ص: ٢٦٢) من قصيدة يرثي بها النعمان بن المنذر. الدرمك: الدقيق الأبيض. والريط: ثيابٌ بيض. والسُّلاسل: الماء العذب الصافي السلس السهل.

(٢) «ديوانه» (ص: ٢١٨). اصمعدَّ: انطلقَ انطلاقًا سريعًا. وأجماد: جمع جُمْد: الصلب المرتفع من الأرض.

(٣) سقط من (ب).

(٤) قال البكري: «فاثور: جبل بالسماوة». «معجم ما استعجم» (٣: ١٠١٢).

(٥) «معجم ما استعجم» للبكري: (٣: ١٠١٢).

(٦) «ديوانه» (ص: ١٩٤).

وَقالَ لَبيدٌ[١]: [من الرمل]

وَلَــدى النُّعْمانِ مِنِّــي مَوْطِنٌ بَيْــنَ فاثُــورِ أُفــاقٍ فالدَّحَلْ

وحَفّانُ النَّعامِ: صِغارُها، وَهُوَ مَرْفُوعٌ لِأَنَّهُ خَبَرُ «كَأَنَّ»[٢].

[شِعْرُ بُدَيْلٍ في الرَّدِّ على الأَخْزَرِ]

فَأجابَهُ بُدَيْلُ بنُ عَبْدِ مَناةَ بنِ سَلَمَةَ بنِ عَمْرِو بنِ الأَجَبِّ، وكانَ يُقالُ لَهُ: بُدَيْلُ بنُ أُمِّ أَصْرَمَ، فقالَ:

تَفاقَدَ قَوْمٌ يَفْخَرُونَ ولَمْ نَدَعْ لَهُمْ سَــيِّدًا يَنْدُوهُمُ غَيْرَ نافِلِ
أمِنْ خِيفةِ القَوْمِ الأُلى تَزْدَرِيهِمُ تُجِــيزُ الوَتِيرَ خائِفًــا غَيْرَ آئِلِ
وَفي كُلِّ يَــوْمٍ نَحْنُ نَحْبُو حِباءَنا لِعَقْلٍ ولا يُحْبى لَنا في المَعاقِلِ
وَنَحْنُ صَبَحْنا بِالتَّلاعةِ دارَكُمْ بِأَسْيافِنا يَسْــبِقْنَ لَوْمَ العَواذِلِ
وَنَحْنُ مَنَعْنا بَيْنَ بَيْضٍ وعِتْوَدٍ إلى خَيْفِ رَضْوى مِنْ مَجَرِّ القَنابِلِ
وَيَوْمَ الغَمِيمِ قَدْ تَكَفَّتَ ساعِيًا عُبَيْسٌ فجَعْناهُ بِجَلْدٍ حُلاحِلِ
أَأَنْ أَجْمَرَتْ في بَيْتِها أُمُّ بَعْضِكُمْ بِجُعْمُوسِها تَنْزُونَ أنْ لَمْ نُقاتِلِ
كَذَبْتُمْ وبَيْتِ اللهِ ما إنْ قَتَلْتُمُ ولَكِنْ تَرَكْنا أَمْرَكُمْ في بَلابِلِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: قَوْلُهُ «غَيْرَ نافِلِ»، وقَوْلُهُ: «إلى خَيْفِ رَضْوى» عَنْ غَيْرِ ابنِ إِسْحاقَ.

---

(١) «ديوانه» (ص: ١٩٤). وفاثور أفاق والدحل: موضعان.

(٢) أي: في بيت «السيرة» (٢: ٣٩٢):

كأنهمُ بالجــزْعِ إذ يطردُونهم بفاثور حَفّانُ النَّعامِ الجوافلِ

[شِعْرُ حَسّانَ في الحَرْبِ بَيْنَ كِنانةَ وخُزاعةَ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ في ذلك:

لَحَا اللهُ قَوْمًا لَمْ نَدَعْ مِنْ سَراتِهِمْ ... لَهُمْ أَحَـدًا يَنْدُوهُمُ غَيْرَ ناقِبِ

أَخُصْيَيْ حِمارٍ ماتَ بِالأَمْسِ نَوْفَلًا ... مَتى كُنْتَ مِفْلاحًا عَدُوَّ الحَقائِبِ

وذكَرَ شِعرَ بُدَيلِ بنِ أُمِّ أصْرَمَ، وَفِيهِ: غَيْر آيِل، هُوَ فاعِلٌ مِنْ آلَ إذا رَجَعَ، وَلَكِنَّهُ قَلَبَ الهَمْزةَ الّتِي هِيَ بَدَلٌ مِن الواوِ ياءً؛ لِئَلّا تَجْتَمِعَ هَمْزَتانِ، وَكانَت الياءُ أَوْلى بِها لِانْكِسارِها.

وَفِيهِ ذِكْرُ عُيَيْسٍ، وَوَقَعَ فِي بَعْضِ رِواياتِ الكِتابِ عُبَيْس بِالباءِ المَنْقُوطةِ بِواحِدةٍ مِنْ أَسْفَلَ.

وَفِيهِ: «أجمرتْ... بِجُعْمُوسِها[١]»؛ أيْ: رَمَتْ بِهِ بِسُرْعةٍ، وَهُوَ كِنايةٌ عَنْ ضَرْبٍ مِنَ الحدَثِ يَسْمُجُ وَصْفُهُ.

* * *

---

(١) الجُعْموسُ: ما يطرحه الإنسان من ذي بطنه، وجعمس: وضعه بمرة واحدة.

[شِعْرُ عَمْرٍو الخُزاعِيِّ لِلرَّسُولِ يَسْتَنْصِرُهُ، ورَدُّهُ عَلَيْهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا تَظاهَرَتْ بَنُو بَكْرٍ وقُرَيْشٌ على خُزاعةَ، وأصابُوا مِنْهُمْ ما أصابُوا، ونَقَضُوا ما كانَ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ رَسُولِ الله ﷺ مِن العَهْدِ والمِيثاقِ بِما اسْتَحَلُّوا مِنْ خُزاعةَ، وكانَ في عَقْدِهِ وعَهْدِهِ، خَرَجَ عَمْرُو بنُ سالِمٍ الخُزاعِيُّ، ثُمَّ أحَدُ بَنِي كَعْبٍ، حَتّى قَدِمَ على رَسُولِ الله ﷺ المَدِينةَ، وكانَ ذلك مِمّا هاجَ فتْحَ مَكّةَ، فوَقَفَ عَلَيْهِ وهُوَ جالِسٌ في المَسْجِدِ بَيْنَ ظَهْرانَيِ النّاسِ، فقالَ:

يا رَبِّ إنِّي ناشِدٌ مُحَمَّدًا ... حِلْفَ أبِينا وأبِيهِ الأتْلَدا
قَدْ كُنْتُمُ وُلْدًا وكُنّا والِدا ... ثُمَّتَ أسْلَمْنا فلَمْ نَنْزِعْ يَدا
فانْصُرْ هَداكَ الله نَصْرًا أعْتَدا ... وادْعُ عِبادَ الله يَأْتُوا مَدَدا
فيهِمْ رَسُولُ الله قَدْ تَجَرَّدا ... إنْ سِيمَ خَسْفًا وجْهُهُ تَرَبَّدا
في فيلَقٍ كالبَحْرِ يَجْرِي مُزْبِدًا ... إنَّ قُرَيْشًا أخْلَفُوكَ المَوْعِدا
وَنَقَضُوا مِيثاقَكَ المُوَكَّدا ... وجَعَلُوا لِي في كَداءٍ رُصَّدا
وَزَعَمُوا أنْ لَسْتُ أدْعُو أحَدا ... وهُمْ أذَلُّ وأقَلُّ عَدَدا
هُمْ بَيَّتُونا بِالوَتِيرِ هُجَّدًا ... وقَتَلُونا رُكَّعًا وسُجَّدا

يَقُولُ: قُتِلْنا وقَدْ أسْلَمْنا.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُرْوى أيْضًا:

فانْصُرْ هَداكَ الله نَصْرًا أيِّدا

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُرْوى أيْضًا:

نَحْنُ ولَدْنـــاكَ فكُنْتَ ولَدا

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «نُصِرْتَ يا عَمْرُو بنَ سالِمٍ». ثُمَّ عَرَضَ لِرَسُولِ الله ﷺ عَنانٌ مِنَ السَّماءِ، فقالَ: «إنَّ هَذِهِ السَّحابَةَ لَتَسْتَهِلُّ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ».

[ذَهابُ ابنِ وَرْقاءَ إلى الرَّسُولِ بِالمَدِينةِ شاكِيًا وتَعَرُّفُ أبي سُفيانَ أمْرَهُ]

ثُمَّ خَرَجَ بُدَيْلُ بنُ ورْقاءَ في نَفَرٍ مِنْ خُزاعةَ حَتّى قَدِمُوا على رَسُولِ الله ﷺ المَدِينةَ، فأخْبَرُوهُ بِما أُصِيبَ مِنْهُمْ، وبِمُظاهَرةِ قُرَيْشٍ بَنِي بَكْرٍ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ انْصَرَفُوا راجِعِينَ إلى مَكّةَ، وقَدْ قالَ رَسُولُ الله ﷺ لِلنّاسِ: «كَأنَّكُمْ بِأبي سُفيانَ قَدْ جاءَكُمْ لِيَشُدَّ العَقْدَ، ويَزِيدَ في المُدّةِ». ومَضى بُدَيْلُ بنُ ورْقاءَ وأصْحابُهُ حَتّى لَقُوا أبا سُفيانَ بنَ حَرْبٍ بِعُسْفانَ، قَدْ بَعَثَتْهُ قُرَيْشٌ إلى رَسُولِ الله ﷺ لِيَشُدَّ العَقْدَ، ويَزِيدَ في المُدّةِ، وقَدْ رَهِبُوا الَّذي صَنَعُوا. فلَمّا لَقِيَ أبو سُفيانَ بُدَيْلَ بنَ ورْقاءَ قالَ: مِنْ أيْنَ أقْبَلْتَ يا بُدَيْلُ؟ وَظَنَّ أنَّهُ قَدْ أتى رَسُولَ الله ﷺ، قالَ: تَسَيَّرْتُ في خُزاعةَ في هذا السّاحِلِ، وفي بَطْنِ هذا الوادِي، قالَ: أوَما جِئْتَ مُحَمَّدًا؟ قالَ: لا، فلَمّا راحَ بُدَيْلٌ إلى مَكّةَ، قالَ أبو سُفيانَ: لَئِنْ جاءَ بُدَيْلٌ المَدِينةَ لَقَدْ عَلَفَ بِها النَّوى، فأتى مَبْرَكَ راحِلَتِهِ، فأخَذَ مِنْ بَعْرِها ففَتَّهُ، فرَأى فيهِ النَّوى، فقالَ: أحْلِفُ باللهِ لَقَدْ جاءَ بُدَيْلٌ مُحَمَّدًا.

وَذَكَرَ أبْياتَ عَمْرِو بنِ سالِمٍ، وَفِيها: [من الرجز]

قَدْ كُنْتُـــمْ وُلْدًا وَكُنّا والِدا

يُرِيدُ: أنّ بَنِي عَبْدِ مَنافٍ أُمُّهُمْ مِنْ خُزاعةَ، وَكَذلِكَ قُصَيّ أُمّهُ: فاطِمةُ بِنْتُ سَعْدٍ الخُزاعِيّةُ. والوُلْدُ بِمَعْنى الوَلَدِ.

وَقَوْلُهُ: «ثُمَّتَ أسْلَمْنا»، هُوَ مِن السِّلْمِ؛ لِأنّهُمْ لَمْ يَكُونُوا آمَنُوا بَعْدُ، غَيْرَ أنّهُ قالَ: «رُكّعًا وَسُجَّدا»، فَدَلّ على أنّهُ كانَ[1] فِيهِمْ مَنْ صَلّى لله فَقُتِلَ، واللهُ أعْلَمُ.

وَذَكَرَ فِيهِ: «الوَتير»، وَهُوَ اسْمُ ماءٍ مَعْرُوفٍ فِي بِلادِ خُزاعةَ، والوَتيرُ فِي اللّغةِ: الوَرْدُ الأبْيَضُ، وَقَدْ يَكُونُ مِنْهُ بَرِّيٌّ، فَيَحْتَمِلُ أنْ يَكُونَ هَذا الماءُ سُمِّيَ بِهِ، وَأمّا الوَرْدُ الأحْمَرُ فَهُوَ الحَوْجَمُ، وَيُقالُ لِلْوَرْدِ كُلِّهِ: جَلٌّ. قالَهُ أبُو حَنِيفةَ[2]، وَكَأنّ لَفْظَ الحَوْجَمِ مِن الحجمةِ، وَهِيَ حُمْرةٌ فِي العَيْنَيْنِ، يُقالُ مِنْهُ: رَجُلٌ أحْجَمُ.

* * *

(١) في (ب): «قد كان».
(٢) «كتاب النبات» (ص: ٢١٢).

[خُرُوجُ أبي سُفيانَ إلى المَدِينة للصُّلْحِ وإخْفاقُهُ]

ثُمَّ خَرَجَ أبو سُفيانَ حَتّى قَدِمَ على رَسُولِ الله ﷺ المَدِينَةَ، فدَخَلَ على ابنَتِهِ أُمِّ حَبِيبةَ بِنْتِ أبي سُفيانَ، فلَمّا ذَهَبَ لِيَجْلِسَ على فِراشِ رَسُولِ الله ﷺ طَوَتْهُ عَنْهُ، فقالَ: يا بُنَيّةُ، ما أدْرِي أرَغِبْتِ بِي عَنْ هذا الفِراشِ أمْ رَغِبْتِ بِهِ عَنِّي؟ قالَتْ: بَلْ هُوَ فِراشُ رَسُولِ الله ﷺ وأنْتَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ نَجِسٌ، ولَمْ أُحِبَّ أنْ تَجْلِسَ على فِراشِ رَسُولِ الله ﷺ، قالَ: والله لَقَدْ أصابَكِ يا بُنَيّةُ بَعْدِي شَرٌّ. ثُمَّ خَرَجَ حَتّى أتى رَسُولَ الله ﷺ فكَلَّمَهُ، فلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا، ثُمَّ ذَهَبَ إلى أبي بَكْرٍ فكَلَّمَهُ أنْ يُكَلِّمَ لَهُ رَسُولَ الله ﷺ، فقالَ: ما أنا بِفاعِلٍ، ثُمَّ أتى عُمَرَ بنَ الخَطّابِ فكَلَّمَهُ، فقالَ: أأنا أشْفَعُ لَكُمْ إلى رَسُولِ الله ﷺ؟ فوالله لَوْ لَمْ أجِدْ إلّا الذَّرَّ لَجاهَدْتُكُمْ بِهِ.

ثُمَّ خَرَجَ فدَخَلَ على عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ رِضْوانُ الله عَلَيْهِ، وعِنْدَهُ فاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ الله ﷺ ورَضِيَ عَنْها، وعِنْدَها حَسَنُ بنُ عَلِيٍّ، غُلامٌ يَدِبُّ بَيْنَ يَدَيْها، فقالَ: يا عَلِيُّ، إنَّكَ أمَسُّ القَوْمِ بِي رَحِمًا، وإنِّي قَدْ جِئْتُ في حاجَةٍ، فلا أرْجِعَنَّ كَما جِئْتُ خائِبًا، فاشْفَعْ لِي إلى رَسُولِ الله، فقالَ: وَيْحَكَ يا أبا سُفيانَ! والله لَقَدْ عَزَمَ رَسُولُ الله ﷺ على أمْرٍ ما نَسْتَطِيعُ أنْ نُكَلِّمَهُ فيهِ. فالتَفَتَ إلى فاطِمَةَ فقالَ: يا ابنةَ مُحَمَّدٍ، هَلْ لَكِ أنْ تَأمُرِي بُنَيَّكِ هذا فيُجِيرَ بَيْنَ النّاسِ، فيكُونَ سَيِّدَ العَرَبِ إلى آخِرِ الدَّهْرِ؟ قالَتْ: والله ما بَلَغَ بُنَيَّ ذاكَ أنْ يُجِيرَ بَيْنَ النّاسِ، وما يُجِيرُ أحَدٌ على رَسُولِ الله ﷺ.

قالَ: يا أبا الحَسَنِ، إنِّي أرى الأُمُورَ قَدِ اشْتَدَّتْ عَلَيَّ، فانْصَحْنِي، قالَ: واللهِ ما أعْلَمُ لَكَ شَيْئًا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا، ولَكِنَّكَ سَيِّدُ بَنِي كِنانةَ، فقُمْ فأجِرْ بَيْنَ النّاسِ، ثُمَّ الحَقْ بِأرْضِكَ، قالَ: أوَتَرى ذلك مُغْنِيًا عَنِّي شَيْئًا؟ قالَ: لا واللهِ ما أظُنُّهُ، ولَكِنِّي لا أجِدُ لَكَ غَيْرَ ذلك. فقامَ أبو سُفيانَ في المَسْجِدِ فقالَ: أيُّها النّاسُ، إنِّي قَدْ أجَرْتُ بَيْنَ النّاسِ. ثُمَّ رَكِبَ بَعِيرَهُ فانْطَلَقَ، فلَمّا قَدِمَ على قُرَيْشٍ قالُوا: ما وراءَكَ؟ قالَ: جِئْتُ مُحَمَّدًا فكلّمتُه، فواللهِ ما رَدَّ عَلَيَّ شَيْئًا، ثُمَّ جِئْتُ ابنَ أبي قُحافةَ فلَمْ أجِدْ فيهِ خَيْرًا، ثُمَّ جِئْتُ ابنَ الخَطّابِ، فوَجَدْتُهُ أدْنى العَدُوِّ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: أعْدى العَدُوِّ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ جِئْتُ عَلِيًّا فوَجَدْتُهُ ألْيَنَ القَوْمِ، وقَدْ أشارَ عَلَيَّ بِشَيْءٍ صَنعتُه، فواللهِ ما أدْرِي هَلْ يُغْنِي ذلك شَيْئًا أمْ لا؟ قالُوا: وبِمَ أمَرَكَ؟ قالَ: أمَرَنِي أنْ أُجِيرَ بَيْنَ النّاسِ، ففَعَلْتُ، قالُوا: فهَلْ أجازَ ذلك مُحَمَّدٌ؟ قالَ: لا، قالُوا: وَيْلَكَ! والله إنْ زادَ الرَّجُلُ على أنْ لَعِبَ بِكَ، فما يُغْنِي عَنْكَ ما قُلْتَ. قالَ: لا والله، ما وجَدْتُ غَيْرَ ذلك.

[تَجْهِيزُ الرَّسُولِ لِفَتْحِ مَكّةَ]

وَأمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بِالجَهازِ، وأمَرَ أهْلَهُ أنْ يُجَهِّزُوهُ، فدَخَلَ أبو بَكْرٍ على ابنَتِهِ عائِشةَ رَضِيَ الله عَنْها وهِيَ تُحَرِّكُ بَعْضَ جَهازِ رَسُولِ الله ﷺ، فقالَ: أيْ بُنَيّةُ، أأمَرَكُمْ رَسُولُ الله ﷺ أنْ تُجَهِّزُوهُ؟ قالَتْ: نَعَمْ، فتَجَهَّزْ، قالَ: فأيْنَ تَرَيْنَهُ يُرِيدُ؟ قالَتْ: لا والله ما أدْرِي. ثُمَّ إنَّ رَسُولَ الله ﷺ أعْلَمَ النّاسَ أنَّهُ سائِرٌ إلى مَكّةَ، وأمَرَهُمْ بِالجِدِّ والتَّهَيُّؤِ، وقالَ: «اللهُمَّ خُذِ العُيُونَ والأخْبارَ عَنْ قُرَيْشٍ حَتّى نَبْغَتَها في بِلادِها». فتَجَهَّزَ النّاسُ.

[شِعْرُ حَسّانَ في تَحْرِيضِ النّاسِ]

فَقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ يُحَرِّضُ النّاسَ، ويَذْكُرُ مُصابَ رِجالِ خُزاعةَ:

عنانِي ولَمْ أشْـهَدْ بِبَطْحاءِ مَكّةٍ ... رِجالُ بَـنِي كَعْبٍ تُحَـزُّ رِقابُها

بِأيْدِي رِجالٍ لَمْ يَسُلُّوا سُيُوفَهُمْ ... وقَتْـلى كَثِيرٌ لَـمْ تُجَـنَّ ثِيابُها

ألا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَنالَنَّ نُصْرَتِي ... سُهَيْلَ بنُ عَمْرٍو وخْزُها وعُقابُها

وَصَفْوانُ عَوْدٌ حَنَّ مِنْ شُفْرِ اسْتِهِ ... فهذا أوانُ الحَرْبِ شُـدَّ عِصابُها

فَـلا تَأْمَنَنّا يـا ابـنَ أُمِّ مُجالِدٍ ... إذا احْتُلِبَتْ صَرْفًا وأعْصَلَ نابُها

ولا تَجْزَعُـوا مِنّا فإنَّ سُـيُوفَنا ... لَها وقْعـةٌ بِالمَـوْتِ يُفْتَحُ بابُها

قالَ ابنُ هِشامٍ: قَوْلُ حَسّانَ: «بأيدي رِجالٍ لَمْ يَسُلُّوا سُيُوفَهُمْ» يَعْنِي قُرَيْشًا، وابنُ أُمِّ مُجالِدٍ يَعْنِي عِكْرِمةَ بنَ أبي جَهْلٍ.

وَذَكَرَ قَوْلَ عُمَر رضي الله عنه: «والله لَوْ لَمْ أجِدْ إلّا الذَّرَّ[1] لقاتلتُكُم بِهِ»، وَهُوَ كَلامٌ مَفْهُومُ المَعْنى، وَقَدْ تَقَدّمَ أنّ مِثْلَ هَذا لَيْسَ بِكَذِبٍ[2]، وَإنْ كانَ الذَّرُّ لا يُقاتَلُ بِهِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُ عُمَرَ رضي الله عنه فِي حَدِيثِ «المُوَطّأ»: «واللهِ لَيَمُرَّنَّ بِهِ وَلَوْ على بَطْنِك»[3]، يَعْنِي: الجَدْوَلَ، هُوَ[4] مِنْ هَذا القَبِيلِ[5] لا يُعَدُّ كَذِبًا؛ لِأَنّهُ جَرى فِي كَلامِهِمْ كالمَثَلِ.

(١) الذر: صغار النمل، وما يُرى في شعاع الشمس الداخل من النافذة.

(٢) انظر: (٧: ٤٤).

(٣) «الموطأ»، كتاب الأقضية، باب القضاء في المرفق: (٢: ٧٤٦).

(٤) في (ب): «وهو».

(٥) في (ص)، (ج): «هذا الحديث».

وَذَكَرَ قَوْلَ فاطِمةَ: «واللهِ ما بَلَغَ بُنَيّ[١] أنْ يُجِيرَ بَيْنَ النّاسِ»، وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ هَذا مُحْتَجًّا بِهِ على مَنْ أجازَ أمانَ الصَّبِيِّ وَجِوارَهُ، وَمَنْ أجازَ جِوارَ الصَّبِيِّ إنّما أجازَهُ إذا عَقَلَ الصَّبِيُّ، وَكانَ كالمُراهِقِ[٢].

وَقَوْلُها: «وَلا يُجِيرُ أَحَدٌ على رَسُولِ اللهِ ﷺ»، وَقَدْ قالَ عَلَيْهِ السّلامُ: «يُجِيرُ على المُسْلِمِينَ أدْناهُم»[٣]، فَمَعْنى هَذا ـ واللهُ أعْلَمُ ـ: أن أدنى المسلمين كالعَبْدِ وَنَحْوِهِ يَجُوزُ جِوارُهُ فِيما قَلّ، مِثْلُ أنْ يُجِيرَ واحِدًا مِن العَدُوّ، أوْ نَفَرًا يَسِيرًا، وَأمّا أنْ يُجِيرَ على الإمامِ قَوْمًا يُرِيدُ الإمامُ غَزْوَهُمْ وَحَرْبَهُمْ، فَلا يَجُوزُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَلا على الإمامِ، وَهَذا هُوَ الّذِي أرادَتْ فاطِمةُ رَضِيَ اللهُ عَنْها، واللهُ أعْلَمُ.

وَأمّا جِوارُ المَرْأةِ وتأمينها فجائزٌ عندَ جماعةِ الفُقَهاءِ[٤] إلّا سحْنُون وابن الماجِشُونِ؛ فَإنّهُما قالا: هُوَ مَوْقُوفٌ على إجازةِ الإمامِ، وَقَدْ قالَ عليه السلام لأمِّ هانئ: «قد أَجَرْنا مَنْ أجَرْتِ يا أمّ هانئ»[٥]، ورُوِي معنى قولها عن عمرِو ابن العاصي وَخالِدِ بنِ الوَلِيدِ.

وَأمّا جِوارُ العَبْدِ، فَجائِزٌ إلّا عِنْدَ أبِي حَنِيفةَ، وَقَوْلُ النّبِيّ ﷺ: «يُجِيرُ على المُسْلِمِينَ أدْناهُمْ»، يَدْخُلُ فِيهِ العَبْدُ والمَرْأةُ.

* * *

---

(١) في (س): «بني هذا».

(٢) انظر: «الأموال» لأبي عبيد: (ص: ٢٠٠).

(٣) «سنن أبي داود»، كتاب الديات: (٤: ١٨٠-١٨١).

(٤) في (ج): «العلماء»، وكذا في صلب (ب)، وفي حاشيتها: «الفقهاء».

(٥) أخرجه الشيخان، «فتح الباري»، كتاب الجزية: (٦: ٢٧٣)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين: (١: ٤٩٨).

[كِتابُ حاطِبٍ إلى قُرَيْشٍ وعِلْمُ الرَّسُولِ بِأمْرِهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني مُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ وغَيْرِهِ مِنْ عُلَمائِنا، قالُوا: لَمّا أجْمَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَسِيرَ إلى مَكَّةَ، كَتَبَ حاطِبُ بنُ أبي بَلْتَعةَ كِتابًا إلى قُرَيْشٍ يُخْبِرُهُمْ بِالَّذِي أجْمَعَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِن الأمْرِ في السَّيْرِ إلَيْهِمْ، ثُمَّ أعْطاهُ امْرَأةً، زَعَمَ مُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرٍ أنَّها مِنْ مُزَيْنَةَ، وزَعَمَ لِي غَيْرُهُ أنَّها سارةُ مَوْلاةٌ لِبَعْضِ بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ، وجَعَلَ لَها جُعْلًا على أنْ تُبَلِّغَهُ قُرَيْشًا، فجَعَلَتْهُ في رَأْسِها، ثُمَّ فتَلَتْ عَلَيْهِ قُرُونَها، ثُمَّ خَرَجَتْ بِهِ، وأتى رَسُولَ اللهِ ﷺ الخَبَرُ مِن السَّماءِ بِما صَنَعَ حاطِبٌ، فبَعَثَ عَلِيَّ بنَ أبي طالِبٍ والزُّبَيْرَ بنَ العَوّامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، فقالَ: «أدْرِكا امْرَأةً قَدْ كَتَبَ مَعَها حاطِبُ بنُ أبي بَلْتَعةَ بِكِتابٍ إلى قُرَيْشٍ يُحَذِّرُهُمْ ما قَدْ أجْمَعْنا لَهُ في أمْرِهِمْ».

فَخَرَجا حَتّى أدْرَكاها بِالخَلِيقةِ، خَلِيقةِ بَنِي أبي أحْمَدَ، فاسْتَنْزَلاها، فالتَمَسا في رَحْلِها فلَمْ يَجِدا شَيْئًا، فقالَ لَها عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ: إنِّي أحْلِفُ باللهِ ما كَذَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ولا كَذَبنا، ولَتُخْرِجِنَّ لَنا هذا الكِتابَ أوْ لَنَكْشِفَنَّكِ، فلَمّا رَأتِ الجِدَّ مِنْهُ، قالَتْ: أعْرِضْ، فأعْرَضَ، فحَلَّتْ قُرُونَ رَأْسِها، فاسْتَخْرَجَتِ الكِتابَ مِنْها، فدَفَعَتْهُ إلَيْهِ، فأتى بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ.

فَدَعا رَسُولُ اللهِ ﷺ حاطِبًا فقالَ: يا حاطِبُ، ما حَمَلَكَ على هذا؟ فَقالَ: يا رَسُولَ اللهِ، أما واللهِ إنِّي لَمُؤْمِنٌ باللهِ ورَسُولِهِ، ما غَيَّرْتُ ولا بَدَّلْتُ، ولَكِنِّي

كُنْتُ امْرأً لَيْسَ لِي في القَوْمِ مِنْ أصْلٍ ولا عَشِيرةٍ، وكانَ لِي بَيْنَ أظْهُرِهِمْ ولَدٌ وأهْلٌ، فصانَعْتهمْ عَلَيْهِمْ.

فقالَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ: يا رَسُولَ الله، دَعْنِي فلْأَضْرِبْ عُنُقَهُ، فإنَّ الرَّجُلَ قَدْ نافَقَ. فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وما يُدْرِيكَ يا عُمَرُ، لَعَلَّ الله قَدِ اطَّلَعَ إلى أصْحابِ بَدْرٍ يَوْمَ بَدْرٍ فقالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ». فأنْزَلَ الله تَعالى في حاطِبٍ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]، إلى قَوْلِهِ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤] إلى آخِرِ القِصّةِ.

[خُرُوجُ الرَّسُولِ في رَمَضان واستخلافُه أبا رُهْمٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ مُسْلِمِ بنِ شِهابٍ الزُّهْرِيُّ، عَنْ عُبَيْدِ الله بنِ عَبْدِ الله بنِ عُتْبَةَ بنِ مَسْعُودٍ، عَنْ عَبْدِ الله بنِ عَبّاسٍ، قالَ: ثُمَّ مَضى رَسُولُ الله ﷺ لِسَفَرِهِ، واسْتَخْلَفَ على المَدِينة أبا رُهْمٍ كُلْثُومَ بنَ حُصَيْنِ بنِ عُتْبَةَ بنِ خَلَفٍ الغِفارِيَّ، وخَرَجَ لِعَشْرٍ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضانَ، فصامَ رَسُولُ الله ﷺ، وصامَ النّاسُ مَعَهُ، حَتّى إذا كانَ بِالكُدَيْدِ بَيْنَ عُسْفانَ وأمَجٍ أفْطَرَ.

[نُزُولُهُمْ مَرَّ الظَّهْرانِ، وتَجَسُّسُ قُرَيْشٍ أخْبارَ الرَّسُولِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ مَضى حَتّى نَزَلَ مَرَّ الظَّهْرانِ في عَشَرةِ آلافٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، فسَبَّعَتْ سُلَيْمٌ، وبَعْضُهُمْ يَقُولُ: أَلَّفَتْ سُلَيْمٌ، وأَلَّفَتْ مُزَيْنةُ. وفي كُلِّ القَبائِلِ عدَدٌ وإسْلامٌ، وأُوعِبَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ المُهاجِرُونَ والأنْصارُ،

فلَمْ يَتخَلَّفْ عَنْهُ مِنْهُمْ أحَدٌ، فلَمّا نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَرَّ الظَّهْرانِ، وقَدْ عُمِّيَتِ الأخْبارُ عَنْ قُرَيْشٍ، فلَمْ يَأْتِهِمْ خَبَرٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ولا يَدْرُونَ ما هُوَ فاعِلٌ، وخَرَجَ في تِلْكَ اللَّيالِي أبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ، وحَكِيمُ بنُ حِزامٍ، وبُدَيْلُ بنُ ورْقاءَ، يَتحَسَّسُونَ الأخْبارَ، ويَنْظُرُونَ هَلْ يَجِدُونَ خَبَرًا أوْ يَسْمَعُونَ بِهِ، وقَدْ كانَ العَبّاسُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ لَقِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ.

[هِجْرةُ العبّاسِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: لَقِيَهُ بِالجُحْفةِ مُهاجِرًا بِعِيالِهِ، وقَدْ كانَ قَبْلَ ذلك مُقِيمًا بِمَكّةَ على سِقايَتِهِ، ورَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْهُ راضٍ، فيما ذَكَرَ ابنُ شِهابٍ الزُّهْرِيُّ.

فَصْلٌ

وَذَكَرَ كِتابَ حاطِبٍ إلى قُرَيْشٍ، وَهُوَ حاطِبُ بنُ أبِي بَلْتَعةَ مَوْلى عَبْدِ اللهِ ابنِ [حُمَيْدِ][1] بنِ زُهَيْرِ بنِ أسَدِ بنِ عَبْدِ العُزّى، والبَلْتَعةُ فِي اللّغةِ: التّظَرُّفُ، قالَهُ أبُو عُبَيْدٍ، واسْمُ أبِي بَلْتَعةَ: عَمْرٌو، وَهُوَ لَخْمِيّ، فِيما ذَكَرُوا، وَمِنْ ذُرِّيّتِهِ: زِيادُ ابنُ عَبْدِ الرّحْمَنِ الأنْدَلُسِيّ الّذِي رَوى «المُوَطّأ» عَنْ مالِكٍ، وَهُوَ زِياد شَبَطُون، وَكانَ قاضِيَ طُلَيْطِلَةَ، وكان شَبَطُونُ زوجًا لأمّه، فَعُرِفَ بِهِ رَحِمَهُ اللهُ[2].

وَقَدْ قِيلَ: «إنّهُ كانَ فِي الكِتابِ أنّ رسول الله ﷺ قَدْ تَوَجّهَ إلَيْكُمْ بِجَيْشٍ كاللّيْلِ، يَسِيرُ كالسَّيْلِ، وَأُقْسِمُ بِاللهِ لَوْ سارَ[3] إلَيْكُمْ وَحْدَهُ لَنَصَرَهُ اللهُ عَلَيْكُمْ؛

(١) ليس في (ص). انظر: «جمهرة» ابن حزم: (ص: ١١٧).
(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي: (٩: ٣١١).
(٣) في غير (ب)، (ج): «صار».

فَإِنَّهُ مُنْجِزٌ لَهُ ما وعده». وفي «تفسير ابن سَلّامٍ» أَنَّهُ كانَ فِي الكِتابِ الَّذِي كَتَبَهُ حاطِبٌ أَنَّ مُحَمّدًا قَدْ نَفَرَ إمّا إليكم وإمّا إلى غيرِكم، فعليكم الحذَر.

وَذَكَرَ أَنَّ عَلِيّ بنَ أَبِي طالِبٍ رضي الله عنه والزُّبَيْرَ والمِقْدادَ أَدْرَكُوها بِرَوْضةِ خاخٍ؛ بِخاءَيْنِ مَنْقُوطَتَيْنِ، وَكانَ هُشَيْمٌ[1] يَرْوِيهِ: حاج بِالحاءِ والجِيمِ، وَهُوَ مِمّا حُفِظَ مِنْ تَصْحِيفِ هُشَيْمٍ، وَكَذَلِكَ كانَ يَرْوِي: «سَدادًا[2] مِنْ عَوَزٍ» بِفَتْحِ السِّينِ، والمُغِيرةُ بنُ أَبِي بُرْدةَ يَقُولُ [فِيهِ][3]: بَرْزة بِالزّاي وَفَتْحِ الباءِ فِي تَصْحِيفٍ كَثِيرٍ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ ثَبَتٌ مُتّفَقٌ على عَدالَتِهِ، على أَنَّ البُخارِيّ قَدْ ذَكَرَ عَنْ أَبِي عَوانةَ[4] أَيْضًا أَنّهُ قالَ فِيها: روضة حاج كَما قِيلَ عَنْ هُشَيْمٍ، فاللهُ أَعْلَمُ.

وَفِي هَذا الخَبَرِ مِنْ رِوايةِ الشَّيْبانِيّ أَنَّ عائِشةَ قالَتْ: دَخَلَ [عَلَيَّ][5] أَبُو بَكْرٍ وَأَنا أُغَرْبِلُ حِنْطةً لَنا، فَسَأَلَنِي... وَذَكَرَ باقِيَ الحَدِيثِ، وَفِيهِ مِن الفِقْهِ أَكْلُهُمْ لِلْبُرِّ، وَإِنْ كانَ أَغْلَبُ أَحْوالِهِمْ أَكْلَ الشَّعِيرِ، وَلا يُقالُ: حِنْطةٌ إِلّا لِلْبُرِّ.

فَصْلٌ

وقَوْلُ اللهِ تبارك وتعالى فِي حاطب: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]؛ أَيْ: تَبْذُلُونَها لَهُمْ، وَدُخُولُ الباءِ وَخُرُوجُها عِنْدَ الفَرّاءِ سَواءٌ[6]، والباءُ عِنْدَ

(١) هو هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمي. «تهذيب الكمال» (٣٠: ٢٧٢).
(٢) السَّداد ـ بالفتح ـ: الاستقامة والقصد، والصواب من القول والعمل. وبالكسر: ما سَدَدتَ به خَلَلًا، وما يُسدُّ به الحاجة.
(٣) ليس في (ب).
(٤) هو الوضاح بن عبد الله اليشكري. «تهذيب الكمال» (٣٤: ١٥٤).
(٥) عن (ب)، (ج)، (ص).
(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء: (٣: ١٤٧). (ج)

سِيبَوَيْهِ لا تُزادُ فِي الواجِبِ، وَمَعْنى الكَلامِ عِنْدَ طائِفَةٍ مِن البَصْرِيِّينَ: تُلْقُونَ إِلَيْهِم النَّصِيحةَ بِالمَوَدَّةِ، قالَ النَّحّاسُ: مَعْناهُ تُخْبِرُونَهُمْ بِما يُخْبِرُ بِهِ الرَّجُلُ أَهْلَ مَوَدَّتِهِ[١]. وَهَذا التَّقْدِيرُ إِنْ نَفَعَ فِي هَذا المَوْضِعِ لَمْ يَنْفَعْ فِي مِثْلِ قَوْلِ العَرَبِ: أَلْقى إِلَيْهِ بِوِسادةٍ أَوْ بِثَوْبٍ، وَنَحْو ذَلِكَ، فَيُقالُ إِذًا: إِنَّ «أَلْقَيْتُ» تَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ؛ أَحَدُهُما: أَنْ تُرِيدَ وَضْعَ الشَّيْءِ فِي الأَرْضِ، فَتَقُول: أَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي، وَنَحْو ذَلِكَ، والثّانِي: أَنْ تُرِيدَ مَعْنى الرَّمْيِ بِالشَّيْءِ، فَتَقُول: أَلْقَيْتُ إِلى زَيْدٍ بِكَذا؛ أي: رميتُه بِهِ، وَفِي الآيَةِ إِنَّما هُوَ إِلْقاءٌ بِكِتابٍ، وَإِرْسالٌ بِهِ، فَعَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ [بِالمَوَدَّةِ][٢]؛ لِأَنَّهُ مِنْ أَفْعالِ أَهْلِ المَوَدَّةِ، فَمِنْ ثَمَّ حَسُنَتِ الباءُ؛ لِأَنَّهُ إِرْسالٌ بِشَيْءٍ. فَتَأَمَّلْهُ.

وَفِي الحَدِيثِ دَلِيلٌ على قَتْلِ الجاسُوسِ؛ فَإِنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ، فَقالَ لَهُ النَّبِيّ ﷺ: «إنه قد شهد بدرًا »، فَعَلَّقَ حُكْمَ المَنْعِ مِنْ قَتْلِهِ بِشُهُودِ بَدْرٍ، فَدَلّ على أَنّ مَنْ فَعَلَ مِثْلَ فِعْلِهِ، وَلَيْسَ بِبَدْرِيٍّ أَنَّهُ يُقْتَلُ. زادَ البُخارِيُّ فِي بَعْضِ رواياتِ الحَدِيثِ، قالَ: «فاغْرَوْرَقَتْ عَيْنا عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَقالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»، يَعْنِي حِينَ سَمِعَهُ يَقُولُ فِي أَهْلِ بَدْرٍ ما قالَ[٣].

وَفِي «مُسْنَدِ الحارِثِ»[٤] أَنّ حاطِبًا قالَ: يا رَسُولَ اللهِ، كُنْتُ عزيزًا في قريش، وكانت أمِّي بين ظَهْرانَيهِمْ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَحْفَظُونِي فِيها، أَوْ نَحْوَ هذا، ثم فسَّر العَزيز وَقالَ: هُوَ الغَرِيبُ.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس: (٤: ٤١٠).

(٢) ليس في (ب).

(٣) «فتح الباري»، كتاب المغازي: (٧: ٣٠٤-٣٠٥)، ومسلم، كتاب الصحابة: (٤: ٤٢).

(٤) كذا في (أ)، (ح)، (س)، (ف)، وفي (ج): «وفي مسند البزار»، وفي (ب): «وفي مسند هذا الحديث». وانظر: «كشف الأستار عن زوائد البزار» (٣: ٢٠٥).

[إِسْلامُ أبي سُفيانَ بنِ الحارِثِ وعَبْدِ الله بنِ أُمَيّةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ كانَ أبو سُفيانَ بنُ الحارِثِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ وعَبْدُ الله بنُ أبي أُمَيّةَ بنِ المُغِيرةِ قَدْ لَقِيا رَسُولَ الله ﷺ أيْضًا بِنِيقِ العُقابِ، فيما بَيْنَ مَكّةَ والمَدِينةِ، فالتَمَسا الدُّخُولَ عَلَيْهِ، فكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمةَ فيهِما، فقالَتْ: يا رَسُولَ الله، ابنُ عَمِّكَ وابنُ عَمَّتِكَ وصِهْرُكَ، قالَ: «لا حاجةَ لِي بِهِما، أما ابنُ عَمِّي فهَتَكَ عِرْضِي، وأمّا ابنُ عَمَّتِي وصِهْرِي فهُوَ الّذي قالَ لي بِمَكّةَ ما قالَ». قالَ: فلَمّا خَرَجَ الخَبَرُ إلَيْهِما بِذلك، ومَعَ أبي سُفيانَ بُنَيٌّ لَهُ، فقالَ: والله لَيَأْذَنَنَّ لِي أوْ لآخُذَنَّ بِيَدَيْ بُنَيَّ هذا ثُمَّ لَنَذْهَبَنَّ في الأرْضِ حَتّى نَمُوتَ عَطَشًا وجُوعًا. فلَمّا بَلَغَ ذلك رَسُولَ الله ﷺ رَقَّ لَهُما، ثُمَّ أذِنَ لَهُما، فدَخَلا عَلَيْهِ، فأسْلَما.

وَذَكَرَ قَوْلَ النّبِيّ ﷺ لِأُمِّ سَلَمةَ رضي الله عنها حِينَ اسْتَأْذَنَتْهُ فِي أخِيها عَبْدِ اللهِ بنِ أُمَيّةَ: «وَأمّا ابنُ عَمَّتِي فَهُوَ الّذِي قالَ لِي بِمَكّةَ ما قالَ»، يَعْنِي حِينَ قالَ لَهُ: «واللهِ لا آمَنْتُ بِك حَتّى تَتّخِذَ سُلّمًا إلى السّماءِ، فَتَعْرُجَ فِيهِ، وَأنا أنْظُرُ، ثُمّ تَأْتِيَ بِصَكٍّ وَأرْبَعةٍ مِن المَلائِكةِ يَشْهَدُونَ لَك أنّ اللهَ أرْسَلَك»، وَقَدْ تَقَدّمَتْ هَذِهِ القِصّةُ[١].

وعَبْدُ اللهِ بنُ أبِي أُمَيّةَ هُوَ أخُو أُمِّ سَلَمةَ لِأبِيها، وَأُمُّهُ عاتِكةُ بِنْتُ

(١) انظر: (٣: ١٥٩)، و«السيرة» (١: ٢٩٨).

عَبْدِ المُطّلِبِ[١]، وَأُمُّ سَلَمةَ أُمُّها عاتِكةُ بِنْتُ جِذْلِ الطِّعانِ، وَهُوَ عامِرُ بنُ قَيْسٍ الفِراسِيّ[٢]، واسْمُ أَبِي أُمَيّةَ حُذَيْفةُ، وَكانَتْ عِنْدَهُ أَرْبَعُ عَواتِكَ، قَدْ ذَكَرْنا مِنْهُنّ هاهُنا ثِنْتَيْنِ.

وقَوْلُ أَبِي سُفْيانَ بنِ الحارِثِ: «لَآخُذَن بِيَدِ بُنَيّ هذا، ثم لأذهبنَّ فِي الأَرْضِ» لَمْ يَذْكُرِ ابنُ إِسْحاقَ اسْمَ ابنِهِ ذَلِكَ، وَلَعَلّهُ أَنْ يَكُونَ جَعْفَرًا؛ فَقَدْ كانَ إِذْ ذاكَ غُلامًا مُدْرِكًا، وَشَهِدَ مَعَ أَبِيهِ حُنَيْنًا، وَماتَ فِي خِلافةِ مُعاوِيةَ، ولا عقِبَ له.

وذكرَ الزُّبيرُ لأبي سفيانَ ولدًا يُكنّى: أبا الهَيّاجِ فِي حَدِيثٍ رواهُ لا أَدْرِي أَهُوَ جَعْفَرٌ أَمْ غَيْرُهُ[٣]، وَماتَ أَبُو سُفْيانَ فِي خِلافةِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَقالَ عِنْدَ مَوْتِهِ: لا تَبْكُنَّ عَلَيّ؛ فَإِنّي لَمْ أَتنطَّفْ[٤] بِخَطِيئةٍ مُنْذُ أَسْلَمْتُ. وَماتَ مِنْ ثُؤْلُولٍ[٥]؛ حَلَقَهُ الحَلّاقُ فِي حَجٍّ فَقَطَعَهُ مَعَ الشَّعْرِ فَنَزَفَ مِنْهُ. وَقِيلَ فِي اسْمِ أَبِي سُفْيانَ: المُغِيرةُ، وَقِيلَ: بَلِ المُغِيرةُ أَخُوهُ، قالَ القُتَبِيّ: إِخْوَتُهُ: المُغِيرةُ وَنَوْفَلٌ وَعَبْدُ شَمْسٍ وَرَبِيعةُ بَنُو الحارِثِ بنِ عَبْدِ المُطّلِبِ[٦].

* * *

(١) انظر: «أسد الغابة» (٣: ١٧٧)، (٧: ١٨٥).

(٢) كذا في «الروض». والذي في «جمهرة» ابن الكلبي: (ص: ١٨٣)، وابن حزم: (ص: ١٨٨): أنّ جذل الطعان: علقمة بن فراس بن غنم.

(٣) انظر: «جمهرة» ابن حزم: (ص: ٧٠).

(٤) أي: لم أصب من الخطيئة شيئًا. والنَّطَفُ: العيب، والتلطخ به.

(٥) الثؤلول: الحبة التي تظهر في الجلد كالحِمَّصة فما دونها.

(٦) «المعارف» (ص: ١٢٦).

[شِعْرُ أبي سُفيانَ في الِاعْتِذارِ عَمّا كانَ فيهِ قَبْلَ إسْلامِهِ]

وَأنْشَدَ أبو سُفيانَ بنُ الحارِثِ قَوْلَهُ في إسْلامِهِ، واعْتذر إلَيْهِ مِمّا كانَ مَضى مِنْهُ، فقالَ:

لَعَمْرُكَ إنِّي يَوْمَ أحْمِلُ رايةً ... لِتَغْلِبَ خَيْلُ اللّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدِ
لَكالمُدْلِجِ الحَيْرانِ أظْلَمَ لَيْلُهُ ... فهذا أواني حِينَ أُهْدى وأهْتَدِي
هَدانِيَ هادٍ غَيْرُ نَفْسِي ونالَنِي ... مَعَ الله مَنْ طَرَّدْتُ كُلَّ مُطَرَّدِ
أصُدُّ وأنْأى جاهِدًا عَنْ مُحَمَّدٍ ... وأُدْعى وإنْ لَمْ أنْتَسِبْ مِنْ مُحَمَّدِ
هُمُ ما هُمُ مَنْ لَمْ يَقُلْ بِهَواهُمُ ... وإنْ كانَ ذا رَأْيٍ يُلَمْ ويُفَنَّدِ
أُرِيدُ لِأُرْضِيَهُمْ ولَسْتُ بِلائِطٍ ... مَعَ القَوْمِ ما لَمْ أُهْدَ في كُلِّ مَقْعَدِ
فَقُلْ لِثَقِيفٍ لا أُرِيدُ قِتالَها ... وقُلْ لِثَقِيفٍ تِلْكَ: غَيْرِيَ أوْعِدِي
فَما كُنْتُ في الجَيْشِ الَّذي نالَ عامِرًا ... وما كانَ عَنْ جَرّا لِسانِي ولا يَدِي
قَبائِل جاءَتْ مِنْ بِلادٍ بَعِيدةٍ ... نَزائِعَ جاءَتْ مِنْ سَهامٍ وسُرْدَدِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُرْوى «وَدَلَّنِي على الحَقِّ مَنْ طَرَّدْتُ كُلَّ مُطَرَّدِ».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فزَعَمُوا أنَّهُ حِينَ أنْشَدَ رَسُولَ الله ﷺ قَوْلَهُ: «وَنالَنِي مَعَ الله مَنْ طَرَّدْتُ كُلَّ مُطَرَّدِ» ضَرَبَ رَسُولُ الله ﷺ في صَدْرِهِ، وقالَ: أنْتَ طَرَّدْتَنِي كُلَّ مُطَرَّدٍ.

وَقَوْلُهُ: «مِنْ سَهامٍ وَسُرْدَدِ»، «سَهام» على وَزْنِ «فَعالٍ» بِفَتْحِ الفاءِ، وَ«سُرْدد»

بضَمّ أوّلِهِ وَإسْكانِ ثانِيهِ؛ هَكَذا ذَكَرَهُ سِيبَوَيْهِ[١] وَيَعْقُوبُ، وَبِفَتْحِ الدّالِ ذَكَرَهُ غَيْرُهُما، وَهُما مَوْضِعانِ مِنْ أرْضِ عَكٍّ، وَذَلِكَ أنّ سِيبَوَيْهِ مِنْ أصْلِهِ أنّهُ لَيْسَ فِي الكَلامِ فُعْلَلٌ بِالفَتْحِ، وَحَكاهُ الكُوفِيّونَ فِي جُخْدَبٍ وَسُرْدَدٍ، [وَغَيْرِهِما، وَلا يَنْبَغِي أيْضًا على أصْلِ سِيبَوَيْهِ أنْ يَمْتَنِعَ الفَتْحُ فِي سُرْدَد][٢]؛ لأن إحدى الدالين زائدة من أجلِ التضعيف، وَإنّما الّذِي يَمْتَنِعُ فِي الأبنِيَةِ مِثْلُ جُعفر بضَمّ أوّلِهِ وَفَتْحِ ثانِيهِ، فَمِثْلُ سُرْدَدٍ والسُّودَدِ والحُولَلِ جَمْعُ حائِلٍ، وَما ذَكَرَهُ بَعْضُهُمْ مِنْ طُحْلَبٍ وبُرْقَع وَجُؤْذَرٍ، فَهُوَ دَخِيلٌ فِي الكَلامِ، وَلا يُجْعَلُ أصْلًا، لا يَمْتَنِعُ أيْضًا جُنْدَبٌ بِفَتْحِ الدّالِ؛ لأنّ النُّون زائدة.

وَكانَ أبُو سُفْيانَ رَضِيعَ[٣] رَسُولِ اللهِ ﷺ، أرْضَعَتْهُما حَلِيمةُ، وَكانَ آلَفَ النّاسِ لَهُ قَبْلَ النّبُوّةِ لا يُفارِقُهُ، فَلَمّا نُبِّئَ كانَ أبْعَدَ النّاسِ عَنْهُ، وَأهْجاهُمْ لَهُ إلى أنْ أسْلَمَ، فَكانَ أصَحّ[٤] النّاسِ إيمانًا، وَألْزَمَهُمْ لرسولِ اللهِ ﷺ، وَلأبِي سُفْيانَ هَذا قالَ رسول الله ﷺ: «أنْتَ يا أبا سُفْيانَ كَما قِيلَ: كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الفَرا»[٥]، وَقِيلَ: بَلْ قالَها لأبِي سُفْيانَ بنِ حَرْبٍ، والأوّلُ أصَحّ.

* * *

(١) «الكتاب» (٤ : ٣٢٦).

(٢) سقط من (أ).

(٣) أي: كان أخاه من الرضاع.

(٤) في (ب): «أنصح»، أي: كان أخلصهم إيمانًا.

(٥) مثَل. والفَرا: الحمار الوحشي. يُضرب لمن يُفضَّل على أقرانه. انظر مضرب المثل في «أمثال» الميداني: (٢: ١٣٦).

[قِصّةُ إسْلامِ أبي سُفيانَ على يَدِ العَبّاسِ]

فَلَمّا نَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ مَرَّ الظَّهْرانِ، قالَ العَبّاسُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ: فقُلْتُ: واصَباحَ قُرَيْشٍ، والله لَئِنْ دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ مَكّةَ عَنْوةً قَبْلَ أنْ يَأتُوهُ فيسْتَأْمِنُوهُ، إنَّهُ لَهَلاكُ قُرَيْشٍ إلى آخِرِ الدَّهْرِ.

قالَ: فَجَلَسْتُ على بَغْلةِ رَسُولِ الله ﷺ البَيْضاءِ، فخَرَجْتُ عَلَيْها. قالَ: حَتّى جِئْتُ الأَراكَ، فقُلْتُ: لَعَلِّي أجِدُ بَعْضَ الحَطّابةِ أوْ صاحِبَ لَبَنٍ أوْ ذا حاجةٍ يَأْتِي مَكّةَ، فيُخْبِرَهُمْ بِمَكانِ رَسُولِ الله ﷺ، لِيَخْرُجُوا إلَيْهِ فيسْتَأْمِنُوهُ قَبْلَ أنْ يَدْخُلَها عَلَيْهِمْ عنْوة. قالَ: فو الله إنِّي لَأسِيرُ عَلَيْها، وألْتَمِسُ ما خَرَجْتُ لَهُ، إذْ سَمِعْتُ كَلامَ أبي سُفيانَ وبُدَيْلِ بنِ ورْقاءَ وهُما يَتَراجَعانِ، وأبو سُفيانَ يَقُولُ: ما رَأيْتُ كاللَّيْلةِ نِيرانًا قَطُّ ولا عَسْكَرًا.

قالَ: يَقُولُ بُدَيْلٌ: هَذِهِ والله خُزاعةُ حَمَشَتْها الحَرْبُ. قالَ: يَقُولُ أبو سُفيانَ: خُزاعةُ أذَلُّ وأقَلُّ مِنْ أنْ تَكُونَ هَذِهِ نِيرانَها وعَسْكَرَها. قالَ: فعَرَفْتُ صَوْتَهُ، فقُلْتُ: يا أبا حَنْظَلةَ، فعَرَفَ صَوْتِي، فقالَ: أبو الفَضْلِ؟ قالَ: قُلْتُ: نعم، قالَ: ما لَكَ؟ فِداكَ أبي وأُمِّي، قالَ: قُلْتُ: ويْحَكَ يا أبا سُفيانَ، هذا رَسُولُ الله ﷺ في النّاسِ، واصَباحَ قُرَيْشٍ والله. قالَ: فما الحِيلةُ؟ فِداكَ أبي وأُمِّي.

قالَ: قُلْتُ: والله لَئِنْ ظَفِرَ بِكَ لَيَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ، فارْكَبْ في عَجُزِ هَذِهِ البَغْلةِ حَتّى آتِيَ بِكَ رَسُولَ الله ﷺ فأسْتَأْمِنَهُ لَكَ.

قالَ: فركِبَ خَلْفي ورجَعَ صاحِباهُ. قالَ: فجِئْتُ بِهِ، كُلَّما مَرَرْتُ بِنارٍ مِنْ نِيرانِ المُسْلِمِينَ قالُوا: مَنْ هذا؟ فإذا رَأَوْا بَغْلَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وأنا عَلَيْها قالُوا: عَمُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ على بَغْلَتِهِ، حَتّى مَرَرْتُ بِنارِ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقالَ: مَنْ هذا؟ وَقامَ إِلَيَّ، فلَمّا رَأى أبا سُفيانَ على عَجُزِ الدّابّةِ قالَ: أبو سُفيانَ عَدُوُّ اللهِ! الحَمْدُ للهِ الَّذي أَمْكَنَ مِنْكَ بِغَيْرِ عَقْدٍ ولا عَهْدٍ. ثُمَّ خَرَجَ يَشْتَدُّ نَحْوَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ورَكَضْتُ البَغْلَةَ، فسَبَقْتُهُ بِما تَسْبِقُ الدّابّةُ البَطِيئةُ الرَّجُلَ البَطِيءَ.

قالَ: فاقْتَحَمْتُ عَنِ البَغْلةِ فدَخَلْتُ على رَسُولِ اللهِ ﷺ، ودَخَلَ عَلَيْهِ عُمَرُ، فقالَ: يا رَسُولَ اللهِ، هذا أبو سُفيانَ قَدْ أَمْكَنَ اللهُ مِنْهُ بِغَيْرِ عَقْدٍ ولا عَهْدٍ، فدَعْنِي فلْأَضْرِبْ عُنُقَهُ، قالَ: قُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ أَجَرْتُهُ. ثُمَّ جَلَسْتُ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فأَخَذْتُ بِرَأْسِهِ، فقُلْتُ: واللهِ لا يُناجِيهِ اللَّيْلةَ دُونِي رَجُلٌ. فلَمّا أَكْثَرَ عُمَرُ في شَأْنِهِ، قالَ: قُلْتُ: مَهْلًا يا عُمَرُ، فو اللهِ أَنْ لَو كانَ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بنِ كَعْبٍ ما قُلْتَ هذا، ولَكِنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ مِنْ رِجالِ بَنِي عَبْدِ مَنافٍ، فقالَ: مَهْلًا يا عبّاسُ، فواللهِ لَإِسْلامُكَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ كانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلامِ الخَطّابِ لَوْ أَسْلَمَ، وما بِي إِلّا أَنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ إِسْلامَكَ كانَ أَحَبَّ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ إِسْلامِ الخَطّابِ لَوْ أَسْلَمَ.

فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اذْهَبْ بِهِ يا عَبّاسُ إلى رَحْلِكَ، فإذا أَصْبَحْتَ فأْتِنِي بِهِ»، قالَ: فَذَهَبْتُ بِهِ إلى رَحْلِي، فباتَ عِنْدِي، فلَمّا أَصْبَحَ غَدَوْتُ بِهِ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فلَمّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ قالَ: «ويْحَكَ يا أبا سُفيانَ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ؟». قالَ: بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي، ما أَحْلَمَكَ وأَكْرَمَكَ وأَوْصَلَكَ، واللهِ لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْ لَوْ كانَ مَعَ اللهِ إِلَهٌ غَيْرُهُ لَقَدْ أَغْنى

عَنِّي شَيْئًا بَعْدُ، قالَ: «ويحَكَ يا أبا سُفيانَ! أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أنْ تَعْلَمَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟». قالَ: بِأبِي أَنْتَ وأُمِّي، ما أَحْلَمَكَ وأكْرَمَكَ وأوْصَلَكَ! أمّا هَذِهِ واللهِ فإنَّ في النَّفْسِ مِنْها حَتّى الآنَ شَيْئًا. فقالَ لَهُ العَبّاسُ: ويحَكَ! أَسْلِمْ واشْهَدْ أنْ لا إلَهَ إلّا اللهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ قَبْلَ أنْ تُضْرَبَ عُنُقُكَ. قالَ: فشَهِدَ شَهادةَ الحَقِّ فأسْلَمَ.

قالَ العَبّاسُ: قُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ، إنَّ أبا سُفيانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هذا الفَخْرَ، فاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا، قالَ: «نَعَمْ، مَنْ دَخَلَ دارَ أبِي سُفيانَ فهُوَ آمِنٌ، ومَنْ أغْلَقَ بابَهُ فهُوَ آمِنٌ، ومَنْ دَخَلَ المَسْجِدَ فهُوَ آمِنٌ». فلَمّا ذَهَبَ لِيَنْصَرِفَ قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يا عَبّاسُ، احْبِسْهُ بِمَضِيقِ الوادِي عِنْدَ خَطْمِ الجَبَلِ حَتّى تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ اللهِ فيراها».قالَ: فَخَرَجْتُ حَتّى حَبَسْتُهُ بِمَضِيقِ الوادِي حَيْثُ أمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أنْ أحْبِسَهُ.

[عَرْضُ جُيُوشِ الرَّسُولِ أمامَ أبِي سُفيانَ]

قالَ: ومَرَّتِ القَبائِلُ على راياتِها، كُلَّما مَرَّتْ قَبِيلَةٌ قالَ: يا عَبّاسُ، مَنْ هَذِهِ؟ فأقُولُ: سُليم، فيقُول: ما لي ولِسُلَيْمٍ، ثُمَّ تَمُرُّ القَبِيلَةُ فيقُولُ: يا عَبّاسُ، مَنْ هَؤُلاءِ؟ فأقُولُ: مُزَيْنةُ، فيقُول: ما لي ولِمُزَيْنةَ، حَتّى نَفِدَتِ القَبائِلُ، ما تَمُرُّ بِهِ قَبِيلةٌ إلّا يَسْأَلُنِي عَنْها، فإذا أخْبَرْتُهُ بهم قالَ: ما لي ولِبَنِي فُلانٍ، حَتّى مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ في كَتِيبَتِهِ الخَضْراءِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وإنَّما قِيلَ لَها: الخَضْراءُ لِكَثْرةِ الحَدِيدِ وظُهُورِهِ فيها.

قالَ الحارِثُ بنُ حِلِّزةَ اليَشْكُرِيُّ:

ثُمَّ حُجْرًا أعْنِي ابنَ أُمِّ قطامٍ   ولَهُ فارِسِيَّةٌ خَضْراءُ

يَعْنِي الكَتِيبةَ، وهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

وقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ الأنْصارِيُّ:

لمّا رَأى بَدْرًا تَسِيلُ جِلاهُهُ   بِكَتِيبة خَضْراءَ مِنْ بَلْخَزْرَجِ

وَهذا البَيْتُ في أبْياتٍ لَهُ قَدْ كَتَبناها في أشْعارِ يَوْمِ بَدْرٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فيها المُهاجِرُونَ والأنْصارُ، رَضِيَ الله عَنْهُمْ، لا يُرى مِنْهُمْ إلّا الحَدَقُ مِن الحَدِيدِ، فقالَ: سُبْحانَ الله: يا عَبّاسُ، مَنْ هَؤُلاءِ؟ قالَ: قُلْتُ: هذا رَسُولُ الله ﷺ في المُهاجِرِينَ والأنْصارِ، قالَ: ما لِأحَدٍ بِهَؤُلاءِ قِبَلٌ ولا طاقةٌ، واللهِ يا أبا الفَضْلِ لَقَدْ أصْبَحَ مُلْكُ ابنِ أخِيكَ الغَداةَ عَظِيمًا. قالَ: قُلْتُ: يا أبا سُفيانَ، إنَّها النُّبُوّةُ. قالَ: فنَعَمْ إذًا.

وَقَوْلُ بُدَيْلٍ: «حَمَشْتْهُمُ الحَرْبُ»، يُقالُ: حَمَشْتُ الرّجُلَ إذا أغْضَبْتَه، ويقال: حَمَشْتُ النّارَ أيْضًا أي: أوْقَدْتُها، وَيُقالُ: حَمَسْتُ بِالسِّينِ.

وَذَكَرَ عَبْدُ بنُ حُمَيْدٍ فِي إسْلامِ أبِي سُفْيانَ بنِ حَرْبٍ أنّ العَبّاسَ لَمّا احْتَمَلَهُ مَعَهُ إلى قُبّتِهِ، فَأصْبَحَ عِنْدَهُ، رَأى النّاسَ وَقَدْ ثارُوا إلى طَهُورِهم، فَقالَ أبُو سُفْيانَ: يا أبا الفَضْلِ ما لِلنّاسِ! أأُمِرُوا فِيّ بِشَيْءٍ؟ قالَ: لا، وَلَكِنّهُمْ قامُوا إلى الصّلاةِ، فَأمَرَهُ العَبّاسُ فَتَوَضّأ، ثُمّ انْطَلَقَ بِهِ إلى رسول الله ﷺ، فَلَمّا دَخَلَ النبيُّ ﷺ فِي الصّلاةِ كَبّرَ، فَكَبّرَ النّاسُ بِتَكْبِيرِهِ، ثُمّ رَكَعَ فَرَكَعُوا، ثُمّ رَفَعَ فَرَفَعُوا، فَقالَ أبُو سُفْيانَ: ما رَأيْتُ كاليَوْمِ طاعةً! قَوْمٌ جَمَعَهُمْ مِنْ هاهُنا وَهاهُنا، وَلا فارِس الأكارِمِ، وَلا الرُّوم ذات القُرُونِ بِأطْوَعَ مِنْهُمْ لَهُ.

وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ بنِ حُمَيْدٍ(١) أنّ أبا سُفْيانَ قالَ لِلنّبيِّ ﷺ ، حِينَ عَرَضَ عَلَيْهِ الإسْلامَ: كَيْفَ أصْنَعُ بالعُزّى؟ فَسَمِعَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنْ وَراءِ القُبّةِ، فَقالَ لَهُ: تخْرَأُ عَلَيْها، فَقالَ لَهُ أَبُو سُفْيانَ: وَيْحَك يا عُمَرُ! إنّك رَجُلٌ فاحِشٌ، دَعْنِي مَعَ ابنِ عَمّي، فَإِيّاهُ أُكَلِّمُ.

وَذَكَرَ قَوْلَ أَبِي سُفْيانَ: لَقَدْ أصْبَحَ مُلْكُ ابنِ أخِيك(٢) عَظِيمًا، وَقَوْلَ العَبّاسِ لَهُ: إنّها النّبُوّةُ.

قالَ شَيْخُنا أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللهُ: إنّما أنْكَرَ العَبّاسُ عَلَيْهِ أنْ ذَكَرَ المُلْكَ مُجَرَّدًا مِن النّبُوّةِ مَعَ أنّهُ كانَ فِي أوّلِ دُخُولِهِ فِي الإسْلامِ، وَإلّا فَجائِزٌ أنْ يُسَمّى [مِثْلُ](٣) هَذا مُلْكًا، وَإنْ كانَ لِنَبيٍّ(٤)؛ فَقَدْ قالَ الله سبحانه في داود: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ [ص: ٢٠]، وقال سليمانُ صلى الله عليهما وسلم: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥]، غَيْرَ أنّ الكَراهةَ(٥) أظْهَرُ فِي تَسْمِيةِ حالِ النّبيّ ﷺ مُلْكًا لِما جاءَ فِي الحَدِيثِ: أنّ رسول الله ﷺ خُيِّرَ بَيْنَ أنْ يَكُونَ نَبيًّا عَبْدًا، أوْ نَبيًّا مَلِكًا، فالتَفَتَ إلى جِبْرِيلَ صلى الله عليهما وسلم، فَأَشارَ إلَيْهِ أنْ تَوَاضَعْ، فَقالَ: «[بَلْ](٦) نَبيًّا عَبْدًا، أشْبَعُ يَوْمًا، وَأجُوعُ يَوْمًا». وَإنْكارُ العَبّاسِ على أبِي سُفْيانَ يُقَوِّي هَذا المَعْنى، وَأمْرُ الخلفاءِ

(١) في (ج)، (ص): «وفي حديث الحميدي أيضًا». وفي (ف): «وفي حديث عبد بن حميد أيضًا».

(٢) في (ب): «ابن عمك».

(٣) ليس في (أ).

(٤) في (ب): «للنبي».

(٥) في غير (ب)، (س): «الكراهية». وكلاهما صواب.

(٦) ليس في (ب).

الأربعةِ بعده يُكْرهُ أيضًا أنْ يُسَمّى مُلْكًا؛ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السّلامُ فِي حَدِيثٍ آخَرَ: «يَكُونُ بَعْدِي خُلَفاءُ، ثُمّ يَكونُ أُمَراءُ، ثُمّ يَكُونُ مُلُوكٌ، ثُمّ جبابرة»، ويُروى: «ثم يعودُ الأمرُ بَزْبزِيًّا»، وَهُوَ تَصْحِيفٌ، قالَ الخَطّابِيّ: إنّما هُوَ بِزِّيزى، أيْ: قَتْلٌ وَسَلْبٌ(١).

[رُجُوعُ أبي سُفيانَ إلى أهْلِ مَكّةَ يُحَذِّرُهُمْ]

قالَ: قُلْتُ: النَّجاءَ إلى قَوْمِكَ، حَتّى إذا جاءَهُمْ صَرَخَ بِأعلى صَوْتِهِ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، هذا مُحَمَّدٌ قَدْ جاءَكُمْ فيما لا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ، فمَنْ دَخَلَ دارَ أبي سُفيانَ فَهُوَ آمِنٌ، فقامَتْ إلَيْهِ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ، فأخَذَتْ بِشارِبِهِ فقالَتْ: اقْتُلُوا الحَمِيتَ الدَّسِمَ الأحْمَسَ، قُبِّحَ مِنْ طَلِيعةِ قَوْمٍ! قالَ: ويْلَكُمْ لا تَغُرَّنَّكُمْ هَذِهِ مِنْ أنْفُسِكُمْ؛ فإنَّهُ قَدْ جاءَكُمْ ما لا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ، فمَنْ دَخَلَ دارَ أبي سُفيانَ فهُوَ آمِنٌ. قالُوا: قاتَلَكَ اللهُ، وما تُغْنِي عَنّا دارُكَ؟! قالَ: ومَنْ أغْلَقَ عَلَيْهِ بابَهُ فهُوَ آمِنٌ، ومَنْ دَخَلَ المَسْجِدَ فهُوَ آمِنٌ. فتَفَرَّقَ النّاسُ إلى دُورِهِمْ وإلى المَسْجِدِ.

[وُصُولُ النَّبِيِّ إلى ذِي طُوى]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بنُ أبي بَكْرٍ؛ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمّا انْتَهى إلى ذِي طُوًى وقَفَ على راحِلَتِهِ مُعْتَجِرًا بِشُقّةِ بُرْدٍ حِبَرةٍ حَمْراءَ، وإنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لِيَضَعَ رَأْسَهُ تَواضُعًا للهِ حِينَ رَأى ما أكْرَمَهُ اللهُ بِهِ مِنَ الفَتْحِ، حَتّى إنَّ عُثْنُونَهُ لَيَكادُ يَمَسُّ واسِطةَ الرَّحْلِ.

(١) «غريب الحديث» للخطابي: (١: ١٤٥).

وَقَوْلُ هِنْدٍ: «اقْتُلُوا الحَمِيتَ الدَّسِمَ[١] الأحْمَسَ». الحَمِيتُ: الزِّقّ، نَسَبَتْهُ إلى الضِّخَمِ والسِّمَنِ. والأحْمَسُ: [الشَّديدُ. والأحمَسُ][٢] أيْضًا: الّذِي لا خَيْرَ عِنْدَهُ، مِنْ قَوْلِهِمْ: عامٌ أحْمَسُ: إذا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَطَرٌ، وَزادَ عَبْدُ بنُ حُمَيْدٍ فِي حَدِيثِهِ أنّها قالَتْ: يا آلَ غالِبٍ، اقْتُلُوا الأحْمَقَ، فَقالَ لَها أبُو سُفْيانَ: واللهِ لَتُسْلِمِنَّ أوْ لَأضْرِبَنّ عُنُقَكِ.

وَفِي إسْلامِ أبِي سُفْيانَ قَبْلَ هِنْدَ وَإسْلامِها[٣] قَبْلَ انْقِضاءِ عِدَّتِها، ثُمّ اسْتَقَرّا على نِكاحِهِما، وَكَذَلِكَ حَكِيمُ بنُ حِزامٍ مَعَ امْرَأتِهِ حُجّةٌ لِلشّافِعِيّ، فإنّهُ لَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ أنْ تُسلِم قبله، أو يُسلِمَ قبلها، ما دامتْ فِي العِدّةِ، وَفَرَّقَ مالِكٌ بَيْنَ المَسْألَتَيْنِ على ما فِي «المُوَطّأ» وَغَيْرِهِ[٤].

* * *

---

(١) في (أ): «الرسم»، وفي (ب): «الدهم».

(٢) عن (ص).

(٣) في (ح): «وفي إسلامها».

(٤) «الموطأ»: كتاب النكاح، باب نكاح المشرك إذا أسلمت زوجه قبله: (ص: ٥٤٣-٥٤٥).

[إسْلامُ أبي قُحافةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني يَحْيى بنُ عَبّادِ بنِ عَبْدِ الله بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أبيهِ، عَنْ جَدَّتِهِ أسماءَ بِنْتِ أبي بَكْرٍ، قالَتْ: لَمّا وقَفَ رَسُولُ الله ﷺ بِذِي طُوى قالَ أبو قُحافةَ لِابنةٍ مِنْ أصْغَرِ ولَدِهِ: أيْ بُنَيّةُ، اظْهَرِي بِي على أبي قُبَيْسٍ، قالَتْ: وقَدْ كُفَّ بَصَرُهُ، قالَتْ: فأشْرَفْتُ بِهِ عَلَيْهِ، فقالَ: أيْ بُنَيّةُ، ماذا تَرَيْنَ؟ قالَتْ: أرى سَوادًا مُجْتَمِعًا، قالَ: تِلْكَ الخَيْلُ، قالَتْ: وأرى رَجُلًا يَسْعى بَيْنَ يَدَيْ ذلك مُقْبِلًا ومُدْبِرًا، قالَ: أيْ بُنَيّةُ، ذلك الوازِعُ. يَعْنِي الَّذي يَأْمُرُ الخَيْلَ ويَتَقَدَّمُ إلَيْها، ثُمَّ قالَتْ: قَدْ واللهِ انْتَشَرَ السَّوادُ، قالَتْ: فقالَ: قَدْ واللهِ إذًا دُفِعَتِ الخَيْلُ، فأسْرِعِي بِي إلى بَيْتِي، فانْحَطَّتْ بِهِ، وتَلَقّاهُ الخَيْلُ قَبْلَ أنْ يَصِلَ إلى بَيْتِهِ.

قالَتْ: وفي عُنُقِ الجارِيةِ طَوْقٌ مِنْ ورِقٍ، فتَلَقّاها رَجُلٌ فيقْتَطِعُهُ مِنْ عُنُقِها، قالَتْ: فلَمّا دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ مَكّةَ، ودَخَلَ المَسْجِدَ، أتى أبو بَكْرٍ بِأبيهِ يَقُودُهُ، فلَمّا رَآهُ رَسُولُ الله ﷺ قالَ: «هَلّا تَرَكْتَ الشَّيْخَ في بَيْتِهِ حَتّى أكُونَ أنا آتِيهِ فيهِ؟» قالَ أبو بَكْرٍ: يا رَسُولَ الله، هُوَ أحَقُّ أنْ يَمْشِيَ إلَيْكَ مِنْ أنْ تَمْشِيَ إلَيْهِ أنْتَ، قالَ: قالَتْ: فأجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ مَسَحَ صَدْرَهُ، ثُمَّ قالَ لَهُ: «أسْلِمْ»، فأسْلَمَ. قالَتْ: فدَخَلَ بِهِ أبو بَكْرٍ وكَأنَّ رَأْسَهُ ثَغامةٌ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «غَيِّرُوا هذا مِنْ شَعَرِهِ»، ثُمَّ قامَ أبو بَكْرٍ فأخَذَ بِيَدِ أُخْتِهِ وقالَ: أُنْشِدُ اللهَ والإسْلامَ طَوْقَ أُخْتِي. فلَمْ يُجِبْهُ أحَدٌ، قالَتْ: فقالَ: أيْ أُخَيّةُ، احتَسِبِي طَوقَكِ، فواللهِ إنَّ الأمانةَ في النّاسِ اليَوْمَ لَقَلِيلٌ.

وَذَكَرَ إسْلامَ أبِي قُحافةَ، واسْمُهُ: عُثْمانُ بنُ عامِرٍ، واسْمُ أُمّهِ: قَيْلةُ بِنْتُ أذاةَ[١].

وَقَوْلُهُ لِبِنْتٍ لَهُ: وَهِيَ أصْغَرُ وَلَدِهِ، يُرِيدُ واللهُ أعْلَمُ أصْغَر أوْلادِهِ الّذِينَ لِصُلْبِهِ، وَأوْلادِهِمْ؛ لِأنّ أبا قُحافةَ لَمْ يَعِشْ لَهُ وَلَدٌ ذَكَرٌ إلّا أبُو بَكْرٍ، وَلا تُعْرَفُ[٢] لَهُ بِنْتٌ إلّا أُمُّ فَرْوةَ الّتِي أنْكَحَها أبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِن الأشْعَثِ بنِ قَيْسٍ[٣]، وَكانَتْ قَبْلَهُ تَحْتَ تَمِيمٍ الدّارِيّ، فَهِيَ هَذِهِ التي ذكر ابنُ إسْحاقَ واللهُ أعْلَمُ. وَقَدْ قِيلَ: كانَ[٤] له بنتٌ أُخرى تُسَمّى قُرَيْبَةَ[٥]، تَزَوّجَها قَيْسُ بنُ سَعْدِ بنِ عُبادةَ، فالمَذْكُورةُ فِي حَدِيثِ أبِي قُحافةَ هِيَ إحْدى هاتَيْنِ [على هَذا][٦]، واللهُ أعْلَمُ.

[وذكرَ أبا قُحافة][٧]، وَفِي الحَدِيثِ: «كأنَّ رَأْسَهُ ثَغامةٌ»، والثّغامُ مِنْ نَباتِ الجِبالِ، وَهُوَ مِن الجَنبةِ[٨]، وَأشَدُّ ما يَكُونُ بَياضًا إذا أمْحَلَ، والحَلِيُّ مِثْلُهُ يُشَبَّهُ بِهِ الشَّيْبُ، قالَ الرّاجِزُ[٩]:

وَلِمّتِي كَأنّها حَلِيَّهْ

---

(١) انظر: «جمهرة» ابن حزم: (ص: ١٣٦، ١٥٠).

(٢) في (ف): «يعرف».

(٣) «جمهرة» ابن حزم: (ص: ١٣٧).

(٤) في (ف): «كانت».

(٥) كذا ضبط في (ح). وفي غيرها بصيغة التكبير.

(٦) ليس في (ب).

(٧) عن (ص)، (ج).

(٨) في (ص): «الجيبة» وهو مصحف. وفي «اللسان» (جنب) عن أبي حنيفة: «الجَنبةُ: ما كان في نِبتته بين البقل والشجر».

(٩) الرجز في «اللسان» (حلا). وفيه عن «التهذيب»: «والحليّ: نبات بعينه، وهو من خير مراتع أهل البادية للنَّعَم والخيل».

وَقَوْلُ النّبِيِّ ﷺ فِي شَيْبِ أَبِي قُحافةَ: «غَيِّرُوا هَذا منه»، هُوَ على النّدْبِ، لا على الوُجُوبِ؛ لِما دَلَّ على ذَلِكَ مِن الأحادِيثِ عَنْهُ عَلَيْهِ السّلامُ أَنّهُ لَمْ يُغَيِّرْ شَيْبَهُ، وَقَدْ رُوِيَ مِنْ طَرِيقِ أَبِي هُرَيْرةَ أَنّهُ خَضَبَ.

وَقالَ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ الحَدِيثَيْنِ: إنّما كانَتْ شَيْباتٍ يَسِيرةً يُغَيِّرُها بِالطِّيبِ. وَقالَ أَنَسٌ: لَمْ يَبْلُغْ رسولُ الله ﷺ حَدَّ الخِضابِ[١]، وَفِي البُخارِيّ عَنْ عُثْمانَ ابنِ مَوْهَبٍ قالَ: [أَرَتْنِي أُمُّ سَلَمةَ شَعْرًا مِنْ شَعْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَفِيهِ أَيْضًا عَن ابنِ مَوْهَبٍ قالَ][٢]: بَعَثَنِي أَهْلِي بِقَدَحٍ إلى أمِّ سلمة، وذكر الحَدِيثَ[٣]، وَفِيهِ: «اطَّلَعْتُ فِي الجُلْجُلِ[٤] فَرَأَيْتُ شَعَراتٍ حُمرًا»، وهذا كلامٌ مُشكِلٌ، وشرحه في «مسند وَكِيعِ بنِ الجَرّاحِ» قالَ: كانَ جُلْجُلًا مِنْ فِضّةٍ صُنِعَ صِوانًا لِشَعَراتٍ كانَتْ عِنْدَهُمْ مِنْ شَعَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَإنْ قِيلَ: فَهَذا يَدُلُّ على أَنّهُ كانَ مَخْضُوبَ الشَّيْبِ، وَقَدْ صَحَّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ [وَغَيْرِهِ][٥]: أَنّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ السّلامُ بَلَغَ أَنْ يَخْضِبَ، إنّما كانَتْ شَمَطاتٍ تُعَدُّ.

فالجَوابُ: أَنّهُ لَمّا تُوُفِّيَ خَضَبَ مَنْ كانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنْ شَعْرِهِ تِلْكَ الشَّعَراتِ لِيَكُونَ أَبْقى لها[٦]، كذلك ذكر الدّارَقُطني فِي «أَسْماء رِجالِ المُوَطّأ» لَهُ.

---

(١) «فتح الباري»، كتاب اللباس: (١٠: ٣٥١-٣٥٢)، ومسلم، كتاب الفضائل: (٤: ١٨٢١).
(٢) سقط من (ب).
(٣) «فتح الباري»، كتاب اللباس: (١٠: ٣٥٢).
(٤) الجُلجُل: هو شبه الجرس، وقد تُنزع منه الحصاة التي تتحرك فيوضع فيه ما يحتاج إلى صيانته.
(٥) ليس في (ب).
(٦) في (ص): «له».

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يَخْضِبُ بالحِنَّاءِ والكَتَمِ[١]، وَكانَ عُمَرُ يَخْضِبُ بالصُّفْرةِ، وَكَذَلِكَ عُثْمانُ وَعَبْدُ اللهِ بنُ عُمَرَ، وَكانَ فِيهِمْ مَنْ يَخْضِبُ بالخِطْرِ[٢]، وَهي[٣] الوَسْمةُ، وَأَمّا الصُّفْرةُ فَكانَتْ مِن الوَرْسِ أَوِ الكُرْكُم، وَهُوَ الزَّعْفَرانُ، والوَرْسُ يَنْبُتُ[٤] باليَمَنِ، يُقالُ لِجَيِّدِهِ: بادِرةُ[٥] الوَرْسِ، وَمِنْ أَنْواعِهِ: العسف[٦] والحَبَشِيّ [وَهُوَ آخِرُهُ][٧]، وَيُقالُ مِنَ الحِنّاءِ: حَنَّأَ شَيْبَهُ ورَقَّنه، وَجَمْعُ الحِنّاءِ حِنّانٌ على غَيْرِ قِياسٍ، قالَ الشّاعِرُ[٨]: [من الكامل]

وَلَقَدْ أَرُوحُ بِلِمّةٍ فَيْنانةٍ سَوْداءَ قَدْ رَوِيَتْ مِن الحُنّانِ

[هكذا قالَ أبو حنيفةَ: إنه جمعُ حِنّاء، وهو[٩] عندي لُغةٌ في الحِنّاء لا جمعٌ له][١٠].

وَبَعْضُ أَهْلِ الحَدِيثِ يَزِيدُ على رِوايةِ ابنِ إسْحاقَ فِي شَيْبِ أَبِي قُحافةَ: «وَجَنِّبُوهُ السَّوادَ»، وَأَكْثَرُ العُلَماءِ على كَراهةِ الخِضابِ بِالسَّوادِ مِنْ أَجْلِ هَذا الحَدِيثِ، وَمِنْ أَجْلِ حَدِيثٍ آخَرَ جاء فيه النَّهْيُ والوَعِيدُ لِمَنْ خَضَبَ

---

(١) الكَتَمُ: نبت فيه حُمرة.

(٢) في «كتاب النبات» لأبي حنيفة: (ص: ١٨٠): والخِطْر والوسمة شيءٌ واحد. وكان قد نقل من قبل عن بعض الأعراب أنه شبيه بالكتم.

(٣) كذا في (ب)، (أ)، وفي غيرهما: «وهو». والتأنيث أفصح مراعاةً للخبر.

(٤) في (ص): «نبت».

(٥) في «كتاب النبات» (ص: ١٦٥): «أجود الورس البادرة، وهو الحديث النبات».

(٦) كذا في النسخ، ولم أجده.

(٧) ليس في (ص).

(٨) البيت في «كتاب النبات» (ص: ١٧٨).

(٩) في (ف): «وهي».

(١٠) مكانه في (ب)، (ص)، (ج): «من كتاب أبي حنيفة».

بِالسّوادِ[١].

[وَقِيلَ: إنَّ أوّلَ مَنْ خَضَبَ بِالسَّوادِ فِرْعَوْنُ][٢]، وَقِيلَ: [إنّ][٣] أوّلَ مَنْ خَضَبَ بِهِ مِن العَرَبِ عَبْدُ المُطَّلِبِ[٤].

وترخَّصَ[٥] قومٌ في الخِضابِ بالسَّوادِ، منهم عَلِيّ[٦]، وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ أَنّهُ قالَ: «اخْضِبُوا بِالسَّوادِ؛ فَإنّهُ أَنْكى[٧] لِلْعَدُوّ، وَأَحَبّ لِلنّساءِ». وَقالَ ابنُ بَطّالٍ فِي «الشّرْحِ»: إذا كانَ الرّجُلُ كَهْلًا لَمْ يَبْلُغِ الهَرَمَ جازَ لَهُ الخِضابُ بِالسَّوادِ؛ لِأنّ فِي ذَلِكَ ما قالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِن الإرْهابِ على العَدُوِّ والتّحَبُّبِ إلى النِّساءِ، وَأمّا إذا قَوَّس واحدودبَ فَحِينَئِذٍ يُكْرَهُ لَهُ السّوادُ، كَما قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أبِي قحافة: «غَيِّروا شَيبَه، وجَنِّبوه السَّواد».

* * *

(١) «سنن أبي داود»، كتاب الترجل: (٤: ٨٥).
(٢) سقط من (ب).
(٣) عن (ب).
(٤) انظر: «الأوائل» لأبي هلال العسكري: (ص: ٥٦-٥٧).
(٥) في (أ) وصلب (س): «ورخَّص»، وفي حاشيتها مثل باقي النسخ.
(٦) في (ب)، (ف): «منهم محمد بن علي».
(٧) في (ص): «أنكأ»، وفي (ح): «أنكى وأنكأ» معًا. يقال: نكأت العدو أنكؤهم: لغة في نكيتهم، أي: أصبتُ منه. وانظر «اللسان» (نكأ).

[دُخولُ جُيُوشِ المُسْلِمِينَ مَكّةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبي نَجِيحٍ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ حِينَ فرَّقَ جَيْشَهُ مِنْ ذِي طُوى، أمَرَ الزُّبَيْرَ بنَ العَوّامِ أنْ يَدْخُلَ في بَعْضِ النّاسِ مِنْ كُدى، وكانَ الزُّبَيْرُ على المُجَنِّبَةِ اليُسْرى، وأمَرَ سَعْدَ بنَ عُبادةَ أنْ يَدْخُلَ في بَعْضِ النّاسِ مِنْ كَداء.

فَصْلٌ

وذَكَرَ كَداء بِفَتْحِ الكافِ والمَدّ، وَهُوَ بِأعلى مَكّةَ، وَكُدَيًّا، وَهُوَ مِنْ ناحِيةِ عَرَفةَ، وَبِمَكّةَ مَوْضِعٌ ثالِثٌ يُقالُ له: كُدًى بِضَمِّ الكافِ والقَصْرِ، وَأنْشَدُوا فِي كَداءٍ وَكُدَيٍّ[1]: [من الخفيف]

أقْفَرَتْ بَعْدَ عَبْدِ شَمْسٍ كَداءُ فَكُـدَيٌّ فالرُّكْـنُ فالبَطْحـاءُ

والبَيْتُ لِابنِ قَيْسِ الرُّقَيّاتِ يَذْكُرُ[2] بَنِي عبدِ شمسِ بنِ عبدِ وُدٍّ العامِرِيِّينَ رَهْطَ سُهَيْلِ بنِ عَمْرٍو[3].

وَبِكَداء وَقَفَ إبْراهِيمُ عَلَيْهِ السّلامُ حِينَ دَعا لِذُرِّيّتِهِ بِالحَرَمِ، كَذَلِكَ رَوى سَعِيدُ بنُ جُبَيْرٍ عَن ابنِ عَبّاسٍ، قالَ[4]: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي

(١) في (ص): «في كدى وكداء».

(٢) في (ب): «يذكر فيه عبد شمس بن عبد ود العامري من رهط...».

(٣) «ديوانه» (ص: ٨٧).

(٤) في (أ)، (س): «فقال».

﴿إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، فاسْتُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ، وَقِيلَ[١] لَهُ: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ الآية [الحج: ٢٧]، ألا تَراهُ قال[٢]: يَأْتُوك، وَلَمْ يَقُلْ: يَأْتُونِي؛ لِأَنَّها اسْتِجابَةٌ لِدَعْوَتِهِ، فَمِنْ ثَمَّ ـ واللهُ أَعْلَمُ ـ اسْتَحَبَّ رسولُ الله ﷺ إذا أتى مكةَ أنْ يَدْخُلَها مِنْ كَداء[٣]؛ لِأَنَّهُ المَوْضِعُ الَّذِي دَعا فِيهِ إبْراهِيمُ بِأَنْ يَجْعَلَ أَفْئِدةً مِن النّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ.

* * *

(١) في (ص): «وأذن».

(٢) في (أ)، (ب): «ألا تراه يقول»، وفي (ح): «أنه قال».

(٣) «سنن أبي داود»، كتاب المناسك: (٢: ١٧٤).

[تَخَوُّفُ المُهاجِرِينَ على قُرَيْشٍ مِنْ سَعْدٍ، وما أمَرَ بِهِ الرَّسُولُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فزَعَمَ بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ أنَّ سَعْدًا حِينَ وُجِّهَ داخِلًا، قالَ: اليَوْمُ يَوْمُ المَلْحَمة، اليَوْمُ تُسْتَحَلُّ الحُرْمة، فسَمِعَها رَجُلٌ مِنَ المُهاجِرِينَ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: هُوَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ ـ فقالَ: يا رَسُولَ الله: اسْمَعْ ما قالَ سَعْدُ بنُ عُبادةَ، ما نَأْمَنُ أنْ يَكُونَ لَهُ في قُرَيْش صَولة، فقال رَسُولُ الله ﷺ لِعَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ: «أدْرِكْهُ فخُذِ الرّايةَ مِنْهُ فكُنْ أنْتَ الَّذي تَدْخُلُ بِها».

[طَرِيقُ المُسْلِمِينَ في دُخُولِ مَكّةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ حَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبي نَجِيحٍ في حَدِيثِهِ، أنَّ رَسُولَ الله ﷺ أمَرَ خالِدَ بنَ الوَلِيدِ، فدَخَلَ مِن اللِّيطِ أسْفَلَ مَكّةَ في بَعْضِ النّاسِ، وكانَ خالِدٌ على المُجَنِّبةِ اليُمْنى، وفيها أسْلَمُ وسُلَيْمٌ وغِفارٌ ومُزَيْنةُ وجُهَيْنةُ وقَبائِلُ مِنْ قَبائِلِ العَرَبِ. وأقْبَلَ أبو عُبَيْدةَ بنُ الجَرّاحِ بِالصَّفِّ مِن المُسْلِمِينَ يَنْصَبُّ لِمَكّةَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ، ودَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ أذاخِرَ، حَتّى نَزَلَ بِأعلى مَكّةَ، وضُرِبَتْ لَهُ هُنالِكَ قُبَّتُهُ.

وَذَكَرَ نَزْعَ الرّايةِ مِنْ سَعْدٍ حِينَ قالَ: «اليَوْمُ يَوْمُ المَلْحَمةِ»[1]. وَزادَ غَيْرُ ابنِ إسْحاقَ فِي الخَبَرِ أنَّ ضِرارَ بنَ الخَطّابِ قالَ يَوْمَئِذٍ شِعْرًا حِينَ سَمِعَ قَوْلَ سَعْدٍ اسْتَعْطَفَ فِيهِ رسولَ الله ﷺ على قُرَيْشٍ، وَهُوَ مِنْ أجْوَدِ شِعْرٍ

(١) أي: يوم الوقعة العظيمة القتل.

لَهُ[1]: [من الخفيف]

يا نَبِيّ الهُدى إليك لجا حيْ ... يُ قُرَيْشٍ، وَلاتَ حِينَ لَجاءِ
حِينَ ضاقَتْ عَلَيْهِمُ سَعةُ الأرْ ... ضِ وعاداهُمُ إلهُ السّماءِ
والتَقَتْ حَلْقَتا البِطانِ على القَوْ ... مِ وَنُودُوا بِالصَّيْلَمِ الصَّلْعاءِ[2]
إنّ سَعْدًا يُرِيدُ قاصمةَ الظَّهـ ... رِ بِأَهْلِ الحَجُونِ والبَطْحاءِ
خَزْرَجِيٌّ لَوْ يستطيعُ من الغيـ ... ظِ رَمانا بِالنَّسْرِ والعَوّاءِ
فَلَئِنْ أَقْحَمَ اللِّواءَ وَنادى ... يا حُماةَ اللِّواءِ أَهْلَ اللِّواءِ
لَتَكُونَنّ بِالبِطاحِ[3] قُرَيشٌ ... فِقْعة القاعِ في أَكُفِّ الإماءِ

فَحِينَئِذٍ انْتَزَعَ رسولُ الله ﷺ الرّايةَ مِنْ سَعْدِ بنِ عُبادةَ فِيما ذَكَرُوا، واللهُ أعْلَمُ.

وَمَدَّ فِي [هَذا][4] الشِّعْرِ «العَوّاءَ»، وَأَنْكَرَ الفارِسِيُّ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ مَدّها، وَقالَ: لَوْ مُدَّتْ لَقِيلَ فِي مدِّها[5]: العَيّاءُ، كَما قِيلَ فِي العَلْياءِ؛ لِأَنّها لَيْسَتْ بِصِفةٍ كالعَشْواءِ، قالَ: وَإنّما هِيَ مَقْصُورةٌ كالشَّرْوى والنَّجْوى، وغَفَلَ عَنْ وَجْهٍ ذَكَرَهُ أَبُو عَلِيٍّ القالِي؛ فَإنّهُ قالَ: مَن مَدَّ العَوّاءَ فَهِيَ عِنْدَهُ فَعّالٌ مِنْ عَوَيْتُ الشَّيءَ إذا

(١) انظر الأبيات في «سبل الهدى والرشاد» للصالحي: (٥: ٣٣٥-٣٣٦).

(٢) البطان للقتب: الحزام الذي يُجعل تحت بطن البعير. يقال للأمر إذا اشتد: التقت حلقتا البطان. والصيلم: الداهية. والصلعاء: الداهية الشديدة.

(٣) في (ج)، (س): «بالبطحاء». والبطحا ـ بالقصر: المنبسط من الأرض. فهل مده الشاعر ضرورة؟ والفِقَعة ـ بكسر ففتح ـ: جمع فِقْع؛ بكسر الفاء وفتحها. وسكّن عين الجمع ضرورة. ويشبَّه الرجل الذليل بالفقع، وهو الأبيض الرخو من الكمأة، وهو أردؤها.

(٤) ليس في (ب).

(٥) «في مدها» مكانها في (ف): «فيها».

لويتَ طَرَفه، وَهَذا حَسَنٌ جِدًّا لا سِيّما وَقَدْ صَحّ مَدُّها فِي الشِّعْرِ الّذِي تَقَدَّمَ[١] وَغَيْرِهِ، والأَصَحُّ فِي مَعْناها: أنّ العَوّاءَ [مِن العُوّةِ][٢]، والعُوّةُ هِيَ الدُّبُرُ، فَكَأَنّهُمْ سَمَّوْها بِذَلِكَ لِأَنّها دُبُرُ الأَسَدِ مِن البُرُوجِ.

[تَعَرُّضُ صَفْوانَ فِي نَفَرٍ مَعَهُ لِلْمُسْلِمِينَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبي نَجِيحٍ وعَبْدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ، أنَّ صَفْوانَ بنَ أُمَيّةَ وعِكْرِمةَ بنَ أبي جَهْلٍ وسُهَيْلَ بنَ عَمْرٍو كانُوا قَدْ جَمَعُوا ناسًا بِالخَنْدَمةِ لِيُقاتِلُوا، وقَدْ كانَ حِماسُ بنُ قَيْسِ بنِ خالِدٍ، أخُو بَنِي بَكْرٍ، يُعِدُّ سِلاحًا قَبْلَ دُخُولِ رَسُولِ الله ﷺ، ويُصْلِحُ مِنْهُ، فقالَتْ لَهُ امْرَأته: لماذا تُعِدُّ ما أرى؟ قالَ: لِمُحَمَّدٍ وأصْحابِهِ، قالَتْ: والله ما أراهُ يَقُومُ لِمُحَمَّدٍ وأصْحابِهِ شَيْءٌ، قالَ: والله إنِّي لَأَرْجُو أنْ أُخْدِمَكِ بَعْضَهُمْ، ثُمَّ قالَ:

إنْ يُقْبِلُوا اليَوْمَ فما لِي عِلَّهْ ... هذا سِلاحٌ كامِلٌ وألَّهْ

وَذُو غِرارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَّهْ

ثُمَّ شَهِدَ الخَنْدَمةَ مَعَ صَفْوانَ وسُهَيْلٍ وعِكْرِمةَ، فلَمّا لَقِيَهُمُ المُسْلِمُونَ مِنْ أصْحابِ خالِدِ بنِ الوَلِيدِ، ناوَشُوهُمْ شَيْئًا مِنْ قِتالٍ، فقُتِلَ كُرْزُ بنُ جابِرٍ، أحَدُ بَنِي مُحارِبِ بنِ فِهْرٍ، وخُنَيْسُ بنُ خالِدِ بنِ رَبِيعةَ بنِ أصْرَمَ، حَلِيفُ بَنِي مُنْقِذٍ، وكانا في خَيْلِ خالِدِ بنِ الوَلِيدِ فشَذّا عَنْهُ فسَلَكا طَرِيقًا غَيْرَ طَرِيقِهِ فقُتِلا جَمِيعًا، قُتِلَ خُنَيسُ بنُ خالِدٍ قَبْلَ كُرْزِ بنِ جابِرٍ، فجَعَلَهُ كُرْزُ بنُ جابِرٍ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ قاتَلَ عَنْهُ حَتّى قُتِلَ، وهُوَ يَرْتَجِزُ ويَقُولُ:

---

(١) في (ف): «تقدم ذكره».

(٢) سقط من (ص).

قَدْ عَلِمَتْ صَفْراءُ مِنْ بَنِي فِهِرْ نَقِيّـةُ الوَجْهِ نَقِيّـةُ الصَّدِرْ
لَأَضْرِبَنَّ اليَوْمَ عَنْ أبي صَخِرْ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وكانَ خُنَيْسٌ يُكْنى أبا صَخْرٍ، قالَ ابنُ هِشامٍ: خُنَيْسُ ابنُ خالِدٍ، مِنْ خُزاعةَ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ خُنَيْسَ بنَ خالِدٍ، وَقَوْلُ ابنِ هِشام: خُنَيْسٌ مِنْ خُزاعةَ، لَمْ يَخْتَلِفُوا عَنِ ابنِ إسْحاقَ أنّهُ خُنَيْسٌ بالخاءِ المَنْقُوطةِ والنُّونِ، وَأكْثَرُ مَنْ ألّفَ فِي[1] المُؤْتَلِفِ والمُخْتَلِفِ يَقُولُ: حُبَيشٌ بالحاءِ المُهْمَلةِ والباءِ والشِّينِ المَنْقُوطةِ، وَكَذلِكَ فِي حاشِيةِ الشَّيْخِ عَنْ أبِي الوَلِيدِ أنّ الصّوابَ فِيهِ حُبَيْشٌ[2]، وَأبُوهُ خالِدٌ هُوَ الأشْعَرُ ابنُ حُنَيْفٍ، وَقَدْ رَفَعْنا نَسَبَهُ عِنْدَ ذِكْرِ أُمّ مَعْبَدٍ؛ لِأنّها بِنْتُهُ، وَهُوَ بِالشّينِ المَنْقُوطةِ، وَأمّا الأسْعَرُ بِالسّينِ المُهْمَلةِ، فَهُوَ الأسْعَرُ الجُعْفِيّ [الشاعر، واسْمُهُ: مَرْثَدُ بنُ حمران][3]، وَسُمِّيَ الأسْعَرَ لِقَوْلِهِ[4]: [من الطويل]

فَلا يَدْعُنِي قَوْمِي لِسَعْدِ بنِ مالِكٍ لَئِنْ أنا لَمْ أسْـعَرْ عَلَيْهِمْ وَأُثْقِبِ

[يَعْنِي بِمالِكٍ: مَذْحِجَ][5].

وَذَكَرَ الرّجَزَ الّذِي لِكُرْزٍ، وهو:

(١) في (ف): «في هذا».

(٢) انظر: «المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (٢: ٦٨٥).

(٣) عن (ب)، (ص). وفي (ص): «مزيد». انظر: «سمط اللآلي» (١: ٩٤).

(٤) البيت في «السمط» (١: ٩٤).

(٥) سقط من (ب). وفي (ج)، (ص): «مالك مذحجا».

قَدْ عَلِمَــتْ صَفْراءُ مِنْ بَنِي فِهِرْ

أشارَ [بِقَوْلِهِ][(١)]: صَفْراء إلى صُفْرةِ الخَلُوقِ، وَقِيلَ: بَلْ أرادَ مَعْنى قَوْلِ امْرِئِ القَيْسِ[(٢)]: [من الطويل]

[كَبِكْرٍ مُقاناةِ البَياض بِصُفْرةٍ

وَكَقَوْلِ الأعْشى][(٣)]: [من مجزوء الكامل]

حَمْراء غُدْوَتها، وصفـ راءُ العَشِـيّةِ كالعَرارةْ

وَقَوْلُهُ: «مِنْ بَنِي فِهِرْ» بِكَسْرِ الهاءِ، وَكَذَلِكَ «الصَّدِرْ» فِي البَيْتِ الثّانِي، و«أبي صَخِرْ»، هَذا على مَذْهَبِ العَرَبِ فِي الوَقْفِ على ما أوْسَطُهُ ساكِنٌ، فَإنّ مِنْهُمْ مَنْ يَنْقُلُ حَرَكَةَ لامِ الفِعْلِ إلى عَيْنِ الفِعْلِ فِي الوَقْفِ، وذلك إذا كان الاسمُ مَرْفُوعًا أوْ مَخْفُوضًا، وَلا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي النّصْبِ، وَعِلَلُهُ مُسْتَقْصاةٌ فِي النّحْوِ[(٤)].

وَذَكَرَ خَبَرَ حِماسٍ وَقَوْلَ امْرَأتِهِ: «لِماذا تُعِدُّ السّلاحَ؟»، بِإثْباتِ الألِفِ، وَلا يَجُوزُ حَذْفُها مِنْ أجْلِ تَرْكِيبِ «ذا»[(٥)] مَعَها، والمَعْرُوفُ فِي «ما» إذا كانَتِ اسْتِفْهامًا مَجْرُورةً أنْ يُحْذَفَ مِنْها الألِفُ، فَيُقالُ: لِمَ، وَبِمَ، قالَ ابنُ السّرّاجِ: «الدّليلُ على أنّ (ذا) جُعِلَتْ مَعَ (ما) اسْمًا واحِدًا أنّهم اتّفَقُوا على إثْباتِ

---

(١) ليس في (ب).

(٢) «ديوانه» (٤٣)، وعجزه:

«غذاها نَمِير الماء غير المحلَّل»

(٣) سقط من (ح). وفي (ص): «وكقول الشاعر وهو الأعشى». والبيت في ديوانه.

(٤) انظر: «الكتاب» (٤: ١٧٣) وفيه: «بيضاء ضحوتها».

(٥) في (ج)، (ص): «تركيب ما مع ذا».

الألِفِ مَعَ حَرْفِ الجرّ، فَيَقُولُونَ: لِماذا فَعَلْت، وَبِماذا جِئْت؟»[١]، وَهُوَ مَعْنى قَوْلِ سِيبَوَيْهِ[٢].

وَقَوْلُهُ: [من الرجز]

وَذُو[٣] غِرارَيْنِ سَرِيعُ السِّلَّهْ

بِكَسْرِ السِّينِ هُوَ[٤] الرِّوايةُ، يُرِيدُ الحالةَ مِنْ سَلِّ السَّيْفِ، وَمَنْ أرادَ المَصْدَرَ فَتَحَ.

* * *

(١) «الأصول» (٢: ٢٦٤).

(٢) انظر: «الكتاب» (٢: ٤١٧-٤١٨)، (٤: ١٦٤).

(٣) في (ب): «وذي».

(٤) في (ف): «هي».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بنُ أبي نَجِيحٍ وعَبْدُ اللهِ بنُ بَكْرٍ، قالا: وأُصِيبَ مِنْ جُهَيْنَةَ سَلَمَةُ بنُ المَيْلاءِ، مِنْ خَيْلِ خالِدِ بنِ الوَلِيدِ، وأُصِيبَ مِنَ المُشْرِكِينَ ناسٌ قَرِيبٌ مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، أوْ ثَلاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، ثُمَّ انْهَزَمُوا، فخَرَجَ حِماسٌ مُنْهَزِمًا حَتّى دَخَلَ بَيْتَهُ، ثُمَّ قالَ لِامْرَأَتِهِ: أَغْلِقِي عَلَيَّ بابِي، قالَتْ: فأيْنَ ما كُنْتَ تَقُولُ؟ فقالَ:

إنَّكِ لَوْ شَهِدْتِ يَوْمَ الخَنْدَمَهْ ... إذْ فَرَّ صَفْوانُ وفَرَّ عِكْرِمَهْ
وَأبو يَزِيدَ قائِمٌ كالمُوتِمَهْ ... واسْتَقْبَلَتْهُمْ بِالسُّيُوفِ المُسْلِمَهْ
يَقْطَعْنَ كُلَّ ساعِدٍ وجُمْجُمَهْ ... ضَرْبًا فلا يُسْمَعُ إلّا غَمْغَمَهْ
لَهُمْ نَهِيتٌ خَلْفَنا وهَمْهَمَهْ ... لَمْ تَنْطِقِي في اللَّوْمِ أدْنى كَلِمَهْ

قالَ ابنُ هِشامٍ: أنْشَدَنِي بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ قَوْلَهُ: «كالمُوتَمَهْ»، وتُرْوى لِلرَّعّاشِ الهُذَلِيِّ.

وَقَوْلُهُ: [من الرجز]

وَأبُو يَزِيدَ قائِمٌ كالمُؤْتِمَهْ

يُرِيدُ: المَرْأَةَ[1] لَها أيْتامٌ. والأعْرَفُ فِي مِثْلِ هَذا: مُؤْتِم، مثل: مُطْفِل، وَجَمْعُها: مَياتِم. وَقالَ ابنُ إسْحاقَ[2] [فِي غيرِ هذِهِ الرِّوايةِ: المُؤتمة:

(١) في (أ)، (ج)، (ص): «امرأة».
(٢) في (ص) وحدها: «غير ابن إسحاق».

الأسطوانةُ، وَهُوَ تَفْسِيرٌ غَرِيبٌ، وَهُوَ أَصَحُّ مِن التَّفْسِيرِ الأوّلِ؛ لِأَنَّهُ تَفْسِيرُ راوي الحَدِيثِ، فَعلى قَوْلِ ابنِ إسْحاقَ هَذا][1] يَكُونُ لَفْظُ المُؤتِمةِ مِنْ قَوْلِهِمْ: وَتَمَ وَأَتَمَ إذا ثَبَتَ؛ لِأَنّ الأُسْطُوانَةَ تُثْبِتُ ما عَلَيْها، وَيُقالُ فِيها على هذا: مُؤتِمة بِالهَمْزِ، وَتُجْمَعُ مَآتِم، وَمُوتِمة[2] بِلا هَمْزٍ[3]، وَتُجْمَعُ: مَواتِم.

وَقَوْلُهُ: «وابُو يَزِيدَ» بِقَلْبِ الهَمْزةِ مِنْ «أَبُو» أَلِفًا ساكِنةً فِيهِ[4] حُجّةٌ لمذهب ورشٍ[5] حَيْثُ أَبْدَلَ الهَمْزَةَ أَلِفًا ساكِنةً وَهِيَ مُتَحَرِّكةٌ، وَإنّما قِياسُها عِنْدَ النّحْوِيِّينَ أَنْ تَكُونَ بَيْنَ بَيْنَ.

وَمِثْلُ قَوْلِهِ: «وابُو يَزِيدَ» قَوْلُ الفَرَزْدَقِ[6]: [من الكامل]

فارْعَي فَزارةُ لا هَناكِ المَرْتَعُ

وَإنّما هُوَ «هَنَأَكِ» بِالهَمْزِ وَتَسْهِيلِها بَيْنَ بَيْنَ، فَقَلْبُها أَلِفًا على غَيْرِ القِياسِ المَعْرُوفِ فِي النّحْوِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ فِي المِنْساةِ[7]، وَهِيَ العَصا، وَأَصْلُها الهَمْزُ[8]؛ لِأَنّها مِفْعَلةٌ مِنْ نَسَأْتُ، وَلَكِنّها فِي التّنْزِيلِ كَما تَرى.

---

(١) سقط من (ب).

(٢) انظر: «تاج العروس» (أتم)، و(تم).

(٣) في (ص): «وبلا همز».

(٤) في (ج)، (ص): «فيها».

(٥) أبو سعيد عثمان بن سعيد، وُلد بمصر سنة (١١٠هـ)، وبها توفي سنة (١٩٧هـ)، وقرأ على نافع. انظر: «الإقناع» (١: ٥٧-٥٨). وقرأ نافع وابن عامر: «سال» بإبدال الهمزة ألفًا، كما في «الإقناع» (١: ٣٩٩)، وانظر: «كتاب» سيبويه: (١: ٥٤٢).

(٦) ديوانه: (١: ٤٠٨). وصدره:

«ومضت لمسلمةَ الركابُ مُوَدَّعا»

(٧) الآية ١٤ من سورة سبأ. وبالألف قرأ نافع وأبو عمرو. «الإقناع» (٢: ٧٣٩).

(٨) في (ص): «الهمزة».

وَأَبُو يَزِيدَ الَّذِي عَنى فِي هَذا البَيْتِ: هُوَ سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو خَطِيبُ قُرَيْشٍ.

وَقَوْلُهُ: «لَهُمْ نَهِيتٌ»: النَّهِيتُ: صَوْتُ الصَّدْرِ، وَأَكْثَرُ ما تُوصَفُ بِهِ الأُسْدُ، قالَ ابنُ الأَسْلَتِ[1]: [من الرجز]

كَأَنَّهُمْ أُسْدٌ لَدى أَشْبُلٍ يَنْهِتْنَ فِي غِيلٍ وأجزاعِ

والغَمْغَمَةُ[2]: أصْواتٌ غَيْرُ مَفْهُومةٍ[3] مِن اخْتِلاطِها.

* * *

(١) البيت في «المفضليات» (٢٨٥). يَنْهتنَ: يزأرنَ. الغيل: الأجمة. والأجزاع: جمع جِزْع، وهو الجانب.

(٢) كذا في النسخ، وفي «السيرة»: «وهمهمة».

(٣) في (ب): «لا تفهم».

[شِعارُ المُسْلِمِينَ يَوْمَ الفَتْحِ وحُنَيْنٍ والطّائِفِ]

وكانَ شِعارُ أصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ فتْحِ مَكّةَ وحُنَيْنٍ والطّائِفِ؛ شِعارُ المُهاجِرِينَ: يا بَنِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وشِعارُ الخَزْرَجِ: يا بَنِي عَبْدِ اللهِ، وشِعارُ الأوْسِ: يا بَنِي عُبَيْدِ اللهِ.

[عَهْدُ الرَّسُولِ إلى أُمَرائِهِ وأمْرُهُ بِقَتْلِ نَفَرٍ سَمّاهُمْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ عَهِدَ إلى أُمَرائِهِ مِن المُسْلِمِينَ، حِينَ أمَرَهُمْ أنْ يَدْخُلُوا مَكّةَ، ألا يُقاتِلُوا إلّا مَنْ قاتَلَهُمْ، إلّا أنَّهُ قَدْ عَهِدَ في نَفَرٍ سَمّاهُمْ أمَرَ بِقَتْلِهِمْ وإنْ وُجِدُوا تَحْتَ أسْتارِ الكَعْبةِ، مِنْهُمْ عَبْدُ اللهِ بنُ سَعْدٍ، أخُو بَنِي عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ.

[سَبَبُ أمْرِ الرَّسُولِ بِقَتْلِ عبدِ اللهِ سَعْدٍ، وشَفاعةُ عُثْمانَ فيهِ]

وَإنّما أمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَتْلِهِ لِأنَّهُ قَدْ كانَ أسْلَمَ، وكانَ يَكْتُبُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ الوَحْيَ، فارْتَدَّ مُشْرِكًا راجِعًا إلى قُرَيْشٍ، ففَرَّ إلى عُثْمانَ بنِ عَفّانَ، وكانَ أخاهُ لِلرَّضاعةِ، فغَيَّبَهُ حَتّى أتى بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعْدَ أنِ اطْمَأنَّ النّاسُ وأهْلُ مَكّةَ، فاسْتَأْمَنَ لَهُ، فزَعَمُوا أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَمَتَ طَوِيلًا، ثُمَّ قالَ: «نَعَمْ»، فلَمّا انْصَرَفَ عَنْهُ عُثْمانُ قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنْ أصْحابِهِ: «لَقَدْ صَمَتُّ لِيَقُومَ إلَيْهِ بَعْضُكُمْ فيضْرِبَ عُنُقَهُ». فقالَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصارِ: فهَلّا أوْمَأْتَ إلَيَّ يا رَسُولَ اللهِ؟ قالَ: «إنَّ النَّبِيَّ لا يَقْتُلُ بِالإشارةِ».

قالَ ابنُ هِشامٍ: ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْدُ، فوَلّاهُ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ بَعْضَ أعْمالِهِ، ثُمَّ ولّاهُ عُثْمانُ بنُ عَفّانَ بَعْدَ عُمَرَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وعَبْدُ اللهِ بنُ خَطَلٍ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَيْمِ بنِ غالِبٍ، إنَّما أمَرَ بِقَتْلِهِ أنَّهُ كانَ مُسْلِمًا، فبَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُصَدِّقًا، وبَعَثَ مَعَهُ رَجُلًا مِن الأنْصارِ، وكانَ مَعَهُ مَوْلى لَهُ يَخْدُمُهُ، وكانَ مُسْلِمًا، فنَزَلَ مَنْزِلًا، وأمَرَ المَوْلى أنْ يَذْبَحَ لَهُ تَيْسًا فيصْنَعَ لَهُ طَعامًا، فنامَ، فاسْتَيْقَظَ ولَمْ يَصْنَعْ لَهُ شَيْئًا، فعَدا عَلَيْهِ فقَتَلَهُ، ثُمَّ ارْتَدَّ مُشْرِكًا.

[أَسماءُ مَنْ أمَرَ الرَّسُولُ بِقَتْلِهِمْ وسَبَبُ ذلك]

وَكانَتْ لَهُ قَيْنَتانِ: فَرْتَنى وصاحِبَتُها، وكانَتا تُغَنِّيانِ بِهجاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فأمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَتْلِهما مَعَهُ.

والحُوَيْرِثُ بنُ نُقَيْذِ بنِ وهْبِ بنِ عَبْدِ بنِ قُصَيٍّ، وكانَ مِمَّنْ يُؤْذِيهِ بِمَكَّةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وكانَ العَبّاسُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ حَمَلَ فاطِمَةَ وأُمَّ كُلْثُومٍ، ابنَتَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ يُرِيدُ بِهِما المَدِينَةَ، فنَخَسَ بِهِما الحُوَيْرِثُ ابن نُقَيْذٍ، فرَمى بِهِما إلى الأرْضِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِقْيَسُ بنُ صُبابَةَ، وإنَّما أمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَتْلِهِ، لِقَتْلِ الأنْصارِيِّ الَّذي كانَ قَتَلَ أخاهُ خَطأً، ورُجُوعِهِ إلى قُرَيْشٍ مُشْرِكًا.

وسارةُ، مَوْلاةٌ لِبَعْضِ بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ، وعِكْرِمةُ بنُ أبي جَهْلٍ. وكانَتْ سارةُ مِمَّنْ يُؤْذِيهِ بِمَكَّةَ، فأمّا عِكْرِمةُ فهَرَبَ إلى اليَمَنِ، وأسْلَمَتِ امْرَأتُهُ أُمُّ حَكِيمٍ بِنْتُ الحارِثِ بنِ هِشامٍ، فاسْتَأْمَنَتْ لَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فأمَّنَهُ، فخَرَجَتْ في طَلَبِهِ إلى اليَمَنِ، حَتّى أتَتْ بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فأسْلَمَ.

وَأَمّا عَبْدُ الله بنُ خَطَلٍ، فقَتَلَهُ سَعِيدُ بنُ حُرَيْثٍ المَخْزُومِيُّ وأبو بَرْزَةَ الأَسْلَمِيُّ، اشْتَرَكا في دَمِهِ، وأمّا مِقْيَسُ بنُ حُبابةَ فقَتَلَهُ نُمَيْلةُ بنُ عَبْدِ الله؛ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فقالَتْ أُخْتُ مِقْيَسٍ في قَتْلِهِ:

لَعَمْرِي لَقَدْ أخْزى نُمَيْلةُ رَهْطَهُ ... وفَجَّعَ أضْيافَ الشِّتاءِ بِمِقْيَسِ
فَلله عَيْنا مَنْ رَأى مِثْلَ مِقْيَسٍ ... إذا النُّفَساءُ أصْبَحَتْ لَمْ تُخَرَّسِ

وَأَمّا قَيْنَتا ابنِ خَطَلٍ فقُتِلَتْ إحْداهُما، وهَرَبَتِ الأُخْرى، حَتّى اسْتُؤْمِنَ لَهَا رَسُولُ الله ﷺ بَعْدُ فأمَّنَها. وأمّا سارةُ فاسْتُؤْمِنَ لَها فأمَّنَها، ثُمَّ بَقِيَتْ حَتّى أَوْطَأَها رَجُلٌ مِن النّاسِ فرَسًا في زَمَنِ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ بِالأَبْطَحِ فقَتَلَها.

وَأَمّا الحُوَيْرِثُ بنُ نُقَيْذٍ فقَتَلَهُ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ.

[حَدِيثُ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ أمَّنَتْهُما أُمُّ هانِئٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي سَعِيدُ بنُ أبي هِنْدَ، عَنْ أبي مُرّةَ، مَوْلى عَقِيلِ ابنِ أبي طالِبٍ، أنَّ أمَّ هانِئٍ بنتَ أبي طالِبٍ قالَتْ: لَمّا نَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ بِأعلى مَكّةَ، فرَّ إلَيَّ رَجُلانِ مِنْ أحْمائِي، مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ، وكانَتْ عِنْدَ هُبَيْرَةَ ابنِ أبي وهْبٍ المَخْزُومِيِّ، قالَتْ: فدَخَلَ عَلَيَّ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ أخِي، فقالَ: واللهِ لَأَقْتُلَنَّهُما، فأغْلَقْتُ عَلَيْهِما بابَ بَيْتِي، ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ الله ﷺ وهُوَ بِأعلى مَكّةَ، فوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ مِنْ جَفْنةٍ إنَّ فيها لَأَثَرَ العَجِينِ، وفاطِمةُ ابنَتُهُ تَسْتُرُهُ بِثَوْبِهِ، فلَمّا اغْتَسَلَ أخَذَ ثَوْبَهُ فتَوَشَّحَ بِهِ، ثُمَّ صَلّى ثَمانِيَ رَكَعاتٍ مِنَ الضُّحى ثُمَّ انْصَرَفَ إلَيَّ، فقالَ: مَرْحَبًا وأهْلًا يا أُمَّ هانِئٍ، ما جاءَ بِكِ؟ فأخْبَرْتُهُ خَبَرَ الرَّجُلَيْنِ وخَبَرَ عَلِيٍّ، فقالَ: قَدْ أجَرْنا مَنْ أجَرْتِ، وأمَّنّا مَنْ أمَّنْتِ، فلا يَقْتُلْهُما.

قالَ ابنُ هِشامٍ: هُما الحارِثُ بنُ هِشامٍ، وزُهَيْرُ بنُ أبي أُمَيّةَ بنِ المُغِيرةِ.

[طَوافُ الرَّسُولِ بِالبَيْتِ وكَلِمَتُهُ فيهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُبَيْدِ الله ابنِ عَبْدِ الله بن أبي ثَوْرٍ، عَنْ صَفيةَ بِنْتِ شَيْبَةَ، أنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمّا نَزَلَ مَكّةَ، واطْمَأنَّ النّاسُ، خَرَجَ حَتّى جاءَ البَيْتَ، فطافَ بَهْ سَبْعًا على راحِلَتِهِ، يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ بِمِحْجَنٍ في يَدِهِ، فلَمّا قَضى طَوافَهُ دَعا عُثْمانَ بنَ طَلْحةَ، فأخَذَ مِنْهُ مِفْتاحَ الكَعْبةِ، ففُتِحَتْ لَهُ، فدَخَلَها، فوَجَدَ فيها حَمامةً مِنْ عِيدانٍ، فكَسَرَها بِيَدِهِ، ثُمَّ طَرَحَها، ثُمَّ وقَفَ على بابِ الكَعْبةِ وقَدِ استكَفَّ لَهُ النّاسُ في المَسْجِدِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قامَ على بابِ الكَعْبةِ، فقالَ: «لا إلَهَ إلّا الله وحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، صَدَقَ وعْدَهُ، ونَصَرَ عَبْدَهُ، وهَزَمَ الأحْزابَ وحْدَهُ، ألا كُلُّ مَأْثُرةٍ أوْ دَمٍ أوْ مالٍ يُدَّعى فهُوَ تَحْتَ قَدَمَيَّ هاتَيْنِ إلّا سِدانةَ البَيْتِ وسِقايةَ الحاجِّ، ألا وقَتِيلُ الخَطَأِ شِبْهِ العَمْدِ بِالسَّوْطِ والعَصا، ففيهِ الدّية مُغَلّظة، مئة مِن الإبِلِ، أرْبَعُونَ مِنْها في بُطُونِها أوْلادُها. يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إنَّ الله قَدْ أذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوةَ الجاهِلِيّةِ، وتَعَظُّمَها بِالآباءِ، النّاسُ مِنْ آدَمَ، وآدَمُ مِنْ تُرابٍ». ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣] الآيَةَ كُلَّها.

ثُمَّ قالَ: «يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، ما تُرَوْنَ أنِّي فاعِلٌ فيكُمْ؟». قالُوا: خَيْرًا، أخٌ كَرِيمٌ، وابنُ أخٍ كَرِيمٍ. قالَ: «اذْهَبُوا فأنْتُمُ الطُّلَقاءُ».

[إقْرارُ الرَّسُولِ ابنَ طَلْحةَ على السَّدانةِ]

ثُمَّ جلَسَ رَسُولُ الله ﷺ في المَسْجِدِ، فقامَ إلَيْهِ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ ومِفْتاحُ الكَعْبةِ في يَدِهِ، فقالَ: يا رَسُولَ الله، اجْمَعْ لَنا الحِجابةَ مَعَ السِّقايةِ صَلّى الله عَلَيْكَ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أيْنَ عُثْمانُ بنُ طَلْحةَ؟» فدُعِيَ لَهُ، فقالَ: «هاكَ مِفْتاحَكَ يا عُثْمانُ، اليَوْمُ يَوْمُ بِرٍّ ووَفاءٍ».

قالَ ابنُ هِشامٍ: وذَكَرَ سُفيانُ بنُ عُيَيْنةَ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ لِعَلِيٍّ: «إنَّما أُعْطِيكُمْ ما تُرْزَؤُونَ لا ما تَرْزَؤُونَ».

[أمْرُ الرَّسُولِ بِطَمْسِ ما بِالبَيْتِ مِنْ صُوَرٍ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وحَدَّثَنِي بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ، أنَّ رَسُولَ الله ﷺ دَخَلَ البَيْتَ يَوْمَ الفَتْحِ، فرَأى فيهِ صُوَرَ المَلائِكةِ وغَيْرِهِمْ، فرَأى إبْراهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ مُصَوَّرًا في يَدِهِ الأزْلامُ يَسْتَقْسِمُ بِها، فقالَ: «قاتَلَهُمُ الله، جَعَلُوا شَيْخَنا يَسْتَقْسِمُ بِالأزْلامِ، ما شَأْنُ إبْراهِيمَ والأزْلام! ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧]». ثُمَّ أمَرَ بِتِلْكَ الصُّوَرِ كُلِّها فطُمِسَتْ.

[صَلاةُ الرَّسُولِ بِالبَيْتِ، وتَوَخِّي ابنِ عُمَرَ مَكانَهُ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وحَدَّثَنِي أنَّ رَسُولَ الله ﷺ دَخَلَ الكَعْبةَ ومَعَهُ بِلالٌ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ وتَخَلَّفَ بِلالٌ، فدَخَلَ عَبْدُ الله بنُ عُمَرَ على بِلالٍ، فسَألَهُ: أيْنَ صَلّى رَسُولُ الله ﷺ؟ ولَمْ يَسْألْهُ: كَمْ صَلّى، فكانَ ابنُ عُمَرَ إذا دَخَلَ البَيْتَ مَشى قِبَلَ وجْهِهِ، وجَعَلَ البابَ قِبَلَ ظَهْرِهِ، حَتّى يَكُونَ بَيْنَهُ وبَيْنَ الجِدارِ قَدْرُ ثَلاثِ أذْرُعٍ، ثُمَّ يُصَلِّي، يَتَوَخّى بِذلك المَوْضِعَ الَّذي قالَ لَهُ بِلالٌ.

[سَبَبُ إسْلامِ عَتّابٍ والحارِثِ بنِ هِشامٍ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وحَدَّثَنِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ الكَعْبَةَ عامَ الفَتْحِ ومَعَهُ بِلالٌ، فأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ، وأبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ وعَتّابُ بنُ أَسِيدٍ والحارِثُ ابنُ هِشامٍ جُلُوسٌ بِفِناءِ الكَعْبةِ، فقالَ عَتّابُ بنُ أَسِيدٍ: لَقَدْ أَكْرَمَ اللهُ أَسِيدًا أَلّا يَكُونَ سَمِعَ هذا، فيسْمَعَ مِنْهُ ما يَغِيظُهُ. فقالَ الحارِثُ بنُ هِشامٍ: أما واللهِ لَوْ أعلم أنه محقّ لاتَّبَعْتُهُ، فقالَ أبو سُفيانَ: لا أَقُولُ شَيْئًا، لَوْ تَكَلَّمْتُ لَأَخْبَرَتْ عَنِّي هَذِهِ الحصى. فخَرَجَ عَلَيْهِم النَّبِيُّ ﷺ فقالَ: «قَدْ عَلِمْتُ الَّذي قُلْتُمْ»، ثُمَّ ذَكَرَ ذلك لَهُمْ، فقالَ الحارِثُ وعَتّابٌ: نَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، واللهِ ما اطَّلَعَ على هذا أَحَدٌ كانَ مَعَنا، فنَقُولَ: أَخْبَرَكَ.

[سَبَبُ تَسْمِيةِ الرَّسُولِ لِخِراشٍ بِالقَتّالِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بنُ أَبِي سَنْدَرٍ الأَسْلَمِيُّ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ، قالَ: كانَ مَعَنا رَجُلٌ يُقالُ لَهُ: أَحْمَر بَأْسًا، وكانَ رَجُلًا شُجاعًا، وكانَ إذا نامَ غَطَّ غَطِيطًا مُنْكَرًا لا يَخْفى مَكانُهُ، فكانَ إذا باتَ في حَيِّهِ باتَ مُعْتَنِزًا، فإذا بُيِّتَ الحَيُّ صَرَخُوا: يا أَحْمَرُ، فيثُورُ مِثْلَ الأَسَدِ، لا يَقُومُ لِسَبِيلِهِ شَيْءٌ. فأَقْبَلَ غَزِيٌّ مِنْ هُذَيْلٍ يُرِيدُونَ حاضِرَهُ، حَتّى إذا دَنَوْا مِن الحاضِرِ، قالَ ابنُ الأَثْوَعِ الهُذَلِيُّ: لا تَعْجَلُوا عَلَيَّ حَتّى أَنْظُرَ، فإنْ كانَ في الحاضِرِ أَحْمَرُ فلا سَبِيلَ إِلَيْهِمْ، فإنَّ لَهُ غَطِيطًا لا يَخْفى. قالَ: فاسْتَمَعَ، فلَمّا سَمِعَ غَطِيطَهُ مَشى إِلَيْهِ حَتّى وضَعَ السَّيْفَ في صَدْرِهِ، ثُمَّ تَحامَلَ عَلَيْهِ حَتّى قَتَلَهُ، ثُمَّ أغارُوا على الحاضِرِ، فصَرَخُوا: يا أَحْمَرُ ولا أَحْمَرَ لَهُمْ، فلَمّا كانَ عامُ الفَتْحِ، وكانَ الغَدُ مِنْ يَوْمِ الفَتْحِ، أَتى ابنُ الأَثْوَعِ الهُذَلِيُّ حَتّى دَخَلَ مَكّةَ يَنْظُرُ ويَسْأَلُ عَنْ أَمْرِ

النّاسِ، وهُوَ على شِرْكِهِ، فرَأتْهُ خُزاعةُ، فعَرَفُوهُ، فأحاطُوا بِهِ وهُوَ إلى جَنْبِ جِدارٍ مِنْ جُدُرِ مَكّةَ، يَقُولُونَ: أأنْتَ قاتِلُ أحْمَرَ؟ قالَ: نَعَمْ، أنا قاتِلُ أحْمَرَ، فَمَهْ؟ قالَ: إذْ أقْبَلَ خِراشُ بنُ أُمَيّةَ مُشْتَمِلًا على السَّيْفِ، فقالَ هَكَذا عَنِ الرَّجُلِ، وواللهِ ما نَظُنُّ إلّا أنَّهُ يُرِيدُ أنْ يُفْرِجَ النّاسَ عَنْهُ. فلَمّا انْفَرَجْنا عَنْهُ حَمَلَ عَلَيْهِ فطَعَنَهُ بِالسَّيْفِ في بَطْنه، فو الله لِكَأنِّي أنْظُرُ إلَيْهِ وحِشْوَتَهُ تَسِيلُ مِنْ بَطْنِهِ، وإنَّ عَيْنَيْهِ لَتُرَنِّقانِ في رَأْسِهِ، وهُوَ يَقُولُ: أقَدْ فعَلْتُمُوها يا مَعْشَرَ خُزاعةَ؟ حَتّى انْجَعَفَ فوَقَعَ. فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يا مَعْشَرَ خُزاعةَ، ارْفَعُوا أيْدِيَكُمْ عَنِ القَتْلِ، فقَدْ كَثُرَ القَتْلُ إنْ نَفَعَ، لَقَدْ قَتَلْتُمْ قَتِيلًا لَأدِيَنَّهُ». قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ حَرْمَلةَ الأسْلَمِيُّ، عَنْ سَعِيدِ بنِ المُسَيَّبِ، قالَ: لَمّا بَلَغَ رَسُولَ الله ﷺ ما صَنَعَ خِراشُ بنُ أُمَيّةَ، قالَ: «إنَّ خِراشًا لَقَتّالٌ»، يَعِيبُهُ بِذلك.

[ما كانَ بَيْنَ أبي شُرَيْحٍ وابنِ سَعْدٍ حِينَ ذَكَّرَهُ بِحُرْمةِ مَكّةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي سَعِيدُ بنُ أبي سَعِيدٍ المَقْبُرِيُّ، عَنْ أبي شُرَيْحٍ الخُزاعِيِّ، قالَ: لَمّا قَدِمَ عَمْرُو بنُ الزُّبَيْرِ مَكّةَ لِقِتالِ أخِيهِ عَبْدِ الله بنِ الزُّبَيْرِ، جِئْتُهُ فقُلْتُ لَهُ: يا هذا، إنّا كُنّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ حِينَ افْتَتَحَ مَكّةَ، فلَمّا كانَ الغَدُ مِنْ يَوْمِ الفَتْحِ عَدَتْ خُزاعةُ على رَجُلٍ مِنْ هُذَيْلٍ فقَتَلُوهُ وهُوَ مُشْرِكٌ، فقامَ رَسُولُ الله ﷺ فينا خَطِيبًا، فقالَ: «يا أيها النّاسُ، إنَّ الله حَرَّمَ مَكّةَ يَوْمَ خَلَقَ السّماواتِ والأرْضَ، فهِيَ حَرامٌ مِنْ حَرامٍ إلى يَوْمِ القِيامةِ، فلا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بالله واليَوْمِ الآخِرِ أنْ يَسْفِكَ فيها دَمًا، وَلا يَعْضِدَ فيها شَجَرًا، لَمْ تَحْلِلْ لِأحَدٍ كانَ قَبْلِي، ولا تَحِلُّ لِأحَدٍ يَكُونُ بَعْدِي، ولَمْ تَحْلِلْ لِي إلّا هَذِهِ السّاعةَ، غَضَبًا على أهْلِها. ألا ثُمَّ قَدْ رَجَعَتْ كَحُرْمَتِها

بِالأَمْسِ، فلْيُبَلِّغِ الشّاهِدُ مِنْكُمُ الغائِبَ، فمَنْ قالَ لَكُمْ: إنَّ رَسُولَ الله قَدْ قاتَلَ فيها، فقُولُوا: إنَّ الله قَدْ أحلَّها لِرَسُولِهِ، ولَمْ يُحْلِلْها لَكُمْ. يا مَعْشَرَ خُزاعةَ، ارْفَعُوا أيْدِيَكُمْ عَنِ القَتْلِ، فلَقَدْ كَثُرَ القَتْلُ إنْ نَفَعَ، لَقَدْ قَتَلْتُمْ قَتِيلًا لَأَدِيَنَّهُ، فمَنْ قُتِلَ بَعْدَ مَقامِي هذا فأهْلُهُ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ؛ إنْ شاؤُوا فدَمُ قاتِلِهِ، وإنْ شاؤُوا فعَقْلُهُ».

ثُمَّ ودى رَسُولُ الله ﷺ ذلك الرَّجُلَ الَّذي قَتَلَتْهُ خُزاعةُ، فقالَ عَمْرُو لِأبي شُرَيْحٍ: انْصَرِفْ أيُّها الشَّيْخُ، فنَحْنُ أعْلَمُ بِحُرْمَتِها مِنْكَ، إنَّها لا تَمْنَعُ سافِكَ دَمٍ، ولا خالِعَ طاعةٍ، ولا مانِعَ جِزْيةٍ. فقالَ أبو شُرَيْحٍ: إنِّي كُنْتُ شاهِدًا وكُنْتَ غائِبًا، ولَقَدْ أمَرَنا رَسُولُ الله ﷺ أنْ يُبَلِّغَ شاهِدُنا غائِبَنا، وقَدْ أبَلَغْتُكَ، فأنْتَ وشَأْنُكَ.

[أوَّلُ قَتِيلٍ وداهُ الرَّسُولُ يَوْمَ الفَتْحِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وبَلَغَنِي أنَّ أوَّلَ قَتِيلٍ وداهُ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ الفَتْحِ جُنَيْدِبُ بنُ الأكْوَعِ، قَتَلَتْهُ بَنُو كَعْبٍ، فوداه بِمِئة ناقةٍ.

[تَخَوُّفُ الأنْصارِ مِنْ بَقاءِ الرَّسُولِ في مَكّةَ، وطَمْأنةُ الرَّسُولِ لَهُمْ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وبَلَغَنِي عَنْ يَحْيى بنِ سَعِيدٍ: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ مَكّةَ ودَخَلَها، قامَ على الصَّفا يَدْعُو اللهَ، وقَدْ أحْدَقَتْ بِهِ الأنْصارُ، فقالُوا فيما بَيْنَهُمْ: أتُرَوْنَ رَسُولَ الله ﷺ إذْ فتَحَ الله عَلَيْهِ أرْضَهُ وبَلَدَهُ يُقِيمُ بِها؟ فلَمّا فرَغَ مِنْ دُعائِهِ قالَ: «ماذا قُلْتُمْ؟» قالُوا: لا شَيْءَ يا رَسُولَ الله، فلَمْ يَزَلْ بِهِمْ حَتّى أخْبَرُوهُ، فقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَعاذَ الله، المَحْيا مَحْياكُمْ، والمَماتُ مَماتُكُمْ».

[سُقُوطُ أصْنامِ الكَعْبةِ بِإشارةٍ مِنَ الرَّسُولِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وحَدَّثَنِي مَنْ أثِقُ بِهِ مِنْ أهْلِ الرِّوايةِ في إسْنادٍ لَهُ عَنِ ابنِ شِهابٍ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ ابنِ عَبّاسٍ، قالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكّةَ يَوْمَ الفَتْحِ على راحِلَتِهِ، فطافَ عَلَيْها وحَوْلَ البَيْتِ أصْنامٌ مَشْدُودةٌ بِالرَّصاصِ، فجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يُشِيرُ بِقَضِيبٍ في يَدِهِ إلى الأصْنامِ ويَقُولُ: «جاءَ الحَقُّ وزَهَقَ الباطِلُ، إنَّ الباطِلَ كانَ زَهُوقًا». فما أشارَ إلى صَنَمٍ مِنْها في وجْهِهِ إلّا وقَعَ لِقَفاهُ، ولا أشارَ إلى قَفاهُ إلّا وقَعَ لِوَجْهِهِ، حَتّى ما بَقِيَ مِنْها صَنَمٌ إلّا وقَعَ، فقالَ تَمِيمُ بنُ أسَدٍ الخُزاعِيُّ في ذلك:

وَفي الأصْنـــامِ مُعْتَبَرٌ وعِلْمٌ ... لِمَنْ يَرْجُو الثَّوابَ أوِ العِقابا

[كَيْفَ أسْلَمَ فضالةُ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وحَدَّثَنِي أنَّ فضالةَ بنَ عُمَيْرِ بنِ المُلَوَّحِ اللَّيْثِيَّ أرادَ قَتْلَ النَّبِيِّ ﷺ وهُوَ يَطُوفُ بِالبَيْتِ عامَ الفَتْحِ، فلَمّا دَنا مِنْهُ قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أفَضالةُ؟» قالَ: نَعَمْ فضالةُ يا رَسُولَ اللهِ، قالَ: «ماذا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ؟» قالَ: لا شَيْءَ، كُنْتُ أذْكُرُ اللهَ، قالَ: فضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ قالَ: «اسْتَغْفِرِ اللهَ»، ثُمَّ وضَعَ يَدَهُ على صَدْرِهِ، فسَكَنَ قَلْبُهُ، فكانَ فضالةُ يَقُولُ: واللهِ ما رَفَعَ يَدَهُ عَنْ صَدْرِي حَتّى ما مِنْ خَلْقِ اللهِ شَيْءٌ أحَبُّ إلَيَّ مِنْهُ. قالَ فضالةُ: فرَجَعْتُ إلى أهْلِي، فمَرَرْتُ بِامْرَأةٍ كُنْتُ أتَحَدَّثُ إلَيْها، فقالَتْ: هَلُمَّ إلى الحَدِيثِ، فقُلْتُ: لا. وانْبَعَثَ فضالةُ يَقُولُ:

قالَتْ: هَلُمَّ إلى الحَدِيثِ فقُلْتُ لا ... يَـأْبى عَلَيْـكِ اللهُ والإسْــلامُ
لَوْمــا رَأيْــتِ مُحَمَّــدًا وقَبِيلَهُ ... بِالفَتْــحِ يَوْمَ تَكَــسَّرَ الأصْنامُ
لَرَأيْــتِ دِينَ اللهِ أضْــحى بَيِّنًا ... والشِّرْكُ يَغْــشى وجْهَهُ الإظْلامُ

[أمانُ الرَّسُولِ لِصَفْوانَ بنِ أُمَيّةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرٍ، عَنْ عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ، قالَ: خَرَجَ صَفْوانُ بنُ أُمَيّةَ يُرِيدُ جُدّةَ لِيَرْكَبَ مِنْها إلى اليَمَنِ، فقالُ عُمَيْرُ بنُ وهْبٍ: يا نَبِيَّ الله، إنَّ صَفْوانَ بنَ أُمَيّةَ سَيِّدُ قَوْمِهِ، وقَدْ خَرَجَ هارِبًا مِنْكَ لِيَقْذِفَ نَفْسَهُ في البَحْرِ، فأَمِّنْهُ، صَلّى الله عَلَيْكَ، قالَ: «هُوَ آمِنٌ»، قالَ: يا رَسُولَ الله، فأعْطِنِي آيةً يَعْرِفُ بِها أمانَكَ، فأعْطاهُ رَسُولُ الله ﷺ عِمامَتَهُ الَّتِي دَخَلَ فيها مَكّةَ، فَخَرَجَ بِها عُمَيْرٌ حَتّى أدْرَكَهُ وهُوَ يُرِيدُ أنْ يَرْكَبَ في البَحْرِ، فقالَ: يا صَفْوانُ، فِداكَ أبِي وأُمِّي، اللهَ اللهَ في نَفْسِكَ أنْ تُهْلِكَها، فهذا أمانٌ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ قَدْ جِئْتُكَ بِهِ. قالَ: ويْحَكَ، اغْرُبْ عَنِّي فلا تُكَلِّمْنِي، قالَ: أيْ صَفْوانُ، فِداكَ أبِي وأُمِّي، أفْضَلُ النّاسِ، وأبَرُّ النّاسِ، وأحْلَمُ النّاسِ، وخَيْرُ النّاسِ، ابنُ عَمِّكَ، عِزُّهُ عِزُّكَ، وشَرَفُهُ شَرَفُكَ، ومُلْكُهُ مُلْكُكَ، قالَ: إنِّي أخافُهُ على نَفْسِي، قالَ: هُوَ أحْلَمُ مِنْ ذاكَ وأكْرَمُ. فرَجَعَ مَعَهُ، حَتّى وقَفَ بِهِ على رَسُولِ الله ﷺ، فقالَ صَفْوانُ: إنَّ هذا يَزْعُمُ أنَّكَ قَدْ أمَّنْتَنِي، قالَ: «صَدَقَ»، قالَ: فاجْعَلْنِي فيهِ بِالخِيارِ شَهْرَيْنِ، قالَ: أنْتَ بِالخِيارِ فيهِ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وحَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ أهْلِ العِلْمِ أنَّ صَفْوانَ قالَ لِعُمَيْرٍ: وَيْحَكَ، اغْرُبْ عَنِّي فلا تُكَلِّمْنِي، فإنَّكَ كَذّابٌ؛ لِما كانَ صَنَعَ بِهِ، وقَدْ ذَكَرْناهُ في آخِرِ حَدِيثِ يَوْمِ بَدْرٍ.

[إسْلامُ عِكْرِمةَ وصَفْوانَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ: أنَّ أُمَّ حَكِيمٍ بِنْتَ الحارِثِ بنِ هِشامٍ،

وفاخِتةَ بِنْتَ الوَلِيدِ ـ وكانَتْ فاخِتةُ عِنْدَ صَفْوانَ بنِ أُمَيّةَ، وأُمُّ حَكِيمٍ عِنْدَ عِكْرِمةَ بنِ أبي جَهْلٍ ـ أَسْلَمَتا، فأمّا أُمُّ حَكِيمٍ فاسْتَأْمَنَتْ رَسُولَ الله ﷺ لِعِكْرِمةَ، فأمَّنَهُ، فلَحِقَتْ بِهِ بِاليَمَنِ، فجاءَتْ بِهِ، فلَمّا أَسْلَمَ عِكْرِمةُ وصَفْوانُ أَقَرَّهُما رَسُولُ الله ﷺ عِنْدَهُما على النِّكاحِ الأوَّلِ.

فَصْلٌ

وَنَذْكُرُ ههُنا طَرَفًا مِنْ أَحْكامِ أَرْضِ[1] مَكّةَ؛ فَقَد اخْتُلِفَ: هَل افْتَتَحَها رسولُ الله ﷺ عَنْوةً أَوْ صُلْحًا؛ لنبنيَ على ذَلِكَ الحُكْمَ: هَلْ أَرْضُها مِلْكٌ لِأَهْلِها أَمْ لا؟ وَذَلِكَ أنّ عُمَرَ بنَ الخَطّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كانَ يَأْمُرُ بنَزْعِ أبْوابِ دُورِ مَكّةَ إذا قَدِمَ الحاجُّ، وَكَتَبَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزيزِ إلى عامِلِهِ بِمَكّةَ أَنْ يَنْهى أَهْلَها عَنْ كِراءِ دُورِها إذا جاءَ الحاجُّ؛ فَإنّ ذَلِكَ لا يَحِلُّ لَهُمْ[2]. وَقالَ[3] مالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ: إنْ كانَ النّاسُ لَيَضْرِبُونَ فَساطِيطَهُمْ بِدُورِ مَكّةَ لا يَنْهاهُمْ أَحَدٌ، وَرُوِيَ أَنّ دُورَ مَكّةَ كانَتْ تُدْعى السّوائِبَ، وَهَذا كُلّهُ مُنْتَزَعٌ مِنْ أَصْلَيْنِ:

أَحَدُهُما: قَوْلُ الله تَبارَكَ وَتَعالى: ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ [الحج: ٢٥]، وقال ابنُ عمر وابنُ عبّاسٍ: الحَرَمُ كُلّهُ مَسْجِدٌ[4].

والأَصْلُ الثّانِي: أَنّ رسولَ الله ﷺ دَخَلَها عَنْوةً غَيْرَ أَنّهُ مَنَّ على أَهْلِها

(١) في (ب): «أهل مكة».
(٢) انظر: «كتاب الأموال» لأبي عبيد (٧١-٧٢).
(٣) في (ب): «وقد قال».
(٤) «الأموال» لأبي عبيد (٧٢).

بِأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوالِهِمْ، وَلا يُقاسُ عَلَيْها غَيْرُها مِن البِلادِ، كَما ظَنّ بَعْضُ الفُقَهاءِ؛ فَإِنّها مُخالِفَةٌ لِحُكْمِها[١] مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُما: ما خَصّ اللهُ بِهِ رسولَه؛ فَإِنّهُ قالَ: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [فاتحة الأنفال]، والثاني: ما خَصّ اللهُ بِهِ مَكّةَ فَإِنّهُ جاءَ: «لا[٢] تَحِلّ غَنائِمُها، وَلا تُلْتَقَطُ لُقَطَتُها[٣]»، وَهِيَ حَرَمُ الله وأَمْنه، فَكَيْفَ تَكُونُ أَرْضُها أَرْضَ خَراجٍ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ افْتَتَحَ بَلَدًا أَنْ يَسْلُكَ بِهِ سَبِيلَ مَكّةَ، فَأَرْضُها إِذًا وَدُورُها لِأَهْلِها، وَلَكِنْ أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ التّوْسِعةَ على الحَجِيجِ إذا قَدِمُوها، وَلا يَأْخُذُوا مِنْهُمْ كِراءً فِي مَساكِنِها، فَهَذا حُكْمُها، فَلا عَلَيْك بَعْدَ هَذا، افتُتِحتْ[٤] عَنْوةً أَوْ صلحًا، وإن كانتْ ظواهرُ الحديث أَنّها فُتِحَتْ عَنْوةً[٥].

وَذَكَرَ الهُذَلِيَّ الّذِي قُتِلَ وَهُوَ واقِفٌ، فَقالَ: «أوقَدْ فَعَلْتُمُوها يا معشر خُزاعة»، وروى الدّارقطني في «السّنن» أنّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «لَوْ كُنْتُ قاتِلًا مُسْلِمًا[٦] بِكافِرٍ لَقَتَلْتُ خِراشًا بِالهُذَلِيّ»[٧]، [يَعْنِي بِالهُذَلِيّ][٨]: قاتِلَ ابنِ أَثْوَغَ[٩]، وَخِراشٌ هُوَ قاتِلُهُ، وَهُوَ مِنْ خُزاعة.

---

(١) في (ف): «لغيرها».

(٢) في (د)، (ج): «ألّا».

(٣) في (ف): «لقيطتها».

(٤) في غير (ج)، (س): «فتحت».

(٥) انظر في هذا: «الأموال» (ص: ٧٠-٧٣).

(٦) في غير (د)، (ح): «قاتل مسلم». ولفظ الدارقطني: «قاتلًا مؤمنًا بكافر».

(٧) «سنن الدارقطني»، كتاب الحدود: (٣: ١٣٧).

(٨) ليس في (س).

(٩) كذا في النسخ بالغين المعجمة، وفي (ب): «أثوع»، وفي حاشية (أ): «أشوع».

فَصْلٌ

وَذَكَرَ قِصّةَ ابنِ خَطَلٍ، واسْمُهُ: عَبْدُ اللهِ، وَقَدْ قِيلَ فِي اسْمِهِ: هِلالٌ، وَقَدْ قِيلَ: هِلالٌ كانَ أخاهُ، وَكانَ[1] يُقالُ لَهُما: الخَطَلانِ، وَهُما مِنْ بَنِي تَيْمِ بن غالِبِ بنِ فِهْرٍ، وَأنّ رسولَ الله ﷺ أمَرَ بِقَتْلِهِ، فَقُتِلَ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأسْتارِ الكَعْبَةِ، فَفِي هَذا أنّ الكَعْبَةَ لا تُعِيذُ عاصِيًا، وَلا تَمْنَعُ مِنْ إقامةِ حَدٍّ واجِبٍ، وَأنّ مَعْنى قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، إنّما مَعْناهُ الخَبَرُ عَنْ تَعْظِيمِ حُرْمةِ الحَرَمِ فِي الجاهِلِيّةِ نِعْمةً مِنْهُ على أهْلِ مَكّةَ، كما قال الله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧] إلى آخِرِ الآيةِ، فَكانَ فِي ذَلِكَ قِوامٌ للناس، ومصلحةٌ لِذُرّيّةِ إسْماعِيلَ عليه السلام، وَهُمْ قُطّانُ الحَرَمِ، وَإجابةً لِدَعْوةِ إبْراهِيمَ عَلَيْهِ السّلامُ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وَعِنْدَما قَتَلَ النّبِيُّ عليه السلام ابنَ خَطَلٍ قالَ: «لا يُقْتَلُ قُرَشِيٌّ صَبْرًا بَعْدَ هَذا»، كَذَلِكَ قالَ يُونُسُ فِي رِوايَتِهِ.

فَصْلٌ

وَذَكَرَ صَلاةَ النّبِيّ ﷺ فِي بَيْتِ أُمِّ هانئٍ، وَهِيَ صَلاةُ الفَتْحِ، تُعْرَفُ بِذَلِكَ عِنْدَ أهْلِ العِلْمِ، وكان الأمراءُ يُصَلُّونها إذا افْتَتَحُوا بَلَدًا. قالَ الطّبَرِيّ: صَلّى سَعْدُ بنُ أبِي وَقّاصٍ حِينَ افْتَتَحَ المَدائِنَ، وَدَخَلَ إيوانَ كِسْرى، قالَ: فَصَلى فِيهِ صَلاةَ الفَتْحِ، قالَ[2]: وَهِيَ ثَمانِي رَكَعاتٍ لا يُفْصَلُ بَيْنَها، وَلا تُصَلى بِإمامٍ[3]، فَبَيّنَ

---

(١) في (ف): «وقد كان».

(٢) ليس في (ب).

(٣) «تاريخ الرسل والملوك» (٣: ١٦).

الطَّبَرِيُّ سُنَّةَ هَذِهِ الصَّلاةِ وَصِفَتَها، وَمِنْ سُنَّتِها أيْضًا ألّا[١] يُجْهَرَ فِيها بالقِراءةِ، والأَصْلُ ما تَقَدَّمَ مِنْ صَلاةِ رسول الله ﷺ في بيت أمّ هانئ [وذلك ضُحًى.

وأمُّ هانئ اسمُها: هندُ، تُكنى بابنها هانئ][٢] بنِ هُبَيْرةَ، وَلَها ابنٌ مِنْ هُبَيْرة آخرَ اسْمُهُ يُوسُفُ، وَثالِثٌ وَهُوَ الأكْبَرُ اسْمُهُ: جَعْدةُ، وَقِيلَ: إيّاهُ عَنَتْ فِي حَدِيثِ مالِكٍ[٣]: زَعَمَ ابنُ أُمِّي عليٌّ أنّهُ قاتِلٌ رَجُلًا أجَرْته فُلانُ بنُ هُبَيْرةَ، وَقَدْ قِيلَ فِي اسْمِ أُمِّ هانئ: فاخِتةُ. [وقيل في اسمها: جُمانة بتخفيفِ الميم][٤].

فَصْلٌ

وَذَكَرَ عَبْدَ اللهِ بنَ سَعْدِ بنِ أبِي سَرْحٍ أحَدَ بَنِي عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ، يُكْنَى أبا يَحْيى، وَكانَ كاتبًا لرسولِ اللهِ ﷺ ثم ارتدّ ولحِقَ بمكة، ثُمّ أسْلَمَ وَحَسُنَ إسْلامُهُ، وَعُرِفَ فَضْلُهُ وَجِهادُهُ، وكانَ على مَيمنةِ عمرِو بنِ العاصي حِينَ افْتَتَحَ مِصْرَ، وَهُوَ الّذِي افْتَتَحَ إفْرِيقِيّةَ سنةَ سبعٍ وعشرين، وَغزا الأساوِدَ مِن النُّوبةِ، ثُمّ هادَنهمُ الهُدْنةَ الباقِيةَ إلى اليَوْمِ، فَلَمّاً خالَفَ[٥] مُحَمّدَ بنَ أبِي حُذَيْفةَ على عُثْمانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اعْتَزَلَ الفِتْنةَ، ودَعا اللهَ عَزّ وَجَلّ أنْ يَقْبِضَهُ، وَيَجْعَلَ وَفاتَهُ بِأثَرِ صَلاةِ الصُّبْحِ، فَصَلّى بِالنّاسِ [الصُّبْحَ][٦]، وَكانَ يُسَلِّمُ تَسْلِيمَتَيْنِ عَنْ يَمِينِهِ

(١) في (ف): «لا».
(٢) سقط من (أ).
(٣) «الموطأ»، كتاب قصر الصلاة في السفر: (١: ١٥٢).
(٤) سقط من (ف)، (ص)، (ج)، (ح)، وصلب (ب). وفي حاشيتها: «فائدة: وقيل في اسمها: جمانة أيضًا. وقيل غير ذلك».
(٥) «الكامل» لابن الأثير: (٣: ٨٨-٩١، ١١٧). وانظر: «ولاة مصر» للكندي: (ص: ١٩) وما يليها، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي: (٣: ٣٥).
(٦) ليست في (ح).

وَعَنْ شِمالِهِ، فَلَمّا سَلّمَ التَّسْلِيمةَ الأُولى عَنْ يَمِينِهِ، وَذَهَبَ لِيُسَلِّمَ الأُخْرى، قُبِضَتْ نَفْسُهُ، وَكانَتْ وَفاتُهُ بِعَسْقلانَ[1]، وَهُوَ الّذِي يَقُولُ فِي حِصارِ عُثْمانَ:

[من الطويل]

أرى الأمْرَ لا يَــزْدادُ إلّا تَفاقُمًا ... وَأنْصارُنــا بِالمَكّتَيْــنِ قَلِيــلُ

وَأسْلَمَنا أهلُ المَدِينةِ والهَوى ... إلى أهْلِ مِصْــرٍ والذّلِيلُ ذَلِيلُ

وَأمّا نُمَيْلةُ بنُ عَبْدِ اللهِ الّذِي ذَكَرَهُ ابنُ إسْحاقَ فَهُوَ لَيْثِيٌّ، أحَدُ بَنِي كَعْبِ ابنِ عامِرِ بنِ لَيْثٍ، صَحِبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَشَهِدَ كَثِيرًا مِنْ مَشاهِدِهِ وَغَزَواتِهِ.

وَأمّا الحُوَيْرِثُ بنُ نُقَيْذ الّذِي أمَرَ بِقَتْلِهِ مَعَ ابنِ خَطَلٍ، فهو الذي نَخَسَ بِزَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ الله ﷺ حين أدركها هو وهَبّار بنُ الأسْوَدِ، فَسَقَطَتْ عَنْ دابّتِها، وَألْقَتْ جَنِينَها.

وَأمّا القَيْنَتانِ اللّتانِ أمَرَ بِقَتْلِهِما، وَهُما سارةُ وَفَرْتَنى فأسلمتْ فَرْتَنى [وأُمِّنت][2]، وآمنتْ[3] سارةُ وعاشتْ إلى زَمَنِ عُمَرَ رضي الله عنه، ثُمّ وَطِئَها فَرَسٌ فَقَتَلَها.

فَصْلٌ

وَذَكَرَ خُطْبَةَ رسولِ الله ﷺ، وَفِيها ذِكْرُ الدِّياتِ، وَذِكْرُ قَتِيلِ[4] الخَطَأِ، وَذِكْرُ شِبْهِ العَمْدِ وَتَغْلِيظِ الدِّيةِ فِيهِ، وَهِيَ أنْ يُقْتَلَ القَتِيلُ بِسَوْطٍ أوْ بعصًا[5] فَيَمُوتَ،

---

(١) في (ح): «بعسفان». وانظر: «أسد الغابة» (٣: ٢٦٠).

(٢) عن (ص).

(٣) كذا ضبط في (أ)، (ح)، وفي (ب)، (س): «وأُمِّنَتْ».

(٤) في (ب): «قتل».

(٥) في حاشية (أ) بعده: «خفيفة».

وَهُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ العِراقِ: أَنْ لا قَوَدَ فِي شِبْهِ العَمْدِ، والمَشْهُورُ عَن الشّافِعِيِّ أَنّ فِيهِ الدِّيَةَ مُغَلَّظَةً أثلاثًا، وليس عِنْدَ فُقَهاءِ الحِجاز إلّا قَوَدٌ فِي عَمْدٍ أو دِيَةٌ فِي خَطَأٍ تُؤْخَذُ أخماسًا على ما فَسّرَ الفُقَهاءُ. وَهُوَ قَوْلُ اللّيْثِ، وَكَذَلِكَ قالَ أَهْلُ العِراقِ: إنّ القَوَدَ لا يَكُونُ إلّا بِالسَّيْفِ، واحْتَجُّوا بِأَثَرٍ يُرْوى عَن ابنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: «لا قَودَ إلّا بالسِّلاح»[١]، وَعَنْ عَلِيٍّ مَرْفُوعًا أَيْضًا: «لا قَوَدَ إلّا بِالسّيْفِ»، وَمِنْ طَرِيقِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «لا قَوَدَ إلّا بِحَدِيدة»، وَهُوَ يَدُورُ على أَبِي مُعاذٍ سُلَيْمانَ بنِ أَرْقَمَ، وَهُوَ ضَعِيفٌ بِإِجْماع، وَكَذَلِكَ حَدِيثُ ابنِ مَسْعُودٍ يَدُورُ على المُعلّى ابنِ هِلالٍ، وَهُوَ ضَعِيفٌ مَتْرُوكُ الحَدِيثِ، وَكَذَلِكَ حَدِيثُ عَلِيٍّ لا تَقُومُ بِإِسْنادِهِ حُجّةٌ، وَحُجّةُ الآخَرِينَ فِي أَنّ القاتِلَ يُقْتَلُ بما قَتَلَ[٢] بِهِ قَوْلُ الله تبارك وتَعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وَحَدِيثُ اليَهُودِيِّ الّذِي رَضَخَ رَأْسَ الجارِيَةِ على أَوْضاحٍ لَها، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُرْضَخَ رَأْسُهُ بَيْنَ حَجَرَيْنِ[٣].

[وَأَمّا دُخُولُهُ ﷺ الكعبةَ وصلاتُه فيها، فحديثُ بلالٍ أنه صلّى فِيها، وَحَدِيثُ ابنِ عَبّاسٍ أَنّهُ لَمْ يُصَلِّ فِيها، وَأَخَذَ النّاسُ بِحَدِيثِ بِلالٍ؛ لِأَنّهُ أَثْبَتَ الصّلاةَ وابنُ عَبّاسٍ نَفى، وَإِنّما يُؤْخَذُ بِشَهادةِ المثبت، لا بشهادةِ النافي، وَمَنْ تَأَوّلَ قَوْلَ بلالٍ أَنّهُ صَلى، أيْ: دَعا، [فَلَيْسَ بِشَيْءٍ؛ لِأَنّ فِي حَدِيثِ عُمَرَ أَنّهُ صَلّى فِيها رَكْعَتَيْنِ، وَلَكِنّ رِوايةَ ابنِ عَبّاسٍ][٤]ورِواية بِلالٍ صَحِيحَتانِ،

---

(١) انظر: «مجمع الزوائد» (٦: ٢٩١).

(٢) في (ب): «بمثل ما».

(٣) انفردت (ح)، (ص) بعده بالآتي: «وذكر قتل بن أثوع الذي قتلته خزاعة، ولم يذكر اسمه، وهو حى نيذٍ [كذا دون نقط] بن أثوع فيما ذكره غيره».

(٤) سقط من (أ).

أنه(١) عَلَيْهِ السّلامُ دَخَلَها يَوْمَ النَّحْرِ فَلَمْ يُصَلِّ(٢)، وَدَخَلَها مِن الغَدِ فَصَلّى، وَذَلِكَ فِي حَجّةِ الوَداعِ، وَهُوَ حَدِيثٌ مَرْوِيٌّ عَنِ ابنِ عُمَرَ بِإِسْنادٍ حَسَنٍ، خرّجه(٣) الدّارَقطنيُّ، وهو من فَوائدِهِ](٤).

فَصْلٌ

وَذَكَرَ كَسْرَ الأَصْنامِ، وَطَمْسَ التَّماثِيلِ، وَمَقالةَ الحارِثِ بنِ هِشامٍ حِينَ اجْتَمَعَ هُوَ وَأَبُو سُفْيانَ وَعَتّابُ بنُ أَسِيدٍ فَتَكَلّمُوا، فَأَخْبَرَهُمْ رسولُ الله ﷺ كَما أَخْبَرَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السّلامُ بِالّذِي قالُوهُ، فَصَحَّ يَقِينُهُمْ وَحَسُنَ إِسْلامُهُمْ، وَفِي التّرْمِذِيّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ، قالَ: لَعَنَ رسولُ الله ﷺ الحارِثَ بنَ هشامٍ وَأَبا سُفْيانَ(٥) وَصَفْوانَ بنَ أُمَيّةَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ الآية [آل عمران: ١٢٨]، قالَ: فَتابُوا بَعْدُ، وَحَسُنَ إِسْلامُهُمْ(٦).

وَرُوِّينا بإسنادٍ متَّصلٍ عن عبد الله بنِ أَبِي بَكْرٍ، قالَ: خَرَجَ رسولُ(٧) الله ﷺ على أَبِي سُفْيانَ وَهُوَ فِي المَسْجِدِ، فَلَمّا نَظَرَ إِلَيْهِ أَبُو سُفْيانَ قالَ فِي نَفْسِهِ: لَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ شَيْءٍ غَلَبَتَنِي. فَأَقْبَلَ رسولُ الله ﷺ عليه حَتّى ضَرَبَ بِيَدِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَقالَ: «بِاللهِ غَلَبْتُكَ يا أَبا سُفْيانَ»، فَقالَ أَبُو سُفْيانَ: أَشْهَدُ أَنّكَ

---

(١) في (أ)، (ب)، (ف): «لأنه».

(٢) في (ف): «ولم يصل».

(٣) «سنن الدارقطني»، كتاب العيدين: (٣: ٥١-٥٢).

(٤) هذا النص مذكور في (ص) في الفصل التالي قبل قوله: «وقال الحارث بن هشام».

(٥) في (ف)، (ب): «وأبا سفيان بن حرب».

(٦) «عارضة الأحوذي»، أبواب التفسير: (١١: ١٣١-١٣٢).

(٧) في (أ)، (س)، (ف): «النبي».

رَسُولُ اللهِ. [وهو][١] مِنْ «مُسْنَدِ الحارِثِ بنِ أَبِي أُسامةَ»[٢].

وَرَوى الزُّبَيْرُ [بنُ أبي بكر][٣] بإِسْنادٍ يَرْفَعُهُ إلى مَنْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يُمازِحُ أبا سُفْيانَ فِي بَيْتِ أُمِّ حَبيبةَ وَأَبُو سُفْيانَ يَقُولُ لَهُ: تَرَكْتُك فَتَرَكَتْك العَرَبُ، وَلَمْ تَنْتَطِحْ بَعْدَها جَمّاءُ وَلا قَرْناءُ، ورسول الله ﷺ يَضْحَكُ وَيَقُولُ: «أَنْتَ تَقُولُ هَذا يا أبا حَنْظَلة!». وَقالَ مُجاهِدٌ فِي قَوْلِهِ عَزّ وجَلّ: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ [الممتحنة: ٧]، قالَ: هِيَ مصاهرةُ النَّبِيِّ ﷺ لِأَبِي سُفْيانَ[٤].

وَقالَ أَهْلُ التَّعبير: رَأى رسولُ الله ﷺ فِي المَنامِ أَسِيدَ بنَ أَبِي العِيصِ والِيًا على مكة مُسْلِمًا، فَماتَ على الكُفْرِ، وكانَت الرُّؤْيا لِوَلَدِهِ عتّابٍ حين أسلم، فولّاه رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكّةَ وَهُوَ ابنُ إحْدى وَعِشْرِينَ سَنةً، وَرَزَقَهُ كُلَّ يَوْم دِرْهَمًا، فكان يقول: لا أشبعَ الله بطنًا جاعَ على دِرْهَمٍ، في كلِّ يوم، وَقالَ عِنْدَ مَوْتِهِ: واللهِ ما اكْتَسَبْت فِي وِلايَتِي كُلِّها إلّا قَمِيصًا مُعَقَّدًا[٥] كَسَوْتُه غُلامِي كَيْسانَ، وَكانَ قَدْ قالَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ وَسَمِعَ بِلالًا يُؤَذِّنُ على الكَعْبةِ: «لَقَدْ أَكْرَمَ اللهُ أَسِيدًا ـ يَعْنِي أباهُ ـ حيثُ ماتَ ولم يعِشْ حتى يسمَع هذا العبدَ الأسودَ ينهقُ [بها][٦] على هذه البَنِيّة».

---

(١) عن (ب)، (ح).
(٢) «المطالب العالية»، باب علامات النبوة: (٤: ١٧).
(٣) عن (ب).
(٤) روى الأثر عن مقاتل بن حيان وعلق عليه ابنُ كثير وعلى حديث ابن عباس الذي رواه مسلم في فضائل الصحابة: (٤: ١٩٤٥) بأنّ رسول الله ﷺ بنى بأم حبيبة بنت أبي سفيان قبل الفتح، وأبو سفيان إنما أسلمَ بعد الفتح بلا خلاف. «تفسير ابن كثير» (٨: ٣٤٩٧).
(٥) المعقّد: نوع من ثياب هَجَر. وانظر الأثر في «أسد الغابة» (٣: ٤٥٦).
(٦) ليس في (ح).

وَكانَتْ تَحْتَ عَتّابٍ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ أَبِي جَهْلِ بنِ هِشامٍ، وَهِيَ الّتِي خَطَبَها عَلِيٌّ على فاطِمَةَ رضي الله عنها، فَشَقّ ذَلِكَ على فاطِمَةَ رضي الله عنها، فَقالَ رسولُ الله ﷺ: «لا آذَنُ، ثُمّ لا آذَنُ، إنّ فاطِمَةَ بَضْعةٌ مِنِّي...»[1] الحَدِيثَ، فَقالَ عَتّابٌ: [أنا][2] أُرِيحُكُمْ مِنْها. فَتَزَوّجَها، فَوَلَدَتْ [لَهُ][3] عَبْدَ الرّحْمَنِ المَقْتُولَ يَوْمَ الجمل، يُروى[4] أنّ عُقابًا طارَتْ بِكَفِّهِ يَوْمَ قُتِلَ، وَفِي الكَفِّ خاتَمُهُ، فَطَرَحَتْها بِاليَمامةِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ، فَعُرِفَتْ بِالخاتَمِ. وَكانَتْ لِأَبِي جَهْلٍ بِنْتٌ أُخْرى يُقالُ لَها: الحَنْفاءُ، كانَتْ تَحْتَ سُهيلِ بنِ عَمْرٍو، يُقالُ[5]: إنّها وَلَدَتْ [لَهُ][6] ابنَهُ أَنَسًا الّذِي كانَ يُضَعَّفُ، وَفِيهِ جَرى المَثَلُ: «ساءَ سَمْعًا فَأساءَ جابةً»[7]. وَيُقالُ: إنّهُ نَظَرَ يَوْمًا إلى رَجُلٍ على ناقةٍ يَتْبَعُها خَرُوفٌ فَقالَ: يا أَبَهْ[8] أذلكَ الخَرُوفُ مِنْ تِلْكَ النّاقةِ؟ فَقالَ أَبُوهُ: صَدَقَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبةَ. وَكانَتْ حِينَ خَطَبَها قالَتْ: إنْ جاءَتْ مِنْهُ حَلِيلَتُهُ بِوَلَدٍ أَحْمَقَتْ، وَإِنْ أَنْجَبَتْ فَعَنْ خَطاءٍ ما أَنْجَبَتْ. وَقَدْ قِيلَ فِي بِنْتِ أَبِي جَهْلٍ الحَنْفاءِ: إنّ اسْمَها صَفِيّةُ. فاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» برقم (١٦١٢٣)، والترمذي (٣٨٦٩) وقال: هذا حديث حسنٌ صحيح.

(٢) ليس في (ب).

(٣) ليس في (ص).

(٤) في (ف): «ويروى».

(٥) في (ف): «ويقال».

(٦) عن (ب).

(٧) مثلٌ يُضرب للمجيب على غير فهم. انظر: «الأمثال» لأبي عبيد (٥٣) ونصه فيه: «أساء» بدلًا من «ساء».

(٨) في (ج)، (ص): «أبت».

وَقالَ الحارِثُ بنُ هِشامٍ، وَقَدْ قِيلَ لَهُ: ألا تَرى [إلى][(١)] ما يَصْنَعُ محمّدٌ مِنْ كَسْرِ الآلِهةِ، وَنِداءِ هَذا العَبْدِ الأسْوَدِ على الكَعْبةِ، فَقالَ: إنْ كانَ اللهُ يَكْرَهُ هَذا فَسَيُغَيِّرُهُ، ثُمّ حَسُنَ إسْلامُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَعْدُ، وَهاجَرَ إلى الشّامِ، فَلَمْ يَزَلْ جاهِدًا مُجاهِدًا، حَتّى اسْتُشْهِدَ هُنالِكَ رَحِمَهُ اللهُ.

وَأمّا بِنْتُ أبِي جَهْلٍ فَقالَتْ حِينَ سَمِعَتِ الأذانَ على الكَعْبةِ، فلما قالَ المؤذِّن: أشْهَدُ أنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللهِ، قالَتْ: عَمْرِي[(٢)]، لَقَدْ أكْرَمَكَ اللهُ وَرَفَعَ ذِكْرَك، فَلَمّا سَمِعَتْ: حَيَّ على الصّلاةِ، قالَتْ: أمّا الصّلاةُ فَسَنُؤَدِّيها، وَلَكِنْ واللهِ لا تُحِبُّ قُلُوبُنا مَنْ قَتَلَ الأحِبّةَ، ثُمّ قالَتْ: إنّ هَذا الأمْرَ لَحَقٌّ، وَقَدْ كانَ المَلَكُ جاءَ بِهِ أبِي، وَلَكِنْ كَرِهَ مُخالَفَةَ قَوْمِهِ ودِينِ آبائِهِ.

وَأمّا أبُو مَحْذُورةَ الجُمَحِيّ، واسْمُهُ: سَلَمةُ بنُ مِعْيَرٍ، وَقِيلَ: سَمُرةُ، فَإنّهُ لَمّا سَمِعَ الأذانَ، وَهُوَ مَعَ فتيةٍ[(٣)] من قريشٍ خارجَ مكّة، أقبلوا يستهزِئون [ويضحكون][(٤)]، وَيَحْكُونَ صَوْتَ المُؤَذِّنِ غَيْظًا[(٥)]، فَكانَ أبُو مَحْذُورةَ مِنْ أحْسَنِهِمْ صَوْتًا، فرَفَعَ صَوْتَهُ مُسْتَهْزِئًا بِالأذانِ، فَسَمِعَهُ رسولُ الله ﷺ، فَأمَرَ بِهِ فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ يَظُنّ أنّهُ مَقْتُولٌ، فَمَسَحَ رسولُ الله ﷺ ناصِيَتَهُ وَصَدْرَهُ بِيَدِهِ، قالَ: فامْتَلأ قَلْبِي والله إيمانًا وَيَقِينًا، وَعَلِمْتُ أنّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَألْقى عَلَيْهِ رسول الله ﷺ الأذانَ، وَعَلّمَهُ إيّاهُ، وَأمَرَهُ أنْ يُؤَذِّنَ لِأهْلِ مَكّةَ، وَهُوَ ابنُ سِتّ

---

(١) عن (س)، (ج).

(٢) في (ف): «لعمري».

(٣) في (ح): «فئة».

(٤) من (ب).

(٥) في (ب): «غليظًا».

عَشْرةَ سَنةً، فكانَ مُؤَذِّنَهُمْ حَتّى ماتَ ثُمّ عَقِبَهُ [بَعْدَهُ][١] يَتوارَثُونَ الأذانَ كابِرًا عَنْ كابِرٍ، وَفِي أَبِي مَحْذُورةَ يَقُولُ الراجزُ[٢]: [من الرجز]

أما وربِّ الكعبةِ المستُورهْ   وما تلا مُحَمّدٌ مِنْ سُورهْ
والنّغماتِ مِنْ أَبِي مَحْذُورَهْ   لَأفْعَلَنّ فِعْلةً مَذْكُورَهْ

وَأمّا هِنْدُ بِنْتُ عُتْبةَ امْرَأةُ أَبِي سُفْيانَ، فَإنّ مِنْ حَدِيثِها يَوْمَ الفَتْحِ أنّها بايَعَتْ رسولَ الله ﷺ وَهُوَ على الصَّفا، وَعُمَرُ دُونَهُ بِأدنى[٣] العَقَبةِ، فَجاءَتْ فِي نِسْوةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يُبايِعْنَ على الإسْلامِ، وَعُمَرُ يُكَلِّمُهُنّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمّا أخَذَ عَلَيْهِنّ: ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الممتحنة: ١٢]، قالَتْ هِنْدُ: قَدْ عَلِمْت أَنّهُ لَوْ كانَ مَعَ اللهِ غَيْرُهُ[٤] لأَغْنى [عَنّا][٥]، فَلَمّا قالَ: ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ﴾ [الممتحنة: ١٢]، قالَتْ: وَهَلْ تَسْرِقُ الحُرّةُ؟! لَكِنْ يا رَسُولَ اللهِ أَبُو سُفْيانَ رَجُلٌ مَسِيكٌ[٦] رُبّما أخَذْتُ مِنْ مالِهِ بِغَيْرِ عِلْمِهِ ما يُصْلِحُ وَلَدَهُ. فَقالَ رسولُ الله ﷺ: «خُذِي ما يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالمَعْرُوفِ»، ثُمّ قالَ: [أئنّكِ][٧] لأَنْتِ هِنْدُ؟ قالَتْ: نَعَمْ يا رَسُولَ اللهِ، اعْفُ عَنِّي، عَفا اللهُ عَنْك. وَكانَ أَبُو سُفْيانَ حاضِرًا، فَقالَ: أَنْتِ فِي حِلٍّ مِمّا أخَذْتِ، فَلَمّا قالَ: ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾ [الممتحنة: ١٢]، قالَتْ: وَهَلْ تَزْنِي

---

(١) ليست في (ب).
(٢) القائل: بعض شعراء قريش كما قال الزبير بن بكار عن عمه مصعب. انظر: «تهذيب الكمال» (٣٤: ٢٥٦).
(٣) في (ف): «بأعلى».
(٤) في (ب): «أن لو كان معه إله غيره».
(٥) ليس في (ص).
(٦) أي: بخيل. وفي (ب): «ممسك».
(٧) ليس في (ب).

الحُرّةُ يا رَسُولَ اللهِ؟! فَلَمّا قالَ: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة: ١٢]، قالَتْ: بِأبِي [أنْتَ][١] وَأُمِّي ما أكْرَمَك، وَأحْسَنَ ما دَعَوْت إلَيْهِ! فَلَمّا سَمِعَتْ: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٢]، قالَتْ: [قَدْ][٢] واللهِ رَبّيْناهُمْ صِغارًا، حَتّى قَتَلْتَهمْ أنْتَ وَأصْحابُك بِبَدْرٍ كِبارًا، قالَ: فَضَحِكَ عُمَرُ مِنْ قَوْلِها حَتّى مالَ[٣].

فَصْلٌ

وَذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي شُرَيْحٍ الخُزاعِيّ، واسْمُهُ: خُوَيْلِدُ بنُ عَمْرٍو، [وَقِيلَ: عَمْرُو][٤] بنُ خُوَيْلِدٍ، وَقِيلَ: كَعْبُ بنُ عمرو، وقيل: هانِئُ بنُ عَمْرٍو، قالَ: «لمّا قَدِمَ عَمْرُو بنُ الزُّبَيْرِ لِقِتالِ أخِيهِ عَبْدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ بِمَكّةَ»، هَذا وَهْمٌ مِن ابنِ هِشامٍ، وصوابه: عمرُو بنُ سعيدِ بنِ العاصي بنِ أُمَيّةَ، وَهُوَ الأشْدَقُ، ويُكنى أبا أُمَيّةَ، وَهُوَ الّذِي [كانَ][٥] يُسَمّى: لَطِيمَ الشّيْطانِ، وَكانَ جَبّارًا شَدِيدَ البَأْسِ، حَتّى خافَهُ عَبْدُ المَلِكِ على مُلكِه، فَقَتَلَهُ بِحِيلةٍ فِي خَبَرٍ طَوِيلٍ، وَرَأى رَجُلٌ عِنْدَ مَوْتِهِ فِي المَنامِ قائِلًا يَقُولُ: [من الطويل]

ألا يــا لَقَوْمِــي لِلسَّــفاهةِ والوَهْنِ ... وَلِلْعاجِزِ الموهُونِ والرّأيِ ذي الأفْنِ
وَلِابنِ سَــعِيدٍ بَيْنَمــا هُــوَ قائِــمٌ ... علــى قَدَمَيْهِ خَــرَّ لِلْوَجْــهِ والبَطْنِ

---

(١) ليس في (ب).

(٢) ليس في (ب).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» عن ابن عباس: (٢٨: ٧٨). وانظر: «تفسير ابن كثير» (٨: ٣٥٠٤-٣٥٠٥).

(٤) مكانه في (ب): «بن الزبير»، وهو من سبق النظر في فقرة آتية.

(٥) ليس في (ب).

رَأى الحِصْنَ مَنْجاةً مِنَ المَوْتِ فالتَجا إلَيْـهِ فَزارَتْـهُ المَنِيّةُ فِـي الحِصْنِ

فَقَصّ رُؤْياهُ على عَبْدِ المَلِكِ، فَأمَرَهُ أنْ يَكْتُمَها، حَتّى كانَ مِنْ قَتْلِهِ ما كانَ، وَهُوَ الّذِي خَطَبَ بِالمَدِينَةِ على مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَرَعَفَ حَتّى سالَ الدَّمُ إلى أسْفَلِهِ، فَعُرِفَ بِذَلِكَ مَعْنى حَدِيثِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ الّذِي[1] يُرْوى عَنْهُ: «كَأنّي بِجَبّارٍ مِنْ بَنِي أُمَيّةَ يَرْعُفُ على مِنْبَرِي هَذا حَتّى يَسِيلَ الدَّمُ إلى أسْفَلِهِ»[2]، أوْ كَما قالَ ﷺ، فَعُرِفَ الحَدِيثُ فِيهِ. فالصّوابُ إذًا عَمْرُو بنُ سَعِيدٍ لا عَمْرُو بنُ الزُّبَيْرِ، وَكَذا رَواهُ يُونُسُ بنُ بُكَيْرٍ عَنِ ابنِ إسْحاقَ، وَهَكَذا وَقَعَ فِي الصّحِيحَيْنِ[3]. ذَكَرَ هَذا التّنْبِيهَ على ابنِ هِشامٍ أبُو عُمَرَ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتابِ «الأجْوِبة عَن المَسائِلِ المُسْتَغْرَبةِ»، وَهِيَ مَسائِلُ مِنْ كِتابِ «الجامِع» لِلْبُخارِيّ، تَكَلّمَ عَلَيْها فِي ذَلِكَ الكِتابِ، وَإنّما دَخَلَ الوَهْمُ على ابنِ هِشامٍ أوْ على البَكّائِيّ فِي رِوايَتِهِ مِنْ أجْلِ أنّ عَمْرَو بنَ الزُّبَيْرِ كانَ مُعادِيًا لِأخِيهِ عَبْدِ اللهِ وَمُعِينًا لِبَنِي أُمَيّةَ عَلَيْهِ فِي تِلْكَ الفِتْنَةِ[4]، واللهُ أعْلَمُ.

---

(١) في (ح): «أنه يروى».

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢: ٥٢٢).

(٣) «صحيح البخاري»: كتاب العلم، باب ليبلغ الشاهد الغائب، رقم (١٠٤)، وفيه: «عن أبي شريح، أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولًا...». (ج)

(٤) في حاشية (ح) وبخط مغاير للصلب: «أقول: وحَضَر حَضْرَ أخيه وقاتله مع من قاتله، فلا يبعد أن تكون الواقعة معه، ويكون ابن هشام مصيبًا بدليل... أعني واقعة... أبي شريح كانت بمكة، ولم... عمرو بن سعيد الأشدق لم يحضرها ولم يحضرها أيام ابن الزبير، بل كان بدمشق يؤلب ويعين بالمال والرجال لكونه من تلك الدولة، أعني: الأموية. والله تعالى أعلم بما كان وما يكون».

فَصْلٌ

وَذَكَرَ أُمَّ حَكِيمٍ بِنْتَ الحارِثِ، وَكانَتْ تَحْتَ عِكْرِمةَ بنِ أَبِي جَهْلٍ، وَأَنّها[١] اتَّبَعَتْهُ حِينَ فَرّ مِن الإسْلامِ، فاسْتَأْمَنَتْ لَهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، واسْتُشْهِدَ عِكْرِمةُ بِالشّامِ، فَخَطَبَها يَزِيدُ بنُ أَبِي سُفْيانَ وَخالِدُ بنُ سَعِيدٍ، فَحَطَّتْ[٢] إلى خالِدٍ، فَتَزَوّجَها، فَلَمّا أرادَ البِناءَ بِها، وَجُمُوعُ الرُّومِ قَدِ احْتَشَدَتْ، قالَتْ لَهُ: لَوْ أَمْهَلْتَ حتى يَفُضَّ الله جمعهم، فقال[٣]: إنّ نَفْسِي تُحَدِّثُنِي أَنّي أُصابُ فِي جُمُوعِهِمْ، فَقالَتْ: فدُونَك، فابْتَنى بِها، فَلَمّا أَصْبَحَ التَقَتِ الجُمُوعُ وَأَخَذَت السّيُوفُ مِنْ كُلّ فَرِيقٍ مَأْخَذَها فَقُتِلَ خالِدٌ، وَقاتَلَتْ يَوْمَئِذٍ أُمّ حَكِيمٍ، وَإنّ عَلَيْها لَرَدْعَ الخَلُوقِ، وَقَتَلَتْ سَبْعةً مِن الرّومِ بِعَمُودِ الفُسْطاطِ بِقَنْطَرةٍ تُسَمّى إلى اليَوْمِ بِقَنْطَرةِ أُمّ حَكِيمٍ، وَذَلِكَ فِي غَزْوةِ[٤] أَجْنادِينَ[٥].

وَذَكَرَ فِي خُطْبةِ رسولِ الله ﷺ: «ألا وإنَّ كُلّ دمٍ ومَأْثُرةٍ كانتْ في الجاهليةِ فإنّها تَحْتَ قَدَمَيَّ، وَأَوّلُ دَمٍ أَضَعُهُ دَمُ رَبِيعةَ بنِ الحارِثِ[٦]»[٧]. كانَ لِرَبِيعةَ ابنٌ قُتِلَ فِي الجاهِلِيّةِ اسْمُهُ: آدَمُ، وَقِيلَ: تَمّامٌ، وَهُوَ رَبِيعةُ بنُ الحارِثِ بنِ عَبْدِ المُطّلِبِ، ماتَ فِي خِلافةِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَنةَ ثَلاثٍ وَعِشْرِينَ.

---

(١) في (ب): «وإنما».

(٢) أي: مالت إليه ونزلت بقلبها نحوه.

(٣) في (ح)، (ف): «قال».

(٤) في (ف): «بغزوة».

(٥) كانت وقعة أجنادين سنة (١٣هـ) قبل وفاة أبي بكر. انظر: «طبقات ابن سعد» (٨: ١٩١)، و«أسد الغابة» (٧: ٣٢١).

(٦) بعده في (ف): «بن عبد المطلب».

(٧) «سنن أبي داود»، كتاب المناسك، باب صفة حجة النبي ﷺ: (٢: ١٨٥).

فَصْلٌ

وذَكَرَ فِي حَدِيثِ أبي شُرَيْحٍ قَوْلَهُ عَلَيْهِ السّلامُ: «مَنْ قُتِلَ له بَعْدَ هَذا قتيل، فهو بِخَيْرِ النّظَرَيْنِ، إنْ شاءَ فلهُ دَمُه، وإن شاءَ فَعَقْلُه»[١]، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَإِنِ اخْتَلَفَتْ فِيهِ أَلْفاظُ الرّواةِ، وَظاهِرُهُ على هَذِهِ الرّوايةِ أنّ وَلِيَّ الدّمِ هُوَ المُخَيَّرُ؛ إنْ شاءَ أخَذَ الدّيةَ، وَهُوَ[٢] العَقْلُ، وَإنْ شاءَ قَتَلَ، وَقَدِ اخْتَلَفَ الفُقَهاءُ فِي فَصْلٍ مِنْ هَذِهِ المَسْألةِ، وَهُوَ أنْ يَخْتارَ وَلِيّ المَقْتُولِ أخْذَ الدّيةِ، وَيَأْبى القاتِلُ إلّا أنْ يُقْتَصّ مِنْهُ، فَقالَتْ طائِفَةٌ بِظاهِرِ الحَدِيثِ وَأن لا خيار لِلْقاتِلِ، وَقالَتْ طائِفةٌ: يُقْتَلُ القاتِلُ، وَلا يُجْبَرُ على إعْطاءِ المالِ، وَتَأوّلُوا الحَدِيثَ، وَهِيَ رِوايةُ ابنِ القاسِمِ، وَقالَتْ[٣] بِها طائِفةٌ مِن السّلَفِ، وَقالَ آخَرُونَ بِظاهِرِ الحَدِيثِ، وَهُوَ قَوْلُ الشّافِعِيّ وَأشْهَبَ[٤]، وَمَنْشَأُ الخلافِ مِن الاِحْتِمالِ فِي [تأويل][٥] قَوْلِهِ تبارك تَعالى: ﴿ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾ [البقرة: ١٧٨]، فاحْتَمَلَتِ الآيةُ عِنْدَ قَوْمٍ أنْ تَكُونَ «مِن» واقِعةً على وَلِيّ المَقْتُولِ، وَ«مِنْ أخِيهِ»؛ أيْ: مِنْ وَلِيّهِ المَقْتُولِ، أيْ: مِنْ دِيَتِهِ، و«عُفِيَ» أيْ: يُسِّرَ لَهُ شَيْءٌ مِن المالِ، واحْتَمَلَ أنْ تَكُونَ «من» واقِعةً على القاتِلِ، وَ«عُفِيَ» مِن العَفْوِ عَن الدّمِ، وَلا

(١) «فتح الباري»، كتاب العلم: (١: ٢٠٥).

(٢) في (ص): «وهي». وكلاهما صواب، فالتذكير مراعاة للخبر وهو الأولى، والتأنيث باعتبار ما يعود عليه الضمير وهي الدية.

(٣) في (ف): «وقال».

(٤) أبو عمرو أشهب بن عبد العزيز بن داود، مفتي مصر، سمع مالكًا والليث بن سعد، كان فقيهًا حسن الرأي والنظر، وُلد سنة (١٤٠هـ)، وتوفي سنة (٢٠٤هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (ص: ٥٠١-٥٠٣)، و«العبر» (١: ٣٤٥).

(٥) عن (ص).

خِلافَ أنّ المُتّبِعَ بِالمَعْرُوفِ هُوَ وَلِيُّ الدّمِ، وَأنّ المَأْمُورَ بِأداءٍ بِإحْسانٍ هُوَ القاتِلُ، وَإذا تَدَبّرْتَ الآية عرفتَ منشأ الخلافِ منها، ولاحَ مِنْ سِياقةِ الكَلامِ أيُّ القَوْلَيْنِ أوْلى بِالصَّوابِ، إنْ شاءَ الله.

وَأمّا ما ذَكَرْتُ مِنِ اخْتِلافِ أَلْفاظِ النَّقلة في الحديث، فيحصرُها سبعةُ ألفاظ:

أحَدُها: إمّا أنْ يُقْتَلَ وَإمّا أنْ يُفادَى.

الثّانِي: إمّا أنْ يُعْقَلَ أوْ يُقادَ.

الثّالِثُ: إمّا أنْ يُفْدَى وَإمّا أنْ يُقْتَلَ.

الرّابعُ: إمّا أنْ يُعْطِيَ الدِّيَةَ أوْ يُقادَ أَهْلُ القَتِيلِ.

الخامِسُ: إمّا أنْ يَعْفُوَ أوْ يَقْتُلَ.

السّادِسُ: يُقْتَلُ أوْ يُفادِي.

السّابِعُ: مَنْ قَتَلَ مُتعمِّدًا دُفِع إلى أولياءِ المقتول، فإن شاؤوا قتلوا، وإن شاؤوا أخَذُوا الدِّيَةَ. خَرّجَهُ التِّرْمِذِيّ[١]. وَرِوايةُ ابنِ إسْحاقَ فِي السِّيرةِ ثامِنةٌ، وَفِي بَعْضِ هَذِهِ الرِّواياتِ قُوّةٌ لِروايةِ ابنِ القاسِمِ، وَفِي بَعْضِها قُوّةٌ لِروايةِ أشْهَبَ، فَتَأمَّلْها.

وَخُطْبَتُهُ عَلَيْهِ السّلامُ أطْوَلُ مِمّا ذَكَرَ[٢] ابنُ هِشامٍ، وَفِيها مِنْ روايةِ الشّيْبانِيّ عَن ابنِ إسْحاقَ نَهْيُهُ عَنْ صِيامِ يَوْمَيْنِ، وَصَلاةِ ساعَتَيْنِ: يَعْنِي طُلُوعَ الشَّمْسِ وَغُرُوبَها، وَأنْ لا يتوارث أهل مِلَّتين، وعن لُبسَتينِ وطُعمَتين، وَفُسِّرَتا فِي

(١) انظر: «عارضة الأحوذي»، أبواب الديات: (٦: ١٧٧).

(٢) في (ف): «مما ذكرها».

الحَدِيثِ، فَقالَ: اللُّبْسَتانِ: اشْتِمالُ الصَّمّاءِ، وَأنْ يَحْتَبِيَ الرَّجُلُ وَلَيْس بَيْنَ عَوْرَتِهِ والسَّماءِ حِجابٌ. والطُّعْمَتانِ: الأكْلُ بِالشِّمالِ، وَأنْ يَأْكُلَ مُنْبَطِحًا على بَطْنِهِ(١).

[إسْلامُ ابنِ الزِّبَعْرى، وشِعْرُهُ في ذلك]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي سَعِيدُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ حَسّانَ بنِ ثابِتٍ، قالَ: رَمى حَسّانُ ابنَ الزِّبَعْرى وهُوَ بِنَجْرانَ بِبَيْتٍ واحِدٍ ما زادَهُ عَلَيْهِ:

لا تَعْدَمَنْ رَجُلًا أحَلَّك بُغْضُهُ ... نَجْرانَ في عَيْشٍ أحَذَّ لَئِيمِ

فَلَمّا بَلَغَ ذلك ابنَ الزِّبَعْرى خَرَجَ إلى رَسُولِ الله ﷺ فأسْلَمَ، فقالَ حِينَ أسْلَمَ:

يا رَسُولَ المَلِيكِ إنَّ لِسانِي ... راتِقٌ ما فتَقْتُ إذْ أنا بُورُ

إذْ أُبارِي الشَّيْطانَ في سَنَنِ الغَيِّ ... ومَنْ مالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ

آمَنَ اللَّحْمُ والعِظامُ لِرَبِّي ... ثُمَّ قَلْبِي الشَّهِيدُ أنْتَ النَّذِيرُ

إنَّنِي عَنْكَ زاجِرٌ ثَمَّ حَيًّا ... مِنْ لُؤَيٍّ وكُلُّهُمْ مَغْرُورُ

فَصْلٌ

وَذَكَرَ شِعر ابنِ الزِّبَعْرى: والزِّبَعْرى: البَعِيرُ الأزَبُّ مَعَ قِصَرٍ، وَفِيهِ:

[من الخفيف]

راتِقٌ ما فَتَقْتُ إذْ أنا بُورُ

(١) الحديث رواه الشيخان، وفيه: «عن بيعتين ولبستين». انظر: «فتح الباري»، كتاب مواقيت الصلاة: (٢: ٥٨)، و«مسلم»، كتاب البيوع: (٣: ١١٥٢).

قَوْلُهُ: «فَتَقْتُ» يَعْنِي: فِي الدِّينِ، فَكُلُّ إِثْمٍ فَتْقٌ وَتَمْزِيقٌ، وَكُلُّ تَوْبَةٍ رَتْقٌ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قِيلَ للتّوبةِ: نَصُوحٌ؛ من نَصَحْتُ الثَّوبَ: إذا خِطْتَه، والنِّصاحُ: الخَيْطُ، وَيَشْهَدُ لِصِحّةِ هَذا المعنى قولُ إبراهيمَ بنِ أدهم: [من الطويل]

نُرَقِّعُ دُنْيانــا بِتَمْزِيقِ دِينِنا ... فَلا دِينُنا يَبْقى وَلا ما نُرَقِّعُ

وَقَوْلُهُ: «إِذْ أنا بُورُ»؛ أيْ: هالِكٌ[1]، يُقالُ: رَجُلٌ بُورٌ وَبائِرٌ، وَقَوْمٌ بُورٌ، وَهُوَ جَمْعُ بائِرٍ، كأنّ الأصْلَ فِيهِ فُعُلٌ بِتَحْرِيكِ الواوِ، وَأمّا رَجُلٌ بُورٌ، فَوَزْنُهُ فُعْلٌ بِالسُّكُونِ؛ لِأَنّهُ وَصْفٌ بِالمَصْدَرِ، وَمِنْهُ قِيلَ: أَرْضٌ بُورٌ مِنَ البَوارِ، وَهُوَ هَلاكُ المَرْعى وَيُبْسُهُ.

❋ ❋ ❋

(١) في (ف): «أنا هالك».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ عَبْدُ اللهِ بنُ الزِّبَعْرى أيْضًا حِينَ أسْلَمَ:

مَنَـعَ الرُّقـادَ بَلابِـلٌ وهُمُـومُ ... واللَّيْـلُ مُعْتَلِـجُ الـرِّواقِ بَهِيـمُ
مِمّـا أتـانِي أنَّ أحْمَـدَ لامَـنِي ... فيـهِ فبِـتُّ كأنَّـنِي مَحْمُـومُ
يا خَيْرَ مَـنْ حَمَلَـتْ على أوْصالِها ... عَيْرانـةٌ سُرُحُ اليَدَيْـنِ غَشُـومُ
إنِّي لَمُعْتَـذِرٌ إلَيْـكَ مِـنَ الَّذي ... أسْـدَيْتُ إذْ أنا في الضَّـلالِ أهِيمُ
أيّـامَ تَأْمُـرُني بِأغْـوى خُطَّـةٍ ... سَـهْمٌ وتَأْمُـرُنِي بِهـا مَخْـزُومُ
وَأمُـدُّ أسْـبابَ الـرَّدى ويَقُودُنِي ... أمْـرُ الغُـواةِ وأمْرُهُـمْ مَشْـؤُومُ
فاليَـوْمَ آمَـنَ بِالنَّـبِيِّ مُحَمَّـدٍ ... قَلْـبِي ومُخْطِـئُ هَـذِهِ مَحْـرُومُ
مَضَت العَداوةُ وانْقَضَتْ أسْـبابُها ... ودَعَـتْ أواصِرُ بَيْنَنـا وحُلُـومُ
فاغْفِرْ فِدًى لَـكَ والِدايَ كِلاهُما ... زَلَـلِي فإنَّـكَ راحِـمٌ مَرْحُـومُ
وَعَلَيْكَ مِنْ عِلْـمِ المَلِيكِ عَلامةٌ ... نُـورٌ أغَـرُّ وخاتَـمٌ مَخْتُـومُ
أعْطـاكَ بَعْـدَ مَحَبّـةٍ بُرْهانَـهُ ... شَرَفًـا وبُرْهـانُ الإلَهِ عَظِيـمُ
وَلَقَدْ شَـهِدْتُ بِـأنَّ دِينَكَ صادِقٌ ... حَـقٌّ وأنَّـكَ في العِبادِ جَسِـيمُ
واللهُ يَشْـهَدُ أنَّ أحْمَـدَ مُصْطَـفًى ... مُسْـتَقْبَلٌ في الصّالِحِـينَ كَرِيـمُ
قَـرْمٌ عَـلا بُنْيانَـهُ مِنْ هاشِـمٍ ... فَـرْعٌ تَمَكَّـنَ في الذُّرا وأُرُومُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وبَعْضُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُها لَهُ.

[بَقاءُ هُبَيْرةَ على كُفْرِهِ، وشِعْرُهُ في إسْلامِ زَوْجِهِ أُمِّ هانِئٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأمّا هُبَيْرةُ بنُ أبي وهْبٍ المَخْزُومِيُّ فأقامَ بِها حَتّى

ماتَ كافِرًا، وكانَتْ عِنْدَهُ أُمُّ هانئٍ بِنْتُ أبي طالِبٍ، واسْمُها هِنْدٌ، وقَدْ قالَ حِينَ بَلَغَهُ إسْلامُ أُمِّ هانئٍ:

أشـــاقَتْكَ هِنْدٌ أمْ أتاكَ سُؤالُها ... كَذاكَ النَّوى أسْبابُها وانْفِتالُها
وَقَدْ أرَّقَتْ في رَأْسِ حِصْنٍ مُمَنَّعٍ ... بِنَجْرانَ يسْرِي بَعْدَ لَيْلٍ خَيالُها
وَعاذِلَـــةٍ هَبَّتْ بِلَيْـــلٍ تَلُومُنِي ... وتَعْذِلُنِي بِاللَّيْلِ ضَلَّ ضَلالُها
وَتَزْعُمُ أنِّي إنْ أطَعْتُ عَشِيرَتِي ... سَأُرْدى وهَلْ يُرْدِينِ إلّا زِيالُها
فَإنِّي لَمِنْ قَـــوْمٍ إذا جَدَّ جِدُّهُمْ ... على أيِّ حالٍ أصْبَحَ اليَوْمَ حالُها
وَإنِّي لَحامٍ مِنْ وراءِ عَشِـــيرَتِي ... إذا كانَ مِنْ تَحْتِ العَوالِي مَجالُها
وَصارَتْ بِأيْدِيها السُّيُوفُ كَأنَّها ... مَخارِيــقُ وِلْدانٍ ومِنْها ظِلالُها
وَإنِّي لَأقْلى الحاسِدِينَ وفِعْلَهُمْ ... على اللهِ رِزْقِي نَفْسُها وعِيالُها
وَإنَّ كَلامَ المَرْءِ في غَيْرِ كُنْهِهِ ... لَكالنَّبْلِ تَهْوِي لَيْسَ فيها نِصالُها
فَإنْ كُنْتِ قَدْ تابَعْتِ دِينَ مُحَمَّدٍ ... وعَطَّفَتِ الأرْحامَ مِنْكِ حِبالُها
فَكُونِي على أعلى سَحِيقٍ بِهَضْبَةٍ ... مُلَمْلَمَةٍ غَـــبْراءَ يَبْسٍ بِلالُها

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ويُرْوى: «وَقَطَّعَتِ الأرْحامَ مِنْكِ حِبالُها».

[عِدّةُ مَنْ شَهِدَ فتحَ مَكّةَ مِنَ المُسْلِمِينَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ جَمِيعُ مَنْ شَهِدَ فتحَ مَكّةَ مِنَ المُسْلِمِينَ عَشَرةَ آلافٍ. مِنْ بَنِي سُلَيم سبعُ مئةٍ. ويَقُولُ بَعْضُهُمْ: ألْفٌ، ومِنْ بَنِي غِفارٍ أربعُ مئةٍ، ومِنْ أسلمَ أربعُ مئةٍ، ومِنْ مُزَيْنةَ ألْفٌ وثَلاثَةُ نَفَرٍ، وسائِرُهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ والأنْصارِ وحُلَفائِهِمْ، وطَوائِفُ العَرَبِ مِنْ تَمِيمٍ وقَيْسٍ وأسَدٍ.

وَقَوْلُ ابنِ الزِّبَعْرى: [من الكامل]

والليْـلُ مُعْتَلِجُ الرُّواقِ بَهِيمُ

الاِعْتِلاجُ: شِدّةٌ وَقُوّةٌ، وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُها. والبَهِيمُ: الّذِي لَيْسَ فِيهِ لَوْنٌ يُخالِطُ لَوْنَهُ.

وَقَوْلُهُ: «سُرُحُ اليَدَيْنِ غَشُومُ». الغَشُومُ: الّتِي لا تُرَدُّ عَنْ وَجْهِها، وَيُرْوى: سَعُومُ، وَهِيَ القَوِيّةُ على السّيْرِ.

* * *

[شِعْرُ حَسّانَ في فتحِ مَكّةَ]

وَكانَ مِمّا قِيلَ مِنَ الشِّعْرِ في يَوْمِ الفَتْحِ قَوْلُ حَسّانَ بنِ ثابتٍ الأنْصارِيِّ:

عَفَتْ ذاتُ الأصابِعِ فالجِواءُ ... إلى عَــذْراءَ مَنْزِلُهــا خَلاءُ

دِيارٌ مِنْ بَنِي الحَسْحاسِ قَفْرٌ ... تُعَفِّيها الرَّوامِسُ والسَّـماءُ

وَكانَــتْ لا يَزالُ بِهــا أنِيسٌ ... خِــلالَ مُرُوجِها نَعَمٌ وشــاءُ

فَدَعْ هذا ولَكِنْ مَنْ لِطَيْفٍ ... يُؤَرِّقُــنِي إذا ذَهَبَ العِشــاءُ

لِشَــعْثاءَ الَّــتِي قَــدْ تَيَّمَتْهُ ... فلَيَــسَ لِقَلْبِهِ مِنْها شِــفاءُ

كَأنَّ سَــبِيئةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ ... يَكُونُ مِزاجَها عَسَلٌ وماءُ

إذا ما الأشْرِباتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا ... فهُــنَّ لِطَيِّبِ الــراحِ الفِداءُ

نولِّيهــا المَلامةَ إنْ ألَــمْنا ... إذا مــا كانَ مَغْــثٌ أوْ لِحاءُ

وَنَشْرَبُهــا فتَتْرُكُنــا مُلُــوكًا ... وأُسْــدًا ما يُنَهْنِهُنــا اللِّقاءُ

عَدِمْنا خَيْلَنــا إنْ لَمْ تَرَوْها ... تُثِــيرُ النَّقْــعَ مَوْعِدُها كَداءُ

يُنازِعْنَ الأعِنّــةَ مُصْغِياتٍ ... على أكْتافِها الأسَــلُ الظِّماءُ

تَظَــلُّ جِيادُنــا مُتَمَطِّراتٍ ... يُلَطِّمُهُــنَّ بِالخُمُرِ النِّســاءُ

فَإمّا تُعْرِضُوا عَنّــا اعْتَمَرْنا ... وكانَ الفَتْحُ وانْكَشَفَ الغِطاءُ

وَإلّا فاصْــبِرُوا لِجِــلادِ يَوْمٍ ... يُعِــينُ اللهُ فيــهِ مَنْ يَشــاءُ

وَجِبْرِيــلٌ رَسُــولُ اللهِ فينا ... ورُوحُ القُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفاءُ

وَقالَ اللهُ قَدْ أرْسَــلْتُ عَبْدًا ... يَقُــولُ الحَــقَّ إنْ نَفَعَ البَلاءُ

شَــهِدْتُ بِهِ فقُومُوا صَدِّقُوهُ ... فقُلْتُــمْ لا نَقُومُ ولا نَشــاءُ

وَقالَ اللهُ قَدْ سَـيَّرْتُ جُنْدًا   هُمُ الأنْصارُ عُرْضَتُها اللِّقاءُ
لَنـا في كُلِّ يَـوْمٍ مِـنْ مَعَدٍّ   سِـبابٌ أوْ قِتـالٌ أوْ هِجاءُ
فَنُحْكِمُ بِالقَوافي مَنْ هَجانا   ونَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدِّماءُ
ألا أبْلِـغْ أبا سُـفيانَ عَنِّي   مُغَلْغَلَـةً فقَدْ بَـرِحَ الخَفاءُ
بِأنَّ سُـيُوفَنا تَرَكَتْـكَ عَبْدًا   وعَبْدُ الدّارِ سـادَتُها الإماءُ
هَجَوْتَ مُحَمَّدًا وأجَبْتُ عَنْهُ   وعِنْـدَ اللهِ في ذاكَ الجَـزاءُ
أتَهْجُوهُ ولَسْـتَ لَهُ بِكُفْءٍ   فشَرُّكُمـا لِخَيْرِكُمـا الفِداءُ
هَجَـوْتَ مُبارَكًا بَـرًّا حَنِيفًا   أمِـينَ اللهِ شِـيمَتُهُ الوَفـاءُ
أمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ   ويَمْدَحُـهُ ويَنْصُرُهُ سَـواءُ؟
فَـإنَّ أبي ووالِدَهُ وعِـرْضِي   لِعِرْضِ مُحَمَّـدٍ مِنْكُمْ وِقاءُ
لِسـانِي صارِمٌ لا عَيْبَ فيهِ   وبَحْـرِي لا تُكَـدِّرُهُ الدِّلاءُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: قالَها حَسّانُ يَوْمَ الفَتْحِ. ويُرْوى: «لِسانِي صارِمٌ لا عَتْبَ فيهِ».

وبَلَغَني عَنِ الزُّهْرِيِّ أنَّهُ قالَ: لَـمّا رَأى رَسُولُ اللهِ ﷺ النِّساءَ يَلْطِمْنَ الخَيْلَ بِالخُمُرِ تَبَسَّمَ إلى أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فَصْلٌ

وَذَكَرَ شِعْرَ حَسّان يَوْمَ الفَتْحِ، وَأوّلُهُ: [من الوافر]

عَفَتْ ذاتُ الأصابِعِ فالجِواءُ

ذاتُ الأصابِعِ: مَوْضِعٌ بِالشّامِ، والجِـواءُ كَذَلِكَ، وَبِالجِواءِ كانَ مَنْزِلُ

الحارِثِ بنِ أَبِي شَمِرٍ، وَكانَ حَسّان كَثِيرًا ما يَرِدُ على مُلُوكِ غَسّانَ بِالشّامِ يَمْدَحُهُمْ؛ فَلِذَلِكَ يَذْكُرُ هَذِهِ المنازل.

وَقَوْلُهُ: «إلى عَذْراءَ»، هِيَ قَرْيَةٌ عِنْدَ دِمَشْقَ، فِيها قُتِلَ حُجْرُ بنُ عَدِيٍّ وَأَصْحابُهُ[١].

وَقَوْلُهُ: «نَعَمٌ وَشاءُ» النَّعَمُ: الإبِلُ، فَإذا قِيلَ: الأَنْعامُ دَخَلَ فِيها البَقَرُ والغَنَمُ. والشّاءُ والشّوِيُّ: اسْمٌ لِلْجَمِيعِ، كالضّأْنِ والضَّئِينِ، والإبِلِ والإِبِّيلِ، والمَعْزِ والمَعِيزِ، وَأَمّا الشّاةُ فَلَيْسَتْ مِنْ لَفْظِ الشّاءِ؛ لِأَنّ لامَ الفِعْلِ مِنْها هاءٌ. وبَنُو الحَسْحاسِ: حَيٌّ مِنْ بَنِي أَسَدٍ.

وَقَوْلُهُ: «الرّوامِسُ والسّماءُ» يَعْنِي: الرّياحَ والمَطَرَ. والسّماءُ لَفْظٌ مُشْتَرَكٌ يَقَعُ على المَطَرِ، وعلى السّماءِ الّتِي هِيَ السّقْفُ، وَلَمْ يُعْلَمْ[٢] ذَلِكَ مِنْ هَذا البَيْتِ وَنَحْوِهِ وَلا مِنْ قَوْلِهِ[٣]: [من الوافر]

إذا سَقَطَ السّماءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْناهُ وَإنْ كانُوا غِضابا

لِأَنّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ مَطَرَ السّماءِ، فَحُذِفَ المُضافُ، وَلَكِنْ إنّما عَرَفْناهُ مِنْ قَوْلِهِمْ فِي جَمْعِهِ: سُمِيٌّ [وأَسْمِية][٤]، وهُمْ يقولون في جمعِ السّماء: سموات وَأَسْمِيةٌ، فَعَلِمْنا أَنّهُ اسْمٌ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ شَيْئَيْنِ.

وَقَوْلُهُ: «وَلَكِنْ مَنْ لِطَيْفِ». الطّيْفُ: مَصْدَرُ طافَ الخَيالُ يَطِيفُ طَيْفًا، وَلَكِنْ لا يُقالُ لِلْخَيالِ: هُوَ طائِفٌ على وَزْنِ اسْمِ الفاعِلِ مِنْ طاف؛ لأنه لا حَقِيقةَ

---

(١) انظر: «جمهرة» ابن الكلبي: (ص: ٢٣٢، ٤٥٠)، و«جمهرة» ابن حزم: (ص: ٣٩١، ٤٢٦).

(٢) في (ف): «نعلم».

(٣) مُعَوِّد الحكماء، وهو معاوية بن مالك. والبيت في «المفضليات» (ص: ٣٥٩).

(٤) ليس في (ب)، (ص).

لِلْخَيالِ، فَيَرْجِعُ الأمْرُ إلى أنّهُ هو الطّيف، وهو توهُّمٌ وتخيُّل، وإنْ[1] كانَ شَيْءٌ لَهُ حَقيقةٌ قُلْتَ فِيهِ: طائِفٌ، وَفِي مَصْدَرِهِ: طَيْفٌ كَما فِي التّنْزيلِ: ﴿طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَـٰنِ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، [وَقَدْ قُرِئَ[2]: «طَيْفٌ مِن الشّيْطان»][3]؛ لِأَنّ غُرُورَ الشّيْطانِ وَأمانِيَّهُ تُشَبَّهُ بِالخَيالِ وما لا حَقِيقةَ لَهُ.

وَأمّا قوله: ﴿فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ [القلم: ١٩] فَلَيْسَ فِيهِ إلّا اسْمُ الفاعِلِ دُونَ المَصْدَرِ؛ لِأنّ الّذِي طافَ عَلَيْها لَهُ حَقِيقةٌ، وَهُوَ فاعِلٌ مَعْرُوفٌ بِالفِعْلِ، يُقالُ: إنّهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السّلامُ، فَتَحصّلَ مِنْ هَذا ثَلاثُ مَراتِبَ: الخَيالُ وَلا حَقِيقةَ لَهُ، فَلا يُعَبَّرُ عَنْهُ إلّا بِالطّيْفِ، وَحَدِيثُ الشّيْطانِ وَوَسْوَسَتُهُ، يُقالُ فِيهِ: طائِفٌ وَطَيْفٌ، وَكُلّ طائِفٍ سِوى هَذَيْنِ فَهُوَ اسْمُ فاعِلٍ، لا يُعَبَّرُ عَنْهُ بِطَيْفٍ، وَلا بِطَوافٍ، فَقِفْ على هَذِهِ النُّكْتةِ فِيهِ.

وَقَوْلُهُ: [من الوافر]

يُؤَرِّقُنِي إذا ذَهَبَ العِشاءُ

أيْ: يُسَهِّرُنِي، فَيُقالُ: كَيْفَ يُسَهِّرُهُ الطَّيْفُ، والطّيْفُ حُلْمٌ فِي المَنامِ؟

فالجَوابُ: أنّ الّذِي يُؤَرِّقُهُ لَوْعةٌ يَجِدُها عِنْدَ زَوالِهِ كَما قالَ الطّائِيّ[4]: [من البسيط]

ظَبْيٌ تَقَنّصْتُهُ لَمّا نَصَبْتُ لَهُ ... مِنْ آخِرِ اللّيْلِ أشْراكًا مِن الحُلُمِ

ثُمّ انْثَنى وَبِنا مِنْ ذِكْرِهِ سَقَمٌ ... باقٍ، وَإنْ كانَ مغسولًا من السَّقَمِ

(١) في (ج)، (ص): «فإن».

(٢) بعده في (ف): «أيضًا».

(٣) سقط من (أ).

(٤) أبو تمام، «ديوانه» (ص: ١٩١).

وَقَدْ أَحْسَنَ فِي قَوْلِهِ: «مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ»؛ تَنْبِيهًا على أَنَّهُ سَهِرَ لَيْلَهُ كُلَّهُ، إلّا ساعةَ جاءَ الخَيالُ مِنْ آخِرِهِ، فَكَأَنَّهُ مُسْتَرَقٌ مِنْ قَوْلِ حَسّان[1]: [من الخفيف]

وَخَيــال إذا تَغُورُ النُّجُومُ

ونظيرُ قوله: «يؤرِّقُني» - أي: يؤرِّقُني بِزَوالِهِ عَنِّي - قَوْلُ البُحْتُرِيّ[2]: [من الطويل]

ألمّتْ بِنا بَعْدَ الهُدُوِّ فَســامَحَتْ
بِوَصْلٍ مَتى تَطْلُبْهُ فِي الجِدِّ تُمنَعِ
وَوَلَّتْ كَأَنَّ البَيْنَ يَخْلجُ شَخْصَها
أوانَ تَوَلَّتْ مِنْ حَشايَ وَأَضْلُعِي

وَقَوْلُهُ: [من الوافر]

لِشَــعْثاءَ الَّتِــي قَــدْ تَيَّمَتْــهُ

شَعْثاءُ الَّتِي شَبَّبَ بِها حَسّان هِيَ بِنْتُ سَلّامِ بنِ مِشْكَمٍ اليَهُودِيّ، وَرُوِيَ أَنَّهُ قالَ: يا مَعْشَرَ يَهُودَ إنكم لتعلَمون أَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيّ، وَلَوْلا أَنْ تُعَيَّرَ بِها شعثاءُ ابنتي لتبِعْتهُ، [وقد كانتْ[3] تَحْتَ حَسّان أَيْضًا امْرَأَةٌ اسْمُها شَعْثاءُ بِنْتُ كاهِنٍ

---

(١) «ديوانه» (ص: ٤٠)، و«السيرة» (٢: ١٤٩)، وصدره:

منَـع النَـومَ بالعشـاءِ الهمـومُ

(٢) ديوانه: (٢: ١٢٣٧-١٢٣٨)، مع اختلاف في بعض الألفاظ، وبين هذين البيتين بيت آخر، وهو قوله:

«وما برحت حتى مضى الليل فانقضى ... وأعجلها داعي الصبـاح الملمع»

(٣) في (ف): «كان».

الأسلميّةُ، ولدتْ له [بنتَه][١] أُمَّ فِراسٍ][٢].

وَقَوْلُهُ: [من الوافر]

كَأنّ سبيئةً مِنْ بَيْتِ رَأْس

إلى آخِرِهِ، خَبَرُ «كَأنّ» فِي هَذا البَيْتِ مَحْذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: كَأنّ [فِي][٣] فِيها سبيئةً. وَمِثْلُ هَذا المَحْذُوفِ[٤] فِي النّكِراتِ حَسَنٌ؛ كَقَوْلِهِ[٥]: [من المنسرح]

إنَّ مَحَلًّا وَإنَّ مُرْتَحَلًا

أيْ: إنّ لَنا مَحَلًّا. وَكَقَوْلِ الآخَرِ[٦]: [من الطويل]

وَلَكِن زِنْجِيًّا طَوِيلًا مَشافِرُهْ

وَفِي «صَحِيحِ البُخارِيّ» فِي صِفةِ الدَّجّالِ: «أعْوَرُ كَأنّ عِنَبةً طافِيةً»[٧]، أيْ: كَأنّ فِي عَيْنِهِ[٨]. وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أنّ بَعْدَ هَذا البَيْتِ بَيْتًا فِيهِ الخَبَرُ وَهُوَ: [من الوافر]

---

(١) ليس في (ح)، (س)، (ف).

(٢) عن (ب). وانظر: «المعارف» (ص: ١٢٨).

(٣) عن (أ)، (ج). وانظر: «خزانة الأدب» (٩: ٢٢٧).

(٤) في (ف): «الحذف».

(٥) الأعشى، «ديوانه» (ص: ١٧٠)، وعجزه:

وإن في السـفْر ما مضى مَهَلا

(٦) هو الفرزدق، من قصيدة في «الأغاني» (٢٥: ٨٥٩٠)، وليست في ديوانه، وصدره:

فلو كنتَ ضبيًّا إذًا ما حبسـتني

(٧) انظر: «أمالي السهيلي» (ص: ١١٥).

(٨) في (ف): «عينيه».

على أَنْيابِها أَوْ طَعْمُ غَضٍّ مِن التُّفّاح هَصَّرهُ[١] اجتناءُ

وَهَذا البَيْتُ مَوْضُوعٌ لا يُشْبِهُ شِعْرَ حَسّان وَلا لَفْظَهُ.

وَقَوْلُهُ: [من الوافر]

نُوَلِّيها المَلامــةَ إنْ أَلَمْنا

أيْ: [إنْ][٢] أَتَيْنا بِما نُلامُ عَلَيْهِ صَرَفْنا اللّوْمَ إلى الخَمْرِ واعْتَذَرْنا بِالسُّكْرِ.

والمغْثُ: الضّرْبُ بِاليَدِ، واللِّحاءُ: المُلاحاةُ بِاللِّسانِ.

وَيُرْوى أنّ حَسّانَ مَرّ بِفِتْيةٍ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ فِي الإسْلامِ، فَنَهاهُمْ، فَقالُوا: واللهِ لَقَدْ أَرَدْنا تَرْكَها فَيُزَيِّنُها لَنا قَوْلُك: [من الوافر]

وَنَشْرَبُها فَتَتْرُكُنا مُلُوكًا[٣]

فَقالَ: واللهِ لَقَدْ قُلْتُها فِي الجاهِلِيّةِ، وَما شَرِبْتُها مُنْذُ أَسْلَمْت. وَلذلك قِيلَ: إنّ بَعْضَ هَذِهِ القَصِيدةِ قالَها فِي الجاهِلِيّةِ، وَقالَ آخِرَها فِي الإسْلامِ.

وَفِيها يَقُولُ لِأَبِي سُفْيانَ: [من الوافر]

فَشَــرُّكُما لِخَيْرِكُما الفِداءُ[٤]

وَفِي ظاهِرِ هذا اللّفْظِ شناعة[٥]؛ لِأَنّ المَعْرُوفَ أَلّا يُقالَ: هُوَ شَرُّهُما إلّا وَفِي كِلَيْهِما شَرّ، وَكَذَلِكَ: شَرٌّ مِنْك، وَلَكِنّ سِيبَوَيْهِ قالَ فِي «كِتابِهِ»: تَقُولُ:

(١) في (ف): «عصره».
(٢) عن (ب).
(٣) بعده في (ب): «وأُسدًا ما ينهنهنا اللقاء».
(٤) في (أ): «فداء».
(٥) في غير (ب): «بشاعة». والشناعة: الفظاعة.

مَرَرْتُ بِرَجُلٍ شَرٍّ مِنْك، إذا نَقَصَ عَنْ أنْ يَكُونَ مِثْلَهُ[١]، وَهَذا يَدْفَعُ الشَّناعةَ عَن الكَلام الأوّلِ، وَنَحْوٌ مِنْهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السّلامُ: «شَرُّ صُفُوفِ الرّجالِ آخِرُها»[٢]، يُرِيدُ: نُقْصانَ حَظِّهِمْ عَنْ حَظّ الصفِّ الأوّلِ، كَما قالَ سِيبَوَيْهِ، وَلا يَجُوزُ أنْ يُرِيدَ التّفْضِيلَ في الشرِّ، والله أعلم.

وَفِيها قَوْلُهُ [فِي صِفةِ الخَيْلِ][٣]: [من الوافر]

يُلَطِّمُهُنّ بِالخُمُرِ النِّســاءُ

قالَ[٤] ابنُ دُرَيْدٍ فِي «الجَمْهَرةِ»: كانَ الخَلِيلُ رَحِمَهُ اللهُ يَرْوِي بَيْتَ حَسّان: [من الوافر]

يُطَلِّمُهُنّ بِالخُمُرِ النِّســاءُ

وَيُنْكِرُ «يُلَطِّمُهُنّ» وَيَجْعَلُهُ بِمَعْنى: يَنْفُضُ النِّساءُ بِخُمُرِهِنَّ ما عَلَيْهِنّ مِنْ غُبارٍ أوْ نَحْوِ ذَلِكَ، وَأتْبَعَ ذلك[٥] ابنُ دُرَيْدٍ قَوْلَهُ: «الطَّلْمُ: ضَرْبُك خُبْزةَ المَلّةِ بِيَدِكَ لِتَنْفُضَ ما عَلَيْها مِن الرّمادِ، والطُّلْمةُ: الخُبْزةُ»، ومنه حَدِيثُ أبِي هُرَيْرةَ رضي الله عنه: «مَرَرْنا بِقَوْمٍ يُعالِجُونَ طُلْمةً لهم، فنفّرناهم عنها، فاقتسمناها، فأصابتني منها كِسْرةٌ، وَكُنْتُ أسْمَعُ فِي بَلَدِي أنّهُ مَنْ أكَلَ الخُبْزَ سَمِنَ، فَجَعَلْتُ أنْظُرُ فِي عِطْفَيَّ[٦] هَلْ ظَهَرَ فِيَّ السِّمَنُ بَعْدُ». وَمِمّا جاءَ فِي الحَدِيثِ مِنْ هَذا

---

(١) لم يقع لي هذا النص.

(٢) مسلم، كتاب الصلاة: (١ : ٢٣٦).

(٣) ليس في (ب).

(٤) في (أ)، (س): «وقال».

(٥) ليس في (ب). وفي غير (ص): «بذلك».

(٦) عِطفا كلِّ شيء: جانباه. يصف نفسه وما كان عليه من هزال.

المَعْنى أنّ رسول الله ﷺ رُئي يَمْسَحُ وَجْهَ فَرَسِهِ بِردائِهِ، فَقالَ: «عُوتِبْتُ اللّيْلَةَ فِي الخَيْلِ»(١).

وَفِيها: [من الوافر]

وَنُحْكِمُ بِالقَوافِي مَنْ هَجانا

نُحْكِمُ؛ أيْ: نَرُدُّ وَنَقْدَعُ هُوَ مِنْ حَكَمةِ الدّابّةِ، وَهُوَ لِجامُها، وَيَكُونُ المَعْنى أيْضًا: نُفْحِمُهُمْ ونُخرسِهُم، فَتَكُونُ قَوافِينا لَهُمْ كالحَكَماتِ(٢) لِلدّوابِّ، قالَ زُهَيْرٌ(٣): [من البسيط]

قَدْ أُحْكِمَتْ حَكَماتِ القَدِّ والأَبَقا

وَفِي هَذِهِ القَصِيدةِ: «مَوْعِدُها كَداءُ»، وَفِي رِوايةِ الشّيْبانِيّ: [من الوافر]

يَسِـيلُ بها كُدَيٌّ أو كَداءُ

وَقَدْ ذَكَرْنا كَداءَ وكُدَيًّا [قبل هذا](٤) وَذَكَرْنا مَعَهُما كُدًى(٥).

وَزادَ الشَّيْبانِيُّ فِي رِوايَتِهِ أبْياتًا فِي هَذِهِ القَصِيدةِ، وهِيَ: [من الوافر]

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢: ٤٦٨)، رقم (١٠٠٢) من حديث يحيى بن سعيد. (ج)

(٢) الحَكَمات: جمع حَكَمة ـ بالتحريك ـ وهي ما أحاط بحنكي الفرس من لجامه.

(٣) «ديوانه» (ص: ٤٩)، وصدره:

القائد الخيـل منكوبًا دوابرها

يذكر هرم بن سنان، يقول: قاد الخيل في الغزو فأبعد بها حتى نكبت مآخير الحوافر. والقدّ: سيرٌ. والأبق: شبه الكتان، أي: جعل ذلك لها حكمات.

(٤) عن (ص).

(٥) انظر: (٧: ٨٨).

وَحالَـتْ[١] دُونَ قَتْلِ بَنِـي لُؤَيٍّ ... جَـذِيـمـةُ إنّ قَـتْـلَـهُـمُ شِـفـاءُ
وَحِلْفُ الحارِثِ بْـنِ أَبِي ضِرارٍ ... وَحِلْـفُ قُرَيْظةٍ فِينا سَـواءُ
أُولَئِـكَ مَعْشَـرٌ أَلَبُـوا عَلَيْنـا ... فَفِـي أظْفارِنـا مِنْهُـمْ دِمـاءُ
سَتُبْصِرُ كَيْفَ نَفْصِلُ يا ابن حَرْبٍ ... بِمَـوْلاكَ الّذِيـنَ هُم الـرِّداءُ

[شِعْرُ أَنَسِ بنِ زُنَيْمٍ في الِاعْتِذارِ إلى الرَّسُول مِمّا قالَ ابنُ سالِمٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ أَنَسُ بنُ زُنَيْمٍ الدِّيلِيُّ يَعْتَذِرُ إلى رَسُولِ الله ﷺ مِمّا كانَ قالَ فيهِمْ عَمْرُو بنُ سالِمٍ الخُزاعِيُّ:

أَأَنْـتَ الّذي تُهْدى مَعَـدٌّ بِأمْرِهِ ... بَل الله يَهْدِيهِمْ وقالَ لَكَ اشْـهَدِ
وَما حَمَلَتْ مِـنْ ناقةٍ فوْقَ رَحْلِها ... أبَـرَّ وأوْفى ذِمّـةً مِـنْ مُحَمَّـدِ
أحَـثَّ على خَـيْرٍ وأسْـبَغَ نائِلًا ... إذا راحَ كالسَّيْفِ الصَّقِيلِ المُهَنَّدِ
وَأكْسى لِبُرْدِ الخـالِ قَبْلَ ابْتِذالِهِ ... وأعْطى لِرَأْسِ السّـابِقِ المُتَجَرِّدِ
تَعَلَّمْ رَسُـولَ الله أنَّـكَ مُدْرِكِي ... وأنَّ وعِيدًا مِنْـكَ كالأَخْذِ بِاليَدِ
تَعَلَّـمْ رَسُـولَ الله أنَّـكَ قادِرٌ ... على كُلِّ صِرْمٍ مُتْهِمِـينَ ومُنْجِـدِ
تَعَلَّمْ بِأنَّ الرَّكْـبَ رَكْبُ عُوَيْمِرٍ ... هُمُ الكاذِبُـونَ المُخْلِفُو كلّ مَوعِدِ
ونبَّـوْا رَسُـولَ الله أنِّي هَجَوْتُهُ ... فلا حَمَلَتْ سَـوْطِي إلَيَّ إذًا يَدِي
سِـوى أنّني قَدْ قُلْتُ ويْلُ امِّ فِتْيةٍ ... أُصِيبُوا بِنَحْسٍ لا بِطَلْقٍ وأسْـعُدِ
أصابَهُمُ مَنْ لَمْ يَكُـنْ لِدِمائِهِمْ ... كِفاءً فعَـزَّتْ عَـبْرَتِي وتَبَلُّدِي
فَإنَّكَ قَدْ أخفَرْتَ إنْ كُنْتَ ساعِيًا ... بِعَبْدِ بْـنِ عَبْـدِ الله وابنة مَهْوِدِ
ذُؤَيْـبٌ وكُلْثُوم وسَـلْمى تَتابَعُوا ... جَمِيعًا فـإلّا تَدْمَع العَـيْنُ اكْمَدِ

(١) في (ص): «وهاجت».

وَسَلْمى وسَــلْمى لَيْسَ حَيٌّ كَمِثْلِهِ وإِخْوَتِــهِ وهَــلْ مُلُــوكٌ كَأَعْبُدِ
فَــإِنِّي لا دِينًــا فتَقْــتُ ولا دَمًا هَرَقْتُ تَبَيَّنْ عالِــمَ الحَقِّ واقْصِدِ

[شِعْرُ بُدَيْلٍ في الرَّدِّ على ابنِ زُنَيْمٍ]

فَأَجابَهُ بُدَيْلُ بنُ عَبْدِ مَنافِ بنِ أُمِّ أَصْرَمَ، فقالَ:

بَكى أَنَسٌ رَزْنًــا فأَعْوَلَهُ الْبُكا فــأَلّا عَدِيًّــا إِذْ تُطَــلُّ وتُبْعَدُ
بَكَيْــتَ أبا عَبْسٍ لِقُرْبِ دِمائِها فتُعْذِرَ إِذْ لا يُوقِدُ الحَرْبَ مُوقِدُ
أَصابَهُــمُ يَــومَ الخَنــادِمِ فِتْيَةٌ كِرامٌ فسَــلْ مِنْهُمْ نفيلٌ ومعبَدُ
لَكَ إِنْ تُسْــفَحْ دُمُوعُكَ لا تُلَمْ عَلَيْهِمْ وإِنْ لَمْ تَدْمَعِ العَيْنُ فاكْمَدُوا

قالَ ابنُ هِشامٍ: وهَذِهِ الأَبْياتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

فَصْلٌ

وَذَكَرَ شِعْرَ أَنَسِ بنِ زُنَيم[1] الدِّيلي، وَفِيهِ: [من الرجز]

وأُعْطى لِثَوبِ الخالِ قَبْلَ ابْتِذالِهِ

الخالُ: مِنْ بُرُودِ اليَمَنِ، وَهُوَ مِنْ رَفِيعِ الثِّيابِ. وَأَحْسَبُهُ سُمِّيَ بِالخالِ الَّذي بِمَعْنى: الخُيَلاءِ؛ كَما قالَ زَيْدُ بنُ عَمْرٍو: [من مجزوء الرجز]

البِرَّ أَبْغِي لا الخـالَ[2]

وَفِيهِ: [من الطويل]

---

(١) في النسخ: «أنس بن سليم». انظر: «أسد الغابة» (١: ١٤٧).

(٢) تقدم في (٢: ٣٣٠) من هذا الكتاب.

تَعَلَّمْ رَسُولَ اللهِ أَنَّك مُدْرِكِي وَأَنَّ وَعِيدًا مِنْك كالأَخْذِ باليَدِ

وَهَذا البَيْتُ سَقَطَ مِنْ رِوايةِ أَبِي جَعْفَرِ بنِ الوَرْدِ، كَذا[1] أَلْفَيْتُهُ فِي حاشِيةِ كِتابِ الشَّيْخِ أبي بحر، رَحِمَهُ اللهُ، وَمَعْناهُ مِنْ أَحْسَنِ المَعانِي، يُنْظَرُ إلى قَوْلِ النّابغةِ[2]: [من الطويل]

فَإنَّـك كاللَّيْلِ الَّذِي هُـوَ مُدْرِكِي وَإنْ خِلْتُ أَنَّ المُنْتَأى عَنْكَ واسِعُ
خَطاطِيفُ حُجْـنٍ فِي حِبالٍ مَتِينةٍ تُمَـدّ بِهـا أَيْـدٍ إلَيْـكَ نَـوازِعُ

فالقَسِيمُ الأَوّلُ كالبَيْتِ الأَوّلِ من قول النابغة، والقَسِيمُ الثّانِي كالبَيْتِ الثّانِي، لَكِنّهُ أَطْبَعُ مِنْهُ وَأَوْجَزُ.

[وَقَوْلُ النّابِغةِ][3]: «كاللّيْلِ»[4] فِيهِ مِنْ حُسْنِ التّشْبِيهِ ما لَيْسَ فِي قَوْلِ الدِّيلِيّ، إلّا أَنّهُ يَسْمُجُ مِثْلُ هَذا التّشْبِيهِ فِي النّبِيّ ﷺ؛ لِأَنّهُ نُورٌ وَهُدًى، فَلا يُشَبَّهُ بِاللّيْلِ، وَإنّما حَسُنَ فِي قَوْلِ النّابِغةِ أَنْ يَقُولَ: كاللّيْلِ، وَلَمْ يَقُلْ: كالصّبْحِ؛ لِأَنّ اللّيْلَ تُرْهَبُ غَوائِلُهُ، وَيُحْذَرُ مِنْ إدْراكِهِ ما لا يُحْذَرُ مِن النّهارِ. وَقَدْ أَخَذَ بَعْضُ الأندلسيِّين هَذا المَعْنى فَقالَ فِي هَرَبِهِ مِن ابنِ عَبّادٍ: [من الطويل]

كَـأَنّ بِـلادَ اللهِ وَهْـيَ عَرِيضةٌ تَشُـدُّ بِأَقْصاهـا عَلَـيّ الأنامِـلا
فَأَيْـنَ مَفَـرُّ المَـرْءِ عَنْـك بِنَفْسِـهِ إذا كانَ يَطْوِي فِي يَدَيْكَ المَراحِلا؟

وَهَذا كُلُّهُ مَعْنًى مُنْتَزَعٌ مِنْ كلامِ القُدَماءِ [المتقدِّمين][5]. رُوِيَ [عن

(١) في (ف): «كذلك».
(٢) «ديوانه» (ص: ٥٩).
(٣) سقط من (س).
(٤) في (ب): «فإنك كالليل».
(٥) في (ب)، (ج)، (ص): «من كلام الحكماء المتقدمين».

الطَّبَرِيّ][1] أنّ مِنُوشِهْرَ بنَ إيرَجَ بنِ أَفْرِيدُون بنِ أثْفِيان، وَهُوَ الّذِي بُعِثَ مُوسى عَلَيْهِ السّلامُ فِي زَمانِهِ ـ أعْنِي: زَمانَ منوشهر ـ قالَ حِينَ عُقِدَ التّاجُ على رَأْسِهِ فِي خُطْبَةٍ لَهُ طَوِيلَةٍ: «أيُّها النّاسُ، إنَّ الخَلْقَ لِلْخالِقِ، وَإنّ الشّكْرَ لِلْمُنْعِمِ، وَإنّ التّسْلِيمَ لِلْقادِرِ، وَإنّهُ لا أضْعَفَ مِنْ مَخْلُوقٍ طالِبًا أوْ مَطْلُوبًا، وَلا أقْوى مِنْ طالِبٍ طِلْبَتُهُ فِي يَدِهِ، وَلا أعْجَزَ مِنْ مَطْلُوبٍ [هُوَ[2] فِي يَدِ طالِبِهِ].

[شِعْرُ بُجَيْرٍ فِي يَوْمِ الفَتْحِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ بُجَيْرُ بنُ زُهَيْرِ بنِ أبي سُلْمى في يَوْمِ الفَتْحِ:

نَفى أهْلَ الحَبَلَّقِ كُلَّ فَجٍّ ... مُزَيْنَةُ غُدْوَةً وبَنُو خُفافِ

ضَرَبناهُمْ بِمَكّةَ يَوْمَ فتْحِ النّبِيّ ... الخَيْرِ بِالبِيضِ الخِفافِ

صَبَحْناهُمْ بِسَبْعٍ مِنْ سُلَيْمٍ ... وألْفٍ مِنْ بَنِي عُثْمانَ وافِ

نَطا أكْتافَهُمْ ضَرْبًا وطَعْنًا ... ورَشْقًا بِالمُرَيَّشَةِ اللِّطافِ

تَرى بَيْنَ الصُّفُوفِ لَهَا حَفيفًا ... كَما انْصاعَ الفُواقُ مِنَ الرِّصافِ

فَرُحْنا والجِيادُ تَجُولُ فيهِمْ ... بِأرْماحٍ مُقَوَّمَةِ الثِّقافِ

فَأُبنا غانِمِينَ بِما اشْتَهَيْنا ... وآبُوا نادِمِينَ على الخِلافِ

وَأعْطَيْنا رَسُولَ اللهِ مِنّا ... مَواثِقَنا على حُسْنِ التَّصافي

وَقَدْ سَمِعُوا مَقالَتَنا فهَمُّوا ... غَداةَ الرَّوْعِ مِنّا بانْصِرافِ

وَأنْشَدَ لِبُجَيْرِ بنِ زُهَيْرٍ: [من الوافر]

نَفى أهْلَ الحَبَلَّقِ كُلَّ فَجٍّ ... مُزَيْنَةُ غُدْوةً وبنو خُفافِ

---

(١) عن (ب).

(٢) ليس في (ب)، (ج)، (ص).

الحَبلَّق: أَرْضٌ تَسْكُنُها[١] قَبائِلُ مِنْ مُزَيْنَةَ وَقَيْسٍ[٢]، والحَبَلّقُ: الغَنَمُ الصِّغارُ، وَلَعَلَّهُ أن يكونَ أرادَ بِقَوْلِهِ: «أَهْلَ الحَبَلّقِ» أَصْحابَ[٣] الغَنَمِ.

وَبَنُو عُثْمانَ هُمْ مُزَيْنةُ[٤]، وهم عثمان بنِ لاطمٍ[٥] بنِ أُدِّ بنِ طابِخةَ، وَمُزَيْنةُ أُمّهُمْ بِنْتُ كَلْبِ بنِ وَبَرةَ بن تَغْلِبَ بنِ حُلْوانَ بنِ الحافِ بنِ قُضاعةَ، وَأُخْتُها: الحَوْأَبُ الّتِي عُرِفَ بِها ماءُ الحَوْأَبِ المَذْكُورُ فِي حَدِيثِ عائِشةَ[٦] رضي الله عنها، وَأَصْلُ الحَوْأَبِ فِي اللّغةِ: القَدَحُ الضّخْمُ الواسِعُ. وَبَنُو خُفافٍ: بَطْنٌ مِنْ سُلَيْمٍ.

وَقَوْلُهُ: [من الوافر]

ضَرَبناهُمْ بِمَكّةَ يَوْمَ فَتْحِ النّـــ ـــنَبيِّ الخيرِ بالبِيضِ الخفافِ

فِي البَيْتِ مُداخَلةٌ، وَهُوَ انْتِهاءُ القَسِيمِ [الأوّلِ][٧] فِي بَعْضِ كَلِمةٍ مِن القَسِيمِ الثّانِي، وَهُوَ عَيْبٌ عِنْدَهُمْ إلّا فِي الخَفِيفِ والهَزَجِ، وَمَعْنى الخَيْرِ؛ أيْ: ذُو الخَيْرِ، وَيَجُوزُ أنْ يكونَ أرادَ الخَيِّرَ فَخَفَّفَ، كَما يُقالُ: هَيِّنٌ وهَيْنٌ. وَفِي التّنْزِيلِ: ﴿خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠].

وَقَوْلُهُ: «انْصاعَ»[٨] أيْ: ذَهَبَ. والرِّصافُ: عَقَبةٌ تُلْوى على فُوقِ السّهْمِ.

---

(١) في (ف): «يسكنها».
(٢) نقله الزبيدي في «تاج العروس»: انظر: (حبلق).
(٣) في (ب)، (ج)، (ص): «أي أصحاب».
(٤) في (ب): «هم بنو مزينة وهم بنو عثمان».
(٥) الذي في «جمهرة» الكلبي: (ص: ٢٨٧)، وابن حزم: (ص: ٤٨١) أن عثمان هو ابن عمرو ابن أدّ، كما ذكر الكلبي أن لاطمًا هو ابن عثمان.
(٦) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٦: ٥٢، ٩٧).
(٧) ليس في (ب).
(٨) ذكر القَسيمَ الثانيَ كاملًا في (س).

وَأرادَ بِالفُواقِ: الفُوقَ، وَهُوَ غَرِيبٌ.

وَذَكَرَ صاحِبُ «العَيْنِ» فِي الفُواقِ صَوْتَ الصَّدْرِ[1]، وَهُوَ بِالهَمْزِ فِي قَوْلِ ابنِ الأعْرابِيِّ، لا أنه مِنْ ذَواتِ الواوِ.

[شِعْرُ ابنِ مِرْداسٍ في فتْحِ مَكّةَ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وقالَ عَبّاسُ بنُ مِرْداسٍ السُّلَمِيُّ في فتْحِ مَكّةَ:

مِنّا بِمَكّةَ يَوْمَ فتْحِ مُحَمَّدٍ ... ألْفٌ تَسِيلُ بِهِ البِطاحُ مُسَوَّمُ

نَصَرُوا الرَّسُولَ وشاهَدُوا أيّامَهُ ... وشِعارُهُمْ يَوْمَ اللِّقاءِ مُقَدَّمُ

في مَنْزِلٍ ثَبَتَتْ بِهِ أقْدامُهُمْ ... ضَنْكٍ كَأنَّ الهامَ فيهِ الحَنْتَمُ

جَرَّتْ سَنابِكَها بِنَجْدٍ قَبْلَها ... حَتّى اسْتَقادَ لَها الحِجازُ الأدْهَمُ

اللهُ مَكَّنَهُ لَهُ وأذَلَّهُ ... حُكْمُ السُّيُوفِ لَنا وجَدٌّ مِزْحَمُ

عَوْدُ الرِّياسةِ شامِخٌ عِرْنِينُهُ ... مُتَطَلِّعٌ ثُغَرَ المَكارِمِ خِضْرِمُ

إسْلامُ عَبّاسِ بنِ مِرْداسٍ

[سَبَبُ إسْلامِ ابنِ مِرْداسٍ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وكانَ إسْلامُ عَبّاسِ بنِ مِرْداسٍ، فيما حَدَّثَني بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ، وحَدِيثُهُ أنَّهُ كانَ لِأبيهِ مِرْداسٍ وثَنٌ يَعْبُدُهُ، وهُوَ حَجَرٌ كانَ يُقالُ لَهُ: ضَمارِ، فلَمّا حَضَرَ مِرْداسٌ قالَ لِعَبّاسٍ: أيْ بُنَيَّ، اعْبُدْ ضمارِ فإنَّهُ يَنْفَعُكَ ويَضُرُّكَ، فبَيْنا عَبّاسٌ يَوْمًا عِنْدَ ضمارِ، إذْ سَمِعَ مِنْ جَوْفِ ضَمارِ

---

(١) «العين» (٥: ٢٢٤)، ولفظه: «والفواق: ترجيع الشهقة الغالبة».

مُنادِيًا يَقُولُ:

قُــلْ لِلْقَبائِلِ مِنْ سُــلَيْمٍ كُلِّها   أوْدى ضَمارِ وعاشَ أهْلُ المَسْجِدِ
إنَّ الَّذي ورِثَ النُّبُوّةَ والهُدى   بَعْدَ ابنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدِي
أوْدى ضَمــارِ وكانَ يُعْبَدُ مَرّةً   قَبْلَ الكِتــابِ إلى النَّبِيِّ مُحَمَّدِ

فَحَرَّقَ عَبّاسٌ ضَمارِ، ولَحِقَ بِالنَّبِيِّ ﷺ فأسْلَمَ.

فَصْلٌ

وَذَكَرَ عَبّاسَ بنَ مِرْداسٍ[(١)]، وَيُكْنى أبا الفَضْلِ، وَقِيلَ: أبا الهَيْثَمِ، وَمِنْ ذُرِّيّتِهِ عَبْدُ المَلِكِ بنُ حَبِيبٍ فَقِيهُ الأنْدَلُسِ، وَنَسَبُهُ: عَبّاسُ بنُ مِرداسِ بنِ أبي عامرِ ابنِ جارِيَةَ بنِ عَبْدِ بنِ عبسٍ[(٢)] بنِ رِفاعةَ بنِ الحارِثِ بنِ بُهْثَةَ بنِ سُلَيْمٍ السُّلَمِيُّ. كانَ أبُوهُ صاحِبًا لِحَرْبِ بنِ أُمَيّةَ، وَقَتَلَتْهُما الجِنُّ [جميعًا][(٣)] فِي خَبَرٍ مَشْهُورٍ، وَعَبّاسٌ مِمّنْ حَرَّمَ على نَفْسِهِ الخَمْرَ فِي الجاهِلِيّةِ، وَحَرّمَها أيْضًا على نَفْسِهِ قَبْلَ الإسْلامِ أبُو بَكْرٍ، وَعُثْمانُ، وَعَبْدُ الرّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ، وَقَيْسُ بنُ عاصِمٍ، وَقَبْلَ هَؤُلاءِ حَرَّمَها على نَفْسِهِ عَبْدُ المُطّلِبِ بنُ هاشِمٍ، وَوَرَقَةُ بنُ نَوْفَلٍ، وَعَبْدُ اللهِ بنُ جُدْعانَ، وَشَيْبَةُ بنُ رَبِيعةَ، والوَلِيدُ بنُ المُغِيرةِ[(٤)]، وَمِنْ قُدَماءِ الجاهِلِيّةِ عامِرُ بنُ الظَّرِبِ العُدْوانِيّ[(٥)].

---

(١) بعده في (س): «السلمي في فتح مكة».

(٢) في النسخ: «عباس». والمثبت عن «جمهرة» ابن الكلبي: (ص: ٤٠٤)، و«جمهرة» ابن حزم: (ص: ٢٦٣)، و«أسد الغابة» (٣: ١٦٨).

(٣) عن (ج)، (ص). وانظر: «أسد الغابة» (٣: ١٦٨).

(٤) في (أ)، (ب)، (س)، (ف): «الوليد بن الوليد». ومثله في صلب (ح)، وصُوب في الحاشية.

(٥) انظر: «الأوائل» لأبي هلال العسكري: (١: ٨٣) وما بعدها، و«أسد الغابة» (٣: ١٦٩).

وذَكَرَ فِي سَبَبِ إسْلامِ عَبّاسٍ ما سَمِعَ مِنْ جَوْفِ الصّنَمِ الّذِي كانَ يَعْبُدُهُ، وَهُوَ ضَمارِ بكسرِ الراء، وهو مثل حَذامِ ورَقاشِ، وَلا يَكُونُ مِثْلُ هَذا البناءِ إلا فِي أسماء المؤنّث، وكانوا يجعلون آلهتهم إناثًا؛ كاللات والعُزّى ومَناةَ؛ لِاعْتِقادِهِم الخَبِيثَ [فِي المَلائِكَةِ][1] أنّها بَناتُ [الله][2].

وَفِي ضَمارِ في لُغةِ أَهْلِ الحِجازِ وَبَنِي تَمِيمِ البِناءُ على الكَسْرِ لا غَيْر، مِنْ أجْلِ أنّ آخِرَهُ راءٌ، وَما لَمْ يَكُنْ فِي آخِرِهِ راءٌ كَحَذامِ وَرَقاشِ، فَهُوَ مَبنِيّ فِي لُغةِ أَهْلِ الحِجازِ، وَمُعْرَبٌ غَيْرُ مُجْرًى في لغة غيرِهم، كذلك قالَ سيبويهِ[3].

وَذَكَرَ ابنُ أبِي الدّنْيا فِي سَبَبِ إسْلام عَبّاسٍ [حَدِيثًا أسْنَدَهُ عَنْ رِجالِه، عَن الزّهْرِيّ، عَنْ عَبْدِ الرّحْمَنِ بنِ أنَسٍ السَّلْمانِيِّ، عَنْ عَبّاسٍ][4] بنِ مِرْداسٍ، أنّهُ كانَ فِي لِقاحٍ لَهُ نِصْفَ النّهارِ، فاطّلَعَتْ عَلَيْهِ نَعامةٌ بَيْضاءُ عَلَيْها راكِبٌ عَلَيْهِ ثِيابٌ بَياضٍ، فَقالَ لِي: يا عَبّاسُ بنَ مِرداسٍ، أَلَمْ تَرَ أنّ السّماءَ كَفّتْ أحْراسَها، وَأنّ الحَرْبَ جَرَّعَتْ[5] أنْفاسَها، وَأنّ الخَيْلَ وَضَعَتْ[6] أحْلاسَها، وَأنّ الّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ البِرُّ والتُّقى يَوْمَ الِاثْنَيْنِ لَيْلَةَ الثُّلاثاءِ صاحِبُ النّاقةِ القَصْواءِ؟[7] قالَ: فَخَرَجْتُ مَرْعُوبًا قَدْ راعَنِي ما رَأيْتُ، وَسَعَيْتُ حَتّى جِئْتُ[8] وَثَنًا لنا يُقالُ لَهُ:

---

(١) ليس في (ب).
(٢) عن (أ)، (س). وانظر: «تفسير ابن كثير» تفسير آية النحل: ٥٧.
(٣) انظر: «الكتاب» (٣: ٢٧٧-٢٧٨).
(٤) سقط من (ب).
(٥) في (ص): «أفرغت». و«جرَّعت» هكذا ضبط في الأصول، وكأن المعنى أنها كظمت غيظها، على المجاز.
(٦) الحِلْس: كساء على ظهر البعير تحت البَرذعة.
(٧) في (ب): «القمراء». والقصواء: ناقة رسول الله. انظر: «أسد الغابة» (١: ٣٧).
(٨) في (ب): «أتيت».

الضَّمارِ كُنّا نَعْبُدُهُ وَنُكَلِّمُ مِنْ جَوْفِهِ، فَكَنَسْتُ ما حَوْلَهُ، ثُمّ تَمَسّحْتُ بِهِ، فَإذا صائِحٌ يَصِيحُ مِنْ جَوْفِهِ: [من الكامل]

قُــلْ لِلْقَبائِــلِ مِــنْ قُرَيْــشٍ كُلِّها هَلَكَ الضَّمارِ وَفازَ أَهْلُ المَسْجِدِ

هَلَــكَ الضَّمــارِ وَكانَ يُعْبَــدُ مَرّةً قَبْلَ الصّــلاةِ على النّبِــيّ مُحَمّدِ

إنّ الّــذِي وَرِثَ النّبُــوّةَ والهُدى بَعْدَ ابنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدِي[1]

قالَ: فَخَرَجْتُ مَذْعُورًا حَتّى جِئْتُ قَوْمِي، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِم القِصّةَ، وَأَخْبَرْتهم الخَبَرَ، فَخَرَجْتُ فِي ثَلاثِ مِئَةٍ مِنْ قَوْمِي مِنْ بَنِي جارِيةَ[2] إلى رسول الله ﷺ بِالمَدِينةِ، فَدَخَلْنا المَسْجِدَ، فَلَمّا رَآنِي رسولُ الله[3] ﷺ [تَبَسّمَ][4] وَقالَ لي: يا عَبّاسُ، كَيْفَ إسْلامُك؟ فقصصتُ عليه القصة، فقال: صَدَقْت، فَأَسْلَمْتُ أنا وَقَوْمِي.

* * *

(١) في (ف): «مهتد».

(٢) في (ف): «حارثة».

(٣) في (ف): «النبي».

(٤) سقط من (ب).

[شِعْرُ جَعْدةَ في يَوْمِ الفَتْحِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وقالَ جَعْدةُ بنُ عَبْدِ اللهِ الخُزاعِيُّ يَوْمَ فتْحِ مَكّةَ:

أَكَعْبَ بنَ عَمْرٍو دَعْوةً غَيْرَ باطِلٍ لِحَيْنٍ لَهُ يَوْمَ الحَدِيدِ مُتاحِ
أُتِيحَتْ لَهُ مِنْ أَرْضِهِ وسَمائِهِ لِتَقْتُلَهُ لَيْلًا بِغَيْرِ سِلاحِ
وَنَحْنُ الأُلى سَدَّتْ غَزالَ خُيُولُنا ولِفْتًا سَدَدْناهُ وفَجَّ طِلاحِ
خَطَرْنا وراءَ المُسْلِمِينَ بِجَحْفَلٍ ذَوِي عَضُدٍ مِنْ خَيْلِنا ورِماحِ

وَهَذِهِ الأَبْياتُ في أَبْياتٍ لَهُ.

[شِعْرُ بُجَيْدٍ في يَوْمِ الفَتْحِ]

وَقالَ بُجَيْدُ بنُ عِمْرانَ الخُزاعِيُّ:

وَقَدْ أَنْشَأَ اللهُ السَّحابَ بِنَصْرِنا رُكامَ صِحابِ الهَيْدَبِ المُتَراكِبِ
وَهِجْرَتُنا في أَرْضِنا عِنْدَنا بِها كِتابٌ أَتى مِنْ خَيْرِ مُمْلٍ وكاتِبِ
وَمِنْ أَجْلِنا حَلَّتْ بِمَكّةَ حُرْمَةٌ لِنُدْرِكَ ثَأْرًا بِالسُّيُوفِ القَواضِبِ

فَصْلٌ

وذَكَرَ فِي شِعْرِ جَعْدَةَ الخُزاعِيّ «غَزالَ»، وَهُوَ اسْمُ طَرِيقٍ غَيْر مَصْرُوفٍ، وَقالَ كُثَيِّرٌ فِي قَصِيدَتِهِ المَشْهُورةِ يَذْكُرُ غَزالَ[1]: [من الطويل]

(١) «ديوانه» (ص: ٩٦)، وفيه: «بفيفاءِ آل». وفي «أمالي القالي» (٢: ١٠٥) مثل ما هنا. وقال =

أُنادِيك ما حَجَّ الحَجِيجُ وَكَبّرَتْ   بِفَيْفا غَزالٍ رُفْقةٌ وَأَهَلّتِ

وَكَذَلِكَ «لِفْتٌ» اسْمُ مَوْضِعٍ[1]، وَفِي لِفْتٍ يَقُولُ مَعْقِلُ بنُ خُوَيْلِدٍ: [من الوافر]

لَعَمْرُكَ ما خَشِيتُ وَقَدْ بَلَغْنا   جِبالَ الجَوْزِ مِنْ بَلَدٍ تهامِ

نَزِيعًا مُحْلِبًا مِنْ أَهْلِ لِفْتٍ   لِحَيٍّ بَيْنَ أَثْلَةَ والنِّجامِ

وَقَدْ تَقَدّمَ هَذا البَيْتُ الأَخِيرُ فِي بابِ الهِجْرةِ[2].

* * *

= القالي: أناديك: أجالسك، مأخوذ من النديّ والنادي جميعًا، وهما المجلس. وفَيفاء غزال: بمكة حيث ينزل الناس منها إلى الأبطح، والأبطح بين مكة ومنى.

(١) بعده في (ب): «وقد تقدم ذكره في الهجرة وفيه يقول...». انظر (٤: ٢٠٧) تخريج الشعر.

(٢) انظر: (٤: ٢٠٧).

مَسِيرُ خالِدِ بنِ الوَلِيدِ بَعْدَ الفَتْحِ إلى بَنِي جَذِيمةَ مِنْ كِنانةَ ومَسِيرُ عَلِيٍّ لِتَلافي خَطَأِ خالِدٍ

[وَصاةُ الرَّسُولِ لَهُ، وما كانَ مِنْهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فيما حَوْلَ مَكّةَ السَّرايا تَدْعُو إلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ، ولَمْ يَأْمُرْهُمْ بِقِتالٍ، وكانَ مِمَّنْ بَعَثَ خالِدُ بنُ الوَلِيدِ، وأمَرَهُ أنْ يَسِيرَ بِأسْفَلِ تِهامةَ داعِيًا، ولَمْ يَبْعَثْهُ مُقاتِلًا، فوَطِئَ بَنِي جَذِيمةَ، فأصابَ مِنْهُمْ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وقالَ عَبّاسُ بنُ مِرْداسٍ السُّلَمِيُّ في ذلك:

فإنْ تكُ قَدْ أمَّرْت في القَوْمِ خالِدًا ... وقَدَّمْتَهُ فإنَّهُ قَدْ تَقَدَّما
بِجُنْدٍ هَداهُ اللهُ أنْتَ أمِيرُهُ ... نُصِيبُ بِهِ في الحَقِّ مَنْ كانَ أظْلَما

قالَ ابنُ هِشامٍ: وهذانِ البَيْتانِ في قَصِيدةٍ لَهُ في حَدِيثِ يَوْمِ حُنَيْنٍ، سَأذْكُرُها إنْ شاءَ اللهُ في مَوْضِعِها.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَني حَكِيمُ بنُ حَكِيمِ بنِ عَبّادِ بنِ حُنَيْفٍ، عَنْ أبي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيٍّ، قالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خالِدَ بنَ الوَلِيدِ حِينَ افْتَتَحَ مَكّةَ داعِيًا، ولَمْ يَبْعَثْهُ مُقاتِلًا، ومَعَهُ قَبائِلُ مِن العَرَبِ؛ سُلَيْمُ بنُ مَنْصُورٍ، ومُدْلِجُ بنُ مُرّةَ، فوَطِئُوا بَنِي جَذِيمةَ بنِ عامِرِ بنِ عَبْدِ مَناةَ بنِ كِنانةَ، فلَمّا رَآهُ القَوْمُ أخَذُوا السِّلاحَ، فقالَ خالِدٌ: ضَعُوا السِّلاحَ؛ فإنَّ

النَّاسَ قَدْ أَسْلَمُوا.

قالَ ابنُ إِسْحاقَ: فحَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحابِنا مِنْ أَهْلِ العِلْمِ مِنْ بَنِي جَذِيمَةَ، قالَ: لَـمّا أَمَرَنا خالِدٌ أَنْ نَضَعَ السِّلاحَ قالَ رَجُلٌ مِنّا يُقال لَهُ: جَحْدَم: ويْلَكُمْ يا بَنِي جَذِيمةَ، إِنَّهُ خالِدٌ، واللهِ ما بَعْدَ وضْعِ السِّلاحِ إِلّا الإِسارُ، وما بَعْدَ الإِسارِ إِلّا ضَرْبُ الأَعْناقِ، واللهِ لا أَضَعُ سِلاحِي أَبَدًا. قالَ: فأَخَذَهُ رِجالٌ مِنْ قَوْمِهِ فقالُوا: يا جَحْدَمُ، أَتُرِيدُ أَنْ تَسْفِكَ دِماءَنا؟ إِنَّ النّاسَ قَدْ أَسْلَمُوا ووَضَعُوا السِّلاحَ، ووُضِعَتِ الحَرْبُ، وأَمِنَ النّاسُ. فلَمْ يَزالُوا بِهِ حَتّى نَزَعُوا سِلاحَهُ، ووَضَعَ القَوْمُ السِّلاحَ لِقَوْلِ خالِدٍ.

قالَ ابنُ إِسْحاقَ: فحَدَّثَنِي حَكِيمُ بنُ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيٍّ، قالَ: فلَمّا وضَعُوا السِّلاحَ أَمَرَ بِهِمْ خالِدٌ عِنْدَ ذلك، فكُتِفُوا، ثُمَّ عَرَضَهُمْ على السَّيْفِ، فقَتَلَ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ، فلَمّا انْتَهى الخَبَرُ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ رَفَعَ يَدَيْهِ إلى السَّماءِ ثُمَّ قالَ: «اللهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمّا صَنَعَ خالِدُ بنُ الوَلِيدِ».

[غَضَبُ الرَّسُولِ مِمّا فعَلَ خالِدٌ، وإِرْسالُهُ عَلِيًّا]

قالَ ابنُ هِشامٍ: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ، أَنَّهُ حُدِّثَ عَنْ إِبْراهِيمَ بنِ جَعْفَرٍ المَحْمُودِيِّ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَأَيْتُ كَأَنِّي لَقِمْتُ لُقْمَةً مِنْ حَيْسٍ، فالتَذَذْتُ طَعْمَها، فاعْتَرَضَ في حَلْقِي مِنْها شَيْءٌ حِينَ ابْتَلَعْتُها، فأَدْخَلَ عَلِيٌّ يَدَهُ فنَزَعَهُ»، فقالَ أَبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يا رَسُولَ اللهِ، هَذِهِ سَرِيَّةٌ مِنْ سَراياكَ تَبْعَثُها، فيأْتِيكَ مِنْها بَعْضُ ما تُحِبُّ، ويَكُونُ في بَعْضِها اعْتِراضٌ، فتَبْعَثُ عَلِيًّا فيُسَهِّلُهُ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وحَدَّثَنِي أنَّهُ انْفَلَتَ رَجُلٌ مِن القَوْمِ فأتى رَسُولَ الله ﷺ، فأَخْبَرَهُ الخَبَرَ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «هَلْ أنْكَرَ عَلَيْهِ أحَدٌ؟» فقالَ: نَعَمْ، قَدْ أنْكَرَ عَلَيْهِ رَجُلٌ أبْيَضُ رَبْعةٌ، فنَهَمَهُ خالِدٌ، فسَكَتَ عَنْهُ، وأنْكَرَ عَلَيْهِ رَجُلٌ آخَرُ طَوِيلٌ مُضْطَرِبٌ، فراجَعَهُ، فاشْتَدَّتْ مُراجَعَتُهُما، فقالَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ: أمّا الأوَّلُ يا رَسُولَ الله فابنِي عَبْدُ الله، وأمّا الآخَرُ فسالِمٌ، مَوْلى أبي حُذَيْفةَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي حَكِيمُ بنُ حَكِيمٍ، عَنْ أبي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيٍّ، قالَ: ثُمَّ دَعا رَسُولُ الله ﷺ عَلِيَّ بنَ أبي طالِبٍ رِضْوانُ الله عَلَيْهِ، فقالَ: «يا عَلِيُّ، اخْرُجْ إلى هَؤُلاءِ القَوْمِ، فانْظُرْ في أمْرِهِمْ، واجْعَلْ أمْرَ الجاهِلِيّةِ تَحْتَ قَدَمَيْكَ».

فَخَرَجَ عَلِيٌّ حَتّى جاءَهُمْ ومَعَهُ مالٌ قَدْ بَعَثَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ، فوَدى لَهُم الدِّماءَ وما أُصِيبَ لَهُمْ مِن الأمْوالِ، حَتّى إنَّهُ لَيَدِي لَهُمْ مِيلَغةَ الكَلْبِ، حَتّى إذا لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنْ دَمٍ ولا مالٍ إلّا وداهُ، بَقِيَتْ مَعَهُ بَقِيّةٌ مِن المالِ، فقالَ لَهُمْ عَلِيٌّ رِضْوانُ الله عَلَيْهِ حِينَ فرَغَ مِنْهُمْ: هَلْ بَقِيَ لَكُمْ بَقِيّةٌ مِنْ دَمٍ أوْ مالٍ لَمْ يُودَ لَكُمْ؟ قالُوا: لا. قالَ: فإنِّي أُعْطِيكُمْ هَذِهِ البَقِيّةَ مِنْ هذا المالِ احْتِياطًا لِرَسُولِ الله ﷺ، مِمّا يَعْلَمُ ولا تَعْلَمُونَ. ففَعَلَ، ثُمَّ رَجَعَ إلى رَسُولِ الله ﷺ فأخْبَرَهُ الخَبَرَ، فقالَ: «أصَبْتَ وأحْسَنْتَ».

قالَ: ثُمَّ قامَ رَسُولُ الله ﷺ فاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ قائِمًا شاهِرًا يَدَيْهِ، حَتّى إنَّهُ لَيُرى مِمّا تَحْتَ مَنْكِبَيْهِ، يَقُولُ: «اللهُمَّ إنِّي أبْرَأُ إلَيْكَ مِمّا صَنَعَ خالِدُ بنُ الوَلِيدِ»، ثَلاثَ مَرّاتٍ.

[مَعْذِرةُ خالِدٍ في قِتالِ القَوْمِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ قالَ بَعْضُ مَنْ يَعْذِرُ خالِدًا: إنَّهُ قالَ: ما قاتَلْتُ حَتّى أمَرَنِي بِذلك عَبْدُ الله بنُ حُذافةَ السَّهْمِيُّ، وقالَ: إنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ أمَرَكَ أنْ تُقاتِلَهُمْ لِامْتِناعِهِمْ مِنَ الإسْلامِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: قالَ أبو عَمْرٍو المَدَنِيُّ: لَمّا أتاهُمْ خالِدٌ قالُوا: صَبَأْنا صَبَأْنا.

[ما كانَ بَيْنَ خالِدٍ وبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وزَجْرُ الرَّسُولِ لِخالِدٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ كانَ جَحْدَمٌ قالَ لَهُمْ حِينَ وضَعُوا السِّلاحَ، ورَأى ما يَصْنَعُ خالِدٌ بِبَنِي جَذِيمةَ: يا بَنِي جَذِيمةَ، ضاعَ الضَّرْبُ، قَدْ كُنْتُ حَذَّرْتُكُمْ ما وقَعْتُمْ فيهِ. قَدْ كانَ بَيْنَ خالِدٍ وبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ، فيما بَلَغَنِي، كَلامٌ في ذلك، فقالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ: عَمِلْتَ بِأمْرِ الجاهِلِيّةِ في الإسْلامِ. فقالَ: إنَّما ثَأرْتُ بِأبيكَ. فقالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: كَذَبْتَ، قَدْ قَتَلْتَ قاتِلَ أبِي، ولَكِنَّكَ ثَأرْتَ بِعَمِّكَ الفاكِهِ بنِ المُغِيرةِ. حَتّى كانَ بَيْنَهُما شَرٌّ، فبَلَغَ ذلك رَسُولَ الله ﷺ، فقالَ: «مَهْلًا يا خالِدُ، دَعْ عَنْك أَصْحابي، فواللهِ لَوْ كانَ لَكَ أُحُدٌ ذَهَبًا ثُمَّ أنْفَقْتَهُ في سَبِيلِ الله ما أدْرَكْتَ غَدْوةَ رَجُلٍ مِنْ أصْحابِي ولا رَوْحَتَهُ».

[ما كانَ بَيْنَ قُرَيْشٍ وبَنِي جَذِيمةَ مِنِ اسْتِعْدادٍ لِلْحَرْبِ ثُمَّ صُلْح]

وَكانَ الفاكِهُ بنُ المُغِيرةِ بنِ عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ، وعَوْفُ بنُ عَبْدِ مَنافِ بنِ عَبْدِ الحارِثِ بنِ زُهْرةَ، وعَفّانُ بنُ أبي العاصِ بنِ أُمَيّةَ بنِ

عَبْدِ شَمْسٍ قَدْ خَرَجُوا تُجّارًا إلى اليَمَنِ، ومَعَ عَفّانَ ابنُهُ عُثْمانُ، ومَعَ عَوْفٍ ابنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فلَمّا أقْبَلُوا حَمَلُوا مالَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي جَذِيمةَ بنِ عامِرٍ، كانَ هَلَكَ بِاليَمَنِ، إلى ورَثَتِهِ، فادَّعاهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقالُ لَهُ: خالِدُ بنُ هِشامٍ، ولَقِيَهُمْ بِأرْضِ بَنِي جَذِيمةَ قَبْلَ أنْ يَصِلُوا إلى أهْلِ المَيِّتِ، فأبَوْا عَلَيْهِ، فقاتَلَهُمْ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ على المالِ لِيَأْخُذُوهُ، وقاتَلُوهُ، فقُتِلَ عَوْفُ بنُ عَبْدِ عَوْفٍ، والفاكِهُ بنُ المُغِيرةِ، ونَجا عَفّانُ بنُ أبي العاصِ وابنُهُ عُثْمانُ، وأصابُوا مالَ الفاكِهِ بنِ المُغِيرةِ، ومالَ عَوْفِ بنِ عَبْدِ عَوْفٍ، فانْطَلَقُوا بِهِ، وقَتَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ خالِدَ بنَ هِشامٍ قاتِلَ أبيهِ، فهَمَّتْ قُرَيْشٌ بِغَزْوِ بَنِي جَذِيمةَ، فقالَتْ بَنُو جَذِيمةَ: ما كانَ مُصابُ أصْحابِكُمْ عَنْ مَلأٍ مِنّا، إنَّما عَدا عَلَيْهِمْ قَوْمٌ بِجَهالةٍ، فأصابُوهُمْ ولَمْ نَعْلَمْ، فنَحْنُ نَعْقِلُ لَكُمْ ما كانَ لَكُمْ قِبَلَنا مِنْ دَمٍ أوْ مالٍ، فقَبِلَتْ قُرَيْشٌ ذلك، ووَضَعُوا الحَرْبَ.

[شِعْرُ سَلْمى فيما بَيْنَ جَذِيمةَ وقُرَيْشٍ]

وَقالَ قائِلٌ مِنْ بَنِي جَذِيمةَ، وبَعْضُهُمْ يَقُولُ: امْرَأةٌ يُقالُ لَها: سَلْمى:

وَلَوْلا مَقالُ القَوْمِ لِلْقَوْمِ أسْلِمُوا ... لَلاقَتْ سُلَيْمٌ يَوْمَ ذلك ناطِحا

لَماصَعَهُمْ بُسْرٌ وأصْحابُ جَحْدَمٍ ... ومُرّةُ حَتّى يَتْرُكُوا البَرْكَ ضابِحا

فَكائِنْ تَرى يَوْمَ الغُمَيْصاءِ مِنْ فتًى ... أُصِيبَ ولَمْ يُجْرَحْ وقَدْ كانَ جارِحا

أَلَظَّتْ بِخُطّابِ الأيامى وطَلَّقَتْ ... غَداتَئِذٍ مِنْهُنَّ مَنْ كانَ ناكِحا

قالَ ابنُ هِشامٍ: قَوْلُهُ «بُسْرٌ»، و«أَلَظَّتْ بِخُطّابِ» عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

[شِعْرُ ابنِ مِرْداسٍ في الرَّدِّ على سَلْمى]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فأجابَها عَبّاسُ بنُ مِرْداسٍ، ويُقالُ: بَلِ الجَحّافُ بنُ

حَكِيمٍ السُّلَمِيُّ:

دَعِي عَنْكِ تَقْوالَ الضَّلالِ كَفى بِنا ... لِكَبْشِ الوَغى في اليَوْمِ والأمْسِ ناطِحا
فَخالِدُ أوْلى بِالتَّعَذُّرِ مِنْكُم ... غَداةَ عَلا نَهْجًا مِن الأمْرِ واضِحا
مُعانًا بِأمْرِ اللهِ يُزْجِي إلَيْكُمُ ... سَوانِح لا تَكْبُو لَهُ وبَوارِحا
نَعَوْا مالِكًا بِالسَّهْلِ لَمّا هَبَطْنَهُ ... عَوابِسَ في كابِي الغُبارِ كَوالِحا
فَإنْ نَكُ أثْكَلناكِ سَلمى فما لك ... تَرَكْتُمْ عَلَيْهِ نائِحاتٍ ونائِحا

[شِعْرُ الجَحّافِ في الرَّدِّ على سَلْمى]

وَقالَ الجَحّافُ بنُ حَكِيمٍ السُّلَمِيُّ:

شَهِدْنَ مَعَ النَّبِيِّ مُسَوَّماتٍ ... حُنَيْنًا وهْيَ دامِيَةُ الكِلامِ
وَغَزْوَةَ خالِدٍ شهدت وجَرَّتْ ... سَنابِكَهُنَّ بِالبَلَدِ الحَرامِ
نعرض لِلطِّعانِ إذا التَقَيْنا ... وُجُوهًا لا تُعَرَّضُ لِلِّطامِ
وَلَسْتُ بِخالِعٍ عَنِّي ثِيابِي ... إذا هَزَّ الكُماةُ ولا أُرامِي
وَلَكِنِّي يَجُولُ المُهْرُ تَحْتِي ... إلى العَلواتِ بِالعَضْبِ الحُسامِ

[حَدِيثُ ابنِ أبِي حَدْرَدٍ الفَتى الجَذْمِيِّ يَوْمَ الفَتْحِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بنُ عُتْبَةَ بنِ المُغِيرةِ بنِ الأخْنَسِ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ ابنِ أبِي حَدْرَدٍ الأسْلَمِيِّ، قالَ: كُنْتُ يَوْمَئِذٍ في خَيْلِ خالِدِ ابنِ الوَلِيدِ، فقالَ لِي فتى مِنْ بَنِي جَذِيمةَ، وهُوَ في سِنِّي، وقَدْ جُمِعَتْ يَداهُ إلى عُنُقِهِ بِرُمّةٍ، ونِسْوةٌ مُجْتَمِعاتٌ غَيْرَ بَعِيدٍ مِنْهُ: يا فتى، فقُلْتُ: ما تَشاءُ؟ قالَ: هَلْ أنْتَ آخِذٌ بِهَذِهِ الرُّمّةِ، فقائِدِي إلى هَؤُلاءِ النِّسْوةِ حَتّى أقْضِيَ إليهنّ حاجة، ثُمَّ تَرُدَّنِي بَعْدُ، فتَصْنَعُوا بِي ما بَدا لَكُمْ؟ قالَ: قُلْتُ: واللهِ لَيَسِيرٌ ما

طَلَبْتَ. فأخَذْتُ بِرُمَّتِهِ فقُدْتُهُ بِها، حَتّى وقَفَ عَلَيْهِنَّ، فقالَ: اسْلَمِي حُبَيْش، على نَفَدٍ مِنَ العَيْشِ:

أَرَيْتُكِ إذْ طالَبْتُكُمْ فوَجَدْتُكُمْ بِحَلْيَةَ أَوْ أَلْفيتُكُمْ بِالخَوانِق
أَلَمْ يَكُ أَهْلًا أَنْ يُنَوَّلَ عاشِقٌ تَكَلَّفَ إدْلاجَ السُّرى والوَدائِق
فَلا ذَنْبَ لِي قَدْ قُلْتُ إذْ أَهْلُنا مَعًا أَثِيبِي بِوُدٍّ قَبلَ إحْدى الصَّفائِق
أَثِيبِي بِوُدٍّ قَبْلَ أَنْ تَشْحَطَ النَّوى ويَنْأى الأَمِيرُ بِالحَبِيبِ المُفارِقِ
فَإنِّي لا ضَيَّعْتُ سِرَّ أمانَةٍ ولا راقَ عَيْنِي عَنْكَ بَعْدَكَ رائِق
سِوى أَنَّ ما نالَ العَشِيرَةَ شاغِلٌ عَنِ الوُدِّ إلّا أَنْ يَكُونَ التَّوامُق

قالَ ابنُ هِشامٍ: وأَكْثَرُ أَهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُ البَيْتَيْنِ الآخِرَيْنِ مِنْها لَهُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بنُ عُتْبَةَ بنِ المُغِيرَةِ بنِ الأَخْنَسِ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ ابنِ أَبِي حَدْرَدٍ الأَسْلَمِيِّ، قالَ قالَتْ:

وأَنْتَ فحُيِّيتَ سَبْعًا وعَشْرا وِتْرًا وثَمانِيًا تَتْرى

قالَ: ثُمَّ انْصَرَفْتُ بِهِ، فضُرِبَتْ عُنُقُهُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي أبو فِراسِ بنُ أَبِي سُنْبُلَةَ الأَسْلَمِيُّ، عَنْ أَشْياخٍ مِنْهُمْ، عَمَّنْ كانَ حَضَرَها مِنْهُمْ، قالُوا: فقامَتْ إلَيْهِ حِينَ ضُرِبَتْ عُنُقُهُ فأَكَبَّتْ عَلَيْهِ، فما زالَتْ تُقَبِّلُهُ حَتّى ماتَتْ عِنْدَهُ.

[شِعْرُ رَجُلٍ مِنْ بَنِي جَذِيمةَ في يَوْمِ الفَتْحِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي جَذِيمةَ:

جَزى اللهُ عَنّا مُدْلِجًا حَيْثُ أصبَحتْ جزاءة بؤسي حَيْثُ سارَتْ وحَلَّتِ
أقامُوا على أقْضاضِنا يَقْسِمُونَها وقْدَ نَهَلَتْ فينا الرّماح وعَلَّت
فو اللهِ لَوْلا دِينُ آلِ مُحَمَّدٍ لَقَدْ هَرَبَتْ مِنْهُمْ خُيُولُ فشَلَّت
وَما ضَرَّهُمْ أنْ لا يُعِينُوا كَتِيبةً كَرِجْلِ جَرادٍ أرسلت فاشْمَعَلَّتِ
فَإمّا يُنِيبُوا أوْ يَثُوبُوا لِأمْرِهِمْ فلا نَحْنُ نَجْزِيهِمْ بِما قَدْ أضَلَّتِ

[شِعْرُ وهْبٍ في الرَّدِّ عَلَيْهِ]

فَأجابَهُ وهْبٌ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي لَيْثٍ، فقالَ:

دَعَوْنا إلى الإسْلامِ والحَقِّ عامِرًا فما ذَنْبُنا في عامِرٍ إذْ تَوَلَّتِ
وَما ذَنْبُنا في عامِرٍ لا أبا لَهُمْ لِأَنْ سَفِهَتْ أحْلامُهُمْ ثُمَّ ضَلَّتِ

وَقالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي جَذِيمةَ:

لِيَهْنِئْ بَنِي كَعْبٍ مُقَدَّمُ خالِدٍ وأصْحابِهِ إذْ صَبَّحَتْنا الكَتائِبُ
فَلا تِرةٌ يَسْعى بِها ابنُ خُوَيْلِدٍ وقَدْ كُنْتَ مَكْفيًا لَوَ انَّكَ غائِبُ
فَلا قَوْمُنا يَنْهَوْنَ عَنّا غُواتَهُمْ ولا الدّاءُ مِنْ يَوْمِ الغُمَيْصاءِ ذاهِبُ

[شِعْرُ غُلامٍ جَذْمِيٍّ هارِبٍ أمامَ خالِدٍ]

وَقالَ غُلامٌ مِنْ بَنِي جَذِيمةَ، وهُوَ يَسُوقُ بِأُمِّهِ وأُخْتَيْنِ لَهُ وهُوَ هارِبٌ بِهِنَّ مِنْ جَيْشِ خالِدٍ:

رَخِّينَ أذْيالَ المُرُوطِ وارْبَعَنْ مَشْيَ حَيِيّاتٍ كَأنْ لَمْ يُفْزَعَنْ
إنْ تُمْنَعِ اليَوْمَ نِساءٌ تُمْنَعَنْ

[ارتجاز غلمة من بَنِي جَذِيمةَ حِينَ سَمِعُوا بِخالِدٍ]

وَقالَ غِلْمةٌ مِنْ بَنِي جَذِيمةَ، يُقالُ لَهُمْ: بَنُو مُساحِقٍ، يَرْتَجِزُونَ حِينَ

سَمِعُوا بِخالِدٍ، فقالَ أحَدُهُمْ:

قَدْ عَلِمَتْ صَفْراءُ بَيْضاءُ الإِطِلْ يَحُوزُهـا ذُو ثَلَّـةٍ وذُو إبِـلْ
لَأُغْنِيَنَّ اليَوْمَ ما أغْنى رَجُلْ

وَقالَ الآخَرُ:

قَدْ عَلِمَتْ صَفْراءُ تُلْهِي العِرْسا لا تَمْلَأُ الحَيْزُومَ مِنْها نَهْسا
لَأَضْرِبَنَّ اليَوْمَ ضَرْبًا وعْسا ضَرْبَ المُحِلِّينَ مَخاضًا قُعْسا

وَقالَ الآخَرُ:

أقْسَمْتُ ما إنْ خادِرٌ ذُو لِبْدَهْ شَـثْنُ البَنانِ في غَـداةٍ بَرْدَهْ
جَهْمُ المُحَيّا ذُو سِـبالٍ ورْدَهْ يُـرْزِمُ بَيْنَ أيْكَـةٍ وجَحْدَهْ
ضارٍ بِتَـأْكالِ الرِّجالِ وحْدَهْ بِأصْـدَقَ الغَداةَ مَـنِّي نَجْدَهْ

مَسِيرُ خالِدِ بنِ الوَلِيدِ لِهَدْمِ العُزّى

[خالِدٌ وهَدْمُهُ لِلْعُزّى]

ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ خالِدَ بنَ الوَلِيدِ إلى العُزّى، وكانَتْ بِنَخْلَةَ، وكانَتْ بَيْتًا يُعَظِّمُهُ هذا الحَيُّ مِنْ قُرَيْشٍ وكِنانةَ ومُضَرَ كُلِّها، وكانَتْ سَدَنَتُها وحُجّابُها بَنِي شَيْبانَ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ حُلَفاءِ بَنِي هاشِمٍ، فلَمّا سَمِعَ صاحِبُها السُّلَمِيُّ بِمَسِيرِ خالِدٍ إلَيْها، عَلَّقَ عَلَيْها سَيْفَهُ، وأسْنَدَ في الجَبَلِ الَّذي هِيَ فيهِ وهُوَ يَقُولُ:

أيا عُزَّ شُدِّي شدّةً لا شَوى لَها على خالِدٍ ألْقِي القِناعَ وشَمِّرِي
يا عُزَّ إنْ لَمْ تَقْتُلِي المَرْءَ خالِدًا فبُوئِي بِإِثْمٍ عاجِلٍ أوْ تَنَصَّرِي

فَلَمّا انْتَهى إلَيْها خالِدٌ هَدَمَها، ثُمَّ رَجَعَ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي ابنُ شِهابٍ الزُّهْرِيُّ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُتْبَةَ بنِ مَسْعُودٍ، قالَ: أقامَ رَسُول اللهِ ﷺ بِمَكّة بَعْدَ فتْحِها خَمْسَ عَشْرةَ لَيْلةً يَقْصُرُ الصَّلاةَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ فتْحُ مَكّةَ لِعَشْرِ لَيالٍ بَقِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضانَ سَنةَ ثَمانٍ.

وَذَكَرَ سَرِيّةَ خالِدٍ إلى بَنِي جَذِيمةَ، وَتُعْرَفُ بِغَزْوةِ الغميصاء، وهو اسمُ ماءٍ لبني جَذِيمة.

وَذَكَرَ شِعْرَ امْرَأةٍ اسْمُها: سَلْمى، [وَفِيهِ][1]: «حَتّى يَتْرُكُوا[2] البَرْكَ ضابِحًا»، البَرْكُ: جَماعةُ الإبِلِ، [وماصَعَ: جالَدَ وقاتَلَ][3]، وَ«ضابِحًا» مِن الضَّبْحِ، وَهُوَ نَفَسُ الخَيْلِ والإبِلِ إذا أَعْيَتْ، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾ [مفتتح العاديات]، وَفِي الخَبَرِ: «مَنْ سَمِعَ ضَبْحةً بِلَيْلٍ، فَلا يَخْرُج مَخافةَ أنْ يُصِيبَهُ شَرّ»[4]، قالَ الرّاجِزُ[5]: [من الرجز]

---

(١) ليس في (أ)، (س)، (ف).

(٢) كذا في (س)، وفي (ح): «أو يتركوا»، وفي (ج): «أن يترك»، وفي (أ)، (ب)، (ص)، (ف): «أو يترك».

(٣) ليس في (ب).

(٤) يُروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ كما في «غريب الحديث» لابن قتيبة: (٢: ٢٣٢)، وبعضهم يروي: «صيحة» بالصاد المهملة والياء، وهما متقاربان.

(٥) البيتان الأول والثالث في «اللسان» (صور).

والصور: القرن. والنَّقْع: ما ارتفع من الأرض، وقيل: الأرض الحرة الطين ليس فيها =

نَحْنُ نَطَحْناهُمْ غَداةَ الجَمْعَيْنِ بِالضّابِحـاتِ فِي غُبارِ النّقْعَيْنِ
نَطْحًا شَـدِيدًا لا كَنَطْحِ الصُّورَيْنِ

والضَّبْحُ والضّبْيُ: مَصْدَرُ ضَبَحْتُ وضَبَيْتُ؛ أيْ: شَوَيْتُ وَقلوتُ[١]، قالَهُ أبُو حَنِيفةَ[٢]. قالَ: والمَضابِي والمَضابِحُ هي: المَقالي.

وذكر[٣] تَبرُّؤَ رسولِ الله ﷺ مِمّا فَعَلَ خالِدٌ، وَهَذا نَحْوٌ مِمّا رُوِيَ عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه حِينَ قالَ لِأَبِي بَكْرٍ الصّدّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إنّ فِي سَيْفِ خالِدٍ رَهَقًا[٤]، [إنّ فِي سَيْفِ خالِدٍ رَهَقًا][٥] فاقْتُلْهُ». وَذَلِكَ حِينَ قَتَلَ مالِكَ بنَ نُوَيْرَةَ، وَجَعَلَ رَأْسَهُ تَحْتَ قِدْرٍ حَتّى طُبِخَ بِهِ، وَكانَ مالِكٌ ارْتَدّ، ثُمّ راجَعَ الإسْلامَ، وَلَمْ يُظْهِرْ ذَلِكَ لِخالِدٍ، وَشَهِدَ عِنْدَهُ رَجُلانِ مِن الصّحابَةِ بِرُجُوعِهِ إلى الإسْلامِ، فَلَمْ يَقْبَلْهُما، وَتَزَوّجَ امْرَأتَهُ؛ فَلِذَلِكَ قالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ: اقْتُلْهُ، فَقالَ: لا أَفْعَلُ لأنه متأوِّلٌ. فَقالَ: اعْزِلْهُ[٦]، فَقالَ: لا[٧]، لا أُغْمِدُ سَيْفًا سَلَّهُ اللهُ على المُشْرِكِينَ، وَلا أعْزِلُ والِيًا وَلّاهُ رسولُ الله ﷺ[٨].

وذكر قَوْلَ الرّجُلِ لِلْمَرْأةِ: «اسْلِمِي حُبَيْش، قبل نَفَدِ العَيْش». النّفَدُ: مَصْدَرُ

= ارتفاع ولا انهباط. وقيل: التي يستنقع فيها الماء. والنقع أيضًا: الغبار.

(١) في (ب)، (ش)، (ف): «قَلَيتُ». وكلاهما مروي كما في «تاج العروس».

(٢) «النبات» (ص: ٣٤١).

(٣) قبله في (ف): «فصل».

(٤) الرهق: السفه والخفة والظلم.

(٥) كذا مكررًا في (ح)، (س).

(٦) في (ب): «فاعزله».

(٧) «لا» غير مكررة في (ف).

(٨) انظر ترجمة مالك بن نويرة في «أسد الغابة» (٥: ٥٢-٥٣).

نَفِدَ الشيءُ: إذا فَنِيَ، وَهُوَ النَّفادُ أيضًا، وَحُبَيْش مُرَخَّمٌ مِنْ حُبَيْشَةَ.

وحَلْيَةُ والخَوانِقُ: مَوْضِعانِ. والوَدائِقُ: جَمْعُ وَدِيقةٍ، وهي شِدّةُ الحَرّ فِي الظّهيرةِ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ مِن الوَدْقِ؛ لِأنّ فِي ذَلِك الوَقْتِ يَسِيلُ لُعابُ الشّمْسِ، وَهُوَ ما تَراهُ العَيْنُ كالسّرابِ وَنَحْوِهِ، قالَ[1] الرّاجِزُ: [من الرجز]

وَقامَ مِيزانُ النّهارِ فاعْتَدَلْ وَسالَ لِلشّمْسِ لُعابٌ فَنَزَلْ

وَقالَ الأحْوَلُ[2]: يُقالُ: وَدَقَ إذا دَنا مِن الأرْضِ، يُقالُ: هُوَ وادِقُ السُّرّةِ إذا كانَتْ مائِلةً إلى جِهةِ الأرْضِ، وَأنْشَدَ[3]:

.... وادِقةٍ[4] سُرّاتُها

فَعلى هَذا تَكُونُ الوَدِيقةُ مِنْ وَدَقَتِ الشّمْسُ: إذا دَنَتْ مِن الأُفُقِ، فاشْتَدّ[5] حرُّها، والله أعلم.

وقوله: «كلَّمَ رجلٌ خالدًا فنهمه»؛ أي: زجَره وتَجَهَّمه[6].

ورَوى النَّسائِيّ فِي قِصّةِ المَرْأةِ الّتِي ماتَتْ وهي مُكِبّةٌ على الرّجُلِ المَقْتُولِ قالَ:

حَدّثَنا مُحَمّدُ بنُ عليٍّ بنِ حربٍ، عَنْ عَلِيّ بنِ الحُسَيْنِ بنِ واقِدٍ، عَنْ أبِيهِ،

---

(١) في (ف): «وقال».

(٢) أبو العباس محمد بن الحسن، من العلماء بالشعر واللغة، وهو معدود في طبقة ثعلب والمبرد. انظر: «فهرسة ابن النديم» (ص: ١١٧)، و«إنباه الرواة» (٣: ٩١-٩٢).

(٣) بعض بيت في «اللسان» (ودق).

(٤) في النسخ: «وادق».

(٥) في (أ)، (س): «واشتد».

(٦) كذا في (ح)، وفي (س)، (ف): «ونَجَهه». والنَّجه: الزجر والردع.

عَنْ يَزِيدَ النّحْوِيِّ، عَنْ عِكْرِمةَ، عَنِ ابنِ عَبّاسٍ، أنّ النّبيّ ﷺ بَعَثَ سَرِيّةً، قالَ: فَغَنِمُوا، وفِيهِمْ رَجُلٌ، فَقالَ لَهُمْ: إنّي لَسْتُ مِنْهُمْ، عَشِقْتُ امْرَأةً فَلَحِقْتُها، فَدَعُونِي أَنْظُر إلَيْها نَظْرةً، ثُمّ اصْنَعُوا بي ما بدا لكم، قالَ: فَإذا امْرَأةٌ طَوِيلةٌ أدْماءُ، فقالَ لَها: «اسْلَمِي حُبَيْش، قَبْلَ نَفَدِ العَيْش»، وَذَكَرَ البَيْتَيْنِ الأوّلينِ مِن القِطْعةِ القافِيّةِ أَوَّلَ هَذا الخَبَرِ ناقِصي الوَزْنِ، وَبَعْدَهُما قالَتْ: نَعَمْ فَدَيْتُك، فَقَدّمُوهُ فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَجاءَت المَرْأةُ فَوَقَفَتْ عَلَيْهِ، فَشَهِقَتْ شَهْقةً أوْ شَهْقَتَيْنِ، ثُمّ ماتَتْ، فَلَمّا قَدِمُوا على رسول الله ﷺ أخْبَرُوهُ الخَبَرَ، فَقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أما كانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَحِيمٌ». ذكره النَّسَوِيُّ في بابِ قتلِ الأسارى من «مصنّفه»[1].

* * *

(١) أخرجه النسائي في «سننه الكبرى» (٨٦١٠). انظر: «تحفة الأشراف» للمزي: (٥: ١٧٩).

غَزْوةُ حُنَيْنٍ في سَنةِ ثَمانٍ بَعْدَ الفَتْحِ

[اجْتِماعُ هَوازِنَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولَمّا سَمِعَتْ هَوازِنُ بِرَسُولِ الله ﷺ وما فتَحَ الله عَلَيْهِ مِنْ مَكّةَ، جَمَعَها مالِكُ بنُ عَوْفٍ النَّصْرِيُّ، فاجْتَمَعَ إلَيْهِ مَعَ هَوازِنَ ثَقِيفُ كُلُّها، واجْتَمَعَتْ نَصْرٌ وجُشَمُ كُلُّها، وسَعْدُ بنُ بَكْرٍ، وناسٌ مِنْ بَنِي هِلالٍ، وهُمْ قَلِيلٌ، ولَمْ يَشْهَدْها مِنْ قَيْسِ عَيْلانَ إلّا هَؤُلاءِ، وغابَ عَنْها فلَمْ يَحْضُرْها مِنْ هَوازِنَ كَعْبٌ ولا كِلابٌ، ولَمْ يَشْهَدْها مِنْهُم أحَدٌ لَهُ اسْمٌ، وفي بَنِي جُشَمَ دُرَيْدُ بنُ الصِّمّةِ شَيْخٌ كَبِيرٌ، لَيْسَ فيهِ شَيْءٌ إلّا التَّيَمُّن بِرَأْيِهِ ومَعْرِفَتهُ بِالحَرْبِ، وكانَ شَيْخًا مُجَرِّبًا، وفي ثَقِيفٍ سَيِّدانِ لَهُمْ، وفي الأحْلافِ قارِبُ بنُ الأسْوَدِ بنِ مَسْعُودِ بن مُعَتِّبٍ، وفي بَنِي مالِكٍ ذُو الخِمارِ سُبَيْعُ بنُ الحارِثِ بنِ مالِكٍ، وأخُوهُ أحْمَرُ بنُ الحارِثِ، وجِماعُ أمْرِ النّاسِ إلى مالِكِ بنِ عَوْفٍ النَّصْرِيِّ، فلَمّا أجْمَعَ السَّيْرَ إلى رَسُولِ الله ﷺ حَطَّ مَعَ النّاسِ أمْوالَهُمْ ونِساءَهُمْ وأبناءَهُمْ، فلَمّا نَزَلَ بِأوْطاسٍ اجْتَمَعَ إلَيْهِ النّاسُ، وفيهِمْ دُرَيْدُ بنُ الصِّمّةِ في شِجارٍ لَهُ يُقادُ بِهِ، فلَمّا نَزَلَ قالَ: بِأيِّ وادٍ أنْتُمْ؟ قالُوا: بِأوْطاسٍ، قالَ: نِعْمَ مَجالُ الخَيْلِ، لا حَزْنٌ ضِرْسٌ، ولا سَهْلٌ دَهْسٌ، ما لِي أسْمَعُ رُغاءَ البَعِيرِ، ونُهاقَ الحَمِيرِ، وبُكاءَ الصَّغِيرِ، ويُعارَ الشّاءِ؟ قالُوا: ساقَ مالِكُ بنُ عَوْفٍ مَعَ النّاسِ أمْوالَهُمْ ونِساءَهُمْ وأبناءَهُمْ.

قالَ: أيْنَ مالِكٌ؟ قِيلَ: هذا مالِكٌ، ودُعِيَ لَهُ، فقالَ: يا مالِكُ، إنَّكَ قَدْ أصْبَحْتَ رَئِيسَ قَوْمِكَ، وإنَّ هذا يَوْمٌ كائِنٌ لَهُ ما بَعْدَهُ من الأيّام، ما لي أسْمَعُ رُغاءَ البَعِيرِ، ونُهاقَ الحَمِيرِ، وبُكاءَ الصَّغِيرِ، ويُعارَ الشّاءِ؟ قالَ: سُقْتُ مَعَ النّاسِ أمْوالَهُمْ وأبناءَهُمْ ونِساءَهُمْ، قالَ: ولِمَ ذاكَ؟ قالَ: أرَدْتُ أنْ أجْعَلَ خَلْفَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أهْلَهُ ومالَهُ لِيُقاتِلَ عَنْهُمْ، قالَ: فأنْقَضَ بِهِ، ثُمَّ قالَ: راعِي ضَأْنٍ واللهِ! وهَلْ يَرُدُّ المُنْهَزِمَ شَيْءٌ؟ إنَّها إنْ كانَتْ لَكَ لَمْ يَنْفَعْكَ إلّا رَجُلٌ بِسَيْفِهِ ورُمْحِهِ، وإنْ كانَتْ عَلَيْكَ فُضِحْتَ في أهْلِكَ ومالِكَ.

ثُمَّ قالَ: ما فعَلَتْ كَعْبٌ وكِلابٌ؟ قالُوا: لَمْ يَشْهَدْها مِنْهُمْ أحَدٌ، قالَ: غابَ الحَدُّ والجِدُّ، ولَوْ كانَ يَوْمَ عَلاءٍ ورِفْعةٍ لَمْ تَغِبْ عَنْهُ كَعْبٌ ولا كِلابٌ، ولَوَدِدْتُ أنَّكُمْ فعَلْتُمْ ما فعَلَتْ كَعْبٌ وكِلابٌ، فمَنْ شَهِدَها مِنْكُمْ؟ قالُوا: عَمْرُو بنُ عامِرٍ وعَوْفُ بنُ عامِرٍ، قالَ: ذانِكَ الجَذَعانِ مِنْ عامِرٍ، لا يَنْفَعانِ ولا يَضُرّانِ، يا مالِكُ، إنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ بِتَقْدِيمِ البَيْضةِ بَيْضةِ هَوازِنَ إلى نُحُورِ الخَيْلِ شَيْئًا، ارْفَعْهُمْ إلى مُتَمَنَّعِ بِلادِهِمْ وعُلْيا قَوْمِهِمْ، ثُمَّ الْقَ الصُّبّاءَ على مُتُونِ الخَيْلِ، فإنْ كانَتْ لَكَ لَحِقَ بِكَ مَنْ وراءَكَ، وإنْ كانَتْ عَلَيْكَ ألْفاكَ ذلك قَدْ أحْرَزْتَ أهْلَكَ ومالَكَ. قالَ: واللهِ لا أفْعَلُ ذلك، إنَّكَ قَدْ كَبِرْتَ وكَبِرَ عقلُكَ، واللهِ لَتُطِيعنّني يا مَعْشَرَ هَوازِنَ أو لأتّكِئَنَّ على هذا السَّيْفِ حَتّى يَخْرُجَ مِنْ ظَهْرِي. وكَرِهَ أنْ يَكُونَ لِدُرَيْدِ بنِ الصِّمّةِ فيها ذِكْرٌ أوْ رَأْيٌ، فقالُوا: أطَعْناكَ، فقالَ دُرَيْدُ بنُ الصِّمّةِ: هذا يَوْمٌ لَمْ أشْهَدْهُ ولَمْ يَفُتْنِي:

يا لَيْتَنِي فيها جَذَعْ ... أخُبُّ فيها وأضَعْ
أقُودُ وطْفاءَ الزَّمَعْ ... كَأنَّها شاةٌ صَدَعْ

قالَ ابنُ هِشامٍ: أنْشَدَنِي غَيْرُ واحِدٍ مِنْ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ قَوْلَهُ: «يا لَيْتَنِي فيها جَذَعْ».

[المَلائِكةُ وعُيُونُ مالِكِ بنِ عَوْفٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ قالَ مالِكٌ لِلنّاسِ: إذا رَأيْتُمُوهُمْ فاكْسِرُوا جُفُونَ سُيُوفِكُمْ، ثُمَّ شُدُّوا شَدّةَ رَجُلٍ واحِدٍ.

قالَ: وحَدَّثَنِي أُمَيّةُ بنُ عَبْدِ الله بنِ عَمْرِو بنِ عُثْمانَ أنَّهُ حَدَّثَ: أنَّ مالِكَ ابنَ عَوْفٍ بَعَثَ عُيُونًا مِنْ رِجالِهِ، فأتَوْهُ وقَدْ تَفَرَّقَتْ أوْصالُهُمْ، فقالَ: ويْلَكُمْ! ما شَأْنُكُمْ؟ فقالُوا: رَأيْنا رِجالًا بِيضًا على خَيْلٍ بُلْقٍ، فو الله ما تَماسَكْنا أنْ أصابَنا ما ترى، فو الله ما رَدَّهُ ذلك عَنْ وجْهِهِ أنْ مَضى على ما يُرِيدُ.

ذِكْرُ غَزْوةِ حُنَيْنٍ

وَحُنَيْنٌ الّذِي عُرِفَ بِه المَوْضِعُ هُوَ: حُنَيْنُ بنُ قائنة بنِ مهلائيل. كَذا قالَ البَكْرِيّ[١]، وَقَدْ قَدَّمْنا[٢] أنّهُ قالَ فِي خَيْبَرَ مِثْلَ هَذا، أنّهُ ابنُ قائنة [أيضًا][٣]، فاللهُ أعْلَمُ.

وَيُقالُ لَها أيْضًا: غَزْوةُ أوْطاسٍ، سُمِّيَتْ بِالمَوْضِعِ الّذِي كانَتْ فِيهِ الوَقْعةُ، وَهُوَ[٤] مِنْ: وَطَسْتُ الشّيْءَ وَطْسًا إذا كَددتَه وَأثّرْتَ فِيهِ. والوَطِيسُ: نُقْرةٌ فِي

(١) «معجم ما استعجم» (٢: ٤٧٢). (ج)

(٢) انظر: (٦: ٤٧٣).

(٣) ليس في (ب).

(٤) في (ف): «وهي».

حَجَرٍ تُوقَدُ حَوْلَهُ النّارُ، فَيُطْبَخُ فيه[١] اللّحْمُ، والوَطِيسُ: التّنُّورُ.

وَفِي غَزْوةِ أَوْطاسٍ قالَ النّبِيّ ﷺ: «الآنَ حَمِيَ الوَطِيسُ»[٢]، وَذلِكَ حِينَ اسْتَعَرتِ الحَرْبُ، وَهِيَ مِن الكَلِمِ الّتِي لَمْ يُسْبَقْ إِلَيْها ﷺ، فَمِنْها هَذِهِ.

وَمِنْها: «ماتَ حَتْفَ أَنْفِهِ»، قالَها عليه السلام فِي فَضْلِ مَنْ ماتَ فِي سَبِيلِ اللهِ فِي حَدِيثٍ رَواهُ عَنْهُ عَبْدُ اللهِ بنُ عَتِيكٍ، قالَ: ابنُ عَتِيكٍ: وَما سَمِعْتُ هَذِهِ الكَلِمةَ ـ يَعْنِي: حَتْفَ أَنْفِهِ ـ مِنْ أحَدِ العَرَبِ قَبْلَ رسول الله ﷺ[٣].

وَمِنْها: «لا يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرّتَيْنِ»[٤]، قالَها لأَبِي عَزّةَ الجُمَحِيّ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقَدْ مَضى حديثه[٥].

وَمِنْها: «لا تَنْتَطِحُ فِيها عَنْزانِ»[٦]، وَسَيأْتِي سَبَبُها.

وَمِنْها: قَوْلُهُ عَلَيْهِ السّلامُ: «يا خَيْلَ اللهِ ارْكَبِي»، قالَها يَوْمَ حُنَيْنٍ أَيْضًا فِي حَدِيثٍ خَرّجَهُ مُسْلِمٌ[٧].

وَقالَ الجاحِظُ فِي كِتابِ «البَيانِ» عَنْ يُونُسَ بنِ حَبِيبٍ: «لَمْ يَبْلُغْنا مِنْ رَوائِعِ الكَلامِ ما بَلَغَنا عَن النّبِيّ ﷺ»[٨]. وَغُلِّطَ فِي هَذا الحَدِيثِ، وَنُسِبَ إلى

---

(١) في (ج)، (ح)، (ف): «به».

(٢) مسلم، كتاب الجهاد، باب في غزوة حنين: (٣: ١٣٩٩). والوطيس: شبه تنور يوقَد فيه، يُضرب مثلًا لشدة الحرب.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٦: ٣٤٠)، رقم (١٦٤١٤). (ج)

(٤) «فتح الباري»، كتاب الأدب: (١٠: ٥٢٩-٥٣١)، ومسلم، كتاب الزهد: (٤: ٢٢٩٥).

(٥) انظر: (٥: ٣٩٢).

(٦) انظر: (٧: ٥١٩).

(٧) لم يقع لي هذا الحديث في يوم حنين من «صحيح مسلم»، ولا في كتاب الجهاد.

(٨) «البيان والتبيين» (٢: ١٨).

التَّصْحِيفِ، وَإِنّما قالَ القائِلُ: ما بَلَغَنا عَن البَتّيِّ[١]، يُرِيدُ: عُثْمانَ البَتّيّ، فَصَحَّفَهُ الجاحظ. قالوا: والنَّبِيّ ﷺ أجَلُّ مِنْ أَنْ يُخْلَطَ مَعَ غَيْرِهِ مِن الفُصَحاءِ حَتّى يُقالَ: ما بَلَغَنا عَنْهُ مِن الفَصاحةِ أَكْثَرُ مِن الّذي بَلَغَنا عَنْ غَيْرِهِ. كَلامُهُ أَجَلّ مِنْ ذَلِك وَأعلى.

فَصْلٌ

وَذَكَرَ دُرَيْدَ بنَ الصِّمّةِ الجُشَمِيَّ أَحَدَ بَنِي جُشَمَ بنِ بَكْرِ بنِ هَوازِنَ، وَفِيهِ تَقُولُ الخَنْساءُ حِينَ خَطَبَها: ما كُنْتُ تارِكَةً بَنِي عَمِّي كَأَنّهُمْ صُدُورُ الرِّماحِ، ومُرتثّةً شَيْخًا مِنْ بَنِي جُشَمَ! وَهُوَ دريدُ بنُ الصِّمّة بنِ بكرِ بنِ عَلْقمةَ بنِ خُزاعةَ ابنِ غَزِيّةَ بنِ جُشَمَ بنِ مُعاويةَ بنِ بَكْرِ بنِ هَوازِنَ، يُكْنى أبا قُرّة، وَيُرْوى عَنِ ابنِ إسْحاقَ مِنْ غَيْرِ روايةِ زِيادٍ يُقالُ: كانَ يَوْمَئِذٍ ابنَ سِتّينَ وَمِئةِ سنة، وَرَوى أَبُو صالِحٍ[٢] كاتِبُ اللّيْثِ عَن اللّيْثِ قالَ: كانَ دُرَيْدٌ يَوْمَئِذٍ ابنَ عِشْرِينَ وَمِئةٍ.

وَقَوْلُهُ: «فِي شِجارٍ لَهُ»، الشِّجارُ: مِثْلُ الهَوْدَجِ، وَفِي «العَيْنِ»: الشِّجارُ: خَشَبُ الهَوْدَجِ[٣].

وقوله: «فَأَنقض بِهِ»، أيْ: صَوَّتَ بِلِسانِهِ فِي فَمِهِ[٤]، مِن النَّقِيضِ، وَهُوَ

---

(١) هو أبو عمرو عثمان بن مسلم البتّي، بصري، روى عن أنس بن مالك والحسن البصري، وعنه حماد بن سلمة، وسفيان الثوري. انظر: «تهذيب الكمال» (١٩: ٤٩٢-٤٩٤).

(٢) هو الإمام المحدث عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم، ولد سنة (١٣٧هـ)، لازم الإمام الليث وحمل عنه تصانيفه، وتوفي سنة (٢٢٣هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٠: ٤٠٥) وما بعدها.

(٣) «العين» (٦: ٣٢).

(٤) في (ب)، (ب): «فيه».

الصَّوْتُ، وَقِيلَ: الإنْقاضُ بِالإصْبَعِ الوُسْطى والإبْهامِ، كَأَنَّهُ يَدْفَعُ بِهِما شَيْئًا، وَهُوَ مَعْنى قَوْلِ البَرْقِيِّ.

وَقَوْلُهُ: «راعِي ضَأْنٍ»، يُجَهِّلُهُ بِذَلِكَ، كَما قالَ الشَّاعِرُ: [من البسيط]

[ماذا يَرِيبُكَ مِنِّي راعِيَ الضَّانِ؟ أَصْبَحْتُ هُزءًا لراعِي الضَّأْنِ أُعْجِبُهُ][1]

وَقالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِرَجُلٍ: قُمْ فَما نَفَعَك صَوّاغٌ[2] وَلا راعِي ضَأْنٍ. والدُّرَيْدُ فِي اللُّغةِ: تَصْغِيرُ أَدْرَدَ[3]، وَهُوَ تَصْغِيرُ التَّرْخِيمِ، والصِّمَّةُ: الشُّجاعُ، وَجَمْعُهُ: صِمَمٌ.

وَذَكَرَ مالِكَ بنَ عَوْفٍ النَّصْرِيِّ رَئِيسَ المُشْرِكِينَ يَوْمَ حُنَيْنٍ، وَهُوَ مالِكُ بنُ عَوْفِ بنِ [سَعْدِ بنِ][4] رَبِيعةَ بنِ يَرْبُوع بنِ واثِلةَ بنِ دُهْمانَ بنِ نَصْرِ بنِ مُعاوِيةَ ابنِ بَكْرِ بنِ هَوازِنَ النَّصْرِيُّ.

* * *

(١) ليس في (ب).
(٢) الصواغ: الذي يزين الحديث ويصوغ الكذب.
(٣) الأدرد: من سقطت أسنانه كلها.
(٤) ليس في (ب).

[بَعْثُ ابنِ أبي حَدْرَدٍ عَيْنًا على هَوازِنَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولَمّا سَمِعَ بِهِمْ نَبِيُّ اللهِ ﷺ بَعَثَ إلَيْهِمْ عَبْدَ اللهِ بنَ أبي حَدْرَدٍ الأسْلَمِيَّ، وأمَرَهُ أنْ يَدْخُلَ في النّاسِ فيقِيمَ فيهِمْ حتّى يَعْلَمَ عِلْمَهُمْ، ثُمَّ يأْتِيَهُ بِخَبَرِهِمْ. فانْطَلَقَ ابنُ أبي حَدْرَدٍ فدَخَلَ فيهِمْ، فأقامَ فيهِمْ، حَتّى سَمِعَ وعَلِمَ ما قَدْ أجْمَعُوا لَهُ مِنْ حَرْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وسَمِعَ مِنْ مالِكٍ وأمْرِ هَوازِنَ ما هُمْ عَلَيْهِ. ثُمَّ أقْبَلَ حَتّى أتى رَسُولَ اللهِ ﷺ فأخْبَرَهُ الخَبَرَ، فَدَعا رَسُولُ اللهِ ﷺ عُمَرَ بنَ الخَطّابِ فأخْبَرَهُ الخَبَرَ، فقالَ عُمَرُ: كَذَبَ ابنُ أبي حَدْرَدٍ. فقالَ ابنُ أبي حَدْرَدٍ: إنْ كَذَّبْتَنِي فرُبَّما كَذَّبْتَ بِالحَقِّ يا عُمَرُ، فقَدْ كَذَّبْتَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي. فقالَ عُمَرُ: يا رَسُولَ اللهِ، ألا تسمَعُ ما يَقُول ابنُ أبي حَدْرَدٍ؟ فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَدْ كُنْتَ ضالًّا فهَداكَ اللهُ يا عُمَرُ».

[سَألَ الرَّسُول صَفْوانَ أدْراعَهُ وسِلاحَهُ فقَبِلَ]

فَلَمّا أجْمَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ السَّيْرَ إلى هَوازِنَ لِيَلْقاهُمْ، ذُكِرَ لَهُ أنَّ عِنْدَ صَفْوانَ بنِ أُمَيَّةَ أدْراعًا لَهُ وسِلاحًا، فأرْسَلَ إلَيْهِ وهُوَ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ، فَقالَ: «يا أبا أُمَيَّةَ، أعِرْنا سِلاحَكَ هذا نَلْقَ فيهِ عَدُوَّنا غَدًا»، فقالَ صَفْوانُ: أغَصْبًا يا مُحَمَّدُ؟ قالَ: «بَلْ عارِيَّةٌ ومَضْمُونةٌ حَتّى نُؤَدِّيَها إلَيْكَ»، قالَ: لَيْسَ بِهذا بَأْس، فأعْطاهُ مِئَةَ دِرْعٍ بِما يَكْفيها مِنَ السِّلاحِ، فزَعَمُوا أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَألَهُ أنْ يَكْفيَهُمْ حَمْلَها، ففَعَلَ.

[خُروجُ الرَّسُولِ بِجَيْشِهِ إلى هَوازِنَ]

قالَ: ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ مَعَهُ أَلْفانِ مِنْ أَهْلِ مَكّةَ مَعَ عَشَرةِ آلافٍ مِنْ أَصْحابِهِ الَّذينَ خَرَجُوا مَعَهُ، فَفَتَحَ الله بِهِمْ مَكّةَ، فكانُوا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، واسْتَعْمَلَ رَسُولُ الله ﷺ عَتّابَ بنَ أَسِيدِ بنِ أَبي العِيصِ بنِ أُمَيّةَ بن عَبْدِ شَمْسٍ على مَكّةَ، أَمِيرًا على مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ مِن النّاسِ، ثُمَّ مَضى رَسُولُ الله ﷺ على وجْهِهِ يُرِيدُ لِقاءَ هَوازِنَ.

وَذَكَرَ بَعْثَ رسولِ الله ﷺ عَبْدَ اللهِ بنَ أَبي حَدْرَدٍ عَيْنًا إلى هَوازِنَ، وَهُوَ عَبْدُ اللهِ بنُ سَلامةَ بنِ سَعْدٍ، وَسَلامةُ هُوَ أَبُو حَدْرَدٍ، وَهُوَ مِنْ بَنِي هَوازِنَ بنِ أَسْلَمَ بن أَفْصى بنِ حارِثةَ، وَهُمْ إخْوةُ الأَوْسِ والخَزْرَجِ، أَعْنِي بَنِي أَسْلَمَ بنِ أَفْصى، ماتَ عَبْدُ اللهِ سَنةَ إحْدى وَسَبْعِينَ، وَهُوَ العامُ الّذِي قُتِلَ فِيهِ مُصْعَبُ ابنُ الزُّبَيْرِ. شَهِدَ ابنُ أَبي حَدْرَدٍ مَعَ النّبيّ ﷺ الحُدَيْبِيةَ وَما بَعْدَها، وَفاتُهُ ما كانَ قَبْلَ ذَلِكَ.

❊ ❊ ❊

[قَصِيدةُ عَبّاسِ بن مِرْداسٍ]

فَقالَ عَبّاسُ بنُ مِرْداسٍ السُّلَمِيُّ:

أصابَت العــامَ رِعْلًا غُولُ قَوْمِهِمْ وسْــطَ البُيُوتِ ولَوْنُ الغُولِ ألْوانُ
يــا لَهْــفَ أُمِّ كِلابٍ إذْ تُبَيِّتُهُــمْ خَيْلُ ابنِ هَوْذَةَ لا تُنْهى وإنْســانُ
لا تَلْفِظُوها وشُدُّوا عَقْدَ ذِمَّتِكُمْ أنَّ ابنَ عَمِّكُمْ سَــعْدٌ ودُهْمانُ
لَــنْ تَرْجِعُوها وإنْ كانَــتْ مُجَلِّلَةً مــا دامَ في النَّعَــمِ المَأْخُوذِ ألْبانُ
شَنْعاء جُلِّل من سَــوآتِها حَضَنٌ وســالَ ذُو شَــوْغَرٍ مِنْها وسُلْوانُ
لَيسَتْ بِأطْيَبَ مِمّا يَشْتَوِي حَذَفٌ إذْ قــالَ: كُلُّ شِــواءِ العَيْرِ جُوفانُ
وَفي هَــوازِنَ قَــوْمٌ غَــيْرَ أنَّ بِهِمْ داءَ اليَمانِي فإنْ لَمْ يَغْدِرُوا خانُوا
فيهِمْ أخٌ لَوْ وَفَــوْا أوْ بَرَّ عَهْدُهُمُ ولَوْ نَهَكْناهُــمُ بِالطَّعْنِ قَدْ لانُوا
أبْلِغْ هَــوازِنَ أعْلاها وأسْــفَلَها مِــنِّي رِســالَةَ نُصْحٍ فيــهِ تِبْيانُ
أنِّي أظُنُّ رَسُــولَ الله صابِحَكُمْ جَيْشًا لَهُ في فضاءِ الأرْضِ أرْكانُ
فيهِمْ أخُوكُمْ سُلَيْمٌ غَيْرَ تارِكِكُمْ والمُسْــلِمُونَ عِبادَ الله غَسّــانُ
وَفي عِضادَتِــهِ اليُمْنى بَنُو أسَــدٍ والأجْرَبــانِ بَنُو عَبْــسٍ وذُبْيانُ
تَكادُ تَرْجُفُ مِنْهُ الأرْضُ رَهْبَتَهُ وفي مُقَدَّمِــهِ أوْسٌ وعُثْمــانُ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: أوْسٌ وعُثْمانُ: قَبِيلا مُزَيْنَةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: مِنْ قَوْلِهِ «أبْلِغْ هَوازِنَ أعْلاها وأسْفَلَها» إلى آخِرِها، في

هذا اليَوْمِ، وما قَبْلَ ذلك في غَيْرِ هذا اليَوْمِ، وهُما مَفْصُولَتانِ، ولَكِنَّ ابنَ إسْحاقَ جَعَلَهُما واحِدةً.

وَذَكَرَ شِعْرَ عَبّاسٍ[١]، وفِيهِ: «أصابَتِ العامَ رِعْلًا»، وَهِيَ قَبِيلَةٌ مِنْ سُلَيْمٍ، وَفِي الحَدِيثِ: «قَنَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَهْرَيْنِ يَدْعُو على رِعْلٍ وَذَكْوانَ وَعُصَيّةَ»[٢]، وَهُم الّذِينَ غَدَرُوا بِأصْحابِ بِئْرِ مَعُونَةَ.

وَقَوْلُهُ: [من البسيط]

خَيْلَ ابنِ هَوْذَةَ لا تُنْهى وَإنْسانِ

إنْسان: قَبِيلَةٌ مِنْ قَيْسٍ، ثُمّ مِنْ بَنِي نَصْرٍ، قالَهُ البَرْقِيّ، وَقِيلَ: هُمْ مِنْ بَنِي جُشَمَ بنِ بَكْرٍ، وَمِنْ بَنِي إنْسانَ: شيطانُ بنُ مُدلِجٍ[٣] صاحبُ حميدة[٤]، وهي فَرَسٌ لَهُ، يَضْرِبُ[٥] بها العَرَبُ المَثَلَ فِي الشُّؤْمِ، فَيُقالُ: أَشْأَمُ مِنْ حميدةَ، وَسَبَبُ ذَلِكَ خَبَرٌ يَطُولُ ذِكرهُ، ذَكَرهُ الأصْبَهانِيّ فِي «الأمْثالِ».

وَسَعْدٌ وَدَهْمانُ ابنا نَصْرِ بنِ مُعاوِيَةَ بنِ بَكْرٍ، كَذا وَجَدْتُهُ فِي بَعْضِ المُعَلّقاتِ، والمَعْرُوفُ فِي قَيْسٍ: دُهْمانُ بنُ أشْجَعَ بنِ رَيثِ بنِ غَطَفان، والد

---

(١) في (س): «عباس بن مرداس السلمي».

(٢) «فتح الباري»، كتاب المغازي: (٧: ٣٨٥).

(٣) في (ج)، (ص): «مدلج بن إنسان».

(٤) كذا في النسخ. وفي «أمثال» الميداني: (١٠: ٣٨٠): «حميرة»، وفي «جمهرة الأمثال» للعسكري: (١: ٤٥٥)، و«المستقصى» للزمخشري: (١: ١٨١): «خميرة». ولم نقف عليه في «الأمثال» للأصبهاني.

(٥) في (ج)، (ص): «تضرب... فتقول».

نصرِ بنِ دُهْمانَ الّذِي عاشَ مِئةً وَتِسْعِينَ سَنةً، حَتّى تقوَّم ظَهْرُهُ بَعْدَ انْحِناءٍ، واسْوَدّ شَعْرُهُ بَعْدَ ابْيِضاضٍ، فكانَ أُعْجُوبةً فِي العالَمِ، وَقالَ الشّاعِرُ[١]:

[من الطويل]

لِنَصْرِ بنِ دُهْمانَ الهُنَيْدة عاشَها وَتِسْـعِينَ حَوْلًا ثُمّ قُوِّمَ فانْصاتا
وَعادَ سَوادُ الرَّأْسِ بَعْدَ ابْيِضاضِهِ وَلَكِنّـهُ مِـنْ بَعْدِ ذَلِـكَ قَدْ ماتا

وَمِمّنْ ذَكَرَ هَذا الخَبَرَ أَبُو الحَسَنِ الدّارَقُطْنِيُّ رَحِمَهُ اللهُ[٢].

وَحَضَنٌ: اسْمُ جَبَلٍ، وَمِنْهُ المَثَلُ: «أَنْجَدَ مَنْ رَأى حَضَنًا»[٣].

وَقَوْلُهُ: «مِمّا يَشْتَوِي حَذَفٌ». الحَذَفُ: غَنَمٌ سُودٌ صِغارٌ تَكُونُ بِاليَمَنِ، وَفِي الحَدِيثِ: «سَوُّوا صُفُوفَكُمْ، لا تَخَلَّلكم الشّياطِينُ كَأَنّها بناتُ حَذَفٍ»[٤]، يَعْنِي: فِي الصّفِّ فِي الصّلاةِ، هَكَذا قالَ البَرْقِيُّ فِي تَفْسِيرِ هَذا البَيْتِ، والّذِي أرادَ الشّاعِرُ: إنّما هُوَ رَجُلٌ، فَلَعَلّهُ كانَ يُسَمّى بحَذَف، والحَذَف هِيَ الغَنَمُ السُّودُ الّتِي ذَكَرْنا.

وَقَوْلُهُ: [من الرجز]

كُلُّ شِـواءِ العَيرِ جُوفانُ

يُقالُ: إنّهُ[٥] شُوِيَ لَهُ غُرْمُولُ حِمارٍ، فَأَكَلَهُ فِي الشِّواءِ فَوَجَدَهُ أَجْوَفَ، وَقِيلَ

---

(١) هو سلمة بن الخرشب كما في «اللسان» (صوت، هند). والهنيدة: مئة سنة. وانصات الرجل: استوت قامته.

(٢) «المؤتلف والمختلف» (٤: ٢٢٦٧).

(٣) «لسان العرب» (نجد)، يقال: أنجدنا: أخذنا في بلاد نجد، فيبعد عن الغور.

(٤) الحديث في «النهاية» لابن الأثير: (حذف).

(٥) في (ب): «إنما».

لَهُ: إنّهُ القُنْبُ، أيْ: وِعاءُ القَضِيبِ، فقالَ: «كُلُّ شِواءِ العَيرِ جُوفانُ»[١] فَضُرِبَ هَذا الكَلامُ مَثَلًا.

وَقِيلَ: كانَ فَزارِيٌّ وَتَغْلِبِيٌّ وَكَلْبِيٌّ اجتمعوا في سفر، وَقَدِ اشْتَوَوْا حِمارَ وَحْشٍ، فَغابَ الفَزارِيُّ فِي بعض حاجاته، فأكلَ صاحباهُ العَيْر واختبآ له غُرمولَه، فَلَمّا جاءَ قالا لَهُ: هَذا خَبَأْنا لَكَ. فَجَعَلَ يَأْكُلُه[٢] وَلا يُسِيغُهُ، فَضَحِكا مِنْهُ، فاخْتَرَطَ سيفه وقال: لأقتلنّكُما إنْ لَمْ تَأْكُلاهُ، فَأَبى أَحَدُهُما فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَأَبانَ رَأْسَهُ، وَكانَ اسْمُهُ: مَرْقَمة، فَقالَ صاحِبُهُ: طاحَ مَرْقَمة، فَقالَ الفَزارِيّ، وَأَنْتَ إنْ لَمْ تَلْقَمَهْ. أرادَ: تَلْقَمها، فَطَرَحَ حَرَكَةَ الهاءِ على المِيمِ، وَحَذَفَ الألِفَ، كَما قِيلَ[٣] فِي الحيرةِ: أيُّ رِجالٍ بِه؟ أيْ: بِها. وَقَدْ عُيِّرَتْ فَزارةُ بِهَذا الخَبَرِ حَتّى قالَ سالِمُ بنُ دارةَ: [من البسيط]

لا تَأْمَنَنّ فَزارِيًّا خَلَوْتَ بِهِ ... على قُلُوصِك، واكْتُبْها بِأَسْيارِ
لا تَأْمَنَنْهُ وَلا تَأْمَنْ بَوائِقَهُ ... بَعْدَ الَّذِي امْتَلَّ أَيْرَ العَيْرِ في النارِ
أَطْعَمْتُمُ الضَّيْفَ جُوفانًا مُخاتَلَةً ... فَلا سَقاكُمْ إلَهِي الخالِقُ البارِي

مِنْ كِتابِ «الأَمْثالِ» لِلْأَصْبَهانِيّ[٤]. فَهَذا الفَزارِيُّ هُوَ حَذَفٌ المَذْكُورُ فِي البَيْتِ، واللهُ أَعْلَمُ.

وَقَوْلُهُ: [من البسيط]

---

(١) جوفان: جمع أجوف، أي: اتسع جوفه.

(٢) في (أ)، (ص): «يأكل»، وفي (ص)، (ج): «ولا يكاد يسيغه».

(٣) كذا في (ب)، (ج)، (ف)، وفي (أ)، (س): «كما قال، قيل في الحيرة»، وفي (ح)، (ف): «كما قال في الحيرة»، وفي (ص): «كما قد قيل».

(٤) لم أجده في كتاب «الأمثال» للأصبهاني.

والأجْرَبانِ بَنُو عَبْسٍ وَذُبْيانُ

سَمّاهُما بِالأجْرَبَيْنِ تَشْبِيهًا بِالأجْرَبِ الّذِي لا يُقْرَبُ، وَقالَ مَجْذُومٌ مِن العَرَبِ: [من الطويل]

[بِأيّ فِعالٍ رَبِّ أُوتِيتُ ما أرى][(١)] أَظَـلُّ كَأنّي كُلَّما قُمْـتُ أجْرَبُ

أيْ: يُفَرُّ مِنّي. وَفِي الخَبَرِ أنّ عُمَرَ رضي الله عنه لَمّا نُهِيَ النّاسُ عن مجالسةِ صَبيغِ بنِ عِسْلٍ كانَ كُلّما حَلَّ مَوْضِعًا تَفَرّقَ النّاسُ عنه كأنّه بعيرٌ أجربُ.

ومَنْ رَواهُ: «الأجْرَبانُ» بِضَمّ النّونِ، فَهُوَ جائِزٌ فِي كُلِّ اثْنَيْنِ مُتَلازِمَيْنِ كالجَلَمَيْنِ، يُقالُ فِيهِما: الجَلَمانُ بِضَمِّ النّونِ، وَكَذَلِكَ القَمَرانُ، وَرُوِيَ أنّ فاطِمَةَ رضي الله عنها نادت ابنيها فِي لَيْلَةٍ ظَلماءَ: يا حَسَنانُ، [يا حُسَيْنانُ بِضَمّ النّونِ][(٢)]، قالَهُ الهَرَوِيّ[(٣)] فِي «الغَرِيبَيْنِ»[(٤)].

❊ ❊ ❊

(١) ليس في (ب).

(٢) ليس في (ب).

(٣) انظر: «نتائج الفكر» للسهيلي: (ص: ٥٤).

(٤) وقع في (ج)، (ص) بعده قوله: «وفي قريش أجربان، وهم بنو محارب بن فهر، وبنو معيص ابن عامر».

[أمْرُ ذاتِ أنْواطٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني ابنُ شِهابٍ الزُّهْرِيُّ، عَنْ سِنانِ بنِ أبي سِنانٍ الدُّؤَلِيِّ، عَنْ أبي واقِدٍ اللَّيْثِيِّ، أنَّ الحارِثَ بنَ مالِكٍ قالَ: خَرَجْنا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إلى حُنَيْنٍ ونَحْنُ حَدِيثُو عَهْدٍ بالجاهِلِيّةِ. قالَ: فسِرْنا مَعَهُ إلى حُنَيْنٍ. قالَ: وكانَتْ كُفّارُ قُرَيْشٍ ومَنْ سِواهُمْ مِن العَرَبِ لَهُمْ شَجَرةٌ عَظِيمةٌ خَضْراءُ يُقالُ لَهَا: ذاتُ أنْواطٍ، يَأْتُونَها كُلَّ سَنةٍ، فيعَلِّقُونَ أسْلِحَتَهُمْ عَلَيْها، ويَذْبَحُونَ عِنْدَها، ويَعْكُفُونَ عَلَيْها يَوْمًا. قالَ: فرَأيْنا ونَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ سِدْرةً خَضْراءَ عَظِيمةً، قالَ: فتَنادَيْنا مِنْ جَنَباتِ الطَّرِيقِ: يا رَسُولَ الله، اجْعَلْ لَنا ذاتَ أنْواطٍ كَما لَهُمْ ذاتُ أنْواطٍ. قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الله أكْبَرُ، قُلْتُمْ والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ كَما قالَ قَوْمُ مُوسى لِمُوسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، إنَّها السَّنَنُ، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ».

[لِقاءُ هَوازِنَ وثَباتُ الرَّسُولِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابنِ جابِرٍ، عَنْ أبيهِ جابِرِ بنِ عَبْدِ الله، قالَ: لَمّا اسْتَقْبَلْنا وادِيَ حُنَيْنٍ انْحَدَرْنا في وادٍ مِنْ أوْدِيةِ تِهامةَ أجْوَفَ حَطُوطٍ، إنَّما نَنْحَدِرُ فيهِ انْحِدارًا. قالَ: وفي عَمايةِ الصُّبْحِ، وكانَ القَوْمُ قَدْ سَبَقُونا إلى الوادِي، فكَمَنُوا لَنا في شِعابِهِ وأحْنائِهِ ومَضايِقِهِ، وَقَدْ أجْمَعُوا وتهيّؤوا وأعدّوا، فو الله ما راعَنا ونَحْنُ

مُنْحَطُّونَ إلّا الكَتائِبُ قَدْ شَدُّوا عَلَيْنا شَدّةَ رَجُلٍ واحِدٍ، وانْشَمَرَ النّاسُ راجِعِينَ، لا يَلْوِي أحَدٌ على أحَدٍ، وانْحازَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذاتَ اليَمِينِ، ثُمَّ قالَ: «أيْنَ أيُّها النّاسُ؟ هَلُمُّوا إلَيَّ، أنا رَسُولُ اللهِ، أنا مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ». قالَ: فلا شَيْءَ، حَمَلَت الإبِلُ بَعْضُها على بَعْضٍ، فانْطَلَقَ النّاسُ، إلّا أنَّهُ قَدْ بَقِيَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَفَرٌ مِن المُهاجِرِينَ والأنْصارِ وأهْلِ بَيْتِهِ.

[أسماءُ مَن ثَبَتَ مَعَ الرَّسُولِ]

وَفيمَنْ ثَبَتَ مَعَهُ مِن المُهاجِرِينَ أبو بَكْرٍ وعُمَرُ، ومِنْ أهْلِ بَيْتِهِ عَلِيُّ ابنُ أبي طالِبٍ والعَبّاسُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وأبو سُفيانَ بنُ الحارِثِ، وابنُهُ، والفَضْلُ بنُ العَبّاسِ، ورَبِيعةُ بنُ الحارِثِ، وأُسامةُ بنُ زَيْدٍ. وأيْمَنُ بنُ عُبَيْدٍ قُتِلَ يَوْمَئِذٍ، قالَ ابنُ هِشامٍ: اسْمُ ابنِ أبي سُفيانَ بنِ الحارِثِ جَعْفَرٌ، واسْمُ أبي سُفيانَ المُغِيرةُ، وبَعْضُ النّاسِ يَعُدُّ فيهِمْ قُثَمَ بنَ العَبّاسِ، ولا يَعُدُّ ابنَ أبي سُفيانَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابنِ جابِرٍ، عَنْ أبيهِ جابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ، قالَ: ورَجُلٌ مِنْ هَوازِنَ على جَمَلٍ لَهُ أحْمَرَ، بِيَدِهِ رايةٌ سَوْداءُ في رَأْسِ رُمْحٍ لَهُ طَوِيلٍ، أمامَ هَوازِنَ، وهَوازِنُ خَلْفَهُ، إذا أدْرَكَ طَعَنَ بِرُمْحِهِ، وإذا فاتَهُ النّاسُ رَفَعَ رُمْحَهُ لِمَنْ وراءَهُ فاتَّبَعُوهُ.

[شَماتةُ أبي سُفيانَ وغَيْرِهِ بِالمُسْلِمِينَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا انْهَزَمَ النّاسُ، ورَأى مَنْ كانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ جُفاةِ أهْلِ مَكّةَ الهَزِيمةَ، تَكَلَّمَ رِجالٌ مِنْهُمْ بِما في أنْفُسِهِمْ مِن الضِّغْنِ، فقالَ أبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ: لا تَنْتَهِي هَزِيمَتُهُمْ دُونَ البَحْرِ، وإنَّ الأزْلامَ لَمَعَهُ

في كِنانَتِهِ، وصَرَخَ جَبَلةُ بنُ الحَنْبَلِ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: كَلَدةُ بنُ الحَنْبَلِ ـ وهُوَ مَعَ أخِيهِ صَفْوانَ بنِ أُمَيّةَ مُشْرِكٌ في المُدّةِ الَّتِي جَعَلَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: ألا بَطَلَ السِّحْرُ اليَوْمَ. فقالَ لَهُ صَفْوانُ: اسْكُتْ فضَّ الله فاك، فوالله لَأنْ يَرُبَّنِي رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ أحَبُّ إلَيَّ مِنْ أنْ يَرُبَّنِي رَجُلٌ مِنْ هَوازِنَ.

[شِعْرُ حَسّانَ في هِجاءِ كَلَدةَ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ يَهْجُو كَلَدةَ:

رَأيْتُ سَوادًا مِنْ بَعِيدٍ فراعَنِي ... أبو حَنْبَلٍ يَــنْزُو على أُمِّ حَنْبَلِ

كَأنَّ الَّذي يَنْزُو بِهِ فوْقَ بَطْنِها ... ذِراعُ قَلُوصٍ مِنْ نِتاجِ ابنِ عِزْهِلِ

أنْشَدَنا أبو زَيْدٍ هَذَيْنِ البَيْتَيْنِ، وذَكَرَ لَنا أنَّهُ هَجا بِهِما صَفْوانَ بنَ أُمَيّةَ، وكانَ أخا كَلَدةَ لِأُمِّهِ.

فَصْلٌ

وَذَكَرَ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: «أيْنَ أيّها النّاسُ؟! أنا مُحَمّدٌ، أنا رَسُولُ الله»، وَفِي غَيْرِ هَذِهِ الرّوايةِ: [من مجزوء الرجز]

أنا النّبِيُّ لا كَــذِبْ ... أنا ابنُ عَبْدِ المُطّلِبْ

وَهُوَ كَلامٌ مَوْزُونٌ، وَقَدْ تَقَدّمَ الكَلامُ فِي مِثْلِ هَذا[1]، وَأنّهُ لَيْسَ بِشِعْرٍ حَتّى يُقْصَدَ بِهِ[2] الشّعْرُ. وَلِلْخَطّابِيّ فِي كِتابِ «الأعْلامِ» تَنْبِيهٌ على قَوْلِهِ[3]: [من مجزوء الرجز]

---

(١) انظر: (٦: ٤٧٥). (٢) في (س): «حتى يقصد به معنى».

(٣) «أعلام الحديث» (٢: ١٣٨٣-١٣٨٤).

أنا ابنُ عَبْــدِ المُطّلِبْ

قالَ: إنّما خَصّ عَبْدَ المُطّلِبِ بالذّكْرِ فِي هَذا المَقامِ، وَقَد انْهَزَمَ النّاسُ؛ تثبيتًا لِنُبُوّتِهِ، وَإزالةً لِلشّكِّ لِما اشْتَهَرَ وَعُرِفَ مِنْ رُؤْيا عَبْدِ المُطّلِبِ المُبَشِّرةِ بالنّبيّ ﷺ ، وَقَدْ تَقَدّمَ ذِكْرُها[١]، وَلِما أَنْبَأَتْ بِهِ الأحْبارُ والكُهّان، فَكَأنّهُ يَقُولُ: أنا ذاك[٢]، فلا بدّ مما وُعِدتُ به لئلّا[٣] ينهزموا عنه، وَيَظُنّوا[٤] أنّهُ مَقْتُولٌ وَمَغْلُوبٌ، فاللهُ أعْلَمُ أرادَ رَسُولُهُ ذَلِكَ أمْ لا.

* * *

(١) انظر: (١: ١٢٥).

(٢) في (ف): «ذلك».

(٣) في (ف): «فلا».

(٤) في (ب): «أو يظنوا... أو مغلوب».

[عَجزُ شَيْبَةَ عَنْ قَتْلِ الرَّسُولِ وقَدْ هَمَّ بِهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ شَيْبةُ بنُ عُثْمانَ بنِ أبي طَلْحةَ، أخو بَنِي عَبْدِ الدّارِ: قُلْتُ: اليَوْمَ أُدْرِكُ ثَأْرِي مِنْ مُحَمَّدٍ ـ وكانَ أبوهُ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ ـ اليَوْمَ أقْتُلُ مُحَمَّدًا. قالَ: فأدَرْتُ بِرَسُولِ الله لِأقْتُلَهُ، فأقْبَلَ شَيْءٌ حَتّى تَغَشّى فُؤادِي، فلَمْ أُطِقْ ذاكَ، وعَلِمْتُ أنَّهُ مَمْنُوعٌ مِنِّي.

قالُ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي بَعْضُ أهْلِ مَكّةَ، أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ حِينَ فصَلَ مِنْ مَكّةَ إلى حُنَيْنٍ، ورَأى كَثْرةَ مَنْ مَعَهُ مِنْ جُنُودِ الله: «لَنْ نُغْلَبَ اليَوْمَ مِنْ قِلّةٍ». قالَ ابنُ إسْحاقَ: وزَعَمَ بَعْضُ النّاسِ أنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي بَكْرٍ قالَها.

[رُجُوعُ النّاسِ بِنِداءِ العَبّاسِ، والِانْتِصارُ بَعْدَ الهَزِيمةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، عَنْ كَثِيرِ بنِ العَبّاسِ، عَنْ أبيهِ العَبّاسِ بن عَبْدِ المُطَّلِبِ، قالَ: إنِّي لَمَعَ رَسُولِ الله ﷺ آخِذٌ بِحَكَمةِ بَغْلَتِهِ البَيْضاءِ قَدْ شَجَرْتُها بِها، قالَ: وكُنْتُ امْرًا جَسِيمًا شَدِيدَ الصَّوْتِ، قالَ: وَرَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ حِينَ رَأى ما رَأى مِن النّاسِ: «أيْنَ أيُّها النّاسُ؟» فَلَمْ أرَ النّاسَ يَلْوُونَ على شَيْءٍ، فقالَ: «يا عَبّاسُ، اصْرُخْ، يا مَعْشَرَ الأنْصارِ، يا مَعْشَرَ أصْحابِ السَّمُرةِ»، قالَ: فأجابُوا: لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ. قالَ: فيذْهَبُ الرَّجُلُ لِيُثْنِيَ بَعِيرَهُ فلا يَقْدِرُ على ذلك، فيأْخُذُ دِرْعَهُ فيقْذِفُها في عُنُقِهِ، ويَأْخُذُ سَيْفَهُ وتُرْسَهُ ويَقْتَحِمُ عَنْ بَعِيرِهِ، ويُخَلِّي سَبِيلَهُ، فيؤُمُّ الصَّوْتَ، حَتّى يَنْتَهِيَ

إلى رَسُولِ الله ﷺ، حَتّى إذا اجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْهُم مئة، اسْتَقْبَلُوا النّاسَ، فاقْتَتَلُوا، وكانَتِ الدَّعْوى أوَّلَ ما كانَتْ: يا لَلْأنْصارِ. ثُمَّ خَلَصَتْ أخَيْرًا: يا لَلْخَزْرَجِ. وكانُوا صُبْرًا عِنْدَ الحَرْبِ، فأشْرَفَ رَسُولُ الله ﷺ في رَكائِبِهِ فنَظَرَ إلى مُجْتَلَدِ القَوْمِ وهُمْ يَجْتَلِدُونَ، فقالَ: «الآنَ حَمِيَ الوَطِيسُ».

[بَلاءُ عَلِيٍّ وأنْصارِيٍّ في هَذِهِ الحَرْبِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابنِ جابِرٍ، عَنْ أبيهِ جابِرِ بنِ عَبْدِ الله، قالَ: بَيْنا ذلك الرَّجُلُ مِنْ هَوازِنَ صاحِبُ الرّايةِ على جَمَلِهِ يَصْنَعُ ما يَصْنَعُ، إذْ هَوى لَهُ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ رِضْوانُ الله عَلَيْهِ ورَجُلٌ مِن الأنْصارِ يُرِيدانِهِ، قالَ: فيأْتِيهِ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ مِنْ خَلْفِهِ، فضَرَبَ عُرْقُوبَي الجَمَلِ، فوَقَعَ على عَجُزِهِ، ووَثَبَ الأنْصارِيُّ على الرَّجُلِ فضَرَبَهُ ضَرْبةً أطَنَّ قَدَمَهُ بِنِصْفِ ساقِهِ، فانْجَعَفَ عَنْ رَحْلِهِ. قالَ: واجتَلَدَ النّاسُ، فواللهِ ما رَجَعَتْ راجِعةُ النّاسِ مِنْ هَزِيمَتِهِمْ حَتّى وجَدُوا الأُسارى مُكَتَّفِينَ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ.

قالَ: والتَفَتَ رَسُولُ الله ﷺ إلى أبي سُفيانَ بنِ الحارِثِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وكانَ مِمَّنْ صَبَرَ يَوْمَئِذٍ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، وكانَ حَسَنَ الإسْلامِ حِينَ أسْلَمَ، وهُوَ آخِذٌ بِثَفَرِ بَغْلَتِهِ، فقالَ: «مَنْ هذا؟» قالَ: أنا ابنُ أُمِّكَ يا رَسُولَ الله.

[شَأْنُ أُمِّ سُلَيْمٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ التَفَتَ فرَأى أُمَّ سُلَيمٍ بنتَ مِلْحانَ، وكانَتْ مَعَ زَوْجِها أبي طَلْحةَ، وهِيَ حازِمةٌ وسَطَها بِبُرْدٍ لَها، وإنَّها لَحامِلٌ بِعَبْدِ الله بنِ أبي طَلْحةَ، ومَعَها جَمَلُ أبي طَلْحةَ،

وقَدْ خَشِيَتْ أنْ يَعُزَّها الجَمَلُ، فأدْنَتْ رَأْسَهُ مِنْها، فأدْخَلَتْ يَدَها في خِزامَتِهِ مَعَ الخِطامِ، فقالَ لَهَا رَسُولُ الله ﷺ: «أُمُّ سُلَيْمٍ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، بِأبِي أنْتَ وأُمِّي يا رَسُولَ الله، اقْتُلْ هَؤُلاءِ الَّذينَ يَنْهَزِمُونَ عَنْكَ كَما تَقْتُلُ الَّذينَ يُقاتِلُونَكَ؛ فإنَّهُمْ لِذلك أهْلٌ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أوْ يَكْفِي اللهُ يا أُمَّ سُلَيْمٍ». قالَ: ومَعَها خِنْجَرٌ، فقالَ لَهَا أبو طَلْحَةَ: ما هذا الخِنْجَرُ مَعَكِ يا أُمَّ سُلَيْمٍ؟ قالَتْ: خِنْجَرٌ أخَذتُه، إنْ دَنا مِنِّي أحَدٌ مِنَ المُشْرِكِينَ بَعَجْتُهُ بِهِ. قالَ: يَقُولُ أبو طَلْحَةَ: ألا تَسْمَعُ يا رَسُولَ الله ما تَقُولُ أُمُّ سُلَيْمٍ الرُّمَيْصاءُ.

[شِعْرُ مالِكِ بنِ عَوْفٍ في هَزِيمةِ النّاسِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ كانَ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ وجَّهَ إلى حُنَيْنٍ قَدْ ضَمَّ بَنِي سُلَيْمٍ الضَّحّاكَ بنَ سُفيانَ الكِلابِيَّ، فكانُوا إلَيْهِ ومَعَهُ، ولَمّا انْهَزَمَ النّاسُ قالَ مالِكُ بنُ عَوْفٍ يَرْتَجِزُ بِفَرَسِهِ:

أقْدِمْ مُحاجُ إنَّهُ يَوْمٌ نُكُرْ ... مِثْلِي على مِثْلِكَ يَحْمِي ويَكُرْ
إذا أُضِيعَ الصَّفُّ يَوْمًا والدُّبُرْ ... ثُمَّ احْزَأَلَّتْ زُمَرٌ بَعْدَ زُمَرْ
كَتائِبٌ يَكِلُّ فيهِنَّ البَصَرْ ... قَدْ أطْعَنُ الطَّعْنَةَ تَقْذِي بِالسُّبُرْ
حِينَ يُذَمُّ المُسْتَكِينُ المُنْجَحِرْ ... وأطْعَنُ النَّجْلاءَ تَعْوِي وتَهِرْ
لَهَا مِنَ الجَوْفِ رَشاشٌ مُنْهَمِرْ ... تَفْهَقُ تاراتٍ وحِينًا تَنْفَجِرْ
وَثَعْلَبُ العامِلِ فيها مُنْكَسِرْ ... يا زَيْدُ يا بنَ هَمْهَمٍ أيْنَ تَفِرّ
قَدْ نَفِدَ الضِّرْسُ وقَدْ طالَ العُمُرْ ... قَدْ عَلِمَ البِيضُ الطَّوِيلاتُ الخُمُرْ
أنِّي في أمْثالِها غَيْرُ غَمِرْ ... إذْ تُخْرَجُ الحاصِنُ مِنْ تَحْتِ السُّتُرْ

وَقالَ مالِكُ بنُ عَوْفٍ أيْضًا:

أَقْدِمْ مُحاجُ إِنَّها الأساوِرَهْ ولا تَغُرَّنَّكَ رِجْلٌ نادِرَهْ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وهذانِ البَيْتانِ لِغَيْرِ مالِكِ بنِ عَوْفٍ في غَيْرِ هذا اليَوْمِ.

[شَأْنُ أبي قَتادةَ وسَلَبُهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني عَبْدُ اللهِ بنُ أبي بَكْرٍ، أَنَّهُ حُدِّثَ عَنْ أبي قَتادةَ الأنْصارِيِّ، قالَ: وحَدَّثَني مَنْ لا أَتَّهِمُ مِنْ أَصْحابِنا، عَنْ نافِعٍ مَوْلى بَني غِفارٍ أبي مُحَمَّدٍ، عَنْ أبي قَتادةَ، قالا: قالَ أبو قَتادةَ: رَأَيْتُ يَوْمَ حُنَيْنٍ رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ: مُسْلِمًا ومُشْرِكًا، قالَ: وإذا رَجُلٌ مِنَ المُشْرِكِينَ يُرِيدُ أَنْ يُعِينَ صاحِبَهُ المُشْرِكَ على المُسْلِمِ.

قالَ: فأَتَيْتُهُ، فضَرَبْتُ يَدَهُ، فقَطَعْتُها، واعْتَنَقَني بِيَدِهِ الأُخْرى، فواللهِ ما أَرْسَلَني حَتّى وجَدْتُ رِيحَ الدَّمِ ـ ويُرْوى: رِيحَ المَوْتِ فيما قالَ ابنُ هِشامٍ ـ وكادَ يَقْتُلُني، فلَوْلا أَنَّ الدَّمَ نَزَفَهُ لَقَتَلَني، فسَقَطَ، فضَرَبْتُهُ فقَتَلْتُهُ، وأَجْهَضَني عَنْهُ القِتالُ، ومَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فسَلَبَهُ، فلَمّا وضَعَتِ الحَرْبُ أَوْزارَها وفَرَغْنا مِنَ القَوْمِ، قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فلَهُ سَلَبُهُ»، فقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ، واللهِ لَقَدْ قَتَلْتُ قَتِيلًا ذا سَلَبٍ، فأَجْهَضَني عَنْهُ القِتالُ، فما أَدْرِي مَنِ اسْتَلَبَهُ؟ فقالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ: صَدَقَ يا رَسُولَ اللهِ، وسَلَبُ ذلك القَتِيلِ عِنْدِي، فأَرْضِهِ عَنِّي مِنْ سَلَبِهِ. فقالَ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا واللهِ، لا يُرْضِيهِ مِنْهُ، تَعْمِدُ إلى أَسَدٍ مِنْ أُسْدِ اللهِ، يُقاتِلُ عَنْ دِينِ اللهِ، تُقاسِمُهُ سَلَبَهُ! ارْدُدْ عَلَيْهِ سَلَبَ قَتِيلِهِ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «صَدَقَ، ارْدُدْ عَلَيْهِ سَلَبَهُ». فقالَ أبو قَتادةَ: فأَخَذْتُهُ مِنْهُ فبِعْتُهُ فاشْتَرَيْتُ بِثَمَنِهِ مَخْرَفًا، فإِنَّهُ لَأَوَّلُ مالٍ اعْتَقَدْتُهُ. قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني مَنْ لا أَتَّهِمُ، عَنْ

أبي سَلَمَةَ، عَنْ إسْحاقَ بنِ عَبْدِ الله بن أبي طَلْحةَ، عَنْ أنَسِ بنِ مالِكٍ، قالَ: لَقَدِ اسْتَلَبَ أبو طَلْحةَ يَوْمَ حُنَيْنٍ وحْدَهُ عِشْرِينَ رَجُلًا.

[نُصْرةُ المَلائِكةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني أبي إسْحاقُ بنُ يَسارٍ، أنَّهُ حُدِّثَ عَنْ جُبَيْرِ ابنِ مُطْعِمٍ، قالَ: لَقَدْ رَأيْتُ قَبْلَ هَزِيمةِ القَوْمِ والنّاسُ يَقْتَتِلُونَ مِثْلَ البِجادِ الأَسْوَدِ، أقْبَلَ مِن السَّماءِ حَتّى سَقَطَ بَيْنَنا وبَيْنَ القَوْمِ، فنَظَرْتُ، فإذا نَمْلٌ أسْوَدُ مَبْثُوثٌ قَدْ مَلأَ الوادِيَ، لَمْ أشُكَّ أنَّها المَلائِكةُ، ثُمَّ لَمْ يَكُنْ إلّا هَزِيمةُ القَوْمِ.

[هَزِيمةُ المُشْرِكِينَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولَمّا هَزَمَ الله المُشْرِكِينَ مِنْ أهْلِ حُنَيْنٍ، وأمْكَنَ رَسُولَهُ ﷺ مِنْهُمْ، قالَتِ امْرَأةٌ مِن المُسْلِمِينَ:

قَدْ غَلَبَتْ خَيْلُ الله خَيْلَ اللّاتِ ... واللهُ أحَقُّ بِالثَّباتِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: أنْشَدَنِي بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ بِالرِّوايةِ لِلشِّعْرِ:

غَلَبْتِ خَيْلُ اللهِ خَيْلَ اللّاتِ ... وخَيْلُهُ أحَقُّ بِالثَّباتِ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا انْهَزَمَتْ هَوازِنُ اسْتَحَرَّ القَتْلُ مِنْ ثَقِيفٍ في بَنِي مالِكٍ، فقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا تَحْتَ رايَتِهِمْ، فيهِمْ عُثْمانُ بنُ عَبْدِ الله بنِ رَبِيعةَ بنِ الحارِثِ بنِ حَبِيبٍ، وكانَتْ رايَتُهُمْ مَعَ ذِي الخِمارِ، فلَمّا قُتِلَ أخَذَها عُثْمانُ بنُ عَبْدِ الله، فقاتَلَ بِها حَتّى قُتِلَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأخْبَرَنِي عامِرُ بنُ وهْبِ بنِ الأسْوَدِ، قالَ: لَمّا بَلَغَ رَسُولَ الله ﷺ قَتْلُهُ، قالَ: «أبْعَدَهُ الله؛ فإنَّهُ كانَ يُبْغِضُ قُرَيْشًا».

[الغُلامُ النَّصْرانِيُّ الأغْرَلُ وما كادَ يَلْحَقُ ثَقِيفًا بِسَبَبِه]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بنُ عُتْبَةَ بنِ المُغِيرةِ بنِ الأَخْنَسِ: أنَّهُ قُتِلَ مَعَ عُثْمانَ بنِ عَبْدِ اللهِ غُلامٌ لَهُ نَصْرانِيٌّ أغْرَلُ، قالَ: فبَيْنا رَجُلٌ مِنَ الأنْصارِ يَسْلُبُ قَتْلى ثَقِيفٍ، إذْ كَشَفَ العَبْدَ يَسْلُبُهُ، فوَجَدَهُ أغْرَلَ. قالَ: فصاحَ بِأعلى صَوْتِهِ: يا مَعْشَرَ العَرَبِ، يَعْلَمُ اللهُ أنَّ ثَقِيفًا غُرْلٌ. قالَ المُغِيرةُ ابنُ شُعْبَةَ: فأخَذْتُ بِيَدِهِ وخَشِيتُ أنْ تَذْهَبَ عَنّا في العَرَبِ، فقُلْتُ: لا تَقُلْ ذاكَ، فداكَ أبِي وأُمِّي، إنَّما هُوَ غُلامٌ لَنا نَصْرانِيٌّ. قالَ: ثُمَّ جَعَلْتُ أكْشِفُ لَهُ عَنِ القَتْلى وأقُولُ لَهُ: ألا تراهم مُخْتَّنين كَما تَرى.

[فِرارُ قارِبٍ وقَوْمِهِ، وشِعْرُ ابنِ مِرْداسٍ في هِجائِهِمْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَتْ رايةُ الأحْلافِ مَعَ قارِبِ بنِ الأسْوَدِ، فلَمّا انْهَزَمَ النّاسُ أسْنَدَ رايَتَهُ إلى شَجَرةٍ، وهَرَبَ هُوَ وبَنُو عَمِّهِ وقَوْمُهُ مِنَ الأحْلافِ، فلَمْ يُقْتَلْ مِن الأحْلافِ غَيْرُ رَجُلَيْنِ؛ رَجُلٌ مِنْ غِيَرَةَ، يُقالُ لَهُ: وهْبٌ، وآخَرُ مِنْ بَنِي كُبَّةَ، يُقالُ لَهُ الجُلاحُ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ بَلَغَهُ قَتْلُ الجُلاحِ: «قُتِلَ اليَوْمَ سَيِّدُ شَبابِ ثَقِيفٍ، إلّا ما كانَ مِنِ ابنِ هُنَيْدَةَ»، يَعْنِي بِابنِ هُنَيْدَةَ: الحارِثَ بنَ أُوَيْسٍ.

[قَصِيدةٌ أُخْرى لِابنِ مِرْداسٍ]

فَقالَ عَبّاسُ بنُ مِرْداسٍ السُّلَمِيُّ يَذْكُرُ قارِبَ بنَ الأسْوَدِ وفِرارَهُ مِنْ بَنِي أبيهِ، وذا الخِمارِ وحَبْسَهُ قَوْمَهُ لِلْمَوْتِ:

ألا مَنْ مُبْلِغٌ غَيْلانَ عَنِّي؟ ... وسَوْفَ إخالُ يَأْتِيهِ الخَبِيرُ
وَعُرْوَةَ إنَّما أُهْدِي جَوابًا ... وقَوْلًا غَيْرَ قَوْلِكُما يَسِيرُ

بِـأَنَّ مُحَمَّـدًا عَبْدٌ رَسُـولٌ ... لِـرَبٍّ لا يَضِـلُّ ولا يَجُـورُ

وَجَدْنـاهُ نَبِيًّا مِثْـلَ مُوسى ... فـكُلُّ فـتى يُخايِـرُهُ مَخِيرُ

وَبِئْسَ الأمْـرُ أمْرُ بَنِي قَسِيٍّ ... بِـوَجٍّ إذْ تَقَسَّـمَتِ الأُمُورُ

أضاعُـوا أمْرَهُمْ ولِـكُلِّ قَوْمٍ ... أمِـيرٌ والدَّوائِـرُ قَـدْ تَدُورُ

فَجِئْنا أُسْـدَ غابـاتٍ إلَيْهِمْ ... جُنُـودُ اللهِ ضاحِيَةً تَسِـيرُ

يَـؤُمُّ الجَمْعَ جَمْعَ بَـنِي قَسِيٍّ ... على حَنَـقٍ نَـكادُ لَهُ نَطِيرُ

وَأُقْسِـمُ لَوْ هُمُ مَكَثُوا لَسِرْنا ... إلَيْهِـمْ بِالجُنُودِ ولَـمْ يَغُورُوا

فَكُنّـا أُسْـدَ لِيّةَ ثَـمَّ حتّى ... أبَحْناها وأُسْـلِمَتِ النُّصُورُ

وَيَوْمٌ كانَ قَبْـلُ لَدى حُنَيْنٍ ... فأقْلَـعَ والدِّمـاءُ بِـهِ تَمُورُ

مِنَ الأيّـامِ لَمْ تَسْـمَعْ كَيَوْمٍ ... ولَـمْ يَسْـمَعْ بِهِ قَـوْمٌ ذُكُورُ

قَتَلْنا في الغُبـارِ بَنِي حُطَيْطٍ ... على راياتِهـا والخَيْـلُ زُورُ

وَلَمْ يَكُ ذُو الخِمارِ رَئِيسَ قَوْمٍ ... لَهُمْ عَقْلٌ يُعاقِـبُ أوْ مَكِيرُ

أقـامَ بِهِمْ على سَـنَنِ المَنايا ... وقَدْ بانَـتْ لِمُبْصِرِها الأُمُورُ

فَأفْلَتَ مَنْ نَجا مِنْهُم جَرِيضًا ... وقُتِّـلَ مِنْهُـمُ بَـشَرٌ كَثِيرُ

وَلا يُغْنِي الأُمُورَ أخُو التَّوانِي ... ولا الغَلِقُ الصُّرَيِّرَةُ الحَصُورُ

أحانَهُـمُ وحـانَ ومَلَّكُـوهُ ... أُمُورَهُـمُ وأفْلَتَـتِ الصُّقُورُ

بَنُو عَوْفٍ تَمِيـحُ بِهِمْ جِيادٌ ... أُهِينَ لَها الفَصافِصُ والشَّعِيرُ

فَلَـوْلا قـارِبٌ وبَنُـو أبيهِ ... تُقُسِّمتِ المَزارِعُ والقُصُورُ

ولكِـنّ الرِّياسـةَ عُمِّمُوها ... على يمْنٍ أشـارَ بِهِ المُشِـيرُ

أطاعُـوا قارِبًا ولَهُـمْ جُدُودٌ ... وأحْـلامٌ إلى عِـزٍّ تَصِـيرُ

فَإنْ يُهْدَوْا إلى الإسْلامِ يُلْفَوْا ... أُنُوفَ النّاسِ ما سَمَرَ السَّمِيرُ

وَإِنْ لَمْ يُسْلِمُوا فهُمُ أذانٌ ... بِحَرْبِ الله لَيْسَ لَهُمْ نَصِيرُ
كَما حَكَّتْ بَنِي سَعْدٍ وحَرْبٌ ... بِرَهْطِ بَنِي غَزِيَّةَ عَنْقَفيرُ
كَأَنَّ بَنِي مُعاوِيَةَ بنِ بَكْرٍ ... إلى الإسْلامِ ضائِنَةٌ تَخُورُ
فَقُلْنا: أَسْلِمُوا إنّا أَخُوكُمْ ... وقَدْ بَرَأَتْ مِن الإِحَنِ الصُّدُورُ
كَأَنَّ القَوْمَ إذْ جاؤُوا إلَيْنا ... مِنَ البَغْضاءِ بَعْدَ السِّلْمِ عُورُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: غَيْلانُ: غَيْلانُ بنُ سَلَمَةَ الثَّقَفي، وعُرْوةُ: عُرْوةُ بنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفي.

[مَقْتَلُ دُرَيْدِ بنِ الصِّمَّةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولَمّا انْهَزَمَ المُشْرِكُونَ، أَتَوُا الطّائِفَ ومَعَهُمْ مالِكُ بنُ عَوْفٍ، وعَسْكَرَ بَعْضُهُمْ بِأَوْطاسٍ، وتَوَجَّهَ بَعْضُهُمْ نَحْوَ نَخْلَةَ، ولَمْ يَكُنْ فيمَنْ تَوَجَّهَ نَحْوَ نَخْلَةَ إلّا بَنُو غِيَرَةَ مِنْ ثَقِيفٍ، وتَبِعَتْ خَيْلُ رَسُولِ الله ﷺ مَنْ سَلَكَ في نَخْلَةَ مِنَ النّاسِ، ولَمْ تَتْبَعْ مَنْ سَلَكَ الثَّنايا.

فَأَدْرَكَ رَبِيعةُ بنُ رُفيعِ بنِ أُهْبانَ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ رَبِيعةَ بنِ يَرْبُوعِ بنِ سَمّالِ ابنِ عَوْفِ بنِ امْرِئِ القَيْسِ ـ وكانَ يُقالُ لَهُ: ابنُ الدُّغُنَّةِ، وهِيَ أُمُّهُ، فغَلَبَتْ على اسْمِهِ، ويُقالُ: ابنُ لذعةَ فيما قالَ ابنُ هِشامٍ ـ دُرَيْدَ بنَ الصِّمّةِ، فأَخَذَ بِخِطامِ جَمَلِهِ وهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ امْرَأَةٌ؛ وذلك أَنَّهُ في شِجارٍ لَهُ، فإذا بِرَجُلٍ، فأناخَ بِهِ، فإذا شَيْخٌ كَبِيرٌ، وإذا هُوَ دُرَيْدُ بنُ الصِّمّةِ، ولا يَعْرِفُهُ الغُلامُ، فقالَ لَهُ دُرَيْدٌ: ماذا تُرِيدُ بِي؟ قالَ: أَقْتُلُكَ. قالَ: ومَنْ أَنْتَ؟ قالَ: أنا رَبِيعةُ بنُ رُفيعٍ السُّلَمِيُّ، ثُمَّ ضَرَبَهُ بِسَيْفِهِ، فلَمْ يُغْنِ شَيْئًا، فقالَ: بِئْسَ ما سَلَّحَتْكَ أُمُّكَ! خُذْ سَيْفي هذا مِنْ مُؤَخَّرِ الرَّحْلِ ـ وكانَ الرَّحْلُ في الشِّجارِ ـ ثُمَّ اضْرِبْ بِهِ،

وارْفَعْ عَنِ العِظامِ، واخْفِضْ عَن الدِّماغِ، فإنِّي كُنْتُ كذلك أضْرِبُ الرِّجالَ، ثُمَّ إذا أتَيْتَ أُمَّكَ فأخْبِرْها أنَّكَ قَتَلْتَ دُرَيْدَ بنَ الصِّمّةِ، فرُبَّ واللهِ يَوْم قَدْ مَنَعْتُ فيهِ نِساءَكَ. فزَعَمَ بَنو سُلَيْمٍ أنَّ رَبيعةَ لَمّا ضَرَبَهُ فوَقَعَ تَكَشَّفَ، فإذا عِجانُهُ وبُطُونُ فخِذَيْهِ مِثْلُ القِرْطاسِ؛ مِنْ رُكُوبِ الخَيْلِ أعْراءً، فلَمّا رَجَعَ رَبيعةُ إلى أُمِّهِ أخْبَرَها بِقَتْلِهِ إيّاهُ، فقالَتْ: أما واللهِ لَقَدْ أعْتَقَ أُمَّهاتٍ لَكَ ثَلاثًا.

فَقالَتْ عَمْرةُ بِنْتُ دُرَيْدٍ في قَتْلِ رَبيعةَ دُرَيْدًا:

لَعَمْرُكَ ما خَشِيتُ على دُرَيْدٍ ... بِبَطْنِ سُـمَيْرة جَيْشَ العَناقِ
جَزى عَنْهُ الإلَهُ بَنِي سُـلَيْمٍ ... وعَقَّتْهُـمْ بِما فعَلُـوا عَقاقِ
وَأسْـقانا إذا قُدْنـا إلَيْهِـمْ ... دِماءَ خِيارِهِـمْ عِنْدَ التَّلاقِي
فَرُبَّ عَظِيمـةٍ دافَعْتَ عَنْهُمْ ... وقَدْ بَلَغَتْ نُفوسُـهُمُ التَّراقِي
وَرُبَّ كَرِيمـةٍ أعْتَقْتَ مِنْهُمْ ... وأُخْرى قَدْ فكَكْتَ مِنَ الوَثاقِ
وَرُبَّ مُنَـوِّهٍ بِكَ مِنْ سُـلَيْمٍ ... أجَبْتَ وقَـدْ دَعاكَ بِلا رَماقِ
فَكانَ جَزاؤُنا مِنْهُـمْ عُقُوقًا ... وهَمًّا مـاعَ مِنْهُ مُخُّ سـاقِي
عَفَتْ آثـارُ خَيْلِكَ بَعْدَ أيْنٍ ... بِذِي بَقَـرٍ إلى فَيْفِ النُّهاقِ

وَقالَتْ عَمْرةُ بِنْتُ دُرَيْدٍ أيْضًا:

قالُوا قَتَلْنا دُرَيْدًا قُلْتُ قَدْ صَدَقُوا ... فظَلَّ دَمْعِي على السِّربال يَنْحَدِرُ
لَوْلا الَّذي قَهَـرَ الأقْوامَ كُلَّهُمُ ... رَأتْ سُلَيْمٌ وكَعْبٌ كَيْفَ تَأْتَمِرُ
إذًا لَصَبَّحَهُـمْ غِبًّـا وظاهِرةً ... حَيْثُ اسْتَقَرَّتْ نَواهُمْ جَحْفَلٌ ذَفِرُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: اسْمُ الَّذي قَتَلَ دُرَيْدًا: عَبْدُ اللهِ بنُ قُنَيْعِ بنِ أُهْبانَ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ رَبِيعةَ.

[مَقْتَلُ أبي عامرٍ الأشْعَرِيِّ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وبَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ في آثارِ مَنْ تَوَجَّهَ قِبَلَ أوْطاسٍ أبا عامرٍ الأشْعَرِيَّ، فأدْرَكَ مِنَ النّاسِ بَعْضَ مَنِ انْهَزَمَ، فناوَشُوهُ القِتالَ، فرُمِيَ أبو عامرٍ بِسَهْمٍ فقُتِلَ، فأخَذَ الرّايةَ أبو مُوسى الأشْعَرِيُّ، وهُوَ ابنُ عَمِّهِ، فَقاتَلَهُمْ، ففَتَحَ الله على يَدَيْهِ وهَزَمَهُمْ. فيزْعُمُونَ أنَّ سَلَمَةَ بنَ دُرَيْدٍ هُوَ الَّذي رَمى أبا عامرٍ الأشْعَرِيَّ بِسَهْمٍ، فأصابَ رُكْبَتَهُ فقَتَلَهُ، فقالَ:

إنْ تَسْألُوا عَنِّي فإنِّي سَلَمَهْ ... ابنُ سَمادِيرَ لِمَنْ تَوَسَّمَهْ
أضْرِبُ بِالسَّيْفِ رُؤُوسَ المُسْلِمَهْ

وَسَمادِيرُ: أُمُّهُ.

[دُعاءُ الرَّسُولِ لِبَنِي رِئابٍ]

واسْتَحَرَّ القَتْلُ مِنْ بَنِي نَصْرٍ في بَنِي رِئابٍ، فزَعَمُوا أنَّ عَبْدَ الله بنَ قَيْسٍ ـ وهُوَ الَّذي يُقالُ لَهُ: ابنُ العَوْراءِ، وهُوَ أحَدُ بَنِي وهْبِ بنِ رِئابٍ ـ قالَ: يا رَسُولَ الله، هَلَكَتْ بَنُو رِئابٍ. فزَعَمُوا أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ: «اللهُمَّ اجْبُرْ مُصِيبَتَهُمْ».

[وَصِيّةُ مالِكِ بنِ عَوْفٍ لِقَوْمِهِ، ولِقاءُ الزُّبَيْرِ لَهُمْ]

وَخَرَجَ مالِكُ بنُ عَوْفٍ عِنْدَ الهَزِيمةِ، فوَقَفَ في فَوارِسَ مِنْ قَوْمِهِ، على ثَنِيّةٍ مِنَ الطَّرِيقِ، وقالَ لِأصْحابِهِ: قِفُوا حَتّى تَمْضِيَ ضُعَفاؤُكُمْ، وتَلْحَقَ أُخْراكُمْ.

فَوَقَفَ هُناكَ حَتّى مَضى مَنْ كانَ لَحِقَ بِهِمْ مِنْ مُنْهَزِمةِ النّاسِ، فقالَ مالِكُ بنُ عَوْفٍ في ذلك:

وَلَـوْلا كَرَّتـانِ على مُحـاجٍ ... لَضاقَ على العَضارِيطِ الطَّرِيق
وَلَوْلا كَـرُّ دُهْمانَ بـنِ نَصْرٍ ... لَدى النَّخَلاتِ مُنْدَفَعَ الشَّدِيق
لَآبَـتْ جَعْفَـرٌ وبَنُـو هِلالٍ ... خَزايـا مُحْقِبِينَ على شُـقُوق

قالَ ابنُ هِشامٍ: هَذِهِ الأبْياتُ لِمالِكِ بنِ عَوْفٍ في غَيْرِ هذا اليَوْمِ. ومِمّا يَدُلُّكَ على ذلك قَوْلُ دُرَيْدِ بنِ الصِّمّةِ في صَدْرِ هذا الحَدِيثِ: ما فعَلَتْ كَعْبٌ وكِلابٌ؟ فَقالُوا لَهُ: لَمْ يَشْهَدْها مِنْهُمْ أحَدٌ. وجَعْفَرٌ: ابنُ كِلابٍ. وقالَ مالِكُ ابنُ عَوْفٍ في هَذِهِ الأبْياتِ: «لَآبَتْ جَعْفَرٌ وبَنُو هِلالٍ».

قالَ ابنُ هِشامٍ: وبَلَغَنِي أنَّ خَيْلًا طَلَعَتْ ومالِكٌ وأصْحابُهُ على الثَّنِيّةِ، فقالَ لِأصْحابِهِ: ماذا تَرَوْنَ؟ فقالُوا: نَرى قَوْمًا واضِعِي رِماحِهِم بَيْنَ آذانِ خَيْلِهِمْ، طَوِيلةً بَوادُّهُمْ، فقالَ: هَؤُلاءِ بَنُو سُلَيْمٍ، ولا بَأْسَ عَلَيْكُمْ مِنْهُمْ، فلَمّا أقْبَلُوا سَلَكُوا بَطْنَ الوادِي. ثُمَّ طَلَعَتْ خَيْلٌ أُخْرى تَتْبَعُها، فقالَ لِأصْحابِهِ: ماذا تَرَوْنَ؟ قالُوا: نَرى قَوْمًا عارِضِي رِماحِهِمْ، أغْفالًا على خَيْلِهِمْ، فقالَ: هَؤُلاءِ الأوْسُ والخَزْرَجُ، ولا بَأْسَ عَلَيْكُمْ مِنْهُمْ. فلَمّا انْتَهَوْا إلى أصْلِ الثَّنِيّةِ سَلَكُوا طَرِيقَ بَنِي سُلَيْمٍ. ثُمَّ طَلَعَ فارِسٌ، فقالَ لِأصْحابِهِ: ماذا تَرَوْنَ؟ قالُوا: نَرى فارِسًا طَوِيلَ البادِّ، واضِعًا رُمْحَهُ على عاتِقِهِ، عاصِبًا رَأْسَهُ بِمُلاءةٍ حَمْراءَ، فقالَ: هذا الزُّبَيْرُ بنُ العَوّامِ، وأحْلِفُ بِاللّاتِ لَيُخالِطَنَّكُمْ، فاثْبُتُوا لَهُ. فلَمّا انْتَهى الزُّبَيْرُ إلى أصْلِ الثَّنِيّةِ أبْصَرَ القَوْمَ، فصَمَدَ لَهُمْ، فلَمْ يَزَلْ يُطاعِنُهُمْ حَتّى أزاحَهُمْ عَنْها.

[شِعْرُ سَلَمةَ في فِرارِهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ سَلَمةُ بنُ دُرَيْدٍ وهُوَ يَسُوقُ بِامْرَأتِهِ حَتّى أعْجَزَهُمْ:

نَسَّيْتِنِي ما كُنْتِ غَيْرَ مُصابَةٍ ... ولَقَدْ عَرَفْتِ غَداةَ نَعْفِ الأَظْرُبِ
أَنِّي مَنَعْتُكِ والرُّكُوبُ مُحَبَّبُ ... ومَشَيْتُ خَلْفَكِ مِثْلَ مَشْيِ الأَنْكَبِ
إِذْ فَرَّ كُلُّ مُهَذَّبٍ ذِي لِمَّةٍ ... عَنْ أُمِّهِ وخَلِيلِهِ لَمْ يَعْقِبِ

[بَقِيّةُ حَدِيثِ مَقْتَلِ أَبِي عامِرٍ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وحَدَّثَنِي مَنْ أَثِقُ بِهِ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ، وحَدِيثُهُ: أَنَّ أَبا عامِرٍ الأَشْعَرِيَّ لَقِيَ يَوْمَ أَوْطاسٍ عَشَرَةَ إِخْوَةٍ مِنَ المُشْرِكِينَ، فحَمَلَ عَلَيْهِ أَحَدُهُمْ، فحَمَلَ عَلَيْهِ أبو عامِرٍ وهُوَ يَدْعُوهُ إلى الإِسْلامِ ويَقُولُ: اللهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِ، فقَتَلَهُ أبو عامِرٍ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِ آخَرُ، فحَمَلَ عَلَيْهِ أبو عامِرٍ، وهُوَ يَدْعُوهُ إلى الإِسْلامِ ويَقُولُ: اللهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِ، فقَتَلَهُ أبو عامِرٍ، ثُمَّ جَعَلُوا يَحْمِلُونَ عَلَيْهِ رَجُلًا رَجُلًا، ويَحْمِلُ أبو عامر وهُوَ يَقُول ذلك، حَتّى قَتَلَ تِسْعةً، وبَقِيَ العاشِرُ، فحَمَلَ على أَبِي عامِرٍ، وحَمَلَ عَلَيْهِ أبو عامِرٍ، وهُوَ يَدْعُوهُ إلى الإِسْلامِ ويَقُولُ: اللهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِ، فقالَ الرَّجُلُ: اللهُمَّ لا تَشْهَدْ عَلَيَّ، فكَفَّ عَنْهُ أبو عامِرٍ، فأَفْلَتَ، ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْدُ فحَسُنَ إِسْلامُهُ. فكانَ رَسُولُ الله ﷺ إذا رَآهُ قالَ: «هذا شَرِيدُ أَبِي عامِرٍ». ورَمى أَبا عامِرٍ أَخَوانِ؛ العَلاءُ وأَوْفى ابنا الحارِثِ، مِنْ بَنِي جُشَمَ بنِ مُعاوِيَةَ، فأَصابَ أَحَدُهُما قَلْبَهُ، والآخَرُ رُكْبَتَهُ، فقَتَلاهُ. ووَلِيَ النّاسَ أبو مُوسى الأَشْعَرِيُّ، فحَمَلَ عَلَيْهِما فقَتَلَهُما، فقالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي جُشَمَ بنِ مُعاوِيَةَ يَرْثِيهِما:

إِنَّ الرَّزِيّةَ قَتْلُ العَلاءِ ... وأَوْفى جَمِيعًا ولَمْ يُسْنَدا
هُما القاتِلانِ أَبا عامِرٍ ... وقَدْ كانَ ذا هَبّةٍ أَرْبَدا
هُما تَرَكاهُ لَدى مَعْرَكٍ ... كَأَنَّ على عِطْفِهِ مُجْسَدا
فَلَمْ تَرَ في النّاسِ مِثْلَيْهِما ... أَقَلَّ عِثارًا وأَرْمى يَدا

[نَهْيُ الرَّسُولِ عَنْ قَتْلِ الضُّعَفاءِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني بَعْضُ أصْحابِنا: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَرَّ يَوْمَئِذٍ بِامْرَأةٍ وقَدْ قَتَلَها خالِدُ بنُ الوَلِيدِ، والنّاسُ مُتَقَصِّفُونَ عَلَيْها فقالَ: «ما هَذا؟». فقالُوا: امْرَأةٌ قَتَلَها خالِدُ بنُ الوَلِيدِ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ لِبَعْضِ مَنْ مَعَهُ: «أدْرِكْ خالِدًا فقُلْ لَهُ: إنَّ رَسُولَ الله يَنْهاكَ أنْ تَقْتُلَ وَلِيدًا أوِ امْرَأةً أوْ عَسِيفًا».

[شَأْنُ بِجادٍ والشَّيْماءِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني بَعْضُ بَني سَعْدِ بنِ بَكْرٍ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ يَوْمَئِذٍ: «إنْ قَدَرْتُمْ على بِجادٍ ـ رَجُلٌ مِنْ بَني سَعْدِ بنِ بَكْرٍ ـ فلا يُفْلِتَنَّكُمْ»، وكانَ قَدْ أحْدَثَ حَدَثًا، فلَمّا ظَفِرَ بِهِ المُسْلِمُونَ ساقُوهُ وأهْلَهُ، وساقُوا مَعَهُ الشَّيْماءَ بِنْتَ الحارِثِ بنِ عَبْدِ العُزّى أُخْتَ رَسُولِ الله ﷺ مِنَ الرَّضاعةِ، فعَنُفُوا عَلَيْها في السِّياقِ، فقالَتْ لِلْمُسْلِمِينَ: تَعَلَّمُوا والله إنِّي لَأُخْتُ صاحِبِكُمْ مِنَ الرَّضاعةِ. فلَمْ يُصَدِّقُوها حَتّى أتَوْا بِها إلى رَسُولِ الله ﷺ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَني يَزِيدُ بنُ عُبَيْدٍ السَّعْدِيُّ، قالَ: فلَمّا انْتُهِيَ بِها إلى رَسُولِ الله ﷺ، قالَتْ: يا رَسُولَ الله، إنِّي أُخْتُكَ مِنَ الرَّضاعةِ، قالَ: «وما عَلامةُ ذلك؟» قالَتْ: عَضّةٌ عَضَضْتَنِيها في ظَهْرِي وأنا مُتَوَرِّكَتُكَ. قالَ: فعَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ العَلامةَ، فبَسَطَ لَها رِداءَهُ فأجْلَسَها عَلَيْهِ، وخَيَّرَها، وقالَ: «إنْ أحْبَبْتِ فعِنْدِي مُحَبّةٌ مُكْرَمةٌ، وإنْ أحْبَبْتِ أنْ أُمَتِّعَكِ وتَرْجِعِي إلى قَوْمِكِ فعَلْتُ»، فقالَتْ: بَلْ تُمَتِّعُنِي وتَرُدُّنِي إلى قَوْمِي.

فَمَتَّعَها رَسُولُ الله ﷺ، ورَدَّها إلى قَوْمِها. فزَعَمَتْ بَنُو سَعْدٍ أنَّهُ أعْطاها

غُلامًا لَهُ يُقالُ لَهُ: مَكْحُولٌ، وجارِيَةً، فزَوَّجَتْ أحَدَهُما الأُخْرى، فلَمْ يَزَلْ فيهِمْ مِنْ نَسْلِهِما بَقِيّةٌ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وأنْزَلَ الله عَزَّ وجَلَّ في يَوْمِ حُنَيْنٍ: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ [التوبة: ٢٥] إلى قَوْلِهِ: ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٦].

[تَسْمِيةُ مَن اسْتُشْهِدَ يَوْمَ حُنَيْنٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وهَذِهِ تَسْمِيةُ مَنِ اسْتُشْهِدَ يَوْمَ حُنَيْنٍ مِن المُسْلِمِينَ.

مِنْ قُرَيْشٍ ثُمَّ مِنْ بَنِي هاشِمٍ: أيْمَنُ بنُ عُبَيْدٍ.

وَمِنْ بَنِي أسَدِ بنِ عَبْدِ العُزّى: يَزِيدُ بنُ زَمَعَةَ بنِ الأسْوَدِ بنِ المُطَّلِبِ ابنِ أسَدٍ، جَمَحَ بِهِ فرَسٌ لَهُ يُقالُ لَهُ: الجَناحُ، فقُتِلَ.

وَمِنَ الأنْصارِ: سُراقَةُ بنُ الحارِثِ بنِ عَدِيٍّ، مِنْ بَنِي العَجْلانِ.

وَمِن الأشْعَرِيِّينَ: أبو عامِرٍ الأشْعَرِيُّ.

[جَمْعُ سَبايا حُنَيْنٍ]

ثُمَّ جُمِعَتْ إلى رَسُولِ الله ﷺ سَبايا حُنَيْنٍ وأمْوالُها، وكانَ على المَغانِمِ مَسْعُودُ بنُ عَمْرٍو الغِفارِيُّ، وأمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بِالسَّبايا والأمْوالِ إلى الجِعْرانةِ، فحُبِسَتْ بِها.

[شِعْرُ بُجَيْرٍ يَوْمَ حُنَيْنٍ]

وَقالَ بُجَيْرُ بنُ زُهَيْرِ بنِ أبي سُلْمى في يَوْمِ حُنَيْنٍ:

لَــوْلا الإلَهُ وعَبْــدُهُ ولَّيْتُــمُ حِينَ اسْتَخَفَّ الرُّعْبُ كُلَّ جَبانِ
بِالجِــزْعِ يَوْمَ حَبا لَنَــا أقْرانُنا وسَــوابِحٌ يَكْبُــونَ لِلْأَذْقانِ
مِنْ بَيْنِ ســاعٍ ثَوْبُــهُ في كَفِّهِ ومُقَطَّــرٍ بِسَــنابِكٍ ولَبــانِ
واللهُ أكْرَمَنــا وأظْهَــرَ دِينَنا وأعَزَّنــا بِعِبــادةِ الرَّحْمَــنِ
واللهُ أهْلَكَهُمْ وفَــرَّقَ جَمْعَهُمْ وأذَلَّهُــمْ بِعِبــادةِ الشَّــيْطانِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويَرْوِي فيها بَعْضُ الرُّواةِ:

إذْ قــامَ عَمُّ نَبِيِّكُــمْ ووَلِيُّهُ يَدْعُونَ: يــا لَكَتِيبةِ الإيمانِ
أيْنَ الَّذينَ هُــمْ أجابُوا رَبَّهُمْ يَوْمَ العُرَيْضِ وبَيْعةِ الرِّضْوانِ

[شِعْرٌ لِعَبّاسِ بنِ مِرْداسٍ في يَوْمِ حُنَيْنٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ عَبّاسُ بنُ مِرْداسٍ في يَوْمِ حُنَيْنٍ:

إنِّي والسَّــوابِحَ يَــوْمَ جَمْــعٍ وما يَتْلُو الرَّسُولُ مِنَ الكِتابِ
لَقَدْ أحْبَبْــتُ ما لَقِيَتْ ثَقِيفٌ بِجَنْبِ الشِّعْبِ أمْسِ مِنَ العَذابِ
هُــمُ رَأْسُ العَدُوِّ مِن اهْلِ نَجْدٍ فقَتْلُهُــمْ ألَذُّ مِــنَ الــشَّرابِ
هَزَمْنا الجَمْعَ جَمْــعَ بَنِي قَسِيٍّ وحَكَّــتْ بَرْكَها بِبَــنِي رِئابِ
وَصِرْمًا منْ هِــلالٍ غادرتهمْ بِأوْطــاسٍ تُعَفَّــرُ بِالــتُّرابِ
وَلَــوْ لاقَيْنَ جَمْــعَ بَنِي كِلابٍ لَقــامَ نِســاؤُهُمْ والنَّقْعُ كابِي
رَكَضْنا الخَيْــلَ فيهِمْ بَيْنَ بُسٍّ إلى الأوْرالِ تَنْحِــطُ بالنِّهابِ
بِذي لَجَبٍ رَسُــولُ الله فيهِمْ كَتِيبَتــهُ تَعَــرَّضُ لِلــضِّرابِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: قَوْلُهُ: «تُعَفَّرُ بِالتُّرابِ» عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

[شِعْرُ ابنِ عُفيِّفٍ في الرَّدِّ على ابنِ مِرْداسٍ]

فَأجابَهُ عَطِيّةُ بنُ عُفيِّفٍ النَّصْرِيُّ، فيما حَدَّثَنا ابنُ هِشامٍ، فقالَ:

أفاخِـرةٌ رِفاعــةُ في حُنَيْنٍ ... وعَبّاسُ بنُ راضِعةِ اللِّجابِ
فإنَّكَ والفِجارَ كَذاتِ مِرْطٍ ... لِرَبَّتِهـا وتَرْفُـلُ في الإهابِ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: قالَ عَطِيّةُ بنُ عُفيِّفٍ هَذَيْنِ البَيْتَيْنِ لَمّا أكْثَرَ عَبّاسٌ على هَوازِنَ في يَوْمِ حُنَيْنٍ. ورِفاعةُ مِنْ جُهَيْنَةَ.

[شِعْرٌ آخَرُ لِعَبّاسِ بنِ مِرْداسٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ عَبّاسُ بنُ مِرْداسٍ أيْضًا:

يا خاتَـمَ النُّبَآءِ إنَّكَ مُرْسَـلٌ ... بِالحَقِّ كُلُّ هُدى السَّبِيلِ هُداكا
إنَّ الإلَهَ بَـنى عَلَيْـكَ مَحَبّـةً ... في خَلْقِـهِ ومُحَمَّـدًا سَـمّاكا
ثُمَّ الَّذينَ وفَـوْا بِما عاهَدْتَهُمْ ... جُنْدٌ بَعَثْـتَ عَلَيْهِمُ الضَّحّاكا
رَجُلًا بِهِ ذَرَبُ السِّـلاحِ كَأنَّهُ ... لَمّـا تَكَنَّفَـهُ العَـدُوُّ يَراكا
يَغْشى ذَوِي النَّسَبِ القَرِيبِ وإنَّما ... يَبْغِي رِضا الرَّحْمَـنِ ثُمَّ رِضاكا
أُنْبِيـكَ أنِّي قَدْ رَأيْـتُ مَكَرَّهُ ... تَحْتَ العَجاجةِ يَدْمَغُ الإشْراكا
طَـوْرًا يُعانِـقُ بِاليَدَيْنِ وتارةً ... يَفرِي الجماجِـمَ صارِمًا بَتّاكا
يَغْشى بِهِ هامَ الكُماةِ ولَوْ تَرى ... مِنْهُ الَّذي عايَنْتُ كانَ شِـفاكا
وَبَنُو سُـلَيْمٍ مُعْنِقُـونَ أمامَهُ ... ضَرْبًا وطَعْنًـا في العَدُوِّ دِراكًا
يَمْشُـونَ تَحْتَ لِوائِهِ وكَأنَّهُمْ ... أُسْـدُ العَرِينِ أرَدْنَ ثَمَّ عِراكا
ما يَرْتَجُونَ مِنَ القَرِيبِ قَرابةً ... إلّا لِطاعَـةِ رَبِّهِـمْ وهَـواكا
هَذِي مَشاهِدُنا الَّتِي كانَتْ لَنا ... مَعْرُوفَـةً ووَلِيُّنـا مَـوْلاكا

وَقالَ عَبّاسُ بنُ مِرْداسٍ أيْضًا:

إمّا تَرَيْ يـا أُمَّ فـرْوةَ خَيْلَنا ... مِنْهـا مُعَطَّلـةٌ تُقـادُ وظُلَّعُ
أوْهى مُقارَعـةُ الأعادِي دَمَّها ... فيهـا نَوافِذُ مِنْ جِـراحٍ تَنْبَعُ
فَلَـرُبَّ قائِلةٍ كَفاهـا وقْعُنا ... أزْمَ الحُرُوب فسِرْ بها لا يُفْزَعُ
لا وَفْدَ كالوَفْدِ الأُلى عَقَدُوا لَنا ... سَـببًا بِحَبْلِ مُحَمَّـدٍ لا يُقْطَعُ
وَفْـدٌ أبو قَطَنٍ حُزابـةُ مِنْهُمُ ... وأبو الغُيُوثِ وواسِـعٌ والمِقْنعُ
والقائـد المِئة الَّـتِي وفّى بِها ... تِسْـعَ المِئِينَ فتَمَّ ألْفٌ أقْرَعُ
جَمَعَتْ بَنُو عَوْفٍ ورَهْطُ مُخاشِنٍ ... سِتًّا وأحْلُبُ مِنْ خُفافٍ أرْبَعُ
فَهُنـاكَ إذْ نُصِرَ النَّـبِيُّ بِألْفِنا ... عَقَـدَ النَّـبِيُّ لَنا لِـواءً يَلْمَعُ
فُزْنـا بِرايَتِـهِ وأوْرَثَ عَقْدُهُ ... مَجْـدَ الحَياةِ وسُـودَدًا لا يُنْزَعُ
وَغَداةَ نَحْنُ مَـعَ النَّبِيِّ جَناحُهُ ... بِبِطـاحِ مَكّةَ والقَنـا يَتَهَزَّعُ
كانَـتْ إجابَتُنـا لِداعِي رَبِّنا ... بِالحَـقِّ مِنّـا حـاسِرٌ ومُقَنَّعُ
في كُلِّ سـابِغةٍ تَخَـيَّرَ سَرْدَها ... داوُدُ إذْ نَسَـجَ الحَدِيـدَ وتُبَّعُ
وَلَنا على بِـئْرَيْ حُنَيْنٍ مَوْكِبٌ ... دَمَغَ النِّفـاقَ وهَضْبةٌ ما تُقْلَعُ
نُـصِرَ النَّبِيُّ بِنا وكُنّـا مَعْشَرًا ... في كُلِّ نائِبـةٍ نَـضُرُّ ونَنْفَـعُ
ذُدْنـا غَداتَئِذٍ هَـوازِنَ بِالقَنا ... والخَيْلُ يَغْمُرُها عَجاجٌ يَسْطَعُ
إذْ خافَ حَدَّهُمُ النَّبِيُّ وأسْنَدُوا ... جَمْعًا تَكادُ الشَّمْسُ مِنْهُ تَخْشَعُ
تُدْعى بَنُو جُشَمٍ وتُدْعى وسْطَهُ ... أفْناءُ نَـصْرٍ والأسِـنّةُ شُرَّعُ
حَـتّى إذا قالَ الرَّسُـولُ مُحَمَّدٌ ... أبَنِي سُـلَيْمٍ قَدْ وفيتُمْ فارْفَعُوا
رُحْنا ولَوْلا نَحْنُ أجْحَفَ بَأْسُهُمْ ... بِالمُؤْمِنِينَ وأحْرَزُوا ما جَمَعُوا

وَقالَ عَبّاسُ بنُ مِرْداسٍ أيْضًا في يَوْمِ حُنَيْنٍ:

عَفا مِجْدَلٌ مِـنْ أهْلِهِ فمُتالِعُ ... فمِطْلَا أرِيكٍ قَدْ خَلا فالمَصانِعُ

دِيارٌ لَنا يا جُمْلُ إذْ جُلُّ عَيْشِنا ... رَخِيٌّ وصَرْفُ الدّارِ لِلْحَيِّ جامِعُ

حُبَيِّبَةٌ ألْوَتْ بِها غُرْبَةُ النَّوى ... لِبَيْنٍ فهَلْ ماضٍ مِن العَيْشِ راجِعُ

فَإنْ تَبْتَغِي الكُفّارَ غَيْرَ مَلُومةٍ ... فـإنِّي وزِيـرٌ لِلنَّـبِيِّ وتابِعُ

دَعانا إلَيْهِمْ خَيْرُ وفْدٍ عَلِمْتُهُمْ ... خُزَيْمةُ والمَرّارُ مِنْهُمْ وواسِعُ

فَجِئْنا بِألْفٍ مِنْ سُلَيْمٍ عَلَيْهِمُ ... لَبُوسٌ لَهُمْ مِنْ نَسْجِ داوُدَ رائِعُ

نُبايِعُـهُ بِالأخْشَـبَيْنِ وإنَّما ... يَدَ اللهِ بَيْنَ الأخْشَبَيْنِ نُبايِعُ

فَجُسْنا مَعَ المَهْدِيِّ مَكّةَ عَنْوةً ... بِأسْيافِنا والنَّقْعُ كابٍ وساطِعُ

عَدَنِيّةً والخَيْلُ يَغْشى مُتُونَها ... حَمِيمٌ وآنٍ مِنْ دَمِ الجَوْفِ ناقِعُ

وَيَوْمَ حُنَيْنٍ حِينَ سارَتْ هَوازِن ... إلَيْنا وضاقَتْ بِالنُّفوسِ الأضالِعُ

صَبَرْنا مَعَ الضَّحّاكِ لا يَسْتَفِزُّنا ... قِراعُ الأعادِي مِنْهُمْ والوَقائِعُ

أمامَ رَسُـولِ اللهِ يَخْفِقُ فوْقَنا ... لِواءٌ كَخُذْرُوفِ السَّحابةِ لامِعُ

عَشِيّةَ ضَحّاكُ بنُ سُفيانَ مُعْتَصٍ ... بِسَيْفِ رَسُولِ اللهِ والمَوْتُ كانِعُ

نَذُودُ أخانا عَنْ أخِينا ولَوْ نَرى ... مَصالًا لَكُنّـا الأقْرَبِينَ نُتابِعُ

وَلَكِنَّ دِيـنَ اللهِ دِينُ مُحَمَّدٍ ... رَضِينا بِهِ فيهِ الهُدى والشَّرائِعُ

أقامَ بِهِ بَعْـدَ الضَّلالةِ أمْرَنا ... ولَيْسَ لِأمْرٍ حَمَّـهُ اللهُ دافِعُ

وَذَكَرَ قِصّةَ شَيْبَةَ بنِ عُثْمانَ حِينَ أرادَ قَتْلَ رسول الله ﷺ، قالَ: فَجاءَ شَيْءٌ حَتّى غشِيَ قلبي فحالَ بيني وبينه. وَقَدْ ذَكَرَ هَذا الخَبَرَ أبُو بَكْرٍ أحمدُ بنُ أبِي خَيْثَمةَ فِي «تارِيخِهِ»، قالَ شَيْبةُ: اليَوْمَ آخُذُ بِثَأْرِي، فَجِئْتُ.........

النَّبيَّ[١] ﷺ مِنْ خَلْفِهِ، فَلَمّا هَمَمْتُ بِهِ حالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ خَنْدَقٌ مِنْ نارٍ وَسُورٌ مِنْ حَدِيدٍ، قالَ: فالتَفَتَ إلَيّ النّبيُّ[٢] ﷺ وَتبَسَّمَ، وَعَرَفَ الّذِي أَرَدْتُ، فَمَسَحَ صَدْرِي، وَذَهَبَ عَنِّي الشّكّ، أوْ كَما قالَ، ذَهَبَ عَنِّي بَعْضُ أَلْفاظِ الحَدِيثِ.

وَذَكَرَ أُمّ سُلَيْمٍ، وَهِيَ مُلَيْكَةُ بِنْتُ مِلْحانَ، ويقال فِي اسْمِها: رُمَيْلَةَ، وَيُقالُ: سُهَيْلَةُ، وَتُعْرَفُ بِالغُمَيْصاءِ والرُّميصاءِ لِرَمَصٍ كانَ فِي عَيْنَيْها[٣]، وَأَبُو طَلْحَةَ بَعْلُها هُوَ زَيْدُ بنُ سَهْلِ بنِ الأسْوَدِ بنِ حَرامٍ، وهو القائل: [من الرجز]

أنا أبُو طَلْحَةَ واسْـمِي: زَيْدُ وَكُلَّ يَوْمٍ فِي سِـلاحِي صَيْدُ

وَقَوْل أُمّ سُلَيْمٍ: اقتُلْ هَؤُلاءِ الّذِينَ فَرُّوا عَنْك يا رَسُولَ اللهِ.

إنْ قِيلَ: كَيْفَ فَرّ أَصْحابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ[٤] حَتّى لَمْ يَبْقَ مَعَهُ[٥] إلّا ثَمانِيةٌ، والفِرارُ مِن الزّحْفِ مِن الكَبائِرِ، وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ مِن الوَعِيدِ ما أَنْزَلَ؟!

قُلْنا: لَمْ يُجْمِعِ العُلَماءُ على أَنّهُ مِن الكَبائِرِ إلّا فِي يَوْمِ بَدْرٍ، وَكَذَلِكَ قالَ الحَسَنُ وَنافِعٌ مَوْلى عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ، وَظاهِرُ القُرْآنِ يَدُلُّ على هَذا؛ فَإِنّهُ قالَ: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ ﴾ [الأنفال: ١٦]، فَيَوْمَئِذٍ إشارةٌ إلى يَوْمِ بَدْرٍ، ثُمّ نَزَلَ التّخفيفُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فِي الفارِّينَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، وَكَذَلِكَ أُنْزِلَ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾، إلى قَوْلِهِ: ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٢٥-٢٧]، وفي «تفسير

---

(١) في (ف): «رسول الله».

(٢) في (ف): «رسول الله».

(٣) في (ب): «بعينها».

(٤) بعدها في (ف): «عنه».

(٥) في (أ)، (س): «معه من أصحابه».

ابن سلام»: كان الفِرارُ مِن الزَّحْفِ يَوْمَ بَدْرٍ مِن الكَبائِرِ، [وَكَذَلِك يَكُونُ مِن الكَبائِرِ][١] فِي مَلْحَمةِ الرّومِ الكُبْرى، وَعِنْدَ الدّجّالِ، وَأَيْضًا فَإِنّ المُنْهَزِمِينَ عَنْهُ ﷺ رَجَعُوا لِحِينِهِمْ وَقاتَلُوا مَعَهُ حَتّى فتحَ اللهُ عليهم.

وَقَوْلُ مالِكٍ فِي رَجَزِهِ:

وأطعنُ الطّعنةَ تَقذِي بالسُّبُر

السُّبُرُ: جَمْعُ سِبار، وَهُوَ الفَتِيلُ الّذِي يُسْبَرُ به الجرح[٢]؛ أي: يُختبَر[٣].

وَقَوْلُهُ فِي الرّجَزِ الآخَرِ:

أَقْدِمْ مُحاجُ إِنَّها الأسـاوِرَهْ

وَقَوْلُ ابنِ هِشامٍ: قاله غيرُهُ فِي غَيْرِ هَذا اليَوْمِ، يَعْنِي: يَوْمَ القادِسِيّةِ، وَكانَتِ الدّوْلةُ فِيهِ لِلْمُسْلِمِينَ على الفُرْسِ. والأساوِرةُ: مُلُوكُ الفُرْسِ، وَقُتِلَ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ رُسْتُمُ مَلِكُهُمْ دُونَ المَلِكِ الأكْبَرِ[٤]، وَكانَ على المُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقّاصٍ، وَقَدْ ذَكَرْنا قَبْلُ بِمَ سُمّيَتِ القادِسِيّةُ.

وَذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي قَتادةَ فِي سَلَبِ القَتِيلِ، قالَ: فاشْتَرَيْتُ به مَخْرَفًا، فَإِنّهُ لَأَوّلُ مالٍ اعْتَقَدْتُهُ. يُقالُ: اعْتَقَدْتُ مالًا، أيِ: اتّخَذْتُ[٥] مِنْهُ عُقْدةً، كَما تَقُولُ: نُبْذة، أَوْ قِطْعة، والأَصْلُ فِيهِ مِن العَقْدِ، وَأَنّ مَنْ مَلَكَ شَيْئًا عَقَدَ عَلَيْهِ، أَنْشَدَ

(١) سقط من (ب).
(٢) في (ف): «الجراح».
(٣) في (ف): «يخبر».
(٤) في (ج)، (ص): «الأعظم».
(٥) في (ف): «أخذت».

أبو علي[١]: [من الطويل]

وَلَمّا رَأيْتُ الدّهْرَ أنْحتْ صُرُوفُهُ
عَلَــيَّ وَأوْدَتْ بالذّخائــرِ والعُقَدْ

حَذَفْتُ فُضُولَ العَيْشِ حَتّى رَدَدْتُها
إلى القُوتِ خَوْفًا أنْ أُجاءَ إلى أحَدْ

وَيُرْوى: «تَأَثّلْتُهُ»، وَهِيَ رِوايةُ «المُوَطّأِ»[٢]، وَيُقالُ: مَخْرَفٌ بِفَتْحِ الرّاءِ وَكَسْرِها، وَأمّا كَسْرُ المِيمِ فَإنّما هُوَ لِلْمِخْرَفِ، وَهِيَ الآلَةُ الّتِي تُخْتَرَفُ بِها الثمْرةُ؛ أيْ: تُجْتَنى. وبِفَتْحِ المِيمِ مَعْناهُ البُسْتانُ مِن النّخْلِ، هَكَذا فَسّرُوهُ، وَفَسّرَهُ الحَرْبِيّ، وَأجادَ فِي تَفْسِيرِهِ، فَقالَ: المَخْرَفُ: نَخْلةٌ واحِدةٌ أوْ نَخَلاتٌ يَسِيرةٌ إلى عَشْرٍ، فَما فَوْقَ ذَلِكَ فَهُوَ بُسْتانٌ أوْ حَدِيقةٌ، وَيُقَوِّي ما قالَهُ الحَرْبِيّ ما قالَهُ أبُو حَنِيفَةَ، قالَ: المَخْرَفُ: مِثْلُ الخَرُوفةِ[٣]، والخَرُوفةُ: هِيَ النّخْلةُ يَخْتَرِفُها الرّجُلُ لِنَفْسِهِ وَلِعِيالِهِ[٤]، وَأنْشَدَ: [من البسيط]

مِثْلَ المَخارِفِ[٥] مِنْ جيلانَ أوْ هَجَرا

قال: ويقالُ للخَرُوفة: خَرِيفةٌ أيْضًا.

وَفِي هَذا الحَدِيثِ من الفقه: أنَّ السّلبَ للقاتلِ حُكمًا شرعيًّا؛ جعل ذلك الإمامُ له، أو لم يَجْعَلْهُ، وَهُوَ قَوْلُ الشّافِعِيّ، وَقالَ مالِكٌ: إنّما ذلكَ إلى الإمامِ، لَهُ

(١) «أمالي القالي» (٢: ١٢٤).
(٢) «الموطأ»، كتاب الجهاد: (٢: ٤٥٤-٤٥٥).
(٣) انظر: «المخصص» (١١: ١٢٦).
(٤) في (ف): «وعياله».
(٥) في (ف): «المخاريف».

أَنْ يَقُولَ بَعْدَ مَعْمَعةِ الحَرْبِ: مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلَبُهُ، وَيَكْرَهُ مالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ قَبْلَ القِتالِ؛ لِئَلّا يُخالِطَ النِّيّةَ غَرَضٌ آخَرُ غَيْرُ احْتِساب نَفْسِهِ للهِ تبارك وتَعالى، وَقَدْ ذَكَرْنا فِي غَزْوةِ بَدْرٍ فِي هَذِهِ المَسْأَلةِ [ما هُوَ][1] أَكْثَرُ مِنْ هَذا[2].

وَقَوْلُ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ: «رَأيْتُ مِثْلَ البجادِ» يَعْنِي الكِساءَ «مِن النّمْلِ مَبْثُوثًا»، يَعْنِي رَآهُ يَنْزِلُ مِن السّماءِ. قالَ: «فلَمْ أَشُكَّ أَنّها المَلائِكَةُ»، وَقَدْ قَدّمَ ابنُ إسْحاقَ قَوْلَ الآخَرِ[3]: رَأيْتُ رِجالًا بِيضًا على خَيْلٍ بُلْقٍ، وَكانَتِ المَلائِكة، فَأَراهُمُ اللهُ لِذَلِكَ الهَوازِنِيّ على صُوَرِ الخَيْلِ والرّجالِ تَرْهِيبًا لِلْعَدُوّ، وَرَآها جُبَيْرٌ على صُورِ النّمْلِ المَبْثُوثِ؛ إشْعارًا بِكَثْرةِ عَدَدِها؛ إذ النّمْلُ لا يُسْتَطاعُ عَدُّها[4]، مَعَ أَنَّ النّمْلةَ يُضْرَبُ بِها المَثَلُ فِي القُوّةِ، [فَيُقالُ: أَقْوى مِن النّمْلةِ][5]؛ لأَنّها تَحْمِلُ ما هُوَ أَكْبَرُ مِنْ جِرْمِها بِأَضْعافٍ، وَقَدْ قالَ رَجُلٌ لِبَعْضِ المُلُوكِ: جَعَلَ اللهُ قُوّتَك قُوّةَ النّمْلةِ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ، فَقالَ: لَيْسَ فِي الحَيَوانِ ما يَحْمِلُ ما هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ إلّا النّمْلةُ، وَهَذا المَثَلُ قَدْ ذكره الأَصبهاني في كِتاب «الأمثال» مَقْرُونًا بِهَذا الخَبَرِ[6]، وَقَدْ أُهْلِكَ بِالنّمْلِ أُمّةٌ من الأُمم، وهم[7] جُرْهُم.

فَصْلٌ

وَذَكَرَ قَوْلَ عَبّاسٍ: [من الوافر]

---

(١) ليس في (ب).

(٢) انظر: (٥: ٢٠٧).

(٣) انظر: «السيرة» (٢: ٤٣٩).

(٤) في (ج)، (ص): «عددها».

(٥) ليس في (ب).

(٦) لم أجده في كتاب «الأمثال» للأصبهاني.

(٧) في (ف): «وهي».

وَسَوْفَ إخالُ يَأْتِيكَ الخَبِيرُ

الفِعْلُ المُسْتَقْبَلُ هُوَ: يَأْتِيك، وَإِنْ [كانَ][١] حَرْفُ «سَوْفَ» داخِلًا على «إخالُ» فِي اللّفْظِ، فَإِنّ ما يَدُلّ عَلَيْهِ مِن الِاسْتِقْبالِ إنّما هُوَ الفِعْلُ الثّانِي، كَما قالَ[٢]: [من الوافر]

وما أدْرِي وَسَوْفَ إخالُ أدْرِي

وذَلِكَ أنّ «إخال» فِي مَعْنى «أظُنّ»، وَلَيْسَ يُرِيدُ أنّهُ يَظُنّ فِيما يُسْتَقْبَلُ، وَإِنّما يُرِيدُ أنه[٣] يَخالُ الآنَ أنْ سَيَكُونَ ذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ: [من الوافر]

وإنْ يُهدَوا إلى الإسلام يُلْفَوا أُنُوفَ النّاسِ ما سَمَر السَّمِيرُ

«أُنُوفَ النّاسِ» انْتَصَبَ على الحالِ[٤]؛ لِأَنّهُ نَكِرَةٌ لَمْ يَتَعَرّفْ بِالإضافةِ؛ لِأَنّهُ لَمْ[٥] يُرِد الأُنُوفَ بعينها، وَلَكِنْ أرادَ أشرافًا، وهذا كقوله[٦]:

بُمنجردٍ قيد الأوابدِ........

لِأَنّهُ جَعَلَهُ كالقَيْدِ، وَمِثْلُهُ ما ذَكَرْناهُ..............................

(١) ليس في (ب).

(٢) لزهير بن أبي سُلمى في «ديوانه» بشرح أبي العباس ثعلب ص٦٥.

(٣) في (ب): «يريد به أنه».

(٤) في (ج)، (ص): «نصب (أنوف الناس) على الحال».

(٥) في (أ)، (س): «لأنه إذا لم يرد».

(٦) من بيت امرئ القيس، «ديوانه» (ص: ٥١):

وقد أغتدي والطيرُ في وُكُناتِها بمنجـردٍ قَيد الأوابـدِ هيكلِ

والشاهد وقوع «منجرد» صفة للنكرة لعدم تعرفه بالإضافة، كما لم يتعرف الحال في البيت قبله.

قَبْلُ[١] فِي نَصْبِ «غمائم الأبصار» على الحالِ، وَلَيْسَ هَذا مِنْ بابِ ما مَنَعَهُ سِيبَوَيْهِ حِينَ قال معترضًا على الخليل: لَوْ قُلْتَ: مَرَرْتُ بِقَصِيرٍ الطَّوِيل، تُرِيدُ: مِثْلَ الطَّوِيلِ، لَمْ يَجُزْ[٢].

والَّذِي أرادَهُ الخَلِيلُ هُوَ ما ذَكَرْناهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِن اسْتِعارةِ الكَلِمةِ على جِهةِ التَّشْبِيهِ، نَحْوُ: قَيْد الأوابِدِ، وَأُنُوف النّاسِ، يرِيدُ: أَشْرافَهُمْ، فَمِثْلُ هَذا يَكُونُ وَصْفًا لِلنَّكِرةِ وَحالًا مِن المَعْرِفةِ، وَقَدْ أَلْحَقَ بِهَذا البابِ: لَهُ صَوْتٌ صَوْتُ الحِمارِ، على الصِّفة، وضعَّفه سيبويه في الحال، قال: وَهُوَ فِي الصِّفةِ أَقْبَحُ[٣]، وَإِنّما أَلْحَقَهُ الخَلِيلُ بِما تَنَكَّرَ، وَهُوَ مُضافٌ إلى معْرِفةٍ مِنْ أَجْلِ تكرُّر اللَّفْظِ فِيهِ، فَحَسُنَ لِذَلِك.

وَقَوْلُهُ: «وَأُسْلِمَتِ النُّصُورُ». ذَكَرَ البَرْقِيُّ أَنّ النُّصُورَ ههُنا جَمْعُ: ناصِرٍ، وَلَيْسَ هُوَ عِنْدِي كَذَلِك؛ فَإِنّ فاعِلًا قَلّما يُجْمَعُ على فُعُولٍ، وَإِنْ جُمِعَ فَلَيْسَ هُوَ بِالقِياسِ المُطَّرِدِ، وَإِنّما هُمْ بنو نصرٍ مِنْ[٤] هَوازِنَ رَهْطُ مالِكِ بنِ عَوْفٍ النَّصْرِيّ، يُقال لَهُم: النّصُورُ، كَما يُقالُ لِبَنِي المُهَلّبِ: المَهالِبةُ، وَلِبَنِي المُنْذِرِ: المَناذِرة، وَكَما يُقالُ: الأَشْعَرُونَ، وَهُمْ بَنُو أَشْعَرَ بنِ أُدَد، والتُّوَيْتات لِبَنِي تُوَيْتِ ابنِ أَسَدٍ.

وَقَوْلُهُ: «إِنّا أَخُوكُمْ»، جَمَعَ أَخًا جَمْعًا مسلمًا بِالواوِ والنّونِ، ثُمّ حُذِفَت النّونُ لِلْإِضافةِ، كَما أَنْشَدُوا[٥]: [من المتقارب]

---

(١) انظر: (٦: ٥٠٦).

(٢) انظر: «الكتاب» (١: ٣٦١). (٣) انظر: «الكتاب» (١: ٣٦١).

(٤) في (ب): «بن هوازن».

(٥) البيت لزياد بن واصل، شاعر جاهلي، وهو من شواهد «الكتاب» (٣: ٤٠٥-٤٠٦)، و«أمالي السهيلي» (٦١).

وَلَمّـا تَبيَّـنَّ أصْواتَنا بَكَيْنَ وَفَدَّيْننا بِالأبِينا

وَيَجُوزُ أنْ يَكُونَ وَضْعُ الواحِدِ مَوْضِعَ الجَمِيعِ، كَما تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ: «أنْتُمُ الوالِدُ، وَنَحْنُ الوَلَد»[١].

وَقَوْلُهُ فِي صِفةِ الزُّبَيْرِ: «طَوِيل البادِّ»، أيِ: الفَخِذ، والبَدَدُ: تَباعُدُ ما بَيْنَ الفَخِذَيْنِ.

وَقَوْلُهُ فِي المَرْأةِ المَقْتُولةِ: «الحَقْ خالِدًا فَقُلْ له: لا تَقْتُلِ امرأةً ولا وَلِيدًا»، ويُروى «ولا عَسِيفًا»، والعَسِيفُ: الأجِيرُ، وَهَذا مُنْتَزَعٌ مِنْ كِتابِ اللهِ؛ لِأنَّهُ قال تبارك وتعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٠]، فاقْتَضى دَلِيلُ الخِطابِ ألا تُقْتَلَ المَرْأةُ إلّا أنْ تُقاتِلَ. وَقَدْ أخْطَأ مَنْ قاسَ مَسْألةَ المُرْتَدّةِ على هَذِهِ المَسْألةِ؛ فَإنّ المُرْتَدّةَ لا تُسترقُّ ولا تُسبى، كَما تُسْبى نِساءُ الحَرْبِ وَذَرارِيّهُمْ، فَتَكُون مالًا لِلْمُسْلِمِينَ، فَنَهى عَنْ قَتْلِهِنّ لِذَلِكَ.

وذَكَرَ فِيمَن اسْتُشْهِدَ أبا عامِرٍ، واسْمُهُ: عُبَيْدُ بنُ سُلَيْمِ بنِ حَضّارٍ، وَهُوَ عَمُّ أبِي مُوسى عَبْدِ اللهِ بنِ قَيْسٍ الأشْعَرِيّ، وَهُوَ الّذِي اسْتَغْفَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ قُتِلَ رافِعًا يَدَيْهِ جِدًّا، يَقُولُ: «اللهُمّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أبِي عامِرٍ» ثَلاثًا[٢]، وفِيهِ مِنَ الفِقْهِ رَفْعُ اليَدَيْنِ فِي الدُّعاءِ، وَقَدْ كَرِهَهُ قَوْمٌ، رُوِيَ عن عَبْدِ اللهِ بنُ عُمَرَ أنّهُ رَأى قَوْمًا يرفعون أيديَهم بالدُّعاء، قال: أوَقد رَفَعُوها؟ قَطَعَها اللهُ، واللهِ لَوْ كانُوا بِأعلى شاهِقٍ ما ازْدادُوا بذلك مِن اللهِ قُرْبًا. وذُكِرَ لِمالِكٍ أنّ عامِرَ بنَ عَبْدِ اللهِ

---

(١) انظر: (٦: ٤٥٧).

(٢) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة: (٤: ١٩٤٣-١٩٤٤). وانظر: «أسد الغابة» (٦: ١٨٧-١٨٨).

ابنِ الزُّبَيْرِ كانَ يَدْعُو بِإِثْرِ كُلِّ صَلاةٍ، وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ، فَقالَ: ذَلِكَ حَسَنٌ، وَلا أرى أنْ يَرْفَعَهُما جِدًّا[١].

وَحُجّةُ مَنْ رَأى الرّفْعَ أحادِيثُ، مِنْها ما ذَكَرْناهُ آنِفًا، وَمِنْها حَدِيثٌ تَقَدّمَ[٢] فِي سَرِيّةِ الغُمَيْصاءِ حِينَ رَفَعَ رسولُ الله ﷺ يَدَيْهِ وقالَ: «اللهُمّ إنِّي أبْرَأُ إلَيْك مِمّا صَنَعَ خالِدٌ» ثَلاثًا، ومنها حديثُ الاستسقاء، وَلِكُلّ شَيْءٍ وَجْهٌ، فَمَنْ كَرِهَ [فَإنّما كَرِهَ][٣] الإفْراطَ فِي الرّفْعِ كَما كُرِهَ رَفْعُ الصّوْتِ بِالدّعاءِ جِدًّا. قالَ ﷺ: «ارْبَعُوا على أنْفُسِكُمْ؛ فَإنّكُمْ لا تَدْعُونَ أصَمّ وَلا غائِبًا»[٤]، وَهُوَ مَعْنى قَوْلِ مالِكٍ الّذِي قَدّمْناهُ فِي رَفْعِ اليَدَيْنِ.

فَصْلٌ

وَمِمّا ذُكِرَ فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ مِنْ غَيْرِ رِوايَةِ ابنِ إسْحاقَ: الحفنةُ التي أخَذَها رسولُ الله ﷺ مِن البَطْحاءِ، وَهُوَ على بَغْلَتِهِ، فَرَمى بِها أوْجُهَ الكُفّارِ، وَقالَ: «شاهَتِ الوُجُوهُ»، فانْهَزَمُوا. والمُسْتَقْبَلُ مِنْ شاهَتْ: تَشاهُ؛ لِأنّ وَزْنَهُ فَعِلَ، وَفِيهِ أنّ البَغْلَةَ حَضَجَتْ بِهِ إلى الأرْضِ حِينَ[٥] أخَذَ الحفنة، ثمّ قامتْ [به][٦]، وفسَّروا حَضَجَتْ؛ أيْ: ضَرَبَتْ بِنَفْسِها إلى الأرْضِ، وَألْصَقَتْ بَطْنَها بِالتّرابِ، وَمِنْهُ الحِضاجُ، وَهُوَ زِقٌّ مَمْلُوءٌ قَدْ أُسْنِدَ إلى شَيْءٍ، وَأُمِيلُ إلَيْهِ، والبَغْلَةُ الّتِي كانَ عَلَيْها يَوْمَئِذٍ هِيَ الّتِي تُسَمّى البَيْضاءَ، وهِيَ الّتِي أهْداها إلَيْهِ فَرْوَةُ بنُ نُفاثَةَ،

---

(١) انظر: «الموطأ»، كتاب القرآن، باب العمل في الدعاء: (١: ٢١٧).

(٢) انظر: (٧: ١٦٠).

(٣) ليس في (ب).

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٠٤) باب استحباب خفض الصوت بالذكر.

(٥) في (ص): «حتى أخذ».

(٦) ليس في (ب).

وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ الأُخْرى، واسْمُها: دُلْدُلُ، وَذِكْرُ مَنْ أَهْداها إِلَيْهِ[١].

وَذَكَـرَ نِـداءَ العَبّـاسِ بأَصْحـابِ السَّمُـرةِ، وَكانَ العَبّاسُ صَيِّتًا جَهِيرًا. وَأَصْحابُ السَّمُرةِ هُمْ أَصْحابُ بَيْعةِ الرِّضْوانِ الَّذِينَ بايَعُوا تَحْتَ الشَّجَرةِ، وكانتِ الشَّجرةُ سَمُرة.

فَصْلٌ

وَذَكَرَ الضَّحّاكَ بنَ سُفْيانَ الكِلابي، وهو الضَّحّاكُ بنُ سفيانَ بنِ عَوْفِ بنِ كَعْبِ بنِ أَبِي بَكْرِ بنِ كِلابِ الكِلابيُّ، يُكْنى أبا سَعِيدٍ، وَكانَ يَقُومُ على رَأْسِ رسول الله ﷺ مُتَوَشِّحًا بالسَّيْفِ، وَكانَ يُعَدّ وَحْدَهُ بِمِئةِ فارسٍ، وَكانَتْ بَنُو سُلَيْمٍ يَوْمَ حُنَيْنٍ تِسْعَ مِئةٍ، فَأَمَّرَهُ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَخْبَرَهُ[٢] أَنَّهُ قَدْ أتمهم بِهِ أَلْفًا، وَإِيّاهُ أَرادَ عَبّاسُ بنُ مِرْداسٍ بِقَوْلِهِ: [من الكامل]

جيشًا بَعَثْتُ عَلَيْهِم الضَّحّاكا

وَقالَ البَرْقِيّ: لَيْسَ الضَّحّاكُ بنُ سُفْيانَ هَذا بالكلابي، إنما هو الضَّحاكُ بنُ سُفْيانَ السَّلَمِيّ. وَذَكَرَ مِنْ غَيْرِ رِوايةِ البَكّائِيّ عَن ابنِ إِسْحاقَ نَسَبَهُ مَرْفُوعًا إلى بُهْثَةَ بن سُلَيْمٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَبُو عُمَرَ فِي «الصَّحابةِ»[٣] إلّا الأَوّلَ، وهُوَ الكِلابِيّ، فاللهُ أَعْلَمُ.

وَذَكَرَ شِعْرَ عَبّاسِ بنِ مِرْداسٍ الَّذِي أَوَّلُهُ: [من الطويل]

عَفا مِجْدَلٌ مِنْ أَهْلِهِ فَمُتالِعُ

(١) انظر: (١: ١٣٧).
(٢) في (ب)، (ج)، (ص): «وأخبرهم».
(٣) «الاستيعاب» (٢: ٧٤٢-٧٤٣).

المِجْدَلُ: القَصْرُ، وَهُوَ فِي هَذا البَيْتِ اسم عَلَمٍ لمكان.

وَفِيهِ: «فَمِطْلى أريكٍ»، المِطلى: يُمدُّ ويُقصر، وهي[1] أرضٌ تعقلُ الرِّجل عن المشي، فَقِيلَ: إنّها مِفْعالٌ مِن الطَّلا، [وَهُوَ الجَديُ يُطْلى، أيْ: تُعْقَلُ رِجْلُهُ، وَقِيلَ: إنّ المِطْلاءَ فِعْلاءٌ مِنْ مَطَلْتُ إذا مَدَدْتَ][2]، وَجَمْعُها: مَطال، وفِي «الأمالِي»[3]: [من الطويل]

أَمَا[4] تَسْأَلانِ اللهَ أَنْ يَسْقِيَ الحِمى؟
ألا فسَقى اللهُ الحِمى والمَطاليا[5]

وفيه: [من الطويل]

نَذُودُ أخانا عَنْ أخِينا وَلَوْ نَرى مَصالًا لَكُنّا الأقْرَبِينَ نُتابِعُ

يُرِيدُ: أنّهُ مِنْ سُلَيْمٍ، وَسُلَيْمٌ مِنْ قَيْسٍ، كَما أنّ هَوازِنَ مِنْ قَيْسٍ، كِلاهُما ابنُ مَنْصُورِ بنِ عِكْرِمةَ بنِ خَصَفةَ بنِ قَيْسٍ، فَمَعْنى البَيْتِ: نُقاتِلُ إخْوَتَنا وَنَذُودُهُمْ عَنْ إخْوَتِنا مِنْ سُلَيْمٍ، وَلَوْ نَرى فِي حُكْمِ الدّينِ مَصالًا مَفْعَلًا مِن الصّوْلةِ، لَكُنّا مَعَ الأقْرَبِينَ، يعني هَوازِنَ: [من الطويل]

وَلَكِنّ دِينَ اللهِ دِينُ مُحَمّدٍ رَضِينا بِهِ فِيهِ الهُدى والشّرائِعُ

[وَفِيهِ][6]: [من الطويل]

---

(١) في (ف): «وهو».
(٢) سقط من (ب).
(٣) «أمالي القالي» (١: ١٨٩).
(٤) في (ف): «ألا».
(٥) في (أ)، (س)، (ف): «فالمطاليا».
(٦) ليس في (ب).

دَعانا إِلَيْهِ خَيْــرُ وَفْدٍ عَلِمتُهُمْ   خُزَيْمةُ والمَرّارُ مِنْهُمْ وَواسِعُ

فهَؤُلاءِ وَفْدُ بَنِي سُلَيْمٍ وَفَدُوا على النّبيّ ﷺ فأسلموا، ثُمّ دَعَوْا قَوْمَهُمْ إلى الإسْلامِ فأسلَمُوا، فَذَكَرَ فِيهِم المَرّارَ السُّلَمِيّ، وَواسِعًا السُّلَمِيّ، وَخُزَيْمةَ، [وَهُوَ خُزَيْمةُ][1] بنُ جَزِيّ أخُو حِبّانَ [بنِ جَزِيّ][2] الذي [كانَ][3] يروي حديثَ الكراهيةِ في أكل الضَّبُع.

وَكانَ الدّارَقُطْنِيّ يَقُولُ فِيهِ: جِزِيّ بِكَسْرِ الجِيمِ والزّايِ[4].

وَفِيه[5] قوله: [من الطويل]

يَدَ اللهِ بَيْنَ الأَخْشَــبَيْنِ نُبايِعُ

هذا منتزَعٌ مِنْ قَوْلِ الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، أقامَ يَدَ رَسُوله مُقامَ يَدِهِ، كَما قالَ رسولُ الله ﷺ فِي الحَجَرِ الأسْوَدِ: «هُوَ يَمِينُ اللهِ فِي الأَرْضِ»[6]، أقامَهُ فِي المُصافَحةِ والتّقْبيلِ مُقامَ يَمِينِ المَلِكِ الّذِي يُصافِحُ بِها؛ لِأنّ الحاجّ وافِدٌ على المَلِكِ الأعلى وَزائِرٌ بَيْتَهُ، فَجَعَلَ تَقْبيلَهُ الحَجَرَ مُصافَحةً لَهُ، وَكَما جُعِلَتْ يَمِينُ السّائِلِ الآخِذِ لِلصّدَقةِ المُتَقَبّلةِ يَمِينَ الرّحْمَنِ سُبْحانَهُ تَرْغِيبًا فِي الصّدَقةِ، وَتَبْشِيرًا بِقَبُولِها، وَتَعْظِيمًا لِحُرْمةِ مَنْ أُعْطِيَتْ لَهُ، فَإنّما أعْطاها المُتَصَدِّقُ لله تباركَ وتعالى، وإياهُ

---

(١) ليس في (ب).

(٢) ليس في (ج).

(٣) عن (أ)، (ح)، (س).

(٤) انظر: «المؤتلف والمختلف» (١: ٤٩٢).

(٥) في غير (ج)، (ص): «وفيها».

(٦) «مجمع الزوائد»، كتاب الحج: (٣: ٢٤٢).

سبحانه أقرض، فقالَ تبارك وتَعالى: ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ١٠٤]، وَقالَ النبيُّ ﷺ: «إنّما يَضَعُها فِي كَفِّ الرّحْمَنِ يُرَبِّيها لَه»[١]... الحَدِيثَ.

وَقَوْلُ عَبّاسٍ فِي الشِّعْرِ الكافِي: [من الكامل]

إنّ الإلَهَ بَنــى عَلَيْك مَحَبّةً مِنْ خَلْقِهِ وَمُحَمّدًا سَــماكا

مَعْنًى دَقِيقٌ وَغَرَضٌ نَبيلٌ وَتَفَطُّنٌ لِحِكْمةٍ نَبَوِيّةٍ قَدْ بَيّنّاها فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ هَذا الكِتابِ وَغَيْرِهِ فِي تَسْمِيَةِ اللهِ تبارك وتَعالى لِنَبيّهِ عليه السلام مُحَمّدًا وَأحْمَدَ، وَأنّهُ اسْمٌ لَمْ يَكُنْ لِأحَدٍ مِنْ قَوْمِهِ قَبْلَهُ، وَأنَّ أُمّهُ أُمِرَتْ فِي المَنامِ أنْ تُسَمِّيَهُ مُحَمّدًا، فَوافَقَ مَعْنى الِاسْمِ صِفةَ المُسَمّى بِهِ مُوافَقَةً تامّةً قَدْ بَيّنّا شَرْحَها هُنالِكَ[٢]، وَلِذَلِك قالَ: بَنى عَلَيْك مَحَبّةً؛ لِأنَّ البِناءَ تَرْكِيبٌ على أُسٍّ[٣]، فَأسّسَ لَهُ سُبْحانَهُ مُقَدِّماتٍ لِنُبُوّتِهِ، مِنْها: تَسْمِيَتُهُ بِمُحَمّدٍ قَبْلَ أنْ يُولَدَ، ثُمّ لَمْ يَزَلْ يُدْرِجُهُ في محامِدِ الأخلاقِ وَما تُحِبّهُ القُلُوبُ مِنَ الشِّيَمِ، حَتّى بَلَغَ إلى أعلى المَحامِدِ مَرْتَبةً، وَتكامَلَتْ لَهُ المَحَبّةُ مِن الخالِقِ والخَلِيقةِ، وَظَهَرَ مَعْنى اسْمِهِ فِيهِ على الحَقِيقةِ، فَهُوَ اللَّبنةُ الّتِي اسْتَتَمّ بِها البِناءُ، كَما أخْبَرَ عَلَيْهِ السّلامُ، وَهَذا كُلُّهُ مَعْنى بَيْتِ عَبّاسٍ، حَيْثُ قالَ: [من الكامل]

إنّ الإلَهَ بَنى عَلَيْك محبّةً[٤]

... البَيْتَ.

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم، «فتح الباري»، كتاب الزكاة: (٣: ٢٧٨)، ومسلم، كتاب الزكاة: (٢: ٧٠٢).

(٢) انظر: (٢: ١٤٦).

(٣) في (ف): «أساس».

(٤) ذكر القسيم الثاني لهذا البيت في (ج)، (ص). وقد تقدم.

وَذكر فِي العينيّةِ الأُخرى يصفُ الخيل: [من الكامل]

أفْنَتْ مُقارَعةُ الأعادِي دَمَّها

يُرِيدُ: شَحْمَها وسِمَنَها، يُقالُ: ادْمُمْ قِدْرَك بِوَدَكٍ، وَدَمَمْتُ الشّيْءَ: طَلَيْتُه، وَمِنْهُ: الدّامّاءُ أَحَدُ جِحَرةِ اليَرْبُوعِ؛ لِأَنّهُ يَدُمُّ بابَهُ بِقِشْرٍ رقيقٍ من الأرض، فلا يراهُ الصّائدُ، فإذا طُلِبَ من القاصعاءِ أو الرّاهطاءِ أو النّافِقاءِ أو العانِقاءِ، وَهِيَ الأبْوابُ الأُخَرُ، نَطَحَ بِرَأْسِهِ بابَ الدّامّاءِ فَخَرَقَهُ وخرجَ منه، وَأمّا الدّاماءُ بالتّخْفِيفِ فَهُوَ البَحْرُ، وَهُوَ فَعْلاء[1]؛ لأِنّهُ يُهْمَزُ فَيُقالُ[2]: دَأْماءُ، قالَهُ أبُو عُبَيْدٍ[3].

❊ ❊ ❊

(١) بعده في (ف): «بالتخفيف».

(٢) في (ف): «يقال».

(٣) «الغريب المصنف» (١: ٦٥٤)، لكنها ضبطت عنده هكذا: (الدامِآء) بوزن فاعِلاء؛ ليتفق ذلك مع أوزان سائر أبواب بيت اليربوع التي ذكرها السهيلي، وكذلك ذكرها أبو عبيدة هنا.

وَقالَ عَبّاسُ بنُ مِرْداسٍ أيْضًا في يَوْمِ حُنَيْنٍ:

تَقَطَّـعَ بـاقِي وصْـلِ أُمِّ مُؤَمَّلٍ ... بِعاقِبةٍ واسْـتَبْدَلَتْ نِيّـةً خُلْفا
وَقَدْ حَلَفَتْ باللهِ لا تَقْطَعُ القُوى ... فما صَدَقَـتْ فيهِ ولا بَرَّت الحَلْفا
خُفافيةٌ بَطْنُ العَقِيـقِ مَصِيفُها ... وتَحْتَلُّ في البادِيـنَ وجْرةَ فالعُرْفا
فَـإنْ تَتْبَـعِ الكُفّـارَ أُمُّ مُؤَمَّلٍ ... فقَدْ زَوَّدَتْ قَلْبِي على نَأْيِها شَـغْفا
وَسَـوْفَ يُنَبِّيهـا الخَبِـيرُ بِأنَّنا ... أبَيْنا ولَمْ نَطْلُبْ سِوى رَبِّنا حِلْفا
وَأنّـا مَعَ الهـادِي النَّـبِيِّ مُحَمَّدٍ ... وفَينـا ولَمْ يَسْـتَوْفِها مَعْشَرٌ ألْفا
بِفِتْيـانِ صِدْقٍ مِنْ سُـلَيْمٍ أعِزّةٍ ... أطاعُوا فما يَعْصُونَ مِنْ أمْرِهِ حَرْفا
خُفافٌ وذَكْوانٌ وعَـوْفٌ تَخالُهُمْ ... مَصاعِبَ زافَتْ في طَرُوقَتِها كُلْفا
كَأنَّ النَّسِيجَ الشُّهْبَ والبِيضَ مُلْبَسٌ ... أُسُودًا تَلاقَتْ في مَراصِدِها غُضْفا
بِنـا عَزَّ دِيـنُ اللهِ غَـيْرَ تَنَحُّلٍ ... وزِدْنا على الحَيِّ الَّذي مَعَهُ ضِعْفا
بِمَكّـةَ إذْ جِئْنـا كَأنَّ لِواءَنـا ... عُقابٌ أرادَتْ بَعْدَ تَحْلِيقِها خَطْفا
على شُخَّصِ الأبْصارِ تَحْسِبُ بَيْنَها ... إذا هِيَ جالَـتْ في مَراوِدِها عَزْفا
غَداةَ وطِئْنـا المُشْرِكِينَ ولَمْ نَجِدْ ... لِأمْرِ رَسُولِ اللهِ عَدْلًا ولا صَرْفا
بِمُعْتَرَكٍ لا يَسْـمَعُ القَوْمُ وسْـطَهُ ... لَنا زَجْمـةً إلّا التَّذامُـرَ والنَّقْفا
بِبِيضٍ نُطِيرُ الهامَ عَنْ مُسْـتَقَرِّها ... ونَقْطِفُ أعْناقَ الكُماةِ بِها قَطْفا
فَكائِـنْ تَرَكْنا مِنْ قَتِيـلٍ مُلَحَّبٍ ... وأرْمَلَـةٍ تَدْعُـو على بَعْلِها لَهْفا
رِضا اللهِ نَنْوِي لا رِضا النّاسِ نَبْتَغِي ... ولله مـا يَبْدُو جَمِيعًـا وما يَخْفى

وَذَكَرَ شِعْرَ عَبّاسٍ الفاوِيّ، وفِيهِ: «واسْتَبْدَلَتْ نِيّةً خُلْفا»، النّيّةُ: [مِن النَّوى، وَهُوَ][(١)] البُعْدُ. وخُلْفًا: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا مِنْ أَجْلِهِ؛ أيْ: فَعَلَتْ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الخُلْفِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا مُؤَكّدًا للِاسْتِبْدالِ؛ لِأَنّ اسْتِبْدالَها بِهِ خُلْفٌ مِنْها لِما وَعَدَتْهُ بِهِ، وَيُقَوّي هَذا البَيْتَ البَيْتُ الّذِي بَعْدَهُ وهو قوله: [من الطويل]

وَقَدْ حَلَفَتْ بِـــاللهِ لا تَقْطَعُ القُوى

يَعْنِي: قُوى الحَبْلِ، والحَبْلُ هُنا: هُوَ العَهْدُ، ثُمّ قالَ: [من الطويل]

فَما صَدَقَتْ فِيــهِ وَلا بَرَّتِ الحَلْفا

وَهَذا هُوَ الخُلْفُ[(٢)] المُتَقَدِّمُ ذِكْرُهُ.

وَقَوْلُهُ: [من الطويل]

وَفَينا وَلَمْ يَسْــتَوْفِها [مَعْشَــرٌ أَلْفا

أيْ: وَفَينا أَلْفًا وَلَمْ يَسْتَوْفِها][(٣)] غَيْرُنا، أيْ: لَمْ يَسْتَوْفِ هَذِهِ العِدّةَ غَيْرُنا مِن القَبائِلِ.

وَقَوْلُهُ: «جالتْ فِي مَراوِدِها»، يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمْعَ مِرْوَدٍ، وَهُوَ الوَتَدُ، كَما قالَ الآخَرُ يَصِفُ طعنة[(٤)]: [من المتقارب]

ومُستنّة كاســتنانِ الخَرُو ... فِ قَدْ قَطَعَ الحَبْلَ بِالمِرْوَدِ

(١) ليس في (ب).
(٢) في (أ): «الحَلِف»، وفي (س): «الحِلْف».
(٣) سقط من (أ).
(٤) أنشده الأصمعي في كتاب «الفَرس» لرجل من بني الحارث. انظر: «اللسان» (نبت، خرف).

والخَرُوفُ ههُنا فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ: المُهْرُ، وَقالَ آخَرُونَ: الفَرَسُ يُسَمّى خَرُوفًا، وَمَعْناهُ عِنْدِي فِي هَذا البَيْتِ: أنّه صفة من خَرَفْتُ الثّمرةَ إذا جَنيتَها، فالفَرَسُ خَرُوفٌ لِلشّجَرِ والنّباتِ، لا نَقُولُ: إنّ الفَرَسَ يُسَمّى خَرُوفًا فِي عُرْفِ اللّغةِ، وَلَكِنْ خَرُوفٌ فِي [مَعْنى][1] أكُولٍ؛ لِأَنّهُ يَخْرُفُ [النبات][2]؛ أيْ: يَأْكُلُ، فَهُوَ صِفةٌ لِكُلّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ الفِعْلَ مِن الدَّوابّ.

وَيَجُوزُ أنْ يَكُونَ قوله: «فِي مَراوِدِها» جَمْع مَرادٍ، وَهُوَ[3] حَيْثُ تَرُودُ الخَيْلُ تَذْهَبُ وَتَجِيءُ، فَمُرادُ ومَراوِدُ مِثْلُ: مَقامٍ ومَقاوِمَ، ومَنارٍ ومَناوِرَ.

وَقَوْلُهُ: «لَنا زَجْمة»[4] يُقالُ: ما زَجَمَ زَجْمةً، أيْ: ما نَبَسَ بِكَلِمةٍ، وَقَوْسٌ زَجُومٌ؛ أيْ: ضَعِيفةُ الإرْنانِ[5].

وَقَوْلُهُ: «إلّا التّذامُرَ»، أيْ: يُذَمِّرُ بَعْضُنا بَعْضًا، ويُحرِّضُه على القتل.

وقوله: «والنَّقْفا» النّقف: كسر الرُّؤوس، وَناقِفُ الحَنْظَلةِ: كاسِرُها وَمُسْتَخْرِجُ ما فِيها.

قالَ المُؤَلِّفُ: وَإنّما قُلْنا فِي هَذِهِ القَصِيدةِ وَفِي التي بعدها الفاوِيّة والرّاوِيّةُ بالواو؛ لِأنّ النّسَبَ إلى حُرُوفِ المُعْجَمِ الّتِي أواخِرُها أَلِفٌ هَكَذا، هُوَ بِالواوِ، قالَهُ أبُو عُبَيْدٍ وَغَيْرُهُ، وَفِي التّصْغِيرِ تُقْلَبُ أَلِفُها ياءً، تَقُولُ: بُيَيّةٌ وتُيَيّة في تصغير باءٍ وتاء ونحوهما، ....

(١) سقط من (ب).

(٢) عن (ج)، (ص).

(٣) (ف): «وهي».

(٤) بعده في (ج)، (ص): «إلا التذامر والنقفا».

(٥) أرنَّت القوس إرنانًا: صَوَّتت.

وما كانَ آخِرُهُ[١] حَرْفًا سالِمًا قُلِبَتْ أَلِفُهُ واوًا، فَتَقُولُ[٢] فِي تصغير ذال: ذُوَيْلَةٌ، وَفِي الضّادِ: ضُوَيْدَةٌ، كَذَلِكَ قالَ صاحِبُ «العَيْنِ»[٣]، وَقِياسُ الواوِ فِي النّحْوِ أَنْ تُصَغَّرَ: أُوَيّةٌ بِهَمْزِ أَوّلَها.

وَقالَ عَبّاسُ بنُ مِرْداسٍ أَيْضًا:

ما بـــالُ عَيْنِكَ فيها عائِرٌ سَـــهِرُ ... مِثْلُ الحَماطةِ أَغْضى فوْقَها الشُّفُرُ

عَـــيْنٌ تَأَوَّبَها مِنْ شَـــجْوِها أَرَقٌ ... فالمـــاءُ يَغْمُرُها طَـــوْرًا ويَنْحَدِرُ

كَأَنَّـــهُ نَظْـــمُ دُرٍّ عِنْـــدَ ناظِمـــةٍ ... تَقَطَّعُ السِّـــلْكُ مِنْهُ فهـــوَ مُنْتَثِرُ

يا بُعْدَ مَـــنْزِلِ مَنْ تَرْجُـــو مَوَدَّتَهُ ... ومَـــنْ أَتى دُونَهُ الصَّمّـــانُ فالحَفَرُ

دَعْ ما تَقَدَّمَ مِنْ عَهْدِ الشَّبابِ فقَدْ ... ولّى الشَّبابُ وزارَ الشَّيْبُ والزَّعَرُ

واذْكُـــرْ بَلاءَ سُـــلَيْمٍ في مَواطِنِها ... وفي سُـــلَيْمٍ لِأَهْلِ الفَخْرِ مُفْتَخَرُ

قَوْمٌ هُمُ نَصَرُوا الرَّحْمَـــنَ واتَّبَعُوا ... دِينَ الرَّسُولِ وأَمْرُ النّاسِ مُشْتَجِرُ

لا يَغْرِسُونَ فسِيلَ النَّخْلِ وسْطَهُمُ ... ولا تَخـــاوَرُ في مَشْـــتاهُم البَقَرُ

إلّا سَـــوابِحَ كالعِقْبـــانِ مَقْرُبـــةً ... في دارةٍ حَوْلَهـــا الأَخْطارُ والعَكَرُ

تدْعى خُفافٌ وعَوْفٌ في جَوانِبِها ... وحَيُّ ذَكْوانَ لا مِيـــلٌ ولا ضُجُرُ

الضّارِبُـــونَ جُنُودَ الشِّرْكِ ضاحِيةً ... بِبَطْـــنِ مَكّـــةَ والأَرْواحُ تَبْتَدِرُ

حَتّى دَفَعْنـــا وقَتْلاهُـــمْ كَأَنَّهُمْ ... نَخْلٌ بِظاهِـــرةِ البَطْحـــاءِ مُنْقَعِرُ

وَنَحْـــنُ يَوْمَ حُنَيْنٍ كانَ مَشْـــهَدُنا ... لِلدِّينِ عِـــزًّا وعِنْـــدَ اللهِ مُدَّخَرُ

---

(١) في (ف): «آخرها».

(٢) في (ف): «تقول».

(٣) انظر: «مختصر العين» للزبيدي: (ضود): (٢: ١٩٣).

إذْ نَرْكَبُ المَـوْتَ مُخْضَرًّا بَطائِنُهُ … والخَيْلُ يَنْجابُ عَنْها ساطِعٌ كَدِرُ

تَحْتَ اللِّواءِ مَعَ الضَّحّاكِ يَقْدُمُنا … كَما مَشى اللَّيْثُ في غاباتِهِ الخَدِرُ

في مَأْزِقٍ مِنْ مَجَـرِّ الحَرْبِ كَلْكَلُها … تَكادُ تَأْفِلُ مِنْهُ الشَّمْسُ والقَمَرُ

وَقَـدْ صَبَرْنـا بِأَوْطاسٍ أَسِـنَّتَنا … للهِ نَنْـصُرُ مَـنْ شِـئْنا ونَنْتَصِرُ

حَـتّى تَـأَوَّبَ أَقْـوامٌ مَنازِلَهُـمْ … لَوْلا المَلِيكُ ولَوْلا نَحْنُ ما صَدَرُوا

فَما تَرى مَعْـشَرًا قَلُّوا ولا كَثُرُوا … إلّا قَـدَ اصْبَـحَ مِنّا فيهِـمْ أَثَرُ

وَقَوْلُ عَبّاسٍ فِي القَصِيدةِ الرّاوِيّةُ: [من البسيط]

مثلُ الحَماطةِ أغْضى فوقَها الشُّفُرُ

الحَماطةُ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ: ما فِيهِ خُشُونةٌ وَحُرُوشةٌ، وَقالَ أَبُو حَنِيفةَ: الحَماطُ: وَرَقُ التّينِ الجَبَلِيّ[1]. وَقالَ أَيْضًا فِي باب القَطانِي: الحَماطُ: تِبنُ الذّرةِ إذا ذُرِّيَتْ، وَلَهُ أُكالٌ فِي الجِلْدِ.

والعائِرُ: كالشّيْءِ يَنْخُس فِي العَيْنِ كَأَنّهُ يَعُورُها، وَجَعَلَهُ سَهِرًا، وَإِنّما السّهِرُ الرّجُلُ؛ لِأَنّهُ لَمْ يفتُرْ عنهُ، فكأنه قد سهِرَ وَلَمْ يَنَمْ، كَما قالَ آخَرُ فِي وَصْفِ برقٍ[2]: [من البسيط]

حتّى شآها كَلِيلٌ مَوْهِنًا عَمِلٌ … باتَتْ طِرابًا وَباتَ اللّيْلَ لَمْ يَنَمِ

شَآها: شاقها، يُقالُ: شآه البرقُ وَشاءَهُ بِمَعْنًى واحِدٍ؛ أَيْ: شاقهُ، وَأَنْشَدَ: [من الكامل]

(١) «النبات» (ص: ١٢٥)، ولفظه: «وهو التين الجبلي».

(٢) هو ساعدة بن جؤية، «ديوان الهذليين» (١: ١٩٨)، وهو من شواهد «الكتاب» (١: ١١٤).

وَلَقَدْ عُهِدْتَ تُشاءُ بِالأَظْعانِ

فَتَأمَّلْهُ فَإنّهُ بَدِيعٌ مِن المَعانِي.

والصَّمّانُ والحَفَرُ: مَوْضِعانِ، وَإلَيْهِ يُنْسَبُ أبُو داوُدَ الحَفَرِيّ[1] مِنْ أهْلِ الحَدِيثِ.

والعَكَرُ: جَمْعُ عَكَرةٍ، وَهِيَ القِطْعَةُ الضّخْمةُ مِن المالِ. وَعَكَرةُ اللّسانِ أيْضًا: أصْلُهُ، وَما غَلُظَ مِنْهُ، وَعَكَدَتُهُ أيْضًا بالدال.

* * *

(١) هو عمر بن سعد الكوفي، روى له الجماعة سوى البخاري. «تهذيب الكمال» (٢١: ٣٦٠).

وَقالَ عَبّاسُ بنُ مرداسٍ أيْضًا:

يـــا أيّها الرَّجُـــلُ الَّذي تَهْوِي بِهِ ... وجْناءُ مُجْمَرةُ المَناسِـــمِ عِرْمِسُ
إمّا أتَيْـــتَ على النَّـــبِيِّ فقُلْ لَهُ ... حَقًّا عَلَيْكَ إذا اطْمَأَنَّ المَجْلِسُ
يا خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطِيَّ ومَنْ مَشى ... فوْقَ الـــتُّرابِ إذا تُعَدُّ الأَنْفُسُ
إنّـــا وفينـــا بِـــالَّذِي عاهَدْتَنا ... والخَيْلُ تُقْدَعُ بِالكُماةِ وتُضْرَسُ
إذ ســـالَ مِنْ أفْناءِ بُهْثَـــةَ كُلِّها ... جَمْعٌ تَظَلُّ بِـــهِ المَخارِمُ تَرْجُسُ
حَتّى صَبَحْنا أهْـــلَ مَكّةَ فَيْلَقًا ... شَهْباءَ يَقْدُمُها الهُمامُ الأشْوَسُ
مِنْ كُلِّ أغْلَبَ مِنْ سُـــلَيْمٍ فوْقَهُ ... بَيْضاءُ مُحْكَمَةُ الدِّخالِ وقَوْنَسُ
يُرْوِي القَناةَ إذا تَجاسَرَ في الوَغى ... وتَخـــالُهُ أسَـــدًا إذا مـــا يَعْبِسُ
يَغْشى الكَتِيبةَ مُعْلِمًا وبِكَفِّهِ ... عَضْبٌ يَقُدُّ بِـــهِ ولَدْنٌ مِدْعَسُ
وَعلى حُنَيْنٍ قَـــدْ وَفى مِنْ جَمْعِنا ... ألْفٌ أُمِدَّ بِهِ الرَّسُـــولُ عَرَنْدَسُ
كانُـــوا أمـــامَ المُؤْمِنِـــينَ دَرِيئَةً ... والشَّمْسُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهِمْ أشْمُسُ
نَمْـــضِي ويَحْرُسُـــنا الإلَهُ بِحِفْظِهِ ... واللهُ لَيْسَ بِضائِـــعٍ مَنْ يَحْرُسُ
وَلَقَدْ حُبِسْـــنا بِالمَناقِبِ مَحْبِسًا ... رَضِيَ الإلَهُ بِهِ فنِعْـــمَ المَحْبِسُ
وَغَداةَ أوْطاسٍ شَـــدَدْنا شَـــدّةً ... كَفَتِ العَدُوَّ وقِيلَ مِنْها يا احْبِسُوا
تَدْعُـــو هَوازِنُ بِالإخـــاوةِ بَيْنَنا ... ثَدْيٌ تَمُـــدُّ بِهِ هَـــوازِنُ أيْبَسُ
حَـــتّى تَرَكْنـــا جَمْعَهُـــمْ وكَأنَّهُ ... عَـــيْرٌ تَعاقَبَهُ السِّـــباعُ مُفَرَّسُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: أنْشَدَنِي خَلَفٌ الأحْمَرُ قَوْلَهُ: «وَقِيلَ مِنْها يا احْبِسُوا».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ عَبّاسُ بنُ مِرْداسٍ أيْضًا:

نَصَرْنا رَسُولَ اللهِ مِنْ غَضَبٍ لَهُ ... بِألْفِ كَمِيٍّ لا تُعَدُّ حَواسِرُهْ

حَمَلْنا لَهُ في عامِلِ الرُّمْحِ رايَةً ... يَذُودُ بِها في حَوْمَةِ المَوْتِ ناصِرُهْ

وَنَحْنُ خَضَبناها دَمًا فهْوَ لَوْنُها ... غَداةَ حُنَيْنٍ يَوْمَ صَفْوانُ شاجِرُهْ

وَكُنّا على الإسْلامِ مَيْمَنَةً لَهُ ... وكانَ لَنا عَقْدُ اللِّواءِ وشاهِرُهْ

وَكُنّا لَهُ دُونَ الجُنُودِ بِطانَةً ... يُشاوِرُنا في أمْرِهِ ونُشاوِرُهْ

دَعانا فسَمّانا الشِّعارَ مُقَدَّمًا ... وكُنّا لَهُ عَوْنًا على مَنْ يُناكِرُهْ

جَزى اللهُ خَيْرًا مِنْ نَبِيٍّ مُحَمَّدًا ... وأيَّدَهُ بِالنَّصْرِ واللهُ ناصِرُهْ

قالَ ابنُ هِشامٍ: أنْشَدَنِي مِنْ قَوْلِهِ: «وَكُنّا على الإسْلامِ» إلى آخرها، بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ، ولَمْ يَعْرِفِ البَيْتَ الَّذي أوَّلُهُ: «حَمَلْنا لَهُ في عامِلِ الرُّمْحِ رايةً».

وَأنْشَدَنِي بَعْدَ قَوْلِهِ: «وَكانَ لَنا عَقْدُ اللِّواءِ وشاهِرُهْ»: «وَنَحْنُ خَضَبناهُ دَمًا فهوَ لَوْنُه».

وَقَوْلُهُ فِي السِّينِيَّةِ: [من الكامل]

وَجْناءُ مُجْمَرَةُ المَناسِمِ عِرْمِسُ

وَجْناءُ: غَلِيظَةُ الوَجَناتِ بارِزَتُها، وذلك يدلُّ على غُؤُورِ عَيْنَيْها، وَهُمْ يَصِفُونَ الإبِلَ بِغؤُورِ العَيْنَيْنِ[1] عِنْدَ طُولِ السّفارِ، وَيُقالُ: من[2] الوَجْنَةِ فِي

(١) في (ج)، (ص): «الأعين».

(٢) في (ب): «في».

الآدَمِيِّينَ، رَجُلٌ مُوجِنٌ وامْرَأَةٌ مُوجِنَةٌ، وَلا يُقالُ: وَجْناءُ، [قالَهُ يَعْقُوبُ](١).

وَمُجْمَرَةُ المَناسِمِ؛ أيْ: نَكَبَتْ مَناسِمَها الجِمارُ، وَهِيَ الحِجارَةُ.

وَقَدْ يُرِيدُ بِمُجْمَرَةٍ أيْضًا: أنَّ مَناسِمَها مُجْتَمِعةٌ مُنْضَمَّةٌ، فَذَلِكَ أقْوى لَها، وَقَدْ حُكِيَ: أجْمَرَتِ المَرْأَةُ شَعْرَها: إذا ضَفَرَتْهُ، وَأجْمَرَ الأمِيرُ الجَيْشَ؛ أيْ: حَبَسَهُ عَنِ القُفُولِ، قالَ الشّاعِرُ: [من الطويل]

مُعاوِيَ إمّا أنْ تُجَهِّزَ أهْلَنا ... إلينا، وإمّا أن نَؤُوبَ مُعاوِيا

أأجْمَرْتَنا إجْمارَ كِسْرى جُنُودَهُ ... وَمَنَّيْتَنا حَتّى نَسِينا(٢) الأمانِيا؟(٣)

[والعِرْمِسُ: الصَّخْرَةُ الصُّلْبَةُ، وَتُشَبَّهُ بِها النّاقَةُ الجَلْدَةُ](٤).

وَقَوْلُهُ: [من الكامل]

كانُوا أمامَ المُؤْمِنِينَ دَرِيئَةً

الدَّرِيئَةُ: الحَلْقَةُ الَّتِي يُتَعَلَّمُ عَلَيْها الرَّمْيُ، [أيْ: كانُوا](٥) كالدَّرِيئَةِ لِلرِّماحِ.

وَقَوْلُهُ: [من الكامل]

والشَّمْسُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهِمْ أشْمُسُ

يُرِيدُ أَنَّ لَمَعانَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بَيْضَةٍ مِنْ بَيْضاتِ الحَدِيدِ والسُّيُوفِ [كَأنَّها شَمْسٌ](٦). وَهُوَ مَعْنًى صَحِيحٌ وَتَشْبِيهٌ مَلِيحٌ.

---

(١) ليس في (ص)، (ج).

(٢) في (ف): «مللت».

(٣) هذا البيت في «اللسان» (جمر) من رواية الربيع أن الشافعي أنشده.

(٤) مكانه في غير (ج)، (ص) قبل الفقرة المتقدمة المبدوءة بقوله: «وقد يريد».

(٥) ليس في (ب).

(٦) سقط من (ب).

وَفِيها قَوْلُهُ: [من الكامل]

والخَيْـلُ تُقْرَعُ بِالكُمـاةِ وَتُضْرَسُ

أيْ: تُضْرَبُ أضراسُها بِاللُّجُمِ. تَقُولُ: ضَرَسْتُهُ، أيْ: ضَرَبْتُ أضراسَهُ، كَما تَقُولُ: رَأسْتُهُ، أيْ: أصَبْتُ رَأْسَهُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ عَبّاسُ بنُ مِرْداسٍ أيْضًا:

مَـنْ مُبْلِـغُ الأقْـوامِ أنَّ مُحَمَّدًا ... رَسُـولَ الإلَهِ راشِـدٌ حَيْثُ يَمَّما

دَعا رَبَّـهُ واسْـتَنْصَرَ اللهَ وحْدَهُ ... فأصْبَـحَ قَـدْ وفّى إلَيْـهِ وأنْعَما

سَرَيْنـا وواعَدْنا قُدَيْـدًا مُحَمَّدًا ... يَـؤُمُّ بِنا أمْـرًا مِـنَ اللهِ مُحْكَما

تَمارَوْا بِنـا في الفَجْرِ حَتّى تَبَيَّنُوا ... مَعَ الفَجْـرِ فِتْيانًا وغابًـا مُقَوَّمًا

على الخَيْلِ مَشْـدُودًا عَلَيْنا دُرُوعُنا ... ورَجْـلًا كَدُفّـاعِ الأتِيِّ عَرَمْرَما

فَإنَّ سَراةَ الحَيِّ إنْ كُنْتَ سـائِلًا ... سُـلَيْمٌ وفيهِمْ مِنْهُمُ مَنْ تَسَـلَّما

وَجُنْدٌ مِنَ الأنْصـارِ لا يَخْذُلُونَهُ ... أطاعُوا فمـا يَعْصُونَهُ ما تَكَلَّما

فَإنْ تَكُ قَدْ أمَّرْتَ في القَوْمِ خالِدًا ... وقَدَّمْتَـهُ فإنَّـهُ قَـدْ تَقَدَّمـا

بِجُنْـدٍ هَـداهُ اللهُ أنْـتَ أمِيرُهُ ... تُصِيبُ بِهِ في الحَقِّ مَنْ كانَ أظْلَما

حَلَفْـتُ يَمِينًـا بَـرّةً لِمُحَمَّـدٍ ... فأكْمَلْتُها ألْفًـا مِنَ الخَيْلِ مُلْجَما

وَقالَ نَـبِيُّ المُؤْمِنِـينَ: تَقَدَّمُوا ... وحُبَّ إلَيْنا أنْ نَكُـونَ المُقَدَّما

وَبِتْنا بِنَهْيِ المُسْتَدِيرِ ولَمْ يَكُنْ ... بِنـا الخَـوْفُ إلّا رَغْبَـةً وتَحَزُّما

أطَعْناكَ حَتّى أسْـلَمَ النّاسُ كُلُّهُمْ ... وحَتّى صَبَحْنا الجَمْـعَ أهْلَ يَلَمْلَما

يَضِلُّ الحِصانُ الأبْلَقُ الوَرْدُ وسْطَهُ ... ولا يَطْمَئِنُّ الشَّـيْخُ حَتّى يُسَوَّما

سَـمَوْنا لَهُمْ وِرْدَ القَطا زَفَّهُ ضُحًى ... وكُلٌّ تَـراهُ عَنْ أخِيـهِ قَدَ احْجَما

لَدُنْ غُدْوةً حَتّى تَرَكْنا عَشِيّةً حُنَيْنًا وقَدْ سالَتْ دَوافِعُهُ دَما
إذا شِئْتَ مِنْ كُلٍّ رَأيْتَ طِمِرّةً وفارِسَها يَهْوِي ورُمْحًا مُحَطَّما
وَقَدْ أحْرَزَتْ مِنّا هَوازِنُ سَرْبَها وحُبَّ إلَيْها أنْ نَخِيبَ ونُحْرَما

وَقَوْلهُ فِي كَلِمَتِهِ المِيمِيّةِ: [من الوافر]

وَفِيهِــمْ مِنْهُــمُ مَنْ تَسَــلّما

يُرِيدُ: وَفِي سُلَيْمٍ مَن اعْتَزى إلَيْهِمْ مِن حُلَفائِهِمْ، فَتَسَلَّمَ بِذَلِكَ، كَما تَقُولُ: تَقَيّسَ الرّجُلُ، إذا اعْتَزى إلى قَيْسٍ. أنْشَدَ سِيبَوَيْهِ[1]: [من الرجز]

وَقَيْــس عَيْلانَ وَمَنْ تَقَيّســا

* * *

(١) لم أجده في مطبوعة الكتاب، والرجز للعجاج، «ديوانه» (ص: ١٣٨).

[شِعْرُ ضَمْضَمٍ في يَوْمِ حُنَيْنٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ ضَمْضَمُ بنُ الحارِثِ بنِ جُشَمَ بنِ عَبْدِ بنِ حَبِيبِ ابنِ مالِكِ بنِ عَوْفِ بنِ يَقَظَةَ بنِ عُصَيّةَ السُّلَمِيُّ في يَوْمِ حُنَيْنٍ، وكانَتْ ثَقِيفُ أصابَتْ كِنانَةَ بنَ الحَكَمِ بنِ خالِدِ بنِ الشَّرِيدِ، فقَتَلَ بِهِ مِحْجَنًا وابنَ عَمٍّ لَهُ، وهُما مِنْ ثَقِيفٍ:

نَحْنُ جَلَبنا الخَيْلَ مِنْ غَيْرِ مَجْلَبٍ ... إلى جُرَشٍ مِنْ أهْلِ زيّان والفَم

تُقتِّلُ أشْبالَ الأُسُودِ ونَبْتَغِي ... طَواغِيَ كانَتْ قَبْلَنا لَمْ تُهَدَّمِ

فَإنْ تَفْخَرُوا بِابنِ الشَّرِيدِ فإنَّنِي ... تَرَكْتُ بِوَجٍّ مَأْتَمًا بَعْدَ مَأْتَمِ

أبَأْتُهُما بِابنِ الشَّرِيدِ وغَرَّهُ ... جِوارُكُمُ وكانَ غَيْرَ مُذَمَّمِ

تُصِيبُ رِجالًا مِنْ ثَقِيفٍ رِماحُنا ... وأسْيافُنا يَكْلِمْنَهُمْ كُلَّ مَكْلَمِ

وَقالَ ضَمْضَمُ بنُ الحارِثِ أيْضًا:

أبْلِغْ لَدَيْكَ ذَوِي الحَلائِلِ آيَةً ... لا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ ذاتَ خِمارِ

بَعْدَ الَّتِي قالَتْ لِجارَةِ بَيْتِها ... قَدْ كُنْتُ لَوْ لَبِثَ الغَزِيُّ بِدارِ

لَمّا رَأَتْ رَجُلًا تَسَفَّعَ لَوْنَهُ ... وغْرُ المَصِيفَةِ والعِظامُ عَوارِي

مُشُطَ العِظامِ تَراهُ آخِرَ لَيْلِهِ ... مُتَسَرْبِلًا في دِرْعِهِ لِغِوارِ

إذْ لا أزالُ على رِحالَةِ نَهْدَةٍ ... جَرْداءَ تُلْحِقُ بِالنِّجادِ إزارِي

يَوْمًا على أثَرِ النِّهابِ وتارَةً ... كُتِبَتْ مُجاهِدَةً مَعَ الأنْصارِ

وَزُهاءَ كُلِّ خَمِيلَةٍ أزْهَقْتُها ... مَهَلًا تَمَهُّلُهُ وكُلَّ خَبارِ

كَيْما أُغَيِّرَ ما بِها مِنْ حاجَةٍ ... وتَوَدُّ أنِّي لا أؤُوبُ فجارِ

وَأَنْشَدَ لِضَمْضَمِ بنِ الحارِثِ، وَهُوَ مِمّنْ شَهِدَ حُنَيْنًا مَعَ المُسْلِمِينَ، وَكانَ يَنْبَغِي لِأَبِي عُمَرَ[1] رَحِمَهُ اللهُ أَنْ يَذْكُرَهُ فِي الصّحابَةِ؛ لِأَنّهُ مِنْ شَرْطِهِ، فَلَمْ يَفْعَلْ، وَقَدْ أَنْشَدَ لَهُ ابنُ إسْحاقَ ما يَدُلُّ على أَنّهُ مِنْهُمْ؛ لِقَوْلِهِ: [من الكامل]

يَوْمًا على أَثَـرِ النِّهابِ وَتارةً كُتِبَتْ مُجاهِـدةً مَعَ الأَنْصارِ

يَعْنِي: فَرَسَهُ، وَكَذَلِكَ لَمْ يَذْكُرْ أَبُو عُمَرَ[2] ضَمْضَمَ بنَ قَتادةَ العِجْلِيّ، وَلَهُ حَدِيثٌ مَشْهُورٌ فِي قُدُومِهِ على رسولِ الله ﷺ، وَذَلِكَ أَنّهُ قالَ لَهُ: يا رَسُولَ اللهِ، إنّي تَزَوّجْت امْرَأةً فَوَلَدَتْ لِي غُلامًا أَسْوَدَ، فَقالَ لَهُ رسولُ الله[3] ﷺ: «هَلْ لَك مِنْ إبِلٍ»، فَقالَ: نَعَمْ، والحَدِيثُ مَشْهُورٌ، غَيْرَ أَنّهُ لَمْ يُسَمَّ باسْمِهِ فِي الصّحِيحَيْنِ[4]، وَسُمِّيَ فِي بَعْضِ المُسْنَداتِ، وَذَكَرَهُ عَبْدُ الغَنِيّ[5] فِي «المُبْهَمات»، وَذَكَرَ عَبْدُ الغَنِيّ فِي الحَدِيثِ زِيادةً حَسَنةً قالَ: كانَتِ المَرْأةُ مِنْ بَنِي عِجْلٍ، فَقَدِمَ المَدِينةَ عَجائِزُ مِنْ عِجْلٍ، فَسُئِلْنَ عَنِ المَرْأةِ الّتِي وَلَدَتِ الغُلامَ الأَسْوَدَ، فَقُلْنَ: كانَ فِي آبائِها رجلٌ أسودُ.

* * *

(١) راجع «الاستيعاب»، الجزء الثاني (حرف الضاد).

(٢) راجع «الاستيعاب»، الجزء الثاني (حرف الضاد).

(٣) في (ف): «النبي».

(٤) «فتح الباري»، كتاب الطلاق: (٩: ٤٤٢)، ومسلم، كتاب اللعان: (٢: ١١٣٧).

(٥) هو عبد الغني بن سعيد، أبو محمد الأزدي المصري، محدِّث الديار المصرية، وكتابه هو «الغوامض والمبهمات» كما في «فهرسة ابن خير» (ص: ٢١٩)، وُلد رحمه الله سنة (٣٣٢هـ)، وتُوفي سنة (٤٠٩هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٧: ٢٦٨) وما بعدها.

[شِعْرُ أبي خِراشٍ في رِثاءِ ابنِ العَجْوةِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: حَدَّثَني أبو عُبَيْدةَ، قالَ: أُسِرَ زُهَيْرُ بنُ العَجْوةِ الهُذَليُّ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فكُتِّفَ، فرَآهُ جَميلُ بنُ مَعْمَرٍ الجُمَحِيُّ، فقالَ لَهُ: أأنْتَ الماشِي لَنا بِالمَغايِظِ؟ فضَرَبَ عُنُقَهُ، فقالَ أبو خِراشٍ الهُذَليُّ يَرْثِيهِ، وكانَ ابنَ عَمِّهِ:

عَجَّفَ أضْيافي جَميلُ بنُ مَعْمَرٍ ... بِذي فَجَرٍ تَأْوِي إلَيْهِ الأرامِلُ
طَويلِ نِجادِ السَّيْفِ لَيْسَ بِجَيْدَرٍ ... إذا اهْتَزَّ واسْتَرْخَتْ عَلَيْهِ الحَمائِلُ
تَكادُ يَداهُ تُسْلِمانِ إزارَهُ ... مِنَ الجُودِ لَمّا أذْلَقَتْهُ الشَّمائِلُ
إلى بَيْتِهِ يَأْوِي الضَّرِيكُ إذا شَتا ... ومُسْتَنْبِحٌ بالِي الدَّرِيسَيْنِ عائِلُ
تَرَوَّحَ مَقْرُورًا وهَبَّتْ عَشِيَّةً ... لَها حَدَبٌ تَحْتَشُّه فيُوائِلُ
فَما بالُ أهْلِ الدّارِ لَمْ يَتَصَدَّعُوا ... وقَدْ بانَ مِنْها اللَّوْذَعِيُّ الحُلاحِلُ
فَأُقْسِمُ لَوْ لاقَيْتَهُ غَيْرَ مُوثَقٍ ... لَآبَكَ بِالنَّعْفِ الضِّباعُ الجَيائِلُ
وَإنَّكَ لَوْ واجَهْتَهُ إذْ لَقِيتَهُ ... فنازَلْتَهُ أوْ كُنْتَ مِمَّنْ يُنازِلُ
لَظَلَّ جَميلٌ أفْحَشَ القَوْمِ صِرْعَةً ... ولَكِنَّ قِرْنَ الظَّهْرِ لِلْمَرْءِ شاغِلُ
فَلَيْسَ كَعَهْدِ الدّارِ يا أُمَّ ثابِتٍ ... ولَكِنْ أحاطَتْ بِالرِّقابِ السَّلاسِلُ
وَعادَ الفَتى كالشَّيْخِ لَيْسَ بِفاعِلٍ ... سِوى الحَقِّ شَيْئًا واسْتَراحَ العَواذِلُ
وَأصْبَحَ إخْوانُ الصَّفاءِ كَأنَّما ... أهالَ عَلَيْهِمْ جانِبَ التُّرْبِ هائِلُ
فَلا تَحْسَبِي أنِّي نَسِيتُ لَيالِيا ... بِمَكَّةَ إذْ لَمْ نَعْدُ عَمّا نُحاوِلُ
إذِ النّاسُ ناسٌ والبِلادُ بِغِرَّةٍ ... وإذْ نَحْنُ لا تُثْنى عَلَيْنا المَداخِلُ

وذَكَرَ شِعْرَ أَبِي خِراشٍ، واسْمُهُ: خُوَيْلِدُ بنُ مُرّةَ، شاعِرٌ إسْلامِيّ، ماتَ فِي خِلافةِ عُمَرَ رضي الله عنه؛ مِنْ نَهْشِ حَيّةٍ نَهَشَتْهُ، كانَ سَبَبَها أَضْيافٌ نَزَلُوا بِهِ، وخَبَرُهُ بِذَلِكَ عَجِيبٌ، وَلَهُ فِيهِ شِعْرٌ. والخِراشُ: وَسْمٌ لِلإِبِلِ يَكُونُ مِن الصُّدْغِ إلى الذَّقَنِ.

وقَوْلُهُ: [من الطويل]

تَــكادُ يَــداهُ تُسْــلِمانِ إزارَهُ مِن الجُودِ لَمّا أَرْهَقَتهُ الشّمائِلُ

يُرِيدُ: أَنّهُ مِنْ سَخائِهِ يكادُ أَنْ يَتَجَرّدَ مِنْ إزارِهِ لِسائِلِهِ فَيُسلِمَهُ إِلَيْهِ.

وَأَلْفَيْتُ[1] بِخطّ أَبِي الوَلِيدِ الوَقَّشِيّ: الجُودُ ههُنا، على هَذِهِ الرّوايةِ، وَبِهَذِهِ[2] الرُّتْبةِ: السَّخاءُ، وَبِذَلِكَ فَسّرَهُ الأَصْمَعِيّ والطُّوسِيّ، وَأَمّا على ما وَقَعَ فِي «شِعْرِ الهُذَلِيِّين»، وَفُسِّرَ فِي «الغَرِيبِ المُصَنّفِ» فَهُوَ الجُوعُ، وَمَوْضِعُهُ فِي الشِّعْرِ المَذْكُورِ يَتْلُو قَوْلَهُ: «تَرَوَّحَ مَقْرُورًا»، وفيه وَفِي الغَرِيبِ «رِداءَهُ» بَدَلَ «إزارَه».

وَقَوْلهُ: [من الطويل]

وَلَكِنّ أقــرانَ الظُّهورِ مَقاتِلُ

أَقْران: جمع قِرْنٍ بكسر القاف. ومَقاتِل: جَمْعُ مِقْتَلٍ بِكَسْرِ المِيمِ، مِثْلُ: مِحْرَبٍ من الحَرْب، أي: مَنْ كانَ قِرنَ ظهرٍ، فَإِنّهُ قاتِلٌ[3] وَغالِبٌ.

وَقَوْلهُ يَصِفُ الرِّيحَ: [من الطويل]

---

(١) في (ب)، (ج)، (ص): «وألفيته».

(٢) في (ب): «بهذه» دون واو.

(٣) في (ب): «ظاهر غالب».

لَها حَـدَبٌ تَحْتَثُّـهُ فَيُوائِلُ

بالحاءِ المُهْمَلةِ وَقَعَ فِي الأَصْلِ، وَقَدْ يُسَمّى انْحِدارُ الماءِ وَنَحْوُهُ: حَدَبًا، فَيَكُونُ هَذا مِنْهُ، وَإِلّا فالخَدَبُ بِالخاءِ المَنْقُوطةِ أَشْبَهُ بِمَعْنى البَيْتِ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: رِيحٌ خَدْباءُ؛ أي: كأَنَّ بِها خَدبًا، وَهُوَ الهَوَجُ[1].

[شِعْرُ ابنِ عَوْفٍ في الِاعْتِذارِ مِنْ فِرارِهِ]

قالَ ابنُ إِسْحاقَ: وقالَ مالِكُ بنُ عَوْفٍ وهُوَ يَعْتَذِرُ يَوْمَئِذٍ مِنْ فِرارِهِ:

مَنَـعَ الرُّقـادَ فما أُغَمِّضُ سـاعةً ... نَعَـمٌ بِأَجْـزاعِ الطَّرِيـقِ مُخَضْرَمُ

سـائِلْ هَوازِنَ هَـلْ أَضُرُّ عَدُوَّها ... وأُعِـينُ غارِمَهـا إذا مـا يَغْـرَمُ

وَكَتِيبـةٍ لَبَّسْـتُها بِكَتِيبـةٍ ... فِئَتَـيْنِ مِنْهـا حـاسِرٌ ومُـلَأَّمُ

وَمُقَـدَّمٍ تَعْيـا النُّفُـوسُ لِضِيقِهِ ... قَدَّمْتُـهُ وشُـهُودُ قَـوْمِي أَعْلَـمُ

فَـوَرَدْتُـهُ وتَـرَكْـتُ إِخْـوانًـا لَهُ ... يَـرِدُونَ غَمْرَتَـهُ وغَمْرَتُـهُ الدَّمُ

فَـإذا انْجَلَـتْ غَمَراتُـهُ أَوْرَثْنَني ... مَجْـدَ الحَياةِ ومَجْـدَ غُنْمٍ يُقْسَـمُ

كَلَّفْتُمُـونِي ذَنْـبَ آلِ مُحَمَّـدٍ ... واللهُ أَعْلَـمُ مَـنْ أَعَـقُّ وأَظْلَـمُ

وَخَذَلْتُمُـونِي إِذْ أُقاتِـلُ واحِـدًا ... وخَذَلْتُمُـونِي إِذْ تُقاتِـلُ خَثْعَـمُ

وَإِذا بَنَيْتُ المَجْدَ يَهْدِمُ بَعْضُكُمْ ... لا يَسْـتَوِي بـانٍ وآخَـرُ يَهْـدِمُ

وَأَقَبَّ مِخْماصِ الشِّـتاءِ مُسـارِعٍ ... في المَجْـدِ يَنْـمِي لِلْعُـلى مُتَكَرِّمُ

أَكْـرَهْـتُ فـيهِ أَلّـةً يَزَنِـيّـةً ... سَـحْماءَ يَقْدُمُها سِـنانٌ سَلْجَمُ

وَتَـرَكْـتُ حَنَّـتَـهُ تَـرُدُّ ولِيَّـهُ ... وتَقُـولُ: لَيْسَ على فُلانـةَ مَقْدَمُ

وَنَصَبْـتُ نَفْسِي لِلرِّمـاحِ مُدَجَّجًا ... مِثْـلَ الدَّرِيئَـةِ تُسْـتَحَلُّ وتُشْرَمُ

---

(١) في (ب): «الهزج»، وفي (ج): «الهودج». انظر: «اللسان» (خدب).

[شِعْرٌ لِهَوازِنِيٍّ يَذْكُرُ إِسْلامَ قَوْمِهِ]

قالَ ابنُ إِسْحاقَ: وقالَ قائِلٌ في هَوازِنَ أَيْضًا، يَذْكُرُ مَسِيرَهُمْ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَ مالِكِ بنِ عَوْفٍ بَعْدَ إِسْلامِهِ:

اذْكُرْ مَسِيرَهُمْ لِلنّاسِ إذْ جَمَعُوا ... ومالِكٌ فوْقَهُ الرّاياتُ تَخْتَفِقُ
وَمالِك مالِكٌ ما فوْقَهُ أحَدٌ ... يَوْمَ حُنَيْنٍ عَلَيْهِ التّاجُ يَأْتَلِقُ
حَتّى لَقُوا الباسَ حِينَ الباسُ يَقْدُمُهُمْ ... عَلَيْهِمُ البَيضُ والأَبْدانُ والدَّرَقُ
فَضارَبُوا النّاسَ حَتّى لَمْ يَرَوْا أحَدًا ... حَوْلَ النَّبِيِّ وحَتّى جَنَّهُ الغَسَقُ
ثُمَّتَ نُزِّلَ جِبْرِيلٌ بِنَصْرِهِمْ ... مِنَ السَّماءِ فَمَهْزُومٌ ومُعْتَنَقُ
مِنّا ولَوْ غَيْرُ جِبْرِيلٍ يُقاتِلُنا ... لَمَنَّعَتْنا إذًا أَسْيافُنا العُتُقُ
وَفاتَنا عُمَرُ الفارُوقُ إذْ هُزِمُوا ... بِطَعْنَةٍ بَلَّ مِنْها سَرْجَهُ العَلَقُ

[شِعْرُ جُشَمِيّةٍ في رِثاءِ أَخَوَيْها]

وَقالَت امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي جُشَمَ تَرْثِي أَخَوَيْنِ لَها أُصِيبا يَوْمَ حُنَيْنٍ:

أَعَيْنَيَّ جُودا على مالِكٍ ... مَعًا والعَلاءِ ولا تَجْمُدا
هُما القاتِلانِ أبا عامِرٍ ... وقَدْ كانَ ذا هَبّةٍ أَرْبَدا
هُما تَرَكاهُ لَدى مُجْسَدٍ ... يَنُوءُ نَزِيفًا وما وُسِّدا

[شِعْرُ أَبِي ثَوابٍ في هِجاءِ قُرَيْشٍ]

وَقالَ أبو ثَوابٍ زَيْدُ بنُ صُحارٍ، أحَدُ بَنِي سَعْدِ بنِ بَكْرٍ:

أَلا هَلَ اتاكَ أَنْ غَلَبَتْ قُرَيْشٌ ... هَوازِنَ والخُطُوبُ لَها شُرُوطُ؟
وَكُنّا يا قُرَيْشُ إذا غَضِبنا ... يَجِيءُ مِنَ الغِضابِ دَمٌ عَبِيطُ
وَكُنّا يا قُرَيْشُ إذا غَضِبنا ... كَأَنَّ أُنُوفَنا فيها سَعُوطُ

فَأَصْبَحْنـــا تُسَـــوِّقُنا قُرَيْشٌ سِـــياقَ العِيرِ يَحْدُوها النَّبِيطُ
فَلا أنا إنْ سُئِلْتُ الخَسْفَ آبٍ ولا أنـــا أنْ أَلِينَ لَهُمْ نَشِـــيطُ
سَـــيُنْقَلُ لَحْمُهـــا في كُلِّ فجٍّ وتُكْتَبُ في مَسامِعِها القُطُوطُ

وَيُرْوى «الخُطُوطُ»، وهذا البَيْتُ في رِوايةِ أَبي سَعْدٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: أبو ثَوابٍ زِيادُ بنُ ثَوابٍ. وأَنْشَدَنِي خَلَفٌ الأَحْمَرُ قَوْلَهُ: «يَجِيءُ مِنَ الغِضابِ دَمٌ عَبِيطُ»، وآخِرَها بَيْتًا عَنْ غَيْرِ ابنِ إِسْحاقَ.

[شِعْرُ ابنِ وهْبٍ في الرَّدِّ على ابنِ أبي ثَوابٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فأجابَهُ عَبْدُ اللهِ بنُ وهْبٍ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، ثُمَّ مِنْ بَنِي أُسَيِّدٍ، فقالَ:

بِشَرْطِ اللهِ نَضْرِبُ مَنْ لَقِينا كَأَفْضَلِ ما رَأَيْتَ مِنَ الشُّرُوطِ
وَكُنّـــا يا هَـــوازِنُ حِينَ نَلْقى نَبُلُّ الهامَ مِـــنْ عَلَقٍ عَبِيطِ
بِجَمْعِكُمْ وجَمْـــعِ بَنِي قَسِيٍّ نَحُكُّ البَرْكَ كالـــوَرَقِ الخَبِيطِ
أَصَبنا مِـــنْ سَراتِكُمْ ومِلْنا بِقَتْـــلٍ في المُبايِـــنِ والخَلِيطِ
بِـــهِ المُلْتاثُ مُفْـــتَرِشٌ يَدَيْهِ يَمُجُّ المَوْتَ كالبَكْرِ النَّحِيطِ
فَإنْ تَكُ قَيْسُ عَيْلانٍ غِضابًا فلا يَنْفَكُّ يُرْغِمُهُمْ سَـــعُوطِي

[شِعْرُ خَدِيجٍ في يَوْمِ حُنَيْنٍ]

وَقالَ خَدِيجُ بنُ العَوْجاءِ النَّصْرِيُّ:

لَمّـــا دَنَوْنا مِـــنْ حُنَـــيْنٍ ومائِهِ رَأَيْنا سَـــوادًا مُنْكَرَ اللَّوْنِ أَخْصَفا
بِمَلْمُومةٍ شَـــهْباءَ لَـــوْ قَذَفُوا بِها شَمارِيخَ مِنْ عُزْوى إذًا عادَ صَفْصَفا

وَلَوْ أَنَّ قَــوْمِي طاوَعَتْنِي سَراتُهُمْ ... إِذًا ما لَقِينا العارِضَ المُتَكَشِّــفا
إِذًا مــا لَقِينــا جُنْــدَ آلِ مُحَمَّدٍ ... ثَمانِــينَ أَلْفًا واسْــتَمَدُّوا بِخِنْدِفا

وَذَكَرَ فِي آخِرِ بَيْتٍ مِنْ شِعْرِ مالِكِ بنِ عَوْفٍ: [من الكامل]

مِثْلَ الدَّرِيئَةِ تُسْتَحَلُّ وَتُشْرَمُ

الدَّرِيئَةُ: الحَلْقَةُ الّتِي يُتَعَلَّمُ عَلَيْها الطّعْنُ، وَهُوَ مَهْمُوزٌ، وَ«تُسْتَحَلُّ» بِالحاءِ المُهْمَلَةِ، وَقَعَ فِي الأَصْلِ وَفِي غَيْرِهِ: «تُسْتَخَلُّ» بِالخاءِ مُعْجَمةً، وَهُوَ أَظْهَرُ فِي المَعْنى، مِن الخِلالِ، وَقَدْ يَكُونُ لِـ«تُسْتَحَلُّ» وُجَيْهٌ مِن الحلّ؛ إِذْ بَعْدَهُ «وتُشرَمُ»، وكلاهُما قريبٌ في المعنى.

* * *

ذِكْرُ غَزْوَةِ الطَّائِفِ بَعْدَ حُنَيْنٍ في سَنةِ ثَمانٍ

[فُلُولُ ثَقِيفٍ]

وَلَمّا قَدِمَ فَلُّ ثَقِيفٍ الطَّائِفَ أَغْلَقُوا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ مَدِينَتِها، وصَنَعُوا الصَّنائِعَ لِلْقِتالِ.

[المُتَخَلِّفُونَ عَنْ حُنَيْنٍ والطَّائِفِ]

وَلَمْ يَشْهَدْ حُنَيْنًا ولا حِصارَ الطَّائِفِ عُرْوةُ بنُ مَسْعُودٍ، ولا غَيْدَنُ بنُ سَلَمَةَ، كانا بِجُرَشَ يَتَعَلَّمانِ صَنْعةَ الدَّبّاباتِ والمَجانِيقِ والضُّبُورِ.

غَزْوةُ الطَّائِفِ

ذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ النَّسَبِ أَنَّ الدَّمُونَ بنَ الصَّدِفِ، واسمُ الصَّدِفِ: مالكُ بنُ مالكِ بنِ مُرتِعِ بنِ كِندة، من حضْرَموت، أصابَ دَمًا مِنْ قَوْمِهِ، فَلَحِقَ بثَقِيفٍ، فَأَقامَ فِيهِمْ، وَقالَ لَهُمْ: ألا أبني لَكُمْ حائِطًا يُطِيفُ بِبَلَدِكُمْ، فَبَناهُ، فَسُمِّيَ بِهِ الطَّائِفُ. ذَكَرَهُ البَكْرِيُّ هَكَذا[1]، قالَ: وَإِنّما هُوَ الدَّمُونُ بنُ عبيدِ بنِ مالِكِ بنِ دَهْقَلٍ، وَهُوَ مِن الصَّدِفِ، وَلَهُ ابنانِ أَدْرَكا رسولَ الله ﷺ وَبايَعاهُ، اسْمُ أَحَدِهِما: الهُمَيْلُ، والآخَرُ: قَبِيصةُ، وَلَمْ يَذْكُرْهُما أَبُو عُمَرَ فِي «الصَّحابةِ»، وَذَكَرَهُما غَيْرُهُ[2].

---

(١) «معجم ما استعجم» (١: ٦٧)، (٢: ٨٨٦).

(٢) انظر: «أسد الغابة»، ترجمة قبيصة: (٤: ٣٨٢)، وهُميل: (٥: ٤١٥).

وَذَكَرَ أنّ أصْلَ أعْنابِها أنّ قسيَّ بنَ مُنَبِّهٍ ـ وَهُوَ ثَقِيفٌ ـ أصاب دَمًا فِي قَوْمِهِ أيْضًا، وَهُمْ إيادٌ، فَفَرّ إلى الحِجازِ، فَمَرَّ بِامْرَأةٍ[1] يَهُودِيّةٍ فَآوَتْهُ، وَأقامَ عِنْدَها زَمانًا، ثُمّ انْتَقَلَ عَنْها، فَأعْطَتْهُ قُضُبًا مِن الحَبَلَةِ[2] وَأمَرَتْهُ أنْ يَغْرِسَها فِي أرْضٍ وَصَفَتْها لَهُ، فَأتى بِلادَ عَدْوانَ، وَهُمْ سُكّانُ الطّائِفِ فِي ذَلِكَ الزّمانِ، فَمَرّ بِسُخَيْلَةَ جارِيةِ عامِرِ بنِ الظَّرِبِ العَدْوانِيّ، وَهِيَ تَرْعى غَنَمًا، فَأرادَ سِباءَها وَأخْذَ الغَنَم، فقالَتْ لَهُ: ألا أدُلّك على خَيْرٍ مِمّا هَمَمْتَ بِهِ، اقْصِدْ إلى سَيّدِي وَجاوِرْهُ فَهُوَ أكْرَمُ النّاسِ، فَأتاهُ فَزَوّجَهُ مِنْ بِنْتِهِ زَيْنَبَ بِنْتِ عامِرٍ، فَلَمّا جَلَتْ عَدْوانُ عَن الطّائِفِ بِالحُرُوبِ الّتِي وَقَعَتْ بَيْنَها أقامَ قَسِيٌّ، وَهُوَ ثَقِيفٌ، فَمِنْهُ تَناسَلَ أهْلُ الطّائِفِ، وَسُمِّيَ قَسِيًّا بِقَسْوةِ[3] قَلْبِهِ حِينَ قَتَلَ أخاهُ أوِ[4] ابنَ عَمّهِ، وَقِيلَ: سُمِّي ثَقِيفًا لِقَوْلِهِمْ [فِيهِ][5]: ما أثْقَفَهُ حِينَ ثَقِفَ[6] عامِرًا حَتّى أمّنَهُ وَزَوّجَهُ بِنْتَه.

وَذَكَرَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ وَجْهًا آخَرَ فِي سببِ تَسْمِيَتِها بِالطّائِفِ، فَقالَ فِي الجَنّةِ الّتِي ذَكَرَها اللهُ سُبْحانَهُ فِي سُورةِ: ﴿نٓ﴾، حَيْثُ يَقُولُ تبارك وتعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ [القلم: ١٩]. قالَ: كانَ [الطّائِفَ][7] جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السّلامُ، اقْتَلَعَها مِنْ مَوْضِعِها، ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ [القلم: ٢٠]، وَهُوَ اللّيْلُ؛ أي: أصْبَحَ موضعُها كذلك، ثُمّ سارَ بِها إلى مَكّةَ، فَطافَ بِها حَوْلَ البَيْتِ، ثُمّ

---

(١) في (ب): «بيهودية».
(٢) الحَبلة: القضيب من الكَرْم.
(٣) في (ب): «القسوة».
(٤) في (ب)، (ف): «وابن».
(٥) ليس في (ب).
(٦) أي: أدركه وصادفه.
(٧) عن (ص)، (ف).

أَنْزَلَها حَيْثُ الطّائِفُ اليَوْمَ، فَسُمِّيَتْ بِاسْمِ الطّائِفِ الّذي طافَ عَلَيْها، وَطافَ بِها، وَكانَتْ تِلْكَ الجَنّةُ بِضورانَ على فَراسِخَ مِنْ صَنْعاءَ، وَمِنْ ثَمّ كانَ الماءُ والشّجَرُ بِالطّائِفِ دُونَ ما حَوْلَها مِن الأَرَضِينَ، وَكانَتْ قصةُ أصحابِ الجنةِ بعد عيسى بنِ مَرْيَمَ ﷺ بِيَسِيرٍ، ذَكَرَ هَذا الخَبَرَ النّقّاشُ وَغَيْرُهُ.

فَإِنْ قِيلَ: فَإِذا كانَ ثَقِيفٌ هُوَ قَسِيَّ بنَ مُنَبِّهٍ، كَما قالَ ابنُ إِسْحاقَ وَغَيْرُهُ، فَكَيْفَ قالَ سِيبَوَيْهِ حاكِيًا عَن العَرَبِ: ثَقِيف بن قَسِيٍّ، فَجَعَلَهُ ابنًا لِقَسِيّ؟

قِيلَ: إِنّما أرادَ سِيبَوَيْهِ أنّ الحَيّ سُمِّيَ ثَقِيفًا[١]، وَهُمْ بَنُو قَسِي، كما قالوا: باهلة ابن أعْصَرَ، وَإِنّما هِيَ أُمُّهُمْ، وَلَكِنْ سُمِّيَ الحَيّ بِها، ثُمّ قِيلَ فِيهِ: ابنُ أَعْصَرَ[٢]، فكَذَلِكَ[٣] قالُوا: ثَقِيفُ بنُ قَسِيّ على هَذا، وَيُقَوِّي هَذا أنّ سِيبَوَيْهِ إنّما قالَ حاكِيًا: هَؤُلاءِ ثقيفُ بنُ قسيٍّ[٤].

فَصْلٌ

وَذَكَرَ تَعَلُّمَ أهْلِ الطّائِفِ صَنْعَةَ الدَّبّاباتِ والمَجانِيقِ والضُّبُورِ.

الدَّبّابَةُ: آلَةٌ مِنْ آلاتِ الحَرْبِ يَدْخُلُ فِيها الرّجالُ فَيَدُنونَ[٥] بها إلى الأسْوارِ لِيَنْقُبُوها. والضُّبُورُ: مِثْلُ رُؤُوسِ الأسْفاطِ[٦] يُتّقى بِها [فِي الحَرْبِ][٧]

(١) في (ب)، (ج)، (ص): «بثقيف».

(٢) في (ف): «يعصر».

(٣) كذا في (ب)، وفي (س)، (ف): «كذلك»، وما عداها: «لذلك».

(٤) «الكتاب» (٣: ٢٥٢).

(٥) كذا في (س)، (ف)، وفي غيرهما: «فيدبون».

(٦) الأسفاط: جمع سَفَط، وهو كالقُفّة.

(٧) ليس في (ص).

عِنْدَ الِانْصِرافِ، وَفِي «العَيْنِ»: الضَّبْرُ: جُلُودٌ يُغَشّى بِها خَشَبٌ يُتّقى بها فِي الحَرْبِ[١]. وَفِي الحَدِيثِ عَنِ الزُّهْرِيّ: «أَنّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالى حِينَ مَسَخَ بَنِي إِسْرائِيلَ قِرَدةً مَسَخَ رُمّانَهُم المَظّ، وَبُرَّهُم الذّرةَ، وَعِنَبَهُم الأراك، وَجَوْزَهُم الضَّبْرَ»، وَهُوَ مِنْ شَجَرِ البَرِيّةِ، وَلَهُ ثَمَرٌ كالجَوْزِ لا نَفْعَ فِيهِ، فَهَذا مَعْنًى آخَرُ [غَيْرُ الأَوّلِ][٢]، وقالَ أَبُو حَنِيفَةَ فِي الضّبْرِ: إِنّهُ كالجَوْزِ يُنَوِّرُ وَلا يُطْعَمُ. قالَ: وَيُقالُ: أَظَلُّ الظِّلالِ ظِلُّ الضَّبرةِ وَظِلّ التّنْعِيمةِ[٣] وَظِلّ الحجرِ. قالَ: وَوَرَقُها كبارٌ كَثِيفةٌ، فَكانَ ظِلُّها لِذَلِكَ أَلْمى[٤].

وَأَمّا المَظُّ الّذِي تَقَدّمَ ذِكْرُهُ فِي الحَدِيثِ فَهُوَ رُمّانُ البَرّ يُنَوِّرُ وَلا يُثْمِرُ، وَلَهُ جُلَّنارٌ[٥] كَما لِلرُّمّانِ يُمْتَصُّ مِنْهُ المَذَخُ[٦]، وَهُوَ عَسَلٌ كَثِيرٌ يُشْبِعُ مَنِ امْتَصّهُ حَتّى يَمْلَأَ بَطْنَهُ، ذَكَرَهُ أَبُو حَنِيفةَ في النّباتِ[٧].

وَأَمّا المَجانِيقُ: فَمَعْرُوفةٌ، وَهِيَ أَعْجَمِيّةٌ عَرّبَتْها العَرَبُ. قالَ كُراعٌ[٨]: كُلُّ كَلِمةٍ فِيها جِيمٌ وَقافٌ، أَوْ جِيمٌ وَكافٌ فَهِيَ أَعْجَمِيّةٌ، وَذَلِكَ كالجُوالَقِ[٩]

---

(١) انظر: «مختصر العين» للزبيدي: (٢: ١٥٦).

(٢) ليس في (ب).

(٣) التنعيمة: شجرة ناعمة الورق، ورقها كورق السلق، ولا تنبت إلا على ماء، ولا ثمر لها، وهي خضراء غليظة الساق.

(٤) ظل ألمى: كثيف.

(٥) الجلّنار: زهر الرمان، معرب كلَّنار.

(٦) المَذَخ: محركة، وضبط في «اللسان» بالسكون.

(٧) «النبات» (ص: ٢٦٧).

(٨) هو أبو الحسن علي بن الحسن الهُنائي، يعرف بكُراع النمل، لغوي نحوي، مصري، توفي بعد سنة (٣٠٩هـ).

(٩) الجوالق بكسر الجيم واللام، وبضم الجيم وفتح اللام وكسرها: وعاء، ويُجمَع على =

والجَوْلَقِ وَجِلّقٍ، والكَيْلَجةِ وهو[1] مِكْيالٌ صَغيرٌ، والكفجلار[2] وَهِيَ المِغْرَفةُ، والقَبْجُ وَهُوَ الحَجَلُ[3] وَما كانَ نَحْوَ ذَلِكَ، والمِيمُ فِي مَنْجَنِيقٍ أَصْلِيّةٌ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ والنّونُ زائِدةٌ؛ وَلِذَلِكَ سَقَطَتْ فِي الجَميعِ[4].

[مَسِيرُ الرَّسُولِ إلى الطّائِفِ وشِعْرُ كَعْبٍ]

ثُمَّ سارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى الطّائِفِ حِينَ فرَغَ مِنْ حُنَيْنٍ، فقالَ كَعْبُ ابنُ مالِكٍ، حِينَ أَجْمَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ السَّيْرَ إلى الطّائِفِ:

قَضَيْنا مِنْ تِهامــةَ كُلَّ رَيْبٍ ... وخَيْــبَرَ ثمَّ أَجْمَمْنا السُّــيُوفا
نُخَيِّرُها ولَوْ نَطَقَــتْ لَقالَتْ ... قَواطِعُهُــنَّ: دَوْسًــا أَوْ ثَقِيفًا
فَلَسْــتُ لِحاضِنٍ إنْ لَمْ تَرَوْها ... بِســاحةِ دارِكُــم مِنّــا أُلُوفا
وَنَنْتَزِعُ العُــرُوشَ بِبَطْنِ وجٍّ ... وتُصْبِحُ دُورُكُمْ مِنْكُمْ خُلُوفا
وَيَأْتِيكُمْ لَنــا سَرَعانُ خَيْلٍ ... يُغــادِرُ خَلْفَهُ جَمْعًــا كَثِيفا
إذا نَزَلُوا بِساحَتِكُمْ سَمِعْتُمْ ... لَهَــا مِمّا أنــاخَ بِهــا رَجِيفا
بِأَيْدِيهِمْ قَواضِــبُ مُرْهَفاتٌ ... يُزِرْنَ المُصْطَلِينَ بِها الحُتُوفا
كَأَمْثالِ العَقائِــقِ أَخْلَصَتْها ... قُيُونُ الهِنْدِ لَمْ تُضْرَبْ كَتِيفا

= جَوالق كصحائف، وجواليق. والجولق: شوك. وجِلَّق بكسر الجيم واللام مشددة ومفتوحة: دمشق.

(١) كذا في (ج)، (ص)، وفي غيرهما: «وهي». والأَولى التذكير مراعاةً للخبر.

(٢) كذا في (أ)، وفي (ص): «والكبجلان»، وفي (ح)، (ج)، (ب): «والكفجلان»، وفي نسخة في (س): «والكفجلا»، وفي أخرى: «والكجلان».

(٣) الحَجَل: طائر في حجم الحمام أحمر المنقار والرجلين، طيب اللحم.

(٤) أي الجمع، فقالوا: مجانيق. وانظر: «الكتاب» (٤: ٣٠٩).

تَخـــالُ جَدِيّةَ الأبْطـــالِ فيها غَداةَ الزَّحْـــفِ جادِيًّا مَدُوفا
أجِدَّهُـــمْ ألَيْسَ لَهُـــمْ نَصِيحٌ مِن الأقْـــوامِ كانَ بِنا عَرِيفا
يُخَبِّرُهُـــمْ بِأنّـــا قَـــدْ جَمَعْنا عِتاقَ الخَيْلِ والنُّجُبَ الطُّرُوفا
وَأنّـــا قـــد أتَيناهُـــم بزَحْفٍ يُحِيطُ بِسُورِ حِصْنِهِمْ صُفُوفا
رَئِيسُـــهُمُ النَّـــبِيُّ وكانَ صُلْبًا نَقِيَّ القَلْـــبِ مُصْطَبِرًا عَزُوفا
رَشِيدُ الأمْرِ ذُو حُكْمٍ وعِلْمٍ وحِلْمٍ لَـــمْ يَكُنْ نَزِقًا خَفِيفا
نُطِيـــعُ نَبِيَّنـــا ونُطِيـــعُ رَبًّا هُـــوَ الرَّحْمَنُ كانَ بِنـــا رَؤُوفا
فَإنْ تُلْقُوا إلَيْنا السَّـــلْمَ نَقْبَلْ ونَجْعَلْكُمْ لَنا عَضُدًا ورِيفا
وَإنْ تَأْبَوْا نُجاهِدْكُمْ ونَصْبِرْ ولا يَكُ أمْرُنا رَعِشًـــا ضَعِيفا
نُجـــالِدُ مـــا بَقِينـــا أوْ تُنِيبُوا إلى الإسْـــلامِ إذْعانًا مُضِيفا
نُجاهِـــدُ لا نُبالِي مَـــنْ لَقِينا أأهْلَكْنا التِّـــلادَ أمِ الطَّرِيفا
وَكَمْ مِنْ مَعْـــشَرٍ ألَبُوا عَلَيْنا صَمِيمَ الجِذْمِ مِنْهُمْ والحَلِيفا
أتَوْنـــا لا يَـــرَوْنَ لَهُـــمْ كِفاءً فجَدَّعْنا المَســـامِعَ والأُنُوفا
بِـــكُلِّ مُهَنَّدٍ لَـــيْنٍ صَقِيلٍ يَسُـــوقُهُمْ بِها سَـــوْقًا عَنِيفا
لِأمْـــرِ اللهِ والإسْـــلامِ حَتّى يَقُومَ الدِّينُ مُعْتَـــدِلًا حَنِيفا
وَتُنْسى الـــلّاتُ والعُزّى ووَدٌّ ونَسْـــلُبُها القَلائِدَ والشُّنُوفا
فَأمْسَـــوْا قَدْ أقَرُّوا واطْمَأنُّوا ومَنْ لا يَمْتَنِعْ يَقْبَلْ خُسُوفا

وذكر شعرَ كعبٍ وفيه: [من الوافر]

وَكَمْ مِنْ مَعْشَـــرٍ ألَبُوا عَلَيْنا

أيْ: جَمَعُوا [علينا][١]، و«صَمِيمَ الجِذْم» مَفْعُولٌ بِـ«ألَبُوا».

وَفِيهِ يَصِفُ السُّيُوفَ: [من الوافر]

كأمثــالِ العقائــقِ أخلصَتْها قُيونُ الهندِ لــم تُضْرَبْ كتِيفا

العَقائِقُ: جَمْعُ عَقِيقةٍ، وَهُوَ البَرْقُ ينْعَقُّ[٢] عَنْهُ السَّحابُ.

وَقَوْلُهُ: «لَمْ تُضْرَبْ كَتِيفا» جَمْعُ كَتِيفةٍ، وَهِيَ صَفيحةٌ مِنْ حَدِيدٍ صَغِيرةٌ، وَأَصْلُ الكَتِيفِ: الضّيّقُ مِنْ كُلّ شَيْءٍ.

* * *

(١) عن (ب).

(٢) انعقَّتِ السحابة: تبعَّجت بالماء. وكل انشقاق انعقاق.

[شِعْرُ كِنانةَ في الرَّدِّ على كَعْبٍ]

فَأجابَهُ كِنانةُ بنُ عَبدِ ياليلَ بنِ عَمْرِو بنِ عُمَيْرٍ، فقالَ:

مَـــنْ كانَ يَبْغِينا يُرِيـــدُ قِتالَنا ... فإنّا بِـــدارٍ مَعْلَـــمٍ لا نَرِيمُها

وَجَدْنا بِها الآباءَ مِنْ قَبْلِ ما تَرى ... وكانَتْ لَنـــا أطْواؤُها وكُرُومُها

وَقَدْ جَرَّبَتْنا قَبْلُ عَمْرُو بنُ عامِرٍ ... فأخْبَرَها ذُو رَأْيِهـــا وحَلِيمُها

وَقَدْ عَلِمَتْ إنْ قالَتِ الحَقَّ أنَّنا ... إذا ما أبَتْ صُعْرُ الخُدُودِ نُقِيمُها

نُقَوِّمُها حَتّى يَلِينَ شَرِيسُـــها ... ويُعْرَفُ لِلْحَقِّ المُبِينِ ظَلُومُها

عَلَيْنا دِلاصٌ مِنْ تُراثِ مُحَرِّقٍ ... كَلَوْنِ السَّـــماءِ زَيَّنَتْها نُجُومُها

نُرَفِّعُهـــا عَنّا بِبِيـــضٍ صَوارِمٍ ... إذا جُرِّدَتْ في غَمْرَةٍ لا نَشِيمُها

[شِعْرُ شَدّادٍ في المَسِيرِ إلى الطّائِفِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ شَدّادُ بنُ عارِضٍ الجُشَمِيُّ في مَسِيرِ رَسُولِ الله ﷺ إلى الطّائِفِ:

لا تَنْصُرُوا اللّاتَ إنَّ اللهَ مُهْلِكُها ... وكَيْفَ يُنْصَرُ مَنْ هُوَ لَيْسَ يَنْتَصِرُ

إنَّ الَّتِي حُرِّقَتْ بِالسُّدِّ فاشْتَعَلَتْ ... ولَمْ يُقاتَـــلْ لَدى أحْجارِها هَدَرُ

إنَّ الرَّسُـــولَ مَتى يَنْزِلْ بِلادَكُمُ ... يَظْعَنْ ولَيْـــسَ بِها مِنْ أهْلِها بَشَرُ

وذَكَرَ شعرَ كنانةَ بنِ عبدِ ياليلَ الثَّقَفِيّ، وَفِيهِ: «أطْواؤُها وَكُرُومُها»، الأطْواءُ: جَمْعُ طَوِيّ، وَهِيَ البِئْرُ، جُمِعَتْ على غَيْرِ قِياسٍ، تَوَهّمُوا سُقُوطَ ياءِ فَعِيلٍ مِنْها

إِذْ كانَتْ زائِدةً.

وَفِيه: [من الطويل]

وَقَــدْ جَرّبْتْنا قَبْلُ عَمْــرُو بنُ عامِرِ

إنّما قالَ هَذا جَوابًا لِلْأنْصارِ؛ لِأنّهُمْ بَنُو حارِثةَ بنِ ثَعْلَبةَ بنِ عَمْرِو بن عامر، وعمرٌو هُوَ مُزَيْقِياء، وَعامِرٌ هُوَ ماءُ السّماءِ، وَلَمْ يُرِدْ أنّ الأنْصار جَرَّبَتْهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ، وَإنّما أرادَ إخْوَتَهُمْ، وَهُمْ خُزاعةُ؛ لِأنّهُمْ بَنُو رَبِيعةَ بنِ حارِثةَ بنِ عَمْرِو بنِ عامِرٍ فِي أحَدِ القَوْلَيْنِ، وَقَدْ كانُوا حارَبُوهُمْ عِنْدَ نُزُولِهِمْ مكّة، وقال البكريُّ في معنى هَذا البَيْتِ: إنّما أرادَ بَنِي عَمْرِو بنِ عامِرِ بن صَعْصَعةَ، وَكانُوا مُجاوِرِينَ لِثقِيفٍ وَأُمّهُمْ عَمْرةُ بِنْتُ عامِرِ بنِ الظّرِبِ العَدْوانِيّ، وَأُخْتُها زَيْنَبُ كانَتْ تَحْتَ ثَقِيفٍ، وَأكْثَرُ قَبائِلِ ثَقِيفٍ مِنْها، وَكانَتْ ثَقِيفٌ قَدْ أنْزَلَتْ بَنِي عَمْرِو بن عامِرِ فِي أرْضِهِمْ[1] لِيَعْمَلُوا فِيها، وَيَكُونَ لَهُم النِّصْفُ من الزَّرْعِ والثّمَرِ، ثُمّ إنّ ثَقِيفًا مَنَعَتْهُمْ ذَلِكَ، وَتَحَصَّنُوا مِنْهُمْ بِالحائِطِ الّذِي بَنَوْهُ حَوْلَ حاضِرِهِمْ، فَحارَبَتْهُمْ بَنُو عَمْرِو بنِ عامِرٍ، فَلَمْ يَظْفَرُوا مِنْهُمْ بِشَيْءٍ، وَجَلَوْا عَنْ تِلْكَ البِلادِ، وَلِذَلِكَ يَقُولُ كِنانةُ: [من الطويل]

وَقَدْ جَرّبَتْنا قَبْلُ عَمْرُو بنُ عامِرِ

البَيْتُ ذَكَرَهُ البَكْرِيّ فِي خَبَرٍ طَوِيلٍ لَخّصْتُهُ[2].

* * *

(١) في (ج)، (ص): «أرضها».

(٢) «معجم ما استعجم» (١: ٧٧-٧٨)، ولكن هذا البيت مع ثلاثة أبيات أُخَر نسبها البكري إلى الأجَشِّ بن مرداس بن عمرو بن عامر، وليس لكنانة بن عبد ياليل.

[الطَّرِيقُ إلى الطّائِفِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فسَلَكَ رَسُولُ الله ﷺ على نَخْلَةَ اليَمانِيةِ، ثُمَّ على قَرْنٍ، ثُمَّ على المُلَيْحِ، ثُمَّ على بُحْرةِ الرُّغاءِ مِنْ لِيّةَ، فابْتَنى بِها مَسْجِدًا فصَلّى فيهِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي عَمْرُو بنُ شُعَيْبٍ: أنَّهُ أقادَ يَوْمَئِذٍ بِبُحْرةِ الرُّغاءِ حِينَ نَزَلَها بِدَم، وهُوَ أوَّلُ دَمٍ أُقِيدَ بِهِ في الإسْلامِ، رَجُل مِنْ بَنِي لَيْثٍ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ هُذَيْلٍ، فقَتَلَهُ بِهِ، وأمَرَ رَسُولُ الله ﷺ وهُوَ بِلِيّةَ بِحِصْنِ مالِكِ ابنِ عَوْفٍ فهُدِمَ، ثُمَّ سَلَكَ في طَرِيقٍ يُقالُ لَها: الضَّيْقةُ، فلَمّا تَوَجَّهَ فيها رَسُولُ الله ﷺ سَأَلَ عَنِ اسْمِها، فقالَ: «ما اسْمُ هَذِهِ الطَّرِيقِ؟» فقِيلَ لَهُ: الضَّيْقةُ، فقالَ: «بَلْ هِيَ اليُسْرى»، ثُمَّ خَرَجَ مِنْها على نَخْبٍ، حَتّى نَزَلَ تَحْتَ سِدْرةٍ يُقالُ لَها: الصّادِرةُ، قَرِيبًا مِنْ مالِ رَجُلٍ مِنْ ثَقِيفٍ، فأرْسَلَ إلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ: «إمّا أنْ تَخْرُجَ، وإمّا أنْ نُخْرِبَ عَلَيْكَ حائِطَكَ»، فأبى أنْ يَخْرُجَ، فأمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بِإخْرابِهِ. ثُمَّ مَضى رَسُولُ الله ﷺ حَتّى نَزَلَ قَرِيبًا مِن الطّائِفِ، فضَرَبَ بِهِ عَسْكَرَهُ، فقُتِلَ بِهِ ناسٌ مِنْ أصْحابِهِ بِالنَّبْلِ، وذلك أنَّ العَسْكَرَ اقْتَرَبَ مِنْ حائِطِ الطّائِفِ، فكانَتِ النَّبْلُ تَنالُهُمْ، ولَمْ يَقْدِرِ المُسْلِمُونَ على أنْ يَدْخُلُوا حائِطَهُمْ، أغْلَقُوهُ دُونَهُمْ، فلَمّا أُصِيبَ أُولَئِكَ النَّفَرُ مِنْ أصْحابِهِ بِالنَّبْلِ وضَعَ عَسْكَرَهُ عِنْدَ مَسْجِدِهِ الَّذي بِالطّائِفِ اليَوْمَ، فحاصَرَهُمْ بِضْعًا وعِشْرِينَ لَيْلةً.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: سَبْعَ عَشْرةَ لَيْلةً.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومَعَهُ امْرَأتانِ مِنْ نِسائِهِ، إحْداهُما أُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أبي أُمَيّةَ، فَضَرَبَ لَهُما قُبَّتَيْنِ، ثُمَّ صَلّى بَيْنَ القُبَّتَيْنِ، ثُمَّ أقامَ، فلَمّا أسْلَمَتْ ثَقِيفٌ بَنى على مُصَلّى رَسُولِ الله ﷺ عَمْرُو بنُ أُمَيّةَ بنِ وهْبِ بنِ مُعَتِّبِ بنِ مالِكٍ مَسْجِدًا، وكانَتْ في ذلك المَسْجِدِ سارِيَةٌ - فيما يَزْعُمُونَ - لا تَطْلُعُ الشَّمْسُ عَلَيْها يَوْمًا مِن الدَّهْرِ إلّا سُمِعَ لَها نَقِيضٌ، فحاصَرَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ، وقاتَلَهُمْ قِتالًا شَدِيدًا، وتَرامَوْا بِالنَّبْلِ.

[الرَّسُولُ أوَّلُ مَنْ رَمى بِالمَنْجَنِيقِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: ورَماهُمْ رَسُولُ الله ﷺ بِالمَنْجَنِيقِ. حَدَّثَنِي مَنْ أثِقُ بِهِ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ أوَّلُ مَنْ رَمى في الإسْلامِ بِالمَنْجَنِيقِ، رَمى أهْلَ الطّائِفِ.

[يَوْمُ الشَّدْخةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَتّى إذا كانَ يَوْمُ الشَّدْخةِ عِنْدَ جِدارِ الطّائف، دخل نَفَرٌ مِنْ أصْحابِ رَسُولِ الله ﷺ تَحْتَ دَبّابةٍ، ثُمَّ زَحَفُوا بِها إلى جِدارِ الطّائِفِ لِيَخْرِقُوهُ، فأرْسَلَتْ عَلَيْهِمْ ثَقِيفٌ سِكَكَ الحَدِيدِ مُحْماةً بِالنّارِ، فخَرَجُوا مِنْ تَحْتِها، فرَمَتْهُمْ ثَقِيفٌ بِالنَّبْلِ، فقَتَلُوا مِنْهُمْ رِجالًا، فأمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بِقَطْعِ أعْنابِ ثَقِيفٍ، فوَقَعَ النّاسُ فيها يَقْطَعُونَ.

[المُفاوَضةُ مَعَ ثَقِيفٍ]

وَتَقَدَّمَ أبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ والمُغِيرةُ بنُ شُعْبةَ إلى الطّائِفِ، فنادَيا ثَقِيفًا: أنْ أمِّنُونا حَتّى نُكَلِّمَكُمْ، فأمَّنُوهُما، فدَعَوْا نِساءً مِنْ نِساءٍ مِنْ

قُرَيْشٍ وبَنِي كِنانةَ لِيَخْرُجْنَ إلَيْهِما، وهُما يَخافانِ عَلَيْهِنَّ السِّباءَ، فأَبَيْنَ، مِنْهُنَّ آمِنةُ بِنْتُ أبي سُفيانَ، كانَتْ عِنْدَ عُرْوةَ بنِ مَسْعُودٍ، لَهُ مِنْها داوُدُ بنُ عُرْوةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ إنَّ أُمَّ داوُدَ مَيْمُونة بِنْت أبي سُفيانَ، وكانَتْ عِنْدَ أبي مُرّةَ بنِ عُرْوةَ بنِ مَسْعُودٍ، فوَلَدَتْ لَهُ داوُدَ بنَ أبي مُرّةَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: والفِراسِيّةُ بِنْتُ سُوَيْدِ بنِ عَمْرِو بنِ ثَعْلَبةَ، لَها عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ قارِبٍ، والفُقَيْمِيّةُ أُمَيْمة بنت النّاسِئِ أُمَيّةَ بنِ قلعٍ، فلَمّا أبَيْنَ عَلَيْهِما، قالَ لَهُما ابنُ الأسْوَدِ بنِ مَسْعُودٍ: يا أبا سُفيانَ ويا مُغِيرةُ، ألا أدُلُّكُما على خَيْرٍ مِمّا جِئْتُما لَهُ، إنَّ مالَ بَنِي الأسْوَدِ بنِ مَسْعُودٍ حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُما ـ وكانَ رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَهُ وبَيْنَ الطّائِفِ نازِلًا بِوادٍ يُقالُ لَهُ: العَقِيقُ ـ إنَّهُ لَيْسَ بِالطّائِفِ مالٌ أبْعَدُ رِشاءً، ولا أشَدُّ مُؤْنةً، ولا أبْعَدُ عِمارةً مِنْ مالِ بَنِي الأسْوَدِ، وإنَّ مُحَمَّدًا إنْ قَطَعَهُ لَمْ يُعْمَرْ أبَدًا، فكَلِّماهُ فلْيَأْخُذْ لِنَفْسِهِ، أوْ لِيَدَعْهُ لله والرَّحِمِ، فإنَّ بَيْنَنا وبَيْنَهُ مِن القَرابةِ ما لا يُجْهَلُ. فزَعَمُوا أنَّ رَسُولَ الله ﷺ تَرَكَهُ لَهُمْ.

[رُؤْيا الرَّسُولِ وتَفْسِيرُ أبي بَكْرٍ لَها]

وَقَدْ بَلَغَنِي أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ لِأبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وهُوَ مُحاصِرٌ ثَقِيفًا: «يا أبا بَكْرٍ، إنِّي رَأيْتُ أنِّي أُهْدِيَتْ لِي قَعْبةٌ مَمْلُوءةٌ زُبْدًا، فنَقَرَها دِيكٌ، فهَراقَ ما فيها». فقالَ أبو بَكْرٍ: ما أظُنُّ أنْ تُدْرِكَ مِنْهُمْ يَوْمَكَ هذا ما تُرِيدُ. فَقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وأنا لا أرى ذلكَ».

فَصْلٌ

وَذَكَرَ حِصارَ الطّائِفِ، وَأنّ أوّلَ مَنْ رَمى بِالمَنْجَنِيقِ فِي الإسْلامِ رسولُ الله ﷺ.

قالَ المُؤَلّفُ أبو القاسم: وَأمّا فِي الجاهِلِيّةِ: فَيُذْكَرُ أنّ جَذِيمةَ بنَ مالِكِ بنِ فَهْمِ بنِ غَنْمِ بنِ دَوْسٍ، وَهُوَ المَعْرُوفُ بِالأبْرَشِ، أوّلُ مَنْ رَمى بِالمَنْجَنِيقِ(١)، وهو من ملوكِ الطّوائف، وكان يُعرَفُ بِالوَضّاحِ، وَيُقالُ لَهُ أيْضًا: مُنادِمُ الفَرْقَدَيْنِ؛ لِأنّهُ رَبَأ بِنَفْسِهِ عَنْ مُنادَمةِ النّاسِ، وكانَ إذا شربَ نادمَ الفرقَدين عُجْبًا بِنَفْسِهِ، ثُمّ نادَمَ بَعْدُ مالِكًا وَعَقِيلًا اللّذَيْنِ يَقُولُ فِيهِما مُتَمِّمٌ(٢): [من الطويل]

وَكُنّا كَنَدْمانَيْ جَذِيمةَ حِقْبةً ... مِن الدَّهْرِ حَتّى قِيلَ: لَنْ يَتَصَدّعا

وَيُذْكَرُ أيْضًا أنّهُ أوّلُ مَنْ أوْقَدَ الشّمْعَ(٣).

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر: «الأوائل» لأبي هلال العسكري: (١: ١٢٠).

(٢) هو متمم بن نويرة التميمي، صحابي، من قصيدة يرثي فيها أخاه مالكًا. انظر: «المفضليات» (ص: ٢٦٥) وما بعدها.

(٣) انظر: «أمثال العرب» للمفضل الضبي: (ص: ١٤٤). (ج)

[ارْتِحالُ المُسْلِمِينَ، وسَبَبُ ذلك]

ثُمَّ إنَّ خُوَيْلَةَ بِنْتَ حَكِيمِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ حارِثَةَ بنِ الأَوْقَصِ السُّلَمِيَّةَ ـ وهِيَ امْرَأَةُ عُثْمانَ ـ قالَتْ: يا رَسُولَ الله، أَعْطِنِي إنْ فتحَ الله عَلَيْكَ الطّائِفَ حُلِيَّ بادِيَةَ بِنْتِ غَيْلانَ بنِ مَظْعُونِ بنِ سَلَمَةَ، أَوْ حُلِيَّ الفارِعَةِ بِنْتِ عَقِيلٍ. وكانَتا مِنْ أَحْلى نِساءِ ثَقِيفٍ.

فَذُكِرَ لِي أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ لَهَا: «وإنْ كانَ لَمْ يُؤْذَنْ لِي في ثَقِيفٍ يا خُوَيْلَةُ؟» فخَرَجَتْ خُوَيْلَةُ، فذَكَرَتْ ذلك لِعُمَرَ بنِ الخَطّابِ، فدَخَلَ على رَسُولِ الله ﷺ، فقالَ: يا رَسُولَ الله، ما حَدِيثٌ حَدَّثَتْنِيهِ خُوَيْلَةُ، زَعَمَتْ أَنَّكَ قُلْتَهُ؟ قالَ: «قَدْ قُلْتُهُ»، قالَ: أَوَما أُذِنَ لَكَ فيهِمْ يا رَسُولَ الله؟ قالَ: «لا». قالَ: أَفَلا أُؤَذِّنُ بِالرَّحِيلِ؟ قالَ: بَلى. قالَ: فأَذَّنَ عُمَرُ بِالرَّحِيلِ.

وَذَكَرَ حُلِيَّ بادِيَةَ بِنْتِ غَيْلانَ، وَهُوَ غَيْلانُ بنُ سَلَمةَ الثَّقَفِيّ، وَهُوَ الّذِي أَسْلَمَ وَعِنْدَهُ عَشْرُ نِسْوةٍ، فَأَمَرَهُ رسولُ الله ﷺ أَنْ يُمْسِكَ أَرْبَعًا، وَيُفارِقَ سائِرَهُنّ[١]، فَقالَ فُقَهاءُ الحِجازِ: يَخْتارُ أَرْبَعًا، وَقالَ فُقَهاءُ العِراقِ: بَلْ يُمْسِكُ الّتِي تَزَوّجَ أَوّلًا، ثُمّ الّتِي تَلِيها إلى الرّابعةِ، واحْتَجّ فُقَهاءُ الحِجازِ بأَنّ رسولَ الله ﷺ لَمْ يَسْتَفْصِلْهُ[٢] أَيَّهنّ تَزَوّجَ أَوّلُ[٣]، وَتَرْكُهُ لِلاسْتِفْصالِ دَلِيلٌ على أَنّهُ مُخَيّرٌ حَتّى

(١) أخرجه الترمذي في أبواب النكاح؛ «عارضة الأحوذي» (٥: ٦٠-٦١).

(٢) لم يسأله بيان من تزوجها أول الأمر.

(٣) في (ب)، (ج)، (س): «أولًا»، وكلٌّ صواب.

جَعَلَ الأُصُولِيّونَ مِنْهُمْ هَذا أَصْلًا مِنْ أُصُولِ [العُمُومِ، فَقالَ][1] أَبُو المَعالِي فِي كِتابِ «البُرْهان»: تَرْكُ الِاسْتِفْصالِ فِي حِكاياتِ الأَحْوالِ مَعَ الِاحْتِمالِ يَتَنَزَّلُ مَنْزِلَةَ العُمُومِ فِي المَقالِ، كَحَدِيثِ غَيْلانَ.

وَغَيْلانُ هَذا هُوَ الّذِي قَدِمَ على كِسْرى، فَسَأَلَهُ: أيُّ وَلَدِهِ أحَبُّ إلَيْهِ؟ فقالَ غَيْلانُ: الغائِبُ حَتّى يَقْدَمَ، والمَرِيضُ حَتّى يُفِيقَ، والصّغِيرُ حَتّى يَكْبَرَ، فَقالَ لَهُ كِسْرى: ما غِذاؤُك فِي بَلَدِك؟ قالَ: الخُبْزُ. قالَ: هَذا عَقْلُ الخُبْزِ، تَفْضِيلًا لِعَقْلِهِ على عُقُولِ[2] أَهْلِ الوَبر. وَنَسَبَ المُبَرّدُ[3] هَذِهِ الحِكايَةَ مَعَ كِسْرى إلى هَوْذَةَ بنِ عَلِيٍّ الحَنَفِيّ، والصّحِيحُ عِنْدَ الأَخْبارِيّينَ ما قَدّمْناهُ، وَكَذَلِكَ قالَ أَبُو الفَرَجِ.

وَأَمّا بادِيةُ ابنَتُهُ، فَقَدْ قِيلَ فِيها: بادِنةُ بِالنّونِ، والصّحِيحُ بِالياءِ، وَكَذَلِكَ رُوِيَ عَنْ مالِكٍ، وَهِيَ الّتِي قالَ فِيها هِيتٌ المُخَنّثُ لِعَبْدِ اللهِ بنِ أَبِي أُمَيّةَ: إنْ فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُم الطّائِفَ، فَإِنّي أَدُلُّك على بادِيَةَ بِنْتِ غَيْلانَ؛ فَإِنّها تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ وَتُدْبِرُ بِثَمانٍ، فَسَمِعَهُ رسولُ الله ﷺ، فقال: «قاتلكَ اللهُ، لَقَدْ أَمْعَنْتَ النّظَرَ»، وَقالَ: «لا يَدْخُلَنّ هَؤُلاءِ عَلَيْكُنّ»[4] ثُمّ نَفاهُ لِرَوْضةِ خاخٍ[5]، فَقِيلَ: إنّهُ كادَ يَمُوتُ [بِها][6] جُوعًا، فَأَذِنَ لَهُ أَنْ يَدْخُلَ المَدِينةَ كُلَّ جُمُعةٍ يَسْأَلُ النّاسَ.

وَيُرْوى فِي الحَدِيثِ زِيادةٌ لَمْ تَقَعْ فِي «الصّحِيحِ» بَعْدَ قَوْلِهِ: وَتُدْبِرُ بِثَمانٍ:

---

(١) ليس في (ب).

(٢) في (ب): «على عقل الدبر».

(٣) «الكامل» (٢: ٥٣٨-٥٣٩).

(٤) «الموطأ»، كتاب الوصية: (٢: ٧٦٧).

(٥) خاخ: موضع بين الحرمين، ويقال له: روضة خاخ، بقرب حمراء الأسد من المدينة.

(٦) ليس في (أ)، (ف).

مَعَ ثَغْرٍ كالأُقْحُوانِ، إنْ قامَتْ تَثَنّتْ، وَإنْ قَعَدَتْ تَبَنَّتْ[١]، وإنْ تَكَلّمَتْ تَغنّتْ - يَعْنِي: مِن الغُنّةِ، والأَصْلُ: تَغَنَّنَتْ، فَقُلِبَتْ إحْدى النّونَيْنِ ياءً - وَهِيَ هَيْفاءُ شَمُوعٌ نَجْلاءُ. كَما قالَ قَيْسُ بنُ الخَطِيمِ[٢]: [من المنسرح]

بَيْضاء فَرْعــاء يُسْـتَضاءُ بِها ... كَأَنّها خُــوطُ بانــةٍ قَصِفُ[٣]

تغترِفُ الطّـرْفَ وَهْيَ لاهِيَةٌ ... كَأنّما[٤] شَفَّ وَجْهَها نَزَفُ[٥]

تَنــامُ عَــنْ كِبْــرِ شَـأْنِها فَإذا ... قامَتْ رُوَيْـدًا تَكادُ تَنْغَرِفُ[٦]

وَفِي هَذا البَيْتِ صَحّفَ ابنُ دُرَيْدٍ، أَعْنِي قَوْلَهُ: تَغْتَرِف[٧]، فَقالَ: هُوَ بِالعَيْنِ المُهْمَلةِ، حَتّى هُجِيَ بِذَلِكَ، فَقِيلَ[٨]: [من المنسرح]

أَلَسْتَ قِدْمًا جَعَلْتَ «تَعْتَرِفُ الـ ... ـطّرْفَ» بِجَهْلٍ[٩] مَكانَ «تَغْتَرِفُ»

وقُلْــتَ: «كانَ الخِبــاءُ مِنْ أَدَمٍ ... وَهوَ حِباءٌ يُهْــدى ويُصطدَفُ»

وَكانَ صَحّفَ أيْضًا قَوْلَ مُهَلْهَلٍ، فَقالَ فِيهِ: الخِباء[١٠].

---

(١) أي: فَرّجتْ رِجْلَيها لِضِخَمِ رَكَبها.

(٢) «ديوانه» (ص: ٥٥-٥٧). وانظر ما حاوله المحقق في ضبط الأبيات.

(٣) فوقه في (أ): «بالصاد والضاد». وخُوط: قضيب. قَصِف: خوار ناعم يتثنى.

(٤) في (ف): «كأنها».

(٥) يقول: من نظر إليها استغرقت طرفه وبصره، وشغلته عن النظر إلى غيرها. وهي لاهية غير محتفلة. والنزف: خروج الدم، أراد أن في لونها مع البياض حمرة.

(٦) تنغرف: تسقط.

(٧) في (ف): «تغترق»، وفي (ب): «تغترف الطرف».

(٨) هذا من قول المفجع البصري يندِّد بابن دريد.

(٩) في (ف): «جهلا».

(١٠) بيت مهلهل هو:

أنكحها فقدُها الأراقمَ في ... جنبٍ وكان الحباءُ من أدمِ

انظر: «سمط اللآلي» (١: ٤٢٢).

[وَبادِيةُ هَذِهِ كانَتْ تَحتَ عَبْدِ الرّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ، فَوَلَدَتْ لَهُ جُوَيْرِيةَ[١]، وهِيَ امْرَأةُ المِسور بن مَخْرَمةَ][٢].

وَكانَ المُخَنَّثُونَ على عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أرْبَعةً: هِيتُ [هَذا][٣]، وهِدْمٌ، وَماتِعٌ، وَأَنّةُ، [وَلَمْ يَكُونُوا يُزَنُّونَ بِالفاحِشَةِ الكُبْرى، وَإِنّما كانَ تَأْنِيثُهُمْ لِينًا فِي القَوْلِ وَخِضابًا فِي الأيْدِي والأرْجُلِ كَخِضابِ النّساءِ، وَلَعِبًا كَلَعِبِهِنّ، وَرُبّما لَعِبَ بَعْضُهُمْ بِالكُرَّجِ[٤]، وَفِي «مَراسِيلِ» أَبِي داوُدَ[٥] أنَّ عُمَرَ بنَ الخَطّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رَأى لاعِبًا يَلْعَبُ[٦] بِالكُرّجِ، فَقالَ: لَوْلا أنّي رَأيْتُ هَذا يُلْعَبُ بِهِ على عَهْدِ رسول الله ﷺ لَنَفَيْتُهُ مِن المَدِينةِ][٧].

* * *

(١) في (ص): «جويرة».
(٢) مكانه في (ج): «بعدما يذكر في المراسيل عن عمر رضي الله عنه».
(٣) ليس في (ج)، (ص).
(٤) الكُرَّج: لعبة عبارة عن مهر من خشب، وهي فارسية معربة.
(٥) «مراسيل أبي داود» (ص: ٣٤٩)، رقم (٥١٥). (ج)
(٦) «يلعب» ليس في (ب).
(٧) المثبت هنا نص (أ)، (س)، (ف). وفي (ص)، (ج): «ولم يكونوا يزنون بالقبيح الشنيع من الفعل، ولكن كان تأنيثهم تزينًا بزي النساء، والتخضب بالحناء، ولينًا في القول ولعبًا، وربما كان منهم من يلعب بالكُرَّج. وقد رأى عمر بن الخطاب لاعبًا بالكُرَّج في حياة النبي ﷺ... لنفيتُ هذا منها، أو نحو هذا». وفي (ب): «وكان تأنيثهم... ولعبًا كلعب النساء، وزيًّا كزيهن، وخضابًا لأيديهم وأرجلهم بالحناء... بالكُرّج».

[عُيَيْنَةُ وما كانَ يُخْفي مِنْ نِيَّتِهِ]

فَلَمّا اسْتَقَلَّ النّاسُ نادى سَعِيدُ بنُ عُبَيْدِ بنِ أسيدِ بنِ أبي عَمْرِو بنِ عِلاجٍ: أَلا إنَّ الحَيَّ مُقِيمٌ. قالَ: يَقُولُ عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ: أجَلْ، واللهِ مَجَدَةً كِرامًا، فقالَ لَهُ رَجُلٌ مِن المُسْلِمِينَ: قاتَلَكَ اللهُ يا عُيَيْنَةُ، أتَمْدَحُ المُشْرِكِينَ بِالِامْتِناعِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وقَدْ جِئْتَ تَنْصُرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ! فقالَ: إنِّي واللهِ ما جِئْتُ لِأُقاتِلَ ثَقِيفًا مَعَكُمْ، ولَكِنِّي أرَدْتُ أنْ يَفْتَحَ مُحَمَّدٌ الطّائِفَ، فأُصِيبَ مِنْ ثَقِيفٍ جارِيَةً أتَّطِئُها، لَعَلَّها تَلِدُ لِي رَجُلًا، فإنَّ ثَقِيفًا قَوْمٌ مَناكِيرُ.

وَنَزَلَ على رَسُولِ اللهِ ﷺ في إقامَتِهِ مِمَّنْ كانَ مُحاصَرًا بِالطّائِفِ عَبِيدٌ، فأسْلَمُوا، فأعْتَقَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

[عُتَقاءُ ثَقِيفٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مَنْ لا أتَّهِمُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مُكَدَّمٍ، عَنْ رِجالٍ مِنْ ثَقِيفٍ، قالُوا: لَـمّا أسْلَمَ أهْلُ الطّائِفِ تَكَلَّمَ نَفَرٌ مِنْهُمْ في أُولَئِكَ العَبِيدِ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا، أُولَئِكَ عُتَقاءُ اللهِ»، وكانَ مِمَّنْ تَكَلَّمَ فيهِم الحارِثُ بنُ كَلَدَةَ. قالَ ابنُ هِشامٍ: وقَدْ سَمّى ابنُ إسْحاقَ مَنْ نَزَلَ مِنْ أُولَئِكَ العَبِيدِ.

[إطْلاقُ أُبَيِّ بنِ مالِكٍ مِنْ يَدِ مَرْوانَ، وشِعْرُ الضَّحّاكِ في ذلك]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ كانَتْ ثَقِيفُ أصابَتْ أهْلًا لِمَرْوانَ بنِ قَيْسٍ

الدَّوْسِيِّ، وكانَ قَدْ أسْلَمَ، وظاهَرَ رَسُولَ الله ﷺ على ثَقِيفٍ، فزَعَمَتْ ثَقِيفُ، وهُـوَ الَّذي تَزْعُمُ بِهِ ثَقِيفُ أنَّها مِنْ قَيْسٍ، أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ لِمَرْوانَ ابنِ قَيْسٍ: «خُذْ يا مَرْوانُ بِأهْلِكَ أوَّلَ رَجُلٍ مِنْ قَيْسٍ تَلْقاهُ»، فلَقِيَ أُبَيَّ بنَ مالِكٍ القُشَيْرِيَّ، فأخَذَهُ حَتّى يُؤَدُّوا إلَيْهِ أهْلَهُ، فقامَ في ذلك الضَّحّاكُ بنُ سُفيانَ الكِلابِيُّ، فكَلَّمَ ثَقِيفًا حَتّى أرْسَلُوا أهْلَ مَرْوانَ، وأطْلَقَ لَهُمْ أُبَيَّ بنَ مالِكٍ، فقالَ الضَّحّاكُ بنُ سُفيانَ في شَيْءٍ كانَ بَيْنَهُ وبَيْنَ أُبَيِّ بنِ مالِكٍ:

أتَنْسى بَـلائِي يا أُبَيَّ بـنَ مالِكٍ ... غَداةَ الرَّسُولُ مُعْرِضٌ عَنْكَ أشْوَسُ
يَقُـودُكَ مَرْوانُ بنُ قَيْـسٍ بِحَبْلِهِ ... ذَلِيلًا كَما قِيـدَ الذَّلُولُ المُخَيَّسُ
فَعادَتْ عَلَيْكَ مِنْ ثَقِيفٍ عِصابَةٌ ... مَتى يَأْتِهِمْ مُسْتَقْبِسُ الشَّرِّ يُقْبِسُوا
فَكانُوا هُمُ المَوْلى فعادَتْ حُلُومُهُمْ ... عَلَيْكَ وقَدْ كادَتْ بِكَ النَّفْسُ تَيْأَسُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: «يُقْبِسُوا» عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

[شُهَداءُ المُسْلِمِينَ يَوْمَ الطّائِفِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وهَذِهِ تَسْمِيةُ مَنِ اسْتُشْهِدَ مِن المُسْلِمِينَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ الطّائِفِ:

[مِنْ قُرَيْشٍ]

مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ مِنْ بَنِي أُمَيّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ: سَعِيدُ بنُ سَعِيدِ بنِ العاصِ ابنِ أُمَيّةَ، وعُرْفُطَةُ بنُ جَنّابٍ، حَلِيفٌ لَهُمْ، مِن الأَسْدِ بنِ الغَوْثِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: ابنُ حُبابٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي تَيْمِ بنِ مُرّةَ: عَبْدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، رُمِيَ بِسَهْمٍ فماتَ مِنْهُ بِالمَدِينةِ بَعْدَ وفاةِ رَسُولِ الله ﷺ.

وَمِنْ بَنِي مَخْزُومٍ: عَبْدُ اللهِ بنُ أبي أُمَيَّةَ بنِ المُغِيرةِ، مِنْ رَمْيةٍ رُمِيَها يَوْمَئِذٍ.

وَمِنْ بَني عَدِيِّ بنِ كَعْبٍ: عَبْدُ اللهِ بنُ عامِرِ بنِ رَبِيعةَ، حَلِيفٌ لَهُمْ.

وَمِنْ بَنِي سَهْمِ بنِ عَمْرٍو: السّائِبُ بنُ الحارِثِ بنِ قَيْسِ بنِ عَدِيٍّ، وأَخُوهُ عَبْدُ اللهِ بنُ الحارِثِ.

وَمِنْ بَنِي سَعْدِ بنِ لَيْثٍ: جُلَيْحةُ بنُ عَبْدِ اللهِ.

[مِنَ الأَنْصارِ]

واسْتُشْهِدَ مِنَ الأَنْصارِ: مِنْ بَنِي سَلِمةَ: ثابِتُ بنُ الجذعِ.

وَمِنْ بَنِي مازِنِ بنِ النَّجّارِ: الحارِثُ بنُ سَهْلِ بنِ أبي صَعْصَعةَ.

وَمِنْ بَنِي ساعِدةَ: المُنْذِرُ بنُ عَبْدِ اللهِ.

وَمِنَ الأَوْسِ: رُقَيْمُ بنُ ثابِتِ بنِ ثَعْلَبةَ بنِ زَيْدِ بنِ لَوْذانَ بنِ مُعاوِيةَ.

فَجَمِيعُ مَن اسْتُشْهِدَ بِالطّائِفِ مِنْ أَصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ اثْنا عَشَرَ رَجُلًا، سَبْعةٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وأَرْبَعةٌ مِنَ الأَنْصارِ، ورَجُلٌ مِنْ بَنِي لَيْثٍ.

وَذَكَرَ عُيَيْنةَ بنَ حِصْنٍ، واسْمُهُ: حُذَيْفةُ، وَإِنّما قِيلَ لَهُ: عُيَيْنةُ لِشَتَرٍ كانَ بِعَيْنِهِ[1].

وَذَكَرَ العَبِيدَ الّذِينَ نَزَلُوا مِن الطّائِفِ، وَلَمْ يُسَمِّهِمْ، وَمِنْهُمْ أبو بكرة نُفَيْعُ

---

(١) في (أ): «بعينيه». والشَّتَرُ: انقلاب الجفن من أعلى وأسفل، وانشقاقه، أو استرخاء أسفله.

ابنُ مَسْرُوحٍ، تَدَلى مِنْ سُورِ الطّائِفِ على بَكْرةٍ، فَكُنِّيَ أبا بَكْرةَ، وَهُوَ مِنْ أفاضِلِ الصَّحابةِ، وَماتَ بِالبَصْرةِ.

وَمِنْهُم الأزْرَقُ، وَكانَ عَبْدًا لِلْحارِثِ بنِ كَلَدةَ المُتَطَبِّب، وَهُوَ زَوْجُ سُميّة مولاةِ الحارثِ أمِّ زيادِ بن أبِي سُفْيانَ، وَأُمُّ سَلَمةَ بنِ الأزْرَقِ، وَبَنُو سَلَمةَ بنِ الأزْرَقِ، لَهُمْ صِيتٌ وَذِكْرٌ بِالمَدِينةِ، وَقَد انْتَسَبُوا إلى غَسّانَ، وَغَلِطَ ابنُ قُتَيْبةَ فِي «المَعارِفِ»[1] فَجَعَلَ سُمَيّةَ هَذِهِ المَذْكُورةَ أُمّ عَمّارِ بنِ ياسِرٍ، وَجَعَلَ سَلَمةَ ابنَ الأزْرَقِ أخا عَمّارِ بنِ ياسِرٍ لِأُمِّهِ، وَقَدْ ذُكِرَ أنّ الأزْرَقَ خَرَجَ مِن الطّائِفِ فَأَسْلَمَ، وسُمَيّةُ [قَدْ][2] كانَتْ قُتلت قَبْلَ ذَلِكَ بِزَمانٍ، قَتَلَها أبُو جَهْلٍ، وَهِيَ إذْ ذاكَ تَحْتَ ياسِرٍ أبِي عَمّارٍ، وهي سُميّةُ بنتُ خيّاطٍ، كانتْ مولاةً لأبي حُذيفةَ ابنِ المغيرة عمِّ أبي جهل، كَما تَقَدّمَ فِي بابِ المَبْعَثِ[3]. فَتَبَيّنَ غَلَطُ ابنِ قُتَيْبةَ وَوَهمُهُ، وَكَذَلِكَ قالَ أبُو عُمَرَ النّمَرِيّ كَما قُلْنا[4].

وَمِنْ أُولَئِكَ العَبِيدِ: المُنْبَعِثُ، وَكانَ اسْمُهُ: المُضْطَجِعَ، فَبَدّلَ رسولُ الله ﷺ اسْمَهُ، وَكانَ عَبْدًا لِعُثْمانَ بنِ عامرِ بنِ مُعَتِّبٍ.

وَمِنْهُمْ يُحَنِّسُ النّبّالُ، وَكانَ عَبْدًا لِبَعْضِ آلِ يَسارٍ[5].

وَمِنْهُمْ: وَرْدانُ جَدُّ الفُراتِ بنِ زَيْدِ بنِ وَرْدان، وَكانَ لِعَبْدِ اللهِ بنِ ربيعة بنِ خَرَشةَ، وَإبْراهِيمُ بنُ جابرٍ، وَكانَ أيْضًا لِخَرَشةَ، وَجَعَلَ رسولُ الله ﷺ وَلاءَ

(١) انظر: «المعارف» (ص: ٢٥٦)، و«أسد الغابة» (٧: ١٥٥).

(٢) ليس في (أ)، (س).

(٣) انظر: (٣: ٢٠٥).

(٤) «الاستيعاب» (٤: ١٨٦٤).

(٥) في (ب)، (ف): «ياسر». وانظر ترجمة يحنس النبال في «أسد الغابة» (٥: ٤٦٩).

هَؤُلاءِ العَبِيدِ لِسادَتِهِمْ حِينَ أَسْلَمُوا. كُلّ هَذا ذَكَرَهُ ابنُ إِسْحاقَ فِي غَيْرِ رِوايةِ ابن هشام.

وَذَكَرَ أَبُو عُمَرَ فِيهِمْ نافِعَ بنَ مَسْرُوحٍ، وَهُوَ أَخُو نُفَيْعٍ أَبِي بَكْرَةَ، وَيُقالُ فِيهِ وَفِي أَخِيهِ ابن الحارِثِ بن كَلَدَةَ.

وَذَكَرَ ابنُ سَلامٍ فِيهِمْ نافِعًا مَوْلى غَيْلانَ بنِ سَلَمَةَ الثّقَفِيّ، وَذَكَرَ أَنّ وَلاءَهُ رَجَعَ إِلى غَيْلانَ حِينَ أَسْلَمَ، وَأَحْسَبُهُ وَهْمًا مِن ابنِ سَلامٍ، أَوْ[1] مِمّنْ رَواهُ عَنْهُ، وَإِنّما المَعْرُوفُ نافِعُ بنُ غَيْلانَ[2]، [لا مولى غيلان][3] ويَحتمِلُ أَنْ يكونَ له عبدٌ اسمه نافعٌ كاسمِ ابنهِ نافعِ بنِ غيلان، واللهُ أَعْلَمُ.

* * *

(١) في (ف): «و».

(٢) انظر: «أسد الغابة» (٥: ٣٠٦).

(٣) ليس في (ب).

[شِعْرُ بُجَيْرٍ في حُنَيْنٍ والطّائِفِ]

فَلَمّا انْصَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ عَن الطّائِفِ بَعْدَ القِتالِ والحِصارِ، قالُ بُجَيْرُ بنُ زُهَيْرِ بنِ أبي سُلْمى يَذْكُرُ حُنَيْنًا والطّائِفَ:

كانَتْ عُلالَــةَ يَوْمَ بَطْنِ حُنَيْنٍ ... وغَداةَ أَوْطاسٍ ويَــوْمَ الأَبْرَقِ
جَمَعَتْ بِإِغْــواءٍ هَوازِنُ جَمْعَها ... فتَبَــدَّدُوا كالطّائِــرِ المُتَمَزِّقِ
لَمْ يَمْنَعُوا مِنّــا مَقامًا واحِدًا ... إلّا جِدارَهُمُ وبَطْــنَ الخَنْدَقِ
وَلَقَــدْ تَعَرَّضْنا لِكَيْما يَخْرُجُوا ... فتَحَصَّنُــوا مِنّا بِبــابٍ مُغْلَقِ
تَرْتَــدّ حَسْرانًــا إلى رَجْراجةٍ ... شَــهْباءَ تَلْمَــعُ بِالمَنايا فيلَقِ
مَلْمُومةٍ خَــضْراءَ لَوْ قَذَفُوا بِها ... حَضَنًــا لَظَلَّ كَأَنَّهُ لَــمْ يُخْلَقِ
مَشْيَ الضِّراءِ على الهَراسِ كَأَنَّنا ... قُدُرٌ تَفَــرَّقُ في القِيادِ وتَلْتَقِي
في كُلِّ سابِغةٍ إذا ما اسْتَحْصَنَتْ ... كالنَّهْيِ هَبَّــتْ رِيحُهُ المُتَرَقْرِقِ
جُدُلٌ تَمَــسُّ فُضُولُهُنَّ نِعالَنا ... مِــنْ نَسْــجِ داوُدٍ وآلِ مُحَــرِّقِ

وَذَكَرَ شِعْرَ بُجَيْرِ بنِ زُهَيْرِ بنِ أَبي سُلْمى، واسْمُ أَبِي سُلْمى: رَبيعةُ، وَهُوَ مِنْ بَنِي لاطِمِ بنِ عُثْمانَ، وهم مُزَيْنَةُ، عُرِفُوا بِأُمِّهِمْ، وَقَدْ قَدّمْنا أَنّها بِنْتُ كَلْبِ ابنِ وَبَرَةَ، وَأَنَّ أُخْتَها الحَوْأَبُ، [وَبِها سُمِّيَ ماءُ الحَوْأَبِ][1]، وَعُثْمانُ هُوَ ابنُ أُدِّ ابنِ طابِخَةَ.

وَقَوْلُهُ: [من الكامل]

(١) سقط من (ب).

كانَتْ عُلالةَ يَوْمَ بَطْنِ حُنَيْنِ

هَذا مِن الإقْواءِ الّذِي تَقَدّمَ ذِكْرُهُ، وَهُوَ أنْ يَنْقُصَ حَرْفًا مِنْ آخِرِ القَسِيمِ[١] الأوّلِ مِن الكامِلِ، وَهُوَ الذي كان الأصمعيُّ يسمِّيه المُقْعَدَ[٢].

وَقَوْلُهُ: «كانَتْ عُلالةَ». العُلالةُ: جَرْيٌ بَعْدَ جَرْيٍ، أوْ قِتالٌ بَعْدَ قِتالٍ، يُرِيدُ أنّ هَوازِنَ جَمَعَتْ جَمْعَها[٣] عُلالةً فِي ذَلِكَ اليَوْمِ، وَحُذِفَ التّنْوِينُ مِنْ عُلالة ضَرُورةً، وَأُضْمِرَ فِي كانَت اسْمُها، وَهي القِصّةُ، وَإنْ كانَت الرّوايةُ بِخَفْضِ «يَوْم» فَهُوَ أوْلى مِن التِزامِ الضَّرُورةِ القَبِيحةِ وَلَكِن بِالنّصْبِ أَلْفيتُهُ فِي النُّسْخةِ المُقَيّدةِ، وَإذا كانَ اليَوْمُ مَخْفُوضًا بالإضافةِ جازَ فِي «عُلالة» أنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا على خَبَر كانَ، فَيَكُونُ اسْمُها عائِدًا على شَيْءٍ تَقَدّمَ ذِكْرُهُ، وَيَجُوزُ الرّفْعُ فِي «عُلالة» مَعَ إضافَتِها إلى اليَوْم على أنْ تَكُونَ «كانَ» تامّةً مُكْتَفِيةً بِاسْمٍ واحد، ويجوزُ أنْ تَجْعَلَها اسْمًا عَلَمًا لِلْمَصْدَرِ، مِثْلُ: بَرّة وفَجارِ، وَتَنْصب «يَوْمَ[٤]» على الظّرْفِ كَما تَقَيّدَ فِي النّسْخةِ.

وَقَوْلُهُ: «تَرْتَدُّ[٥] حَسْرانًا»، هو جَمْعُ حَسِيرٍ، وَهُوَ الكَلِيلُ.

---

(١) في (ب): «أول القسيم»، وفي (ف): «من القسيم الآخر».

(٢) في «اللسان» (قعد): «قال الخليل: إذا كان بيت من الشعر فيه زحاف قيل له: مقعد. والمقعد من الشعر ما نقصت من عروضه قوة، كقوله:

أفبعـد مقتـل مالك بـن زهير ... ترجو النساء عواقب الأطهارِ؟

ويسمى هذا الزحاف بزحاف القطع».

(٣) في (ب): «جمعًا».

(٤) في (ف): «يومًا».

(٥) في (أ)، (ج)، (س)، (ص)، (ف): «ترقدّ». والارقداد: السرعة في السير. ولا يناسب سير الحسير الكليل.

والرَّجْراجةُ: الكَتِيبةُ الضّخْمةُ، مِن الرّجْرَجةِ، وَهِيَ شِدّةُ الحَرَكةِ والِاضْطِرابِ.

وَفَيْلَق: مِن الفِلْقِ، وَهِيَ الدّاهِيةُ.

والهَراسُ: شَوْكٌ مَعْرُوفٌ.

والضِّراءُ: الكِلابُ، وَهِيَ إذا مَشَتْ فِي الهَراسِ ابْتَغَتْ لِأَيْدِيها مَوْضِعًا، ثُمّ تَضَعُ أرْجُلَها فِي مَوْضِعِ أيْدِيها، شَبَّهَ الخَيْلَ بِها.

والفُدُرُ: الوُعُولُ المُسِنّةُ.

والنَّهْيُ: الغَدِيرُ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنّهُ ماءٌ نَهاهُ ما ارتفعَ من الأرضِ عن السَّيَلان فوقف.

وَقَوْلُهُ: «جُدُلٌ» جَمْعُ جَدْلاءَ، وَهِيَ الشّدِيدةُ الفَتْلِ، ومَنْ رَواهُ: «جَدْل» فَمَعْناهُ: ذاتُ جَدْلٍ.

وَقَوْلُهُ: من آل مُحَرِّقٍ يَعْنِي عَمْرَو بنَ هِنْدٍ مَلِكَ الحِيرةِ، وَقَدْ تَقَدّمَ فِي أوّلِ الكِتابِ سَبَبُ تَسْمِيَتِهِ بِمُحَرّقٍ[١]، وَفِي زَمانِهِ وُلِدَ النبي[٢] ﷺ فِيما ذَكَرُوا، واللهُ أعْلَمُ.

* * *

(١) انظر: (١: ١٨٥).

(٢) في (ف): «رسول الله».

أَمْرُ أَمْوالِ هَوازِنَ وسَباياها وعَطايا المُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْها وإنْعامُ رَسُولِ الله ﷺ فيها

[دُعاءُ الرَّسُولِ لِهَوازِنَ]

ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ انْصَرَفَ عَنِ الطّائِفِ على دَحْنا حَتّى نَزَلَ الجِعْرانَةَ فيمَنْ مَعَهُ مِن النّاسِ، ومَعَهُ مِنْ هَوازِنَ سَبْيٌ كَثِيرٌ، وقَدْ قالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحابِهِ يَوْمَ ظَعَنَ عَنْ ثَقِيفٍ: يا رَسُولَ الله، ادْعُ عَلَيْهِمْ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اللهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا وأْتِ بِهِمْ».

فَصْلٌ

وَذَكَرَ انْصِرافَ رسولِ الله ﷺ من الطّائِفِ على دَحْناء.

وَدَحْناءُ هَذِهِ هِيَ الّتِي خُلِقَ مِنْ تُرْبِها آدَمُ ﷺ، وَفِي الحَدِيثِ: «إنّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ دَحْناء، وَمَسَحَ ظَهْرَهُ بِنعْمان الأراكِ»، رَواهُ[1] ابنُ عَبّاسٍ، وَكانَ مَسْحُ ظَهْرِ آدَمَ عليه السلام بَعْدَ خُرُوجِهِ مِن الجَنّةِ باتّفاقٍ مِن الرِّواياتِ، واخْتَلَفَتِ الرِّوايةُ فِي مَسْحِ ظَهْرِهِ؛ فَرُوِيَ ما تقدَّم، وهو أصحُّ، ورُوِيَ أن ذَلِكَ كانَ فِي سَماءِ الدّنْيا قَبْلَ هُبُوطِهِ إلى الأرْضِ، وَهُوَ قَوْلُ السُّدِّيّ، وَكِلْتا الرِّوايَتَيْنِ ذَكَرَهُما الطّبَرِيّ[2].

---

(١) ذكر ذلك السهيلي في «التعريف والإعلام» عند الآية ٩٢ من سورة النحل.

(٢) «تاريخ الرسل والملوك» (١: ١٣٦).

وَقَوْلُهُ: «حَتّى نَزَلَ الجِعْرانةَ»، بِسُكُونِ العَيْنِ فِيها هُوَ أَصَحُّ الرّوايَتَيْنِ، وَقَدْ ذَكَرَ الخَطّابِيّ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الحَدِيثِ يُشَدِّدُونَ[١] الرّاءَ، وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ المَرْأَةَ الّتِي نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوّةٍ كانَتْ تُلَقَّبُ بالجِعْرانةِ، واسْمُها: رَيْطةُ بِنْتُ سَعْدٍ، وَأَنَّ [ذلك][٢] المَوْضِعَ سُمِّي بِها، فاللهُ أَعْلَمُ.

[مَنُّ الرَّسُولِ على هَوازِنَ]

ثُمَّ أتاهُ وفْدُ هَوازِنَ بِالجِعْرانةِ، وكانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ سَبْيِ هَوازِنَ سِتّةُ آلافٍ مِن الذّرارِيِّ والنِّساءِ، ومِنَ الإبِلِ والشّاءِ ما لا يُدْرى ما عِدَّتُهُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي عَمْرُو بنُ شُعَيْبٍ، عَنْ أبيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَبْدِ اللهِ ابنِ عَمْرٍو: أَنَّ وفْدَ هَوازِنَ أتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ وقَدْ أسْلَمُوا، فقالُوا: يا رَسُولَ اللهِ، إنّا أصْلٌ وعَشِيرةٌ، وقَدْ أصابَنا مِن البَلاءِ ما لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ، فامْنُنْ عَلَيْنا، مَنَّ اللهُ عَلَيْكَ. قالَ: وقامَ رَجُلٌ مِنْ هَوازِنَ، ثُمَّ أحَدُ بَنِي سَعْدِ ابنِ بَكْرٍ، يُقالُ لَهُ: زُهَيْرٌ، يُكْنى أبا صُرَدٍ، فقالَ: يا رَسُولَ اللهِ، إنَّما في الحَظائِرِ عَمّاتُكَ وَخالاتُكَ وحَواضِنُكَ اللّاتِي كُنَّ يَكْفُلْنَكَ، ولَوْ أنّا مَلَحْنا لِلْحارِثِ بنِ أبي شِمْرٍ، أوْ لِلنُّعْمانِ بنِ المُنْذِرِ، ثُمَّ نَزَلَ مِنّا بِمِثْلِ الّذي نَزَلْتَ بِهِ، رَجَوْنا عَطْفَهُ وعائِدَتَهُ عَلَيْنا، وأنْتَ خَيْرُ المَكْفُولِينَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُرْوى: ولَوْ أنّا مالَحْنا الحارِثَ بنَ أبي شِمْرٍ، أو النُّعْمانَ ابن المُنْذِرِ.

---

(١) ذكر ذلك السهيلي في التعريف والإعلام عند الآية ٩٢ من سورة النحل.
[وانظر «غريب الحديث» للخطابي: (٣: ٢٣٥). (ج)].
(٢) عن (ب)، (ج)، (ص).

قالَ ابن إسْحاق: فحَدثني عَمْرُو بنُ شُعَيْبٍ، عَنْ أبيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَبْدِ اللّٰه ابنِ عَمْرٍو، قالَ: فقالَ رَسُولُ اللّٰه ﷺ: «أبناؤُكُمْ ونِساؤُكُمْ أحَبُّ إلَيْكُمْ أمْ أمْوالُكُمْ؟» فقالُوا: يا رَسُولَ اللّٰه، خَيَّرْتَنا بَيْنَ أمْوالِنا وأحْسابِنا، بَلْ تَرُدُّ إلَيْنا نِساءَنا وأبناءَنا، فهُوَ أحَبُّ إلَيْنا، فقالَ لَهُمْ: «أمّا ما كانَ لِي ولِبَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ فهُوَ لَكُمْ، وإذا ما أنا صَلَّيْتُ الظُّهْرَ بِالنّاسِ فقُومُوا فقُولُوا: إنّا نَسْتَشْفِعُ بِرَسُولِ اللّٰه إلى المُسْلِمِينَ، وبِالمُسْلِمِينَ إلى رَسُولِ اللّٰه في أبنائِنا ونِسائِنا، فسَأُعْطِيكُمْ عِنْدَ ذلك، وأسْألُ لَكُمْ»، فلَمّا صَلّى رَسُولُ اللّٰه ﷺ بِالنّاسِ الظُّهْرَ، قامُوا فتَكَلَّمُوا بِالَّذِي أمَرَهُمْ بِهِ، فقالَ رَسُولُ اللّٰه ﷺ: «وأمّا ما كانَ لِي ولِبَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ فهُوَ لَكُمْ». فقالَ المُهاجِرُونَ: وما كانَ لَنا فهُوَ لِرَسُولِ اللّٰه ﷺ. وقالَت الأنْصارُ: وما كانَ لَنا فهُوَ لِرَسُولِ اللّٰه ﷺ.

فَقالَ الأقْرَعُ بنُ حابِسٍ: أمّا أنا وبَنُو تَمِيمٍ فلا. وقالَ عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ: أما أنا وبَنُو فزارةَ فلا. وقالَ عَبّاس بنُ مِرْداسٍ: أمّا أنا وبَنُو سُلَيْمٍ فلا. فقالَتْ بَنُو سُلَيْمٍ: بَلى، ما كانَ لَنا فهُوَ لِرَسُولِ اللّٰه ﷺ.

قالَ: يَقُولُ عَبّاس بنُ مِرْداسٍ لِبَنِي سُلَيْمٍ: وهَّنْتُمُونِي. فقالَ رَسُولُ اللّٰه ﷺ: «أمّا مَنْ تَمَسَّكَ مِنْكُمْ بِحَقِّهِ مِنْ هذا السَّبْيِ فَلَهُ بِكُلِّ إنْسانٍ سِتُّ فرائِضَ مِنْ أوَّلِ سَبْيٍ أُصِيبُهُ، فرُدُّوا إلى النّاسِ أبناءَهُمْ ونِساءَهُمْ». قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي أبو وجْزةَ يَزِيدُ بنُ عُبَيْدٍ السَّعْدِيُّ: أنَّ رَسُولَ اللّٰه ﷺ أعْطى عَلِيَّ ابنَ أبِي طالِبٍ رَضِيَ اللّٰه عَنْهُ جارِيَةً يُقالُ لَهَا: رَيْطةُ بِنْتُ هِلالِ بنِ حَيّانَ ابنِ عُمَيْرَةَ بنِ هِلالِ بنِ ناصِرةَ بنِ قُصَيّةَ بنِ نَصْرِ بن سَعْدِ بنِ بَكْرٍ، وأعْطى عُثْمانَ بنَ عَفّانَ جارِيَةً يُقالُ لَهَا: زَيْنَبُ بِنْتُ حَيّانَ بنِ عَمْرِو بنِ حَيّانَ، وأعْطى عُمَرَ بنَ الخَطّابِ جارِيَةً، فوَهَبَها لِعَبْدِ اللّٰه بنِ عُمَرَ ابنِهِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي نافِعٌ مَوْلى عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ، عَنْ عَبْدِ الله ابنِ عُمَرَ، قالَ: بَعَثْتُ بِها إلى أخْوالِي مِنْ بَنِي جُمَح لِيُصْلِحُوا لِي مِنْها ويُهَيِّئُوها، حَتّى أطُوفَ بِالبَيْتِ ثُمَّ آتِيَهُمْ وأنا أُرِيدُ أنْ أُصِيبَها إذا رَجَعْتُ إلَيْها. قالَ: فخَرَجْتُ مِن المَسْجِدِ حِينَ فرَغْتُ، فإذا النّاسُ يَشْتَدُّونَ، فقُلْتُ: ما شَأْنُكُمْ؟ قالُوا: رَدَّ عَلَيْنا رَسُولُ الله ﷺ نِساءَنا وأبناءَنا، فقُلْتُ: تِلْكُمْ صاحِبَتُكُمْ في بَنِي جُمَح، فاذْهَبُوا فخُذُوها، فذَهَبُوا إلَيْها فأخَذُوها.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأمّا عُيَيْنةُ بنُ حِصْنٍ، فأخَذَ عَجُوزًا مِنْ عَجائِزِ هَوازِنَ، وقالَ حِينَ أخَذَها: أرى عَجُوزًا إنِّي لَأحْسِبُ لَها في الحَيِّ نَسَبًا، وعَسى أنْ يَعْظُمَ فِداؤُها. فلَمّا رَدَّ رَسُولُ الله ﷺ السَّبايا بِسِتِّ فرائِضَ، أبى أنْ يَرُدَّها، فقالَ لَهُ زُهَيْرٌ أبو صُرَدٍ: خُذْها عَنْك، فو الله ما فُوها بِبارِدٍ، ولا ثَدْيُها بِناهِدٍ، ولا بَطْنُها بِوالِدٍ، ولا زَوْجُها بِواجِدٍ، ولا دَرُّها بِماكِدٍ. فرَدَّها بِسِتِّ فرائِضَ حِينَ قالَ لَهُ زُهَيْرٌ ما قالَ، فزَعَمُوا أنَّ عُيَيْنةَ لَقِيَ الأقْرَعَ بنَ حابِسٍ، فشَكا إلَيْهِ ذلك، فقالَ: إنَّكَ والله ما أخَذْتَها بَيْضاءَ غَرِيرةً، ولا نَصَفًا وثِيرةً.

فَصْلٌ

وَذَكَرَ زُهَيْرًا أبا صُرَد، وَقَوْلَهُ لِلنّبِيِّ ﷺ: لَوْ[1] كنا مَلَحْنا لِلْحارِثِ بنِ أبِي شَمِرٍ، أوْ لِلنّعْمانِ بنِ المُنْذِرِ، وَقَدْ تَقَدّمَ فِي أوّلِ الكِتابِ التّعْرِيفُ بِالحارِثِ وَبالنُّعْمانِ[2]. ....

---

(١) في (ف): «ولو».

(٢) انظر: (١: ١٨٦).

ومَلَحْنا: أرْضَعْنا، والمِلْحُ: الرَّضاعُ، قالَ الشّاعِرُ(١): [من المتقارب]

فَــــلا يُبْعِـــدُ اللهُ رَبُّ العِبا ... دِ والمِلْـح مـا وَلَـدَتْ خالِـدَهْ

هُم المُطْعِمُو الضّيفِ شحمَ السّنا ... م والكاسـرو الليلـة البـارِدَهْ

[وَهُـمْ يَكْسِـرُونَ صُـدُورَ القَنا ... ةِ بالخَيْـلِ تُطْـرَدُ أوْ طـارِدَهْ](٢)

فَـإنْ يَكُـن المَـوْتُ أفْناهُـمُ ... فَلِلْمَـوْتِ مـا تَلِـدُ الوالِـدَهْ

وَأمّا زُهَيْرٌ الّذِي ذَكَرَهُ فَهُوَ ابنُ صُرَد، يُكَنّى أبا صُرَد، وقيل: أبا جَرولٍ، وَكانَ مِنْ رُؤَساءِ بَنِي جُشَم، وَلَمْ يَذْكُرِ ابنُ إسْحاقَ شِعْرَهُ فِي النَّبِيّ ﷺ ذَلِكَ اليَوْمَ فِي رِوايةِ البَكّائِيّ، وَذَكَرَهُ فِي رِوايةِ إبْراهِيمَ بنِ سَعْدٍ عَنْهُ، [وَهُوَ](٣)(٤): [من البسيط]

[امْنُنْ عَلَيْنا رَسُـولَ اللهِ(٥) فِي كَرَم ... فَإنّك المَـرْءُ نَرْجُـوهُ وَنَنْتَظِرُ](٦)

امْنُنْ علـى بَيْضةٍ قَـدْ عاقَها قَدَرٌ ... مُمَـزِّقٌ شَـمْلَها فِي دَهْرِهـا غِيَرُ

يا خَيْـرَ طِفْلٍ وَمَوْلُـودٍ وَمُنْتَخَبٍ ... فِي العالَمِينَ إذا ما حُصِّلَ البَشَـرُ

إنْ لَـمْ تَدارَكْهُـمُ نَعْماءُ تَنْشُـرُها ... يا أرْجَحَ النّاسِ حِلْمًـا حِينَ يُخْتَبَرُ

امْنُنْ على نِسْـوةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُها ... إذْ فُوك يملؤهُ(٧) مِـنْ مَحْضِها الدِّرَرُ

إذْ كُنْتَ طِفْلًا صَغِيـرًا كُنْت تَرْضَعُها ... وَإذْ يَزِينُـكَ مـا تَأْتِـي وَمـا تَذَرُ

---

(١) هو سماك بن عمرو بن عمرو العاملي أو الشتيم بن خويلد الفزاري، والبيت الأول في «اللسان» (ملح، لوم) والرابع في «اللسان» (لوم).

(٢) ليس في (أ).

(٣) سقط من (أ).

(٤) انظر الأبيات أو بعضها في «المغازي» للواقدي: (٣: ٩٥٠-٩٥١)، و«أسد الغابة» (٢: ٢٦٣).

(٥) في (ف): «يا رسول الله».

(٦) سقط من (ب).

(٧) في (ف): «تملؤه».

لا تَجْعَلَنّا كمَنْ شالتْ نعامتُهُ ... واستبقِ منّا فإنا مَعْشَرٌ زُهُرُ[1]
يا خَيْرَ مَنْ مَرحَتْ كُمْتُ الجِيادِ بِهِ ... عِنْدَ الهِياجِ إذا ما اسْتُوقِدَ الشّرَرُ
إنّا لَنَشْكُرُ آلاءً وَإنْ كُفِرَتْ ... وعِنْدَنا بعد هذا اليوم مُدَّخَرُ
إنّا نُؤَمِّلُ عَفْوًا مِنْك تُلْبِسُهُ ... هَذِي البَرِيّةَ إذْ تَعْفُو وَتَنْتَصِرُ
فاغْفِرْ عَفا اللهُ عَمّا أنْتَ راهِبُهُ ... يَوْمَ القِيامةِ إذْ يُهْدى لَك الظّفَرُ

فَصْلٌ

وَذَكَرَ رَدَّ السّبايا إلى هَوازِنَ، وَأَنّهُ مَنْ لَمْ تَطِبْ نَفْسُهُ بِالرّدِّ عَوّضَهُ مِمّا كانَ بِيَدِهِ، واسْتَطابَ نُفُوسَ الباقِينَ، وَذَلِكَ أَنّ المَقاسِمَ كانَتْ قَدْ وَقَعَتْ فِيهِمْ، وَلا يَجُوزُ لِلْإمامِ أَنْ يَمُنّ على الأسْرى بَعْدَ القَسْمِ، وَيَجُوزُ لَهُ ذَلِكَ قَبْلَ المَقاسِمِ، كَما فَعَلَ رسولُ اللهِ[2] ﷺ بِأَهْلِ خَيْبَرَ حِينَ مَنّ عَلَيْهِمْ، وَتَرَكَهُمْ عُمّالًا لِلْمُسْلِمِينَ فِي أَرْضِهِم الّتِي افْتَتَحُوها عَنْوةً، كَذَلِكَ قالَ أَبُو عُبَيْدٍ، قالَ: وَلا يَجُوزُ[3] لِلإمام أَنْ يَمُنّ عَلَيْهِمْ، فَيَرُدّهُمْ إلى دارِ الحَرْبِ، وَلَكِنْ على أَنْ يُؤَدُّوا الجِزْيَةَ، وَيَكُونُوا تَحْتَ حُكْمِ المُسْلِمِينَ، قالَ: والإمامُ مُخَيَّرٌ فِي الأَسْرى بَيْنَ القَتْلِ والفِداءِ والمَنّ والِاسْتِرْقاقِ والفِداءِ بِالنّفُوسِ لا بِالمالِ كَذَلِكَ، قالَ أَكْثَرُ الفُقَهاءِ هَذا فِي الرّجالِ، وَأَمّا الذّرارِيّ والنّساءُ، فَلَيْسَ إلّا الِاسْتِرْقاقُ، أو المُفاداةُ بِالنّفُوسِ دُونَ المالِ كَما تَقَدّمَ.

وَذَكَرَ الجارِيَةَ الّتِي أُعْطِيَها عَبْدُ اللهِ بنُ عُمَرَ، وَأَنّهُ أرسلها إلى أَخْوالِهِ مِنْ بَنِي جُمَحَ لِيُصْلِحُوا مِنْها كَيْ يُصِيبَها، وَهَذا لِأَنّها كانَتْ قَدْ أَسْلَمَتْ؛ لِأَنّهُ لا

(١) شالت نعامتهم: تفرقت كلمتهم. وزُهر: جمع أزهر، وهو المضيء الوجه كالقمر.
(٢) في (ف): «النبي».
(٣) في (ب): «ويجوز».

يَجُوزُ وَطْءُ وَثَنِيّةٍ وَلا مَجُوسِيّةٍ بِمِلْكِ اليَمِينِ[١]، وَلا بِنِكاحٍ حَتّى تُسْلِمَ، وإن كانت ذاتَ زَوْج فلا بدّ أيْضًا مِن اسْتِبْرائِها، وَأمّا الكِتابِيّاتُ فَلا خِلافَ فِي جَوازِ وَطْئِهِنّ بِمِلْكِ اليَمِينِ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ طائِفَةٍ مِن التّابِعِينَ، مِنْهُمْ عَمْرُو بنُ دِينار، إباحةُ وَطْءِ المَجُوسِيّةِ والوَثَنِيّةِ بِمِلْكِ اليَمِينِ، وَقَوْلُ الله تبارك وتَعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢١] تَحْرِيمٌ عامٌّ إلّا ما خَصّصَتْهُ آيَةُ المائِدةِ[٢] مِن الكِتابِيّاتِ، والنّكاحُ يَقَعُ على الوَطْءِ بِالعَقْدِ والمِلْكِ.

وَكانَ سَبْيُ [حُنَيْنٍ][٣] سِتّةَ آلافِ رَأْسٍ، وَكانَ رسول الله ﷺ قَدْ وَلّى أبا سُفْيانَ بنَ حَرْبٍ أمْرَهُمْ، وَجَعَلَهُ أمِينًا عَلَيْهِمْ، [قالَهُ الزُّبَيْرُ][٤]، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ ذَكَرَهُ الزُّبَيْرُ بِإسْنادٍ حَسَنٍ أن أبا جهمِ بنَ حُذَيْفةَ العَدَوِيّ كانَ على الأنْفالِ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَجاءَهُ [خالِدُ][٥] بنُ البَرْصاءِ، فَأخَذَ مِن الأنْفالِ زِمامَ شَعْرٍ، فَمانَعَهُ أبُو جَهْمٍ، فَلَمّا تَمانَعا ضَرَبَهُ أبُو جَهْمٍ بالقَوْسِ فَشَجَّهُ مُنَقِّلةً[٦]، فاسْتَعْدى عَلَيْهِ خالِدٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ فقالَ [لَهُ][٧]: «خُذْ خَمْسِينَ شاةً وَدَعْهُ»، فقال: أَقِدْني منه. فقال: «خذ مئةً ودَعْه»، فقال: أقِدْني مِنْهُ فَقالَ: «خُذْ خَمْسِينَ وَمِئةً وَدَعْهُ، وَلَيْسَ لَك إلا ذَلِكَ، وَلا أُقِصُّكَ مِنْ والٍ عَلَيْك»، فَقُوِّمَتِ الخَمْسُونَ والمِئةُ بِخَمْسَ عَشْرةَ فَرِيضةً مِن الإبِلِ، فَمِنْ هُنالِكَ جُعِلَتْ دِيةُ المُنَقِّلةِ خمس عشرة فريضةً.

---

(١) في (ف): «يمين».

(٢) الآية الخامسة.

(٣) سقط من (ب).

(٤) سقط من (ب).

(٥) ليس في (ب).

(٦) المُنقِّلة: الشجة التي تخرج منها كِسَرُ العظام.

(٧) ليس في (ب)، (س).

فَصْلٌ

وَأمّا إعْطاءُ رَسُولِ اللهِ ﷺ المُؤَلّفةَ قُلُوبُهُمْ مِنْ غَنائِمِ حُنَيْنٍ حَتّى[١] تكَلّمَتِ الأنْصارُ فِي ذَلِكَ، [وَقالَتْ][٢]: يُعْطِي صَنادِيدَ العَرَبِ وَلا يُعْطِينا، وَأسْيافُنا تَقْطُرُ مِنْ دِمائِهِمْ؛ فَلِلْعُلَماءِ فِي هَذِهِ المَسْألَةِ ثَلاثةُ أقْوالٍ:

أحَدُها: أنّهُ أعْطاهُمْ مِنْ خُمْسِ الخُمْسِ. وَهَذا القَوْلُ مَرْدُودٌ؛ لِأنّ خُمْسَ الخُمْسِ مِلْكٌ لَهُ وَلا كَلامَ لِأحَدٍ فِيهِ.

القَوْلُ الثّانِي: أنّهُ أعْطاهُمْ مِنْ رَأْسِ الغَنِيمةِ، وَأَنَّ ذَلِكَ خصوصٌ بِالنّبِيّ ﷺ؛ لِقَوْلِ اللهِ تَبارَكَ وتعالى: ﴿قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [مفتتح الأنفال]، وَهَذا القَوْلُ أيْضًا[٣] يَرُدُّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ نَسْخِ هَذِهِ الآيةِ، وَقَدْ تَقَدّمَ الكَلامُ[٤] عَلَيْها فِي غَزْوةِ بَدْرٍ.

غَيْرَ أنّ بعضَ العلماءِ احتجّ لِهَذا القَوْلِ بِأنّ الأنْصارَ لمّا انْهَزَمُوا يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَأيّدَ اللهُ رَسُولَهُ وَأمَدّهُ بِمَلائِكَتِهِ، فَلَمْ يَرْجِعُوا حَتّى كانَ الفَتْحُ؛ رَدّ اللهُ أمْرَ الغنائمِ[٥] إلى رَسُولِهِ مِنْ أجْلِ ذَلِكَ، فَلَمْ يُعْطِهِمْ مِنْها شَيْئًا وَقالَ لَهُمْ: «أما تَرْضَوْنَ أنْ يرجعَ النّاسُ بِالشّاءِ[٦] والبَعِيرِ، وَتَرْجِعُوا[٧] بِرَسُولِ اللهِ ﷺ إلى

(١) في (ف): «حين».
(٢) ليس في (ب).
(٣) في (ب): «مردودٌ يرده».
(٤) انظر (٥: ٢٠٧).
(٥) في (ف): «المغانم».
(٦) في (ف): «بالشاة»
(٧) كذا في (ص)، وفي غيرها: «ترجعون».

رحالِكم؟» فطيَّبَ نُفوسَهم بذلك بعدما فَعَلَ ما أُمِرَ[١] بِهِ.

والقَوْلُ الثّالِثُ، وَهُوَ الّذي اخْتارَهُ أبُو عُبَيْدٍ[٢]: أنَّ إعْطاءَهُمْ كانَ مِن الخُمْسِ، لا من خُمسِ الخُمسِ، ولا مِن رأسِ الغنيمةِ، وأنه جائزٌ للإمام أن يَصرِفَه على الأصنافِ المذكورةِ في آيةِ الخمسِ حَيْثُ يَرى أنّ فِيهِ مَصْلَحةً للمسلمين.

فَصْلٌ

وَمِمّا لَمْ يَذْكُرْه ابنُ إسْحاقَ يَوْمَ حُنَيْنٍ أنّ خالِدَ بنَ الوَلِيدِ أُثْقِلَ بِالجِراحةِ يَوْمَئِذٍ، فَأَتاهُ النّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ يَدُلّنِي على رَحْلِ خالِدٍ؟» حَتّى دُلَّ عَلَيْهِ، فَوَجَدَهُ قَدْ أُسْنِدَ إلى مُؤْخِرةِ رَحْلِهِ، فَنَفَثَ على جُرْحِهِ فَبَرِئَ. ذَكَرَهُ الكَشِّيّ.

فَصْلٌ

وَذَكَرَ عُيَيْنَةَ بنَ حِصْنٍ، وَقَوْلَ زُهَيْرٍ أبي صُرَدٍ لَهُ فِي العَجُوزِ الّتِي أخَذَها: ما ثَدْيُها بناهِدٍ، وَلا دَرُّها بناكِدٍ، وَيُقالُ[٣] أيْضًا: بماكِدٍ[٤]، يُرِيدُ: لَيْسَتْ غَزِيرة الدّرِّ، والنّوقُ النُّكْدُ: الغَزِيراتُ اللّبَنِ، وَأحْسَبُهُ مِن الأضْدادِ[٥]؛ لِأَنّهُ[٦] قَدْ يُقالُ أيْضًا: مَكَدَ[٧] لَبَنُها إذا نَقَصَ، قالَهُ صاحِبُ «العَيْنِ»، والصّحِيحُ عِنْدَ أكْثَرِهِمْ أنّ النُّكْدَ هِيَ القَلِيلاتُ اللّبَنِ، مِنْ قَوْلِهِ عَزّ وجل: ﴿لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨]، وَأنَّ

---

(١) في (ص): «ما أبيح له».

(٢) «الأموال» (ص: ٣٣٥).

(٣) في (ف): «وقال».

(٤) بعده في (ب): «الماكد».

(٥) قال ذلك ابن فارس كما في «القاموس» (نكد).

(٦) في (ب): «وقد يقال».

(٧) في بعض النسخ: «نكد». وانظر «العين» (٥: ٣٣٥).

المُكْدَ بالمِيمِ هِيَ الغَزِيراتُ اللّبَنِ، قالَ ابنُ سِراجٍ: لِأنّهُ مِنْ مَكَدَ فِي المَكانِ إذا أقامَ فِيهِ، وَقَدْ يُقالُ أيْضًا: نَكِدَ فِي مَعْنى مَكَدَ، أيْ: ثَبَتَ[١].

وَذَكَرَ الأقْرَعَ بنَ حابِسٍ، وَكانَ مِن المُؤَلَّفةِ قُلُوبُهُمْ، ثُمّ حَسُنَ إسْلامُهُ بَعْدُ، وَهُوَ الّذِي قالَ لِرَسُولِ الله ﷺ حِينَ نَزَلَتْ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧]: أفِي كُلِّ عامٍ يا رَسُولَ الله؟ قالَ: «لَوْ قُلْتُها[٢] لَوَجَبَتْ»[٣]، وَهُوَ الّذِي قالَ لرسول الله ﷺ حِينَ أقْطَعَ أبْيَضَ بنَ حَمّالٍ الماءَ الّذِي بِمَأرِبٍ: أتَدْرِي ما أقْطَعْته يا رَسُولَ الله؟ إنّما أقْطَعْتَهُ الماءَ العِدّ، فاسْتَرْجَعَهُ النّبِيّ ﷺ، وَهُوَ حَدِيثٌ مَشْهُورٌ، غَيْرَ أنّهُ لَمْ يُسَمِّ قائِلَ هَذا الكَلامَ فِيهِ إلّا الدّارَقُطْنِيّ[٤] فِي رِوايَتِهِ، وَزادَ فِيهِ أيْضًا: قالَ أبْيَضُ: على أنْ يَكُونَ صَدَقةً مِنِّي يا رَسُولَ الله على المُسْلِمِينَ، فَقالَ: «نَعَمْ».

وَأمّا نَسَبُ الأقْرَعِ بنِ حابِسٍ، فَهُوَ ابنُ حابِسِ بنِ عِقالِ بنِ مُحَمّدِ بنِ سُفْيانَ ابنِ مُجاشِعٍ التّمِيمِيّ المُجاشِعِيّ الدّارِمِيّ، وَأمّا عُيَيْنةُ فاسْمُهُ: عُيينة[٥] [بنُ حِصْنِ ابنِ حُذَيْفةَ][٦] بنِ بَدْرٍ الفَزارِيّ، وَقَدْ تَقَدّمَ ذِكْرُهُ[٧].

* * *

(١) بعده في (ص): «فالنكد على هذا الثابت».
(٢) في (ب): «لو قلتها نعم».
(٣) «عارضة الأحوذي»، أبواب التفسير: (١١: ١٨٠)، والنسائي، أبواب المناسك: (٥: ١١٠).
(٤) «سنن الدارقطني»، كتاب الأقضية: (٤: ٢٢١).
(٥) في النسخ: «فاسمه حذيفة» وهو خطأ.
(٦) سقط من (ب).
(٧) انظر: (٦: ٢٤٤).

[إسْلامُ مالِكِ بنِ عَوْفٍ النَّصْرِيِّ]

وَقالَ رَسُولُ الله ﷺ لوفد هَوازِنَ، وسَأَلَهُمْ عَنْ مالِكِ بنِ عَوْفٍ ما فعَلَ؟ فقالُوا: هُوَ بِالطّائِفِ مَعَ ثَقِيفٍ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أخْبِرُوا مالِكًا أَنَّهُ إنْ أتاني مُسْلِمًا رَدَدْتُ عَلَيْهِ أَهْلَهُ ومالَه، وأعطيتُه مِئةً مِن الإبِلِ»، فأتى مالِكٌ بِذلك، فخَرَجَ إلَيْهِ مِنَ الطّائِفِ. وقَدْ كانَ مالِكٌ خافَ ثَقِيفًا على نَفْسِهِ أنْ يَعْلَمُوا أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ لَهُ ما قالَ، فيحْبِسُوهُ، فأمَرَ بِراحِلَتِهِ فهُيِّئَتْ لَهُ، وأمَرَ بِفَرَسٍ لَهُ، فأُتِيَ بِهِ إلى الطّائِفِ، فخَرَجَ لَيْلًا، فجَلَسَ على فرَسِهِ، فرَكَضَهُ حَتّى أتى راحِلَتَهُ حَيْثُ أمَرَ بِها أنْ تُحْبَسَ، فرَكِبَها، فلَحِقَ بِرَسُولِ الله ﷺ، فأدْرَكَهُ بِالجِعْرانةِ أوْ بِمَكّةَ، فرَدَّ عَلَيْهِ أهْلَهُ ومالَه، وأعْطاهُ مِئةً مِن الإبِلِ، وأسْلَمَ فحَسُنَ إسْلامُهُ، فقالَ مالِكُ بنُ عَوْفٍ حِينَ أسْلَمَ:

ما إنْ رَأَيْتُ ولا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ ... في النّــاسِ كُلِّهِمْ بِمِثْــلِ مُحَمَّدِ
أوْفى وأعْطى لِلْجَزِيلِ إذا اجْتُدِيَ ... ومَتى تَشَــأْ يُخْبِرْكَ عَمّا في غَدِ
وَإذا الكَتِيبةُ عَــرَّدَتْ أنْيابُها ... بِالسَّــمْهَرِيِّ وضَرْبِ كُلِّ مُهَنَّدِ
فَكَأَنَّــهُ لَيْــثٌ على أشْــبالِهِ ... وسْطَ الهَباءةِ خادِرٌ في مَرْصَدِ

فاسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ الله ﷺ على مَنْ أسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ، وتِلْكَ القَبائِلُ:

ثُمالةُ، وسَلِمةُ، وفَهْمٌ، فكانَ يُقاتِلُ بِهِمْ ثَقِيفًا، لا يَخْرُجُ لَهُمْ سَرْحٌ إلّا أغارَ عَلَيْهِ، حَتّى ضَيَّقَ عَلَيْهِمْ، فقالَ أبو مِحْجَنِ بنُ حَبِيبِ بنِ عَمْرِو بنِ عُمَيْرٍ الثَّقَفي:

هابَتِ الأعْـداءُ جانِبَنا ثُمَّ تَغْزُونا بَنُو سَـلِمَهْ
وَأتانـا مالِـكٌ بِهِمْ ناقِضًا لِلْعَهْـدِ والحُرْمَهْ
وَأتَوْنـا في مَنازِلِنـا ولَقَـدْ كُنّـا أُولِي نَقِمَهْ

[قَسْمُ الفيءِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولَمّا فرَغَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ رَدِّ سَبايا حُنَيْنٍ إلى أهْلِها، رَكِبَ، واتَّبَعَهُ النّاسُ يَقُولُونَ: يا رَسُولَ الله، اقْسِمْ علينا فَيْئَنا مِنَ الإبِلِ والغَنَمِ، حَتّى ألْجَؤُوهُ إلى شَجَرةٍ، فاخْتَطَفَتْ عَنْهُ رِداءَهُ، فقالَ: «أدُّوا عَلَيَّ رِدائِي أيّها النّاس، فوالله أنْ لَوْ كانَ لَكُمْ بِعَدَدِ شَجَرِ تِهامةَ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ عَلَيْكُمْ، ثُمَّ ما ألْفيتُمُونِي بَخِيلًا ولا جَبانًا ولا كَذّابًا»، ثُمَّ قامَ إلى جَنْبِ بَعِيرٍ، فأخَذَ وبَرةً مِنْ سَنامِهِ، فجَعَلَها بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ، ثُمَّ رَفَعَها، ثُمَّ قالَ: «أيُّها النّاس، والله ما لي مِنْ فيئِكُمْ ولا هَذِهِ الوَبَرةُ إلّا الخُمُسُ، والخُمُسُ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ. فأدُّوا الخِياطَ والمِخْيَطَ، فإنَّ الغُلُولَ يَكُونُ على أهْلِهِ عارًا ونارًا وشَنارًا يَوْمَ القِيامةِ».

قالَ: فجاءَ رَجُلٌ مِن الأنْصارِ بِكُبّةٍ مِنْ خُيُوطِ شَعَرٍ، فقالَ: يا رَسُولَ الله، أخَذْتُ هَذِهِ الكُبّةَ أعْمَلُ بِها بَرْذَعةَ بَعِيرٍ لِي دَبِرَ، فقالَ: «أمّا نَصِيبِي مِنْها فلَكَ»، قالَ: أمّا إذْ بَلَغَتْ هذا فلا حاجةَ لِي بِها، ثُمَّ طَرَحَها مِنْ يَدِهِ. قالَ ابنُ هِشامٍ: وذَكَرَ زَيْدُ بنُ أسْلَمَ، عَنْ أبيهِ: أنَّ عَقِيلَ بنَ أبي طالِبٍ دَخَلَ يَوْمَ حُنَيْنٍ على امْرَأتِهِ فاطِمةَ بِنْتِ شَيْبةَ بنِ رَبِيعةَ، وسَيْفُهُ مُتَلَطِّخٌ دَمًا، فقالَتْ: إنِّي قَدْ عَرَفْتُ أنَّكَ قَدْ قاتَلْتَ، فماذا أصَبْتَ مِنْ غَنائِمِ المُشْرِكِينَ؟ فقالَ: دُونَكِ هَذِهِ الإبْرةَ تَخِيطِينَ بِها ثِيابَكِ، فدَفَعَها إلَيْها، فسَمِعَ مُنادِيَ

رَسُولِ الله ﷺ يَقُولُ: مَنْ أَخَذَ شَيْئًا فلْيَرُدَّهُ، حَتّى الخِياطَ والمِخْيَطَ. فرَجَعَ عَقِيلٌ فقالَ: ما أرى إبْرَتَكِ إلّا قَدْ ذَهَبَتْ، فأَخَذَها فألْقاها في الغَنائِمِ.

[عَطاءُ المُؤَلَّفةِ قُلُوبُهُمْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأَعْطى رَسُولُ الله ﷺ المُؤَلَّفةَ قُلُوبُهُمْ، وكانُوا أشْرافًا مِنْ أشْرافِ النّاسِ يَتَأَلَّفُهُمْ ويَتَأَلَّفُ بِهِمْ قَوْمَهُمْ، فأعْطى أبا سُفيانَ بنَ حَرْبٍ مئةَ بَعِيرٍ، وأعْطى ابنه مُعاوِية مئة بَعِيرٍ، وأعْطى حَكِيمَ بن حِزامٍ مئة بَعِيرٍ، وأعْطى الحارِثَ بنَ الحارِثِ بنِ كَلَدةَ أخا بَنِي عبد الدّار مئة بَعِيرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: نُضَيْرُ بنُ الحارِثِ بنِ كَلَدةَ، ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ اسْمُهُ الحارِثَ أيْضًا.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأعْطى الحارِثَ بن هِشام مئة بَعِيرٍ، وأعْطى سُهَيْلَ ابن عَمْرٍو مئة بَعِيرٍ، وأعْطى حُوَيْطِبَ بنَ عَبْدِ العُزّى بنِ أبي قيسٍ مئة بَعِيرٍ، وأعْطى العَلاءَ بنَ جارِيَةَ الثَّقَفِيَّ حَلِيفَ بني زُهْرة مئةَ بَعِيرٍ، وأعْطى عُيَيْنَةَ بنَ حِصْنِ بنِ حُذَيْفةَ بنِ بدرٍ مئةَ بَعِيرٍ، وأعْطى الأقْرَعَ بنَ حابِسٍ التَّمِيمِيَّ مئة بَعِيرٍ، وأعْطى مالِكَ بنَ عَوْفٍ النّصريَّ مئة بَعِيرٍ، وأعْطى صَفْوانَ بن أميّة مئة بَعِيرٍ، فهَؤُلاءِ أصْحابُ المِئِينَ، وأعْطى دون المئةِ رِجالًا مِنْ قُرَيْشٍ، مِنْهُمْ مَخْرَمةُ بنُ نَوْفَلٍ الزُّهْرِيُّ، وعُمَيْرُ بن وهْبٍ الجُمَحِيُّ، وهِشامُ ابنُ عَمْرٍو أخُو بَنِي عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ، لا أحْفَظُ ما أعْطاهُمْ، وقَدْ عَرَفْتُ أنَّها دون المئة، وأعْطى سَعِيدَ بنَ يَرْبُوع بنِ عَنْكَشةَ بنِ عامِرِ بنِ مَخْزُومٍ خَمْسِينَ مِن الإبِلِ، وأعْطى السَّهْمِيَّ خَمْسِينَ مِن الإبِلِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: واسْمُهُ عَدِيُّ بنُ قَيْسٍ.

[شِعْرُ ابنِ مِرْداسٍ يَسْتَقِلُّ ما أخَذَ، وإرْضاءُ الرَّسُولِ لَهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأعْطى عَبّاسَ بنَ مِرْداسٍ أباعِرَ فسَخِطَها، فعاتَبَ فيها رَسُولَ الله ﷺ، فقالَ عَبّاسُ بنُ مِرْداسٍ يُعاتِبُ رَسُولَ الله ﷺ:

كانَــــتْ نِهابًـــــا تَلافيتُها بِكَرِّي على المُهْرِ في الأجْرَعِ
وَإيقاظِي القَــوْمَ أنْ يَرْقُدُوا إذا هَجَــعَ النّاسُ لَــمْ أهْجَعِ
فَأصْبَحَ نَهْبِي ونَهْبُ العَبِيدِ بَــيْنَ عُيَيْنَــةَ والأقْــرَعِ
وَقَدْ كُنْتُ في الحَرْبِ ذا تُدْرَأٍ فلَمْ أُعْطَ شَــيْئًا ولَــمْ أُمْنَعِ
إلّا أفــــائِلَ أُعْطِيتُــهــــا عَدِيــدَ قَوائِمِها الأرْبَــعِ
وَما كانَ حِصْـــنٌ ولا حابِسٌ يَفُوقانِ شَــيْخِيَ في المَجْمَعِ
وَما كُنْــتُ دُونَ امْرِئٍ مِنْهُما ومَنْ تَضَــعِ اليَــوْمَ لا يُرْفَعِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: أنْشَدَنِي يُونُسُ النَّحْوِيُّ:

فَما كانَ حِصْـــنٌ ولا حابِسٌ يَفُوقانِ مِــرْداس في المَجْمَعِ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اذْهَبُوا بِهِ فاقْطَعُوا عَنِّي لِسانَهُ»، فأعْطَوْهُ حَتّى رَضِيَ، فكانَ ذلك قَطْعَ لِسانِهِ الَّذي أمَرَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ.

فَصْلٌ

وَذَكَرَ تَوْلِيةَ رسولِ الله ﷺ مالِكَ بنَ عَوْفٍ على ثُمالةَ وَبَنِي سَلِمةَ. وثُمالةُ هُمْ بَنُو أسْلَمَ بنِ أحْجَنَ بنِ كعبِ بنِ الحارثِ بنِ كعبِ بنِ مالكِ بنِ عبدِ الله بن نصرِ بنِ الأزد. ولِهْبٌ هم بنو أحجنَ، وقد تقدَّم ذِكرُهم[1]، وفيهم كان الزَّجرُ

(١) انظر: (٢: ١٨٣).

والعِيافة، أُمّهُمْ: ثُمالةُ.

وَقَوْلَ أَبِي مِحْجَنٍ فِيهِ: [من المديد]

هابَتِ الأعْداءُ جانِبَنا ... ثُمّ تَغْزُونا بَنُو سَلِمَهْ

هَكَذا تَقَيّدَ [فِي النّسْخةِ بِكَسْرِ اللّامِ](١)، والمَعْرُوفُ فِي قَبائِلِ قَيْسٍ: سَلَمةُ بِفَتْحِ اللام، إلّا أنْ يَكُونُوا مِن الأزْدِ؛ فَإنّ ثُمالةَ المَذْكُورِينَ مَعَهُمْ حَيٌّ مِن الأزْدِ، وَفَهْمٌ مِنْ دَوْسٍ(٢)، وَهُمْ مِن الأزْدِ أيْضًا، وَأُمُّهُمْ: جَدِيلةُ، وَهِيَ مِنْ غَطَفانَ ابنِ قَيْسِ بنِ عَيْلانَ، على أنّهُ لا يُعْرَفُ فِي الأزْدِ سَلِمة إلّا في الأنصار، وهم من الأزْدِ، وَسَلِمةُ أيْضًا فِي جُعْفَيٍّ؛ هُمْ وَسَلِمةُ بنُ عَمْرِو بنِ ذُهْلِ بنِ مُرّانَ ابنِ جُعْفِيّ، وَسَلِمةُ فِي جُهَيْنةَ أيْضًا(٣) سَلِمةُ بنُ نَصْرِ بنِ غَطَفانَ بنِ قَيْسِ بنِ جُهَيْنةَ(٤)، وَجُعْفِيّ مِنْ مَذْحِج(٥) وَجُهَيْنةُ مِنْ قُضاعةَ.

وَأمّا أبو مِحْجَنٍ فاسْمُهُ: مالِكُ بنُ حَبِيبٍ، وَقِيلَ: عَبْدُ اللهِ بنُ حَبِيب(٦) بنِ عَمْرِو بنِ عُمَيْرِ بنِ عَوْفِ بنِ عُقْدةَ بنِ غِيَرةَ بنِ عَوْفِ بنِ قَسِيٍّ الثّقَفِيّ.

وَقَدْ تَقَدّمَ نَسَبُ أحْجَنَ [إلى الأزد](٧) عِنْدَ ذِكْرِنا لِهْبَ بنَ أحْجَنَ قَبْلَ بابِ

---

(١) مكانه في (ب): «في الأصل: بنو سلمة بكسر اللام».

(٢) كذا في (ب)، وفي غيرها: «فهم بن دوس». وانظر: «جمهرة» ابن حزم: (ص: ٣٧٩)، ففهم ابن غنم بن دوس.

(٣) في (ف): «وسلمة أيضًا في جهينة».

(٤) في (أ)، (س): «بن جُهينة». وانظر: «المؤتلف» للدارقطني: (٣: ١١٩٥).

(٥) في (ب): «بن مذحج».

(٦) ضبط في (ح) بالتصغير.

(٧) عن (ج)، (ص).

المَبْعَثِ[١].

وَذَكَرَ أبا السّنابِلِ بنَ بَعْكَكٍ، واسْمُهُ: حَبّةُ، أحَدُ بَنِي عَبْدِ الدّارِ، وَكانَ شاعِرًا، وَحَدِيثُهُ مَعَ سُبَيْعَةَ الأسْلَمِيّةِ حِينَ آمَتْ مِنْ زَوْجِها مَذْكُورٌ فِي الصِّحاحِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وحَدَّثَنِي بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ: أنَّ عَبّاسَ بنَ مِرْداسٍ أتى رَسُولَ الله ﷺ، فقالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «أنْتَ القائِلُ:

فَأصْبَحَ نَهْبِي ونَهْبُ العَبِيدِ بَيْنَ الأقْرَعِ وعُيَيْنَةَ»؟

فَقالَ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: «بَيْنَ عُيَيْنَةَ والأقْرَعِ»، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «هُما واحِدٌ»، فقالَ أبو بَكْرٍ: أشْهَدُ أنَّكَ كَما قالَ الله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩].

فَصْلٌ

وَذَكَرَ قَوْلَ رسولِ الله ﷺ لِعَبّاسِ بنِ مِرْداسٍ: «أنْتَ القائِلُ: فَأصْبَحَ[٢] نَهْبِي وَنَهْبُ العَبِيدِ بَيْنَ الأقرعِ وعُيينة؟»، فَقالَ له عباس: بَيْنَ عُيَيْنَةَ والأقْرَعِ يا رسول الله. فَقالَ: «هُما سواء»، يَعْنِي: فِي المَعْنى، وَأمّا فِي الفَصاحةِ فالّذِي أُجْرِيَ على لِسانِهِ ﷺ هُوَ الأفْصَحُ فِي تَنْزِيلِ الكَلامِ وَتَرْتِيبِهِ؛ وَذلِكَ أنَّ القَبْلِيّةَ تكُونُ بالفَضْلِ، نَحْوُ قوله تبارك وتعالى: ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ [النساء: ٦٩]، وَتكُونُ بالرُّتْبَةِ، نَحْوُ قَوْلِهِ سبحانَه حِينَ ذَكَرَ اليَهُودَ والنّصارى، فَقَدَّمَ اليَهُودَ لِمُجاوَرَتِهم ....

---

(١) انظر: (٢: ١٨٣).

(٢) في (ف): «أتجعل».

[المَدِينةَ][(١)]، فَهُمْ فِي الرُّتْبَةِ قَبْلَ النّصارى، وَقَبْلِيّة بِالزّمانِ، نَحْوُ ذِكْرِهِ التّوْراةَ ثم[(٢)] الإنْجِيلَ بَعْدَهُ، وَنُوحًا وَإِبْراهِيمَ صلى الله عليهما وسلم، وَقَبْلِيّة بِالسّبَبِ، وَهُوَ أَنْ يَذْكُرَ ما هُوَ عِلّةُ الشّيْءِ وَسَبَبُ وُجُودِهِ، ثُمّ يَذْكُر المُسَبَّبَ بَعْدَهُ، وَهُوَ كَثِيرٌ فِي الكَلامِ، مِثْلُ أَنْ يَذْكُرَ مَعْصِيةً وَعِقابًا أَوْ طاعةً وَثَوابًا، فالأَجْوَدُ فِي حُكْمِ الفَصاحةِ تَقْدِيمُ السّبَبِ.

والأَقْرَعُ وَعُيَيْنةُ مِنْ بابِ قَبْلِيّةِ الرتبة، وَقَبْلِيّةِ الفَضْلِ، أَمّا قَبْلِيّةُ الرّتْبةِ فَإِنّهُ مِنْ خِنْدِفَ، ثُمّ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَهُوَ أَقْرَبُ إلى النّبِيّ ﷺ مِنْ عُيَيْنةَ، فَتَرَتّبَ فِي الذِّكْرِ قَبْلَهُ، وَأَمّا قَبْلِيّةُ الفَضْلِ، فَإِنّ الأَقْرَعَ حَسُنَ إِسْلامُهُ وَعُيَيْنةُ لَمْ يَزَلْ مَعْدُودًا فِي أَهْلِ الجَفاءِ حَتّى ارْتَدّ وَآمَنَ بِطُلَيْحةَ، وَأُخِذَ أَسِيرًا فَجَعَلَ الصّبْيانُ يَقُولُونَ لَهُ وَهُوَ يُساقُ إلى أَبِي بَكْر: وَيْحَك يا عَدُوّ اللهِ ارْتَدَدْتَ بَعْدَ إيمانِك، فَيَقُولُ: واللهِ ما كُنْتُ آمَنْت، ثُمّ أَسْلَمَ فِي الظّاهِرِ، وَلَمْ يَزَلْ جافِيًا أَحْمَقَ حَتّى ماتَ، وَبِحَسْبِك تَسْمِيةُ رسول الله ﷺ [لَهُ][(٣)]: الأَحْمَقَ المُطاعَ.

وَمِمّا يُذْكَرُ مِنْ جَفائِهِ: أَنّ عَمْرَو بنَ مَعْدِيكَرِبَ نَزَلَ بِهِ ضَيْفًا، فَقالَ لَهُ عُيَيْنةُ: هَلْ لَك فِي الخَمْرِ نَتَنادَمُ عَلَيْها؟ فَقالَ عَمْرٌو: أَلَيْسَتْ مُحَرّمةً فِي القُرْآنِ؟ فَقالَ[(٤)] عُيَيْنةُ: إنّما قالَ لنا: ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١]، فَقُلْنا نَحْنُ: لا. فَشَرِبا.

* * *

---

(١) ليس في (ب).

(٢) في (أ)، (س): «والإنجيل».

(٣) ليس في (ب).

(٤) في (ب): «قال».

[تَوْزِيعُ غَنائِمِ حُنَيْنٍ على المُبايِعِينَ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وحَدَّثَني مَنْ أثِقُ بِهِ مِنْ أهْلِ العِلْمِ في إسْنادٍ لَهُ، عَن ابنِ شِهابٍ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ الله بن عَبْدِ الله بنِ عُتْبَةَ، عَن ابنِ عَبّاسٍ، قالَ: بايَعَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ قُرَيْشٍ وغَيْرِهِمْ، فأعْطاهُمْ يَوْمَ الجِعْرانةِ مِنْ غَنائِمِ حُنَيْنٍ.

مِنْ بَنِي أُمَيّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ: أبو سُفيانَ بنُ حَرْبِ بنِ أُمَيّةَ، وطَلِيقُ ابنُ سُفيانَ بن أُمَيّةَ، وخالِدُ بنُ أَسِيدِ بنِ أبي العِيصِ بنِ أُمَيّةَ.

وَمِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ بنِ قُصَيٍّ: شَيْبةُ بنُ عُثْمانَ بنِ أبي طَلْحةَ بنِ عَبْدِ العُزّى بن عُثْمانَ بنِ عَبْدِ الدّارِ، وأبو السَّنابِلِ بنِ بَعْكَكِ بنِ الحارِثِ ابنِ عَمِيلةَ بنِ السَّبّاقِ بن عَبْدِ الدّارِ، وعِكْرِمةُ بنُ عامِرِ بنِ هاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ عَبْدِ الدّارِ.

وَمِنْ بَنِي مَخْزُومِ بنِ يَقَظَةَ: زُهَيْرُ بنُ أبي أُمَيّةَ بنِ المُغِيرةِ، والحارِثُ بنُ هِشامِ بن المُغِيرةِ، وخالِدُ بنُ هِشامِ بنِ المُغِيرةِ، وهِشامُ بنُ الوَلِيدِ بنِ المُغِيرةِ، وسُفيانُ بن عَبْدِ الأسَدِ بنِ عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ، والسّائِبُ بنُ أبي السّائِبِ بنِ عائِذِ بن عَبْدِ الله بن عَمْرِو بنِ مَخْزُومٍ.

وَمِنْ بَنِي عَدِيِّ بنِ كَعْبٍ: مُطِيعُ بنُ الأسْوَدِ بنِ حارِثةَ بنِ نَضْلةَ، وأبو جَهْمِ بنُ حُذَيْفةَ بنِ غانِمٍ.

وَمِنْ بَنِي جُمَحَ بنِ عَمْرٍو: صَفْوانُ بنُ أُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ، وأُحَيْحةُ بنُ أُمَيَّةَ ابنِ خَلَفٍ، وعُمَيْرُ بنُ وهْبِ بنِ خَلَفٍ.

وَمِنْ بَنِي سَهْمٍ: عَدِيُّ بنُ قَيْسِ بنِ حُذافةَ.

وَمِنْ بَنِي عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ: حُوَيْطِبُ بنُ عَبْدِ العُزّى بنِ أبي قَيْسِ بنِ عَبْدِ وُدٍّ، وهِشامُ بنُ عَمْرِو بنِ رَبِيعةَ بنِ الحارِثِ بنِ حُبَيبٍ.

وَمِنْ أَفْناءِ القَبائِلِ: مِنْ بَنِي بَكْرِ بنِ عَبْدِ مَناةَ بنِ كِنانةَ: نَوْفَلُ بنُ مُعاوِيَةَ بنِ عُرْوةَ بنِ صَخْرِ بنِ رَزنِ بنِ يَعْمَرَ بنِ نُفاثةَ بنِ عَدِيِّ بنِ الدِّيلِ.

وَمِنْ بَنِي قَيْسٍ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عامِرِ بنِ صَعْصَعةَ، ثُمَّ مِنْ بَنِي كِلابِ بنِ رَبِيعةَ بنِ عامِرِ بنِ صَعْصَعةَ: عَلْقَمةُ بنُ عُلاثةَ بنِ عَوْفِ بنِ الأَحْوَصِ بنِ جَعْفَرِ بنِ كِلابٍ، ولَبِيدُ بنُ رَبِيعةَ بنِ مالِكِ بنِ جَعْفَرِ بنِ كِلابٍ.

وَمِنْ بَنِي عامِرِ بنِ رَبِيعةَ: خالِدُ بنُ هَوْذةَ بنِ رَبِيعةَ بنِ عَمْرِو بنِ عامِرِ ابنِ رَبِيعةَ بن عامِرِ بنِ صَعْصَعةَ، وحَرْمَلةُ بنُ هَوْذةَ بنِ رَبِيعةَ بنِ عَمْرٍو.

وَمِنْ بَنِي نَصْرِ بنِ مُعاوِيَةَ: مالِكُ بنُ عَوْفِ بنِ سَعِيدِ بنِ يَرْبُوعٍ.

وَمِنْ بَنِي سُلَيْمِ بنِ مَنْصُورٍ: عَبّاسُ بنُ مِرْداسِ بنِ أبي عامِرٍ، أَخُو بَنِي الحارِث بنِ بُهْثةَ بنِ سُلَيْمٍ.

وَمِنْ بَنِي غَطَفانَ، ثُمَّ مِنْ بَنِي فَزارةَ: عُيَيْنةُ بنُ حِصْنِ بنِ حُذَيْفةَ بنِ بَدْرٍ.

وَمِنْ بَنِي تَمِيمٍ ثُمَّ مِنْ بَنِي حَنْظَلةَ: الأَقْرَعُ بنُ حابِسِ بنِ عِقالٍ، مِنْ بَنِي مُجاشِعِ بن دارِمٍ.

[سُئِلَ الرَّسُولُ عَنْ عَدَمِ إعْطائِهِ جُعَيْلًا فأجابَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ إبْراهِيمَ بنِ الحارِثِ التَّيْمِيُّ: أَنَّ قائِلًا قالَ لِرَسُولِ الله ﷺ مِنْ أصْحابِهِ: يا رَسُولَ الله، أَعْطَيْتَ عُيَيْنَةَ بنَ حِصْنٍ والأَقْرَعَ بنَ حابِسٍ مئةً مئةً، وتَرَكْتَ جُعَيْلَ بنَ سُراقةَ الضَّمْرِيَّ! فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أما والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَجُعَيْلُ بنُ سُراقةَ خَيْرٌ مِنْ طِلاعِ الأَرْضِ كُلِّهمْ مِثْلِ عُيَيْنَةَ بنِ حِصْنٍ والأَقْرَعِ بنِ حابِسٍ، ولَكِنِّي تَأَلَّفْتُهما لِيُسْلِما، ووَكَلْتُ جُعَيْلَ بنَ سُراقةَ إلى إسْلامِهِ».

[اعْتِراضُ ذِي الخُوَيْصِرةِ التَّمِيمِيِّ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي أبو عُبَيْدةَ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَمّارِ بنِ ياسِرٍ، عَنْ مِقْسَمٍ أبي القاسِمِ، مَوْلى عَبْدِ الله بنِ الحارِثِ بنِ نَوْفَلٍ، قالَ: خَرَجْتُ أنا وتَلِيدُ بنُ كِلابٍ اللَّيْثِيُّ، حَتّى أَتَيْنا عَبْدَ الله بنَ عَمْرِو بنِ العاصِ، وهُوَ يَطُوفُ بِالبَيْتِ، مُعَلِّقًا نَعْلَهُ بِيَدِهِ، فقُلْنا لَهُ: هَلْ حَضَرْتَ رَسُولَ الله ﷺ حِينَ كَلَّمَهُ التَّمِيمِيُّ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ قالَ: نَعَمْ، جاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يُقالُ لَهُ: ذُو الخُوَيْصِرةِ، فوَقَفَ عَلَيْهِ وهُوَ يُعْطِي النّاسَ، فقالَ: يا مُحَمَّدُ، قَدْ رَأَيْتُ ما صَنَعْتَ في هذا اليَوْمِ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَجَلْ، فكَيْفَ رَأَيْتَ؟» فقال: لَمْ أرَكَ عَدَلْتَ، قالَ: فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ قالَ: «ويْحَكَ! إذا لَمْ يَكُنِ العَدْلُ عِنْدِي، فعِنْدَ مَنْ يَكُونُ!» فقالَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ: يا رَسُولَ الله، ألا أَقْتُلُهُ؟ فقالَ: «لا، دَعْهُ؛ فإنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ شِيعةٌ يَتَعَمَّقُونَ في الدِّينِ حَتّى يَخْرُجُوا مِنْهُ كَما يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيّةِ، يُنْظَرُ في النَّصْلِ فلا يُوجَدُ شَيْءٌ، ثمَّ في القِدْحِ فلا يُوجَدُ شَيْءٌ، ثُمَّ في الفُوقِ فلا يُوجَدُ شَيْءٌ، سَبَقَ الفَرْثَ والدَّمَ». قالَ

ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ أبو جَعْفَرٍ بِمِثْلِ حَدِيثِ أبي عُبَيْدَةَ، وسَمّاهُ ذا الخُوَيْصِرَةِ.

[شِعْرُ حَسّانَ في حِرْمانِ الأنْصارِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبي نَجِيحٍ، عَنْ أبيهِ بِمِثْلِ ذلك.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ولَمّا أعْطى رَسُولُ الله ﷺ ما أعْطى في قُرَيْشٍ وقَبائِلِ العَرَبِ، ولَمْ يُعْطِ الأنْصارَ شَيْئًا، قالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ يُعاتِبُهُ في ذلك:

زادَتْ هُمُومٌ فماءُ العَيْنِ مُنْحَدِرُ ... سَحًّا إذا حَفَلَتْهُ عَبْرَةٌ دَرِرُ
وَجْدًا بِشَمّاءَ إذْ شَمّاءُ بَهْكَنَةٌ ... هَيْفاءُ لا دَنَسٌ فيها ولا خَوَرُ
دَعْ عَنْكَ شَمّاءَ إذْ كانَتْ مَوَدَّتُها ... نَزْرًا وشَرُّ وِصالِ الواصِلِ النَّزِرُ
وَأْتِ الرَّسُولَ فقُلْ يا خَيْرَ مُؤْتَمَنٍ ... لِلْمُؤْمِنِينَ إذا ما عُدِّدَ البَشَرُ
عَلامَ تُدْعى سُلَيْمٌ وهْي نازِحَةٌ ... قُدّامَ قَوْمٍ هُمُ آوَوْا وهُمْ نَصَرُوا
سَمّاهُمُ الله أنْصارًا بِنَصْرِهِمْ ... دِينَ الهُدى وعَوانُ الحَرْبِ تَسْتَعِرُ
وَسارَعُوا في سَبِيلِ الله واعْتَرَفُوا ... لِلنّائِباتِ وما خامُوا وما ضَجِرُوا
والنّاسُ ألْبٌ عَلَيْنا فيكَ لَيْسَ لَنا ... إلّا السُّيُوفَ وأطْرافَ القَنا وزَرُ
نُجالِدُ النّاسَ لا نُبْقِي على أحَدٍ ... ولا نُضَيِّعُ ما تُوحِي بِهِ السُّوَرُ
وَلا تَهِرُّ جُناةُ الحَرْبِ نادِيَنا ... ونَحْنُ حِينَ تَلَظّى نارُها سُعُرُ
كَما رَدَدْنا بِبَدْرٍ دُونَ ما طَلَبُوا ... أهْلَ النِّفاقِ وفِينا يُنْزَلُ الظَّفَرُ
وَنَحْنُ جُنْدُكَ يَوْمَ النَّعْفِ مِنْ أُحُدٍ ... إذْ حَزَّبَتْ بَطَرًا أحْزابَها مُضَرُ
فَما وَنِينا وما خِمْنا وما خَبَرُوا ... مِنّا عِثارًا وكُلُّ النّاسِ قَدْ عَثَرُوا

[وَجَدَ الأَنْصارُ لِحِرْمانِهِمْ فاسْتَرْضاهُمُ الرَّسُولُ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: حَدَّثَنِي زِيادُ بنُ عَبْدِ الله، قالَ: حَدَّثَنا ابنُ إِسْحاقَ: قالَ: وَحَدَّثَنِي عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ، عَنْ مَحْمُودِ بنِ لَبِيدٍ، عَنْ أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قالَ: لَمّا أَعْطى رَسُولُ الله ﷺ ما أَعْطى مِنْ تِلْكَ العَطايا في قُرَيْشٍ وفي قَبائِلِ العَرَبِ، ولَمْ يَكُنْ في الأَنْصارِ مِنْها شَيْءٌ، وجَدَ هذا الحَيُّ مِنَ الأَنْصارِ في أَنْفُسِهِمْ، حَتّى كَثُرَتْ مِنْهُمُ القالَةُ، حَتّى قالَ قائِلُهُمْ: لَقَدْ لَقِيَ واللهِ رَسُولُ الله ﷺ قَوْمَهُ، فدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بنُ عُبادةَ، فقالَ: يا رَسُولَ الله، إِنَّ هذا الحَيَّ مِنَ الأَنْصارِ قَدْ وجَدُوا عَلَيْكَ في أَنْفُسِهِمْ، لِما صَنَعْتَ في هذا الفَيْءِ الَّذي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ في قَوْمِكَ، وأَعْطَيْتَ عَطايا عِظامًا في قَبائِلِ العَرَبِ، ولَمْ يَكُ في هذا الحَيِّ مِنَ الأَنْصارِ مِنْها شَيْءٌ. قالَ: «فأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذلك يا سَعْدُ؟» قالَ: يا رَسُولَ الله، ما أَنا إِلّا مِنْ قَوْمِي. قالَ: «فاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ في هَذِهِ الحَظِيرةِ».

قالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ، فجَمَعَ الأَنْصارَ في تِلْكَ الحَظِيرةِ. قالَ: فجاءَ رِجالٌ مِنَ المُهاجِرِينَ فتَرَكَهُمْ فدَخَلُوا، وجاءَ آخَرُونَ فرَدَّهُمْ، فلَمّا اجْتَمَعُوا لَهُ أَتاهُ سَعْدٌ فقالَ: قَدِ اجْتَمَعَ لَكَ هذا الحَيُّ مِنَ الأَنْصارِ، فأَتاهُمْ رَسُولُ الله ﷺ فحَمِدَ اللهَ وأَثْنى عَلَيْهِ بِما هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قالَ: «يا مَعْشَرَ الأَنْصارِ، ما قالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ، وجِدةٌ وجَدْتُمُوها عَلَيَّ في أَنْفُسِكُمْ؟ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلّالًا فهَداكُم اللهُ، وعالَةً فأَغْناكُم اللهُ، وأَعْداءً فأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟» قالُوا: بَلى، اللهُ ورَسُولُهُ أَمَنُّ وأَفْضَلُ. ثُمَّ قالَ: «أَلا تُجِيبُونَنِي يا مَعْشَرَ الأَنْصارِ؟» قالُوا: بِماذا نُجِيبُكَ يا رَسُولَ الله؟ للهِ ولِرَسُولِهِ المَنُّ والفَضْلُ. قالَ ﷺ: «أَما

والله لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ، فلَصَدَقْتُمْ ولَصُدِّقْتُمْ: أَتَيْتَنا مُكَذَّبًا فصَدَّقْناكَ، ومَخْذُولًا فنَصَرْناكَ، وطَرِيدًا فآوَيْناكَ، وعائِلًا فآسَيْناكَ. أَوَجَدْتُمْ يا مَعْشَرَ الأَنْصارِ في أَنْفُسِكُمْ في لُعاعةٍ مِن الدُّنْيا تَأَلَّفْتُ بِها قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، ووَكَلْتُكُمْ إلى إسْلامِكُمْ؟ ألا تَرْضَوْنَ يا مَعْشَرَ الأَنْصارِ أَنْ يَذْهَبَ النّاسُ بِالشّاةِ والبَعِيرِ، وتَرْجِعُوا بِرَسُولِ الله إلى رحالِكُمْ؟ فوالّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلا الهِجْرةُ لَكُنْتُ امْرأً مِن الأَنْصارِ، ولَوْ سَلَكَ النّاسُ شِعْبًا وسَلَكَتِ الأَنْصارُ شِعْبًا، لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصارِ. اللهُمَّ ارْحَمِ الأَنْصارَ، وأبناءَ الأَنْصارِ، وأبناءَ أبناءِ الأَنْصارِ».

قالَ: فبَكى القَوْمُ حَتّى أَخْضَلُوا لِحاهُمْ، وقالُوا: رَضِينا بِرَسُولِ الله قَسْمًا وحَظًّا. ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ وتَفَرَّقُوا.

عُمْرةُ الرَّسُولِ مِن الجِعْرانةِ واسْتِخْلافُهُ عَتّابَ بنَ أَسِيدٍ على مَكّةَ وحَجَّ عَتّابٌ بِالمُسْلِمِينَ سَنةَ ثَمانِي

[اعْتِمارُ الرَّسُولِ واسْتِخْلافُهُ ابنَ أَسِيدٍ على مَكّةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ مِن الجِعْرانةِ مُعْتَمِرًا، وأَمَرَ بِبَقايا الفيءِ فحُبِسَ بِمَجَنّةَ، بِناحِيةِ مَرِّ الظَّهْرانِ، فلَمّا فرَغَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ عُمْرَتِهِ انْصَرَفَ راجِعًا إلى المَدِينةِ، واسْتَخْلَفَ عَتّابَ بنَ أَسِيدٍ على مَكّةَ، وخَلَّفَ مَعَهُ مُعاذَ بنَ جَبَلٍ، يُفَقِّهُ النّاسَ في الدِّينِ، ويُعَلِّمُهُمُ القُرْآنَ، واتُّبِعَ رَسُولُ الله ﷺ بِبَقايا الفيءِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وبَلَغَنِي عَنْ زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ أَنَّهُ قالَ: لَمّا اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ ﷺ

عَتّابَ بنَ أسِيدٍ على مَكّةَ رَزَقَهُ كُلَّ يَوْمٍ دِرْهَمًا، فقامَ فخَطَبَ النّاسَ، فقالَ: أيُّها النّاسُ، أجاعَ اللهُ كَبِدَ مَنْ جاعَ على دِرْهَمٍ، فقَدْ رَزَقَني رَسُولُ اللهِ ﷺ دِرْهَمًا كُلَّ يَوْمٍ، فلَيْسَتْ بِي حاجةٌ إلى أحَدٍ.

[وَقْتُ العُمْرةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَتْ عُمْرةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ في ذِي القَعْدةِ، فقَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينةَ في بَقِيّةِ ذِي القَعْدةِ أوْ في ذِي الحِجّةِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وقَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينةَ لِستٍّ لَيالٍ بَقِينَ مِنْ ذِي القَعْدةِ فيما زَعَمَ أبو عَمْرٍو المَدَنِيُّ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَجَّ النّاسُ تِلْكَ السَّنةَ على ما كانَت العَرَبُ تَحُجُّ عَلَيْهِ، وحَجَّ بِالمُسْلِمِينَ تِلْكَ السَّنةَ عَتّابُ بنُ أسِيدٍ، وهِيَ سَنةُ ثَمانٍ، وأقامَ أهْلُ الطّائِفِ على شِرْكِهِمْ وامْتِناعِهِمْ في طائِفِهِمْ، ما بَيْنَ ذِي القَعْدةِ إذِ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى شَهْرِ رَمَضانَ مِنْ سَنةِ تِسْعٍ.

وَذَكَرَ حَدِيثَ ذِي الخُوَيْصِرةِ التَّمِيمِيّ، وَما قالَ فِيهِ النّبِيّ ﷺ وَفِي شِيعَتِهِ، وفِي حَدِيثٍ آخَرَ قالَ: يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِهِ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاتَكُمْ إلى صَلاتِهِمْ، وَصِيامَكُمْ إلى صِيامِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِن الدِّينِ كَما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِن الرَّمِيّةِ[١]... الحَدِيثَ، فَكانَ كَما قالَ ﷺ، وَظَهَرَ صِدْقُ الحَدِيثِ فِي الخَوارِجِ، وَكانَ أوّلُهُمْ مِنْ ضِئْضِئِي ذَلِكَ الرّجُلِ؛ أيْ: مِنْ أصْلِهِ، وَكانُوا مِنْ أهْلِ نَجْدٍ الّتِي قالَ فِيها النّبِيّ ﷺ: «منها يطلُع قرْنُ الشّيْطانِ»[٢]. فَكانَ بَدْؤُهُمْ مِنْ ذِي الخُوَيْصِرةِ.

---

(١) «فتح الباري»، كتاب المغازي: (٨: ٦٧)، ومسلم، كتاب الزكاة: (٢: ٧٤٢).

(٢) «فتح الباري»، كتاب المغازي: (٨: ٩٨)، ومسلم، كتاب الإيمان: (١: ٧٨).

وَكانَ آيَتَهُمْ ذُو الثُّدَيّةِ الّذِي قَتَلَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَكانَتْ إحْدى يَدَيْهِ كَثَدْيِ المَرْأَةِ، واسْمُ ذِي الثُّدَيّةِ نافِعٌ، ذَكَرَهُ أَبُو داوُدَ، وغيره يقول: اسْمُهُ: حُرْقُوص، وَقَوْلُ أَبِي داوُدَ أَصَحّ، واللهُ أَعْلَمُ. [وسيأتي اسمُ ذي الخُويصرة فيما بعدُ إن شاء الله[1]][2].

وَذَكَرَ شِعْرَ حَسّانَ، وفيه: [من البسيط]

هيفاءُ لا ذَنَنٌ فِيها وَلا خَوَرُ[3]

الذَّنَنُ: القَذَرُ والتَّفْلُ، والذَّنِينُ: المُخاطُ، والذَّنَنُ أَيْضًا ألا يَنْقَطِعَ حَيْضُ المَرْأَةِ، يقال: امرأةٌ ذنّاء، وَلَوْ رُوِيَ بِالدّالِ المُهْمَلةِ لَكانَ جَيّدًا أَيْضًا؛ فَإِنّ الدّنَنَ بِالدّالِ هُوَ قِصَرُ العُنُقِ وَتَطامُنُها، وَهُوَ عَيْبٌ. والبَهْكَنةُ[4]: الضّخْمةُ.

فَصْلٌ

وَذَكَرَ قَوْلَ رسول الله ﷺ للأنصار: «ما قالةٌ بلغَتْني عَنْكُمْ، وَجِدةٌ وَجَدْتُمُوها فِي أَنْفُسِكُمْ»[5]، هَكَذا الرّوايةُ: «جِدة» والمَعْرُوفُ عِنْدَ أَهْلِ اللّغةِ: «مَوْجِدة» إذا أَرَدْتَ الغَضَبَ، وَإِنّما الجِدةُ فِي المالِ.

---

(١) انظر: (٧: ٢٨١).

(٢) ليس في (ب)، (ج)، (ص).

(٣) في «السيرة»: «لا دنس فيها» بدل: «لا ذنن فيها».

(٤) وذلك في قول حسان في صدر البيت:

وجدًا بشـمّاء إذْ شمّاءُ بَهْكنةٌ هيفـاءُ..................

وأما الهيفاء فهي الضامرة الخصر.

(٥) ذكر أبو ذر الروايتين: الموجدة، والجدة. وقال (ص: ٤١٤): «والمَوْجِدة: العتاب. وأكثر ما تكون الجِدة في المال».

وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السّلامُ: «فِي لُعاعةٍ مِن الدُّنْيا تَأَلّفْتُ بها قَوْمًا». اللّعاعةُ بَقْلَةٌ ناعِمةٌ، وَهَذا نَحْوٌ مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السّلامُ: «المالُ حُلْوةٌ خَضِرةٌ»[١]، واللَّعّةُ مِنْ هَذا المَعْنى، وَهِيَ المَرْأةُ المَلِيحةُ العَفِيفةُ، واللَّعْلَعُ: السَّرابُ، واللّعْلَعةُ[٢]: بَصِيصُهُ.

وَذَكَرَ جُعَيْلَ بنَ سُراقةَ الضَّمْرِيّ، وَقَوْلَ النّبِيّ ﷺ فِيهِ: «وأَكِلُ جُعَيْلًا إلى ما في قلبهِ من الإيمان».

نَسَبَ ابنُ إسْحاقَ جُعَيْلًا إلى ضَمْرةَ، وَهُوَ مَعْدُودٌ فِي غِفارٍ؛ لِأنّ غِفارًا هُمْ بَنُو مُلَيْلِ بنِ ضَمْرةَ من بني لَيْثِ بنِ بكرِ بنِ عَبْدِ مَناةَ بنِ كِنانةَ.

وَأمّا حَدِيثُ التَّمِيمِيّ الّذِي قالَ لِلنّبِيّ ﷺ حِينَ أعْطى المُؤَلَّفةَ قُلُوبُهُم: اعدلْ يا محمّد، قال: «ويحك، فمن يعدلُ إن لم أعدِلْ؟!»، وَقالَ أيْضًا: إنّي أرى قِسْمةً ما أُرِيدُ بها وَجْهُ الله، فَقالَ ﷺ: «أيَأْمَنُنِي اللهُ[٣] فِي السّماءِ، وَلا تَأْمَنُونِي؟!»، أوْ كَما قالَ ﷺ ، فالرّجُلُ هُوَ ذُو الخُوَيْصِرةِ، كَذَلِكَ جاء ذكرُهُ في الحديث.

وَيُذْكَرُ عَن الواقِدِيّ أنّهُ قالَ: هُوَ حُرْقُوصُ بنُ زُهيرٍ السّعديُّ، من سعدِ تَمِيمٍ[٤]، وَقَدْ كانَ لِحُرْقُوصٍ هَذا مَشاهِدُ مَحْمُودةٌ فِي حَرْبِ العِراقِ مَعَ الفُرْسِ أيّامَ عُمَرَ، ثُمّ كانَ خارِجِيًّا، وفِيهِ يَقُولُ [نجيبةُ][٥] الخارِجِيّ[٦]: [من البسيط]

---

(١) «فتح الباري»، كتاب الجهاد: (٦: ٤٨-٤٩).

(٢) في النسخ: «ولعاعة»، والمثبت عن «التاج» و«اللسان».

(٣) في (ف): «يأمنني من».

(٤) في (ب): «بن سعد بن تميم».

(٥) ليس في (ج)، (ص).

(٦) هو الرهين بن سهم المرادي الخارجي، وصدر البيت:

وأسأل الله بيع النفس محتسبًا =

حَتّى أُلاقِيَ فِي الفِرْدَوْسِ حُرْقُوصا

وَلِذَلِكَ قالَ فِيهِ النّبِيُّ ﷺ: «إنّهُ سَيَكُونُ مِنْ ضِئْضِئِ هذا قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاتَكُمْ إلى صَلاتِهِمْ»، وَذَكَرَ صِفةَ الخَوارِجِ.

وَلَيْسَ ذُو الخُوَيْصِرةِ هذا هو ذو الثُّدَيّة الّذِي قَتَلَهُ عَلِيٌّ بِالنّهْرَوان، ذَلِكَ اسْمُهُ: نافع، ذكرَهُ أبو داود، وكلامُ الواقديِّ حَكاهُ ابنُ الطّلّاعِ[1] فِي [كتاب][2] «الأحْكامِ» لَهُ[3].

* * *

= انظر: «أنساب الأشراف» للبلاذري: (٥: ٣٨٧)، و«الكامل» للمبرد: (٣: ١٩٢). (ج)

(١) هو أبو عبد الله محمد بن فرج، مفتي الأندلس ومسندها. وكتابه هو: «أحكام رسول الله» كما في «فهرسة ابن خير» (٤٦٦). توفي ابن الطلاع سنة (٤٩٧هـ) عن ثلاث وتسعين سنة. انظر: «العبر» للذهبي: (٣: ٣٤٩).

(٢) عن (ب).

(٣) انظر أيضًا: «أسد الغابة» (٢: ١٧٢).

أمْرُ كَعْبِ بنِ زُهَيْرٍ بَعْدَ الِانْصِرافِ عَنِ الطّائِفِ

[تَخَوُّفُ بُجَيرٍ على أخِيهِ كَعْبٍ ونَصِيحَتُهُ لَهُ]

وَلَمّا قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ مُنْصَرَفِهِ عَن الطّائِفِ كَتَبَ بُجَيْرُ بنُ زُهَيْرِ ابنِ أبِي سُلْمى إلى أخِيهِ كَعْبِ بنِ زُهَيْرٍ يُخْبِرُهُ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَتَلَ رِجالًا بِمَكّةَ مِمَّنْ كانَ يَهْجُوهُ ويُؤْذِيهِ، وأنَّ مَنْ بَقِيَ مِنْ شُعَراءِ قُرَيْشٍ ابنُ الزِّبَعْرى وهُبَيْرَةُ بنُ أبِي وهْبٍ، قَدْ هَرَبُوا في كُلِّ وجْهٍ، فإنْ كانَتْ لَكَ في نَفْسِكَ حاجَةٌ فطِرْ إلى رَسُولِ الله ﷺ، فإنَّهُ لا يَقْتُلُ أحَدًا جاءَهُ تائِبًا، وإنْ أنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فانْجُ إلى نَجائِكَ مِن الأرْضِ.

وكانَ كَعْبُ بن زُهَيْرٍ قَدْ قالَ:

ألا أبْلِغا عَنِّي بُجَيْرًا رِسالَةً ... فهَلْ لَكَ فيما قُلْتُ ويْحَكَ هَلْ لَكا؟
فَبَيِّنْ لَنا إنْ كُنْتَ لَسْتَ بِفاعِلٍ ... على أيِّ شَيْءٍ غَيْرِ ذلك دَلَّكا
على خُلُقٍ لَمْ أُلْفِ يَوْمًا أبا لَهُ ... عَلَيْهِ وما تُلْفِي عَلَيْهِ أبا لَكا
فَإنْ أنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فلَسْتُ بِآسِفٍ ... ولا قائِلٍ إمّا عَثَرْتَ: لَعًا لَكا
سَقاكَ بِها المَأْمُونُ كَأْسًا رَوِيّةً ... فأنْهَلَكَ المَأْمُونُ مِنْها وعَلَّكا

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُرْوى «المَأْمُورُ». وقَوْلُهُ «فَبَيِّنْ لَنا» عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

وَأنْشَدَنِي بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ وحَدِيثِهِ:

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي بُجَيْرًا رِسالَةً ... فهَلْ لَكَ فيما قُلْتُ بِالخَيْفِ هَلْ لَكا

شَرِبْتَ مَعَ المَأْمُونِ كَأْسًا رَوِيّةً ... فأنْهَلَكَ المَأْمُـونُ مِنْها وعَلَّكا
وَخالَفْتَ أَسْـبابَ الهُدى واتَّبَعْتَهُ ... على أيِّ شَيْءٍ ويْـبَ غَيْرِكَ دَلَّكا
على خُلُـقٍ لَمْ تُلْـفِ أُمًّا ولا أبًا ... عَلَيْهِ ولَمْ تُـدْرِكْ عَلَيْهِ أخًا لَكا
فَإنْ أنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فلَسْتُ بِآسِفٍ ... ولا قائِـلٍ إمّا عَـثَرْتَ: لَعًا لَكا

قالَ: وبَعَثَ بِها إلى بُجَيْرٍ، فلَمّا أتَتْ بُجَيْرًا كَرِهَ أنْ يَكْتُمَها رَسُولَ الله ﷺ، فأنْشَدَهُ إيّاها، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ لَمّا سَمِعَ «سَقاكَ بِها المَأْمُونُ»: «صَدَقَ وإنَّهُ لَكَذُوبٌ، أنا المَأْمُونُ». ولَمّا سَمِعَ: «على خُلُقٍ لَمْ تُلْفِ أُمًّا ولا أبًا عَلَيْهِ» قالَ: «أجَلْ، لَمْ يُلْفِ عَلَيْهِ أباهُ ولا أُمَّهُ».

ثُمَّ قالَ بُجَيْرٌ لِكَعْبٍ:

مَنْ مُبْلِغٌ كَعْبًا فهَلْ لَكَ في الَّتي ... تَلُومُ عَلَيْها باطِلًا وهْيَ أحْزَمُ
إلى الله لا العُزّى ولا اللّاتِ وحْدَهُ ... فتَنْجُو إذا كانَ النَّجاءُ وتَسْلَمُ
لَدى يَوْمٍ لا يَنْجُو ولَيْسَ بِمُفْلِتٍ ... مِنَ النّاسِ إلّا طاهِرُ القَلْبِ مُسْلِمُ
فَدِينُ زُهَيْرٍ وهوَ لا شَيْءَ دِينُهُ ... ودِينُ أبي سُـلْمى عَـلَيَّ مُحَرَّمُ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وإنَّما يَقُولُ كَعْبٌ: «المَأْمُونُ»، ويُقالُ: «المَأْمُورُ» في قَوْلِ ابنِ هِشامٍ؛ لِقَوْلِ قُرَيْشٍ الَّذي كانَتْ تَقُولُهُ لِرَسُولِ الله ﷺ.

فَصْلٌ

وَذَكَرَ قِصّةَ بُجَيْرِ بنِ زُهَيْرِ بنِ أَبِي سُلْمى، واسْمُ أَبِي سُلْمى: رَبِيعةُ بنُ رِياحٍ، أَحَدُ بَنِي مُزَيْنَةَ.

وَفِي شِعْرِ كعبٍ إلى أخيه بُجيرٍ: [من الطويل]

سقاكَ بها المَأْمُونُ كَأْسًا رَوِيّةً

وَيُرْوى: «المَحْمُودُ» فِي غَيْرِ روايةِ ابنِ إسْحاقَ، أرادَ بالمَحْمُودِ: مُحَمّدًا، وَكَذَلِكَ المَأْمُونُ والأمِينُ، كانَتْ قُرَيْشٌ تُسَمِّي بِهِما[1] رسول الله ﷺ قَبْلَ النّبُوّةِ.

وَقَوْلُهُ لِأخِيهِ بُجَيْرٍ: [من الطويل]

على خُلُقٍ لَمْ تُلْفِ أُمًّا وَلا أبًا عَلَيْهِ، وَلَمْ تُدْرِكْ عَلَيْهِ أخًا لَكا

إنّما قالَ ذَلِكَ لِأنّ أُمّهُما واحِدةٌ، وَهِيَ كَبْشَةُ بِنْتُ عَمّارٍ[2] السُّحَيْمِيّةُ فِيما ذَكَرَ ابنُ الأعْرابِيّ عن ابنِ الكَلبي.

وقوله: «إمّا عثَرتَ لعًا لكا»، [لعًا][3]: كلمةٌ تُقالُ للعاثرِ دعاءً له بالإقالةِ. قالَ الأعْشى[4]: [من البسيط]

فالتّعْسُ أدْنى لَها مِنْ أنْ يُقال: لعا

وأنشد أبو عبيد: [من البسيط]

فلا لعًا لِبَنِي[5] فَعْلانَ إذْ عَثَرُوا

وَقَوْلُ بُجَيْرٍ: [من البسيط]

وَدِينُ زُهَيْرٍ وهْوَ لا شَيْءَ دِينُهُ

---

(١) في (أ)، (ب)، (ج): «بها».

(٢) في غير (أ)، (ب)، (ص)، (ف): «عماد». وانظر: «ديوان زهير» (ص: ٣٣٥).

(٣) عن (ص).

(٤) «ديوانه» (ص: ١٠٧)، وصدره:

بذاتِ لــوثٍ عَفَرْناةٍ إذا عَثَرتْ

(٥) في حاشية: «لبني ذبيان».

رِوايةٌ مُسْتَقِيمةٌ، وَقَدْ رَواهُ القالِيّ فَقالَ: «[وهوَ][١] لا شَيْءَ غَيْرُهُ»، وَفَسَّرَهُ على التَّقْدِيمِ والتَّأْخِيرِ، أرادَ: وَدِينُ زُهَيْرٍ غَيْرُهُ، وَهُوَ لا شَيْءَ. وَرِوايةُ ابنِ إسْحاقَ أَبْعَدُ مِن الإِشْكالِ وَأَصَحّ، واللهُ أَعْلَمُ.

وَكَعْبٌ هَذا مِنْ فُحُولِ الشُّعَراءِ هُوَ وَأَبُوهُ زُهير، وكذلكَ ابنهُ عُقْبةُ بنُ كَعْبِ ابنِ زُهَيْرٍ، يُعْرَفُ عُقْبةُ بِالمُضَرَّبِ[٢]، وابنُ عُقْبةَ العَوّامُ شاعِرٌ أَيْضًا، وَهُوَ الّذِي يَقُولُ: [من الطويل]

أَلا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَغَيّرَ بَعْدَنا مَلاحةُ عَيْنَيْ أُمِّ عَمْرٍو وَجِيدُها؟
وَهَلْ بَلِيَتْ أَثْوابُها بَعْدَ جِدّةٍ؟ أَلا حَبّذَا أَخْلاقُها وَجَدِيدُها[٣]

وَمِمّا يُسْتَحْسَنُ وَيُسْتَجادُ مِنْ قَوْلِ كَعْبٍ[٤]: [من البسيط]

لَوْ كُنْتُ أَعْجَبُ مِنْ شَيْءٍ لَأَعْجَبَنِي
سَعْيُ الفَتى وَهْوَ مَخْبُوءٌ لَهُ القَدَرُ
يَسْعى الفَتى لِأُمُورٍ لَيْسَ يُدرِكُها
فالنّفسُ واحدةٌ والهمُّ مُنْتَشِرُ
والمرءُ ما عاشَ مَمْدُودٌ لَهُ أَمَلٌ
لا تَنْتَهِي العَيْنُ حَتّى يَنْتَهِي الأَثَرُ

---

(١) عن (ب).

(٢) انظر سبب تلقيبه بالمُضَرَّب (بالبناء للمفعول) في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة: (ص: ١٤٢-١٤٣).

(٣) يقال: ثوبٌ خَلَق: بالٍ، وأخلاق: إذا كان البلى فيه كله.

(٤) «ديوانه» (ص: ٢٢٩).

وَقَوْلُهُ(١): [من السريع]

إنْ كُنْتَ لا تَرْهَبُ ذَمّي(٢) لِما ... تَعْرِفُ مِنْ صَفْحِي عَنِ الجاهِلِ
فاخْشَ سُكُوتِي إذْ أنا مُنْصِتٌ ... فِيك لِمَسْمُوعِ خَنا القائِلِ
فالسّامِعُ الذّمِّ شَرِيكٌ لَهُ ... وَمُطْعِمُ المَأْكُولِ كالآكِلِ
مَقالَةُ السّوءِ إلى أهْلِها(٣) ... أسْرَعُ مِنْ مُنْحَدرٍ سائِلِ
وَمَنْ دَعا النّاسَ إلى ذَمِّهِ ... ذَمُّوهُ بِالحَقّ وَبِالباطِلِ

* * *

(١) لم أجده في «ديوانه»، وهي في «الاستيعاب» (٣: ١٣١٥)، و«أسد الغابة» (٤: ٤٧٧).
(٢) في (ف): «من ذمي».
(٣) في (أ): «أهله».

[قُدومُ كَعْبٍ على الرَّسُولِ، وقَصِيدَتُهُ اللّامِيّةُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا بَلَغَ كَعْبًا الكِتابُ ضاقَتْ بِهِ الأرْضُ، وأشْفَقَ على نَفْسِهِ، وَأرْجَفَ بِهِ مَنْ كانَ في حاضِرِهِ مِنْ عَدُوِّهِ، فقالُوا: هُوَ مَقْتُولٌ. فلَمّا لَمْ يَجِدْ مِنْ شَيْءٍ بُدًّا، قالَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَمْدَحُ فيها رَسُولَ الله ﷺ، وذَكَرَ فيها خَوْفَهُ وإرْجافَ الوُشاةِ بِهِ مِنْ عَدُوِّهِ، ثُمَّ خَرَجَ حَتّى قَدِمَ المَدِينَةَ، فنَزَلَ على رَجُلٍ كانَتْ بَيْنَهُ وبَيْنَهُ مَعْرِفةٌ، مِنْ جُهَيْنَةَ، كَما ذُكِرَ لِي، فغَدا بِهِ إلى رَسُولِ الله ﷺ حِينَ صَلّى الصُّبْحَ، فصَلّى مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، ثُمَّ أشارَ لَهُ إلى رَسُولِ الله ﷺ، فقالَ: هذا رَسُولُ الله فقُمْ إلَيْهِ فاسْتَأْمِنْهُ. فذُكِرَ لِي أنَّهُ قامَ إلى رَسُولِ الله ﷺ حَتّى جَلَسَ إلَيْهِ، فوَضَعَ يَدَهُ في يَدِهِ، وكانَ رَسُولُ الله ﷺ لا يَعْرِفُهُ، فقالَ: يا رَسُولَ الله، إنَّ كَعْبَ بنَ زُهَيْرٍ قَدْ جاءَ لِيَسْتَأْمِنَ مِنْكَ تائِبًا مُسْلِمًا، فهَلْ أنْتَ قابِلٌ مِنْهُ إنْ أنا جِئْتُكَ بِهِ؟ قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «نَعَمْ»، قالَ: أنا يا رَسُولَ الله كَعْبُ بنُ زُهَيْرٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ: أنَّهُ وثَبَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِن الأنْصارِ، فقالَ: يا رَسُولَ الله، دَعْنِي وعَدُوَّ الله أضْرِبْ عُنُقَهُ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «دَعْهُ عَنْكَ؛ فإنَّهُ قَدْ جاءَ تائِبًا، نازِعًا عَمّا كانَ عَلَيْهِ». قالَ: فغَضِبَ كَعْبٌ على هذا الحَيِّ مِن الأنْصارِ؛ لِما صَنَعَ بِهِ صاحِبُهُمْ، وذلك أنَّهُ لَمْ يَتَكَلَّمْ فيهِ رَجُلٌ مِن المُهاجِرِينَ إلّا بِخَيْرٍ، فقالَ في قَصِيدَتِهِ الَّتِي قالَ حِينَ قَدِمَ على رَسُولِ الله ﷺ:

بانَتْ سُـعادُ فقَلْبِي اليَوْمَ مَتبُولُ ... مُتَيَّـمٌ إثْرَها لَـمْ يُفْـدَ مَكْبُولُ
وَما سُـعادُ غَداةَ البَيْنِ إذْ رَحَلُوا ... إلّا أغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ
هَيْفاءُ مُقْبِلَـةً عَجْـزاءُ مُدْبِرةً ... لا يُشْـتَكى قِصَرٌ مِنْهـا ولا طُولُ
تَجْلُو عَوارِضَ ذِي ظَلْمٍ إذا ابْتَسَمَتْ ... كَأنَّـهُ مُنْهَـلٌ بِالـرّاحِ مَعْلُولُ
شُجَّتْ بِذِي شَـبَمٍ مِنْ ماءِ مَحْنِيةٍ ... صافٍ بِأبْطَحَ أضْحى وهْوَ مَشْمُولُ
تَنْفِي الرِّياحُ القَذى عَنْهُ وأفْرَطَهُ ... مِنْ صَوْبِ غادِيةٍ بِيـضٌ يَعالِيلُ
فَيالَهَـا خُلّةً لَـوْ أنّهـا صَدَقَتْ ... بِوَعْدِها أوْ لَـوَ انَّ النُّصْحَ مَقْبُولُ
لَكِنَّها خُلّةٌ قَدْ سِـيطَ مِنْ دَمِها ... فَجْـعٌ ووَلْعٌ وإخْـلافٌ وتَبْدِيلُ
فَما تَدُومُ على حـالٍ تَكُونُ بِها ... كَمـا تَلَـوَّنُ في أثْوابِهـا الغُولُ
وَما تَمَسَّكُ بِالعَهْدِ الَّذي زَعَمَتْ ... إلّا كَما يُمْسِـكُ المـاءَ الغَرابِيلُ
فَـلا يَغُرَّنْكَ ما مَنَّتْ وما وَعَدَتْ ... إنَّ الأمـانِيَّ والأحْـلامَ تَضْلِيلُ
كانَتْ مَواعِيـدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلًا ... ومـا مَواعِيدُهـا إلّا الأباطِيلُ
أرْجُـو وآمُـلُ أنْ تَدْنُـو مَوَدَّتُها ... ومـا إخـالُ لَدَيْنا مِنْـكِ تَنْوِيلُ
أمْسَتْ سُـعادُ بِأرْضٍ لا يُبَلِّغُها ... إلّا العِتاقُ النَّجِيباتُ المَراسِـيلُ
وَلَـنْ يُبَلِّغَهـا إلّا عُذافِرةٌ ... لَهَـا على الأيْـنِ إرْقـالٌ وتَبْغِيلُ
مِنْ كُلِّ نَضّاخةِ الذِّفْرى إذا عَرِقَتْ ... عُرْضَتُها طامِسُ الأعْلامِ مَجْهُولُ
تَـرْمِي الغُيُوبَ بِعَيْـنَيْ مُفْرِدٍ لَهَقٍ ... إذا تَوَقَّـدَتِ الحِـزّانُ والمِيـلُ
ضَخْـمٌ مُقَلَّدُهـا فعْـمٌ مُقَيَّدُها ... في خَلْقِها عَنْ بَناتِ الفَحْلِ تَفْضِيلُ
غَلْبـاءُ وجْناءُ عُلْكُـومٌ مُذَكَّرةٌ ... في دَفِّهـا سَـعةٌ قُدّامُهـا مِيـلُ
وَجِلْدُهـا مِـنْ أُطُومٍ ما يُؤَيِّسُـهُ ... طِلْحٌ بِضاحِيةِ المَتْنَـيْنِ مَهْزُولُ
حَرْفٌ أخُوها أبوهـا مِنْ مُهَجَّنةٍ ... وعَمُّهـا خالُهـا قَوْداءُ شِـمْلِيلُ

يَمْــشِي القُرادُ عَلَيْها ثُــمَّ يُزْلِقُهُ مِنْهــا لَبــانٌ وأقْــرابٌ زَهالِيلُ
عَيْرانَةٌ قُذِفَتْ بِالنَّحْضِ عَنْ عُرُضٍ مِرْفَقُها عَنْ بَنــاتِ الزَّوْرِ مَفْتُولُ
كَأنَّما فــاتَ عَيْنَيْهــا ومَذْبَحَها مِنْ خَطْمِها ومِنَ اللَّحْيَيْنِ بِرْطِيلُ
تُمِرُّ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذا خُصَلٍ في غارِزٍ لَــمْ تَخَوَّنْــهُ الأحالِيــلُ
قَنْــواءُ في حُرَّتَيْهــا لِلْبَصِيرِ بِها عِتْقٌ مُبِينٌ وفي الخَدَّيْنِ تَسْــهِيلُ
تَخْدِي على يَــسَراتٍ وهْيَ لاحِقَةٌ ذَوابِــلٍ مَسُّــهُنَّ الأرْضَ تَحْلِيلُ
سُمْرِ العُجاياتِ يَتْرُكْنَ الحَصى زِيَمًا لَمْ يَقِهِــنَّ رُؤُوسَ الأُكْمِ تَنْعِيلُ
كَأنَّ أوْبَ ذِراعَيْهــا وقَدْ عَرِقَتْ وقَــدْ تَلَفَّــعَ بِالقُورِ العَســاقِيلُ
يَوْمًا يَظَلُّ بِــهِ الحِرْباءُ مُصْطَخِدًا كَأنَّ ضاحِيَهُ بِالشَّــمْسِ مَمْلُولُ
وَقالَ لِلْقَوْمِ حادِيهِم وقد جَعَلَتْ وُرْقُ الجَنادِبِ يَرْكُضْنَ الحَصا قِيلُوا
شَــدَّ النَّهارِ ذِراعا عَيْطَلٍ نَصَفٍ قامَتْ فجاوَبَها نُكْــدٌ مَثاكِيلُ
نَوّاحَةٍ رِخْــوَةِ الضَّبْعَيْنِ لَيْسَ لَها لَــمّا نَعى بَكْرَها النّاعُونَ مَعْقُولُ
تَفْرِي اللَّبانَ بِكَفَّيها ومِدْرَعُها مُشَــقَّقٌ عَــنْ تَراقِيهــا رَعابِيلُ
تَسْــعى الغُواةُ جَنابَيْهــا وقَوْلُهُمُ إنَّكَ يــا ابنَ أبِي سُــلْمى لَمَقْتُولُ
وَقــالَ كُلُّ صَدِيــقٍ كُنْــتُ آمُلُهُ لا أُلْهِيَنَّــكَ إنِّي عَنْكَ مَشْــغُولُ
فَقُلْتُ خَلُّوا سَــبِيلِي لا أبا لَكُمُ فَــكُلُّ ما قَــدَّرَ الرَّحْمَــنُ مَفْعُولُ
كُلُّ ابنِ أُنْثى وإنْ طالَتْ سَــلامَتُهُ يَوْمًــا على آلَــةٍ حَدْبــاءَ مَحْمُولُ
نُبِّئْــتُ أنَّ رَسُــولَ الله أوْعَدَنِي والعَفْوُ عِنْدَ رَسُــولِ الله مَأْمُولُ
مَهْلًا هَــداكَ الَّذي أعْطاك نافِلَة القُرْآن فيهــا مَواعِيظٌ وتَفْصِيلُ
لا تَأْخُــذَنِّي بِأقْوالِ الوُشــاةِ ولَمْ أُذْنِبْ ولَــوْ كَــثُرَتْ فِيَّ الأقاوِيلُ
لَقَــدْ أقُومُ مَقامًــا لَوْ يَقُــومُ بِهِ أرى وأسْــمَعُ ما لَوْ يَسْــمَعُ الفِيلُ

لَظَـلَّ يُرْعَـدُ إلّا أنْ يَكُونَ لَهُ ... مِن الرَّسُـولِ بِـإِذْنِ اللهِ تَنْوِيلُ

حَـتّى وضَعْتُ يَمِينِي مـا أُنازِعُهُ ... في كَفِّ ذِي نَقِمـاتٍ قِيلُهُ القِيلُ

فَلَهْـوَ أخْوَفُ عِنْـدِي إذْ أُكَلِّمُهُ ... وقِيلَ إنَّكَ مَنْسُـوبٌ ومَسْـؤُولُ

مِنْ ضَيْغَـمٍ بِضَراءِ الأرْضِ مُخْدَرُهُ ... في بَطْـنِ عَثَّرَ غِيـلٌ دُونَهُ غِيلُ

يَغْدُو فيُلْحِمُ ضِرْغامَيْنِ عَيْشُهُما ... لَحْمٌ مِنَ النّـاسِ مَعْفُورٌ خَرادِيلُ

إذا يُسـاوِرُ قِرْنًـا لا يَحِـلُّ لَهُ ... أنْ يَتْرُكَ القِـرْنَ إلّا وهْوَ مَفْلُولُ

مِنْـهُ تَظَلُّ سِـباعُ الجَـوِّ نافِرَةً ... ولا تَمَـشّى بِوادِيـهِ الأراجِيلُ

وَلا يَـزالُ بِوادِيـهِ أخُـو ثِقَـةٍ ... مُـضَرَّجُ البَزِّ والدُّرْسـانِ مَأْكُولُ

إنَّ الرَّسُـولَ لَنُـورٌ يُسْـتَضاءُ بِهِ ... مُهَنَّدٌ مِنْ سُـيُوفِ اللهِ مَسْـلُولُ

في عُصْبةٍ مِـنْ قُرَيْشٍ قالَ قائِلُهُمْ ... بِبَطْنِ مَكّـةَ لَمّا أسْـلَمُوا زُولُوا

زالُوا فما زالَ أنْكاسٌ ولا كُشُفٌ ... عِنْدَ اللِّقـاءِ ولا مِيـلٌ مَعازِيلُ

شُـمُّ العَرانِـينِ أبْطالٌ لَبُوسُـهُمُ ... مِنْ نَسْجِ داوُدَ في الهَيْجا سَرابِيلُ

بِيضٌ سَـوابِغُ قَدْ شُكَّتْ لَها حَلَقٌ ... كَأنَّهـا حَلَـقُ القَفْعـاءِ مَجْدُولُ

لَيْسُوا مَفارِيحَ إنْ نالَتْ رِماحُهُم ... قَوْمًا ولَيْسُـوا مَجازِيعًـا إذا نِيلُوا

يَمْشُونَ مَشْيَ الجِمالِ الزُّهْرِ يَعْصِمُهُمْ ... ضَرْبٌ إذا عَـرَّدَ السُّـودُ التَّنابِيلُ

لا يَقَـعُ الطَّعْـنُ إلّا في نُحُورِهِمُ ... وما لَهُمْ عَنْ حِياضِ المَوْتِ تَهْلِيلُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: قالَ كَعْبٌ هَذِهِ القَصِيدةَ بَعْدَ قُدُومِهِ على رَسُولِ اللهِ ﷺ المَدِينةَ. وبَيْتُهُ: «حَرْفٌ أخُوها أبوها»، وبَيْتُهُ: «يَمْشِي القُرادُ»، وبَيْتُهُ: «عَيْرانةٌ قُذِفَتْ»، وبَيْتُهُ: «تُمِرُّ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ»، وبَيْتُهُ: «تَفْرِي اللَّبانَ»، وبَيْتُهُ: «إذا يُساوِرُ قِرْنا»، وبَيْتُهُ: «وَلا يَزالُ بِوادِيهِ» عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

[اسْتِرْضاءُ كَعْبٍ الأَنْصارَ بِمَدْحِهِ إيّاهُمْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ: فلَمّا قالَ كَعْبٌ: «إذا عَرَّدَ السُّودُ التَّنابِيلُ»، وإنَّما يُرِيدُنا مَعْشَرَ الأَنْصارِ، لِما كانَ صاحِبُنا صَنَعَ بَهْ ما صَنَعَ، وخَصَّ المُهاجِرِينَ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ أَصْحابِ رَسُول الله ﷺ بِمِدْحَتِهِ، غَضِبَتْ عَلَيْهِ الأَنْصارُ، فقالَ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ يَمْدَحُ الأَنْصارَ، ويَذْكُرُ بَلاءَهُمْ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، ومَوْضِعَهُمْ مِنَ اليَمَنِ:

مَنْ سَرَّهُ كَرْمُ الحَياةِ فلا يَزَلْ ... في مِقْنَبٍ مِنْ صالِحِي الأَنْصارِ
وَرِثُوا المَكارِمَ كابِرًا عَنْ كابِرٍ ... إنَّ الخِيارَ هُمُ بَنُو الأَخْيارِ
المُكْرِهِينَ السَّمْهَرِيَّ بِأَذْرُعٍ ... كَسَوالِفِ الهِنْدِيِّ غَيْرِ قِصارِ
والنّاظِرِينَ بِأَعْيُنٍ مُحْمَرّةٍ ... كالجَمْرِ غَيْرِ كَلِيْلَةِ الأَبْصارِ
والبائِعِينَ نُفُوسَهُمْ لِنَبِيِّهِمْ ... لِلْمَوْتِ يَوْمَ تَعانُقٍ وكِرارِ
والقائِدِينَ النّاسَ عَنْ أَدْيانِهِمْ ... بِالمَشْرَفِيِّ وبِالقَنا الخَطّارِ
يَتَطَهَّرُونَ يَرَوْنَهُ نُسْكًا لَهُمْ ... بِدِماءِ مَنْ عَلِقُوا مِنَ الكُفّارِ
دَرِبُوا كَما دَرِبَتْ بِبَطْنِ خَفِيّةٍ ... غُلْبُ الرِّقابِ مِنَ الأَسْوَدِ ضَوارِي
وَإذا حَلَلْتَ لِيَمْنَعُوكَ إلَيْهِمُ ... أَصْبَحْتَ عِنْدَ مَعاقِلِ الأَعْفارِ
ضَرَبُوا عَلِيًّا يَوْمَ بَدْرٍ ضَرْبَةً ... دانَتْ لِوَقْعَتِها جَمِيعُ نِزارِ
لَوْ يَعْلَمُ الأَقْوامُ عِلْمِي كُلَّهُ ... فِيهِمْ لَصَدَّقَنِي الَّذِينَ أُمارِي
قَوْمٌ إذا خَوَتِ النُّجُومُ فإنَّهُمْ ... لِلطّارِقِينَ النّازِلِينَ مَقارِي
في الغُرِّ مِنْ غَسّانَ مِنْ جُرْثُومَةٍ ... أَعْيَتْ مَحافِرُها على المِنْقارِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: إنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ لَهُ حِيْنَ أَنْشَدَهُ «بانَتْ سُعادُ فقَلْبِي اليَوْمَ مَتْبُولُ»: «لَوْلا ذَكَرْتَ الأَنْصارَ بِخَيْرٍ؛ فإنَّهُمْ لِذلك أَهْلٌ»،

فقالَ كَعْبُ هَذِهِ الأبْياتَ، وهِيَ في قَصِيدةٍ لَهُ. قالَ ابنُ هِشامٍ: وذُكِرَ لِي عَنْ عَلِيِّ بنِ زَيْدِ بنِ جُدْعانَ أنَّهُ قالَ: أنْشَدَ كَعْبُ ابن زُهَيْرٍ رَسُولَ الله ﷺ في المَسْجِدِ: «بانَتْ سُعادُ فقَلْبِي اليَوْمَ مَتْبُولُ».

وَذَكَرَ قَصِيدَتَهُ: [من البسيط]

بانَتْ سُعادُ فَقَلْبي اليَوْمَ مَتْبُولُ

وفيها قوله: «شُجَّتْ بذي شَبَمٍ» يَعْنِي: الخَمْرَ، وَشُجّتْ: كُسِرَتْ مِنْ أعْلاها؛ لِأنّ الشّجّة لا تكونُ إلّا في الرأس، والشَّبَمُ: البَرْدُ.

وَأفْرَطَهُ؛ أيْ: مَلَأهُ. والبِيضُ اليَعالِيلُ: السّحابُ، وقِيلَ: جِبالٌ يَنْحَدِرُ الماءُ مِنْ أعْلاها، واليَعالِيلُ أيْضًا: الغُدْرانُ، واحِدُها يَعْلُولٌ؛ لِأنّهُ يعلُّ الأرْضَ بمائِهِ.

وَقَوْلُهُ: [من البسيط]

يا وَيْحَها خُلّةً قَدْ سِيطَ مِنْ دَمِها

أيْ: خُلِطَ بِلَحْمِها وَدَمِها هَذِهِ الأخْلاقُ الّتِي وَصَفَها بِهِ[1] مِن الوَلَعِ، وَهُوَ الخُلْفُ، والكَذِبُ، والمَطْلُ والإخلاف، يُقالُ: ساطَ الدّمَ والشّرابَ إذا ضَرَبَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ. وَقالَ الشّاعِرُ يَصِفُ عَبْدَ اللهِ بنَ عَبّاسٍ: [من الطويل]

صَمُوتٌ إذا ما زَيّنَ الصّمْتُ أهْلَهُ
وَفَتّاقُ أبْكارِ الكَلامِ المُخَتَّمِ

---

(١) هو الأشبه بالصواب ويحسن إثباته في المتن.

وَعى ما حَوى القُرْآنُ مِنْ كُلِّ حِكْمةٍ

وَسِيطَتْ لَهُ الآدابُ بِاللّحْمِ والدّمِ

والغُولُ: الّتِي تَتَراءى بِاللّيْلِ. والسِّعْلاةُ ما تَتراءى بِالنّهارِ مِن الجِنّ، وَقَدْ أبْطَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حُكْمَ الغُولِ حَيْثُ قالَ: «لا عَدْوى وَلا غُولَ»[١]، وَلَيْسَ[٢] يُعارِضُ هَذا ما رُوِيَ مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السّلامُ: «إذا تَغَوّلَتِ الغِيلانُ فارْفَعُوا أصْواتَكُمْ بِالأذانِ»[٣]، وَكَذَلِكَ حَدِيثُ أبِي أيّوبَ مَعَ الغُولِ حِينَ أخَذَها؛ لِأنّ قَوْلَهُ عَلَيْهِ السّلامُ: [«لا غُولَ»][٤] إنّما أبْطَلَ بِهِ ما كانَت الجاهِلِيّةُ تَتَقَوّلُهُ مِنْ أخْبارِها وَخُرافاتِها [مَعَها][٥].

وَقَوْلُهُ: [من البسيط]

كانَتْ مَواعِيدُ عُرْقُوبٍ لَها مَثَلًا

هُوَ: عُرْقُوبُ بنُ صَخْرٍ، مِن العَمالِيقِ الّذِينَ سَكَنُوا يَثْرِبَ، وَقِيلَ: بَلْ هُوَ مِن الأوْسِ أو الخَزْرَجِ، وَقِصّتُهُ فِي إخْلافِ الوَعْدِ مَشْهُورةٌ حِينَ وَعَدَ أخاهُ بِجَنى نَخْلةٍ لَهُ وَعْدًا مِنْ بَعْدِ وَعْدٍ، ثُمّ جَدَّها لَيْلًا وَلَمْ يُعْطِهِ شَيْئًا[٦].

والتّبْغِيلُ: ضَرْبٌ مِن السّيْرِ سَرِيعٌ، والحُزّانُ جَمْعُ حَزِيزٍ، وَهُوَ ما غَلُظَ مِن الأرْضِ. والمِيلُ ما اتّسَعَ [مِنْها][٧].

---

(١) مسلم، كتاب السلام: (٤: ١٧٤٤).

(٢) في (ب): «ولا يعارض».

(٣) «مسند أحمد» (٣: ٣٠٥).

(٤) ليس في (أ).

(٥) ليس في (أ)، (ح).

(٦) انظر: «ديوان كعب» (ص: ٨).

(٧) ليس في (ب).

وَقَوْلُهُ: «تَرْمِي النِّجادَ»، وَأَنْشَدَهُ[١] أَبُو عَلِيّ: «تَرْمِي الغُيُوبَ»[٢]، وَهُوَ جَمْعُ غَيْبٍ، وَهُوَ ما غارَ مِن الأرْضِ، كَما قالَ ابنُ مُقْبِلٍ[٣]: [من البسيط]

لَدْمَ الغُـلامِ وَراءَ الغَيْبِ بِالحَجَرِ

وَقَوْلُهُ: [من البسيط]

حَرْفٌ أَبُوها أَخُوها مِنْ مُهَجَّنَةٍ وَعَمُّهـا خالُها قَوْداءُ شِـمْلِيلُ

القَوْداءُ: الطَّوِيلةُ العُنُقِ. والشِّمليل: السَّريعة. والحرف: الناقة الضّامر.

وَقَوْلُهُ: «مِنْ مُهَجّنةٍ» أيْ: مِنْ إِبِلٍ مُسْتَكْرَمةٍ هِجانٍ.

وَقَوْلُهُ: «أبُوها أخُوها»؛ أيْ: إِنَّهُما[٤] من جنسٍ واحدٍ في الكَرَم، وَقِيلَ: إِنّها[٥] مِنْ فَحْلٍ حَمَلَ على أُمِّهِ فَجاءَتْ بِهَذِهِ النّاقةِ، فَهُوَ أَبُوها وَأَخُوها، وَكانَتْ[٦] لِلنّاقةِ[٧] الّتِي هِيَ أُمُّ هَذِهِ بِنْتٌ أُخْرى مِن الفَحْلِ الأكْبَرِ، فَعَمُّها خالُها على هَذا، وَهُوَ عِنْدَهُمْ مِنْ أكْرَمِ النّتاجِ، والقَوْلُ الأوّلُ ذَكَرَهُ أَبُو عَلِيّ القالِيّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ[٨]، فاللهُ أَعْلَمُ.

وَقَوْلُهُ: «أَقْرابٌ زَهالِيلُ»؛ أيْ: خَواصِرُ مُلْسٌ، واحِدُها: زُهْلُولٌ. والبِرْطِيلُ:

---

(١) في (ف): «وأنشد».

(٢) وهي رواية «الديوان» (ص: ١٠).

(٣) «ديوانه» (ص: ٩٩)، وصدره:

وللفؤاد وجيـب تحت أبهره (ج)

(٤) في (ح)، (ج)، (ص): «إنها».

(٥) في (أ)، (ص): «إنهما».

(٦) في (ب): «وكان».

(٧) في (أ)، (ح)، (س)، (ف): «الناقة».

(٨) انظر: «التنبيه» للبكري: (٣: ١٢٥).

حَجَرٌ طَوِيلٌ، وَيُقالُ لِلْمِعْوَلِ أيْضًا: بِرْطِيلٌ.

وَقَوْلُهُ: [من الوافر]

ذَوابِلٍ وَقْعُهُنّ الأرْضَ تَحْلِيلُ

«تَحْلِيل» أيْ: قَلِيل. يُقالُ: ما أقام عِنْدَنا إلّا كَتَحْلِيلِ الأليّةِ، وَكَتَحِلّةِ القَسَم[1]، وَعَلَيْهِ حَمَلَ ابنُ قُتَيْبَةَ قَوْلَهُ عَلَيْهِ السّلامُ: «لَنْ تَمَسّهُ النّارُ إلّا تَحِلّةَ القَسَمِ». وَغَلّطَ أبا عُبَيْدٍ حَيْثُ فَسّرَهُ على القَسَمِ حَقِيقةً. قالَ القُتَبي: لَيسَ فِي الآيةِ قَسَمٌ؛ لِأنّهُ قالَ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١]، وَلَمْ يُقْسِمْ. قالَ: الخَطّابِيّ: هَذِهِ غَفْلَةٌ مِن ابنِ قُتيبة؛ فإنَّ في أول الآية: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ﴾ [مريم: ٦٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ داخلٌ تحتَ القَسَمِ المتقدِّم[2].

وقوله: «بالقُور العساقيل». القُور: جمع قارةٍ، وهي الحجارةُ السُّود.

والعَساقِيلُ هُنا: السَّرابُ، وَهَذا مِن المَقْلُوبِ، أرادَ: وَقَدْ تَلَفَّعت القُورُ بِالعَساقِيلِ.

وَفِيها [قَوْلُهُ][3]: «تَمْشِي الغُواةُ بِجَنْبَيْها»، أيْ: بِجَنْبَيْ ناقَتِهِ.

[وقوله][4]: [من البسيط]

...............[وقولُهُمُ][5] إنَّك يا ابنَ أبِي سُلْمى لَمَقْتُولُ

---

(١) في (ف): «المقسم».

(٢) انظر: «أعلام الحديث» للخطابي: (١: ٦٦٩)، (٤: ٢٢٨٥).

(٣) ليس في (ب).

(٤) عن (ب)، (س)، (ف)، وحاشية (أ).

(٥) ليس في (ب)، (ج).

وَيُرْوى: «وقِيلُهُمْ» وَهُوَ أَحْسَنُ فِي المَعْنى، وَأَوْلى بِالصَّوابِ؛ لِأَنّ القِيلَ هُوَ الكلامُ المقولُ فهو مبتدأ، وقوله: «إنك يا ابنَ أَبِي سُلْمى لَمَقْتُولُ»: خَبَرٌ، تَقُولُ إذا سُئِلْتَ: «ما قِيلُك؟»: قِيلِي: إنّ اللهَ واحِدٌ، فَقَوْلُك: إنّ اللهَ واحِدٌ هُوَ القِيلُ، والقَوْلُ مَصْدَرٌ كالطَّحْنِ والذَّبْح، والقِيلُ: اسْمٌ لِلْمَقُولِ كالطِّحْنِ والذِّبْحِ بِكَسْرِ أَوّلِهِ، وَإنّما حَسُنَتْ هَذِهِ الرّوايةُ لِأنّ القول مصدر، فيصير: إنك يا ابن أَبِي سُلْمى فِي مَوْضِعِ المَفْعُولِ [به][1]، فَيَبْقى المُبْتَدَأُ بِلا خَبَرٍ إلّا أَنْ تَجْعَلَ المَقُولَ هو القولَ على المجاز، كَما يُسَمّى المَخْلُوقُ خَلْقًا، وَعلى هَذا يَكُونُ قوله تبارك وتعالى: ﴿وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ﴾ [الزخرف: ٨٨]، [﴿يَـٰرَبِّ﴾ فِي مَوْضِعِ البَدَلِ مِن القِيلِ][2]، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ سبحانه: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا﴾ [الواقعة: ٢٦]، مُنْتَصِبٌ بِفِعْلٍ مُضْمَرٍ، فَهُوَ فِي مَوْضِعِ البَدَلِ مِنْ (قِيلًا)، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ سبحانه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]؛ أي: حديثًا مَقولًا.

ومن هَذا البابِ مَسْأَلةٌ مِن النّحْوِ ذَكَرَها سِيبَوَيْهِ، وابنُ السّراجِ فِي كِتابِهِ[3]، وَأَخَذَ[4] الفارِسِيّ مِنْهُما، أَوْ مِن ابنِ السّراجِ، فَكَثِيرًا ما يَنْقُلُ مِنْ كِتابِهِ بِلَفْظِهِ غَيْرَ أَنّهُ أَفْسَدَ هَذِهِ المَسْأَلةَ، وَلَمْ يفْهَمْ ما أرادَ بِها، وَذَلِكَ أَنّهُما قالا: إذا قُلْت: أَوّلُ ما أَقُولُ: إنّي أَحْمَدُ اللهَ، بِكَسْرِ الهَمْزةِ، فَهُوَ على الحِكايةِ، فَظَنّ الفارِسِيُّ أَنّهُ يُرِيدُ [على][5] الحِكايةِ[6] ....

(١) ليس في (م)، (ف).

(٢) ليس في (أ).

(٣) «الكتاب» (٣: ١٤٧)، و«الأصول» (١: ١٧٢-١٧٣).

(٤) في (ف): «وأخذها».

(٥) عن (أ)، (ب)، (س)، (ف).

(٦) في (ف): «بالحكاية».

بالقَوْلِ[١]، فَجَعَلَ «إنّي أحْمَدُ اللهَ» فِي مَوْضِعِ المَفْعُولِ بـ«أقُولُ»، فَلَمّا بَقِيَ لَهُ المُبْتَدَأُ بِلا خَبَرٍ تكَلّفَ لَهُ تَقْدِيرًا لا يُعْقَلُ، فَقالَ: تَقْدِيرُهُ «أوّلُ ما أقُولُ إنّي أحْمَدُ اللهَ مَوْجُودٌ أوْ ثابِتٌ»، فَصارَ مَعْنى كَلامِهِ إلى أنّ أوّلَ هَذِهِ الكَلِمةِ الّتِي هِيَ إنّي أحْمَدُ اللهَ مَوْجُودٌ؛ أيْ: أوّلُ هَذِهِ الكَلِمةِ مَوْجُودٌ، فَآخِرُها إذًا مَعْدُومٌ، وَهَذا خَلْفٌ مِن القَوْلِ كَما تَرى.

وَقَدْ وافَقَهُ ابنُ جِنّي عَلَيْهِ، رَأيْتُهُ فِي بَعْضِ مَسائِلِهِ قالَ: قُلْتُ لِأبِي عَلِيّ: لِمَ لا يَكُونُ: إنّي أحْمَدُ اللهَ فِي مَوْضِعِ الخَبَرِ، كَما تَقُولُ: أوّلُ سورة أقرؤها: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، أوْ نَحْوَ هَذا، وَلا يَحْتاجُ إلى حَذْفِ خَبَرٍ؟ قالَ: فَسَكَتَ وَلَمْ يَجِدْ جَوابًا.

وَإنّما مَعْنى هَذِهِ المَسْألةِ: أوّلُ ما أقُولُ، أيْ: أوّلُ القِيلِ الّذِي أقُولُهُ إنّي أحْمَدُ اللهَ على حِكايَةِ الكَلامِ المَقُولِ، وَهَذا الّذِي أرادَ سِيبَوَيْهِ، وَأبُو بَكْرِ بنُ السّراجِ، فَإنْ فَتَحْتَ الهَمْزةَ مِنْ «أنّ» صارَ مَعْنى الكَلامِ: أوّلُ القَوْلِ لا أوّلُ القِيلِ، وَكانَتْ «ما» واقِعةً على المَصْدَرِ، وَصارَ مَعْناهُ: أوّلُ قَوْلِي الحَمْدُ؛ إذ الحَمْدُ قَوْلٌ، وَلَمْ يُبَيّنْ مَعَ فَتْحِ الهَمْزةِ كَيْفَ حَمِدَ اللهَ، هَلْ قالَ: الحَمْدُ للهِ بِهَذا اللّفْظِ، أوْ غَيْرِهِ، وَعلى كَسْرِ الهَمْزةِ قَدْ بَيّنَ كَيْفَ حَمِدَ حِينَ افْتَتَحَ كَلامَهُ بِأنّهُ قالَ: إنّي أحْمَدُ اللهَ بِهَذا اللّفْظِ أوْ غَيْرِهِ، وَعلى كَسْرِ الهَمْزةِ قَدْ بَيّنَ كَيْفَ حَمِدَ حِينَ افْتَتَحَ كَلامَهُ بِأنّهُ قالَ: إنّي أحْمَدُ اللهَ بِهَذا اللّفْظِ لا بِلَفْظٍ آخَرَ. فَقِفْ على هَذِهِ المَسْألةِ، وَتَدَبّرْها إعْرابًا وَمَعْنًى، فَقَلَّ مَنْ أحْكَمَها، وَحَسْبُك أنّ الفارِسِيّ لَمْ يَفْهَمْ عَمّنْ قَبْلَهُ فيها، وَجاءَ بِالتّخْلِيطِ المُتَقَدِّمِ، واللهُ المُسْتَعانُ.

---

(١) في (ف): «على القول».

والخَرادِيلُ: القِطَعُ مِن اللّحْمِ، وَفِي الحَدِيثِ فِي صِفةِ الصّراطِ: «فَمِنْهُم المُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُم المُخَرْدَلُ»[١] أيْ: تُخَرْدِلُ لَحْمَهُ الكَلالِيبُ الّتِي حَوْلَ الصّراطِ، سَمِعْتُ شَيْخَنا الحافِظَ أبا بَكْرٍ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ: تِلْكَ الكَلالِيبُ هِيَ الشّهَواتُ؛ لِأَنّها تَجْذِبُ العَبْدَ فِي الدُّنْيا عَن الاِسْتِقامةِ على سَواءِ الصّراطِ، فَتُمَثّلُ لَهُ فِي الآخِرةِ على نَحْوِ ذَلِكَ.

والضَّراءُ: ما واراكَ مِنْ شَجَرٍ، والخَمْرُ: ما واراكَ مِنْ شَجَرٍ وَغَيْرِهِ.

وَقَوْلُهُ: «بِوادِيهِ الأراجِيلُ»؛ أيْ: الرَّجّالةُ، قِيلَ: إنّهُ جَمْعُ الجَمْعِ، كَأَنّهُ جَمَعَ الرَّجْلَ، وَهُم الرَّجّالةُ، [على أرْجُلٍ، ثُمّ جَمَعَ أرْجُلًا][٢] على أراجِلَ، وَزادَ الياءَ ضَرُورةً.

والدّرْسُ: الثّوْبُ الخَلَقُ.

والقفعاءُ: شَجَرةٌ لَها ثَمَرٌ كَأَنّهُ حَلَقٌ.

وَيُرْوى أنّ رسول الله ﷺ حِينَ أنْشَدَهُ كَعْبٌ: [من البسيط]

إنّ الرّسُــولَ لَنُورٌ يُسْتَضاءُ بِهِ ... مُهَنّدٌ مِنْ سُــيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ

نَظَرَ إلى أصْحابِهِ كالمُعجِّبِ[٣] لَهُمْ مِنْ حُسْنِ القول وجودةِ الشِّعر.

وَقَوْلُهُ: [من البسيط]

لَيْسَ لَهُمْ عَنْ حِيــاضِ المَوْتِ تَهْلِيلُ

---

(١) «فتح الباري»، كتاب الأذان: (٢: ٢٩٣-٢٩٤)، ولفظه: «فمنهم من يوبق بعمله، ومنهم من يخردل، ثم ينجو».

(٢) سقط من (أ).

(٣) في (أ): «كالمتعجب». وعجّبه: جعله يعجب.

التهليل: أن يَنْكُصَ الرّجُلُ عَن الأمْرِ جُبنًا.

وَقَوْلُهُ فِي الأنْصارِ: «ضَرَبُوا عَلِيًّا يَوْمَ بَدْرٍ»، بَنُو عَلِيٍّ: هُمْ [بَنُو][١] كِنانَةَ، يُقالُ لَهُمْ: بَنُو عَلِيٍّ لِما تَقَدّمَ ذِكْرُهُ فِي هَذا الكِتابِ[٢]، وَأَرادَ: ضَرَبُوا قُرَيْشًا لِأَنّهُمْ مِنْ بَنِي كِنانَةَ.

وَقَوْلُهُ: «إذا عَرّدَ السّودُ التّنابِيلُ»: جَمْعُ تِنْبالٍ، وَهُوَ القَصِيرُ، وَقَوْلُهُ: «عَرّدَ» أيْ: هَرَبَ[٣]. قالَ الشاعر: [من الطويل]

يُعرِّدُ عنْـهُ صَحْبُـهُ وصَدِيقُهُ ... وينبُشُ عَنْهُ كَلْبُهُ وَهوَ ضارِبُهْ

وَجَعَلَهُمْ سُودًا لِما خالَطَ أَهْلَ اليَمَنِ مِن السُّودانِ عِنْدَ غَلَبةِ الحَبَشةِ على بلادِهِمْ؛ وَلِذَلِك قالَ حَسّانُ في آل جَفْنة: [من الكامل]

أَوْلادُ جَفْنَـةَ حَـوْلَ قَبْـرِ أَبِيهِـمُ ... بِيـضُ الوُجُوهِ مِن الطِّرازِ الأوّلِ[٤]

يَعْنِي بِقَوْلِهِ: «مِن الطِّرازِ الأوّلِ» أنّ آلَ جَفْنَةَ كانُوا مِن اليَمَنِ، ثُمّ اسْتَوْطَنُوا الشّامَ بَعْدَ سَيْلِ العَرِمِ، فَلَمْ تُخالِطْهُم السُّودانُ كَما خالَطُوا مَنْ كانَ مِن اليَمَنِ، فهم مِن الطِّرازِ الأوّلِ الّذِي كانُوا عَلَيْهِ في ألوانهم وأخلاقهم.

وَقَوْلُهُ: «حَوْلَ قَبْرِ أبِيهِم»، أيْ إنّهُمْ لِعِزّهِمْ لَمْ يجلوا عَنْ مَنازِلِهِمْ قَطّ، وَلا[٥] فارَقُوا قبر أبيهم.

---

(١) كذا في (ب)، (ف)، وفي غيرهما: «هم ضربوا».

(٢) انظر: (١: ١٦٠).

(٣) في (ب): «فَرّ».

(٤) كذا ورد عجز البيت في النسخ ما عدا حاشية (أ)، ففيها رواية «الديوان» (١: ٧٤):

قبر ابن مارية الكريم المُفضِلِ

(٥) في (ف): «فما».

وَمِمّا أجادَ فِيهِ كَعْبُ بنُ زُهَيْرٍ قَوْلُهُ يَمْدَحُ النَّبِيّ ﷺ(١): [من البسيط]

تَخْدِي بِهِ النّاقةُ الأَدْماءُ مُعْتَجِرًا ... بِالبُرْدِ كالبَدْرِ جَلى لَيْلَةَ الظُّلَمِ(٢)

فَفِــي عِطافَيْــهِ أَوْ أَثْنــاءِ بُرْدَتِــهِ ... ما يَعْلَمُ اللهُ مِنْ دينٍ ومن كَرمِ(٣)

غَزْوةُ تَبُوكَ فِي رَجَبٍ سَنةَ تِسْعٍ

[أَمْرُ الرَّسُولِ النّاسَ بِالتَّهَيُّؤِ لِتَبُوكَ]

قالَ: حَدَّثَنا أبو مُحَمَّدٍ عَبْدُ المَلِكِ بنُ هِشامٍ، قالَ زِيادُ بنُ عَبْدِ الله البَكّائِيّ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ إسْحاقَ المُطَّلِبِيِّ، قالَ: ثُمَّ أقامَ رَسُولُ الله ﷺ بِالمَدِينةِ ما بَيْنَ ذِي الحَجّةِ إلى رَجَبٍ، ثُمَّ أمَرَ النّاسَ بِالتَّهَيُّؤِ لِغَزْوِ الرُّومِ. وقَدْ ذَكَرَ لَنا الزُّهْرِيُّ ويَزِيدُ بنُ رُومانَ وعَبْدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ وعاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ، وغَيْرُهُمْ مِنْ عُلَمائِنا، كُلٌّ حَدَّثَ في غَزْوةِ تَبُوكَ ما بَلَغَهُ عَنْها، وبَعْضُ القَوْمِ يُحَدِّثُ ما لا يُحَدِّثُ بَعْضٌ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ أمَرَ أصْحابَهُ بِالتَّهَيُّؤِ لِغَزْوِ الرُّومِ، وذلك في زَمانٍ مِنْ عُسْرةِ النّاسِ، وشِدّةٍ مِن الحَرِّ، وجَدْبٍ مِنَ البِلادِ، وحِينَ طابَت الثِّمارُ، والنّاسُ يُحِبُّونَ المُقامَ في ثِمارِهِمْ وظِلالِهِمْ، ويَكْرَهُونَ الشُّخُوصَ على الحالِ مِن الزَّمانِ الَّذي هُمْ عَلَيْهِ، وكانَ رَسُولُ الله ﷺ قَلَّما يَخْرُجُ في غَزْوةٍ إلّا كَنى عَنْها، وأخْبَرَ أنَّهُ يُرِيدُ غَيْرَ الوَجْهِ الَّذي يَصْمُدُ لَهُ، إلّا ما كانَ مِنْ غَزْوةِ تَبُوكَ، فإنَّهُ بَيَّنَها لِلنّاسِ؛ لِبُعْدِ

(١) لم أجده في «ديوانه».

(٢) خَدَى البعير والفرس يَخْدي خديًا: أسرع. والاعتجار: لف العمامة دون التلحي.

(٣) العطاف: الرداء.

الشُّقّةِ، وشِدّةِ الزّمانِ، وكَثْرةِ العَدُوِّ الّذي يَصْمُدُ لَهُ، لِيَتأهَّبَ النّاسُ لِذلك أُهْبَتَهُ، فأمَرَ النّاسَ بِالجِهازِ، وأخْبَرَهُمْ أنّهُ يُرِيدُ الرُّومَ.

غَزْوةُ تبُوكَ

سُمِّيَتْ بِعَيْنِ تَبُوكَ، وَهِيَ العَيْنُ الّتِي أمَرَ رَسُولُ الله ﷺ النّاسَ ألّا يَمَسُّوا مِنْ مائِها شَيْئًا، فَسَبَقَ إلَيْها رَجُلانِ، وَهِيَ تَبِضُّ بِشَيْءٍ مِنْ ماءٍ، فَجَعَلا يُدْخِلانِ فِيها سَهْمَيْنِ لِيَكْثُرَ ماؤُها، فَسَبّهُما رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقالَ لَهُما فِيما ذَكَرَ[١] القُتَبِيُّ: «ما زِلْتُما تَبُوكانِها مُنْذُ اليَوْم»[٢]، قالَ القُتَبِيُّ: فبِذَلِكَ سُمِّيَت العَيْنُ تَبُوكَ، والبَوْكُ كالنّقْشِ والحَفْرِ فِي الشّيْءِ، وَيُقالُ مِنْهُ: باكَ الحِمارُ الأتانَ يَبُوكُها إذا نَزا عَلَيْها.

وَوَقَعَ فِي السِّيرةِ: فَقالَ: «مَنْ سَبَقَ إليها؟» فَقِيلَ [لَهُ][٣]: يا رَسُولَ اللهِ، فُلانٌ وَفُلانٌ [وَفُلانٌ][٤]، وَقالَ الواقِدِيّ[٥] فِيما ذُكِرَ لِي: سَبَقَهُ إلَيْها أرْبَعةٌ مِن المُنافِقِينَ؛ مُعَتِّبُ بنُ قُشَيْرٍ، والحارِثُ بنُ يَزِيدَ الطّائِيّ، ووَدِيعةُ بنُ ثابت، وزيدُ ابنُ لُصَيْتٍ[٦].

* * *

(١) في (ب): «قال».

(٢) لم أجده في «غريب» القتبي. وانظر: «لسان العرب» (بوك)، و«النهاية» لابن الأثير.

(٣) ليس في (ب)، (ج).

(٤) عن (ص)، (ح).

(٥) «المغازي» للواقدي: (٣: ١٠٣٩).

(٦) بعده في (س): «القينقاعي». وانظر: «السيرة» (٢: ٥٢٣).

[تَخَلُّفُ الجَدِّ وما نَزَلَ فيهِ]

فَقالَ رَسُولُ الله ﷺ ذاتَ يَوْمٍ وهُوَ في جِهازِهِ ذلك لِلْجَدِّ بنِ قِيسٍ أحَدِ بَنِي سَلِمَةَ: «يا جَدُّ، هَلْ لَكَ العامَ في جِلادِ بَنِي الأصْفَرِ؟» فقالَ: يا رَسُولَ الله، أوَتَأْذَنُ لِي ولا تَفتِنِّي؟ فواللهِ لَقَدْ عَرَفَ قَوْمِي أنَّهُ ما مِنْ رَجُلٍ بِأشَدَّ عُجْبًا بِالنِّساءِ مِنِّي، وإنِّي أخْشى إنْ رَأيْتُ نِساءَ بَنِي الأصْفَرِ ألّا أصْبِرَ. فأعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ الله ﷺ وقالَ: «قَدْ أذِنْتُ لَكَ». ففي الجَدِّ بنِ قِيسٍ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩]. أيْ: إنْ كانَ إنَّما خَشِيَ الفِتْنَةَ مِنْ نِساءِ بَنِي الأصْفَرِ - ولَيْسَ ذلك بِهِ - فما سَقَطَ فيهِ مِنَ الفِتْنَةِ أكْبَرُ؛ بِتَخَلُّفِهِ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، والرَّغْبَةِ بِنَفْسِهِ عَنْ نَفْسِهِ، يَقُولُ تَعالى: وإنَّ جَهَنَّمَ لَمِنْ ورائِهِ.

[ما نَزَلَ في القَوْمِ المُثَبِّطِينَ]

وَقالَ قَوْمٌ مِن المُنافِقِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لا تَنْفِرُوا في الحَرِّ؛ زَهادةً في الجِهادِ، وشَكًّا في الحَقِّ، وإرْجافًا بِرَسُولِ الله ﷺ، فأنْزَلَ الله تَبارَكَ وتَعالى فيهِمْ: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِي ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ۞ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨١، ٨٢].

[تَحْرِيقُ بَيْتِ سُوَيْلِمٍ، وشِعْرُ الضَّحّاكِ في ذلك]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وحَدَّثَنِي الثِّقةُ عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ طَلْحَةَ بنِ

عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ إسْحاقَ بنِ إبْراهِيمَ بنِ عَبْدِ الله بنِ حارِثةَ، عَنْ أبيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قالَ: بَلَغَ رَسُولَ الله ﷺ أنَّ ناسًا مِن المُنافِقِينَ يَجْتَمِعُونَ في بَيْتِ سُوَيْلِمٍ اليَهُودِيِّ، وكانَ بَيْتُهُ عِنْد جاسومَ، يُثَبِّطون النّاسَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ في غَزْوةِ تَبُوكَ، فبَعَثَ إلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ طَلْحةَ بنَ عُبَيْدِ الله في نَفَرٍ مِنْ أصْحابِهِ، وأمَرَهُ أنْ يُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بَيْتَ سُوَيْلِمٍ، ففَعَلَ طَلْحةُ، فاقْتَحَمَ الضَّحّاكُ بنُ خَلِيفةَ مِنْ ظَهْرِ البَيْتِ، فانْكَسَرَتْ رِجْلُهُ، واقْتَحَمَ أصْحابُهُ، فأفْلَتُوا.

فَقالَ الضَّحّاكُ في ذلك:

كادَتْ وبَيْتِ الله نارُ مُحَمَّدٍ ... يَشِيطُ بِها الضَّحّاكُ وابنُ أُبَيْرِقِ
وَظَلْتُ وقَدْ طَبَّقْتُ كِبْسَ سُوَيْلِمٍ ... أنُوءُ على رِجْلِي كَسِيرًا ومِرْفَقي
سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا أعُودُ لِمِثْلِها ... أخافُ ومَنْ تَشْمَل بِهِ النّارُ يُحْرَقِ

[حَثُّ الرَّسُولِ على النَّفَقةِ، وشَأْنُ عُثْمانَ في ذلك]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ إنَّ رَسُولَ الله ﷺ جَدَّ في سَفَرِهِ، وأمَرَ النّاسَ بالجِهازِ والانكِماش، وحضّ أهْلَ الغِنى على النَّفَقةِ والحُمْلانِ في سَبِيلِ الله، فحَمَلَ رِجالٌ مِنْ أهْلِ الغِنى واحْتَسَبُوا، وأنْفَقَ عُثْمانُ بنُ عَفّانَ في ذلك نَفَقةً عَظِيمةً، لَمْ يُنْفِقْ أحَدٌ مِثْلَها.

قالَ ابنُ هِشامٍ: حَدَّثَني مَنْ أثِقُ بِهِ: أنَّ عُثْمانَ بنَ عَفّانَ أنْفَقَ في جَيْشِ العُسْرةِ في غَزْوةِ تَبُوكَ ألْفَ دِينارٍ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اللهُمَّ ارْضَ عَنْ عُثْمانَ؛ فإنِّي عَنْهُ راضٍ».

[شَأْن البَكّائين]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ إنَّ رِجالًا مِن المُسْلِمِينَ أتَوْا رَسُولَ الله ﷺ، وهُم البَكّاؤُونَ، وهُمْ سَبْعةُ نَفَرٍ مِن الأنْصارِ وغَيْرِهِمْ مِنْ بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ: سالِمُ بن عُمَيْرٍ، وعُلْبَةُ بنُ زَيْدٍ، أخُو بَنِي حارِثَةَ، وأبو لَيْلى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ كَعْبٍ، أخُو بَنِي مازِنِ بنِ النَّجّارِ، وعَمْرُو بنُ حَمامِ بنِ الجَمُوحِ، أخُو بَنِي سَلِمةَ، وعَبْدُ الله بن المُغَفَّلِ المُزَنِيُّ - وبَعْضُ النّاسِ يَقُولُ: بَلْ هُوَ عَبْدُ الله ابنُ عَمْرٍو المُزَنِيُّ - وهَرَمِيُّ بنُ عَبْدِ الله، أخُو بَنِي واقِفٍ، وعِرْباضُ بنُ سارِيَةَ الفَزارِيُّ. فاسْتَحْمَلُوا رَسُولَ الله ﷺ، وكانُوا أهْلَ حاجةٍ، فقالَ: «لا أجِدُ ما أحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ»، فتَوَلَّوْا وأعْيُنُهُمْ تَفيضُ مِن الدَّمْعِ حَزَنًا ألّا يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ.
قالَ ابنُ إسْحاقَ: فبَلَغَنِي أنَّ ابنَ يامِينَ بنِ عُمَيْرِ بنِ كَعْب النّضري لقِيَ أبا لَيْلى عَبْدَ الرَّحْمَنِ بنَ كَعْبٍ وعَبْدَ الله بنَ مُغَفَّلٍ وهُما يَبْكِيانِ، فقالَ: ما يُبْكِيكُما؟ قالا: جِئْنا رَسُولَ الله ﷺ لِيَحْمِلَنا، فلَمْ نَجِدْ عِنْدَهُ ما يَحْمِلُنا عَلَيْهِ، ولَيْسَ عِنْدَنا ما نَتَقَوّى بِهِ على الخُرُوجِ مَعَهُ. فأعْطاهُما ناضِحًا لَهُ، فارتحلاه، وزوّدهما شَيْئًا مِنْ تَمْرٍ، فخَرَجا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ.

[شَأْنُ المُعَذِّرِينَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وجاءَهُ المُعَذِّرُونَ مِن الأعْرابِ، فاعْتَذَرُوا إلَيْهِ، فلَمْ يَعْذِرْهُم الله تَعالى. وقَدْ ذُكِرَ لِي أنَّهُمْ نَفَرٌ مِنْ بَنِي غِفارٍ.

[تَخَلُّفُ نَفَرٍ عَنْ غَيْرِ شَكٍّ]

ثُمَّ اسْتَتَبَّ بِرَسُولِ الله ﷺ سَفَرُهُ، وأجْمَعَ السَّيْرَ، وقَدْ كانَ نَفَرٌ مِن المُسْلِمِينَ أبْطَأتْ بِهِم النِّيّةُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، حَتّى تَخَلَّفُوا عَنْهُ، عَنْ غَيْرِ

شَكٍّ ولا ارْتِيابٍ، مِنْهُمْ: كَعْبُ بنُ مالِكِ بنِ أبي كَعْبٍ، أخُو بَنِي سَلِمةَ، ومُرارةُ بنُ الرَّبِيعِ، أخُو بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، وهِلالُ بنُ أُمَيّةَ، أخُو بَنِي واقِفٍ، وأبو خَيْثَمةَ، أخُو بَنِي سالِمِ بنِ عَوْفٍ. وكانُوا نَفَرَ صِدْقٍ، لا يُتَّهَمُونَ في إسْلامِهِمْ.

[خُرُوجُ الرَّسُولِ واسْتِعْمالُهُ على المَدِينةِ]

فَلَمّا خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ ضَرَبَ عَسْكَرَهُ على ثَنِيّةِ الوَداعِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: واسْتَعْمَلَ على المَدِينةِ مُحَمَّدَ بنَ مَسْلَمةَ الأنْصارِيَّ.

وَذَكَرَ عَبْدُ العَزِيزِ بنُ مُحَمَّدٍ الدَّراوَرْدِيُّ عَنْ أبيهِ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ اسْتَعْمَلَ على المَدِينةِ، مَخْرَجَهُ إلى تَبُوكَ، سِباعَ بنَ عُرْفُطةَ.

[تَخَلُّفُ المُنافِقِينَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وضَرَبَ عَبْدُ الله بنُ أُبَيٍّ مَعَهُ على حِدةٍ عَسْكَرَهُ أسْفَلَ مِنْهُ، نَحْوَ ذُبابٍ، وكانَ فيما يَزْعُمُونَ لَيْسَ بِأقَلِّ العَسْكَرَيْنِ. فلَمّا سارَ رَسُولُ الله ﷺ تَخَلَّفَ عَنْهُ عَبْدُ الله بنُ أُبَيٍّ فيمَنْ تَخَلَّفَ مِن المُنافِقِينَ وأهْلِ الرَّيْبِ.

[شَأْنُ عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ]

وَخَلَّفَ رَسُولُ الله ﷺ عَلِيَّ بنَ أبي طالِبٍ، رِضْوانُ الله عَلَيْهِ، على أهْلِهِ، وأمَرَهُ بِالإقامةِ فيهِمْ، فأرْجَفَ بِهِ المُنافِقُونَ، وقالُوا: ما خَلَّفَهُ إلّا اسْتِثْقالًا لَهُ، وتَخَفُّفًا مِنْهُ. فلَمّا قالَ ذلك المُنافِقُونَ، أخَذَ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ رِضْوانُ الله عَلَيْهِ سِلاحَهُ، ثُمَّ خَرَجَ حَتّى أتى رَسُولَ الله ﷺ وهُوَ نازِلٌ بِالجُرْفِ، فقالَ:

يا نَبِيَّ اللهِ، زَعَمَ المُنافِقُونَ أنَّكَ إنَّما خَلَّفْتَنِي أنَّكَ اسْتَثْقَلْتَنِي وَتَخَفَّفْتَ مِنِّي، فقالَ: «كَذَبُوا، ولَكِنَّنِي خَلَّفْتُكَ لِما تَرَكْتُ ورائِي، فارْجِعْ فاخْلُفْنِي في أهْلِي وأهْلِكَ، أفَلا تَرْضى يا عَلِيُّ أنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسى؟ إلّا أنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي». فرَجَعَ عَلِيٌّ إلى المَدِينَةِ، ومَضى رَسُولُ اللهِ ﷺ على سَفَرِهِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ طَلْحَةَ بنِ يَزِيدَ بنِ رُكانَةَ، عَنْ إبْراهِيمَ بنِ سَعْدِ بنِ أبي وقّاصٍ، عَنْ أبيهِ سَعْدٍ: أنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لِعَلِيٍّ هَذِهِ المَقالَةَ.

[شَأْنُ أبي خَيْثَمَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ رَجَعَ عَلِيٌّ إلى المَدِينَةِ، ومَضى رَسُولُ اللهِ ﷺ على سَفَرِهِ، ثُمَّ إنَّ أبا خَيْثَمَةَ رَجَعَ بَعْدَ أنْ سارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أيّامًا إلى أهْلِهِ في يَوْمٍ حارٍّ، فوَجَدَ امْرَأتَيْنِ لَهُ في عَرِيشَيْنِ لَهُما في حائِطِهِ، قَدْ رَشَّتْ كُلُّ واحِدَةٍ مِنْهُما عَرِيشَها، وبَرَّدَتْ لَهُ فيهِ ماءً، وهَيَّأتْ لَهُ فيهِ طَعامًا، فَلَمّا دَخَلَ قامَ على بابِ العَرِيشِ، فنَظَرَ إلى امْرَأتَيْهِ وما صَنَعَتا لَهُ، فقالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ في الضِّحِّ والرِّيحِ والحَرِّ، وأبو خَيْثَمَةَ في ظِلٍّ بارِدٍ، وطَعامٍ مُهَيَّأٍ، وامْرَأةٍ حَسْناءَ، في مالِهِ مُقِيمٌ، ما هذا بِالنَّصَفِ.

ثُمَّ قالَ: واللهِ لا أدْخُلُ عَرِيشَ واحِدَةٍ مِنْكُما حَتّى ألْحَقَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فهَيِّئا لِي زادًا، ففَعَلَتا، ثُمَّ قَدَّمَ ناضِحَهُ فارْتَحَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ في طَلَبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتّى أدْرَكَهُ حِينَ نَزَلَ تَبُوكَ. وقَدْ كانَ أدْرَكَ أبا خَيْثَمَةَ عُمَيْرُ ابنُ وَهْبٍ الجُمَحِيُّ في الطَّرِيقِ، يَطْلُبُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فتَرافَقا، حَتّى إذا دَنَوا

مِنْ تَبُوكَ قالَ أبو خَيْثَمةَ لِعُمَيْرِ بنِ وهْبٍ: إنَّ لِي ذَنْبًا، فلا عَلَيْكَ أنْ تَخَلَّفَ عَنِّي حَتّى آتِيَ رَسُولَ الله ﷺ، ففَعَلَ، حَتّى إذا دَنا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ وهُوَ نـازِلٌ بِتَبُوكَ قالَ النّاسُ: هذا راكِبٌ على الطَّرِيقِ مُقْبِلٌ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «كُنْ أبا خَيْثَمةَ»، فقالُوا: يا رَسُولَ الله، هُوَ واللهِ أبو خَيْثَمةَ. فلَمّا أناخَ أقْبَلَ فسَلَّمَ على رَسُولِ الله ﷺ، فقالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «أوْلى لَكَ يا أبا خَيْثَمةَ». ثُمَّ أخْبَرَ رَسُولَ الله ﷺ الخَبَرَ، فقالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ خَيْرًا، ودَعا لَهُ بِخَيْرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وقالَ أبو خَيْثَمةَ في ذلك شِعْرًا، واسْمُهُ: مالِكُ بنُ قَيْسٍ:

لَمّا رَأيْــتُ النّاسَ في الدِّينِ نافَقُوا ... أتَيْتُ الَّتِي كانَــتْ أعَفَّ وأكْرَما
وَبايَعْتُ بِاليُمْنى يَــدي لِمُحَمَّدٍ ... فلَمْ أكْتَسِبْ إثْمًا ولَمْ أغْشَ مَحْرَما
تَرَكْتُ خَضِيبًا في العَرِيشِ وصِرْمةً ... صفايــا كِرامًا بُسْرُها قَــدْ تَحَمَّما
وَكُنْتُ إذا شَكَّ المُنافِقُ أسْمَحَتْ ... إلى الدِّينِ نَفْسِي شَطْرَهُ حَيْثُ يَمَّما

[النَّبِيُّ والمُسْلِمُونَ بِالحِجْرِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ كانَ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ مَرَّ بِالحِجْرِ نَزَلَها، واسْتَقى النّاسُ مِنْ بِئْرِها، فلَمّا راحُوا قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لا تَشْرَبُوا مِنْ مائِها شَيْئًا، ولا تَتَوَضَّؤُوا مِنْهُ لِلصَّلاةِ، وما كانَ مِنْ عَجِينٍ عَجَنْتُمُوهُ فاعْلِفُوهُ الإبِلَ، ولا تَأْكُلُوا مِنْهُ شَيْئًا، ولا يَخْرُجَنَّ أحَدٌ مِنْكُمُ اللَّيْلةَ إلّا ومَعَهُ صاحِبٌ لَهُ». فَفَعَلَ النّاسُ ما أمَرَهُمْ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ، إلّا أنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي ساعِدةَ خَرَجَ أحَدُهُما لِحاجَتِهِ، وخَرَجَ الآخَرُ فيطَلَبِ بَعِيرٍ لَهُ، فأمّا الَّذي ذَهَبَ لِحاجَتِهِ فإنَّهُ خُنِقَ على مَذْهَبِهِ، وأمّا الَّذي ذَهَبَ فيطَلَبِ بَعِيرِهِ فاحْتَمَلَتْهُ

الرِّيحُ حَتّى طَرَحَتْهُ بِجَبَلَيْ طيِّئ. فأُخْبِرَ بِذلك رَسُولُ الله ﷺ، فقالَ: «أَلَمْ أَنْهَكُمْ أنْ يَخْرُجَ مِنْكُمْ أحَدٌ إلّا ومَعَهُ صاحِبُهُ!» ثُمَّ دَعا رَسُولُ الله ﷺ لِلَّذِي أُصِيبَ على مَذْهَبِهِ فشُفِي، وأمّا الآخَرُ الَّذي وقَعَ بِجَبَلَيْ طيِّئ، فإنَّ طيِّئًا أهْدَتْهُ لِرَسُولِ الله ﷺ حِينَ قَدِمَ المَدِينَةَ.

والحَدِيثُ عَن الرَّجُلَيْنِ عَنْ عَبْدِ الله بنِ أبي بَكْرٍ، عَنْ عَبّاسِ بنِ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ السّاعِدِيِّ، وقَدْ حَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ أنْ قَدْ سَمّى لَهُ العَبّاسُ الرَّجُلَيْنِ، ولَكِنَّهُ اسْتَوْدَعَهُ إيّاهُما، فأبى عَبْدُ الله أنْ يُسَمِّيَهُما لِي.

قالَ ابنُ هِشامٍ: بَلَغَنِي عَن الزُّهْرِيِّ أنَّهُ قالَ: لَمّا مَرَّ رَسُولُ الله ﷺ بِالحِجْرِ سَجّى ثَوْبَهُ على وجْهِهِ، واسْتَحَثَّ راحِلَتَهُ، ثُمَّ قالَ: «لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ الَّذينَ ظَلَمُوا إلّا وأنْتُمْ باكُونَ؛ خَوْفًا أنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ ما أصابَهُمْ».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا أصْبَحَ النّاسُ ولا ماءَ مَعَهُمْ شَكَوْا ذلك إلى رَسُولِ الله ﷺ، فدَعا رَسُولُ الله ﷺ، فأرْسَلَ الله سُبْحانَهُ سَحابَةً فأمْطَرَتْ حَتّى ارْتَوى النّاسُ، واحْتَمَلُوا حاجَتَهُمْ مِن الماءِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ، عَنْ مَحْمُودِ بنِ لَبِيدٍ، عَنْ رِجالٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ، قالَ: قُلْتُ لِمَحْمُودٍ: هَلْ كانَ النّاسُ يَعْرِفُونَ النِّفاقَ فيهِمْ؟ قالَ: نعم ولله، إنْ كانَ الرَّجُلُ لَيَعْرِفُهُ مِنْ أخِيهِ ومِنْ أبيهِ ومِنْ عَمِّهِ وفي عَشِيرَتِهِ، ثُمَّ يلبسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا على ذلك.

ثُمَّ قالَ مَحْمُودٌ: لَقَدْ أخْبَرَنِي رِجالٌ مِنْ قَوْمِي عَنْ رَجُلٍ مِن المُنافِقِينَ مَعْرُوفٌ نِفاقُهُ، كانَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ حَيْثُ سارَ، فلَمّا كانَ مِنْ أمْرِ النّاسِ بِالحِجْرِ ما كانَ، ودَعا رَسُولُ الله ﷺ حِينَ دَعا، فأرْسَلَ الله السَّحابَةَ،

فأمْطَرَتْ حَتّى ارْتَوى النّاسُ، قالُوا: أقْبَلْنا عَلَيْهِ نَقُولُ: ويْحَكَ، هَلْ بَعْدَ هذا شَيْءٌ! قالَ: سَحابةٌ مارّةٌ.

[ناقةٌ لِلرَّسُولِ ضَلَّتْ، وحَدِيثُ ابنِ اللُّصَيْتِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ إنَّ رَسُولَ الله ﷺ سارَ حَتّى إذا كانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ ضَلَّتْ ناقَتُهُ، فخَرَجَ أصْحابُهُ في طَلَبِها، وعِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ رَجُلٌ مِنْ أصْحابِهِ يُقالُ لَهُ: عُمارةُ بنُ حَزْمٍ، وكانَ عَقَبِيًّا بدريًّا، وهُوَ عمّ بَنِي عَمْرِو ابنِ حَزْمٍ، وكانَ في رَحْلِهِ زَيْدُ بنُ اللُّصَيْتِ القَيْنُقاعِيُّ، وكانَ مُنافِقًا.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: ابنُ لُصَيْبٍ، بِالباءِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ، عَنْ مَحْمُودِ بنِ لَبِيدٍ، عَنْ رِجالٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ، قالُوا: فقالَ زَيْدُ بنُ اللُّصَيْتِ، وهُوَ في رَحْلِ عُمارةَ، وعُمارةُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ: ألَيْسَ مُحَمَّدٌ يَزْعُمُ أنَّهُ نَبِيٌّ، ويُخْبِرُكُمْ عَنْ خَبَرِ السَّماءِ، وهُوَ لا يَدْرِي أيْنَ ناقَتُهُ؟ فقالَ رَسُولُ الله ﷺ وعُمارةُ عِنْدَهُ: «إنَّ رَجُلًا قالَ: هذا مُحَمَّدٌ يُخْبِرُكُمْ أنَّهُ نَبِيٌّ، ويَزْعُمُ أنَّهُ يُخْبِرُكُمْ بِأمْرِ السَّماءِ وهُوَ لا يَدْرِي أيْنَ ناقَتُهُ، وإنِّي والله ما أعْلَمُ إلّا ما عَلَّمَنِي الله، وقَدْ دَلَّنِي الله عَلَيْها، وهِيَ في هذا الوادِي، في شِعْبِ كَذا وكَذا، قَدْ حَبَسَتْها شَجَرةٌ بِزِمامِها، فانْطَلِقُوا حَتّى تَأْتُونِي بِها»، فذَهَبُوا فجاؤُوا بِها، فرَجَعَ عُمارةُ ابنُ حَزْمٍ إلى رَحْلِهِ، فقالَ: والله لَعَجَبٌ مِنْ شَيْءٍ حَدَّثَناهُ رَسُولُ الله ﷺ آنِفًا، عَنْ مَقالةِ قائِلٍ أخْبَرَهُ الله عَنْهُ بِكَذا وكَذا، لِلَّذِي قالَ زَيْدُ بنُ لُصَيْتٍ. فقالَ رَجُلٌ مِمَّنْ كانَ في رَحْلِ عُمارةَ ولَمْ يَحْضُرْ رَسُولَ الله ﷺ: زَيْدٌ والله قالَ هَذِهِ المَقالةَ قَبْلَ أنْ تَأْتِيَ. فأقْبَلَ عُمارةُ على زَيْدٍ يَجَأُ في عُنُقِهِ ويَقُولُ:

إِلَيَّ عِبادَ الله، إِنَّ في رَحْلِي لَداهِيَةً وما أَشْعُرُ، اخْرُجْ أَيْ عَدُوَّ الله مِنْ رَحْلِي، فلا تَصْحَبْنِي.

[شَأْنُ أَبي ذَرٍّ]

قالَ ابنُ إِسْحاقَ: فزَعَمَ بَعْضُ النّاسِ أَنَّ زَيْدًا تابَ بَعْدَ ذلك، وقالَ بَعْضُ النّاسِ: لَمْ يَزَلْ مُتَّهمًا بِشَرٍّ حَتّى هَلَكَ.

ثُمَّ مَضى رَسُولُ الله ﷺ سائرًا، فجعل يَتَخَلَّفُ عَنهُ الرجُل، فيقُولُونَ: يا رَسُولَ الله، تَخَلَّفَ فُلانٌ، فيقُولُ: «دَعُوهُ، فإنْ يَكُ فيهِ خَيْرٌ فسَيُلْحِقُهُ الله تَعالى بِكَمْ، وإنْ يَكُ غَيْرَ ذلك فقَدْ أَراحَكُمُ اللهُ مِنْهُ»، حَتّى قِيلَ: يا رَسُولَ الله، قَدْ تَخَلَّفَ أبو ذَرٍّ، وأَبْطَأَ بِهِ بَعِيرُهُ، فقالَ: «دَعُوهُ، فإنْ يَكُ فيهِ خَيْرٌ فسَيُلْحِقُهُ الله بِكُمْ، وإنْ يَكُ غَيْرَ ذلك فقَدْ أَراحَكُمُ الله مِنْهُ». وتَلَوَّمَ أبو ذَرٍّ على بَعِيرِهِ، فلَمّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ أَخَذَ مَتاعَهُ فحَمَلَهُ على ظَهْرِهِ، ثُمَّ خَرَجَ يَتْبَعُ أَثَرَ رَسُولِ الله ﷺ ماشِيًا، ونَزَلَ رَسُولُ الله في بَعْضِ مَنازِلِهِ، فنَظَرَ ناظِرٌ مِن المُسْلِمِينَ فقالَ: يا رَسُولَ الله، إنَّ هذا الرَّجُلَ يَمْشِي على الطَّرِيقِ وحْدَهُ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «كُنْ أَبا ذَرٍّ». فلَمّا تَأَمَّلَهُ القَوْمُ قالُوا: يا رَسُولَ الله، هُوَ والله أبو ذَرٍّ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «رَحِمَ الله أبا ذَرٍّ، يَمْشِي وحْدَهُ، ويَمُوتُ وحْدَهُ، ويُبْعَثُ وحْدَهُ». وقالَ ابنُ إِسْحاقَ: فحَدَّثَنِي بُرَيْدَةُ بنُ سُفيانَ الأَسْلَمِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ كَعْبٍ القُرَظِيِّ، عَنْ عَبْدِ الله بنِ مَسْعُودٍ، قالَ: لَـمّا نَفى عُثْمانُ أبا ذَرٍّ إلى الرَّبَذةِ، وأَصابَهُ بِها قَدَرُهُ، لَمْ يَكُنْ مَعَهُ أَحَدٌ إلّا امْرَأَتُهُ وغُلامُهُ، فأَوْصاهُما أَنِ اغْسِلانِي وكَفِّنانِي، ثُمَّ ضَعانِي على قارِعةِ الطَّرِيقِ، فأَوَّلُ رَكْبٍ يَمُرُّ بِكُمْ فقُولُوا: هذا أبو ذَرٍّ صاحِبُ

رَسُولِ الله ﷺ، فأعِينُونا على دَفْنِهِ. فلَمّا ماتَ فعَلا ذلك بِهِ. ثُمَّ وضَعاهُ على قارِعةِ الطَّرِيقِ، وأقْبَلَ عَبْدُ الله بنُ مَسْعُودٍ في رَهْطٍ مِنْ أهْلِ العِراقِ عُمّارٍ، فلَمْ يَرُعْهُمْ إلّا بِالجَنازةِ على ظَهْرِ الطَّرِيقِ، قَدْ كادَتِ الإبِلُ تَطَؤُها، وقامَ إلَيْهِمُ الغُلامُ فقالَ: هذا أبو ذَرٍّ صاحِبُ رَسُولِ الله ﷺ، فأعِينُونا على دَفْنِهِ. قالَ: فاسْتَهَلَّ عَبْدُ الله بنُ مَسْعُودٍ يَبْكِي ويَقُولُ: صَدَقَ رَسُولُ الله ﷺ: «تَمْشِي وحْدَكَ، وتَمُوتُ وحْدَكَ، وتُبْعَثُ وحْدَكَ». ثُمَّ نَزَلَ هُوَ وأصْحابُهُ فوارَوْهُ، ثُمَّ حَدَّثَهُمْ عَبْدُ الله بنُ مَسْعُودٍ حَدِيثَهُ، وما قالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ في مَسِيرِهِ إلى تَبُوكَ.

[تَخْذِيلُ المُنافِقِينَ لِلْمُسْلِمَيْنِ وما نَزَلَ فيهِمْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ كانَ رَهْطٌ مِن المُنافِقِينَ، مِنْهُمْ ودِيعةُ بنُ ثابِتٍ، أخُو بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، ومِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ أشْجَعَ، حَلِيفٌ لِبَنِي سَلِمةَ، يُقالُ لَهُ: مخشنُ بنُ حُمَيِّرٍ - قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: مَخْشِيُّ - يُشِيرُونَ إلى رَسُولِ الله ﷺ وهُوَ مُنْطَلِقٌ إلى تَبُوكَ، فقالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أتَحْسِبُونَ جِلادَ بَنِي الأصْفَرِ كَقِتالِ العَرَبِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا! والله لَكَأنّا بِكُمْ غَدًا مُقَرَّنِينَ في الحِبالِ؛ إرْجافًا وتَرْهِيبًا لِلْمُؤْمِنِينَ، فقالَ مخشنُ بنُ حُمَيِّرٍ: والله لَوَدِدْتُ أنِّي أُقاضى على أنْ يُضْرَبَ كُلَّ رجلٍ منّا مئة جَلْدةٍ، وإنّا نَنْفَلِتُ أنْ يَنْزِلَ فينا قُرْآنٌ لِمَقالَتِكُمْ هَذِهِ.

وَقالَ رَسُولُ الله ﷺ فيما بَلَغَنِي لِعَمّارِ بنِ ياسِرٍ: «أدْرِكِ القَوْمَ؛ فإنَّهُمْ قَدِ احْتَرَقُوا، فسَلْهُمْ عَمّا قالُوا، فإنْ أنْكَرُوا فقُلْ: بَلى قُلْتُمْ كَذا وكَذا». فانْطَلَقَ إلَيْهِمْ عَمّارٌ فقالَ ذلك لَهُمْ، فأتَوْا رَسُولَ الله ﷺ يَعْتَذِرُونَ إلَيْهِ،

فقالَ ودِيعةُ بنُ ثابِتٍ، ورَسُولُ الله ﷺ واقِفٌ على ناقَتِهِ، فجَعَلَ يَقُولُ وهُوَ آخِذٌ بِحَقَبِها: يا رَسُولَ الله، إنَّما كُنّا نَخُوضُ ونَلْعَبُ، فأنْزَلَ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿ وَلَبِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [التوبة: ٦٥].

وَقالَ مخشنُ بنُ حُمَيِّرٍ: يا رَسُولَ الله، قَعَدَ بِي اسْمِي واسْمُ أبي، وكَأنَّ الَّذي عُفي عَنْهُ في هَذِهِ الآيةِ مخشنُ بنُ حُمَيِّرٍ، فتَسَمّى عَبْدَ الرَّحْمَنِ، وسَأَلَ الله تَعالى أنْ يَقْتُلَهُ شَهِيدًا لا يُعْلَمُ بِمَكانِهِ، فقُتِلَ يَوْمَ اليَمامةِ، فلَمْ يُوجَدْ لَهُ أثَرٌ.

[الصُّلْحُ بَيْنَ الرَّسُولِ ويُحَنّةَ]

وَلَمّا انْتَهى رَسُولُ الله ﷺ إلى تَبُوكَ، أتاهُ يُحَنّةُ بنُ رُؤْبةَ، صاحِبُ أيْلةَ، فصالَحَ رَسُولَ الله ﷺ، وأعْطاهُ الجِزْيةَ، وأتاهُ أهْلُ جَرْباءَ وأذْرُحَ، فأعْطَوْهُ الجِزْيةَ، فكَتَبَ رَسُولُ الله ﷺ لَهُمْ كِتابًا، فهُوَ عِنْدَهُمْ.

[كِتابُ الرَّسُولِ لِيُحَنّةَ]

فَكَتَبَ لِيُحَنّةَ بنِ رُؤْبةَ:

«بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذِهِ أمَنةٌ مِن الله و مُحَمّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ الله لِيُحَنّةَ بنِ رُؤْبةَ وأهْلِ أيْلةَ، سُفُنُهُمْ وسَيّارَتُهُمْ في البَرِّ والبَحْرِ لَهُمْ ذِمّةُ الله، وذِمّةُ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ، ومَنْ كانَ مَعَهُمْ مِنْ أهْلِ الشّامِ، وأهْلِ اليَمَنِ، وأهْلِ البَحْرِ، فمَنْ أحْدَثَ مِنْهُمْ حَدَثًا، فإنَّهُ لا يَحُولُ مالُهُ دُونَ نَفْسِهِ. وإنَّهُ طَيِّبٌ لِمَنْ أخَذَهُ مِن النّاسِ، وإنَّهُ لا يَحِلُّ أنْ يُمْنَعُوا ماءً يَرِدُونَهُ، ولا طَرِيقًا يُرِيدُونَهُ، مِنْ بَرٍّ أوْ بَحْرٍ».

[حَدِيثُ أَسْرِ أُكَيْدِرَ ثُمَّ مُصالحَتِهِ]

ثُمَّ إنَّ رَسُولَ الله ﷺ دَعا خالِدَ بنَ الوَلِيدِ، فبَعَثَهُ إلى أُكَيْدِرِ دُومةَ، وهُوَ أُكَيْدِرُ بنُ عَبْدِ المَلِكِ، رَجُلٌ مِنْ كِنْدةَ كانَ مَلِكًا عَلَيْها، وكانَ نَصْرانِيًّا، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ لِخالِدٍ: «إنَّكَ سَتَجِدُهُ يَصِيدُ البَقَرَ». فخَرَجَ خالِدٌ، حَتّى إذا كانَ مِنْ حِصْنِهِ بِمَنْظَرِ العَيْنِ، وفي لَيْلَةٍ مُقْمِرةٍ صائِفةٍ، وهُوَ على سَطْحٍ لَهُ، ومَعَهُ امْرَأَتُهُ، فباتَت البَقَرُ تَحُكُّ بِقُرُونِها بابَ القَصْرِ، فقالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: هَلْ رَأَيْتَ مِثْلَ هذا قَطُّ؟ قالَ: لا والله. قالَتْ: فَمَنْ يَتْرُكُ هَذِهِ؟ قالَ: لا أَحَدَ. فنَزَلَ فأَمَرَ بِفَرَسِهِ فأُسْرِجَ لَهُ، ورَكِبَ مَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، فيهِمْ أَخٌ يُقالُ لَهُ: حَسّانُ، فرَكِبَ، وخَرَجُوا مَعَهُ بِمُطارِدِهِمْ، فلَمّا خَرَجُوا تَلَقَّتْهُمْ خَيْلُ رَسُولِ الله ﷺ، فأَخَذَتْهُ، وقَتَلُوا أَخاهُ، وقَدْ كانَ عَلَيْهِ قَباءٌ مِنْ دِيباجٍ مُخَوَّصٍ بِالذَّهَبِ، فاسْتَلَبَهُ خالِدٌ، فبَعَثَ بِهِ إلى رَسُولِ الله ﷺ قَبْلَ قُدُومِهِ بِهِ عَلَيْهِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي عاصِم بن عَمْرو بنِ قَتادةَ، عَنْ أَنَسِ بنِ مالِكٍ، قالَ: رَأَيْتُ قَباءَ أُكَيْدِرٍ حِينَ قُدِمَ بِهِ على رَسُولِ الله ﷺ، فجَعَلَ المُسْلِمُونَ يَلْمِسُونَهُ بِأَيْدِيهِمْ ويَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَتَعْجَبُونَ من هذا؟ فوالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَمَنادِيلُ سَعْدِ بنِ مُعاذٍ في الجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هذا». قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ إنَّ خالِدًا قَدِمَ بِأُكَيْدِرٍ على رَسُولِ الله ﷺ، فحَقَنَ لَهُ دَمَهُ، وصالَحَهُ على الجِزْيةِ، ثُمَّ خَلّى سَبِيلَهُ، فرَجَعَ إلى قَرْيَتِهِ، فقالَ رَجُلٌ مِنْ طيِّئٍ يُقالُ لَهُ: بُجَيْرُ بنُ بُجْرةَ، يَذْكُرُ قَوْلَ رَسُولِ الله ﷺ لِخالِدٍ: «إنَّكَ سَتَجِدُهُ يَصِيدُ البَقَرَ»، وما صَنَعَتِ البَقَرُ تِلْكَ اللَّيْلةَ حَتّى اسْتَخْرَجَتْهُ لِتَصْدِيقِ قَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ.

تَبارَكَ سائِقُ البَقَراتِ إنِّي رَأيْتُ اللهَ يَهْدِي كُلَّ هادِ
فَمَنْ يَكُ حائِدًا عَنْ ذِي تَبُوكٍ فإنّا قَدْ أُمِرْنا بِالجِهادِ

[الرُّجُوعُ إلى المَدِينةِ]

فَأقامَ رَسُولُ الله ﷺ بِتَبُوكَ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلةً، لَمْ يُجاوِزْها، ثُمَّ انْصَرَفَ قافِلًا إلى المَدِينةِ.

[حَدِيثُ وادِي المُشَقَّقِ ومائِهِ]

وَكانَ في الطَّرِيقِ ماءٌ يَخْرُجُ مِنْ وشَلٍ، ما يَرْوِي الرّاكِبَ والرّاكِبَيْنِ والثَّلاثَةَ، بِوادٍ يُقالُ لَهُ: وادِي المُشَقَّقِ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ سَبَقَنا إلى ذلك الوادِي فلا يَسْتَقِيَنَّ مِنْهُ شَيْئًا حَتّى نَأْتِيَهُ». قالَ: فسَبَقَهُ إلَيْهِ نَفَرٌ مِن المُنافِقِينَ، فاسْتَقَوْا ما فيهِ، فلَمّا أتاهُ رَسُولُ الله ﷺ وقَفَ عَلَيْهِ، فلَمْ يَرَ فيهِ شَيْئًا، فَقالَ: «مَنْ سَبَقَنا إلى هذا الماءِ؟» فقِيلَ لَهُ: يا رَسُولَ الله، فُلانٌ وفُلانٌ، فقالَ: «أوَ لَمْ أنْهَهُمْ أنْ يَسْتَقُوا مِنْهُ شَيْئًا حَتّى آتِيَهُ؟!» ثُمَّ لَعَنَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ، ودَعا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ نَزَلَ فوَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ الوَشَلِ، فجَعَلَ يَصُبُّ في يَدِهِ ما شاءَ اللهُ أنْ يَصُبَّ، ثُمَّ نَضَحَهُ بِهِ، ومَسَحَهُ بِيَدِهِ، ودَعا رَسُولُ الله ﷺ بِما شاءَ اللهُ أنْ يَدْعُوَ بِهِ، فانْخَرَقَ مِن الماءِ - كَما يَقُولُ مَنْ سَمِعَهُ - ما إنَّ لَهُ حِسًّا كَحِسِّ الصَّواعِقِ، فشَرِبَ النّاسُ، واسْتَقَوْا حاجَتَهُمْ مِنْهُ. فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَئِنْ بَقِيتُمْ - أوْ مَنْ بَقِيَ مِنْكُمْ - لَتَسْمَعُنَّ بِهذا الوادِي وهُوَ أخْصَبُ ما بَيْنَ يَدَيْهِ وما خَلْفَهُ».

[وَفاةُ ذِي البِجادَيْنِ وقِيامُ الرَّسُولِ على دَفْنِهِ]

قالَ: وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ إبْراهِيمَ بنِ الحارِثِ التَّيْمِيُّ، أنَّ عَبْدَ الله بنَ

مَسْعُودٍ كانَ يُحَدِّثُ، قالَ: قُمْتُ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ وأنا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ في غَزْوَةِ تَبُوكَ، قالَ: فرَأيْتُ شُعْلَةً مِنْ نارٍ في ناحِيَةِ العَسْكَرِ، قالَ: فاتَّبَعْتها أنْظُرُ إلَيْها، فإذا رَسُولُ اللهِ ﷺ وأبو بَكْرٍ وعُمَرُ، وإذا عَبْدُ اللهِ ذُو البِجادَيْنِ المُزَنِيُّ قَدْ ماتَ، وإذا هُمْ قَدْ حَفَرُوا لَهُ، ورَسُولُ اللهِ ﷺ في حُفْرَتِهِ، وأبو بَكْرٍ وعُمَرُ يُدَلِّيانِهِ إلَيْهِ، وهُوَ يَقُولُ: «أدْنِيا إلَيَّ أخاكُما»، فدَلَّياهُ إلَيْهِ، فلَمّا هَيَّأهُ لِشِقِّهِ قالَ: «اللهُمَّ إنِّي أمْسَيْتُ راضِيًا عَنْهُ، فارْضَ عَنْهُ». قالَ: يَقُولُ عَبْدُ اللهِ ابنُ مَسْعُودٍ: يا لَيْتَنِي كُنْتُ صاحِبَ الحُفْرَةِ.

[سَبَبُ تَسْمِيَتِهِ ذا البِجادَيْنِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وإنَّما سُمِّيَ ذا البِجادَيْنِ؛ لِأنَّهُ كانَ يُنازِعُ إلى الإسْلامِ، فيمْنَعُهُ قَوْمُهُ مِنْ ذلك، ويُضَيِّقُونَ عَلَيْهِ، حَتّى تَرَكُوهُ في بِجادٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، والبِجادُ: الكِساءُ الغَلِيظُ الجافي، فهَرَبَ مِنْهُمْ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فلَمّا كانَ قَرِيبًا مِنْهُ شَقَّ بِجادَهُ بِاثْنَيْنِ، فاتَّزَرَ بواحِدٍ، واشْتَمَلَ بِالآخَرِ، ثُمَّ أتى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فقِيلَ لَهُ: ذُو البِجادَيْنِ لِذلك. والبِجادُ أيْضًا: المِسْحُ، قالَ ابنُ هِشامٍ: قالَ امْرُؤُ القَيْسِ:

كَأنَّ أبانًا في عَرانِينِ ودْقِهِ   كَبِيرُ أُناسٍ في بِجادٍ مُزَمَّلِ

وَذَكَرَ الجَدّ بنَ قَيْسٍ، وَقَوْلَ النَّبِيّ ﷺ لَهُ: «هَلْ لَكَ فِي جِلادِ بَنِي الأصْفَرِ؟» يُقالُ: إنّ الرُّومَ قِيلَ لَهُمْ: بَنُو الأصْفَرِ؛ لأن عيصو بن إسْحاقَ كانَ بهِ صُفْرَةٌ، وَهُوَ جَدُّهُمْ، وَقِيلَ: إنّ الرّومَ بنَ عيصو هو الأصْفَرُ، وَهُوَ أبُوهُمْ، وَأُمّهُ نسمةُ بِنْتُ إسْماعِيلَ، وَقَدْ ذَكَرْنا فِي أوّلِ الكِتابِ[1] مَنْ وَلَدَتْ مِن الأُمَمِ، وَلَيْسَ كُلّ

---

(١) انظر: (١: ١٣٠).

الرّومِ مِنْ وَلَدِ بَنِي الأصْفَرِ، فإن الرّومَ الأُوَلَ [فِيما زَعَمُوا][١] هُمْ مِنْ وَلَدِ يُونان ابنِ يافِثَ بنِ نُوحٍ، واللهُ أعْلَمُ بِحَقائِقِ هَذِهِ الأشْياءِ وَصِحَّتِها.

وَذَكَرَ يُونُسَ بِإِثْرِ حَدِيثِ الجَدِّ بنِ قَيْسٍ، عَنْ عَبْدِ الحَمِيدِ بنِ بَهْرامَ، عَنْ شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ غَنْمٍ، أنَّ اليَهُودَ أتَوْا رسول الله ﷺ يَوْمًا، فَقالُوا: يا أبا القاسِمِ، إنْ كُنْتَ صادِقًا أنّك نَبِيّ فالحَقْ بالشّامِ؛ فَإنّ الشّامَ أرْضُ المَحْشَرِ وَأرْضُ الأنْبياءِ. فَصَدّقَ رسولُ الله ﷺ ما قالُوا، فَغَزا غَزْوةَ تَبُوكَ لا يُرِيدُ إلّا الشّامَ، فَلَمّا بَلَغَ[٢] أنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ آياتٍ مِنْ سُورةِ بَنِي إسْرائِيلَ بعدما خُتِمَت السّورةُ: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، إلى قَوْلِهِ: ﴿تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٦-٧٧]، فَأَمَرَهُ[٣] بِالرُّجُوعِ إلى المَدِينةِ، وَقالَ: فِيها مَحْياك، [وَفِيها][٤] مَماتُك، وَمِنْها تُبْعَثُ، ثُمّ قالَ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ إلى قوله: ﴿مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨-٧٩]، فَرَجَعَ رسولُ الله ﷺ، فأمَرَهُ جِبْرِيلُ فَقالَ: سَلْ رَبّك، فَإنّ لِكُلّ نَبِيٍّ مَسْألةً. وَكانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السّلامُ لَهُ ناصِحًا، وَكانَ مُحَمّدٌ ﷺ لَهُ مُطِيعًا، فَقالَ: «ما تأمرني أن أسألَ؟» قال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠]، وَهَؤُلاءِ نَزَلْنَ عَلَيْهِ فِي رَجْعَتِهِ مِنْ تَبُوكَ[٥].

---

(١) ليس في (ب).

(٢) في (ب): «فلما بلغ تبوك».

(٣) في (أ): «فأُمِرَ» مضبوطًا.

(٤) ليس في (ب)، (ص).

(٥) انظر الأثر في: «دلائل النبوة» للبيهقي: (٥: ٢٥٤). وقد ضعّفه ابن كثير في «تفسيره» (٥: ٢١١٣)، وقال: «إن النبي ﷺ لم يغزُ تبوك عن قول اليهود، وإنما غزاها امتثالًا لقوله =

فَصْلٌ

وَذَكَرَ أبا ذَرّ الغِفارِيّ [رضي الله عنه، وَإِبْطاءَهُ][1]. واسْمُهُ: جُنْدُبُ بنُ جُنادةَ، هَذا[2] أَصَحُّ ما قِيلَ فِيهِ، وَقَدْ قِيلَ فِيهِ: بَرِيرُ بنُ عِشْرِقةَ، وَجُنْدُبُ بنُ عَبْدِ اللهِ، وابنُ السّكَنِ أَيْضًا[3].

وَقَوْلُه: «كُنْ أبا ذَرّ»، وَفِي أَبِي خَيْثَمةَ: «كُنْ أبا خَيْثَمةَ» لَفْظُهُ لَفْظُ الأَمْرِ، وَمَعْناهُ الدُّعاءُ، كَما تَقُولُ: اسْلَمْ؛ أي: سَلَّمَك اللهُ.

وَقَوْلُهُ فِي أَبِي ذَرّ: «يَمْشِي وَحْدَهُ، وَيَمُوتُ وحده» أيْ: يَمُوتُ مُنْفَرِدًا، وَأَكْثَرُ ما تُسْتَعْمَلُ هَذِهِ الحالُ لِنَفْيِ الاشْتِراكِ فِي الفِعْلِ، نَحْو: كَلَّمَنِي زَيْدٌ وَحْدَهُ؛ أيْ: مُنْفَرِدًا بِهَذا الفِعْلِ[4] وَإِنْ كانَ حاضِرًا مَعَهُ غَيْرُهُ؛ أيْ: كَلَّمَنِي خُصُوصًا، [وَكَذَلِكَ لَوْ قُلْت: كَلَّمْته مِنْ بَيْنِهِمْ وَحْدَهُ، كانَ مَعْناهُ خُصُوصًا][5] كَما قَدّرَهُ سِيبَوَيْهِ[6]، وَأَمّا الّذِي فِي الحَدِيثِ فَلا يَتَقَدّرُ هَذا التّقْدِيرَ؛ لِأَنّهُ مِن المُحالِ أَنْ يَمُوتَ خُصُوصًا، وَإِنّما مَعْناهُ: مُنْفَرِدًا بِذاتِهِ؛ أيْ: على حِدَتِهِ، كَما قالَ يُونُسُ، فَقَوْلُ يُونُسَ صالِحٌ فِي هَذا المَوْطِنِ، وَتَقْدِيرُ سِيبَوَيْهِ لَهُ بِالخُصُوصِ يَصْلُحُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَيْهِ فِي أَكْثَرِ المَواطِنِ.

= تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣]».

(١) ليس في (ب).

(٢) في (ب)، (ص): «هو».

(٣) انظر: «أسد الغابة» (٧: ٩٩).

(٤) بعده في (ف): «وحده».

(٥) ليس في (ب).

(٦) انظر: «الكتاب» (١: ٣٧٣-٣٧٥).

وَإِنَّما لَمْ يَتَعَرَّفْ وَحْدَهُ بالإضافةِ؛ لِأَنَّ مَعْناهُ كَمَعْنى «لا غير»، ولأنها كلمة تنبئ عَنْ نَفْيٍ وَعَدَمٍ، والعَدَمُ لَيْسَ بِشَيْءٍ فَضْلًا عَنْ أنْ يَكُونَ مُتَعَرِّفًا مُتَعَيِّنًا بالإضافةِ، وَإِنَّما لَمْ يُشْتَقَّ مِنْهُ فِعْلٌ، وَإِنْ كانَ مَصْدَرًا فِي الظّاهِرِ؛ لِما قَدَّمْناهُ مِنْ أَنَّهُ لَفْظٌ يُنْبِئُ عَنْ عَدَمٍ وَنَفْيٍ، والفِعْلُ يَدُلُّ على حدثٍ وزمان، فكيف يشتقُّ من شيءٍ ليس بِحَدَثٍ إنَّما هُوَ عِبارةٌ عَن انْتِفاءِ الحَدَثِ عَنْ كُلِّ أحَدٍ إلّا عَنْ زَيْدٍ، مَثَلًا إذا قُلْت: جاءَنِي زَيْدٌ وَحْدَهُ؛ أيْ: لَمْ يَجِئْ غَيْرُهُ، وَإِنَّما يُقالُ: انْعَدَمَ وانْتَفى بَعْدَ الوُجُودِ لا قَبْلَهُ؛ لِأَنَّهُ أَمْرٌ مُتَجَدِّدٌ كالحَدَثِ. وقد أطنبنا في هذا الغرض وزدناهُ بيانًا فِي مَسْألةِ «سُبْحانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ» وَشَرْحِها[1].

فَصْلٌ

وَذَكَرَ الرَّجُلَ الَّذِي ألقتْهُ الرِّيحُ بجبلَي طَيِّئ، وهما أجأ وسَلْمى، وَعُرف أجأ بِأجأ بنِ عَبْدِ الحَيّ، كانَ صُلِبَ فِي ذَلِكَ الجَبَلِ، وَسَلْمى صُلِبَتْ فِي الجَبَلِ الآخَرِ، فعُرِفَ بِها، وَهِيَ سَلْمى بنتُ حام فِيما ذكروا، واللهُ أعْلَمُ.

فَصْلٌ

وَذَكَرَ كِتابَهُ[2] لِأُكَيْدِرِ دُومةَ. ودُومة بِضَمِّ الدّالِ[3] هِيَ هَذِهِ، وَعُرِفَتْ بِدُومى

---

(١) انظر التعريف بهذه المسألة في دراستي «أبو القاسم السهيلي ومذهبه في النحو» (ص: ١٩٠).

(٢) في (ب): «وذكر في كتابه»، و«في» ثابتة في حاشية (أ).

(٣) في (ب) بعده: «قال الجوهري: دومة الجندل اسم حصن، فأصحاب اللغة يقولونه بضم الدال وأصحاب الحديث يفتحونها. وقول لبيد:

وأعْصَفْنَ بالدُّوميِّ من رأس حِصْنِهِ ... وأنْزَلْنَ بالأسباب ربَّ المُشَقَّرِ

يعني: أكيدر صاحب دومة الجندل». وانظر بيت لبيد في «ديوانه» (ص: ٥٦).

ابنِ إسْماعِيلَ فِيما ذَكَرُوا، وَهِيَ دُومةُ الجَنْدَلِ، وَدُومةُ بِالضّمّ [أيضًا](١) أُخْرى، وَهِيَ عِنْدَ الحِيرةِ، وَيُقالُ لِما حَوْلَها النّجَفُ، وَأمّا دَوْمةُ بفتحِ الدالِ فَأُخْرى مَذْكُورةٌ فِي أخْبارِ الرِّدّةِ.

وَذَكَرَ أنّهُ كَتَبَ لِأُكَيْدِرِ دُومةَ كِتابًا فِيهِ عَهْدٌ وَأمانٌ. قالَ أبُو عُبَيْدٍ: أنا قَرَأْته، أتانِي بِهِ شَيْخٌ هُناكَ فِي قَضِيمٍ، والقَضِيمُ(٢) الصّحِيفةُ، وَإذا فِيهِ:

«بِسْمِ اللهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ، مِنْ مُحَمّدٍ رَسُولِ اللهِ لِأُكَيْدِرٍ حِينَ أجابَ إلى الإسْلامِ، وَخَلَعَ الأنْدادَ والأصْنامَ مَعَ خالِدِ بنِ الوَلِيدِ سَيْفِ اللهِ فِي دُومةِ الجَنْدَلِ وَأكْنافِها، إنّ لَنا الضّاحِيَةَ مِن الضّحلِ(٣) والبَوْرَ والمَعامِيَ، وَأغْفالَ الأرْضِ، والحَلْقةَ والسّلاحَ والحافِرَ والحِصْنَ، وَلَكُم الضّامِنةُ مِن النّخْلِ والمَعِينِ(٤) مِن المَعْمُورِ، لا تُعْدَلُ سارِحَتُكُمْ، وَلا تُعَدُّ فارِدَتُكُمْ(٥)، وَلا يُحْظَرُ عَلَيْكُم النّباتُ، تُقِيمُونَ الصّلاة لوقتها، وتؤتُون(٦) الزّكاة بحقِّها، عليكم بذلك عهدُ الله والمِيثاقُ، وَلَكُمْ بِذَلِكَ الصّدْقُ والوَفاءُ، شَهِدَ اللهُ وَمَنْ حَضَرَ مِن المُسْلِمِينَ»(٧).

الضّاحِيَةُ: أطْرافُ الأرْضِ، والمَعامِي: مَجْهُولُها، وَأغْفالُ الأرْضِ: ما

---

(١) ليس في (ب).
(٢) القضيم: الجلد الأبيض يُكتب فيه، والصحيفة البيضاء.
(٣) الضحل: الماء القليل على الأرض لا عمق له.
(٤) المعين: الماء الظاهر.
(٥) الفاردة: الزائدة على ما تجب فيه الزكاة؛ أي: لا تُعدّ عليكم تلك في الزكاة حتى تنتهي إلى الفريضة الأخرى.
(٦) في (ف): «وتؤدون».
(٧) «غريب الحديث» لأبي عبيد: (٣: ١٩٨-١٩٩).

لا أَثَرَ لَهُمْ فِيهِ مِنْ عِمارةٍ أَوْ نَحْوِها، والضّامِنةُ مِن النّخْلِ: ما داخَلَ بَلَدَهُمْ. وَلا يُحْظَرُ عَلَيْكُم النّباتُ؛ أيْ: لا تُمْنَعُونَ مِن الرّعْيِ حَيْثُ شِئْتُمْ، وَلا تُعْدَلُ سارِحَتُكُمْ؛ أيْ: لا تُحْشَرُ إلى المُصَدِّقِ[1].

وَإِنّما أخَذَ مِنْهُمْ بَعْضَ هَذِهِ الأَرَضِينَ مَعَ الحَلْقةِ، وَهِيَ السِّلاحُ، وَلَمْ يفعلْ ذلك مع أهلِ الطائفِ حين[2] جاؤوا تائِبِينَ؛ لِأَنّ هَؤُلاءِ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ وَأَخَذَ مَلِكَهُمْ أَسِيرًا، وَلَكِنّهُ أبْقى لَهُمْ مِنْ أَمْوالِهِمْ ما تَضَمَّنَهُ الكِتابُ؛ لِأَنّهُ لَمْ يُقاتِلْهُمْ حَتّى يَأْخُذَهُمْ عَنوةً كَما أَخَذَ خَيْبَر[3]، فَلَوْ كانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ لَكانَتْ أَمْوالُهُمْ كُلّها لِلْمُسْلِمِينَ، وَكانَ لَهُ الخيارُ في رقابهم كما تقدَّم[4]، ولو جاؤوا إِلَيْهِ تائِبِينَ أَيْضًا قَبْلَ الخُرُوجِ إِلَيْهِمْ، كَما فَعَلَتْ ثَقِيفٌ ما أَخَذَ مِنْ أَمْوالِهِمْ شَيْئًا.

وَلَمْ يَذْكُر ابنُ إِسْحاقَ فِي غَزْوةِ تَبُوكَ ما كانَ مِنْ أَمْرِ هِرَقْلَ؛ فَإِنّ رسول الله ﷺ كَتَبَ إِلَيْهِ مِنْ تَبُوكَ مَعَ دِحْيةَ بنِ خَلِيفةَ، وَنَصّهُ مَذْكُورٌ فِي الصّحاحِ مَشْهُورٌ[5]، فَأَمَرَ هِرَقْلُ مُنادِيًا يُنادِي: ألا إِنّ هِرَقْلَ قَدْ آمَن بِمُحَمّدٍ واتّبَعَهُ، فَدَخَلَتِ الأَجْنادُ فِي سِلاحِها، وأطافتْ بقصرِهِ تريدُ قتله، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ: إِنّي أَرَدْتُ أَنْ أَخْتَبِرَ صَلابَتَكُمْ فِي دِينِكُمْ، فَقَدْ رَضِيتُ عَنْكُمْ، فَرَضُوا عَنْهُ[6].

---

(١) قال أبو عبيد: السارحة: الماشية التي تسرح وترعى؛ أي: لا تصرف عن مرعى تريده.

(٢) في (ف): «الذين».

(٣) بعده في (ص): «في خيبر».

(٤) انظر: (٧: ٢٦٠).

(٥) انظر: «صحيح البخاري»، الأحاديث أرقام: (٧، ٢٩٣٦، ٢٩٧٨، ٣١٧٤، ٤٥٥٣، ٥٩٨٠، ٦٢٦٠، ٧١٩٦)، و«صحيح مسلم»، حديث رقم: (١٧٧٣). والترمذي، حديث رقم: (٢٧١٧)، والنسائي برقم: (٥٨٥٨)، وأبو داود حديث رقم: (٥١٣٦)، وغير ذلك من المواضع في معاجم الحديث.

(٦) انظر: «فتح الباري»، كتاب بدء الوحي: (١: ٣٢-٣٣)، و«مسند أحمد» (٣: ٤٤١-٤٤٢).

ثُمّ كَتَبَ كِتابًا وَأَرْسَلَهُ مَعَ دِحْيَةَ يَقُولُ فِيهِ [لِلنّبِيّ ﷺ][١]: إنّي مُسْلِمٌ، وَلَكِنّي مَغْلُوبٌ على أمْري، وَأَرْسَلَ إلَيْهِ بِهَدِيّةٍ، فَلَمّا قَرَأَ رسولُ الله ﷺ كِتابَهُ قالَ: «كَذَبَ عَدُوُّ اللهِ، لَيسَ بِمُسْلِمٍ، بَلْ هُوَ على نَصْرانِيّتِهِ»، وَقَبِلَ هَدِيّتَهُ وَقَسَّمَها[٢] بَيْنَ المُسْلِمِينَ، وَكانَ لا يَقْبَلُ هَدِيّةَ مُشْرِكٍ مُحارِبٍ، وَإنّما قَبِلَ هَذِهِ لِأنّها فَيْءٌ لِلْمُسْلِمِينَ؛ وَلِذَلِكَ قَسّمَها عَلَيْهِمْ، وَلَوْ أتَتْهُ فِي بَيْتِهِ لكانَتْ لَهُ خاصةً، كَما كانَتْ هَدِيّةُ المُقَوْقِسِ خالِصةً لَهُ، وَقَبِلَها مِن المُقَوْقِسِ؛ لِأنّهُ لَمْ يَكُنْ مُحارِبًا لِلْإسْلامِ، بَلْ كانَ قَدْ أظْهَرَ المَيْلَ إلى الدُّخُولِ فِي الدِّينِ.

وَقَدْ رَدّ هَدِيّةَ أبِي بَراءٍ مُلاعِبِ الأسِنّةِ، وَكانَ[٣] أهْدى إلَيْهِ فَرَسًا، وَأَرْسَلَ إلَيْهِ: إنّي قَدْ أصابَنِي وَجَعٌ أحْسَبُهُ قالَ: يُقالُ لَهُ: الدُّبَيْلَةُ[٤]، فابْعَثْ إلَيّ بِشَيْءٍ أتَداوى بِهِ، فَأَرْسَلَ إلَيْهِ النّبِيّ ﷺ بِعُكّةِ[٥] عَسَلٍ، وَأَمَرَهُ أنْ يَسْتَشْفِيَ [بِهِ][٦] وَرَدَّ عَلَيْهِ هَدِيّتَهُ، وَقالَ: «إنّي نُهِيتُ عَنْ زَبْدِ[٧] المُشْرِكِينَ»، وَبَعْضُ أهْلِ الحَدِيثِ يَنْسُبُ هَذا الخَبَرَ[٨] لِعامِرِ بنِ الطّفيلِ عَدُوِّ الله، وإنما هوعَمُّهُ عامِرُ بنُ مالِكٍ[٩].

وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السّلامُ: «عَنْ زَبْدِ المُشْرِكِينَ»، وَلَمْ يَقُلْ: عَنْ هَدِيّتِهِمْ يَدُلُّك

(١) ليس في (ب).

(٢) في (ب): «وفرقها».

(٣) في (أ): «وكان قد» بإضافة «قد» من الحاشية.

(٤) الدُّبَيلة: خُرّاج ودُمَّل كبير تظهر في الجوف فتقتل صاحبها غالبًا.

(٥) العُكّة: وعاء السمن والعسل.

(٦) ليس في (ب).

(٧) الزَّبْد: العطاء.

(٨) في (ب): «الخبر».

(٩) انظر: «أسد الغابة»، ترجمة عامر بن مالك العامري: (٣: ١٤٠-١٤١).

على أَنّهُ إنّما كَرِهَ مُلايَنَتَهُمْ وَمُداهَنَتَهُمْ؛ إذْ[١] كانُوا حَرْبًا له؛ لِأَنّ الزّبْدَ مُشْتَقٌّ مِن الزُّبْدِ، كَما أَنّ المُداهَنَةَ مُشْتَقّةٌ مِن الدُّهْنِ، فَعادَ المَعْنى إلى مَعْنى اللّينِ والمُلايَنةِ، وَوُجُوب الجِدّ فِي حَرْبِهِمْ والمُخاشَنةِ. وَقَدْ رَدّ هَدِيّةَ عِياضِ بنِ حِمارٍ المُجاشِعِيّ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ، وَفِيها قالَ: «إنّي نُهِيتُ عَنْ زَبْدِ المُشْرِكِينَ»[٢].

وَأَهْدى إلى أَبِي سُفْيانَ عَجْوةً واسْتَهْداهُ أُدْمًا، فَأَهْداهُ أَبُو سُفْيانَ وَهُوَ على شِرْكِهِ الأُدْمَ[٣]، وَذَلِك فِي زَمَنِ الهُدْنةِ الّتِي كانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ المُسْلِمِينَ[٤].

وَقَدْ رُوِيَ أَنّ هِرَقْلَ وَضَعَ كِتابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الّذِي كَتَبَ إلَيْهِ فِي قَصَبةٍ مِنْ ذَهَبٍ تعظيمًا له، وأنّهم لم يزالوا يتوارثونه كابرًا عَنْ كابرٍ فِي أَرْفَعِ صِوانٍ، وَأَعَزّ[٥] مَكانٍ حَتّى كانَ عِنْدَ «إذفونش» الّذِي تَغَلّبَ على طُلَيْطِلةَ، وَما أَخَذَ إخْذَها[٦] مِنْ بِلادِ الأَنْدَلُسِ، ثُمّ كانَ عِنْدَ ابنِ بِنْتِهِ المَعْرُوفِ «بالسّلِيطِين»، حَدّثَنِي بَعْضُ أَصْحابِنا أَنّهُ حَدّثَهُ مَنْ سَأَلَهُ رُؤْيَتَهُ مِنْ قُوّادِ أَجْنادِ المُسْلِمِينَ كانَ يُعْرَفُ بِعَبْدِ[٧] المَلِكِ بنِ سَعِيدٍ، قالَ: فَأَخْرَجَهُ إلَيّ فاسْتَعْبَرْتُ وَأَرَدْتُ تَقْبِيلَهُ، وَأَخْذَهُ بِيَدِي، فَمَنَعَنِي مِنْ ذَلِكَ صِيانةً لَهُ وَضَنًّا بِهِ عَلَيّ.

وَيُقالُ: هِرَقْل وَهِرْقِل.

---

(١) في (س)، (ص)، (ف): «إذا».

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الإمارة: (٣: ١٧٣).

(٣) الأُدْم: الإدام، وهو ما يُستمرأ به الخبز.

(٤) بعده في (ب)، (ج): «في صلح الحديبية».

(٥) في (ف): «وعز».

(٦) أي: ما يليها وما هو في ناحيتها.

(٧) انظر الخبر في «نفح الطيب» (٢: ٣٣٥)، وفيه أنّ محمد بن عبد الملك هو الذي عاينَ الخطاب.

فَصْلٌ

وَذَكَرَ البكّائين، وذكرَ فيهم عُلْبةَ بنَ زيد، وفي روايةِ يونسَ أنّ عُلْبةَ خَرَجَ مِن اللّيْلِ فَصَلى ما شاءَ اللهُ، ثُمّ بَكى، وَقالَ: «اللهُمّ إنّك قَدْ أمَرْتَ بِالجِهادِ، وَرَغّبْت فِيهِ، ثُمّ لَمْ تَجْعَلْ عِنْدِي ما أتَقَوّى [بِهِ][1] مَعَ رَسُولِك وَلَمْ تَجْعَلْ فِي يَدِ رَسُولِك ما يَحْمِلُنِي عَلَيْهِ، وَإنّي أتَصَدَّقُ على كُلّ مُسْلِمٍ بِكُلّ مَظْلِمةٍ أصابَنِي بِها فِي مالٍ أوْ جَسَدٍ أوْ عِرْضٍ»، ثُمّ أصْبَحَ مَعَ النّاسِ، فقالَ رسول الله ﷺ: «أيْنَ المُتَصدِّقُ فِي هَذِهِ اللّيْلةِ؟» فلَمْ يَقُمْ[2] أحَدٌ، ثُمّ قالَ: «أيْنَ المُتَصدّقُ فَلْيَقُمْ، وَلا يَتَزاهَدْ ما صَنَعَ هَذِهِ اللّيْلةَ»، فَقامَ إلَيْهِ، فَأخْبَرَهُ، فَقالَ رسول الله ﷺ: «أبشِرْ فوالذي نَفْسُ مُحَمّدٍ بِيَدِهِ، لَقَدْ كُتِبَتْ فِي الزّكاةِ المُتَقَبّلة»[3].

وَأمّا سالِمُ بنُ عُمَيْرٍ[4] وَعَبْدُ اللهِ بنُ المُغَفّلِ، فَرَآهُما يامِينُ [بنُ عُميرٍ][5] بنِ كَعْبٍ يَبْكِيانِ، فزَوّدَهُما وَحَمَلَهُما، فَلَحِقا برسول الله ﷺ.

* * *

---

(١) ليس في (ب).

(٢) بعده في (ب): «إليه».

(٣) انظر: «دلائل النبوة» للبيهقي: (٥: ٢١٨-٢١٩).

(٤) الذي في «دلائل النبوة» للبيهقي: (٥: ٢١٨)، و«أسد الغابة» (٣: ٣٨٦) هو أبو ليلى عبد الرحمن بن كعب، لا سالم بن عمير.

(٥) عن (س). وانظر ترجمة يامين في «أسد الغابة» (٥: ٤٦٨).

[سُؤالُ الرَّسُولِ لِأبي رُهْمٍ عَمَّنْ تَخَلَّفَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وذَكَرَ ابنُ شِهابٍ الزُّهْرِيُّ، عَن ابنِ أُكَيْمةَ اللَّيْثِيِّ، عَن ابنِ أخِي أبي رُهْمٍ الغِفارِيِّ، أنَّهُ سَمِعَ أبا رُهْمٍ كُلْثُومَ بنَ الحُصَيْنِ ـ وكانَ مِنْ أصْحابِ رَسُولِ الله ﷺ الَّذينَ بايَعُوا تَحْتَ الشَّجرةِ ـ يَقُولُ: غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ غَزْوةَ تَبُوكَ، فسِرْتُ ذاتَ لَيْلةٍ مَعَهُ ونَحْنُ بِالأخْضَرِ قَرِيبًا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، وألْقى الله علينا النُّعاس، فطَفِقْتُ أسْتَيْقِظُ وقَدْ دَنَتْ راحِلَتِي مِنْ راحِلةِ رَسُولِ الله ﷺ، فيُفْزِعُني دُنُوُّها مِنْهُ؛ مَخافةَ أنْ أُصِيبَ رِجْلَهُ في الغَرْزِ، فطَفِقْتُ أحُوزُ راحِلَتِي عَنْهُ، حَتّى غَلَبَتْني عَيْنِي في بَعْضِ الطَّرِيقِ، ونَحْنُ في بَعْضِ اللَّيْلِ، فزاحَمَتْ راحِلَتِي راحِلةَ رَسُولِ الله ﷺ ورِجْلُهُ في الغَرْزِ، فما اسْتَيْقَظْتُ إلّا بِقَوْلِهِ: «حَسِّ»، فقُلْتُ: يا رَسُولَ الله، اسْتَغْفِرْ لِي. فقالَ: «سِرْ»، فجَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَسْأَلُني عَمَّنْ تَخَلَّفَ عَنْ بَنِي غِفارٍ فأُخْبِرُهُ بِهِ، فقالَ وهُوَ يَسْأَلُنِي: «ما فعَلَ النَّفَرُ الحُمْرُ الطِّوالُ الثِّطاطُ؟» فحَدَّثْتُهُ بِتَخَلُّفِهِمْ، قالَ: «فَما فعَلَ النَّفَرُ السُّودُ الجِعادُ القِصارُ؟» قالَ: قُلْتُ: والله ما أعْرِفُ هَؤُلاءِ مِنّا. قالَ: «بَلى، الَّذينَ لَهُمْ نَعَمٌ بِشَبَكةِ شدخ»، فتذَكَّرْتهمْ في بَنِي غِفارٍ، ولَمْ أذْكُرْهُمْ حَتّى ذَكَرْتُ أنهم رَهْطٌ مِنْ أسْلَمَ كانُوا حُلَفاءَ فينا، فقُلْتُ: يا رَسُولَ الله، أُولَئِكَ رَهْطٌ مِنْ أسْلَمَ حُلَفاءُ فينا، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ما مَنَعَ أحَدٌ أُولَئِكَ حِينَ تَخَلَّفَ أنْ يَحْمِلَ على بَعِيرٍ مِنْ إبِلِهِ امْرًا نَشِيطًا في سَبِيلِ الله، إنَّ أعَزَّ أهْلِي عَلَيَّ أنْ يَتَخَلَّفَ عَنِّي المُهاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ والأنْصارُ وغِفارٌ وأسْلَمُ».

فَصْلٌ

وَقَوْلُهُ[١] خَبَرًا عَنْ أَبِي رُهْمٍ: أصابَتْ رِجْلِي رِجْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الغَرْزِ فقال: «حَسِّ».

الغَرْزُ لِلرّحْلِ كالرِّكابِ[٢] لِلسَّرْجِ، وَحَسِّ: كَلِمةٌ تَقُولُها العَرَبُ عِنْدَ وُجُودِ الألَمِ، وَفِي الحَدِيثِ أَنَّ طَلْحةَ لَمّا أُصِيبَتْ يَدُهُ يَوْمَ أُحُدٍ قالَ: حَسِّ، فَقالَ رسول الله ﷺ: «لَوْ أَنّهُ قالَ: بِسْمِ اللهِ الرحمن الرحيم ـ يَعْنِي: مَكانَ حَسِّ ـ لَدَخَلَ الجَنّةَ والنّاسُ يَنْظُرُونَ»، أَوْ كَلامًا هَذا مَعْناهُ.

وَلَيْسَتْ «حَسِّ» بِفِعْلٍ وَلا بِاسْمٍ[٣]؛ لأنّها لا موضعَ لها من الإعْرابِ، وَلَيْسَتْ بِمَنْزِلةِ صَهْ، ومَهْ، وَرُوَيْد؛ لأن تلكَ أسماء سُمِّي الفعل بها، وَإِنّما حَسِّ صَوْتٌ كالأَنِينِ الّذِي يُخْرِجُهُ المُتَأَلّمُ نحو آه، ونحو[٤] قول الغراب: غاق.

وَقَدْ ذَكَرْنا قَبْلُ فِي أُفّ وَجْهَيْنِ؛ أَحَدُهُما: أَنْ تَكُونَ مِنْ بابِ الأَصْواتِ مَبنِيّةً، كَأَنّهُ يحكي بها [صوت][٥] النّفخ، والثاني: [أن][٦] تكونَ مُعربةً مثل تُفًّا[٧] يرادُ بها الوَسَخُ.

---

(١) في (أ)، (ب)، (س): «وذكر خبرًا».

(٢) الركاب: ما تُوضَع فيه الرِّجل.

(٣) في (ف): «باسم ولا فعل».

(٤) في (ب): «أو نحو».

(٥) ليس في (ب).

(٦) ليس في (ب).

(٧) في (ب)، (س): «نتا»، وفي (أ)، (ح)، (ص)، (ف): «تبًّا». والمثبت عن (ج)، والتفّ: وَسَخ الظفر.

وَقَوْلُهُ: «السُّودُ الثِّطاطُ» جَمْعُ ثَطٍّ، وَهُوَ الَّذِي لا لِحْيَةَ لَهُ. قالَ الشّاعِرُ[١]:

[من الرجز]

كَهامةِ الشَّــيْخِ اليَمانِي الثَّطِّ

وَنَحْوٌ مِنْهُ: السِّناط[٢]، وَمِن المُحَدِّثِينَ مَنْ يَرْوِيهِ: الشِّطاط[٣]، وَأَحْسَبُهُ تَصْحِيفًا. [ويُروى: النطانط، وهو[٤] الطِّوال][٥].

وَقَوْلُهُ: «بشَبَكَةِ شدَخٍ»: موضع من بلاد غِفارٍ.

❋ ❋ ❋

---

(١) أبو النجم، «ديوانه» (ص: ١٤٠). والثط: الخفيف شعر اللحية والحاجبين.

(٢) السناط ـ بضم السين وكسرها ـ: الذي لا لحية له.

(٣) في (ب)، (ح): «السود الشطاط». الشطاط ـ بفتح الشين وكسرها ـ: الطول واعتدال القامة.

(٤) في (ف): «الثطانط وهم».

(٥) ليس في (س)، (ص).

أَمْرُ مَسْجِدِ الضِّرارِ عِنْدَ القُفُولِ مِنْ غَزْوةِ تَبُوكَ

[دَعْوَتُهُمُ الرَّسُولَ لِلصَّلاةِ فيهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ أَقْبَلَ رَسُولُ الله ﷺ حتّى نَزَلَ بِذِي أوان؛ بَلَدٍ بَيْنَهُ وبَيْنَ المَدِينةِ ساعةٌ مِنْ نَهارٍ، وكانَ أَصْحابُ مَسْجِدِ الضِّرارِ قَدْ كانُوا أَتَوْهُ وهُوَ يَتَجَهَّزُ إلى تَبُوكَ، فقالُوا: يا رَسُولَ الله، إنّا قَدْ بَنَيْنا مَسْجِدًا لِذِي العِلّةِ والحاجةِ واللَّيْلةِ المَطِيرةِ واللَّيْلةِ الشّاتِيةِ، وإنّا نُحِبُّ أنْ تَأْتِينا فتُصَلِّيَ لَنا فيهِ، فقالَ:

«إنِّي على جَناحِ سَفَرٍ، وحالِ شُغْلٍ - أوْ كَما قالَ ﷺ - ولَوْ قَدْ قَدِمْنا إنْ شاءَ الله لَأَتَيْناكُمْ فصَلَّيْنا لَكُمْ فيهِ».

[أَمْرُ الرَّسُولِ اثْنَيْنِ بِهَدْمِهِ]

فَلَمّا نَزَلَ بِذِي أوانَ أَتاهُ خَبَرُ المَسْجِدِ، فدَعا رَسُولُ الله ﷺ مالِكَ بنَ الدُّخْشُمِ، أخا بَنِي سالِمِ بنِ عَوْفٍ، ومَعْنَ بنَ عَدِيٍّ، أوْ أخاهُ عاصِمَ بنَ عَدِيٍّ، أخا بَنِي العَجْلانِ، فقالَ: «انْطَلِقا إلى هذا المَسْجِدِ الظّالِمِ أَهْلُهُ، فاهْدِماهُ وحَرِّقاهُ». فخَرَجا سَرِيعَيْنِ حَتّى أَتَيا بَنِي سالِمِ بنِ عَوْفٍ، وهُمْ رَهْطُ مالِكِ بنِ الدُّخْشُمِ، فقالَ مالِكٌ لِمَعْنٍ: أَنْظِرْنِي حَتّى أخرُجَ إلَيْك بنارٍ مِنْ أَهْلِي. فدَخَلَ إلى أَهْلِهِ، فأَخَذَ سَعَفًا مِنَ النَّخْلِ، فأَشْعَلَ فيهِ نارًا، ثُمَّ خَرَجا يَشْتَدّانِ حَتّى دَخَلاهُ وفيهِ أَهْلُهُ، فحَرَّقاهُ وهَدَّماهُ، وتَفَرَّقُوا عَنْهُ، ونَزَلَ فيهِمْ مِن القُرْآنِ

ما نَزَلَ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٧] إلى آخِرِ القِصّةِ.

[أَسَماءُ بُناتِهِ]

وَكانَ الَّذين بنَوه اثنَي عَشَرَ رَجُلًا: خِذامُ بنُ خالِدٍ، مِنْ بَنِي عُبَيْدِ بنِ زَيْدٍ، أحَدِ بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، ومِنْ دارِهِ أُخْرِجَ مَسْجِدُ الشِّقاقِ، وثَعْلَبَةُ ابنُ حاطِبٍ مِنْ بَنِي أُمَيّةَ بنِ زَيْدٍ، ومُعَتِّبُ بنُ قُشَيْرٍ، مِنْ بَنِي ضُبَيْعةَ بنِ زَيْدٍ، وأبو حَبِيبةَ بنِ الأزْعَرِ، مِنْ بَنِي ضُبَيْعةَ بنِ زَيْدٍ، وعَبّادُ بنُ حُنَيْفٍ، أخُو سَهْلِ بنِ حُنَيْفٍ، مِنْ بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، وجارِيةُ بنُ عامِرٍ، وابناهُ مُجَمِّعُ بنُ جارِيةَ، وزَيْدُ بنُ جارِيةَ، ونَبْتَلُ بنُ الحارِثِ، مِنْ بَنِي ضُبَيْعةَ، وبَحْزَجُ، مِنْ بَنِي ضُبَيْعةَ، وبِجادُ بنُ عُثْمانَ، مِنْ بَنِي ضُبَيْعةَ، ووَدِيعةُ بنُ ثابِتٍ، وهُوَ مِنْ بَنِي أُمَيّةَ بنِ زَيْدٍ؛ رَهْطِ أبي لُبابةَ بنِ عَبْدِ المُنْذِرِ.

[مَساجِدُ الرَّسُولِ فيما بَيْنَ المَدِينةِ إلى تَبُوكَ]

وَكانَتْ مَساجِدُ رَسُولِ الله ﷺ فيما بَيْنَ المَدِينةِ إلى تَبُوكَ مَعْلُومةً مُسَمّاةً: مَسْجِدٌ بِتَبُوكَ، ومَسْجِدٌ بِثَنِيّةِ مِدْرانَ، ومَسْجِدٌ بِذاتِ الزِّرابِ، ومَسْجِدٌ بِالأخْضَرِ، ومَسْجِدٌ بِذاتِ الخِطْمِيِّ، ومَسْجِدٌ بِألاءَ، ومَسْجِدٌ بِطَرَفِ البَتْراءِ، مِنْ ذَنبِ كُواكِبٍ، ومَسْجِدٌ بِالشِّقِّ، شِقِّ تارا، ومَسْجِدٌ بِذِي الجِيفةِ، ومَسْجِدٌ بصَدرِ حَوْضى، ومَسْجِدٌ بِالحِجْرِ، ومَسْجِدٌ بِالصَّعِيدِ، ومَسْجِدٌ بِالوادِي اليَوْم وادِي القُرى، ومَسْجِدٌ بِالرَّقْعةِ مِن الشِّقّةِ، شِقّةِ بَنِي عُذْرةَ، ومَسْجِدٌ بِذِي المَرْوةِ، ومَسْجِدٌ بِالفيفاءِ، ومَسْجِدٌ بِذِي خُشُبٍ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ المُنافِقِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدَ الضِّرار، وَذَكَرَ فِيهِمْ جارِيَةَ بنَ عامِرٍ، وَكانَ يُعْرَفُ بِحِمارِ الدّارِ، وَهُوَ جارِيَةُ بنُ عامِرِ بن مُجَمِّعِ بنِ العَطّافِ.

وَذَكَرَ فِيهِم ابنَهُ مُجَمِّعًا، وَكانَ إِذْ ذاكَ غُلامًا حَدَثًا قَدْ جَمَعَ القُرْآنَ، فَقَدَّمُوهُ إِمامًا لَهُمْ[1]، وَهُوَ لا يَعْلَمُ بِشَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطّابِ فِي أَيّامِهِ أَرادَ عَزْلَهُ عَن الإمامةِ، وَقالَ: أَلَيْسَ بِإِمامِ مَسْجِدِ الضِّرارِ، فَأَقْسَمَ لَهُ مُجَمِّعٌ أَنَّهُ ما عَلِمَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِمْ، وَما ظَنَّ إِلّا الخَيْرَ، فَصَدَّقَهُ عُمَرُ وَأَقَرَّهُ.

وَكانَتْ مَساجِدُ المَدِينةِ تِسْعةً سِوى مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كُلُّهُمْ يُصَلُّونَ بِأَذانِ بلالٍ، كَذَلِكَ قالَ بُكَيْرُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ الأَشَجّ فِيما رَوى عَنْهُ أَبُو داوُدَ فِي «مَراسِيلِهِ»[2]، والدّارَقُطْنِيّ فِي «سُنَنِهِ»[3]، فَمِنْها مَسْجِدُ راتِجٍ[4]، وَمَسْجِدُ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، وَمَسْجِدُ بَنِي عَمْرِو بنِ مَبْذُولٍ، وَمَسْجِدُ جُهَيْنَةَ وَأَسْلَمَ، وَأَحْسَبُهُ قالَ: مَسْجِدُ بَنِي سَلِمةَ، وَسائِرُها مَذْكُورٌ فِي السُّنَنِ.

وَذَكَرَ ابنُ إِسْحاقَ فِي المَساجِدِ الَّتِي فِي الطَّرِيقِ مَسْجِدًا بِذِي الخِيفةِ، كَذا وَقَعَ فِي كِتابِ أَبِي بَحْرٍ بِالخاءِ مُعْجَمةً، وَوَقَعَ بِالجِيمِ[5] فِي كِتابٍ قُرِئَ على ابن سراج[6]، وابنِ الأفليلي[7] ....

---

(١) في (ف): «إمامهم». (٢) «مراسيل أبي داود» برقم (١٥).

(٣) «سنن الدارقطني»، تكرار المساجد: (٢: ٨٥).

(٤) في «سنن الدارقطني»: «ومسجد بني راتج من بني عبد الأشهل».

(٥) انظر: «معجم البلدان»: الجيفة.

(٦) في (ف): «السراج».

(٧) هو محمد بن زكرياء الزهري، من أهل قرطبة، يكنى: أبا عبد الله، سمع من قاسم بن =

وأحمد بنِ خالد[1].

أمْرُ الثَّلاثةِ الَّذينَ خُلِّفُوا وأمْرُ المُعَذِّرِينَ في غَزْوةِ تَبُوكَ

[نَهْيُ الرَّسُولِ عَن كَلام الثَّلاثةِ المُخَلَّفينَ]

وَقَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ المَدِينةَ، وقَدْ كانَ تَخَلَّفَ عَنْهُ رَهْطٌ مِن المُنافِقِينَ، وتَخَلَّفَ أُولَئِكَ الرَّهْطُ الثَّلاثةُ مِن المُسْلِمِينَ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ ولا نِفاقٍ: كَعْبُ ابن مالِكٍ، ومُرارةُ بنُ الرَّبِيعِ، وهِلالُ بنُ أُمَيّةَ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ لِأَصْحابِهِ: «لا تُكَلِّمُنَّ أحدًا مِنْ هَؤُلاءِ الثَّلاثةِ»، وأتاهُ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ مِن المُنافِقِينَ فجَعَلُوا يَحْلِفُونَ لَهُ ويَعْتَذِرُونَ، فصَفَحَ عَنْهُمْ رَسُولُ الله ﷺ، ولَمْ يَعْذِرْهُم الله ولا رَسُولُهُ. واعْتَزَلَ المُسْلِمُونَ كَلامَ أُولَئِكَ النَّفَرِ الثَّلاثةِ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ الثّلاثةَ الّذِينَ خُلِّفُوا، وَنَهْيَ النّاسِ عَنْ كَلامِهِمْ، وَإِنّما اشْتَدّ غَضَبُهُ على مَنْ تَخَلّفَ عَنْهُ ونَزَلَ فِيهِمْ مِن الوَعِيدِ ما نَزَلَ حَتّى تابَ اللهُ على الثّلاثةِ مِنْهُمْ، وَإِنْ كانَ الجِهادُ من فروضِ الكفاية، لا مِن فروضِ الأعيان، لكنه في حقِّ الأنصارِ خاصّةً كانَ فَرْضَ عَيْنٍ، وَعَلَيْهِ بايَعُوا رسولَ الله[2] ﷺ، ألا تَراهُمْ

= أصبغ، وقاسم بن سعدان. سمع منه ابنه أبو القاسم، وأبو عمر بن عبد البر. «كتاب الصلة» لابن بشكوال: (ص: ٤٩٢).

(١) هو أبو بكر أحمد بن خالد بن الحُباب القرطبي، كان إمامًا في مذهب مالك، وفي الحديث، توفي سنة (٣٢٢هـ)، ومن مصنفاته: «قصص الأنبياء». انظر: «العبر» للذهبي: (٣: ١٩٢)، و«فهرسة ابن خير» (ص: ٢٩١).

(٢) في (ف): «النبي».

يَقُولُونَ يَوْمَ الخَنْدَقِ، وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ[١]: [من الرجز]

نَحْنُ الّذِينَ بايَعُوا مُحَمّدًا   عَلى الجهادِ ما بَقِينا أبدا

ومَنْ تَخَلّفَ مِنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ إنّما تَخَلّفَ لِأنّهُمْ خَرَجُوا لِأخْذِ العِير، وَلَمْ يَظُنُّوا أنْ سَيَكُونُ قِتالٌ، فَلذَلِكَ كانَ تَخَلُّفُهُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي هَذِهِ الغَزاةِ كَبِيرةً؛ لِأنّها كالنَّكْثِ لِبَيْعَتِهِمْ، كَذَلِكَ قالَ ابنُ بَطّالٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي هَذِهِ المَسْألَةِ، وَلا أعْرِفُ لَها وَجْهًا غَيْرَ الّذِي قالَ.

وَأمّا الثّلاثةُ فَهُمْ كَعْبُ بنُ مالِكِ بنِ أبِي كَعْبٍ، واسْمُ أبِي كَعْبٍ عَمْرُو بنُ القَيْنِ بن كعبِ بنِ سَوادِ بنِ غَنْمِ بن كَعْبِ بنِ سَلِمةَ بنِ سَعْدِ بن عَلِيّ بن أسَدِ بنِ ساردة بنِ تَزِيدَ بنِ جُشَمَ بنِ الخَزْرَجِ الأنْصارِيُّ السَّلَمِيّ، يُكَنّى: أبا عَبْدِ اللهِ، وَقِيلَ: أبا عَبْدِ الرّحْمَنِ، أُمّهُ: لَيْلى بِنْتُ زَيْدِ بنِ ثَعْلَبةَ، مِنْ بَنِي سَلِمةَ أيْضًا.

وَهِلالُ بنُ أُمَيّةَ، وَهُوَ مِنْ بَنِي واقِفٍ، وَمُرارةُ بنُ رَبِيعةَ، وَيُقالُ: ابنُ الرَّبِيعِ العُمَرِيّ الأنصارِيّ، من بني عمرو بنِ عوف.

* * *

(١) «المغازي» للواقدي: (٢: ٤٥٣).

[حَدِيثُ كَعْبٍ عَنْ تَخَلُّفِهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فذَكَرَ الزُّهْرِيُّ مُحَمَّدُ بنُ مُسْلِمِ بنِ شِهابٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ كَعْبِ بنِ مالِكٍ: أنَّ أباهُ عَبْدَ اللهِ ـ وكانَ قائِدَ أبيهِ حِينَ أُصِيبَ بَصَرُهُ ـ قالَ: سَمِعْتُ أبي كَعْبَ بنَ مالِكٍ يُحَدِّثُ حَدِيثَهُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ في غَزْوةِ تَبُوكَ، وحَدِيثَ صاحِبَيْهِ، قالَ: ما تَخَلَّفْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ في غَزْوةٍ غَزاها قَطُّ، غَيْرَ أنِّي كُنْتُ قَدْ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ في غَزْوةِ بَدْرٍ، وكانَتْ غَزْوةً لَمْ يُعاتِب اللهُ ولا رَسُولُهُ أحَدًا تَخَلَّفَ عَنْها، وذلك أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ إنَّما خَرَجَ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتّى جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُ وبَيْنَ عَدُوِّهِ على غَيْرِ مِيعادٍ، ولَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ العَقَبَةَ، و حِينَ تَواثَقْنا على الإسْلامِ، وما أُحِبُّ أنَّ لِي بِها مَشْهَدَ بَدْرٍ، وإنْ كانَتْ غَزْوةُ بَدْرٍ هِيَ أذْكَرَ في النّاسِ مِنْها.

قالَ: كانَ مِنْ خَبَرِي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ في غَزْوةِ تَبُوكَ أنِّي لَمْ أكُنْ قَطُّ أقْوى ولا أيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ في تِلْكَ الغَزْوة، و واللهِ ما اجْتَمَعَتْ لِي راحِلَتانِ قَطُّ حَتّى اجْتَمَعَتا في تِلْكَ الغَزْوةِ، وكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَلَّما يُرِيدُ غَزْوةً يَغْزُوها إلّا ورّى بِغَيْرِها، حَتّى كانَتْ تِلْكَ الغَزْوةُ، فغَزاها رَسُولُ اللهِ ﷺ في حَرٍّ شَدِيدٍ، واسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا، واسْتَقْبَلَ غَزْوَ عَدُوٍّ كَثِيرٍ؛ فجَلّى لِلنّاسِ أمْرَهُمْ لِيَتَأهَّبُوا لِذلك أُهْبَتَهُ وأخْبَرَهُمْ خَبَرَهُ بِوَجْهِهِ الَّذي يُرِيدُ، والمُسْلِمُونَ مِنْ تَبِعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَثِيرٌ، لا يَجْمَعُهُمْ كِتابٌ حافِظٌ. يَعْنِي بِذلك الدِّيوانَ، يَقُولُ: لا يَجْمَعُهُمْ دِيوانٌ مَكْتُوبٌ.

قالَ كَعْبٌ: فقَلَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أنْ يَتغَيَّبَ إلّا ظَنَّ أنَّهُ سَيَخْفى لَهُ ذلك، ما لَمْ يَنْزِلْ فيهِ وحْيٌ مِنَ الله، وغَزا رَسُولُ الله ﷺ تِلْكَ الغَزْوَةَ حِينَ طابَتِ الثِّمارُ وأُحِبَّت الظِّلالُ، فالنّاسُ إلَيْها صُعْرٌ، فتَجَهَّزَ رَسُولُ الله ﷺ، وتَجَهَّزَ المُسْلِمُونَ مَعَهُ، وجَعَلْتُ أغْدُو لِأتَجَهَّزَ مَعَهُمْ، فأرْجِعُ ولَمْ أقْضِ حاجةً، فأقُولُ في نَفْسِي: أنا قادِرٌ على ذلك إذا أرَدْتُ، فلَمْ يَزَلْ ذلك يَتَمادى بِي حَتّى شَمَّرَ النّاسُ بِالجِدِّ، فأصْبَحَ رَسُولُ الله ﷺ غادِيًا، والمُسْلِمُونَ مَعَهُ، ولَمْ أقْضِ مِنْ جَهازِي شَيْئًا، فقُلْتُ: أتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أوْ يَوْمَيْنِ، ثُمَّ ألْحَقُ بِهِمْ، فغَدَوْتُ بَعْدَ أنْ فصَلُوا لِأتَجَهَّزَ، فرَجَعْتُ ولَمْ أقْضِ شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ فرَجَعْتُ ولَمْ أقْضِ شَيْئًا، فلَمْ يَزَلْ ذلك يَتَمادى بِي حَتّى أسْرَعُوا، وتَفَرَّطَ الغَزْوُ، فهَمَمْتُ أنْ أرْتَحِلَ فأُدْرِكَهُمْ، ولَيْتَنِي فعَلْتُ، فلَمْ أفْعَلْ، وجَعَلْتُ إذا خَرَجْتُ في النّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ الله ﷺ فطُفْتُ فيهِمْ يُحْزِنُنِي أنِّي لا أَرى إلّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ في النِّفاقِ، أوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ الله مِن الضُّعَفاءِ.

ولَمْ يَذْكُرنِي رَسُولُ الله ﷺ حَتّى بَلَغَ تَبُوكَ، فقالَ وهُوَ جالِسٌ في القَوْمِ بِتَبُوكَ: «ما فعَلَ كَعْبُ بنُ مالِكٍ؟» فقالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمةَ: يا رَسُولَ الله، حَبَسَهُ بُرْداهُ، والنَّظَرُ في عِطْفيهِ، فقالَ لَهُ مُعاذُ بنُ جَبَلٍ: بِئْسَ ما قُلْتَ، والله يا رَسُولَ الله ما عَلِمْنا مِنْهُ إلّا خَيْرًا. فسَكَتَ رَسُولُ الله ﷺ.

فَلَمّا بَلَغَنِي أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ قافِلًا مِنْ تَبُوكَ، حَضَرَنِي بَثِّي، فجَعَلْتُ أتَذَكَّرُ الكَذِب وأقُول: بِماذا أخْرُجُ مِنْ سَخْطَةِ رَسُولِ الله ﷺ غَدًا وأسْتَعِينُ على ذلك كُلَّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أهْلِي، فلَمّا قِيلَ: إنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ أظَلَّ قادِمًا زاحَ عَنِّي الباطِلُ، وعَرَفْتُ أنِّي لا أنْجُو مِنْهُ إلّا بِالصِّدْقِ، فأجْمَعْتُ

أنْ أصْدُقَهُ، وصَبَّحَ رَسُولُ الله ﷺ المَدِينَةَ، وكانَ إذا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالمَسْجِدِ، فرَكَعَ فيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنّاسِ، فلَمّا فعَلَ ذلك جاءَهُ المُخَلَّفُونَ، فجَعَلُوا يَحْلِفُونَ لَهُ ويَعْتَذِرُونَ، وكانُوا بِضْعَةً وثَمانِينَ رَجُلًا، فيَقْبَلُ مِنْهُمْ رَسُولُ الله ﷺ عَلانِيَتَهُمْ وأيْمانَهُمْ، ويَسْتَغْفِرُ لَهُمْ، ويَكِلُ سَرائِرَهُمْ إلى الله تَعالى، حَتّى جِئْتُ فسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فتَبَسَّمَ تَبَسُّمَ المُغْضَبِ، ثُمَّ قالَ لِي: «تَعالَهْ»، فجِئْتُ أمْشِي حَتّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فقالَ لِي: «ما خَلَّفَكَ؟ ألَمْ تَكُنِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟» قالَ: قُلْتُ: إنِّي يا رَسُولَ الله واللهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أهْلِ الدُّنْيا، لَرَأَيْتُ أنِّي سَأخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، ولَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، ولَكِنْ واللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ اليَوْمَ حَدِيثًا كَذِبًا لَتَرْضَيَنَّ عَنِّي، ولَيُوشِكَنَّ اللهُ أنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، ولَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثًا صِدْقًا تَجِدُ عَلَيَّ فيهِ، إنِّي لَأرْجُو عُقْبايَ مِن الله فيهِ، ولا واللهِ ما كانَ لِي عُذْرٌ، واللهِ ما كُنْتُ قَطُّ أقْوى ولا أيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ. فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أمّا هذا فقَدْ صَدَقْتَ فيهِ، فقُمْ حَتّى يَقْضِيَ اللهُ فيكَ». فقُمْتُ، وثارَ مَعِي رِجالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ، فاتَّبَعُونِي فقالُوا لِي: واللهِ ما عَلِمْناكَ كُنْتَ أذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هذا، ولَقَدْ عَجَزْتَ ألّا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إلى رَسُولِ الله ﷺ بِما اعْتَذَرَ بِهِ إلَيْهِ المُخَلَّفُونَ، قَدْ كانَ كافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفارُ رَسُولِ الله ﷺ لَكَ. فو اللهِ ما زالُوا بِي حَتّى أرَدْتُ أنْ أرْجِعَ إلى رَسُولِ الله ﷺ فأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هذا أحَدٌ غَيْرِي؟ قالُوا: نَعَمْ، رَجُلانِ قالا مِثْلَ مَقالَتِكَ، وقِيلَ لَهُما مِثْلُ ما قِيلَ لَكَ، قُلْتُ: مَنْ هُما؟ قالُوا: مُرارَةُ ابنُ الرَّبِيعِ العَمْرِيُّ، مِنْ بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، وهِلالُ بنُ أبِي أُمَيَّةَ الواقِفِيُّ، فذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صالِحَيْنِ، فيهِما أُسْوَةٌ، فصَمَتُّ حِينَ ذَكَرُوهُما لِي.

ونَهى رَسُولُ الله ﷺ عَنْ كَلامِنا أيُّها الثَّلاثةُ، مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فاجْتَنَبَنا النّاسُ، وتَغَيَّرُوا لَنا، حَتّى تَنَكَّرَتْ لِي نَفْسِي والأرْضُ، فما هِيَ بِالأرْضِ الَّتِي كُنْتُ أعْرِفُ، فلَبِثْنا على ذلك خَمْسِينَ لَيْلَةً، فأمّا صاحِباي فاسْتَكانا وقَعَدا في بُيُوتِهِما، وأمّا أنا فكُنْتُ أشَبَّ القَوْمِ وأجْلَدَهُمْ، فكُنْتُ أخْرُجُ وأشْهَدُ الصَّلَواتِ مَعَ المُسْلِمِينَ، وأطُوفُ بِالأسْواقِ، ولا يُكَلِّمُنِي أحَدٌ، وآتِي رَسُولَ الله ﷺ فأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وهُوَ في مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلاةِ، فأقُولُ في نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلامِ عَلَيَّ أمْ لا؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ فأُسارِقُهُ النَّظَرَ، فإذا أقْبَلْتُ على صَلاتِي نَظَرَ إلَيَّ، وإذا التَفَتُّ نَحْوَهُ أعْرَضَ عَنِّي.

حَتّى إذا طالَ ذلك عَلَيَّ مِنْ جَفْوةِ المُسْلِمِينَ، مَشَيْتُ حَتّى تَسَوَّرْتُ جِدارَ حائِطِ أبِي قَتادةَ، وهُوَ ابنُ عَمِّي، وأحَبُّ النّاسِ إلَيَّ، فسلّمت عَلَيْهِ، فو الله ما رَدَّ عَلَيَّ السَّلامَ، فقُلْتُ: يا أبا قَتادةَ، أنْشُدُكَ بالله، هَلْ تَعْلَمُ أنِّي أُحِبُّ الله ورَسُولَهُ؟ فَسَكَتَ، فعُدْتُ فناشَدْتُهُ، فسَكَتَ عَنِّي، فعُدْتُ فناشَدْتُهُ، فسَكَتَ عَنِّي، فعُدْتُ فناشَدْتُهُ، فقالَ: الله ورَسُولُهُ أعْلَمُ، ففاضَتْ عَيْناي، ووَثَبْتُ فتَسَوَّرْتُ الحائِطَ، ثُمَّ غَدَوْتُ إلى السُّوقِ، فبَيْنا أنا أمْشِي بِالسُّوقِ، إذا نَبَطِيٌّ يَسْألُ عَنِّي مِنْ نَبَطِ الشّامِ، مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعامِ يَبِيعُهُ بِالمَدِينةِ، يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ على كَعْبِ بنِ مالِكٍ؟ قالَ: فجَعَلَ النّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إلَيَّ، حَتّى جاءَنِي، فدَفَعَ إلَيَّ كِتابًا مِنْ مَلِكِ غَسّانَ، وكَتَبَ كِتابًا في سَرَقةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فإذا فيهِ: «أمّا بَعْدُ، فإنَّهُ قَدْ بَلَغَنا أنَّ صاحِبَكَ قَدْ جَفاكَ، ولَمْ يَجْعَلْكَ الله بِدارِ هَوانٍ ولا مَضْيَعةٍ، فالحَقْ بِنا نُواسِكَ».

قالَ: قُلْتُ حِينَ قَرَأْتُها: وهذا مِنَ البَلاءِ أيْضًا، قَدْ بَلَغَ بِي ما وقَعْتُ فيهِ أنْ طَمِعَ فِيَّ رَجُلٌ مِنْ أهْلِ الشِّرْكِ. قالَ: فعَمَدْتُ بِها إلى تَنُّورٍ فسَجَرْتُهُ بِها.

فأقَمْنا على ذلك حَتّى إذا مَضَتْ أرْبَعُونَ لَيْلَةً مِن الخَمْسِينَ إذا رَسُولُ رَسُولِ الله يَأْتِينِي، فقالَ: إنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَأْمُرُكَ أنْ تَعْتَزِلَ امْرَأتَكَ، قالَ: قُلْتُ: أُطَلِّقُها أمْ ماذا؟ قالَ: لا، بَلِ اعْتَزِلْها ولا تَقْرَبْها، وأرْسَلَ إلى صاحِبَيَّ بِمِثْلِ ذلك، فقُلْتُ لِامْرَأتِي: الحَقِي بِأهْلِكِ فكُونِي عِنْدَهُمْ حَتّى يَقْضِيَ الله في هذا الأمْرِ ما هُوَ قاضٍ.

قالَ: وجاءَتِ امْرَأةُ هِلالِ بنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ الله ﷺ، فقالَتْ: يا رَسُولَ الله، إنَّ هِلالَ بنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ضائِعٌ لا خادِمَ لَهُ، أفَتَكْرَهُ أنْ أخْدُمَهُ؟ قالَ: «لا، ولَكِنْ لا يَقْرَبَنَّكِ»، قالَتْ: والله يا رَسُولَ الله ما بِهِ مِنْ حَرَكَةٍ إلَيَّ، والله ما زالَ يَبْكِي مُنْذُ كانَ مِنْ أمْرِهِ ما كانَ إلى يَوْمِهِ هذا، ولَقَدْ تَخَوَّفْتُ على بَصَرِهِ.

قالَ: فقالَ لِي بَعْضُ أهْلِي: لَوِ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ الله لِامْرَأتِكَ، فقَدْ أذِنَ لِامْرَأةِ هِلالِ بنِ أُمَيَّةَ أنْ تَخْدُمَهُ، قالَ: فقُلْتُ: والله لا أسْتَأْذِنُهُ فيها، ما أدْرِي ما يَقُولُ رَسُولُ الله ﷺ لِي في ذلك إذا اسْتَأْذَنْتُهُ فيها، وأنا رَجُلٌ شابٌّ.

قالَ: فلَبِثْنا بَعْدَ ذلك عَشْرَ لَيالٍ، فكَمُلَ لَنا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينِ نَهْيِ رَسُولِ الله ﷺ المُسْلِمِينَ عَنْ كَلامِنا، ثُمَّ صَلَّيْتُ الصُّبْحَ، صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، على ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنا، على الحالِ الَّتِي ذَكَرَ الله مِنّا، قَدْ ضاقَتْ عَلَيْنا الأرْضُ بِما رَحُبَتْ، وضاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وقَدْ كُنْتُ ابْتَنَيْتُ خَيْمَةً في ظَهْرِ سَلْعٍ فكُنْتُ أكُونُ فيها، إذْ سَمِعْتُ صَوْتَ صارِخٍ أوْفى على ظَهْرِ سَلْعٍ يَقُولُ بِأعلى صَوْتِهِ: يا كَعْبَ بنَ مالِكٍ، أبْشِرْ، قالَ: فخَرَرْتُ ساجِدًا، وعَرَفْتُ أنْ قَدْ جاءَ الفَرَجُ.

فَصْلٌ

وَذَكَرَ قَوْلَ كَعْبٍ: «زاحَ عَنِّي الباطِلُ»، يُقال: زاحَ وانْزاحَ: إذا ذهب، والمصدرُ: زيوحًا وَزَيَحانًا، إحْداهُما عَن الأصْمَعِيّ، والأُخْرى عَن الكِسائِيّ.

[تَوْبةُ الله عَلَيْهِمْ]

قالَ: وآذَنَ رَسُولُ الله ﷺ النّاسَ بِتَوْبةِ الله عَلَيْنا حِينَ صَلّى الفَجْرَ، فذَهَبَ النّاسُ يُبَشِّرُونَنا، وذَهَبَ نَحْوَ صاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، ورَكَضَ رَجُلٌ إلَيَّ فرَسًا، وسَعى ساعٍ مِنْ أسْلَمَ حَتّى أوْفى على الجَبَلِ، فكانَ الصَّوْتُ أسْرَعَ مِن الفَرَسِ، فلَمّا جاءَنِي الَّذي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ ثَوْبَيَّ فكَسَوْتُهما إيّاهُ بِشارةً، والله ما أمْلِكُ يَوْمئِذٍ غَيْرَهُما، واسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فلَبِسْتُهما، ثُمَّ انْطَلَقْتُ أتَيَمَّمُ رَسُولَ الله ﷺ، وتَلَقّانِي النّاسُ يُبَشِّرُونَنِي بِالتَّوْبةِ، يَقُولُونَ: لِيَهْنِكَ تَوْبةُ الله عَلَيْكَ، حَتّى دَخَلْتُ المَسْجِدَ، ورَسُولُ الله ﷺ جالِسٌ حَوْلَهُ النّاسُ، فقامَ إلَيَّ طَلْحةُ بنُ عُبَيْدِ الله فحيّاني وهنّأني، ووالله ما قامَ إلَيَّ رَجُلٌ مِن المُهاجِرِينَ غَيْرُهُ. قالَ: فكانَ كَعْبُ بنُ مالِكٍ لا يَنْساها لِطَلْحةَ.

قالَ كَعْبٌ: فلَمّا سَلَّمْتُ على رَسُولِ الله ﷺ قالَ لِي ووَجْهُهُ يَبْرُقُ مِن السُّرُورِ: «أبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ ولَدَتْكَ أُمُّكَ»، قالَ: قُلْتُ: أمِنْ عِنْدِكَ يا رَسُولَ اللهِ أمْ مِنْ عِنْدِ الله؟ قالَ: «بَلْ مِنْ عِنْدِ الله». قالَ: وكانَ رَسُولُ الله ﷺ إذا اسْتَبْشَرَ كَأنَّ وجْهَهُ قِطْعةُ قَمَرٍ. قالَ: وكُنّا نَعْرِفُ ذلك مِنْهُ.

قالَ: فلَمّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يا رَسُولَ الله، إنَّ مِنْ تَوْبَتِي إلى الله عَزَّ وجَلَّ أنْ أنْخَلِعَ مِنْ مالِي صَدَقةً إلى الله وإلى رَسُولِهِ، قالَ رَسُولُ الله ﷺ:

«أمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مالِكَ، فهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قالَ: قُلْتُ: إنِّي مُمْسِكٌ سَهْمِي الَّذي بِخَيْبَرَ، وقُلْتُ: يا رَسُولَ الله، إنَّ الله قَدْ نَجّاني بِالصِّدْقِ، وإنَّ مِنْ تَوْبَتِي إلى الله ألّا أُحَدِّثَ إلّا صِدْقًا ما حَيِيتُ، والله ما أعْلَمُ أحَدًا مِن النّاسِ أبْلاهُ الله في صِدْقِ الحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ لِرَسُولِ الله ﷺ ذلك أفْضَلَ مِمّا أبْلاني الله، والله ما تَعَمَّدْتُ مِنْ كَذْبَةٍ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذلك لِرَسُولِ الله ﷺ إلى يَوْمِي هذا، وإنِّي لَأرْجُو أنْ يَحْفَظَنِي الله فيما بَقِيَ. وأنْزَلَ الله تَعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۞ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ﴾ إلى قَوْلِهِ: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٧، ١١٨].

قالَ كَعْب: فوالله ما أنْعَمَ الله عَلَيَّ نِعْمَةً قَطُّ بَعْدَ أنْ هَداني لِلْإسْلامِ كانَتْ أعْظَمَ في نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رَسُولَ الله ﷺ يَوْمئِذٍ ألّا أكُونَ كَذَبْتُهُ، فأهْلِك كَما هَلَكَ الَّذينَ كَذَبُوا، فإنَّ الله تَبارَكَ وتَعالى قالَ في الَّذينَ كَذَبُوهُ حِينَ أنْزَلَ الوَحْيَ شَرَّ ما قالَ لِأحَدٍ؛ قالَ: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۞ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٥، ٩٦].

قالَ: وكُنّا خُلِّفْنا أيُّها الثَّلاثةُ عَنْ أمْرِ هَؤُلاءِ الَّذينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ الله ﷺ، حِينَ حَلَفُوا لَهُ فعَذَرَهُمْ، واسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وأرْجَأَ رَسُولُ الله ﷺ أمْرَنا حَتّى قَضى الله فيهِ ما قَضى، فبِذلك قالَ الله تَعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ [التوبة: ١١٨].

وَلَيْسَ الَّذي ذَكَرَ اللهُ مِنْ تَخْلِيفِنا لِتَخَلُّفِنا عَنِ الغَزْوةِ، ولَكِنْ لِتَخْلِيفِهِ إيّانا، وَإرْجائِهِ أمْرَنا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ واعْتَذَرَ إلَيْهِ فقَبِلَ مِنْهُ.

وَقَوْلُهُ: «فَقامَ إلَيَّ طَلْحةُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ يُهَنِّئُني، فَكانَ كَعْبٌ يَراها لَهُ». فِيهِ: جَوازُ السُّرُورِ بِالقِيامِ إلى الرَّجُلِ كَما سُرَّ كَعْبٌ بِقِيامِ طَلْحةَ إلَيْهِ، وَقَدْ قالَ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي خَبَرِ سَعْدِ بنِ مُعاذٍ: «قُومُوا إلى سَيِّدِكُمْ»[١]، وَقامَ هُوَ ﷺ إلى قَوْمٍ، مِنْهُمْ: صَفْوانُ بنُ أُمَيّةَ حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ، وَإلى عَدِيِّ بنِ حاتِمٍ، وَإلى زيدِ بنِ حارِثَةَ حينَ قَدِمَ عليه من مَكّةَ وَغَيْرِهِمْ، وَلَيْسَ هَذا بِمُعارِضٍ لِحَدِيثِ مُعاوِيةَ عَنْهُ ﷺ أنّهُ قالَ: «مَنْ سَرّهُ أنْ يَمْثُلَ لَهُ الرِّجالُ قِيامًا[٢] فليتبوّأ مَقْعَدَهُ مِن النّارِ»[٣]. وَيُرْوى: «يَسْتَجِمّ لَهُ الرّجالُ»[٤]؛ لِأَنّ هَذا الوَعِيدَ إنّما تَوَجّهَ لِلْمُتَكَبّرِينَ، وَإلى مَنْ يَغْضَبُ، أوْ يَسْخَطُ[٥] ألّا يُقامَ لَهُ[٦]، وقد قال بعضُ السَّلف: يُقامُ إلى الوالدِ بِرًّا بِهِ، وَإلى الوَلَدِ سُرُورًا بِهِ، وَصَدَقَ هَذا القائِلُ؛ فَإنَّ فاطِمةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها كانَتْ تَقُومُ إلى أبِيها ﷺ بِرًّا بِهِ، وَكانَ هُوَ عليه السلام يَقُومُ إلَيْها سُرُورًا بِها رَضِيَ اللهُ عَنْها، وَكَذَلِك كُلُّ قِيامٍ أثْمَرَهُ الحُبُّ فِي اللهِ، والسُّرُورُ لأخِيكَ

---

(١) «فتح الباري»، كتاب الاستئذان: (١١ : ٤٩)، و«سنن أبي داود»، كتاب الأدب: (٤ : ٣٥٥).

(٢) نص (ص): «... ويروى: يستجم له الرجال قيامًا فليتبوأ....».

(٣) «عارضة الأحوذي»، أبواب الأدب: (١٠ : ٢١٣ - ٢١٤).

(٤) في «النهاية»: أي: يجتمعون له في القيام عنده، ويحبسون أنفسهم عليه. قال: ويروى بالخاء المعجمة، يريد أن تتغير روائحهم من طول قيامهم عنده، يقال: خمَّ الشيء وأخمَّ: إذا تغيرت رائحته.

(٥) في (ب): «ويسخط».

(٦) في (ف): «إليه».

بِنِعْمةِ اللهِ، [والبِرُّ][(١)] بِمَنْ يجبُ بِرُّهُ فِي اللهِ تَبارَكَ وَتَعالى، فإنه خارجٌ عن حديثِ النهيِ، والله أعلم.

أَمْرُ وفْدِ ثَقِيفٍ وإسْلامُها في شَهْرِ رَمَضانَ سَنةَ تِسْعٍ

[إسْلامُ عُرْوةَ بنِ مَسْعُودٍ ورُجُوعُهُ إلى قَوْمِهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ المَدِينةَ مِنْ تَبُوكَ في رَمَضانَ، وقَدِمَ عَلَيْهِ في ذلك الشَّهْرِ وفْدُ ثَقِيفٍ.

وَكانَ مِنْ حَدِيثِهِمْ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَـمّا انْصَرَفَ عَنْهُمُ اتَّبَعَ أَثَرَهُ عُرْوةُ ابنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفي، حَتّى أَدْرَكَهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إلى المَدِينةِ، فأَسْلَمَ وسَأَلَهُ أَنْ يَرْجِعَ إلى قَوْمِهِ بِالإسْلامِ، فقالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ كَما يَتَحَدَّثُ قَوْمُهُ: «إنَّهُمْ قاتِلُوكَ»، وعَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ أَنَّ فيهِمْ نَخْوةَ الامْتِناعِ الَّذي كانَ مِنْهُمْ، فقالَ عُرْوةُ: يا رَسُولَ الله، أنا أَحَبُّ إلَيْهِمْ مِنْ أَبْكارِهِمْ. قالَ ابنُ هِشام: ويُقال: من أَبْصارِهِمْ.

[دُعاؤُهُ لِلْإسْلامِ ومَقْتَلُهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ فيهِمْ كَذلك مُحَبَّبًا مُطاعًا، فخَرَجَ يَدْعُو قَوْمَهُ إلى الإسْلامِ رَجاءَ أَلّا يُخالِفُوهُ؛ لِمَنْزِلَتِهِ فيهِمْ، فلَمّا أَشْرَفَ لَهُمْ على عِلِّيّةٍ لَهُ وقَدْ دَعاهُمْ إلى الإسْلامِ، وأَظْهَرَ لَهُمْ دِينَهُ، رَمَوْهُ بِالنَّبْلِ مِنْ كُلِّ وجْهٍ، فأَصابَهُ سَهْمٌ فقَتَلَهُ، فتَزْعُمُ بَنُو مالِكٍ أَنَّهُ قَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقالُ لَهُ: أَوْسُ بنُ عَوْفٍ،

---

(١) ليس في (ب).

أَخُو بَنِي سالِمِ بنِ مالِكٍ، وتَزْعُمُ الأَحْلافُ أَنَّهُ قَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ، مِنْ بَنِي عَتّابِ بنِ مالِكٍ، يُقالُ لَهُ: وَهْبُ بنُ جابِرٍ، فقِيلَ لِعُرْوةَ: ما تَرى في دَمِكَ؟ قالَ: كَرامةٌ أَكْرَمَنِي اللهُ بِها، وشَهادةٌ ساقَها اللهُ إِلَيَّ، فلَيْسَ فِيَّ إلّا ما في الشُّهَداءِ الَّذينَ قُتِلُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَرْتَحِلَ عَنْكُمْ، فادْفِنُونِي مَعَهُمْ، فدَفَنُوهُ مَعَهُمْ، فزَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ فيهِ: «إِنَّ مَثَلَهُ في قَوْمِهِ لَكَمَثَلِ صاحِبِ ياسِينَ في قَوْمِهِ».

خبرُ إسْلامِ ثَقِيفٍ

فِيهِ قَوْلُ النّبيِّ ﷺ فِي عُرْوةَ بنِ مَسْعُودٍ حِينَ قُتِلَ: «مَثَلُهُ كَمَثَلِ صاحِبِ ياسِينَ[1] فِي قَوْمِهِ». يَحْتَمِلُ قَوْلُهُ عليه السلام: «مَثَلُهُ كَمَثَلِ صاحِبِ ياسِينَ» أَنْ يُرِيدَ بِهِ المَذْكُورَ فِي سُورةِ «يسٓ»، الّذِي قالَ لِقَوْمِهِ: ﴿ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٢٠] فَقَتَلَهُ قَوْمُهُ، واسْمُهُ حَبِيبُ بنُ مُرَيٍّ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ صاحِبَ إِلْياسَ، وَهُوَ اليَسَعُ؛ فَإِنّ إِلْياسَ يُقالُ فِي اسْمِهِ: ياسِينُ أَيْضًا، وَقالَ الطّبَرِيُّ: هُوَ إِلْياسُ بنُ ياسِينَ، وَفِيهِ قالَ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾[2][3] [الصافات: ١٣٠]، واللهُ أَعْلَمُ[4]. وَقَدْ بَيَّنّا فِي «التّعْرِيف والإعْلام» مَعْنى إِلْياسَ وَإِلْياسِينَ وَآلِ ياسِينَ[5] بَيانًا شافِيًا،......................................

(١) في (ب): «يس».

(٢) في (أ)، (ب)، (س)، (ص): «آل ياسين». وهي قراءة نافع وابن عامر كما في «الإقناع» لابن الباذش: (٢: ٧٤٧).

(٣) كذا ورد في «التعريف والإعلام» للسهيلي عند هذه الآية.

(٤) «تفسير الطبري» (طبعة دار السلام): (٨: ٦٩٣٣-٦٩٣٤).

(٥) في (أ)، (ب)، (س)، (ص): «آل ياسين». وهي قراءة نافع وابن عامر كما في «الإقناع» =

وَأَوْضَحْنا خَطَأَ[١] مَنْ قالَ: إنّ إلْياسِين جَمْعٌ كالأشْعَرِينَ، وَضَعْفَ قَوْلِ مَنْ قالَ: إنّ ياسِينَ هُوَ مُحَمّدٌ ﷺ ، فَلْيُنْظَرْ هُنالِكَ[٢].

وَكانَتْ تَحْتَ عُرْوةَ مَيْمُونةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيانَ، فَوَلَدَتْ لَهُ أبا مُرّةَ بنَ عُرْوة، وَبِنْتُ أَبِي مُرّةَ هِيَ: لَيْلى امْرَأةُ الحُسَيْنِ بنِ عَلِيّ، وَلَدَتْ لِلْحُسَيْنِ عَلِيًّا الأكْبَرَ، قُتِلَ مَعَهُ بِالطَّفِّ، وَأمّا عَلِيٌّ الأصْغَرُ فَلَمْ يُقْتَلْ مَعَهُ، وَأُمّهُ: أُمّ وَلَدٍ، واسْمُها سُلافةُ، وَهِيَ بِنْتُ كِسْرى يَزْدَجِرْدَ، وَأُخْتُها الغَزالُ هِيَ أُمّ أَبِي بَكْرِ بنِ عَبْدِ الرّحْمَنِ بنِ الحارِثِ بن هشام[٣].

* * *

= لابن الباذش: (٢: ٧٤٧).

(١) في (ف): «خطأ قول».

(٢) انظر: «التعريف والإعلام» عند آية الصافات: (ص: ١٢٩).

(٣) أبو بكر بن عبد الرحمن أحد الفقهاء السبعة بالمدينة النبوية، وهو من سادات قريش، وُلد في خلافة عمر رضي الله عنه، وتوفي في سنة (٩٤هـ) بالمدينة. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٤: ٤١٦).

[ائْتِمارُ ثَقِيفٍ على إرْسالِ نَفَرٍ لِلرَّسُولِ]

ثُمَّ أقامَتْ ثَقِيفٌ بَعْدَ قَتْلِ عُرْوةَ أشْهُرًا، ثُمَّ إنَّهُمُ ائْتَمَرُوا بَيْنَهُمْ، ورَأَوْا أنَّهُ لا طاقةَ لَهُمْ بِحَرْبِ مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ العَرَبِ، وقَدْ بايَعُوا وأسْلَمُوا.

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بنُ عُتْبةَ بنِ المُغِيرةِ بنِ الأخْنَسِ: أنَّ عَمْرَو بنَ أُمَيّةَ، أخا بَنِي عِلاجٍ، كانَ مُهاجرًا لِعَبْدِ يالِيلَ بنِ عَمْرٍو الّذي بَينهما سيئ، وكانَ عَمْرُو بنُ أُمَيّةَ مِنْ أدْهى العَرَبِ، فمَشى إلى عبدِ يالِيلَ بنِ عَمْرٍو، حَتّى دَخَلَ دارَهُ، ثُمَّ أرْسَلَ إلَيْهِ أنَّ عَمْرَو بنَ أُمَيّةَ يَقُولُ لَكَ: اخْرُجْ إلَيَّ، قالَ: فقالَ عبدُ يالِيلَ لِلرَّسُولِ: وَيْلَكَ، أعَمْرٌو أرْسَلَكَ إلَيَّ؟ قالَ: نَعَمْ، وها هُوَ ذا واقِفًا في دارِكَ، فقالَ: إنَّ هذا الشَّيْءَ ما كُنْتُ أظُنُّهُ، لَعَمْرٌو كانَ أمْنَعَ في نَفْسِهِ مِنْ ذلك، فخَرَجَ إلَيْهِ، فلَمّا رَآهُ رَحَّبَ بِهِ، فقالَ لَهُ عَمْرٌو: إنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِنا أمْرٌ لَيْسَتْ مَعَهُ هِجْرةٌ، إنَّهُ قَدْ كانَ مِنْ أمْرِ هذا الرَّجُلِ ما قَدْ رَأيْتَ، قَدْ أسْلَمَت العَرَبُ كُلُّها، ولَيْسَتْ لَكُمْ بِحَرْبِهِمْ طاقةٌ، فانْظُرُوا في أمْرِكُمْ. فعِنْدَ ذلك ائْتَمَرَتْ ثَقِيفٌ بَيْنَها، وقالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ:

أفَلا تَرَوْنَ أنَّهُ لا يَأْمَنُ لَكُمْ سِرْبٌ، ولا يَخْرُجُ مِنْكُمْ أحَدٌ إلّا اقْتُطِعَ، فائْتَمَرُوا بَيْنَهُمْ، وأجْمَعُوا أنْ يُرْسِلُوا إلى رَسُولِ الله ﷺ رَجُلًا، كَما أرْسَلُوا عُرْوةَ، فكَلَّمُوا عَبْدَ يالِيلَ بنَ عَمْرِو بنِ عُمَيْرٍ، وكانَ سِنّ عُرْوة بن مَسْعُودٍ، وعَرَضُوا ذلك عَلَيْهِ، فأبى أنْ يَفْعَلَ، وخَشِيَ أنْ يُصْنَعَ بِهِ إذا رَجَعَ كَما صُنِعَ بِعُرْوةَ، فقالَ: لَسْتُ فاعِلًا حَتّى تُرْسِلُوا مَعِي رِجالًا، فأجْمَعُوا أنْ يَبْعَثُوا مَعَهُ

رَجُلَيْنِ مِن الأحْلافِ، وثَلاثَةً مِنْ بَنِي مالِكٍ، فيكُونُوا سِتَّةً، فبَعَثُوا مَعَ عَبْدِ ياليلَ الحَكَمَ بنَ عَمْرِو بنِ وهْبِ بنِ مُعَتِّبٍ، وشُرَحْبِيلَ بنَ غَيْلانَ ابنِ سَلَمَةَ بنِ مُعَتِّبٍ، ومِنْ بَنِي مالِكٍ عُثْمانَ بنَ أبي العاصِ بنِ بِشْرِ بنِ عَبْدِ دُهْمانَ، أخا بَنِي يَسارٍ، وأوْسَ بنَ عَوْفٍ، أخا بَنِي سالِمِ بنِ عَوْفٍ، ونُمَيْرَ ابنَ خَرَشَةَ بنِ رَبِيعةَ، أخا بَنِي الحارِثِ، فخَرَجَ بِهِمْ عَبْدُ ياليلَ، وهُوَ نابُ القَوْمِ وصاحِبُ أمْرِهِمْ، ولَمْ يَخْرُجْ بِهِمْ إلّا خَشْيَةً مِنْ مِثْلِ ما صُنِعَ بِعُرْوَةَ ابنِ مَسْعُودٍ، لِكَيْ يَشْغَلَ كُلّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إذا رَجَعُوا إلى الطّائِفِ رَهْطَهُ.

[قُدُومُهُمُ المَدِينةَ، وسُؤالُهُمُ الرَّسُولَ أشْياءَ أباها عَلَيْهِمْ]

فَلَمّا دَنَوْا مِن المَدِينةِ، ونَزَلُوا قَناةَ، ألْفَوْا بِها المُغِيرةَ بنَ شُعْبةَ يَرْعى في نَوْبَتِهِ رِكابَ أصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وكانَتْ رِعْيَتُها نُوَبًا على أصْحابِهِ ﷺ، فلَمّا رَآهُمْ تَرَكَ الرِّكابَ عِنْدَ الثَّقَفِيينَ، وضَبَرَ يَشْتَدُّ لِيُبَشِّرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِقُدُومِهِمْ عَلَيْهِ، فلَقِيَهُ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ قَبْلَ أنْ يَدْخُلَ على رَسُولِ اللهِ ﷺ، فأخْبَرَهُ عَنْ رَكْبِ ثَقِيفٍ أنْ قَدْ قَدِمُوا يُرِيدُونَ البَيْعةَ والإسْلامَ، بِأنْ يَشْرُطَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ شُرُوطًا، ويَكْتَتِبُوا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ كِتابًا في قَوْمِهِمْ وبِلادِهِمْ وأمْوالِهِمْ، فقالَ أبو بَكْرٍ لِلْمُغِيرةِ: أقْسَمْتُ عَلَيْكَ باللهِ لا تَسْبِقْنِي إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتّى أكُونَ أنا أُحَدِّثُهُ، ففَعَلَ المُغِيرةُ، فدَخَلَ أبو بَكْرٍ على رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأخْبَرَهُ بِقُدُومِهِمْ عَلَيْهِ، ثُمَّ خَرَجَ المُغِيرةُ إلى أصْحابِهِ فرَوَّحَ الظَّهْرَ مَعَهُمْ، وعَلَّمَهُمْ كَيْفَ يُحَيُّونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فلَمْ يَفْعَلُوا إلّا بِتَحِيّةِ الجاهِلِيّةِ، ولَمّا قَدِمُوا على رَسُولِ اللهِ ﷺ ضَرَبَ عَلَيْهِمْ قُبّةً في ناحِيةِ مَسْجِدِهِ، كَما يَزْعُمُونَ، فكانَ خالِدُ بنُ سَعِيدِ بنِ العاصِ هُوَ الَّذي يَمْشِي بَيْنَهُمْ وبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتّى اكْتَتَبُوا كِتابَهُمْ، وكانَ خالِدٌ هُوَ الَّذي كَتَبَ

كِتابَهُمْ بِيَدِهِ، وكانُوا لا يَطْعَمُونَ طَعامًا يَأْتِيهِمْ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ الله ﷺ حَتّى يَأْكُلَ مِنْهُ خالِدٌ، حَتّى أَسْلَمُوا وفَرَغُوا مِنْ كِتابِهِمْ، وقَدْ كانَ فيما سَأَلُوا رَسُولَ الله ﷺ أَنْ يَدَعَ لَهُم الطاغية، وهِي اللات، لا يَهْدِمُها ثَلاثَ سِنِينَ، فأبى رَسُولُ الله ﷺ ذلك عَلَيْهِمْ، فما بَرِحُوا يَسْأَلُونَهُ سَنَةً سَنَةً، ويَأْبى عَلَيْهِمْ، حَتّى سَأَلُوا شَهْرًا واحِدًا بَعْدَ مَقْدَمِهِمْ، فأبى عَلَيْهِمْ أَنْ يَدَعَها شَيْئًا مُسَمًّى، وإنَّما يُرِيدُونَ بِذلك فيما يُظْهِرُونَ أَنْ يَتَسَلَّمُوا بِتَرْكِها مِنْ سُفَهائِهِمْ ونِسائِهِمْ وذَرارِيِّهِمْ ويَكْرَهُونَ أَنْ يُرَوِّعُوا قَوْمَهُمْ بِهَدْمِها حَتّى يَدْخُلَهُم الإسْلامُ، فأبى رَسُولُ الله ﷺ إلّا أَنْ يَبْعَثَ أبا سُفيانَ بنَ حَرْبٍ والمُغِيرةَ بنَ شُعْبَةَ فيهْدِماها، وقَدْ كانُوا سَأَلُوهُ مَعَ تَرْكِ الطّاغِيةِ أَنْ يُعْفيَهُمْ مِن الصَّلاةِ، وألا يَكْسِرُوا أَوْثانَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أمّا كَسْرُ أَوْثانِكُمْ بِأَيْدِيكُمْ فسَنُعْفيكُمْ مِنْهُ، وأمّا الصَّلاةُ، فإنَّهُ لا خَيْرَ في دِينٍ لا صَلاةَ فيهِ»، فقالُوا: يا مُحَمَّدُ، فسَنُؤْتِيكها، وإنْ كانَتْ دَناءةً.

[تَأْمِيرُ عُثْمانَ بنِ أبي العاصِ عَلَيْهِمْ]

فَلَمّا أَسْلَمُوا وكَتَبَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ كِتابَهُمْ، أَمَّرَ عَلَيْهِمْ عُثْمانَ بنَ أبي العاصِ، وكانَ مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا، وذلك أَنَّهُ كانَ أَحْرَصَهُمْ على التَّفَقُّهِ في الإسْلامِ، وتَعَلُّمِ القُرْآنِ، فقالَ أبو بَكْرٍ لِرَسُولِ الله ﷺ: يا رَسُولَ الله، إنِّي قَدْ رَأَيْتُ هذا الغُلامَ مِنْهُمْ مِنْ أَحْرَصِهِمْ على التَّفَقُّهِ في الإسْلامِ، وتَعَلُّمِ القُرْآنِ.

[بِلالٌ ووَفْدُ ثَقِيفٍ في رَمَضانَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عِيسى بنُ عَبْدِ الله بنِ عَطِيّةَ بنِ سُفيانَ بنِ

رَبيعةَ الثَّقَفي، عَنْ بَعْضِ وفْدِهِمْ. قالَ: كانَ بَلالٌ يأْتِينا حِينَ أسْلَمْنا وصُمْنا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ ما بَقِيَ مِنْ رَمَضانَ بِفِطْرِنا وسَحُورنا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ الله ﷺ، فيأتِينا بالسَّحُورِ، وإنّا لَنَقُولُ: إنّا لَنَرى الفَجْرَ قَدْ طَلَعَ، فيقُولُ: قَدْ تَرَكْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَتَسَحَّرُ، لِتَأْخِيرِ السُّحُورِ، ويأْتِينا بِفِطْرِنا، وإنّا لَنَقُولُ: ما نَرى الشَّمْسَ كُلَّها ذَهَبَتْ بَعْدُ، فيقُولُ: ما جِئْتُكُمْ حَتّى أكَلَ رَسُولُ الله ﷺ، ثُمَّ يَضَعُ يَدَهُ في الجَفْنةِ فيلْتَقِمُ مِنْها.

قالَ ابنُ هِشامٍ: بِفَطُورِنا وسَحُورِنا.

[عَهْدُ الرَّسُولِ لابنِ أبي العاصِ حِينَ أمَّرَهُ على ثَقِيفٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي سَعِيدُ بنُ أبي هِنْدٍ، عَنْ مُطَرِّفِ بنِ عَبْدِ الله ابنِ الشِّخِّيرِ، عَنْ عُثْمانَ بنِ أبي العاصِ، قالَ: كانَ مِنْ آخِرِ ما عَهِدَ إلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ بَعَثَنِي على ثَقِيفٍ أنْ قالَ: «يا عُثْمانُ، تَجاوَزْ في الصَّلاةِ، واقْدُرِ النّاسَ بِأضْعَفِهِمْ؛ فإنَّ فيهِم الكَبِيرَ، والصَّغِيرَ، والضَّعِيفَ، وذا الحاجةِ».

[هَدْمُ الطّاغِيةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا فرَغُوا مِنْ أمْرِهِمْ، وتَوَجَّهُوا إلى بِلادِهِمْ راجِعِينَ، بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ مَعهم أبا سُفيانَ بنَ حَرْبٍ والمُغِيرةَ بنَ شُعْبةَ في هَدْمِ الطّاغِيةِ، فخَرَجا مَعَ القَوْمِ، حَتّى إذا قَدِمُوا الطّائِفَ أرادَ المُغِيرةُ بنُ شُعْبةَ أنْ يُقَدِّمَ أبا سُفيانَ، فأبى ذلك أبو سُفيانَ عَلَيْهِ، وقالَ: ادْخُلْ أنْتَ على قَوْمِكَ، وأقامَ أبو سُفيانَ بِمالِهِ بِذِي الهَدْمِ، فلَمّا دَخَلَ المُغِيرةُ بنُ شُعْبةَ عَلاها يَضْرِبُها بِالمِعْوَلِ، وقامَ قَوْمُهُ دُونَهُ، بَنُو مُعَتِّبٍ، خَشْيةَ أنْ يُرْمى أوْ يُصابَ كَما أُصِيبَ عُرْوةُ، وخَرَجَ نِساءُ ثَقِيفٍ حُسَّرًا يَبْكِينَ عَلَيْها ويَقُلْنَ:

لَتُبْكَـــيَنَّ دُفّاع أَسْلَمَها الرُّضّاع
لَمْ يُحْسِنُوا المِصاع

قالَ ابنُ هِشامٍ: «لَتُبْكَيَنَّ» عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ويَقُولُ أبو سُفيانَ والمُغِيرةُ يَضْرِبُها بِالفَأْسِ: واهًا لَكَ! آهًا لَكَ! فلَمّا هَدَمَها المُغِيرةُ وأخَذَ مالَها وحُلِيَّها أرْسَلَ إلى أبي سُفيانَ وحُلِيُّها مَجْمُوعٌ، وما لَها مِنَ الذَّهَبِ والجَزْعِ.

[إسْلامُ أبي مُلَيحٍ وقارِبٍ]

وَقَدْ كانَ أبو مُلَيحِ بنُ عُرْوةَ وقارِبُ بنُ الأسْوَدِ قَدِما على رَسُولِ الله ﷺ قَبْلَ وفْدِ ثَقِيفٍ، حِينَ قُتِلَ عُرْوةُ، يُرِيدانِ فِراقَ ثَقِيفٍ، وألا يُجامِعاهُمْ على شَيْءٍ أبَدًا، فأسْلَما، فقالَ لَهُما رَسُولُ الله ﷺ: «تَوَلَّيا مَنْ شِئْتُما»، فقالا: نَتَوَلّى الله ورَسُولَهُ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وخالَكُما أبا سُفيانَ بن حَرْبٍ»، فقالا: وخالَنا أبا سُفيانَ بنَ حَرْبٍ.

[سُؤالُهما الرَّسُولَ قَضاءَ دَيْنٍ مِنْ أمْوالِ الطّاغِيةِ]

فَلَمّا أسْلَمَ أهْلُ الطّائِفِ ووَجَّهَ رَسُولُ الله ﷺ أبا سُفيانَ والمُغِيرةَ إلى هَدْمِ الطّاغِيةِ، سَألَ رَسُولَ الله ﷺ أبو مَلِيحِ بنُ عُرْوةَ أنْ يَقْضِيَ عَنْ أبيهِ عُرْوةَ دَيْنًا كانَ عَلَيْهِ مِنْ مالِ الطّاغِيةِ، فقالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «نَعَمْ»، فقالَ لَهُ قارِبُ بنُ الأسْوَدِ: «وعَنِ الأسْوَدِ يا رَسُولَ الله فاقْضِهِ»، وعُرْوةُ والأسْوَدُ أخَوانِ لِأبٍ وأُمٍّ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنَّ الأسْوَدَ ماتَ مُشْرِكًا». فقالَ قارِبٌ لِرَسُولِ الله ﷺ: يا رَسُولَ الله، لَكِنْ تَصِلُ مُسْلِمًا ذا قَرابةٍ، يَعْنِي: نَفْسَهُ،

إِنَّما الدَّيْنُ عَلَيَّ، وإنَّما أنا الَّذي أُطْلَبُ بِهِ، فأمَرَ رَسُولُ الله ﷺ أبا سُفيانَ أنْ يَقْضِيَ دَيْنَ عُرْوةَ والأسْوَدِ مِنْ مالِ الطّاغِيةِ، فلَمّا جَمَعَ المُغِيرةُ مالَها قالَ لِأَبي سُفيانَ: إنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ أمَرَكَ أنْ تَقْضِيَ عَنْ عُرْوةَ والأسْوَدِ دَيْنَهُما، فقَضى عَنْهُما.

فَصْلٌ

وذَكَرَ إسلامَ ثَقيفٍ وهدمَ طاغِيَتِهِمْ، وَهِيَ اللاتُ، وَأنّ المُغِيرةَ وَأبا سُفْيانَ هُما اللَّذانِ هَدَماها، وَذَكَرَ بَعْضُ مَنْ أَلّفَ[1] فِي السِّيَرِ أنّ المُغِيرةَ قالَ لِأبِي سُفْيانَ حِينَ هَدَمَها: ألا أُضْحِكُك مِنْ ثَقِيفٍ؟ فَقالَ: بَلى، فَأَخَذَ المِعْوَلَ وَضَرَبَ بِهِ اللّاتَ ضَرْبةً، ثُمّ صاحَ وَخَرَّ لوَجْهِهِ، فارْتَجّتِ الطّائِفُ بِالصِّياحِ سُرُورًا بِأنّ اللّاتَ قَدْ صَرَعَتِ المُغِيرةَ، وَأَقْبَلُوا[2] يَقُولُونَ: كَيْفَ رَأَيْتَ يا مُغِيرةُ؟ دُونَكَها إنِ اسْتَطَعْتَ، أَلَمْ تَعْلَمْ أنّها تُهْلِكُ مَنْ عاداها؟ وَيْحَكُمْ! ألا تَرَوْنَ ما تَصْنَعُ؟ فَقامَ المُغِيرةُ يَضْحَكُ مِنْهُمْ وَيَقُولُ لَهُمْ: يا خُبَثاءُ، واللهِ ما قَصَدْتُ إلّا الهُزْءَ بِكُمْ، ثُمّ أقْبَلَ على هَدْمِها، حَتّى اسْتَأْصَلَها، وَأَقْبَلَتْ عَجائِزُ ثَقِيفٍ تَبْكِي حَوْلَها وَتَقُولُ: «أَسْلَمَها الرُّضّاعُ، إذْ كَرِهُوا المِصاعَ»، أيْ: أَسْلَمَها اللِّئامُ حِينَ كَرِهوا القتال[3].

---

(١) في (ف): «السلف».

(٢) في (ب): «وأقبلوا إليه».

(٣) في «النهاية» لابن الأثير: «الرُّضّاع: جمع راضع، وهو اللئيم؛ لأنه للؤمه يرضع إبله أو غنمه ليلًا لئلّا يُسمع صوت حَلْبِه...». وقال في (مصع): «والمماصعة والمِصاع: المجالدة والمضاربة».

[كِتابُ الرَّسُولِ لِثَقِيفٍ]

وَكانَ كِتابُ رَسُولِ الله ﷺ الَّذي كَتَبَ لَهُمْ:

«بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ الله، إلى المُؤْمِنِينَ: إنَّ عِضاهَ وَجٍّ وصَيْدَهُ لا يُعْضَدُ، مَنْ وُجِدَ يَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ ذلك، فإنَّهُ يُجْلَدُ وتُنْزَعُ ثِيابُهُ، فإنْ تَعَدّى ذلك فإنَّهُ يُؤْخَذُ فيُبْلَغُ بِهِ إلى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ، وإنَّ هذا أَمْرُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ رَسُولِ الله، وكَتَبَ خالِدُ بنُ سَعِيدٍ بِأَمْرِ الرَّسُولِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الله، فلا يَتَعَدَّهُ أَحَدٌ فيظْلِمَ نَفْسَهُ فيما أَمَرَ بِهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله ﷺ».

فَصْلٌ

وَذَكَرَ كِتابَهُ ﷺ لِثَقِيفٍ، وَذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ كَما ذَكَرَهُ ابنُ إسْحاقَ، وَذَكَرَ فِيهِ شَهادةَ عَلِيٍّ وابنَيْهِ الحَسَنِ والحُسَيْنِ، قالَ: وَفِيهِ مِن الفِقْهِ شَهادةُ الصِّبيان، وكتابة أسمائهم قبلَ البلوغ، وإنّما تُقْبَلُ شَهادَتُهُمْ إذا أَدَّوْها بَعْدَ البُلُوغِ، وَفِيهِ مِن الفِقْهِ أَيْضًا[1] شَهادةُ الابنِ مَعَ شَهادةِ أَبيهِ فِي عَقْدٍ واحِدٍ.

وذَكَرَ فِي الكِتابِ وَجًّا، وَأَنَّهُ حَرامٌ عِضاهُهُ وَشَجَرُهُ. يَعْنِي حرامًا على غَيْرِ أَهْلِهِ، لا كَتَحْرِيمِ المَدِينةِ وَمَكَّةَ. وَوَجٌّ هِيَ أَرْضُ الطّائِفِ، وَهِيَ الّتِي جاءَ فِيها الحَدِيثُ[2]: «إنَّ آخِرَ وَطْأَةٍ وَطِئَها الرَّبُّ بوَج»[3]، وَمَعْناها عِنْدَ بَعْضِهِمْ: آخِرُ غَزْوةٍ وَوَقْعةٍ كانَتْ بِأَرْضِ العَرَبِ بِوَجٍّ؛ لِأَنّها آخِرُ غَزَواتِهِ ﷺ إلى العَرَبِ، وَقَدْ قِيلَ فِي مَعْنى الحَدِيثِ غَيْرُ هَذا، ذَكَرَهُ[4] ....

(١) في (ف): «وفيه أيضًا من الفقه». (٢) بعده في (س): «حديث باطل».

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٧٣١٤)

(٤) في (ج)، (ص): «مما ذكره»، وفي (ف): «وما ذكره».

القُتَبِيّ[١]، وَنَحْنُ نُضْرِبُ عَنْ ذِكْرِهِ؛ لِما فِيهِ مِنْ إيهامِ التَّشْبِيهِ، واللهُ المُسْتَعانُ.

وَقَدْ قِيلَ فِي وَجٍّ: هِيَ الطّائِفُ نَفْسُها، وَقِيلَ: هُوَ اسْمٌ لِوادٍ بِها، وَيَشْهَدُ لِهَذا القَوْلِ قَوْلُ أُمَيَّةَ بنِ الأسكرِ[٢]: [من الوافر]

إذا يَبْكِي الحَمامُ بِبَطْنِ وَجٍّ … علــى بَيْضاتِــهِ بَكَيا كِلابا

وَقالَ آخَرُ[٣]: [من الوافر]

أَتُهْدِي لِــي الوَعِيدَ بِبَطْنِ وَجٍّ … كَأَنّــي لا أراكَ وَلا تَرانِــي؟

وَقَدْ رأيتُ[٤] فِي نُسْخَةِ الشَّيْخ وَجًا بِتَخْفِيفِ الجِيمِ، والصَّوابُ تَشْدِيدُها كَما تَقَدَّمَ، وَقالَ أُمَيَّةُ بنُ أبي الصَّلت[٥]: [من الخفيف]

إنّ وَجًّــا وَما يَلِــي بَطْنَ وَجٍّ … دارُ قَوْمِــي بِرَبْــوةٍ ورُتُوقِ[٦]

وَسُمِّيَتْ وَجًّا فِيما ذَكَرُوا بِوَجِّ بن عَبْدِ الحَيّ مِن العَمالِقَةِ، وَيُقالُ: وَجٌّ، وَأَجٌّ بِالهَمْزةِ، قالَهُ يَعْقُوبُ فِي كِتابِ «الإبْدالِ».

وَكِتابُهُ ﷺ لِأَهْلِ الطّائِفِ أَطْوَلُ مِمّا ذَكَرَهُ ابنُ إسْحاقَ بِكَثِيرٍ، وَقَدْ أَوْرَدَهُ

---

(١) «غريب الحديث» لابن قتيبة: (١: ٤٠٩).

(٢) هو أمية بن حرثان بن الأسكر، عُمِّر في الجاهلية، وله شعر في الإسلام، ذكره ابن سلام في الطبقة العاشرة من فحول الجاهلية: (ص: ١٩٠-١٩٢)، وكان ابنه كلاب وأخوه هاجرا إلى البصرة أيام عمر بعدما كبر الشيخ وكف بصره، فقال أبياتًا في ذلك، ورواية «الطبقات» لبيت الشاهد:

إذا هتفت حمامة بطن وجٍّ … علــى بيضاتها ذكرا كلابا

(٣) في (ف): «الآخر».

(٤) في (ح)، (ج)، (ف): «ألفيت»، وفي (ب)، (ص): «ألفيته»، وفي (أ): «ولقد ألفيت».

(٥) «ديوانه» (ص: ٤٢٧).

(٦) في نسخة في (ص): «ووثوق»، وأخرى، (أ)، (س): «درثوق». وفي (ف): «ورثوف»

أَبُو عُبَيْدٍ بِكَمالِهِ فِي كِتابِ «الأمْوال»[1]. والحمد لله.

حَجُّ أبي بَكْرٍ بِالنّاسِ سَنَةَ تِسْعٍ

اخْتِصاصُ النَّبِيِّ ﷺ عَلِيَّ بنَ أبي طالِبٍ رِضْوانُ الله عَلَيْهِ بِتَأْدِيَةِ أَوَّلِ بَراءةَ عَنْهُ وذِكْرُ بَراءةَ والقَصَصِ في تَفْسِيرِها

[تَأْمِيرُ أبي بَكْرٍ على الحَجِّ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ أقامَ رَسُولُ الله ﷺ بَقِيّةَ شَهْرِ رَمَضانَ وشَوّالًا وذا القَعْدةِ، ثُمَّ بَعَثَ أبا بَكْرٍ أمِيرًا على الحَجِّ مِنْ سَنةِ تِسْعٍ لِيُقِيمَ لِلْمُسْلِمِينَ حَجَّهُمْ، والنّاسُ مِنْ أهْلِ الشِّرْكِ على مَنازِلِهِمْ مِنْ حَجِّهِمْ. فخَرَجَ أبو بَكْرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ ومَنْ مَعَهُ مِنَ المُسْلِمِينَ.

[نُزُولُ بَراءةَ في نَقْضِ ما بَيْنَ الرَّسُولِ والمُشْرِكِينَ]

وَنَزَلَتْ بَراءةُ في نَقْضِ ما بَيْنَ رَسُولِ الله ﷺ وبَيْنَ المُشْرِكِينَ مِن العَهْدِ الَّذي كانُوا عَلَيْهِ فيما بَيْنَهُ وبَيْنَهُمْ: ألا يُصَدَّ عَن البَيْتِ أحَدٌ جاءَهُ، ولا يَخاف أحَدٌ في الشَّهْرِ الحِرامِ. وكانَ ذلك عَهْدًا عامًّا بَيْنَهُ وبَيْنَ النّاسِ مِنْ أهْلِ الشِّرْكِ، وكانَتْ بَيْنَ ذلك عُهُودٌ بَيْنَ رَسُولِ الله ﷺ وبَيْنَ قَبائِلَ مِن العَرَبِ خَصائِصَ، إلى آجالٍ مُسَمّاةٍ، فنَزَلَتْ فيهِ وفيمَنْ تَخَلَّفَ مِن المُنافِقِينَ عَنْهُ في تَبُوكَ، وفي قَوْلِ مَنْ قالَ مِنْهُمْ، فكَشَفَ الله تَعالى فيها سَرائِرَ أقْوامٍ

---

(١) «الأموال» (ص: ٢٠٤-٢٠٥).

كانُوا يَسْتَخْفُونَ بِغَيْرِ ما يُظْهِرُونَ، مِنْهُمْ مَنْ سُمِّيَ لَنا، ومِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسَمَّ لَنا، فقالَ عَزَّ وجَلَّ: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة: ١] أيْ: لِأَهْلِ العَهْدِ العامِّ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ ﴿ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ * وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ﴾ أيْ: بَعْدَ هَذِهِ الحِجَّةِ ﴿ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ أيْ: العَهْدَ الخاصَّ إلى الأجَلِ المُسَمّى ﴿ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ * فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ ﴾ يَعْنِي الأَرْبَعَةَ الَّتِي ضَرَبَ لَهُمْ أَجَلًا ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ أيْ: مِنْ هَؤُلاءِ الَّذينَ أَمَرْتُكَ بِقَتْلِهِم ﴿ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾.

ثُمَّ قالَ: ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ الَّذينَ كانُوا هُمْ وأَنْتُمْ على العَهْدِ العامِّ ألا يُخِيفُوكُم ولا يُخِيفُوهُمْ في الحُرْمةِ، ولا في الشَّهْرِ الحَرامِ ﴿ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾، وهِيَ قَبائِلُ مِنْ بَنِي بَكْرٍ الَّذينَ كانُوا دَخَلُوا في عَقْدِ قُرَيْشٍ وعَهْدِهِمْ يَوْمَ الحُدَيْبِيةِ، إلى المُدّةِ الَّتِي كانَتْ بَيْنَ رَسُولِ الله ﷺ وبَيْنَ قُرَيْشٍ، فلَمْ يَكُنْ نَقَضَها إلّا هذا الحَيُّ مِنْ قُرَيْشٍ، وهِيَ الدِّيلُ مِنْ بَنِي بَكْرِ بنِ وائِلٍ، الَّذينَ كانُوا دَخَلُوا في عَقْدِ قُرَيْشٍ وعَهْدِهِمْ، فأُمِرَ بِإتْمامِ العَهْدِ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ

نَقَضَ مِنْ بَنِي بَكْرٍ إلى مُدَّتِهِ، ﴿ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾.

ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: المُشْرِكُونَ الَّذينَ لا عَهْدَ لَهُمْ إلى مُدّةٍ مِنْ أهْلِ الشِّرْكِ العامِّ ﴿ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ [التوبة: ٨].

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: الإلُّ: الحِلْفُ. قالَ أوْسُ بنُ حَجَرٍ، أحَدُ بَنِي أُسَيِّدِ بنِ عَمْرِو بنِ تَمِيمٍ:

لَوْلا بَنُــو مالِكٍ والإلُّ مَرْقَبةٌ ... ومالِكٌ فيهِمُ الآلاءُ والشَّرَفُ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ. وجَمْعُهُ: آلالٌ، قالَ الشّاعِرُ:

فَــلا إلٌّ مِــن الآلالِ بَيْــنِي ... وبَيْنَكُــمُ فلا تَأْلُــنَّ جُهْدا

والذِّمّةُ: العَهْدُ. قالَ الأجْدَعُ بنُ مالِكٍ الهَمْدانِيُّ، وهُوَ أبو مَسْرُوقِ بنِ الأجْدَعِ الفَقِيه:

وَكانَ عَلَيْنــا ذِمّةٌ أنْ تُجاوِزُوا ... مِنَ الأرْضِ مَعْرُوفًا إلَيْنا ومُنْكَرا

وَهذا البَيْتُ في ثَلاثةِ أبْياتٍ لَهُ.

وجَمْعُها: ذِمَمٌ.

﴿ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ * ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴾ أيْ: قَد اعْتَدَوْا

عَلَيْكُمْ ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾.

[اخْتِصاصُ الرَّسُولِ عَلِيًّا بِتَأْدِيةِ بَراءةَ عَنْهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي حَكِيمُ بنُ حَكِيمِ بنِ عَبّادِ بنِ حُنَيْفٍ، عَنْ أبي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيٍّ رِضْوانُ الله عَلَيْهِ، أَنَّهُ قالَ: لَمّا نَزَلَتْ بَراءةُ على رَسُولِ الله ﷺ، وقَدْ كانَ بَعَثَ أبا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ لِيُقِيمَ لِلنّاسِ الحَجَّ، قِيلَ لَهُ: يا رَسُولَ الله، لَوْ بَعَثْتَ بِها إلى أبي بَكْرٍ، فقالَ: «لا يُؤَدِّي عَنِّي إلّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي»، ثُمَّ دَعا عَلِيَّ بن أبي طالِبٍ رِضْوانُ الله عَلَيْهِ، فقالَ لَهُ: «اخْرُجْ بِهَذِهِ القِصّةِ مِنْ صَدْرِ بَراءةٌ، وأَذِّنْ في النّاسِ يَوْمَ النَّحْرِ إذا اجْتَمَعُوا بِمِنًى، أَنَّهُ لا يَدْخُلُ الجَنّةَ كافِرٌ، ولا يَحُجُّ بَعْدَ العامِ مُشْرِكٌ، ولا يَطُوفُ بِالبَيْتِ عُرْيانٌ، ومَنْ كانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ عَهْدٌ فهُوَ لَهُ إلى مُدَّتِهِ».

فخَرَجَ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ رِضْوانُ الله عَلَيْهِ على ناقةِ رَسُولِ الله ﷺ العَضْباءِ، حَتّى أَدْرَكَ أبا بَكْرٍ بِالطَّرِيقِ، فلَمّا رَآهُ أبو بَكْرٍ بِالطَّرِيقِ قالَ: أَأَمِيرٌ أَمْ مَأْمُورٌ؟ فقالَ: بَلْ مَأْمُورٌ، ثُمَّ مَضَيا. فأقامَ أبو بَكْرٍ لِلنّاسِ الحَجَّ، والعَرَبُ إذْ ذاكَ في تِلْكَ السَّنةِ على مَنازِلِهِمْ مِن الحَجِّ الَّتِي كانُوا عَلَيْها في الجاهِلِيّةِ، حَتّى إذا كانَ يَوْمُ النَّحْرِ قامَ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ رَضِيَ الله عَنْهُ فأَذَّنَ في النّاسِ بِالَّذِي أَمَرَهُ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ، فقالَ: أَيُّها النّاسُ، إنَّهُ لا يَدْخُلُ الجَنّةَ كافِرٌ، ولا يَحُجُّ بَعْدَ العامِ مُشْرِكٌ، ولا يطوف بِالبَيْتِ عُرْيان، ومَنْ كانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ عَهْدٌ فهُوَ لَهُ إلى مُدَّتِهِ. وأَجَّلَ النّاسَ أَرْبَعةَ أَشْهُرٍ مِنْ يَوْمَ أَذَّنَ فيهِمْ؛ لِيَرْجِعَ كُلُّ قَوْمٍ إلى مَأْمَنِهِمْ أَوْ بِلادِهِمْ، ثُمَّ لا عَهْدٌ لِمُشْرِكٍ ولا

ذِمّةٌ إلّا أحدٌ كانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَهْدٌ إلى مُدّةٍ، فهُوَ لَهُ إلى مُدَّتِهِ. فلَمْ يَحُجَّ بَعْدَ ذلك العامِ مُشْرِكٌ، ولَمْ يَطُفْ بِالبَيْتِ عُرْيانٌ. ثُمَّ قَدِما على رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فكانَ هذا مِنْ بَراءةَ فيمَنْ كانَ مِنْ أهْلِ الشِّرْكِ مِنْ أهْلِ العَهْدِ العامِّ، وأهْلِ المُدّةِ إلى الأجَلِ المُسَمّى.

[ما نَزَلَ في الأمْرِ بِجِهادِ المُشْرِكِينَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ أمَرَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ بِجِهادِ أهْلِ الشِّرْكِ، مِمَّنْ نَقَضَ مِنْ أهْلِ العَهْدِ الخاصِّ، ومَنْ كانَ مِنْ أهْلِ العَهْدِ العامِّ بَعْدَ الأرْبَعةِ الأشْهُرِ الَّتِي ضَرَبَ لَهُمْ أجَلًا، إلّا أنْ يَعْدُوَ فيها عادٍ مِنْهُمْ، فيُقتَلَ بِعَدائِهِ، فقالَ: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ * كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ ﴾ أيْ: مِنْ بَعْدِ ذلك ﴿ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ * كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ * ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓ ﴾.

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وَلِيجةً: دَخِيل، وجَمْعُها: ولائِجُ، وهُوَ مِنْ وَلَجَ يَلِجُ، أيْ: دَخَلَ يَدْخُلُ، وفي كِتابِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ ﴾ [الأعراف: ٤٠] أيْ: يَدْخُلَ، يَقُولُ: لَمْ يَتَّخِذُوا دَخِيلًا مِنْ دُونِهِ يُسِرُّونَ إلَيْهِ غَيْرَ

ما يُظْهِرُونَ، نَحْوَ ما يَصْنَعُ المُنافِقُونَ، يُظْهِرُونَ الإيمانَ لِلَّذِينَ آمَنُوا وإذا خَلَوْا إلى شَياطِينِهِمْ قالُوا: إنّا مَعَكُمْ. قالَ الشّاعِرُ:

واعْلَمْ بِأَنَّكَ قَدْ جُعِلْتَ ولِيجةً ساقُوا إلَيْكَ الحَتْفَ غَيْرَ مَشُوبِ

[ما نَزَلَ في الرَّدِّ على قُرَيْشٍ بِادِّعائِهِمْ عِمارةَ البَيْتِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثمَّ ذكرَ قَوْلَ [قُرَيْشٍ: إنّا أَهْلُ] الحَرَمِ، وسُقاةُ الحاجِّ، وعُمّارُ هذا البَيْتِ، فلا أَحَدَ أَفْضَلُ مِنّا، فقالَ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ أيْ: إنَّ عِمارَتَكُمْ لَيْسَتْ على ذلك، وإنَّما يَعْمُرُ مَساجِدَ الله ـ أيْ: مَنْ عَمَرَها بِحَقِّها ـ مَنْ آمَنَ بِالله واليَوْمِ الآخِرِ، ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أيْ: فأُولَئِكَ عُمّارُها، ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ و«عَسى» مِن الله: حَقٌّ.

ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٩].

[ما نَزَلَ في الأمْرِ بِقِتالِ المُشْرِكِينَ]

ثُمَّ القِصّةُ عَنْ عَدُوِّهِمْ، حَتّى انْتَهى إلى ذِكْرِ حُنَيْنٍ، وما كانَ فيهِ، وتُوَلِّيهِمْ عَنْ عَدُوِّهِمْ، وما أَنزَلَ الله تَعالى مِنْ نَصْرِهِ بَعْدَ تَخاذُلِهِمْ.

ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ وذلك أنَّ النّاسَ قالُوا: لَتَنْقَطِعَنَّ عَنّا الأسْواقُ، فلَتَهْلِكَنَّ التِّجارةُ، ولَيَذْهَبَنَّ ما كُنّا نُصِيبُ فيها مِن المَرافِقِ، فقالَ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ أيْ: مِنْ وجْهٍ غَيْرِ ذلك ﴿إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٨، ٢٩] أيْ: ففي هذا عِوَضٌ مِمّا تَخَوَّفْتُمْ مِنْ قَطْعِ الأسْواقِ، فعَوَّضَهُم الله بِما قَطَعَ عَنْهُمْ بِأمْرِ الشِّرْكِ ما أعْطاهُمْ مِنْ أعْناقِ أهْلِ الكِتابِ مِن الجِزْيَةِ.

[ما نَزَلَ في أهْلِ الكِتابَيْنِ]

ثُمَّ ذَكَرَ أَهْلَ الكِتابَيْنِ بِما فيهِمْ مِن الشَّرِّ والفِرْيَةِ عَلَيْهِ، حَتّى انْتَهى إلى قَوْلِهِ تَعالى: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤].

[ما نَزَلَ في النَّسِيءِ]

ثُمَّ ذَكَرَ النَّسِيءَ، وما كانَتِ العَرَبُ أحْدَثَتْ فيهِ. والنَّسِيءُ: ما كانَ يُحِلُّ مِمّا حَرَّمَ الله تَعالى مِن الشُّهُورِ، ويُحَرِّمُ مِمّا أحَلَّ الله مِنْها، فقالَ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]. أيْ: لا تجْعَلُوا حرامَها حَلالًا، ولا حَلالَها حرامًا، أيْ: كَما فعَلَ أهْلُ الشِّرْكِ.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ﴾ الَّذي كانُوا يَصْنَعُونَ ﴿زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٣٧].

[ما نَزَلَ في تَبُوكَ]

ثُمَّ ذَكَرَ تَبُوكَ وما كانَ فيها مِنْ تَثاقُلِ المُسْلِمِينَ عَنْها، وما أعْظَمُوا مِنْ غَزْوِ الرُّومِ حِينَ دَعاهُمْ رَسُولُ الله ﷺ إلى جِهادِهِمْ، ونِفاقَ مَنْ نافَقَ مِن المُنافِقِينَ حِينَ دُعُوا إلى ما دُعُوا إلَيْهِ مِن الجِهادِ، ثُمَّ ما نَعى عَلَيْهِمْ مِنْ إحْداثِهِمْ في الإسْلامِ، فقالَ تَعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [التوبة: ٣٨]، ثُمَّ القِصَّةَ إلى قَوْلِهِ تَعالى: ﴿يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ [التوبة: ٣٩]، إلى قَوْلِهِ تَعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠].

[ما نَزَلَ في أهْلِ النِّفاقِ]

ثُمَّ قالَ تَعالى لِنَبِيِّهِ ﷺ يَذْكُرُ أهْلَ النِّفاقِ: ﴿لَوۡ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة: ٤٢] أي إنَّهُمْ يَسْتَطِيعُونَ ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣] إلى قَوْلِهِ: ﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٧].

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: أوْضَعُوا خِلالَكُمْ: سارُوا بَيْنَ أضْعافِكُمْ، فالإيضاعُ: ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ أسْرَعُ مِن المَشْيِ، قالَ الأجْدَعُ بنُ مالِكٍ الهَمْدانِيّ:

يَصْطادك الوَحَدَ المُدِلَّ بِشَأْوِهِ ... بِشَرِيج بَيْنَ الشَّدِّ والإيضاعِ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

[عَوْدٌ إلى ما نَزَلَ في أهْلِ النِّفاقِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ الَّذينَ اسْتَأْذَنُوهُ مِنْ ذَوِي الشَّرَفِ، فيما بَلَغَنِي، مِنْهُمْ:

عَبْدُ الله بنُ أُبَيِّ بنِ سَلُولَ، والجَدُّ بنُ قَيسٍ، وكانُوا أشْرافًا في قَوْمِهِمْ، فثَبَّطَهُم الله لِعِلْمِهِ بِهِمْ أنْ يَخْرُجوا مَعَهُ فيفْسِدُوا عَلَيْهِ جُنْدَهُ، وكانَ في جُنْدِهِ قَوْمٌ أهْلُ مَحَبّةٍ لَهُمْ، وطاعةٍ فيما يَدْعُونَهُمْ إلَيْهِ، لِشَرَفِهِمْ فيهِمْ، فقالَ تَعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ * لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ﴾ أيْ: مِنْ قَبْلِ أنْ يَسْتَأْذِنُوكَ ﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ﴾ أيْ: لِيُخَذِّلُوا عَنْكَ أصْحابَكَ ويَرُدُّوا عَلَيْكَ أمْرَكَ ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ * وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْ﴾ [التوبة: ٤٧- ٤٩]. وكانَ الَّذي قالَ ذلك ـ فيما سُمِّيَ لَنا ـ الجَدُّ بنُ قَيسٍ، أخُو بَنِي سَلِمةَ، حِينَ دَعاهُ رَسُولُ الله ﷺ إلى جِهادِ الرُّومِ.

ثُمَّ كانَت القِصّةُ إلى قَوْلِهِ تَعالى: ﴿لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ * وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٧، ٥٨] أيْ: إنَّما نِيَّتُهُمْ ورِضاهُمْ وسَخَطُهُمْ لِدُنْياهُمْ.

[ما نَزَلَ في ذِكْرِ أصْحابِ الصَّدَقاتِ]

ثُمَّ بَيَّنَ الصَّدَقاتِ لِمَنْ هِيَ، وسَمّى أهْلَها، فقالَ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ

وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٠].

[ما نَزَلَ فيمَنْ آذَوُا الرَّسُولَ]

ثُمَّ ذَكَرَ غِشَّهُمْ وأذاهُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فقالَ: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦١]، وكانَ الَّذي يَقُولُ تِلْكَ المَقالَةَ ـ فيما بَلَغَني ـ نَبْتَلُ بنُ الحارِثِ أخُو بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، وفيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيةُ، وذلك أنَّهُ كانَ يَقُولُ: إنَّما مُحَمَّدٌ أُذُنٌ، مَنْ حَدَّثَهُ شَيْئًا صَدَّقَهُ. يَقُولُ الله تَعالى: ﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ ﴾ أي: يَسْمَعُ الخَيْرَ ويُصَدِّقُ بِهِ.

ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ٦٢].

ثُمَّ قالَ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [التوبة: ٦٥]، إلى قَوْلِهِ تَعالى: ﴿ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً ﴾ [التوبة: ٦٦].

وكانَ الَّذي قالَ هَذِهِ المَقالَةَ وديعةُ بنُ ثابِتٍ، أخو بَنِي أُمَيَّةَ بنِ زَيْدٍ، مِنْ بَنِي عَمْرِو بن عَوْفٍ، وكانَ الَّذي عُفِي عَنْهُ ـ فيما بَلَغَني ـ مُخَشِّن بنُ حُمَيِّرٍ الأشْجَعِيُّ، حَلِيفُ بَنِي سَلِمةَ، وذلك أنَّهُ أنْكَرَ مِنْهُمْ بَعْضَ ما سَمِعَ.

ثُمَّ القِصّةُ مِنْ صِفَتِهِمْ حَتّى انْتَهى إلى قَوْلِهِ تَعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ

ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ * يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [التوبة: ٧٣، ٧٤]. إلى قَوْلِهِ: ﴿ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [التوبة: ٧٤].

وكانَ الَّذي قالَ تِلْكَ المَقالةَ الجُلاسُ بنُ سُوَيْدِ بن صامِتٍ، فرَفَعَها عَلَيْهِ رَجُلٌ كانَ في حَجْرِهِ، يُقالُ لَهُ: عُمَيْرُ بنُ سَعْدٍ، فأنْكَرَها وحَلَفَ بالله ما قالَها، فلَمّا نَزَلَ فيهِم القُرْآنُ تابَ ونَزَعَ، وحَسُنَتْ حالُهُ وتَوْبَتُهُ، فيما بَلَغَني.

ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [التوبة: ٧٥]. وكانَ الَّذي عاهَدَ الله مِنْهُمْ ثَعْلَبَةُ بنُ حاطِبٍ، ومُعَتِّبُ بنُ قُشَيْرٍ، وهُما من بني عمر بنِ عَوْفٍ.

ثُمَّ قالَ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧٩] وكانَ المطَّوِّعون مِن المُؤْمِنِينَ في الصَّدقاتِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بنَ عَوْفٍ، وعاصِمَ بنَ عَدِيٍّ أخا بَنِي العَجْلانِ؛ وذلك أنَّ رَسُولَ الله ﷺ رَغَّبَ في الصَّدَقةِ، وحَضَّ عَلَيْها، فقامَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ فتَصَدَّقَ بِأرْبَعةِ آلافِ دِرْهَمٍ، وقامَ عاصِمُ بنُ عَدِيّ فتصدّق بِمئة وسْقٍ مِنْ تَمْرٍ، فلَمَزُوهُما وقالُوا: ما هذا إلّا رِياءٌ، وكانَ الَّذي تَصَدَّقَ بِجُهْدِهِ أبو عَقيلٍ أخُو بَنِي أُنَيْفٍ، أتى بِصاعٍ مِنْ تَمْرٍ، فأفْرَغَها في الصَّدَقةِ، فتَضاحَكُوا بِهِ، وقالُوا: إنَّ الله لَغَنِيٌّ عَنْ صاعِ أبي عَقيلٍ.

ثُمَّ ذَكَرَ قَوْلَ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، حِينَ أَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بِالجِهادِ، وَأَمَرَ بِالسَّيْرِ إلى تَبُوكَ، على شِدّةِ الحَرِّ وجَدْبِ البِلادِ، فقالَ تَعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ * فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا﴾ [التوبة: ٨١، ٨٢] إلى قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡ﴾ [التوبة: ٨٥].

[ما نَزَلَ بِسَبَبِ صَلاةِ النَّبِيِّ على ابنِ أُبَيٍّ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ عَنْ عُبَيْدِ الله بنِ عَبْدِ الله بنِ عُتْبَةَ، عَن ابنِ عَبّاسٍ، قالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بنَ الخَطّابِ يَقُولُ: لَمّا تُوُفِّي عَبْدُ الله بنُ أُبَيٍّ، دُعِيَ رَسُولُ الله ﷺ لِلصَّلاةِ عَلَيْهِ، فقامَ إلَيْهِ، فلَمّا وقَفَ عَلَيْهِ يُرِيدُ الصَّلاةَ، تَحَوَّلْتُ حَتّى قُمْتُ في صَدْرِهِ، فقُلْتُ: يا رَسُولَ الله، أتُصَلِّي على عَدُوِّ الله عَبْدِ الله بنِ أُبَيٍّ ابنِ سَلُولَ؛ القائِلِ كَذا يَوْمَ كَذا، والقائِلِ كَذا يَوْمَ كَذا؟ أُعَدِّدُ أيّامَهُ، ورَسُولُ الله ﷺ يَتَبَسَّمُ، حَتّى إذا أكْثَرْتُ قالَ: «يا عُمَرُ، أخِّرْ عَنِّي، إنِّي قَدْ خُيِّرْتُ فاخْتَرْتُ، قَدْ قِيلَ لِي: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ [التوبة: ٨٠] فلَوْ أعْلَمُ أنِّي إنْ زِدْتُ على السَّبْعِينَ غُفِرَ لَهُ، لَزِدْتُ».

قالَ: ثُمَّ صلى عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ، ومَشى مَعَهُ حَتّى قامَ على قَبْرِهِ، حَتّى فُرِغَ مِنْهُ. قالَ: فعَجِبْتُ لِي ولِجُرْأتِي على رَسُولِ الله ﷺ والله ورَسُوله أعلَم، فواللهِ ما كانَ إلّا يَسِيرًا حَتّى نَزَلَتْ هاتانِ الآيَتانِ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤]، فما صَلّى رَسُولُ الله ﷺ بَعْدَهُ على مُنافِقٍ حَتّى قَبَضَهُ الله تَعالى.

[ما نَزَلَ في المُسْتَأْذِنِينَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ ﴾ [التوبة: ٨٦]، وكانَ ابنُ أُبَيٍّ مِنْ أُولَئِكَ، فنعى الله ذلك عَلَيْهِ، وذَكَرَهُ مِنْهُ، ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [التوبة: ٨٨، ٨٩] إلى آخِرِ القِصّةِ. وكانَ المُعَذِّرُونَ ـ فيما بَلَغَني ـ نَفَرًا مِنْ بَني غِفارٍ، مِنْهُمْ خُفافُ بنُ إيماءَ بن رَحَضَةَ، ثمّ كانَت القِصّةُ لِأَهْلِ العُذْرِ، حَتّى انْتَهى إلى قَوْلِهِ: ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة: ٩٢]، وهُم البَكّاؤُونَ.

ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٩٣]، والخَوالِفُ: النِّساءُ.

ثُمَّ ذَكَرَ حَلِفَهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ واعْتِذارَهُمْ، فقالَ: ﴿ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ ﴾ [التوبة: ٩٥] إلى قَوْلِهِ تَعالى: ﴿ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٩٦].

[ما نَزَلَ فيمَنْ نافَقَ مِنَ الأَعْرابِ]

ثُمَّ ذَكَرَ الأَعْرابَ ومَنْ نافَقَ مِنْهُمْ وتَرَبُّصَهُمْ بِرَسُولِ الله ﷺ وبِالمُؤْمِنِينَ،

فقالَ: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ ﴾ أيْ: مِنْ صَدَقةٍ أوْ نَفَقةٍ في سَبِيلِ الله ﴿مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٩٨].

ثُمَّ ذَكَرَ الأعْرابَ أهْلَ الإخْلاصِ والإيمانِ مِنْهُمْ، فقالَ: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ﴾ [التوبة: ٩٩].

[ما نَزَلَ في السّابِقِينَ مِنَ المُهاجِرِينَ والأنْصارِ]

ثُمَّ ذَكَرَ السّابِقِينَ الأوَّلِينَ مِن المُهاجِرِينَ والأنْصارِ، وفَضْلَهُمْ، وما وعَدَهُم الله مِنْ حُسْنِ ثَوابه إيّاهُم، تمّ ألْحَقَ بِهِم التّابِعِينَ لَهُمْ بِإحْسانٍ، فقالَ: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [التوبة: ١٠٠]. ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ ﴾ أيْ: لَجُّوا فيهِ، وأبَوْا غَيْرَهُ ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ [التوبة: ١٠١] والعَذابُ الَّذي أوْعَدَهُمُ الله تَعالى مَرَّتَيْنِ - فيما بَلَغَني - غَمُّهُمْ بِما هُمْ فيهِ مِنْ أمْرِ الإسْلامِ، وما يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ مِنْ غَيْظِ ذلك على غَيْرِ حِسْبةٍ، ثُمَّ عَذابُهُم في القُبُورِ إذا صارُوا إلَيْها، ثُمَّ العَذابُ العَظِيمُ الَّذي يُرَدُّونَ إلَيْهِ، عَذابُ النّارِ والخُلْدُ فيهِ.

ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٢].

ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣] إلى آخِرِ القِصّةِ.

ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ١٠٦] وهُم الثَّلاثةُ الَّذينَ خُلِّفُوا، وأَرْجأَ رَسُولُ الله ﷺ أمْرَهُمْ حتّى أَتَتْ مِن الله تَوْبَتُهُمْ.

ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا ﴾ [التوبة: ١٠٧] إلَخ القِصّةِ.

ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [التوبة: ١١١]. ثُمَّ كانَ قِصّةُ الخَبَرِ عَنْ تَبُوكَ وما كانَ فيها إلى آخِرِ السُّورةِ.

وَكانَتْ بَراءةُ تُسَمّى في زَمانِ النَّبِيِّ ﷺ وبَعْدَهُ المُبَعْثِرة، لِـما كَشَفَتْ مِنْ سَرائِرِ النّاسِ. وكانَتْ تَبُوكُ آخِرَ غَزْوةٍ غَزاها رَسُولُ الله ﷺ.

إنْزالُ سُورةِ بَراءَةَ

كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ قَدِمَ مِنْ تَبُوكَ قد كرِهَ مُخالَطةَ المُشْرِكِينَ لِلنّاسِ فِي حَجِّهِمْ، وَتَلْبِيَتَهُم بِالشِّرْكِ وطَوافَهُمْ عُراةً بِالبَيْتِ، وَكانُوا يَقْصِدُونَ بِذَلِكَ أَنْ يَطُوفُوا كَما وُلِدُوا بِغَيْرِ الثِّيابِ الّتِي أَذْنَبُوا فِيها وَظَلَمُوا، فَأَمْسَكَ رسولُ الله ﷺ عَن الحَجّ فِي ذَلِكَ العامِ، وَبَعَثَ أبا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِسُورةِ بَراءةَ لِيَنْبذَ[1] إلى كُلِّ ذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ مِن المُشْرِكِينَ إلّا بَعْضَ بَنِي بَكْرٍ الّذِينَ كانَ لَهُمْ عَهْدٌ إلى أَجَلٍ خاصٍّ، ثُمّ أَرْدَفَ بِعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَرَجَعَ أَبُو بَكْرٍ لِلنّبِيّ ﷺ وَقالَ: يا رَسُولَ اللهِ، هَلْ أُنْزِلَ فِيّ قُرْآنٌ؟ قالَ: لا، وَلَكِنْ أَرَدْتُ أَنْ يُبَلِّغَ عَنِّي مَنْ هُوَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، قالَ أَبُو هُرَيْرةَ: فَأَمَرَنِي عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ أَطُوفَ فِي المَنازِلِ مِنْ

---

(١) نَبَذ العهد: نقضه.

مِنًى بِبَراءةَ، فَكُنْتُ أَصِيحُ حَتّى صَحِلَ[١] حَلْقِي، فَقِيلَ لَهُ: بِمَ كُنْتَ تُنادِي؟ فَقالَ: بِأَرْبَعٍ: أَلّا يَدْخُلَ الجَنّةَ إلّا مُؤْمِنٌ، وَأَلا يَحُجّ بَعْدَ العامِ مُشْرِكٌ، وَأَلّا[٢] يَطُوفَ بِالبَيْتِ عُرْيانٌ، وَمَنْ كانَ له عهدٌ فله أجلٌ أَرْبعةُ أَشْهُرٍ ثُمّ لا عَهْدَ لَهُ. وَكانَ المُشْرِكُونَ إذا سَمِعُوا النّداءَ بِبَراءةَ يَقُولُونَ لِعَلِيّ: سَتَرَوْنَ بَعْدَ الأَرْبَعةِ أَشْهُرٍ، فإنّهُ لا عَهْدَ بَيْنَنا وَبَيْنَ ابنِ عَمِّك إلّا الطّعْنُ والضَّرْبُ، ثُمّ إنّ النّاسَ فِي تِلْكَ المُدّةِ رَغِبُوا فِي الإِسْلامِ حَتّى دَخَلُوا فِيهِ طَوْعًا وكَرْهًا، وحَجَّ رَسُولُ الله ﷺ في العامِ القابلِ، وحجَّ المسلمون، وقد عادَ الدِّينُ كُلُّهُ واحِدًا للهِ رَبِّ العالَمِينَ.

وَأَمّا النِّداءُ فِي أَيّامِ التّشْرِيقِ بِأَنّها أَيّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ - [وَفِي بَعْضِ الرِّواياتِ: أَكْلٍ وَشُرْبٍ][٣] وبِعالٍ - فَإِنّ الّذِي أُمِرَ أَنْ يُنادِيَ بِذَلِكَ فِي أَيّامِ التّشْرِيقِ هُوَ كَعْبُ بنُ مالِكٍ وَأَوْسُ بنُ الحَدَثانِ، وَفِي الصَّحِيحِ أَنّ زَيْدَ بنَ مِرْبَعٍ - وَيُقالُ فِيهِ [أيْضًا][٤]: عَبْدُ اللهِ بنُ مِرْبَعٍ - كانَ مِمّنْ أُمِرَ أَنْ يُنادِيَ بِذَلِكَ، وَرُوِيَ مِثْلُ ذَلِكَ عَنْ بِشْرِ بنِ سُحَيْمٍ الغِفارِيّ، وَقَدْ رُوِيَ أيضًا أَنّ حُذَيْفةَ كانَ المُنادِيَ بِذَلِكَ، وَعَنْ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقّاصٍ أَيْضًا، وَبِلالٍ، ذَكَرَ بَعْضَ ذَلِكَ البَزّارُ فِي «مُسْنَدِهِ»[٥].

وَقَدْ قِيلَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ [التوبة: ٥]: إِنّهُ أرادَ ذا الحَجّةِ والمُحَرَّمَ مِنْ ذَلِكَ العامِ، وَأَنّهُ جَعَلَ ذَلِكَ أَجَلًا لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ مِن المُشْرِكِينَ، وَمَنْ كانَ لَهُ عَهْدٌ جَعَلَ لَهُ أَرْبَعةَ أَشْهُرٍ أَوّلُها يَوْمُ النَّحْرِ مِنْ ذَلِكَ العامِ. وَقَوْلُهُ:

---

(١) صَحِل فلان يَصْحَلُ صحلًا: كان في صوته بُحّة.

(٢) في (ب)، (ج)، (ف): «ولا».

(٣) سقط من: (ب)، (ف).

(٤) سقط من (ب).

(٥) في «مسند البزار» (١: ٢٠٩)، رقم (١١٧٦) من حديث سعد بن أبي وقاص. (ج)

﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ [التوبة: ٣]، قِيلَ: أرادَ [حِينَ][1] الحَجّ، أيْ: أيّامَ المَوْسِمِ كُلّها؛ لِأنّ نِداءَ عَلِيّ بنِ أبِي طالِبٍ بِبَراءة كانَ فِي تِلْكَ الأيّامِ.

فَصْلٌ

وَذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ ما أنْزَلَ اللهُ تبارك وتعالى من سُورةِ بَراءةَ فِي غَزْوةِ تَبُوكَ، وَأهْلُ التّفْسِيرِ يَقُولُونَ: إنّ آخِرَها نَزَلَ قَبْلَ أوّلِها، وإنّ أوّلَ ما نَزَلَ منها: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١]، [ثُمّ نَزَلَ أوّلُها فِي نَبْذِ كُلِّ عَهْدٍ إلى صاحبِهِ كما تقدَّم[2].

وَقَوْلُهُ: ﴿انفِرُوا خِفَافًا﴾][3] فِيهِ أقْوالٌ، قِيلَ: مَعْناهُ: شُبّانًا[4] وَشُيُوخًا، وَقِيلَ: أغْنِياءَ وَفُقَراءَ، وَقِيلَ: أصْحابَ شُغْلٍ وَغَيْرَ ذوي شُغْلٍ، وَقِيلَ: رُكْبانًا ورَجّالةً.

وَأنْشَدَ شاهِدًا على: ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ [التوبة: ٤٧] لِلْأجْدَعِ بنِ مالِكٍ والِدِ مسروقِ بنِ الأجْدَعِ، [وَقَدْ غَيّرَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اسْمَ الأجْدَعِ][5] وَقالَ: الأجْدَعُ: اسْمُ شَيْطانٍ، فَسَمّاهُ: عَبْدَ الرّحْمَنِ، وَيُكَنّى مَسْرُوقٌ: أبا عائِشَةَ.

وَقَوْلُهُ فِي البَيْتِ: «يَصْطادُك الوَحَدَ»؛ أيْ: يَصْطادُ لك، وَأرادَ بِالوَحَدِ: الثّوْرَ الوَحْشِيّ[6].

---

(١) في (ب): «يوم الحج».

(٢) انظر: (ص٣٦٥) من هذا الجزء.

(٣) سقط من (ب).

(٤) في (ف): «شبابا».

(٥) سقط من (ب).

(٦) في «اللسان»: والوَحَدُ من الوحش: المتوحِّد.

وَقَوْلُهُ: [من الكامل]

بِشَرِيجَ بَيْنَ الشَّدِّ والإيضاعِ

يُقالُ: هُما شَرِيجانِ؛ أيْ: مُخْتَلِفانِ، وَقَبْلَ هَذا البَيْتِ بِأبْياتٍ فِي شِعْرِ الأَجْدَعِ: [من الكامل]

أَسَــأَلْتِنِي بِرَكائِبِــي ورِحالِها وَنَسِيتِ قَتْلَ فَوارِسِ الأَرْباعِ؟

وَذَكَرَهُ أَبُو عَلِيّ[١][٢] فِي «الأمالِي»، فَقالَ: وسألِتني بالواو، وَقَدْ خَطَّؤُوهُ في ذلك، وَقالُوا: إنّما هُوَ: أَسَأَلْتِنِي[٣].

وَفَـوارِسُ الأَرْبـاعِ قَدْ سَمّـاهُمْ أَبُو عَلِيّ [فِي «الأمالِي»][٤]، وَذَكَـرَ لَهُـمْ خَبَرًا[٥].

وَذَكَرَ قَوْلَهُ سبحانه: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، وَقِيلَ فِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوالٍ أيضًا:

أَحَدُها: أَنْ يُؤَدِّيَها الذِّمِّيُّ بِنَفْسِهِ، وَلا يُرْسِلَها مَعَ غَيْرِهِ.

الثّانِي: أَنْ يُؤَدِّيَها قائِمًا، والّذِي يَأْخُذُها [يأخذُها][٦] قاعِدًا.

الثّالِثُ: أَنّ مَعْناهُ: عَنْ قَهْرٍ وَإِذْلالٍ.

---

(١) في (ف): «أبو علي القالي».

(٢) «الأمالي» لأبي علي القالي: (١: ٢٣).

(٣) انظر: «سمط اللآلي» (١: ١٠٩-١١٠).

(٤) ليس في (ب).

(٥) «الأمالي» لأبي علي القالي: (١: ٢٣). (ج)

(٦) زيادة يستقيم بها النص.

الرّابِعُ: أنَّ مَعْناهُ عَنْ يَدٍ مِنْكُمْ؛ أيْ: إنْعامٍ عَلَيْهِمْ بِحَقْنِ دِمائِهِمْ، وَأخْذِ الجِزْيَةِ مِنْهُمْ بَدَلًا مِن القَتْلِ، كُلُّ هَذِهِ الأقْوالِ مَذْكُورةٌ فِي كُتُبِ المُفَسِّرِينَ، وَلَفْظُ الآيةِ يَتَناوَلُ جَمِيعَ هَذِهِ المَعانِي، واللهُ أعْلَمُ.

وَمَعْنى قَوْلِهِ فِي هَذِهِ الآيةِ: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ [التوبة: ٢٩]، وَإنْ كانَ أهْلُ الكِتابِ يُصَدِّقُونَ بالآخِرةِ، فَمَعْناهُ فيما ذكر ابن سلّام أنّ أهْلَ الكِتابِ لا يَقُولُونَ بِإعادةِ الأجْسادِ وَيَقُولُونَ: إنّ الأرْواحَ هِيَ الّتِي تُبْعَثُ دُونَ الأجساد.

فصل

وذَكَرَ فِي المُعَذِّرِينَ: خُفافَ بنَ إيماءَ بنِ رَحَضةَ ـ وَيُقالُ فِيهِ: رُحضةُ بضَمِّ الراءِ ـ ابنِ خُرْبةَ، وَكانَ لَهُ وَلِأبيهِ إيماء وَلِجَدِّهِ رَحَضةَ صُحْبةٌ. ماتَ خُفافٌ فِي خِلافةِ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَكانَ إمامًا لِبَنِي غِفارٍ.

وذكر أبا عَقِيلٍ صاحِبَ الصّاعِ الّذِي لَمَزَهُ المُنافِقُونَ، واسْمُهُ: حَبْحاب[١]. وَقَدْ قِيلَ فِي صاحِبِ الصّاعِ: إنّهُ رِفاعةُ بنُ سَهْلٍ[٢].

* * *

---

(١) انظر ترجمته في: «أسد الغابة» (١: ٤٣٨)، وفي «الكنى» (٦: ٢٢٠).

(٢) كذا في النسخ، ولم أجده في الصحابة. ولعله سهل بن رافع بن خديج، المترجم في «أسد الغابة» (٢: ٣١٩)، فقد قيل: إنه صاحب الصاع الذي لمزه المنافقون.

شِعْرُ حَسّانَ الَّذي عَدَّدَ فيهِ المَغازِيَ

وَقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ يُعَدِّدُ أيّامَ الأنْصارِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، ويَذْكُرُ مَواطِنَهُمْ مَعَهُ في أيّامِ غَزْوِهِ، قالَ ابنُ هِشامٍ: وتُرْوى لابنِهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابنِ حَسّانَ:

أَلَسْتُ خَيْرَ مَعَدٍّ كُلِّها نَفَرًا ... ومَعْشَرًا إنْ هُمْ عُمُّوا وإنْ حُصِلُوا

قَوْمٌ هُمْ شَهِدُوا بَدْرًا بِأجْمَعِهِمْ ... مَعَ الرَّسُولِ فما آلَوْا وما خَذَلُوا

وَبايَعُوهُ فلَمْ يَنْكُثْ بِهِ أحَدٌ ... مِنْهُمْ ولَمْ يَكُ في إيمانِهِمْ دَخَلُ

وَيَوْمَ صَبَّحَهُمْ في الشِّعْبِ مِنْ أُحُدٍ ... ضَرْبٌ رَصِينٌ كَحَرِّ النّارِ مُشْتَعِلُ

وَيَوْمَ ذِي قَرَدٍ يَوْمَ اسْتَثار بِهِمْ ... على الجِيادِ فما خامُوا وما نَكَلُوا

وَذا العشيرةِ جاسُوها بِخَيْلِهِمُ ... مَعَ الرَّسُولِ عَلَيْها البَيْضُ والأَسَلُ

وَيَوْمَ ودّانَ أجْلَوْا أهْلَهُ رَقَصًا ... بِالخَيْلِ حَتّى نَهانا الحَزْنُ والجَبَلُ

وَلَيْلَةً طَلَبُوا فيها عَدُوَّهُمُ ... للهِ واللهُ يَجْزِيهِمْ بِما عَمِلُوا

وَغَزْوَةً يَوْمَ نَجْدٍ ثُمَّ كانَ لَهُمْ ... مَعَ الرَّسُولِ بِها الأسْلابُ والنَّفَلُ

وَلَيْلَةً بِحُنَيْنٍ جالَدُوا مَعَهُ ... فيها يَعُلُّهُمْ بِالحَرْبِ إذْ نَهِلُوا

وَغَزْوَةَ القاعِ فَرَّقْنا العَدُوَّ بِهِ ... كَما تُفَرَّقُ دُونَ المَشْرَبِ الرَّسَلُ

وَيَوْمَ بُويِعَ كانُوا أهْلَ بَيْعَتِهِ ... على الجِلادِ فآسَوْهُ وما عَدَلُوا

وَغَزْوَةَ الفَتْحِ كانُوا في سَرِيَّتِهِ ... مُرابِطِينَ فما طاشُوا وما عَجِلُوا

وَيَوْمَ خَيْبَرَ كانُوا في كَتِيبَتِهِ ... يَمْشُونَ كُلُّهُمْ مُسْتَبْسِلٌ بَطَلُ

بِالبِيضِ تَرْعَشُ في الأَيْمانِ عارِيَةً ... تَعْوَجُّ في الضَّرْبِ أَحْيانًا وتَعْتَدِلُ

وَيَوْمَ سارَ رَسُولُ اللهِ مُحْتَسِبًا ... إلى تَبُوكَ وهُمْ راياتُهُ الأُوَلُ

وَساسةُ الحَرْبِ إنْ حَرْبٌ بَدَتْ لَهُمُ ... حَتّى بَدا لَهُمُ الإقْبالُ والقَفَلُ

أُولَئِكَ القَوْمُ أَنْصارُ النَّبِيِّ وهُمْ ... قَوْمِي أَصِيرُ إلَيْهِمْ حَيْنَ أَتَّصِلُ

ماتُوا كِرامًا ولَمْ تُنْكَثْ عُهُودُهُمْ ... وقَتْلُهُمْ في سَبِيلِ اللهِ إذْ قُتِلُوا

قالَ ابنُ هِشامٍ: عَجُزُ آخِرِها بَيْتًا عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ أَيْضًا:

كُنّا مُلُوكَ النّاسِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ ... فلَمّا أتى الإسْلامُ كانَ لَنا الفَضْلُ

وَأَكْرَمَنا اللهُ الَّذي لَيْسَ غَيرَه ... إلٰه بِأيّامٍ مَضَتْ ما لَها شَكْلُ

بِنَصْرِ الإلَهِ والرَّسُولِ ودِينِهِ ... وأَلْبَسَناهُ اسْمًا مَضى ما لَهُ مِثْلُ

أُولَئِكَ قَوْمِي خَيْرُ قَوْمٍ بِأسْرِهِم ... فما عُدَّ مِنْ خَيْرٍ فقَوْمِي لَهُ أَهْلُ

يَرُبُّونَ بِالمَعْرُوفِ مَعْرُوفَ مَنْ مَضى ... ولَيْسَ عَلَيْهِمْ دُونَ مَعْرُوفِهِمْ قُفْلُ

إذا اخْتُبِطُوا لَمْ يُفْحِشُوا في نَدِيِّهِمُ ... ولَيْسَ على سُؤّالِهِمْ عِنْدَهُمْ بُخْلُ

وَإنْ حارَبُوا أَوْ سالَمُوا لَمْ يُشَبَّهُوا ... فحَرْبُهُمْ حَتْفٌ وسِلْمُهُمْ سَهْلُ

وَجارُهُمُ مُوفٍ بِعَلْياءَ بَيْتُهُ ... لَهُ ما ثَوى فينا الكَرامةُ والبَذْلُ

وَحامِلُهُمْ مُوفٍ بِكُلِّ حَمالةٍ ... تَحَمَّلَ لا غُرْمٌ عَلَيْها ولا خَذْلُ

وَقائِلُهُمْ بِالحَقِّ إنْ قالَ قائِلٌ ... وحِلْمُهُمْ عَوْدٌ وحُكْمُهُمُ عَدْلُ

وَمِنّا أَمِيرُ المُسْلِمِينَ حَياتَهُ ... ومَنْ غَسَّلَتْهُ مِنْ جَنابَتِهِ الرُّسْلُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: و قَوْلُهُ: «وَ أَلْبَسْناهُ اسْمًا» عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ:

فَصْلٌ

وَذَكَرَ كَلِمةَ حَسّانَ اللامية[1] وَفِيها: [من البسيط]

أَلَسْتُ خَيْرَ مَعَدٍّ كُلِّها نَفَرًا؟

وَحَسّانُ لَيسَ مِنْ مَعَدٍّ، وَلَكِنْه أرادَ: أَلَسْت خَيْرَ النّاسِ؟ فَأَقامَ مَعَدًّا لِكَثْرَتِها مُقامَ النّاسِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ أَيْضًا:

قَــوْمِي أُولَئِــكَ إنْ تَسْــأَلِي ... كِرامٌ إذا الضَّيْــفُ يَوْمًا أَلَمْ

عِظَــامُ القُدُورِ لِأَيْســارِهِمْ ... يَكُبُّونَ فيها المُسِــنَّ السَّنِمْ

يُؤاسُــونَ جارَهُــمْ في الغِنى ... ويَحْمُــونَ مَوْلاهُــمْ إنْ ظُلِمْ

فَكانُــوا مُلُــوكًا بِأَرْضِيهِــم ... يُنــادُونَ عَضْبًا بِأَمْرٍ غُشُــمْ

مُلُــوكًا على النّاسِ لَمْ يُمْلَكُوا ... مِن الدَّهْرِ يَوْمًا كَحِلِّ القَسَمْ

فَأَنْبَــوْا بِعــادٍ وأَشْــياعِها ... ثَمُــودَ وبَعْــضِ بَقايــا إرَمْ

بِيَثْرِبَ قَدْ شَيَّدُوا في النَّخِيلِ ... حُصُونًا ودُجِّنَ فيهــا النَّعَمْ

نَواضِــحَ قد عَلَّمتهــا اليهُو ... دُ عَــلْ إلَيْــكَ وقَــوْلًا هَلُمْ

وفِيما اشْتَهَوْا من عَصِيرِ القِطا ... فِ والعَيْشِ رَخْوًا على غَيْرِ هَمّ

فَسِرْنــا إلَيْهِــمْ بِأَثْقالِنــا ... على كُلِّ فحْــلٍ هِجــانٍ قَطِمْ

جَنَبنــا بهــنّ جِيــادَ الخُيُو ... لِ قَدْ جَلَّلُوهــا جِلالَ الأَدَمْ

فَلَمّــا أناخُوا بِجَنْــبَيْ صِرارٍ ... وشَــدُّوا السُّرُوجَ بَلِيِّ الحُزُمْ

---

(١) في النسخ: «الميمية»، وهي من القصيدة اللامية.

فما راعَهُمْ غيرُ معْج الخُيُو ... لِ والزَّحْفُ مِنْ خَلْفِهِمْ قَدْ دَهِمْ
فطارُوا سِراعًا وقَدْ أُفْزِعُوا ... وجِئْنا إلَيْهِمْ كَأُسْدِ الأُجُمْ
على كُلِّ سَلْهبة في الصّيا ... ن لا يَشْتَكِينَ نحُولَ السَّأَمْ
وَكُلِّ كُمَيْتٍ مُطارِ الفُؤادِ ... أمِينِ الفُصُوصِ كَمِثْلِ الزُّلَمْ
عَلَيْها فوارِسُ قَدْ عُوِّدُوا ... قِراعَ الكُماةِ وضَرْبَ البُهَمْ
مُلُوكٌ إذا غَشَموا في البِلا ... دِ لا يَنْكُلُونَ ولَكِنْ قُدُمْ
فَأُبنا بِساداتِهِمْ والنِّساءِ ... وأَوْلادُهُمْ فيهِمُ تُقْتَسَمْ
وَرِثْنا مَساكِنَهُمْ بَعْدَهُمْ ... وكُنّا مُلُوكًا بِها لَمْ نَرِمْ
فَلَمّا أتانا الرَّسُولُ الرَّشِيدُ ... بِالحَقِّ والنُّورِ بَعْدَ الظُّلَمْ
قُلْنا صَدَقْتَ رَسُولَ المَلِيكِ ... هَلُمَّ إلَيْنا وفينا أقِمْ
فَنَشْهَدَ أنَّكَ عَبْدُ الإلَهِ ... أُرْسِلْتَ نُورًا بِدِينٍ قِيَمْ
فَإنّا وأَوْلادَنا جُنَّةٌ ... نَقِيكَ وفي مالِنا فاحْتَكِمْ
فَنَحْنُ أُولَئِكَ إنْ كَذَّبُوكَ ... فنادِ نِداءً ولا تَحْتَشِمْ
وَنادِ بِما كُنْتَ أخْفَيْتَهُ ... نِداءً جِهارًا ولا تَكْتَتِمْ
فَسارَ الغُواةُ بِأسْيافِهِمْ ... إلَيْهِ يَظُنُّونَ أنْ يُخْتَرَمْ
فَقُمْنا إلَيْهِمْ بِأسْيافِنا ... نُجالِدُ عَنْهُ بُغاةَ الأُمَمْ
بِكُلِّ صَقِيلٍ لَهُ مَيْعَةٌ ... رَقِيقِ الذُّبابِ عَضُوضٍ خَذِمْ
إذا ما يُصادِفُ صُمَّ العِظا ... مِ لَمْ يَنْبُ عَنْها ولَمْ يَنْثَلِمْ
فَذلِكَ ما ورَّثَتْنا القُرُو ... مُ مَجْدًا تَلِيدًا وعِزًّا أشَمّ
إذا مَرَّ نَسْلٌ كَفى نَسْلُهُ ... وغادَرَ نَسْلًا إذا ما انْفَصَمْ
فَما إنْ مِنَ النّاسِ إلّا لَنا ... عَلَيْهِ وإنْ خاسَ فضْلُ النَّعَمْ

قالَ ابنُ هِشامٍ: أَنْشَدَنِي أبو زَيْدٍ الأَنْصارِيُّ بَيْتَهُ:

فَكانُوا مُلُوكًا بِأَرْضِيهِم يُنادُونَ غُضْبًا بِأَمْرٍ غُشُمْ

وأنشدني:

بِيَثْرِبَ قَدْ شَيَّدُوا في النَّخِيلِ حُصُونًا ودُجِّنَ فيها النَّعَمْ

وَبَيْتُهُ: «وَكُلِّ كُمَيْتٍ مُطارِ الفُؤادِ» عَنْهُ.

ذِكْرُ سَنةِ تِسْعٍ وتَسْمِيَتُها سَنةَ الوُفُودِ ونُزُولُ سُورةِ الفَتْحِ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: لمّا افْتَتَحَ رَسُولُ الله ﷺ مَكّةَ، وفَرَغَ مِنْ تَبُوكَ، وأَسْلَمَتْ ثَقِيفُ وبايَعَتْ، ضَرَبَتْ إلَيْهِ وُفُودُ العَرَبِ مِنْ كُلِّ وجْهٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: حَدَّثَنِي أبو عُبَيْدَةَ أنَّ ذلك في سَنةِ تِسْعٍ، وأنَّها كانَتْ تُسْمّى سَنةَ الوُفُودِ.

وَفِيها[1]: [من المتقارب]

وَنادِ جِهارًا وَلا تَحْتَشِمْ

وَفِيها رَدٌّ على مَنْ زَعَمَ أنّ الحِشْمةَ لا تَكُونُ إلّا بِمَعْنى الغَضَبِ، وَأنّها مِمّا يَضَعُها النّاسُ غَيْرَ مَوْضِعِها. وَقَدْ جاءَ عَن ابنِ عَبّاسٍ: لكلِّ طاعمٍ حِشمةٌ، فابدؤُوهُ بِاليَمِينِ، وَفِي الحَدِيثِ المَرْفُوعِ: «لا يَرْفَعَنَّ أَحَدُكُمْ يَدَهُ عَن الطّعامَ قَبْلَ أكِيلِهِ؛ [فَإنّ][2] ذَلِكَ مِمّا يَحْشِمُه»، وَأَنْشَدَ أَبُو الفَرَجِ لِمُحَمّدِ بنِ يسيرٍ، وَإِنْ

(١) هذا من القصيدة الميمية كما في (ب).

(٢) ليس في (ب).

كانَ لَيسَ مِثْلَ حَسّانَ فِي الحُجّةِ: [من المنسرح]

فِيّ انْقِبـاضٌ وَحِشْـمةٌ فَإذا جالَسْـتُ أَهْلَ الوَفاءِ والكَرَمِ
أرْسَـلْتُ نَفْسِي على سَجِيّتِها وَقُلْتُ ما شِـئتُ غيرَ مُحْتَشِمِ

وَفِيها قَوْلُهُ: [من المتقارب]

وَكانُـوا مُلُوكًا وَلَـمْ يَمْلِكُوا مِنَ الدَّهْرِ يَوْمًا كَحِلِّ القَسَـمْ

فِيهِ شاهِدٌ لِما قالَهُ ابنُ قُتَيْبَةَ فِي تَفْسِيرِ تَحِلّةِ القَسَمِ، وخلافه لأبي عُبيد، وقد قدَّمنا قولهما[١] فِيما تَقَدّمَ[٢] مِنْ شَرْحِ قَصِيدةِ كَعْبِ بنِ زُهَيْرٍ. وَأَنْشَدَ ابنُ قُتَيْبةَ[٣]: [من الطويل]

إذا عَصَفَتْ رِيحٌ فَلَيْسَ بِقائِمٍ بِهـا وَتِـدٌ إلّا تَحِلّةَ مُقْسِـمِ

وَأَنْشَدَ أَيْضًا[٤]: [من الطويل]

قَلِيلًا كَتَحْلِيـلِ الأُلى ثُمّ أَصْبَحَتْ

[البَيْتَ][٥].

---

(١) في (ف): «قوليهما».

(٢) في (ص): «مضى». وانظر: (ص٢٩٥) من هذا الجزء.

(٣) ذكره ابن قتيبة الدينوري في «إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث» (ص: ٦٤) وعزاه لابن أحمر، ولفظه:

إذا عَصَبتْ رَسْمًا فليس بدائمٍ بــه وتــدٌ إلا تَحِلَّــةَ مُقْسِـمِ

والبيت في «ديوان ابن أحمر» (ص: ١٤٨). (ج)

(٤) المصدر السابق: (ص: ٦٥)، وعزاه لذي الرمة، ولفظه:

قليلًا كتحليل الأُلى ثم قلّصَتْ به شيمةٌ رَوْعاء تقليصَ طائر

والبيت في «ديوان ذي الرمة» (ص: ٣٨٤). (ج)

(٥) عن (ب)، (ج)، (ص).

وَقَوْلُهُ: «وَعِزًّا أَشَمّ»، هُوَ كَقَوْلِ العَرَبِ: عِزَّةٌ قَعْساءُ، يُرِيدُ: شَمّاء؛ لِأَنّ الأَقْعَسَ الّذِي يَخرُجُ صدرُهُ ويَدخُلُ ظَهرُهُ، وقد فَسَّره المُبَرِّدُ[١] غَيْرَ هَذا التّفْسِيرِ، وَبَيْتُ حَسّانَ يَشْهَدُ لِما قُلْناهُ، إنّما هُوَ الشّمَمُ الّذِي يُوصَفُ بِهِ ذُو العِزّةِ [القَعْساء][٢]، فَوُصِفَتِ العِزّةُ بِهِ مَجازًا.

[انْقِيادُ العَرَبِ وإسْلامُهُمْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وإنَّما كانَتِ العَرَبُ تَرَبَّصُ بِالإسْلامِ أَمْرَ هذا الحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ وأَمْرَ رَسُولِ الله ﷺ؛ وذلك أَنَّ قُرَيْشًا كانُوا إمامَ النّاسِ وهادِيَهُمْ، وأَهْلَ البَيْتِ الحَرامِ، وصَرِيحَ وَلَدِ إسْماعِيلَ بنِ إبْراهِيمَ عَلَيْهِما السَّلامُ، وقادةَ العَرَبِ، لا يُنْكِرُونَ ذلك، وكانَتْ قُرَيْشٌ هِيَ الّتِي نَصَبَتْ لِحَرْبِ رَسُولِ الله ﷺ وخِلافَهُ، فلَمّا افْتُتِحَتْ مَكّةُ، ودانَتْ لَهُ قُرَيْشٌ، ودَوَّخَها الإسْلامُ، و عَرَفَتِ العَرَبُ أَنَّهُ لا طاقةَ لَهُمْ بِحَرْبِ رَسُولِ الله ﷺ ولا عَداوَتِهِ، فدَخَلُوا في دِينِ الله - كما قالَ عَزَّ وجَلَّ - أَفْواجًا، يَضْرِبُونَ إلَيْهِ مِنْ كُلِّ وجْهٍ، يَقُولُ الله تَعالى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١-٣] أي: فاحْمَدِ الله على ما أَظْهَرَ مِنْ دِينِكَ، واسْتَغْفِرْهُ إنَّهُ كانَ تَوّابًا.

فَصْلٌ

وَذَكَرَ سُورةَ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [مفتتح النصر]. وتفسيرُهُ لها في الظاهر

(١) انظر: «الكامل» (٢: ٧٧٣).

(٢) ليس في (ح).

خلافُ ما ذَكَرَهُ ابنُ عَبّاسٍ حِينَ سَألَهُ[١] عُمَرُ عَنْ تَأْوِيلِها، فَأَخْبَرَهُ أنّ اللهَ تَعالى أعْلَمَ فِيها نَبِيَّهُ عَلَيْهِ السّلامُ بانْقِضاءِ أجَلِهِ، فَقالَ [لَهُ][٢] عُمَرُ: ما أعْلَمُ مِنْها إلّا ما قُلْتَ[٣]. وَظاهِرُ الكَلامِ يَدُلُّ على ما قالَهُ ابنُ عَبّاسٍ وَعُمَرُ؛ لِأنّ اللهَ سبحانه لَمْ يَقُلْ: فاشْكُرْ رَبّك واحْمَدْهُ، كَما قالَ ابنُ إسْحاقَ، إنّما قالَ: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾ [النصر: ٣] فَهَذا أمْرٌ لِنَبِيّهِ ﷺ بِالِاسْتِعْدادِ لِلِقاءِ رَبِّهِ والتَّوْبَةِ إلَيْهِ، وَمَعْناها الرُّجُوعُ عَمّا كانَ بِسَبِيلِهِ مِمّا أُرْسِلَ بِهِ مِنْ إظْهارِ الدِّينِ، إذْ قَدْ فَرَغَ مِنْ ذَلِكَ، وَتَمّ مُرادُهُ فِيهِ، فَصارَ جَوابُ «إذا» مِنْ قَوْلِهِ سبحانه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ * وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴾ [النصر: ١-٢] مَحْذُوفًا. وَكَثِيرًا ما يَجِيءُ فِي القُرْآنِ الجَوابُ مَحْذُوفًا، والتَّقْدِيرُ: إذا جاءَ نَصْرُ اللهِ والفَتْحُ، فَقَد انْقَضى الأمْرُ، وَدَنا الأجَلُ، وَحانَ اللّقاءُ، ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾ [النصر: ٣]. ووقع في «مسند البزّار» مُبَيّنًا مِنْ قَوْلِ ابنِ عَبّاسٍ فَقالَ فِيهِ: «فَقَدْ دَنا أجَلُك فَسَبِّحْ»[٤]، هَذا المَعْنى هُوَ الّذِي فَهِمَهُ ابنُ عَبّاسٍ، وَهُوَ حَذْفُ جَوابِ «إذا»، وَمَنْ لم يَتَنَبّهْ لِهَذِهِ النُّكْتةِ حَسِبَ أنّ جَوابَ «إذا» في قوله: ﴿ فَسَبِّحْ ﴾، كَما تَقُولُ: إذا جاءَ رَمَضانُ فَصُمْ، وَلَيْسَ فِي هَذا التَّأْوِيلِ مِن المُشاكَلةِ لِما قَبْلَهُ ما فِي تَأْوِيلِ ابنِ عَبّاسٍ، فَتَدَبّرْهُ، فَقَدْ وافَقَهُ عَلَيْهِ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَحَسْبُك بِهِما فَهْمًا في كِتابِ اللهِ تَعالى، فالفاءُ على قَوْلِ ابنِ عَبّاسٍ رابِطةٌ لِلْأمْرِ بِالفِعْلِ المَحْذُوفِ، وَعلى ما ظَهَرَ لِغَيْرِهِ رابِطةٌ لِجَوابِ الشّرط الذي في «إذا».

---

(١) في (ب): «سأل».

(٢) ليس في (ب).

(٣) «فتح الباري»، تفسير سورة (إذا جاء نصر الله): (٨: ٧٣٤-٧٣٥).

(٤) «مسند البزار» (البحر الزخار) رقم (١٩٢). (ج)

قُدُومُ وفْدِ بَنِي تَمِيمٍ ونُزُولُ سُورةِ الحُجُراتِ

[رِجالُ الوَفْدِ]

فَقَدِمَتْ على رَسُولِ الله ﷺ وُفُودُ العَرَبِ، فقَدِمَ عَلَيْهِ عُطارِدُ بن حاجِبِ ابنِ زُرارةَ بنِ عُدَس التَّمِيمِيُّ، في أشْرافِ بَنِي تَمِيمٍ، مِنْهُم الأقْرَعُ بنُ حابِسٍ التَّمِيمِيُّ، والزِّبْرِقانُ بنُ بَدْرٍ التَّمِيمِيُّ، أحَدُ بَنِي سَعْدٍ، وعَمْرُو بنُ الأهْتَمِ، والحَبْحابُ بنُ يَزِيدَ.

قُدُومُ الوُفُودِ

مِنْ أصَحِّ ما جاءَ فِي هَذا البابِ حَدِيثُ [وَفْدِ][1] عَبْدِ القَيْسِ، وَهُم الّذِينَ قالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَرْحَبًا بِالوَفْدِ غَيْرَ خَزايا وَلا نَدامى»، وَقَدْ تكَرّرَ حَدِيثُهُمْ فِي الصَّحِيحَيْنِ[2] دُونَ تَسْمِيةِ أحَدٍ مِنْهُمْ:

فَمِنْهُمْ: أشَجُّ عَبْدِ القَيْسِ، وَهُوَ المُنْذِرُ بنُ عائِذٍ، قالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إنّ فِيك خُلُقَين يُحِبّهُما اللهُ وَرَسُولُهُ: الحِلْمُ والأناةُ»[3].

وَمِنْهُمْ: أبُو الوازِعِ [الزّارِعُ][4] بنُ عامِرٍ، ....

(١) سقط من (ب).

(٢) أخرجه الشيخان في كتاب الإيمان، «فتح الباري» (١: ١٢٩)، ومسلم: (١: ٤٧).

(٣) مسلم، كتاب الإيمان: (١: ٤٨).

(٤) عن (س)، (ف). وانظر: «أسد الغابة» (٢: ٢٤٥).

وابنُ أُخْتِهِ[١] مَطَرُ بنُ هِلالٍ العَنَزِيّ. وَلَمّا ذَكَرُوا لِلنّبِيِّ ﷺ أَنّهُ ابنُ أُخْتِهِمْ قالَ: «ابنُ أُخْتِ القَوْمِ مِنْهُمْ»[٢].

وَمِنْهُمْ: ابنُ أَخِي الزّارِعِ، وَكانَ مَجْنُونًا، فَجاءَ بِهِ مَعَهُ لِيَدْعُوَ لَهُ النّبِيُّ ﷺ، فَمَسَحَ ظَهْرَهُ، وَدَعا لَهُ، فَبَرِئَ لِحِينِهِ، وَكانَ شَيْخًا كَبِيرًا فَكُسِيَ شَبابًا وجَمالًا، حَتّى كأَنَّ وَجْهَهُ وَجْهُ العَذْراءِ[٣].

وَمِنْهُم: الجَهْمُ بنُ قُثَمَ، لمّا نَهاهُم النّبِيّ ﷺ عَن الشّرْبِ فِي الأَوْعِيةِ وَحَذّرَهُمْ ما يَقَعُ فِي ذَلِكَ مِن الجِراحِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنّهُمْ إذا شربوا المُسكرَ عَمَدَ أَحَدُهُمْ إِلى ابنِ عَمّهِ فَجَرَحَهُ، وَكانَ فِيهِمْ رَجُلٌ قَدْ جُرِحَ فِي ذَلِكَ وَكانَ يُخْفِي جُرْحَهُ وَيَكْتُمُهُ، وَذَلِكَ الرّجُلُ هُوَ جَهْمُ بنُ قُثَمَ، عَجِبُوا مِنْ عِلْمِ النّبِيّ ﷺ بِذَلِكَ، وَإِشارَتِهِ إِلى ذَلِكَ الرّجُلِ[٤].

وَمِنْهُمْ: أَبُو خَيْرَةَ الصُّباحِيُّ مِنْ بَنِي صُباحِ بنِ لُكَيْزٍ مِنْ حَدِيثِهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنّهُ قالَ: «اللهُمّ اغْفِرْ لِعَبْدِ القَيْسِ، وَأَنّهُ زَوّدَهُم الأراكَ يَسْتاكُونَ بِهِ»[٥].

وَمِنْهُمْ: مَزِيدةُ العَصَري جَدُّ هُودِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ سَعْدِ بن مَزِيدةَ، وَعلى هُودٍ يَدُورُ حَدِيثُهُ فِي التَّمْرِ البَرْنِيّ، وَأَنّهُ دَواءٌ، وَلَيْسَ فِيهِ داءٌ.

---

(١) الذي في «أسد الغابة» أنه أخوه لأمه.

(٢) الحديث أخرجه البخاري بإسناده إلى أنس في كتاب الفرائض، «فتح الباري» (١٢: ٤٨)، ولم يذكر فيه سياق الرواية التي هنا.

(٣) انظر ترجمة الزارع بن عامر في «أسد الغابة» (٢: ٢٤٥) ففيها أن المجنون ابنه أو ابن أخته.

(٤) انظر: «أسد الغابة» (١: ٣٦٨).

(٥) «أسد الغابة» (٦: ٩٤).

وَمِنْهُمْ: قَيْسُ بنُ النّعْمانِ، ذَكَرَهُ أَبُو داوُدَ فِي كِتابِ الأشْرِبةِ[1]، [فَهَذا ما بَلَغَنِي مِنْ تَسْمِيةِ مَنْ وَفَدَ على النّبيّ ﷺ [فِي وَفْدِ عَبْدِ القَيْسِ][2].

[شَيْءٌ عَنِ الحُتاتِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: الحُتاتُ وهُوَ الَّذي آخى رَسُولَ الله ﷺ بَيْنَهُ وبَيْنَ مُعاوِيَةَ ابنِ أبي سُفيانَ، وكانَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ آخى بَيْنَ نَفَرٍ من أصْحابِهِ مِن المُهاجِرِينَ، بَيْنَ أبي بَكْرٍ وعُمَرَ، وبَيْنَ عُثْمانَ بن عَفّانَ وعَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ، وبَيْنَ طَلْحةَ بنِ عُبَيْدِ الله والزُّبَيرِ بنِ العَوّامِ، وبَيْنَ أبي ذَرٍّ الغِفارِي والمِقْدادِ بنِ عَمْرٍو البَهْرانِيِّ، وبَيْنَ مُعاوِيَةَ بنِ أبي سُفيانَ والحُتاتِ بنِ يَزِيدَ المُجاشِعِيِّ، فماتَ الحُتاتُ عِنْدَ مُعاوِيَةَ في خِلافَتِهِ، فأَخَذَ مُعاوِيَةُ ما تَرَكَ وِراثَةً بِهَذِهِ الأُخُوّةِ، فقالَ الفَرَزْدَقُ لِمُعاوِيَةَ:

أبوكَ وعَمِّي يا مُعاوِيَ أَوْرَثا ... تُراثًا فيحْتازُ التُّراثَ أقارِبُهْ

فَما بالُ مِيراثِ الحُتاتِ أَكَلْتَهُ ... ومِيراثِ حَرْبٍ جامِدٌ لَكَ ذائِبُهْ

وَهذانِ البَيْتانِ في أبْياتٍ لَهُ.

وَذَكَرَ فِي الوُفُودِ الحُتاتَ بنَ يَزِيدَ وَقَوْلَ الفَرَزْدَقِ لِمُعاوِيةَ فِيهِ: [من الطويل]

فَما بالُ مِيراثِ الحُتاتِ أَكَلْتَه؟

البَيْتَ، وَبَعْدَهُ فِي غَيْرِ «سِيرةِ ابنِ إسْحاقَ»[3]: [من الطويل]

---

(١) «سنن أبي داود»، كتاب الأشربة: (٣: ٣٣١).

(٢) ليس في (ب)، (ف).

(٣) «ديوان الفرزدق» (١: ٤٥)، وفيه يروى:

ولو كان هـذا الأمرُ في غير ملككم ... لأبديتُـه، أو غصَّ بالماءِ شـاربُهْ

فَلَوْ أنّ هَذا كانَ فِي غَيْرِ مُلْكِكُمْ لَبُؤْتُ بِها أوْ غَصَّ بِالماءِ شارِبُهْ

[سائِرُ رِجالِ الوَفْدِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وفي وفْدِ بَنِي تَمِيمٍ نُعَيْمُ بنُ يَزِيدَ، وقَيْسُ بنُ الحارِثِ، وقَيسُ بنُ عاصِمٍ، أخُو بَنِي سَعْدٍ، في وفْدٍ عَظِيمٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: و عُطارِدُ بنُ حاجِبٍ، أحَدُ بَنِي دارِمِ بنِ مالِكِ بنِ حَنْظَلَةَ ابنِ مالِكِ بنِ زَيْدِ مَناةَ بنِ تَمِيمٍ، والأقْرَعُ بنُ حابِسٍ، أحَدُ بَنِي دارِمِ بنِ مالِكٍ، والحُتاتُ بنُ يَزِيدَ، أحَدُ بَنِي دارِمِ بنِ مالِكٍ، والزِّبْرِقانُ بنُ بَدْرٍ، أحَدُ بَنِي بَهْدَلَةَ بنِ عَوْفِ بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ زَيْدِ مَناةَ بنِ تَمِيمٍ، وعَمْرُو بنُ الأهْتَمِ، أحَدُ بَنِي مِنْقَرِ بن عُبَيْدِ بنِ الحارِثِ بنِ عَمْرِو بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ ابنِ زَيْدِ مَناةَ بنِ تَمِيمٍ، وقِيسُ بنُ عاصِمٍ، أحَدُ بَنِي مِنْقَرِ بنِ عُبَيْدِ بنِ الحارِثِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومَعَهُمْ عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنِ بنِ حُذَيْفَةَ بنِ بَدْرٍ الفَزارِيُّ، وقَدْ كانَ الأقْرَعُ بنُ حابِسٍ، وعُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ شَهِدا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فتْحَ مَكّةَ وحُنَيْنًا والطّائِفَ.

[صِياحُهُمْ بِالرَّسُولِ وكَلِمةُ عُطارِدٍ]

فَلَمّا قَدِمَ وفْدُ بَنِي تَمِيمٍ كانا مَعَهُمْ، فلَمّا دَخَلَ وفْدُ بَنِي تَمِيمٍ المَسْجِدَ نادَوْا رَسُولَ الله ﷺ مِنْ وراءِ حُجُراتِهِ: أنِ اخْرُجْ إلَيْنا يا مُحَمَّدُ، فآذى ذلكَ رَسُولَ الله ﷺ مِنْ صِياحِهِمْ، فخَرَجَ إلَيْهِمْ، فقالُوا: يا مُحَمَّدُ، جِئْناكَ نُفاخِرُكَ، فأْذَنْ لِشاعِرِنا وخَطِيبِنا، قالَ: «قَدْ أذِنْتُ لِخَطِيبِكُمْ فلْيَقُلْ»، فقامَ عُطارِدُ ابنُ حاجِبٍ فقالَ: الحَمْدُ لله الَّذي لَهُ عَلَيْنا الفَضْلُ والمَنُّ، وهُوَ أهْلُهُ، الَّذي

جَعَلَنا مُلُوكًا، ووَهَبَ لَنا أَمْوالًا عِظامًا، نَفْعَلُ فيها المَعْرُوفَ، وجَعَلَنا أعَزَّ أَهْلِ المَشْرِقِ وأَكْثَرَهُ عَدَدًا، وأَيْسَرَهُ عُدَّةً، فَمَنْ مِثْلُنا في النّاسِ؟ أَلَسْنا بِرُؤُوسِ النّاسِ وأُولِي فضْلِهِمْ؟ فَمَنْ فاخَرَنا فلْيُعَدِّدْ مِثْلَ ما عَدَّدْنا، وإنّا لَوْ نَشاءُ لَأَكْثَرْنا الكَلامَ، ولَكِنّا نَحْيَا مِنَ الإكْثارِ فيما أعْطانا، وإنّا نُعْرَفُ بِذلك. أَقُولُ هذا لِأَنْ تَأْتُوا بِمِثْلِ قَوْلنا، وأَمْرٍ أَفْضَلَ مِنْ أَمْرِنا. ثُمَّ جلَسَ.

وَذَكَرَ فِيهِمْ عُطارِدَ بنَ حاجِبِ بنِ زُرارةَ، وَهُوَ صاحِبُ الحُلّةِ الّتِي قالَ فِيها النّبِيُّ ﷺ: «إنّما يَلْبَسُ هَذِهِ الحُلّةَ مَنْ لا خَلاقَ لَهُ»، وَقَوْل عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَتَكْسُونِي هَذِهِ وَقَدْ قُلْتَ فِي حُلّةِ عُطارِدٍ ما قُلْتَ»[1]، وَكانَ سَبَبُ تِلْكَ الحُلّةِ أنّ حاجِبَ بنَ زُرارةَ أبا عُطارِدٍ كانَ وَفَدَ على كِسْرى لِيَأْخُذَ مِنْهُ أمانًا لِقَوْمِهِ لِيَقْرُبُوا مِنْ رِيفِ العِراقِ لِجَدْبٍ أصابَ بِلادَهُمْ، فَسَأَلَهُ كِسْرى رُهُنًا لِيَسْتَوْثِقَ[2] بِها مِنْهُمْ، فَدَفَعَ إلَيْهِ قَوْسَهُ رَهِينَةً، فاسْتَحْمَقَهُ المَلِكُ وَضَحِكَ مِنْهُ، فَقِيلَ لَهُ: أَيّها المَلِكُ، إنّهُم العَرَبُ، لَوْ رَهَنَك أحَدُهُمْ تِبنةً ما أَسْلَمَها غَدْرًا، فَقَبِلَها مِنْهُ كِسْرى، فَلَمّا أَخْصَبَتْ بِلادُهُم انْشمرُوا راجِعِينَ إلَيْها، وَجاءَ حاجِبٌ يَطْلُبُ قَوْسَهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ كَساهُ كِسْرى تِلْكَ الحُلّةَ الّتِي كانَتْ عِنْدَ عُطارِدٍ المَذْكُورةَ فِي جامِعِ «المُوَطّأ»[3]. ذَكَرَهُ ابنُ قُتَيْبَةَ فِي «المَعارِفِ»[4] أَوْ مَعْناهُ، وَفِي «المُوَطّأ»

---

(١) أخرجه الشيخان، «فتح الباري»، كتاب الجمعة: (٢: ٣٧٣-٣٧٤)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة: (٣: ١٦٣٨).

(٢) في (ب): «ليتوثق».

(٣) «الموطأ»، كتاب اللباس: (٢: ٩١٧-٩١٨).

(٤) «المعارف» (ص: ٦٠٨).

أنّ عُمَرَ رَضِيَ الله عنه كسا الحلّة أخًا له مُشْرِكًا بِمَكّةَ، قالَ ابنُ الحَذّاءِ[١]: كانَ أخاهُ لِأُمّهِ، واسْمُهُ: عُثْمانُ بنُ حَكِيمٍ الثّقَفِيّ، وَهُوَ جَدُّ سَعِيدِ بنِ المُسَيَّبِ لِأُمِّهِ، هَكَذا ذَكَرَ[٢] فِي «تَسْمِيةِ رِجالِ المُوَطّأ»، وَغَلِطَ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أحَدُهُما: أنّهُ قالَ: كانَ أخا عُمَرَ لِأُمّهِ، وإنما هو أخو زيد بن الخَطّابِ لِأُمّهِ أسْماءَ بِنْتِ وَهْبِ بنِ أسَدِ بنِ خُزَيْمةَ، وَأمّا أُمُّ عُمَرَ فَهِيَ حَنْتَمةُ بِنْتُ هاشِمِ بنِ المُغِيرةِ[٣].

والغَلَطُ الثّانِي: أنّهُ جَعَلَهُ ثَقَفِيًّا، وَإِنّما هُوَ سُلَمِيٌّ، وَهُوَ عُثْمانُ بنُ حَكِيمِ بنِ أُميّةِ بنِ مُرّةَ بنِ هلالِ بنِ فالِجِ بنِ ذَكْوانَ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ بُهْثَةَ بنِ سُلَيْمٍ، هَكَذا نَسَبَهُ الزُّبَيْرُ، وَبِنْتُهُ أُمّ سعيد وَلَدَتْ [سَعِيدَ][٤] بنَ المُسَيَّبِ[٥].

وذكر فيهم عمرَو بنَ الأهتمِ وَنَسَبَهُ، واسْمُ الأهْتَمِ: سُمَيُّ بنُ سِنانٍ، وَهُوَ جَدُّ شَبِيبِ بنِ شَيْبَةَ وَخالِدِ بنِ صَفْوانَ الخَطِيبَيْنِ البَلِيغَيْنِ، وَسُمِّيَ سُمَيٌّ بِالأهْتَمِ؛ لِأنّ قَيْسَ بنَ عاصِمٍ ضَرَبَهُ فَهَتَمَ فاهُ.

* * *

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أحمد القرطبي، له كتاب «التعريف في رجال الموطأ»، توفي في سنة (٤١٦هـ) عن ثمانين سنة. انظر: «العبر» للذهبي: (٣: ١٢٢-١٢٣)، و«فهرسة ابن خير» (ص: ٩٣)، و«الأعلام» للزركلي: (٧: ١٣٦).

(٢) في (ف): «ذكره».

(٣) كتاب «نسب قريش» لمصعب الزبيري: (ص: ٣٤٧-٣٤٨).

(٤) ليس في (ب).

(٥) بعده في (ص) وحدها: «وهو قول الحسن». وهو من خطأ الناسخ، وستأتي هذه الجملة بعد أسطر عقب قوله: «إن الكرسي في القرآن هو العرش».

[كَلِمةُ ثابِتٍ في الرَّدِّ على عُطارِدٍ]

فَقالَ رَسُولُ الله ﷺ لِثابِتِ بن قَيْسِ بنِ الشَّمّاسِ، أَخِي بَنِي الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ: «قُمْ فأَجِبِ الرَّجُلَ في خُطْبَتِهِ». فقامَ ثابِتٌ فقالَ: الحَمْدُ لله الَّذي السَّمواتُ والأرْضُ خَلْقُهُ، قَضى فيهِنَّ أمْرَهُ، ووَسِعَ كُرْسِيَّهُ عِلْمُهُ، ولَمْ يَكُ شَيْءٌ قَطُّ إلّا مِنْ فضْلِهِ، ثُمَّ كانَ مِنْ قُدْرَتِهِ أنْ جَعَلَنا مُلُوكًا، واصْطَفى مِنْ خَيْرِ خَلْقِهِ رَسُولًا، أكْرَمَهُ نَسَبًا، وأصْدَقَهُ حَدِيثًا، وأفْضَلَهُ حَسَبًا، فأنْزَلَ عَلَيْهِ كِتابَهُ وائْتَمَنَهُ على خَلْقِهِ، فكانَ خِيرَةَ الله مِن العالَمِينَ، ثُمَّ دَعا النّاسَ إلى الإيمانِ بِهِ، فآمَنَ بِرَسُولِ الله المُهاجِرُونَ مِنْ قَوْمِهِ وذَوِي رَحِمِهِ، أكْرَمُ النّاسِ حَسَبًا، وأحْسَنُ النّاسِ وُجُوهًا، وخَيْرُ النّاسِ فِعالًا. ثُمَّ كانَ أوَّلَ الخَلْقِ إجابَةً، واسْتَجابَ لله حِينَ دَعاهُ رَسُولُ الله ﷺ نَحْنُ، فنَحْنُ أنْصارُ الله ووُزَراءُ رَسُولِهِ، نُقاتِلُ النّاسَ حَتّى يُؤْمِنُوا بالله، فمَنْ آمَنَ بالله ورَسُولِهِ مَنَعَ مِنّا مالَهُ ودَمَهُ، ومَنْ كَفَرَ جاهَدْناهُ في الله أبَدًا، وكانَ قَتْلُهُ عَلَيْنا يَسِيرًا. أقُولُ قَوْلِي هذا وأسْتَغْفِرُ الله لِي ولِلْمُؤْمِنِينَ والمُؤْمِناتِ، والسَّلامُ عَلَيْكُمْ.

وَذَكَرَ خُطْبَةَ ثابِتِ بنِ قَيْسٍ، وَفِيها: ووَسِعَ كُرْسِيَّهُ عِلْمُهُ، وَفِيهِ رَدٌّ على مَنْ قالَ: الكُرْسِيُّ هُوَ العِلْمُ، وَكَذَلِك مَنْ قالَ: هُوَ القُدْرةُ؛ لِأَنَّهُ لا تُوصَفُ القُدْرةُ والعِلْمُ بأنّ العِلْمَ وَسِعَهما، وَإِنّما كُرْسِيُّهُ ما أحاطَ بِالسَّمواتِ والأرَضِين، وَهُوَ دُونَ العَرْشِ كَما جاءَتْ بِهِ الآثارُ، فَعِلْمُهُ سُبْحانَهُ قَدْ وَسِعَ الكُرْسِيَّ بِما حَواهُ مِنْ دَقائِقِ الأشْياءِ وَجَلائِلِها وَجُمَلِها وَتَفاصِيلِها.

وَقَدْ قِيلَ: إنّ الكُرْسِيَّ فِي القُرْآنِ هُوَ العَرْشُ، وَهُوَ قَوْلُ الحَسَنِ، [وَفِي هَذا الحَدِيثِ ما يَكادُ أنْ يَكُونَ حُجّةً لِهَذا القَوْلِ؛ لِأَنّهُ لَمْ يُرِدْ أنّ العِلْمَ وَسِعَ الكُرْسِيّ، فما دونَهُ على الخُصُوصِ، دُونَ ما فَوْقَهُ، فَجائِزٌ أنْ يُرِيدَ بِهِ العَرْشَ وَما تَحْتَهُ، واللهُ أعْلَمُ.

فَإنْ صَحَّتِ الرِّوايةُ عَن ابنِ عَبّاسٍ أنّ الكُرْسِيّ هُوَ العِلْمُ، فَمُؤَوّلةٌ، كَأنّهُ لَمْ يَقْصِدْ تَفْسِيرَ لَفْظِ الكُرْسِيّ، وَلَكِنْ أشارَ إلى أنّ مَعْنى العِلْمِ والإحاطةِ يُفْهَمُ مِن الآيةِ[1]؛ لِأنّ الكُرْسِيّ الّذِي هُوَ عِنْدَ العَرَبِ مَوْضِعُ القَدَمَيْنِ مِنْ سَرِيرِ المَلِكِ إذا وَسِعَ ما وَسِعَ، فَقَدْ وَسِعَهُ عِلْمُ المَلِكِ وَمُلْكُهُ وَقُدْرَتُهُ، وَنَحْو هَذا، فَلَيْسَ فِي أنْ يَسَعَ الكُرْسِيُّ ما وَسِعَهُ مَدْحٌ وَثَناءٌ على المَلِكِ سُبْحانَهُ، إلّا مِنْ حَيْثُ تَضَمُّنُ سَعةِ العِلْمِ والمُلْكِ، وَإلّا فَلا مَدْحَ فِي وَصْفِ الكُرْسِيِّ بِالسّعةِ، والآيةُ لا مَحالةَ واردةٌ فِي مَعْرِضِ المَدْحِ والتّعْظِيمِ لِلْعَلِيّ العَظِيمِ الّذِي لا يَؤُودُهُ حِفْظُ مَخْلُوقاتِهِ كُلِّها، وَهُوَ الحَيّ القَيّومُ][2].

وَقَوّى الطّبَرِيُّ قَوْلَ ابنِ عَبّاسٍ، واحْتَجّ [لَهُ][3] بِقَوْلِهِ عَزّ وجل: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَبِأنّ العَرَبَ تُسَمِّي العُلَماءَ: كَراسِيّ. قالَ: وَمِنْهُ سُمِّيَت الكُرّاسة لِما تَضَمُّه وَتَجْمَعُهُ مِن العِلْمِ، وَأَنْشَدَ[4]: [من الكامل]

تَحُفُّهُمْ بِيــضُ الوُجُوهِ وَعُصْبَةٌ ... كَراسِيُّ بِالأحْداثِ حينَ تَنُوبُ

أي: عالمون بالأحداث.

---

(١) في (ب): «من معنى الآية».

(٢) هذه الفقرة مذكورة في (ص) بعد قوله: «أي: عالمون بالأحداث» في تفسير البيت.

(٣) ليس في (ب)، (ف).

(٤) «تفسير الطبري» (طبعة دار السلام): (٢: ١٤٩٠-١٤٩١).

[شِعْرُ الزِّبْرِقانِ في الفَخْرِ بِقَوْمِهِ]

فَقامَ الزِّبْرِقانُ بنُ بَدْرٍ فقالَ:

نَحْـنُ الكِرامُ فـلا حَيَّ يُعادِلُنا ... مِنّا المُلُـوكُ وفينا تُنْصَبُ البِيَعُ
وَكَمْ قَسَرْنا مِـن الأحْياءِ كُلِّهِم ... عِنْدَ النِّهـابِ وفَضْلُ العِزِّ يُتَّبَعُ
وَنَحْنُ يُطْعِمُ عِنْدَ القَحْطِ مُطْعِمُنا ... مِنَ الشِّـواءِ إذا لَمْ يُؤْنَس القَزَعُ
بِما تَرى النّـاسَ تَأْتِينا سُراتُهُمْ ... مِـنْ كُلِّ أرْضٍ هُوِيًّا ثُمَّ تَصْطَنِعُ
فَنَنْحَرُ الكُومَ عُبْطًا في أرُومَتِنا ... لِلنّازِلِـينَ إذا ما أُنْزِلُوا شَـبِعُوا
فَـلا تَرانـا إلى حَيٍّ نُفاخِرُهُمْ ... إلّا اسْتَفادُوا فكانُوا الرَّأْسَ يُقْتَطَعُ
فَمَـنْ يُفاخِرُنـا في ذاكَ نَعْرِفُهُ ... فيَرْجِعُ القَوْمُ والأخْبارُ تُسْـتَمَعُ
إنّـا أبَيْنًـا ولا يَأْبى لَنـا أحَدٌ ... إنّا كَذلك عِنْدَ الفَخْـرِ نَرْتَفِعُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُرْوى:

مِنّا المُلُوكُ وفينا تُقْسَمُ الرّبَعُ

ويُروى:

من كُلِّ أرْضٍ هَوانا ثُمَّ نُتَّبَعُ

رَواهُ لِي بَعْضُ بَنِي تَميمٍ، وأكْثَرُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُها لِلزِّبْرِقانِ.

وَذَكَرَ شِعْرَ الزِّبْرِقانِ، وَأنّ بَعْضَ النّاسِ يُنْكِرُ الشِّعْرَ لَهُ، وَذَكَرَ البَرْقِيُّ أنّ الشِّعْرَ لِقَيْسِ بنِ عاصِمٍ المِنْقَرِيّ، وَكانَ الزِّبْرِقانُ يُرْفَعُ لَهُ بَيْتٌ مِنْ عَمائِمَ وَثِيابٍ،

وَيُنْضَحُ بِالزَّعْفَرانِ والطِّيبِ، وَكانَتْ بَنُو تَمِيمٍ تَحُجُّ ذَلِكَ البَيْتَ. قالَ الشّاعِرُ، وَهُوَ المُخَبَّلُ السَّعْدِيّ، واسْمُهُ: كَعْبُ بنُ رَبِيعَةَ بنِ قِتالٍ[١]: [من الطويل]

وَأَشْهَد مِنْ عَوْفٍ حُلُولًا كَثِيرةً يَحُجُّونَ سِبَّ الزِّبْرِقانِ المُزَعْفَرا

والسِّبُّ: العِمامةُ، وَأَحْسَبُهُ أَشارَ إِلى هَذا المَعْنى بِقَوْلِهِ: [من البسيط]

بِما تَرى النّاسَ تَأْتِينا سَراتُهُمُ

...البَيْتَ. وَلَيْسَ السَّراةُ جَمْعَ سَرِيٍّ كَما ظَنُّوا، وَإِنّما هُوَ كَما تَقُولُ: ذِرْوَتُهُمْ وَسَنامُهُمْ، وَسَراةُ كُلّ شَيْءٍ: أَعْلاهُ، وَقَدْ أَوْضَحْناهُ فِيما مَضى مِنْ هَذا الكِتابِ[٢].

والزِّبْرِقانُ مِنْ أَسْماءِ القَمَرِ. قالَ الشّاعِرُ[٣]: [من الوافر]

تُضِيءُ بِهِ المَنابِرُ حِينَ يَرْقى عَلَيْها مِثْلَ ضَوْءِ الزِّبْرِقانِ

والزِّبْرِقانُ أَيْضًا: الخَفِيفُ العارِضَيْنِ، وَكانَتْ لَهُ ثَلاثَةُ أَسْماء: الزّبْرِقانُ والقَمَرُ والحُصَيْنُ، وَثَلاثُ كُنًى: أَبُو العَبّاسِ، وَأَبُو شَذْرةَ، وَأَبُو عَيّاشٍ، وَهُوَ الزِّبْرِقانُ بنُ بَدْرِ بنِ امْرِئِ القَيْسِ بنِ خَلَفِ بنِ بَهْدَلَةَ بنِ عَوْفِ بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ ابنِ زَيْدِ مَناةَ بنِ تَمِيمٍ[٤].

* * *

(١) «البيان والتبيين» (٣: ٩٧).

(٢) انظر: (٥: ٣٥١).

(٣) البيت في اللسان: (زبرق).

(٤) «الشعر والشعراء» (ص: ٣٠٥).

[شِعْرُ حَسّانَ في الرَّدِّ على الزِّبْرِقانِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ حَسّانُ غائِبًا، فبَعَثَ إلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ، قالَ حَسّانُ: جاءَنِي رَسُولُهُ فأخْبَرَنِي أنَّهُ إنَّما دَعانِي لِأُجِيبَ شاعِرَ بَنِي تَمِيمٍ، فخَرَجْتُ إلى رَسُولِ الله ﷺ وأنا أقُولُ:

مَنَعْنا رَسُــولَ الله إذْ حَلَّ وسْطَنا ... على أنْف راضٍ مِــنْ مَعَدٍّ وراغِمِ
مَنَعْنــاهُ لَـمّــا حَــلَّ بَــيْنَ بُيُوتِنا ... بِأسْــيافِنا مِــنْ كُلِّ بــاغٍ وظالِمِ
بِبَيْــتٍ حَرِيــدٍ عِــزُّهُ وثَــراؤُهُ ... بِجابِيةِ الجَوْلانِ وسْــطَ الأعاجِمِ
هَل المجد إلّا السّؤدد العَوْدُ والنَّدى ... وجاهُ المُلُــوكِ واحْتِمالُ العَظائِمِ

قالَ: فلَمّا انْتَهَيْتُ إلى رَسُولِ الله ﷺ، وقامَ شاعِرُ القَوْمِ، فقالَ ما قالَ، عَرَضْتُ في قَوْلِهِ، وقُلْتُ على نَحْوِ ما قالَ. قالَ: فلَمّا فرَغَ الزِّبْرِقانُ، قالَ رَسُول الله ﷺ لِحَسّانَ بنِ ثابِتٍ: «قُمْ يا حَسّانُ فأجِبِ الرَّجُلَ فيما قالَ»، فقامَ حَسّانُ فقالَ:

إنَّ الذَّوائِــبَ مِنْ فِهْــرٍ وإخْوَتِهِمْ ... قَــدْ بَيَّنُــوا سُــنَّةً لِلنّــاسِ تُتَّبَعُ
يَرْضى بِهِمْ كُلُّ مَنْ كانَتْ سَرِيرَتُهُ ... تَقْــوى الإلَهِ وكُلَّ الخَــيْرِ يَصْطَنِعُ
قَــوْمٌ إذا حارَبُــوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ ... أوْ حاوَلُوا النَّفْعَ في أشْياعِهِمْ نَفَعُوا
سَــجِيَّةٌ تِلْكَ مِنْهُمْ غَــيْرُ مُحْدَثةٍ ... إنَّ الخَلائِــقَ فاعْلَمْ شَرُّها البِدَعُ
إنْ كانَ في النّاسِ سَبّاقُونَ بَعْدَهُم ... فــكُلُّ سَــبْقٍ لِأدْنى سَــبْقِهِمْ تَبَعُ
لا يَرْقَعُ النّــاسَ ما أوْهَتْ أكُفُّهُمُ ... عِنْدَ الدّفاعِ ولا يُوهُونَ ما رَقَعُوا

إنْ سابَقُوا النّاسَ يَوْمًا فازَ سَبْقُهُمُ ... أوْ وازَنُوا أهْلَ مَجْدٍ بِالنَّدى مَتَعُوا
أعِفَّةٌ ذُكِرَتْ في الوَحْيِ عِفَّتُهُمْ ... لا يَطْبَعُونَ ولا يُرْدِيهِمُ طَمَعُ
لا يَبْخَلُونَ على جارٍ بِفَضْلِهِم ... ولا يَمَسُّهُمُ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ
إذا نَصَبْنا لِحَيٍّ لَمْ نَدِبَّ لَهُمْ ... كَما يَدِبُّ إلى الوَحْشِيَّةِ الذَّرَعُ
نَسْمُو إذا الحَرْبُ نالَتْنا مَخالِبُها ... إذا الزَّعانِفُ مِنْ أظْفارِها خَشَعُوا
لا يَفْخَرُونَ إذا نالُوا عَدُوَّهُمْ ... وإنْ أُصِيبُوا فلا خُورٌ ولا هُلُعُ
كَأنَّهُمْ في الوَغى والمَوْتُ مُكْتَنِعٌ ... أُسْدٌ بِحَلْيَةَ في أرْساغِها فدَعُ
خُذْ مِنْهُمُ ما أتى عَفْوًا إذا غَضِبُوا ... ولا يَكُنْ هَمُّكَ الأمْرَ الَّذي مَنَعُوا
فَإنَّ في حَرْبِهِمْ فاتْرُكْ عَداوَتَهُمْ ... شَرًّا يُخاضُ عَلَيْهِ السَّمُّ والسَّلَعُ
أكْرِمْ بِقَوْمٍ رَسُولُ اللهِ شِيعَتُهُمْ ... إذا تَفاوَتَتِ الأهْواءُ والشِّيَعُ
أُهْدِي لَهُمْ مِدْحَتِي قَلْبٌ يُؤازِرُهُ ... فيما أُحِبُّ لِسانٌ حائِكٌ صَنَعُ
فَإنَّهُمْ أفْضَلُ الأحْياءِ كُلِّهِم ... إنْ جَدَّ بِالنّاسِ جِدُّ القَوْلِ أوْ شَمَعُوا

قالَ ابنُ هِشامٍ: أنْشَدَنِي أبو زَيْدٍ:

يَرْضى بِها كُلُّ مَنْ كانَتْ سَرِيرَتُهُ ... تَقْوى الإلَهِ وبِالأمْرِ الَّذي شَرَعُوا

[شِعْرٌ آخَرُ لِلزِّبْرِقانِ]

وَقالَ ابنُ هِشامٍ: حَدَّثَنِي بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ مِنْ بَنِي تَمِيم: أنّ الزبْرِقان بن بَدْرٍ لمّا قدِمَ على رَسُولِ الله ﷺ في وَفْدِ بَنِي تَمِيمٍ قامَ، فقالَ:

أتَيْناكَ كَيْما يَعْلَمَ النّاسُ فضْلَنا ... إذا احْتَفَلُوا عِنْدَ احْتِضارِ المَواسِمِ
بِأنّا فُرُوعُ النّاسِ في كُلِّ مَوْطِنٍ ... وأنْ لَيْسَ في أرْضِ الحِجازِ كَدارِمِ
وَأنّا نَذُودُ المُعْلِمِينَ إذا انْتَخَوْا ... ونَضْرِبُ رَأْسَ الأصْيَدِ المُتَفاقِمِ

وَأَنَّ لَنــا المِرْبــاعَ في كُلِّ غارةٍ نُغِـيرُ بِنَجْدٍ أَوْ بِـأَرْضِ الأعاجِمِ

[شِعْرٌ آخَرُ لِحَسّانَ في الرَّدِّ على الزِّبْرِقانِ]

فَقامَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ فأجابَهُ، فقالَ:

هَلِ المجدُ إلّا السُّودَدُ العَوْدُ والنَّدى وجاهُ المُلُـوكِ واحْتِمالُ العَظائِمِ
نَصَرْنــا وآوَيْنــا النَّـبِيَّ مُحَمَّدًا على أنْفِ راضٍ مِـنْ مَعَدٍّ وراغِمِ
بِـحَيٍّ حَرِيـدٍ أَصْلُــهُ وثَـراؤُهُ بِجابِيَةِ الجَوْلانِ وسْـطَ الأعاجِمِ
نَصَرْناهُ لَمّــا حَلَّ وسْـطَ دِيارِنا بِأَسْـيافِنا مِـنْ كُلِّ بـاغٍ وظالِمِ
جَعَلْنــا بَنِينــا دُونَـهُ وبَناتِنــا وطِبنا لَهُ نَفْسًــا بِـفَيْءِ المَغانِمِ
وَنَحْنُ ضَرَبنا النّاسَ حَتّى تَتابَعُوا على دِينِـهِ بِالمُرْهَفـاتِ الصَّوارِمِ
وَنَحْنُ ولَدْنا مِـنْ قُرَيْشٍ عَظِيمَها ولَدْنا نَـبِيَّ الخَيْرِ مِنْ آلِ هاشِـمِ
بَنِي دارِمٍ لا تَفْخَـرُوا إنَّ فخْرَكُمْ يَعُودُ وبـالًا عِنْدَ ذِكْـرِ المَكارِمِ
هَبِلْتُـمْ عَلَيْنا تَفْخَـرُونَ وأَنْتُمُ لَنا خَوَلٌ مــا بَيْنَ ظِـئْرٍ وخادِمِ؟
فَإنْ كُنْتُـمْ جِئْتُمْ لِحَقْنِ دِمائِكُمْ وأَمْوالِكُمْ أنْ تُقْسَمُوا في المَقاسِمِ
فَــلا تَجْعَلُـوا للهِ نِدًّا وأَسْـلِمُوا ولا تَلْبَسُــوا زِيًّا كَزِيِّ الأعاجِمِ

[إِسْلامُهُمْ وتَجْوِيزُ الرَّسُولِ إيّاهُمْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا فرَغَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ مِنْ قَوْلِهِ، قالَ الأقْرَعُ بنُ حابِسٍ: وأبي، إنَّ هذا الرَّجُلَ لَمُؤَتًّى لَهُ، لَخَطِيبُهُ أَخْطَبُ مِنْ خَطِيبِنا، ولَشاعِرُهُ أَشْعَرُ مِنْ شاعِرِنا، ولَأَصْواتُهُمْ أَحْلى مِنْ أَصْواتِنا. فلَمّا فرَغَ القَوْمُ أَسْلَمُوا، وجَوَّزَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فأَحْسَنَ جَوائِزَهُمْ.

وَقَوْلُ حَسّانَ: [من الطويل]

بِبَيْـــتِ حَرِيــدٍ عِــزُّهُ وَثَراؤُهُ

يُرِيدُ: بَيْتَ شَرَفِهِمْ مِنْ غَسّانَ، وَهُمْ مُلُوكُ الشّامِ، وَسَطُ الأعاجِمِ، والبَيْتُ الحَرِيدُ: المُنْفَرِدُ عَنِ البُيُوتِ، كَما انْفَرَدَتْ غَسّانُ، وانْقَطَعَتْ عَنْ أرض العَرَبِ.

وَكانَ حَسّانُ يَضْرِبُ بِلِسانِهِ أرْنَبَةَ أنْفِهِ هُوَ وابنُهُ وَأبُوهُ وَجَدُّهُ، وَكانَ يَقُولُ: لَوْ وَضَعْتُهُ ـ يَعْنِي لِسانَهُ ـ على حَجَرٍ لَفَلَقَهُ، أوْ على شَعْرٍ لَحَلَقَهُ، وَما يَسُرُّنِي بِهِ مِقْوَلٌ مِنْ مَعَدٍّ.

وَقَوْلُ حَسّانَ: [من البسيط]

...يُخاضُ إلَيْهِ السَّمُّ والسّلَعُ

السّلَعُ: شَجَرٌ مُرٌّ. قالَ أُمَيّةُ[1]: [من الخفيف]

عُشَــرٌ ما وَفَوْقَهُ سَلَعٌ ما   عائِلٌ ما وَعالَت البَيْقُورا

يُرِيدُ أنّهُمْ [كانُوا][2] إذا اسْتَسْقَوْا فِي الجاهِلِيّةِ رَبَطُوا السَّلَعَ والعُشَرَ فِي أذْنابِ البَقَرِ.

وَقَوْلُهُ: «شَمَعُوا» أيْ: ضَحِكُوا وَمَزَحُوا. قالَ الشّاعِرُ يَصِفُ الأضْيافَ[3]: [من الوافر]

وَأبْدَؤُهُمْ بِمَشْمَعةٍ وَأُثْنِي   بِجُهْدِي مِنْ طَعامٍ أوْ بِساطِ

---

(١) «ديوان أمية بن أبي الصلت» (ص: ٧٥)، وفيه: «سلعٌ وما مثله عشرٌ ما».

(٢) عن (ص).

(٣) المتنخِّل الهُذلي، «ديوان الهذليين» (٢: ٢٢).

وَفِي الحَدِيثِ: «مَنْ تَتَبَّعَ المَشْمَعةَ شَمَّعَ اللهُ بِهِ»[١]. يُرِيدُ: مَنْ ضَحِكَ مِن النّاسِ وأفرطَ في المزح.

وَقَوْلُهُ: [من البسيط]

أوْ وازَنُــوا أهْلَ مَجْدٍ بِالنَّدى مَتَعُوا

[أيِ: ارْتَفَعُوا][٢]، يُقال: مَتَعَ النّهارُ: إذا ارْتَفَعَ.

وقولُ حسّان: [من الطويل]

وطِبْنا له نفسًا بِفَيْءِ المَغانِمِ

[يُرِيدُ: طِيبَ نُفُوسِهِمْ][٣] يَوْمَ حُنَيْنٍ حِينَ أعْطى رَسُولُ اللهِ ﷺ المُؤَلَّفةَ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الأنْصارَ شَيْئًا.

* * *

(١) الحديث في «النهاية» لابن الأثير: (شمع)، وقال: «أراد من استهزأ بالناس جازاه الله مجازاة فعله».

(٢) ليس في (ب).

(٣) ليس في (ب).

[شِعْرُ ابنِ الأهْتَمِ في هِجاءِ قَيسٍ لِتَحْقِيرِهِ إيّاهُ]

وَكانَ عَمْرُو بنُ الأهْتَمِ قَدْ خَلَّفَهُ القَوْمُ في ظَهْرِهِمْ، وكانَ أصْغَرَهُمْ سِنًّا، فقالَ قَيْسُ بنُ عاصِمٍ، وكانَ يُبْغِضُ عَمْرَو بنَ الأهْتَمِ: يا رَسُولَ الله، إنَّهُ قَدْ كانَ رَجُلٌ مِنّا في رِحالِنا، وهُوَ غُلامٌ حَدَثٌ. وأَزْرى بِهِ، فأعْطاهُ رَسُولُ الله ﷺ مِثْلَ ما أعْطى القَوْمَ، فقالَ عَمْرُو بنُ الأهْتَمِ حِين بلغه أن قيسًا قالَ ذلك يَهجُوه:

ظَلِلْـتَ مُفْتَرِشَ الهَلْباءِ تَشْـتُمُنِي ... عِنْدَ الرَّسُولِ فلَمْ تَصْدُقْ ولَمْ تُصِبِ

سُدْناكُمُ سُودَدًا رَهْوًا وسُودَدُكُمْ ... بـادٍ نَواجِـذُهُ مُقْـعٍ على الذَّنَبِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: بَقِيَ بَيْتٌ واحِدٌ تَرَكْناهُ؛ لِأَنَّهُ أقْذَعَ فيهِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وفيهِمْ نَزَلَ مِن القُرْآنِ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحجرات: ٤].

فَصْلٌ

وَذَكَرَ قَوْلَ عَمْرِو بنِ الأهْتَمِ لِقَيْسِ بنِ عاصِمٍ: [من البسيط]

ظَلِلْتَ مُفْتَرِشَ الهَلْباءِ تَشْـتُمُنِي ... عِنْدَ النَّبِيِّ فَلَمْ تَصْدُقْ وَلَمْ تُصِبِ

الهَلْباءُ: فَعْلاءُ مِن الهُلْبِ وَهُوَ الخَشِنُ من الشَّعْرِ، يُقالُ مِنْهُ: رَجُلٌ أهْلَبُ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّعْبِيِّ فِي مُشْكِلَةٍ..

نَزَلَتْ[١]: «هَلْباءُ زَبّاءُ ذاتُ وَبَر»؛ وكَأَنّهُ أرادَ بِمُفْتَرِشِ الهَلْباءِ، أيْ: مُفْتَرِشًا[٢] لِحْيَتَهُ، وَيَجُوزُ أنْ يُرِيدَ: يا مُفْتَرِشَ الهَلْباءِ، يَعْنِي امْرَأته[٣]. وَقِيلَ: الهَلْباءُ يُرِيدُ بِه[٤] ههُنا دُبُرَهُ، فَإنْ كانَ عَنى امْرَأةً[٥] فَهُوَ نَصْبٌ على النِّداءِ.

وَذَكَرَ ما أنْزَلَ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى فِيهِمْ فِي سُورةِ الحُجُراتِ، وَقَدْ كانَ عُمَرُ وَأبُو بَكْرٍ اخْتَلَفا فِي أمْرِ الزِّبْرِقانِ وَعَمْرِو بنِ الأهْتَمِ، فَأشارَ أحَدُهُما بِتَقْدِيمِ الزِّبْرِقانِ، وَأشارَ الآخَرُ بِتَقْدِيمِ عَمْرٍو، حَتّى ارْتَفَعَتْ أصْواتُهُما، فَأنْزَلَ اللهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ إلى قَوْلِهِ: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ١-٢]، فكانَ عُمَرُ بَعْدَ ذَلِكَ إذا كَلَّمَ النَّبيَّ ﷺ لا[٦] يُكَلِّمُهُ إلّا كَأخِي السِّرارِ[٧].

وفِي هَذا الوَفْدِ جاءَ الحَدِيثُ أنّ رَجُلَيْنِ قَدِما مِنْ نَجْدٍ فَخَطَبا، فَعَجِبَ النّاسُ لِبَيانِهِما، فَقالَ رسولُ الله[٨] ﷺ: «إنّ مِن البَيانِ لَسِحْرًا»، وَأدْخَلَهُ مالِكٌ[٩] فِي

(١) في «النهاية»: «وفي حديث الشعبي: كان إذا سئل عن مسألة معضلة قال: زباءُ ذات وبر، لو سئل عنها أصحاب رسول الله ﷺ لأعضلت بهم، ويقال للداهية الصعبة: زباء ذات وبر. والزبيب: كثرة الشعر. يعني أنها جمعت بين الشعر والوبر.

(٢) في (ف): «مفترش».

(٣) في (أ)، (ص)، (ف): «امرأة».

(٤) في (ب)، (ج): «بها»، وفوقه في (ب): «به».

(٥) في (ج)، (ص): «امرأته».

(٦) في (ف): «لم».

(٧) سارّه مسارّةً وسرارًا: ناجاه وأعلمه بسرّه. وأراد بأخي السرار: صاحب السرار لخفض صوته.

(٨) في (ف): «النبي».

(٩) «الموطأ»، كتاب الكلام: (ص: ٩٨٦).

بابِ ما يُذَمُّ مِن القَوْلِ، مِنْ أجْلِ أنّ السِّحْرَ مَذْمُومٌ شَرْعًا، وَغَيْرُهُ يَذْهَبُ إلى أنّهُ مَدْحٌ [لَهُما](١) بِالبَيانِ واسْتِمالةِ القُلُوبِ كالسِّحْرِ.

وَكانَ مِنْ قَوْلِهِما: أنّ عَمْرًا قالَ لِلنَّبيّ ﷺ في الزِّبرقان: إنهُ مُطاعٌ في أدْنَيه، سَيِّدٌ [فِي](٢) عَشِيرَتِهِ، فَقالَ الزِّبْرِقانُ: لَقَدْ حَسَدَنِي يا رَسُولَ اللهِ لِشَرَفِي، وَلَقَدْ عَلِمَ أفْضَلَ مِمّا قالَ. فَقالَ عَمْرٌو: إنّهُ لَزَمِرُ(٣) المُرُوءةِ، ضَيِّقُ العَطَنِ، لَئِيمُ الخالِ.

فَعَرَفَ الإنْكارَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فقال: يا رسول الله، رَضِيتُ فَقُلْتُ أحْسَنَ ما عَلِمْتُ، وَسَخِطْتُ فَقُلْتُ أقْبَحَ ما عَلِمْت، وَلَقَدْ صَدَقْتُ فِي الأُولى وَما كَذَبْتُ فِي الثّانيةِ، فَحِينَئِذٍ قالَ رسول الله ﷺ: «إنّ مِن البَيانِ لَسِحْرًا»(٤).

[فَصْلٌ](٥)

وَقَوْلُهُ: لَئِيم الخال، قِيلَ: إنّ أُمّهُ كانَتْ مِنْ باهِلةَ(٦)، قالَهُ ابنُ ثابِتٍ فِي

(١) ليس في (ب).

(٢) ليس في (أ).

(٣) زَمِر فلان: قلَّت مروءته. والعَطَن: مَرْبِط الإبل ومَرْبَض الغنم، يقال: فلان واسع العطن: واسع الصبر والحيلة عند الشدائد، سخيٌّ كثير المال. وضده: ضيق العطن.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الطب، «فتح الباري» (١٠: ٢٣٧)، وقال ابن حجر: «لم أقف على تسميتهما ـ يعني: الرجلين اللذين خطبا ـ وقد زعم جماعة أنهما الزبرقان وعمرو بن أدهم». هذا وانظر: «مجمع الأمثال» للميداني: (١: ٧).

(٥) عن (ص).

(٦) انفردت (ص) بالنص بعده كالآتي: «بن يعصر، وهو نسبٌ مذمومٌ عند العرب. هكذا قال قاسم بن ثابت في «الدلائل»، وقوله مردود عند أهل النسب، وقد نبه على خطئه فيه أبو مروان بن سراج، وإنما المعروف عند أهل النسب أن أم الزبرقان كانت من عُكْل، ثم من بني أُقيش. وعكلٌ وإن كانت من بني أدّ بن طابخة بن خِندِف، وباهلة بن قيس بن عيلان، =

«الدّلائِل»، وَقَدْ أُنْكِرَ هَذا عَلَيْهِ، وَمِمّنْ أَنْكَرَهُ أَبُو مَرْوانَ بنُ سِراجٍ، فاللهُ أَعْلَمُ؛ لِأَنّ أَهْلَ النَّسَبِ ذَكَرُوا أَنّ أُمّ الزّبْرِقانِ عُكْلِيّةٌ ثمّ مِنْ بَنِي أُقَيْشٍ، وَعُكْلٌ وَإِنْ كانَتْ تَجْتَمِعُ مَعَ تَمِيمٍ فِي أُدّ بنِ طابِخَةَ لَكِنّ تَمِيمًا أَشْرَفُ مِنْهُمْ، وَلا سِيّما بَنِي سَعْدٍ رَهْطُ الزّبْرِقانِ؛ فَلِذَلِكَ جَعَلَهُ عَمْرٌو لَئِيمَ الخالِ.

قِصّةُ عامِرِ بنِ الطُّفيلِ وأَرْبَدَ بنِ قَيْسٍ في الوِفادةِ عَنْ بَنِي عامِرٍ

[بَعْضُ رِجالِ الوَفْدِ]

وقَدِمَ على رَسُولِ الله ﷺ وفْدُ بَنِي عامِرٍ، فيهِمْ عامِرُ بنُ الطُّفيلِ، وَأَرْبَدُ ابنُ قَيْسِ بنِ جَزْءِ بنِ خالِدِ بنِ جَعْفَرٍ، وجَبّارُ بنُ سَلْمى بنِ مالِكِ بنِ جَعْفَرٍ، وكانَ هَؤُلاءِ الثّلاثةُ رُؤَساءَ القَوْمِ وشَياطِينَهُمْ.

[تَدْبِيرُ عامِرٍ لِلْغَدْرِ بِالرّسُولِ]

فَقَدِمَ عامِرُ بنُ الطُّفيلِ عَدُوُّ الله على رَسُولِ الله ﷺ وهُوَ يُرِيدُ الغَدْرَ بِهِ، وقَدْ قالَ لَهُ قَوْمُهُ: يا عامِرُ، إنَّ النّاسَ قَدْ أَسْلَمُوا فأَسْلِمْ. قالَ: واللهِ لَقَدْ كُنْتُ آلَيْتُ أَلّا أَنْتَهِيَ حَتّى تَتْبَعَ العَرَبُ عَقِبِي، أَفَأَنا أَتْبَعُ عَقِبَ هذا الفَتى مِنْ قُرَيْشٍ! ثُمَّ قالَ لِأَرْبَدَ: إذا قَدِمْنا على الرَّجُلِ، فإنِّي سَأَشْغَلُ عَنْكَ وجْهَهُ،

= لكنّ عُكلًا وإن كانت من بني خندف فليسوا في الشرف كتميم بن مرّ بن أدّ بن طابخة، ولا يقربون منهم، ولا سيما رهط الزبرقان السعدي، فإنهم أشراف بني تميم؛ فلذلك قال عمرو فيه: لئيم الخال».

فإذا فعَلْتُ ذلك فاعْلُهُ بِالسَّيْفِ. فلَمّا قَدِمُوا على رَسُولِ الله ﷺ، قالَ عامِرُ ابنُ الطُّفيلِ: يا مُحَمَّدُ، خالِنِي، قالَ: «لا والله حَتّى تُؤْمِنَ بالله وحْدَهُ». قالَ: يا مُحَمَّدُ خالِنِي. وجَعَلَ يُكَلِّمُهُ ويَنْتَظِرُ مِنْ أَرْبَدَ ما كانَ أَمَرَهُ بِهِ، فجَعَلَ أَرْبَدُ لا يُحِيرُ شَيْئًا. قالَ: فلَمّا رَأى عامِرٌ ما يَصْنَعُ أَرْبَدُ، قالَ: يا مُحَمَّدُ خالِنِي، قالَ: «لا، حَتّى تُؤْمِنَ بالله وحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ». فلَمّا أَبى عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ قالَ: أما والله لَأَمْلَأَنَّها عَلَيْكَ خَيْلًا ورِجالًا. فلَمّا ولّى قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اللهُمَّ اكْفِنِي عامِرَ بنَ الطُّفيلِ».

فلَمّا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ الله ﷺ، قالَ عامِرٌ لِأَرْبَدَ: ويْلَكَ يا أَرْبَدُ، أَيْنَ ما كُنْتُ أَمَرْتُكَ بِهِ؟ والله ما كانَ على ظَهْرِ الأَرْضِ رَجُلٌ هُوَ أَخْوَفُ عِنْدِي على نَفْسِي مِنْكَ، وايْمُ الله لا أَخافُكَ بَعْدَ اليَوْمِ أَبَدًا. قالَ: لا أَبا لَكَ! لا تَعْجَلْ عَلَيَّ، والله ما هَمَمْتُ بِالَّذِي أَمَرْتَنِي بِهِ مِنْ أَمْرِهِ إلّا دَخَلْتَ بَيْنِي وبَيْنَ الرَّجُلِ، حَتّى ما أَرى غَيْرَكَ، أَفَأَضْرِبُكَ بِالسَّيْفِ؟!

[مَوْتُ عامِرٍ بِدُعاءِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ]

وَخَرَجُوا راجِعِينَ إلى بِلادِهِمْ، حَتّى إذا كانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، بَعَثَ الله على عامِرِ بنِ الطُّفيلِ الطّاعُونَ في عُنُقِهِ، فقَتَلَهُ الله في بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي سَلُولَ، فجَعَلَ يَقُولُ: يا بَنِي عامِرٍ، أَغُدّةً كَغُدّةِ البَكْرِ في بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي سَلُولَ!

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: أَغُدّةً كَغُدّةِ الإِبِلِ، ومَوْتًا في بَيْتِ سَلُولِيّةٍ؟!

[مَوْتُ أَرْبَدَ بِصاعِقةٍ، وما نَزَلَ فيهِ وفي عامِرٍ]

قالَ ابنُ إِسْحاقَ: ثُمَّ خَرَجَ أَصْحابُهُ حِينَ وارَوْهُ، حِينَ قَدِمُوا أَرْضَ بَنِي

عامِرٍ شاتِيَن، فلَمّا قَدِمُوا أتاهُمْ قَوْمُهُمْ فقالُوا: ما وراءَكَ يا أَرْبَدُ؟ قالَ: لا شَيْءَ واللهِ، لَقَدْ دَعانا إلى عِبادةِ شَيْءٍ لَوَدِدْتُ أنَّهُ عِنْدِي الآنَ فأرْمِيهِ بِالنَّبْلِ حَتّى أَقْتُلَهُ. فخَرَجَ بَعْدَ مَقالَتِهِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ مَعَهُ جَمَلٌ لَهُ يَتْبَعُهُ، فأَرْسَلَ اللهُ تَعالى عَلَيْهِ وعلى جَمَلِهِ صاعِقةً فأحْرَقَتْهُما. وكانَ أَرْبَدُ بنُ قَيْسٍ أخا لَبِيدِ ابنِ رَبِيعةَ لِأُمِّهِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وذَكَرَ زَيْدُ بنُ أَسْلَمَ، عَنْ عَطاءِ بنِ يَسارٍ، عَن ابنِ عَبّاسٍ، قالَ: وأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ فِي عامِرٍ وأَرْبَدَ: ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۚ ﴾ [الرعد: ٨]، إلى قَوْلِهِ: ﴿ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد: ١١]. قالَ: المُعَقِّباتُ: هِيَ مِنْ أَمْرِ اللهِ يَحْفَظُونَ مُحَمَّدًا.

ثُمَّ ذَكَرَ أَرْبَدَ وما قَتَلَهُ اللهُ بِهِ، فقالَ: ﴿ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ ﴾ [الرعد: ١٣]، إلى قَوْلِهِ: ﴿ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴾ [الرعد: ١٣].

فَصْلٌ

وَذَكَرَ خَبَرَ عامِرِ بنِ الطُّفَيْلِ وَأَرْبَدَ، وَأَنَّ أَرْبَدَ قالَ لِعامِرٍ: «ما هَمَمْتُ بِقَتْلِ مُحَمّدٍ إلّا رَأَيْتُك بَيْنِي وَبَيْنَهُ، أَفَأَقْتُلُك؟!». وَفِي غَيْرِ رِوايةِ ابنِ إسْحاقَ: «إلّا رَأَيْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ سُورًا مِنْ حَدِيدٍ»، وَكَذَلِك فِي رِوايةِ غَيْرِهِ، قالَ عامِرٌ: لَأَمْلَأَنَّها عَلَيْكَ خَيْلًا جُرْدًا[1]، وَرِجالًا مُرْدًا، وَلَأَرْبِطَنّ بكلِّ نخلةٍ فرسًا، فجعلَ أُسيدُ بنُ حُضَيرٍ يضربُ في رؤوسهما، وَيَقُولُ: اخْرُجا أَيُّها الهِجْرِسانِ[2]، فَقالَ لَهُ عامِرٌ:

---

(١) الجُرد: جمع أجرد، هو السبّاق من الخيل. ومُرد: جمع أمرد، وهو الغلام الذي طرّ شاربه ـ أي: نبت ـ أراد رجالًا فيهم شباب وقوة.

(٢) الهجرس: القرد، والثعلب، واللئيم.

وَمَنْ أنْتَ؟ فقالَ: أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ، فَقالَ: أحُضَيْرُ بنُ سِماكٍ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: أبُوكَ كانَ خَيْرًا مِنْك، فقالَ: بَلْ أنا خَيْرٌ مِنْك وَمِنْ أبِي؛ لِأنّ أبِي كانَ مُشْرِكًا، وَأنْتَ مُشْرِكٌ.

وَذَكَرَ سِيبَوَيْهِ قَوْلَ عامِرٍ: «أغُدّةً كَغُدّةِ البَعِيرِ، وَمَوْتًا فِي بَيْتِ سَلُولِيّةٍ»، فِي بابِ ما يَنْتَصِبُ على إضْمارِ الفِعْلِ المَتْرُوكِ إظْهارُهُ[١]، كَأنّهُ قالَ: أأُغَدُّ غُدّةً، والسَّلُولِيّةُ امْرَأةٌ مَنْسُوبةٌ إلى سَلُولَ بنِ صَعْصَعةَ، وَهُمْ بَنُو مُرّةَ بنِ صَعْصَعةَ، وَسَلُولُ أُمُّهُمْ، وَهِيَ بِنْتُ ذُهْلِ بنِ شَيْبانَ، وَكانَ عامِرُ بنُ الطُّفَيْلِ مِنْ بَنِي عامِرِ ابنِ صَعْصَعةَ؛ فَلِذَلِكَ اخْتَصّها لِقُرْبِ النّسَبِ بَيْنَهُما، حَتّى ماتَ فِي بَيْتِها.

* * *

(١) «الكتاب» (١ : ٣٣٨).

[شِعْرُ لَبِيدٍ في بُكاءِ أرْبَدَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فقالَ لَبِيدٌ يَبْكِي أرْبَدَ:

ما إنْ تُعَدِّي المَنُونُ مِنْ أحَدٍ لا والِدٍ مُشْـفِقٍ ولا ولَدِ
أخْشى على أرْبَدَ الحُتُوفَ ولا أرْهَبُ نَوْءَ السِّـماكِ والأسَدِ
فَعَيْنِ هَلّا بَكَيـتِ أرْبَدَ إذْ قُمْنـا وقامَ النِّسـاءُ في كَبَدِ
إنْ يَشْـغَبُوا لا يُبالِ شَغْبَهُمُ أوْ يَقْصِدُوا في الحُكُومِ يَقْتَصِدِ
حُلْـوٌ أرِيـبٌ وفي حَلاوَتِهِ مُرٌّ لَطِيفُ الأحْشاءِ والكَبِدِ
وَعَيْنِ هَـلّا بَكَيتِ أرْبَدَ إذْ ألْوَتْ رِياحُ الشِّـتاءِ بِالعَضَدِ
وَأصْبَحَتْ لاقِحًـا مُصَرَّمَةً حَـتّى تَجَلَّتْ غَوابِـرُ المُدَدِ
أشْـجَعُ مِنْ لَيْثِ غابَـةٍ لَحِمٍ ذُو نَهْمةٍ في العُـلا ومُنْتَقَدِ
لا تَبْلُـغُ العَـيْنُ كُلَّ نَهْمَتِها لَيْلَةَ تُمْسي الجِيـادُ كالقِدَدِ
الباعِـثُ النَّـوْحَ في مَآتِمِهِ مِثْلَ الظِّباءِ الأبْكارِ بِالجَرَدِ
فَجَّعَنِي البَرْقُ والصَّواعِقُ بِالْـفارِسِ يَـوْمَ الكَرِيهَـةِ النَّجُـدِ
والحـارِبِ الجابِرِ الحَرِيبَ إذا جاءَ نَكِيبًـا وإنْ يَعُدْ يَعُدِ
يَعْفُو على الجَهْدِ والسُّؤالِ كَما يُنْبِتُ غَيْثُ الرَّبِيعِ ذُو الرَّصَدِ
كُلُّ بَـنِي حُـرَّةٍ مَصِيرُهُـمُ قُلٌّ وإنْ أكْثَرَتْ مِـن العَدَدِ
إنْ يُغْبَطُوا يُهْبَطُوا وإنْ أُمِرُوا يَوْمًـا فهُمْ للهـلاكِ والنَّفَدِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: بَيْتُهُ: «والحارِبِ الجابِرِ الحَرِيبَ» عَنْ أبي عُبَيْدَةَ، وبَيْتُهُ: «يَعْفُو على الجَهْدِ» عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ لَبِيدٌ أيْضًا يَبْكِي أرْبَدَ:

ألا ذَهَبَ المُحافِظُ والمُحامِي ... ومانِعُ ضَيْمِها يَوْمَ الخِصامِ
وَأيْقَنْتُ التَّفَرُّقَ يَوْمَ قالُوا: ... تُقُسِّمَ مالُ أرْبَدَ بِالسِّهامِ
تَطِيرُ عَدائِدَ الأشْراكِ شَفْعًا ... ووِتْرًا والزَّعامَةُ لِلْغُلامِ
فَوَدِّعْ بِالسَّلامِ أبا حُرَيْزٍ ... وقَلَّ وداعُ أرْبَدَ بِالسَّلامِ
وَكُنْتَ إمامَنا ولَنا نِظامًا ... وكانَ الجَزْعُ يُحْفَظُ بِالنِّظامِ
وَأرْبَدُ فارِسُ الهَيْجا إذا ما ... تَقَعَّرَتِ المَشاجِرُ بِالفِئامِ
إذا بَكَرَ النِّساءُ مُرَدَّفاتٍ ... حَواسِرَ لا يُجِئْنَ على الخِدامِ
فَواءَلَ يَوْمَ ذلك مَنْ أتاهُ ... كَما وأَلَ المُحِلُّ إلى الحَرامِ
وَيَحْمَدُ قِدْرَ أرْبَدَ مَنْ عَراها ... إذا ما ذُمَّ أرْبابُ اللِّحامِ
وَجارَتُهُ إذا حَلَّتْ لَدَيْهِ ... لَها نَفَلٌ وحَظٌّ مِنْ سَنامِ
فَإنْ تَقْعُدْ فَمُكْرَمَةٌ حَصانٌ ... وإنْ تَظْعَنْ فَمُحْسِنَةُ الكَلامِ
وَهَلْ حُدِّثْتَ عَنْ أخَوَيْنِ داما ... على الأيّامِ إلّا ابنَيْ شَمامِ
وَإلّا الفَرْقَدَيْنِ وآلَ نَعْشٍ ... خَوالِدَ ما تُحَدَّثُ بِانْهِدامِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وهِيَ في قَصِيدَةٍ لَهُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ لَبِيدٌ أيْضًا يَبْكِي أرْبَدَ:

انْعَ الكَرِيمَ لِلْكَرِيمِ أرْبَدا ... انْعَ الرَّئِيسَ واللَّطِيفَ كَبِدا
يُحْذِي ويُعْطِي مالَهُ لِيُحْمَدا ... أُدْمًا يُشَبَّهْنَ صُوارًا أُبَّدا
السّابِلُ الفَضْلِ إذا ما عُدِّدا ... ويَمْلَأُ الجَفْنَةَ مَلًّا مَدَدا
رِفْهًا إذا يَأْتِي ضَرِيكٌ ورَدا ... مِثْلُ الَّذي في الغَيْلِ يَقْرُو جُمُدا
يَزْدادُ قُرْبًا مِنْهُمُ أنْ يُوعَدا ... أوْرَثْتَنا تُراثَ غَيْرِ أنْكَدا

غِبًّـا ومـالًا طارِفًـا ووَلَدًا شَرْخًا صُقُـورًا يافِعًا وأمْرَدا

وَقالَ لَبِيدٌ أيْضًا:

لَـنْ تُفْنِيـا خَـيْراتِ أرْ بَـدَ فابْكِيـا حَـتّى يَعُودا
قُـولا: هُـوَ البطـل المحا مي حِينَ يُكْسَـونَ الحَدِيدا
ويصُـدّ عنّـا الظّاليـ ن إذا لَقِينـا القَـوْمَ صِيدا
فـاعْـتـاقَـهُ ربّ الـبريّـ ةِ إذْ رَأى أنْ لا خُلُـودا
فَثَـوى ولَـمْ يُوجَـعْ ولَـمْ يُوصَـبْ وكانَ هُـوَ الفَقِيدا

وَقالَ لَبِيدٌ أيْضًا:

يُذَكِّـرُنِي بِأرْبَـدَ كُلُّ خَصْمٍ ألَدَّ تَخـالُ خُطَّتَـهُ ضِرارا
إذا اقْتَصَدُوا فمُقْتَصِدٌ كَرِيمٌ وإنْ جارُوا سَـواءَ الحَقِّ جارا
وَيَهْدِي القَـوْمَ مُطَّلِعًا إذا ما دَلِيلُ القَـوْمِ بِالمَوْماةِ حارا

قالَ ابنُ هِشامٍ: آخِرُها بَيْتًا عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ لَبِيدٌ أيْضًا:

أصْبَحْتُ أمْشِي بَعْدَ سَلْمى بنِ مالِكٍ وبَعْـدَ أبي قَيْسٍ وعُـرْوَةَ كالأجَبّ
إذا مـا رَأى ظِلَّ الغُـرابِ أضَجَّهُ حِذارًا على باقِي السَّناسِنِ والعَصَبْ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وهذانِ البَيْتانِ في أبْياتٍ لَهُ.

وَأمّا أشْعارُ لَبِيدٍ فِي أرْبَدَ فَفِيها قَوْلُهُ: [من الوافر]

تَطِيرُ عَدائِدُ الأشْراكِ شَفْعًا وَوِتْـرًا والزَّعامـةُ لِلْغُلامِ

الزّعامةُ: الرِّياسةُ، وَقِيلَ: أرادَ بِالزّعامةِ ههُنا بَيْضةَ السِّلاحِ، والأشْراكُ:

الشُّرَكاءُ، والعَدائِدُ: الأنْصِباءُ، مَأْخُوذٌ مِن العَدَدِ.

وَيُقالُ: إنّ أرْبَدَ حِينَ أصابَتْهُ الصّاعِقةُ أنْزَلَ اللهُ على مُحَمّدٍ ﷺ: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ [الرعد: ١٣]،يَعْنِي: أرْبَدَ، فاللهُ أعْلَمُ.

وَعامِرٌ وَأرْبَدُ يَجْتَمِعانِ فِي جَعْفَرِ بنِ كِلابِ بنِ رَبِيعةَ بنِ عامِرٍ، وَأُمُّهُما واحِدةٌ.

وَسائِرُ شِعْرِ لَبِيدٍ فِي أرْبَدَ مَرْغُوبٌ عَنِ الِاشْتِغالِ بِشَرْحِهِ بِناءً على أصْلِنا المُتَقَدِّمِ، واللهُ وَلِيّ التّوْفِيقِ.

على أنّ لَبِيدًا رَحِمَهُ اللهُ قَدْ أسْلَمَ وَحَسُنَ إسْلامُهُ، وَعاشَ فِي الإسْلامِ سِتِّينَ سَنةً لَمْ يَقُلْ فِيها بَيْتَ شِعْرٍ، فَسَألَهُ عُمَرُ عَنْ تَرْكِهِ الشِّعْرَ، فَقالَ: ما كُنْتُ لِأقُولَ شِعْرًا بَعْدَ أنْ علَّمني اللهُ البَقَرةَ وَآلَ عِمْرانَ، فَزادَهُ[1] عُمَرُ فِي عَطائِهِ[2] خَمْسَ مِئةٍ مِنْ أجْلِ هَذا القَوْلِ، فَكانَ عطاؤه ألفين وخمسَ مئة، فَلَمّا كانَ مُعاوِيةُ أرادَ أنْ يَنْقُصَهُ مِنْ عَطائِهِ الخَمْسَ مِئةِ، وَقالَ لَهُ: ما بالُ العِلاوةِ فَوْقَ الفَوْدَيْنِ[3]؟ فَقالَ لَهُ لَبِيدٌ: الآنَ أمُوتُ فتَصِيرُ لَكَ العِلاوةُ والفَوْدانِ. فَرَقّ لَهُ مُعاوِيةُ وَتَرَكَها لَهُ، فَماتَ لَبِيدٌ إثْرَ ذَلِكَ بِأيّامٍ قَلِيلةٍ[4]، وَقَدْ قِيلَ: إنّهُ قالَ بَيْتًا واحِدًا فِي الإسْلامِ[5]: [من البسيط]

الحَمْـدُ للهِ إذْ لَـمْ يَأْتِنِـي أجَلِي ... حَتّى اكْتَسَيْتُ مِن الإسْلامِ سِرْبالا

---

(١) في (ف): «فزاد».

(٢) في (ف): «إعطائه».

(٣) الفودان: العِدْلان. والعِدْل: نصف الحمل يكون على أحد جنبي البعير. والعلاوة: ما يحمل على البعير وغيره، وهو ما وضع بين العِدْلين.

(٤) انظر: «النهاية» لابن الأثير، و«اللسان» (علا).

(٥) انظر: «الشعر والشعراء» لابن قتيبة: (١: ٢٧٥).

قُدُومُ ضِمامِ بنِ ثَعْلَبَةَ وافِدًا عَنْ بَنِي سَعْدِ بنِ بَكْرٍ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وبَعَثَ بَنُو سَعْدِ بنِ بَكْرٍ إلى رَسُولِ الله ﷺ رَجُلًا مِنْهُمْ يُقالُ لَهُ: ضِمامُ بنُ ثَعْلَبَةَ.

[سُؤالُهُ الرَّسُولَ أسْئِلَةً ثُمَّ إسْلامُهُ]

قالَ ابنُ إسْحاق: فحَدَّثني مُحَمَّدُ بنُ الوَلِيدِ بنِ نُوَيْفِعٍ عَنْ كُرَيْبٍ، مَوْلى عَبْدِ الله بنِ عَبّاسٍ، عَنِ ابنِ عَبّاسٍ، قالَ: بَعَثَتْ بَنُو سَعْدِ بنِ بَكْرٍ ضِمامَ ابنَ ثَعْلَبَةَ وافِدًا إلى رَسُولِ الله ﷺ، فقَدِمَ عَلَيْهِ، وأناخَ بَعِيرَهُ على بابِ المَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ دَخَلَ المَسْجِدَ ورَسُولُ الله ﷺ جالِسٌ في أصْحابِهِ، وكانَ ضِمامٌ رَجُلًا جَلْدًا أشْعَرَ ذا غَدِيرَتَيْنِ، فأقْبَلَ حَتّى وقَفَ على رَسُولِ الله ﷺ في أصْحابِهِ، فقالَ: أيُّكُم ابنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟ قالَ: فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أنا ابنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ». قالَ: أمُحَمَّدٌ؟ قالَ: «نَعَمْ»، قالَ: يا ابنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ، إنِّي سائِلُكَ ومُغَلِّظٌ عَلَيْكَ في المَسْألةِ، فلا تَجِدَنَّ في نَفْسِكَ، قالَ: «لا أجِدُ في نَفْسِي، فسَلْ عَمّا بَدا لَكَ». قالَ: أنْشُدُكَ الله إلَهَكَ وإلَهَ مَنْ كانَ قَبْلَكَ، وإلَهَ مَنْ هُوَ كائِنٌ بَعْدَكَ، آلله بَعَثَكَ إلَيْنا رَسُولًا؟ قالَ: «اللهُمَّ نَعَمْ»، قالَ: فَأنْشُدُكَ الله إلَهَكَ وإلَهَ مَنْ كانَ قَبْلَكَ، وإلَهَ مَنْ هُوَ كائِنٌ بَعْدَكَ، آلله أمَرَكَ أنْ تَأْمُرَنا أنْ نَعْبُدَهُ وحْدَهُ لا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وأنْ نَخْلَعَ هَذِهِ الأنْدادَ الَّتِي كانَ آباؤُنا يَعْبُدُونَ مَعَهُ؟ قالَ: «اللهُمَّ نَعَمْ»، قالَ: فأنْشُدُكَ الله إلَهَكَ وإلَهَ مَنْ كانَ قَبْلَكَ، وإلَهَ مَنْ هُوَ كائِنٌ بَعْدَكَ، آلله أمَرَكَ أنْ نُصَلِّيَ هَذِهِ

الصَّلَواتِ الخَمْسَ؟ قالَ: «اللهُمَّ نَعَمْ»، قالَ: ثُمَّ جَعَلَ يَذْكُرُ فرائِضَ الإسْلامِ فريضةً فرِيضةً؛ الزَّكاةَ والصِّيامَ والحَجَّ وشَرائِعَ الإسْلامِ كُلَّها، يَنْشُدُهُ عِنْدَ كُلِّ فريضةٍ مِنْها كَما يَنْشُدُهُ في الَّتِي قَبْلَها، حَتّى إذا فرَغَ قالَ: فإنِّي أَشْهَدُ أَنْ لا إلَهَ إلّا الله، وأشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وسَأُؤَدِّي هَذِهِ الفَرائِضَ، وأَجْتَنِبُ ما نَهَيْتَنِي عَنْهُ، ثُمَّ لا أَزِيدُ ولا أَنْقُصُ. ثُمَّ انْصَرَفَ إلى بَعِيرِهِ راجِعًا.

قالَ: فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنْ صَدَقَ ذُو العَقِيصَتَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ».

[دَعْوَتُهُ قَوْمَهُ لِلْإِسْلامِ]

قالَ: فأتى بَعِيرَهُ فأَطْلَقَ عِقالَهُ، ثُمَّ خَرَجَ حَتّى قَدِمَ على قَوْمِهِ، فاجْتَمَعُوا إلَيْهِ، فكانَ أَوَّلُ ما تَكَلَّمَ بِهِ أن قالَ: بِئستِ اللّاتُ والعُزّى. قالُوا: مَهْ يا ضِمامُ، اتَّقِ البَرَصَ، اتَّقِ الجُذامَ، اتَّقِ الجُنُونَ. قالَ: ويْلَكُمْ، إنَّهُما والله لا يَضُرّانِ ولا يَنْفَعانِ، إنَّ الله قَدْ بَعَثَ رَسُولًا، وأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتابًا اسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِمّا كُنْتُمْ فيهِ، وإنِّي أَشْهَدُ أَنْ لا إلَهَ إلّا الله وحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، وقَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِهِ بِما أَمَرَكُمْ بِهِ، وما نَهاكُمْ عَنهُ. قالَ: فو الله ما أَمْسى مِنْ ذلك اليَوْمِ في حاضِرِهِ رَجُلٌ ولا امْرَأَةٌ إلّا مُسْلِمًا.

قالَ: يَقُولُ عَبْدُ الله بنُ عَبّاسٍ: فما سَمِعْنا بِوافِدِ قَوْمٍ كانَ أَفْضَلَ مِنْ ضِمامِ بنِ ثَعْلَبَةَ.

قُدُومُ الجارُودِ في وفْدِ عَبْدِ القِيسِ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدِمَ على رَسُولِ الله ﷺ الجارُودُ بنُ عَمْرِو بن حَنَشٍ أخُو عَبْدِ القَيْسِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: الجارُودُ بنُ بِشْرِ بنِ المُعلّى في وفْدِ عَبْدِ القَيْسِ، وكانَ نَصْرانِيًّا.

[ضَمانُ الرَّسُولِ دِينَهُ وإسْلامه]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَني مَنْ لا أتَّهِمُ عَنِ الحَسَنِ، قالَ: لمّا انْتَهى إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ كَلَّمَهُ، فعَرَضَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الإسْلامَ، ودَعاهُ إلَيْهِ، ورَغَّبَهُ فيهِ، فقالَ: يا مُحَمَّدُ، إنِّي قَدْ كُنْتُ على دِينٍ، وإنِّي تارِكٌ دِيني لِدِينِكَ، أفَتَضْمَنُ لِي دِيني؟ قالَ: فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ، أنا ضامِنٌ أنْ قَدْ هَداكَ اللهُ إلى ما هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ». قالَ: فأسْلَمَ وأسْلَمَ أصْحابُهُ، ثُمَّ سَألَ رَسُولَ اللهِ ﷺ الحُمْلانَ، فقالَ: «واللهِ ما عِنْدِي ما أحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ». قالَ: يا رَسُولَ اللهِ، فإنَّ بَيْنَنا وبَيْنَ بِلادِنا ضَوالَّ مِنْ ضَوالِّ النّاسِ، أفَنَتَبَلَّغُ عَلَيْها إلى بِلادِنا؟ قالَ: «لا، إيّاكَ وإيّاها؛ فإنَّما تِلْكَ حَرَقُ النّارِ».

[مَوْقِفُهُ مِنْ قَوْمِهِ في الرِّدّةِ]

فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ الجارُودُ راجِعًا إلى قَوْمِهِ، وكانَ حَسَنَ الإسْلامِ، صُلْبًا على دِينِهِ، حَتّى هَلَكَ وقَدْ أدْرَكَ الرِّدّةَ، فلَمّا رَجَعَ مِنْ قَوْمِهِ مَنْ كانَ أسْلَمَ مِنْهُمْ إلى دِينِهِم الأوَّلِ مَعَ الغَرُورِ بنِ المُنْذِرِ بنِ النُّعْمانِ بنِ المُنْذِرِ، قامَ الجارُودُ فتَكَلَّمَ، فتَشَهَّدَ شَهادةَ الحَقِّ، ودَعا إلى الإسْلامِ، فقالَ: أيُّها النّاسُ، إنِّي أشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلّا اللهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، وأُكَفِّرُ مَنْ لَمْ يَشْهَدْ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُرْوى: وأكْفي مَنْ لَمْ يَشْهَدْ.

[إسْلامُ ابنِ ساوى]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعَثَ العَلاءَ بنَ الحَضْرَمِيِّ

قَبْلَ فتْحِ مَكّة إلى المُنْذِرِ بنِ ساوى العَبْدِيِّ، فأسْلَمَ فحَسُنَ إسْلامُهُ، ثُمَّ هَلَكَ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ قَبْلَ رِدّةِ أهْلِ البَحْرَيْنِ، والعَلاءُ عِنْدَهُ أمِيرًا لِرَسُولِ الله ﷺ على البَحْرَيْنِ.

قُدُومُ وفْدِ بَنِي حَنِيفةَ ومَعَهُمْ مُسَيْلِمةُ الكَذّابِ

وَقَدِمَ على رَسُولِ الله ﷺ وفْدُ بَنِي حَنِيفةَ، فيهِمْ مُسَيْلِمةُ بنُ حَبِيبٍ الحَنَفي الكَذّابُ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: مُسَيْلِمةُ بنُ ثُمامةَ، ويُكْنى أبا ثُمامةَ.

[ما كانَ مِنَ الرَّسُولِ لِمُسَيْلِمةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فكانَ مَنْزِلُهُمْ في دارِ بِنْتِ الحارِثِ امْرَأةٍ مِن الأنْصارِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي النَّجّارِ، فحَدَّثَنِي بَعْض عُلَمائِنا مِنْ أهْلِ المَدِينةِ: أنَّ بَنِي حَنِيفةَ أتَتْ بِهِ رَسُولَ الله ﷺ تَسْتُرُهُ بِالثِّيابِ، ورَسُولُ الله ﷺ جالِسٌ في أصْحابِهِ، مَعَهُ عَسِيبٌ مِنْ سَعَفِ النَّخْلِ، في رَأسِه خُوصات، فلَمّا انْتَهى إلى رَسُولِ الله ﷺ، وهُمْ يَسْتُرُونَهُ بِالثِّيابِ، كَلَّمَهُ وسَألَهُ، فقالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «لَوْ سَألْتَنِي هذا العَسِيبَ ما أعْطَيْتُكَهُ». قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ بَنِي حَنِيفةَ مِنْ أهْلِ اليَمامةِ أنَّ حَدِيثَهُ كانَ على غَيْرِ هذا. زَعَمَ أنَّ وفْدَ بَنِي حَنِيفةَ أتَوْا رَسُولَ الله ﷺ وخَلَّفُوا مُسَيْلِمةَ في رِحالِهِمْ، فلَمّا أسْلَمُوا ذَكَرُوا مَكانَهُ، فقالُوا: يا رَسُولَ الله، إنّا قَدْ خَلَّفْنا صاحِبًا لَنا في رِحالِنا وفي رِكابِنا يَحْفَظُها لَنا، قالَ: فأمَرَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ بِمِثْلِ ما أمَرَ بِهِ لِلْقَوْمِ، وقالَ: «أما إنَّهُ لَيْسَ بِشَرِّكُمْ مَكانًا»، أيْ لِحِفْظِهِ ضَيْعةَ أصْحابِهِ، و ذلك الَّذي

يُرِيدُ رَسُولَ الله ﷺ.

[ارْتِدادُهُ وتُنَبُّؤُهُ]

قالَ: ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، وجاؤُوهُ بِما أعْطاهُ، فلَمّا انْتَهَوْا إلى اليَمامةِ ارْتَدَّ عَدُوُّ الله وتَنَبَّأَ وتَكَذَّبَ لَهُمْ، وقالَ: إنِّي قَدْ أُشْرِكْتُ في الأمْرِ مَعَهُ. وقالَ لِوَفْدِهِ الَّذينَ كانُوا مَعَهُ: ألَمْ يَقُلْ لَكُمْ حِينَ ذَكَرْتُمُونِي لَهُ: «أما إنَّهُ لَيْسَ بِشَرِّكُمْ مَكانًا»؟ ما ذاكَ إلّا لَمّا كانَ يَعْلَمُ أنِّي قَدْ أُشْرِكْتُ في الأمْرِ مَعَهُ. ثُمَّ جَعَلَ يَسْجَعُ لَهُم الأساجِيعَ ويَقُولُ لَهُمْ فيما يَقُولُ مُضاهاةً لِلْقُرْآنِ: «لَقَدْ أنْعَمَ الله على الحُبْلى، أخْرَجَ مِنْها نَسَمةً تَسْعى، مِنْ بَيْنِ صِفاقٍ وحَشى». وأحَلَّ لَهُم الخَمْرَ والزِّنا، ووَضَعَ عَنْهُم الصَّلاةَ، وهُوَ مَعَ ذلك يَشْهَدُ لِرَسُولِ الله ﷺ بِأنَّهُ نَبِيٌّ، فأصْفَقَتْ مَعَهُ حَنِيفةُ على ذلك، فالله أعْلَمُ أيَّ ذلك كانَ.

قُدُومُ زَيْدِ الخَيْلِ في وفْدِ طيِّئ

[إسْلامُهُ ومَوْتُهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدِمَ على رَسُولِ الله ﷺ وفْدُ طيِّئ، فيهِمْ زَيْدُ الخَيْلِ، وهُوَ سَيِّدُهُمْ، فلَمّا انْتَهَوْا إلَيْهِ كَلَّمُوهُ، وعَرَضَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ الله ﷺ الإسْلامَ، فأسْلَمُوا، فحَسُنَ إسْلامُهُمْ؛ وقالَ رَسُولُ الله ﷺ، كَما حَدَّثَنِي مَنْ لا أتَّهِمُ مِنْ رِجالِ طيِّئ: «ما ذُكِرَ لِي رَجُلٌ مِن العَرَبِ بِفَضْلٍ ثُمَّ جاءَنِي، إلّا رَأيْتُهُ دُونَ ما يُقالُ فيهِ، إلّا زَيْدَ الخَيْلِ؛ فإنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ كُلَّ ما كانَ فيهِ» ثُمَّ سَمّاهُ رَسُولُ الله ﷺ زَيْدَ الخَيْرِ، وقَطَعَ لَهُ فيدًا وأرَضِينَ مَعَهُ، وكَتَبَ لَهُ بِذلك.

فخَرَجَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ راجِعًا إلى قَوْمِهِ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنْ يَنْجُ زَيْدٌ مِنْ حُمّى المَدِينةِ فإنَّهُ». قالَ: قَدْ سَمّاها رَسُولُ اللهِ ﷺ بِاسْمٍ غَيْرِ الحُمّى، وغَيْرِ أُمِّ مِلْدَمٍ، فلَمْ يُثْبِتْهُ.

فلَمّا انْتَهى مِنْ بَلَدِ نَجْدٍ إلى ماءٍ مِنْ مِياهِهِ، يُقالُ لَهُ: فَرْدةُ، أصابَتْهُ الحُمّى بِها فماتَ، ولمّا أحَسَّ زَيْدٌ بِالمَوْتِ قالَ:

أمُرْتَحِلٌ قَوْمِي المَشارِقَ غُدْوةً ... وأُتْرَكُ في بَيْتٍ بِفَـرْدةَ مُنْجِدِ

ألا رُبَّ يَوْمٍ لَوْ مَرِضْتُ لَعادَنِي ... عَوائِدُ مَـنْ لَمْ يُبْرَ مِنْهُنَّ يَجْهَدِ

فَلَمّا ماتَ عَمَدَت امْرَأتُهُ إلى ما كانَ مَعَهُ مِنْ كُتُبِهِ، الَّتِي قَطَعَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فحَرَّقَتْها بِالنّارِ.

أمْرُ عَدِيِّ بنِ حاتِمٍ

[هَرَبُهُ إلى الشّامِ فِرارًا مِنَ الرَّسُولِ]

وَأمّا عَدِيُّ بنُ حاتِمٍ فكانَ يَقُولُ، فيما بَلَغَنِي: ما مِنْ رَجُلٍ مِن العَرَبِ كانَ أشَدَّ كَراهِيةً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ سَمِعَ بِهِ مِنِّي، أما أنا فكُنْتُ امْرَأً شَرِيفًا، وكُنْتُ نَصْرانِيًّا، وكُنْتُ أسِيرُ في قَوْمِي بِالمِرْباعِ، فكُنْتُ في نَفْسِي على دِينٍ، وكُنْتُ مَلِكًا في قَوْمِي؛ لِما كانَ يُصْنَعُ بِي، فلَمّا سَمِعْتُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ كَرِهْتُهُ، فقُلْتُ لِغُلامٍ كانَ لِي عَرَبِيٍّ، وكانَ راعِيًا لِإبِلِي: لا أبا لَكَ، أعْدِدْ لِي مِنْ إبِلِي أجَمالًا ذُلُلًا سِمانًا، فاحْتَبِسْها قَرِيبًا مِنِّي، فإذا سَمِعْتَ بِجَيْشٍ لِمُحَمَّدٍ قَدْ وطِئَ هَذِهِ البِلادَ فآذِنِّي، ففَعَلَ، ثُمَّ إنَّهُ أتانِي ذاتَ غَداةٍ فقالَ: يا عَدِيُّ، ما كُنْتَ صانِعًا إذا غَشِيَتْكَ خَيْلُ مُحَمَّدٍ فاصْنَعْهُ الآنَ؛ فإنِّي قَدْ رَأيْتُ راياتٍ،

فسَألْتُ عَنْها، فقالُوا: هَذِهِ جُيُوشُ مُحَمَّدٍ. قالَ: فقُلْتُ: فقَرِّبْ إلَيَّ أجْمالِي، فقَرَّبَها، فاحْتَمَلْتُ بِأهْلِي ووَلَدِي، ثُمَّ قلت: ألحق بأهلِ دِينِي مِن النَّصارى بِالشّامِ. فَسَلَكْتُ الجُوشِيَّةَ - ويُقالُ: الحوشِيَّةُ فيما قالَ ابنُ هِشامٍ - وخَلَّفْتُ بِنْتًا لِحاتِمٍ في الحاضِرِ، فلَمّا قَدِمْتُ الشّامَ أقَمْتُ بِها.

[أسْرُ الرَّسُولِ ابنةَ حاتِمٍ ثُمَّ إطْلاقُها]

وَتُخالِفُنِي خَيْلٌ لِرَسُولِ الله ﷺ، فتُصِيبُ ابنةَ حاتِمٍ فيمَنْ أصابَتْ، فقُدِمَ بِها على رَسُولِ الله ﷺ في سَبايا مِنْ طَيِّئٍ، وقَدْ بَلَغَ رَسُولَ الله ﷺ هَرَبِي إلى الشّامِ، قالَ: فجُعِلَتْ بِنْتُ حاتِمٍ في حَظِيرةٍ بِبابِ المَسْجِدِ، كانَت السَّبايا يُحْبَسْنَ فيها، فمَرَّ بِها رَسُولُ الله ﷺ، فقامَتْ إلَيْهِ، وكانَت امْرَأةً جَزْلةً، فقالَتْ: يا رَسُولَ الله، هَلَكَ الوالِدُ، وغابَ الوافِدُ، فامْنُنْ عَلَيَّ مَنَّ الله عَلَيْكَ. قالَ: «ومَنْ وافِدُكِ؟» قالَتْ: عَدِيُّ بنُ حاتِمٍ. قالَ: «الفارُّ مِن الله ورَسُولِهِ؟» قالَتْ: ثُمَّ مَضى رَسُولُ الله ﷺ وتَرَكَنِي، حَتّى إذا كانَ مِن الغَدِ مَرَّ بِي، فقُلْتُ لَهُ مِثْلَ ذلك، وقالَ لِي مِثْلَ ما قالَ بِالأمْسِ. قالَتْ: حَتّى إذا كانَ بَعْدَ الغَدِ مَرَّ بِي وقَدْ يَئِسْتُ مِنْهُ، فأشارَ إلَيَّ رَجُلٌ مِنْ خَلْفِهِ أنْ قُومِي فكَلِّمِيهِ، قالَتْ: فقُمْتُ إلَيْهِ فقُلْتُ: يا رَسُولَ الله، هَلَكَ الوالِدُ، وغابَ الوافِدُ، فامْنُنْ عَلَيَّ مَنَّ الله عَلَيْكَ، فقالَ ﷺ: «قَدْ فعَلْتُ، فلا تَعْجَلِي بِخُرُوجٍ حَتّى تَجِدِي مِنْ قَوْمِكِ مَنْ يَكُونُ لَكَ ثِقةً؛ حَتّى يُبَلِّغَكِ إلى بِلادِكِ، ثُمَّ آذِنِينِي». فسَألْتُ عَن الرَّجُلِ الَّذي أشارَ إلَيَّ أنْ أُكَلِّمَهُ، فقِيلَ: عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ رِضْوانُ الله عَلَيْهِ.

وأقَمْتُ حَتّى قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَلِيٍّ أوْ قُضاعةَ، قالَتْ: وإنَّما أُرِيدُ أنْ آتِيَ أخِي بِالشّامِ. قالَتْ: فجِئْتُ رَسُولَ الله ﷺ فقُلْتُ: يا رَسُولَ الله، قَدْ قَدِمَ

رَهْطٌ مِنْ قَوْمِي، لِي فيهِمْ ثِقةٌ وبَلاغٌ. قالَتْ: فكَسانِي رَسُولُ الله ﷺ، وحَمَلَنِي، وأعْطانِي نَفَقةً، فخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتّى قَدِمْتُ الشّامَ.

[إشارةُ ابنةِ حاتِمٍ على عَدِيٍّ بِالإسْلامِ]

قالَ عَدِيّ: فواللهِ إنِّي لَقاعِدٌ في أهْلِي، إذْ نَظَرْتُ إلى ظَعِينةٍ تَصُوبُ إلَيَّ تَؤُمُّنا، قالَ: فقُلْتُ: ابنةُ حاتِمٍ، قالَ: فإذا هِيَ هِيَ، فلَمّا وقَفَتْ عَلَيَّ انْسَحَلَتْ تَقُولُ: القاطِعُ الظّالِمُ، احْتَمَلْتَ بِأهْلِكَ ووَلَدِكَ، وتَرَكْتَ بَقِيّةَ والِدِكَ عَوْرَتَكَ، قالَ: قُلْتُ: أيْ أُخَيّةُ، لا تَقُولِي إلّا خيرًا، فواللهِ ما لِي مِنْ عُذْرٍ، لَقَدْ صَنَعْتُ ما ذَكَرْتِ. قالَ: ثُمَّ نَزَلَتْ فأقامَتْ عِنْدِي، فقُلْتُ لَها، وكانَت امْرَأةً حازِمةً: ماذا تَرَيْنَ في أمْرِ هذا الرَّجُلِ؟ قالَتْ: أرى واللهِ أنْ تَلْحَقَ بِهِ سَرِيعًا، فإنْ يَكُنِ الرَّجُلُ نَبِيًّا فلِلسّابِقِ إلَيْهِ فضْلُهُ، وإنْ يَكُنْ مَلِكًا فلَنْ تَذِلَّ في عِزِّ اليَمَنِ وأنْتَ أنْتَ. قالَ: قُلْتُ: واللهِ إنَّ هذا الرَّأْيُ.

[قُدُومُ عَدِيٍّ على الرَّسُولِ وإسْلامُهُ]

قالَ: فخَرَجْتُ حَتّى أقْدَمَ على رَسُولِ الله ﷺ المَدِينةَ، فدَخَلْتُ عَلَيْهِ وهُوَ في مَسْجِدِهِ، فسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فقالَ: «مَنِ الرَّجُلُ؟» فقُلْتُ: عَدِيُّ بنُ حاتِمٍ، فقامَ رَسُولُ الله ﷺ فانْطَلَقَ بِي إلى بَيتِه، فواللهِ إنَّهُ لَعامِدٌ بِي إلَيْهِ إذْ لَقِيَتْهُ امْرَأةٌ ضَعِيفةٌ كَبِيرةٌ، فاسْتَوْقَفَتْهُ، فوَقَفَ لَها طَوِيلًا تُكَلِّمُهُ في حاجَتِها، قالَ: قُلْتُ في نَفْسِي: واللهِ ما هذا بِمَلِكٍ، قالَ: ثُمَّ مَضى بِي رَسُولُ الله ﷺ حَتّى إذا دَخَلَ بِي بَيْتَهُ، تَناوَلَ وِسادةً مِنْ أدَمٍ مَحْشُوّةً لِيفًا، فقَذَفَها إلَيَّ، فقالَ: «اجْلِسْ على هَذِهِ»، قالَ: قُلْتُ: بَلْ أنْتَ فاجْلِسْ عَلَيْها، فقالَ: «بَلْ أنْتَ»، فجَلَسْتُ عَلَيْها، وجَلَسَ رَسُولُ الله ﷺ بِالأرْضِ، قالَ: قُلْتُ في نَفْسِي:

والله ما هذا بِأمْرِ مَلِكٍ، ثُمَّ قالَ: «إيهِ يا عَدِيَّ بنَ حاتِمٍ، ألَمْ تَكُ رَكُوسِيًّا؟»، قالَ: قُلْتُ: بلى. قالَ: «أَوَلَم تَكُنْ تَسِيرُ في قَوْمِكَ بِالمِرْباعِ؟»، قالَ: قُلْتُ: بَلى، قالَ: «فإنَّ ذلك لَمْ يَكُنْ يَحِلُّ لَكَ في دِينِكَ»، قالَ: قُلْتُ: أجَلْ والله. وقالَ: وعَرَفْتُ أنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، يَعْلَمُ ما يُجْهَلُ.

ثُمَّ قالَ: «لَعَلَّكَ يا عَدِيُّ إنَّما يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولٍ في هذا الدِّينِ ما تَرى من حاجَتِهِم، فواللهِ لَيُوشِكَنَّ المالُ أنْ يَفيضَ فيهِمْ حَتّى لا يُوجدَ مَن يَأْخُذُهُ، ولَعَلَّكَ إنَّما يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولٍ فيهِ ما تَرى مِنْ كَثْرةِ عَدُوِّهِمْ وقِلة عَدَدِهِمْ، فوالله لَيُوشِكَنَّ أنْ تَسْمَعَ بِالمَرْأةِ تَخْرَجُ مِنَ القادِسِيّةِ على بَعِيرِها حَتّى تَزُورَ هذا البَيْتَ، لا تَخافُ، ولَعَلَّكَ إنَّما يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولٍ فيهِ أنَّكَ تَرى أنَّ المُلْكَ والسُّلْطانَ في غَيْرِهِمْ، وايْمُ الله لَيُوشِكَنَّ أنَّ تَسْمَعَ بِالقُصورِ البِيضِ مِنْ أرْضِ بابِلَ قَدْ فُتِحَتْ عَلَيْهِمْ». قالَ: فأسْلَمْتُ.

[وُقُوعُ ما وعَدَ بِهِ الرَّسُولُ عَدِيًّا]

وَكانَ عَدِيٌّ يَقُولُ: قَدْ مَضَتِ اثْنَتانِ وبَقِيَتِ الثّالِثةُ، والله لَتَكُونَنَّ، قَدْ رَأيْتُ القُصورَ البِيضَ مِنْ أرْضِ بابِلَ قَدْ فُتِحَتْ، وقَدْ رَأيْتُ المَرْأةَ تَخْرُجُ مِن القادِسِيّةِ على بَعِيرِها لا تَخافُ حَتّى تَحُجَّ هذا البَيْتَ، وايْمُ الله لَتَكُونَنَّ الثّالِثةُ، لَيَفِيضَنَّ المالُ حَتّى لا يُوجَدَ مَنْ يَأْخُذُهُ.

قُدُومُ فرْوةَ بنِ مُسَيْكٍ المُرادِيِّ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدِمَ فرْوةُ بنُ مُسَيْكٍ المُرادِيُّ على رَسُولِ الله ﷺ مُفارِقًا لِمُلُوكِ كِنْدةَ، ومُباعِدًا لَهُمْ، إلى رَسُولِ الله ﷺ.

[يَوْمُ الرَّدْمِ بَيْنَ مُراد وهَمْدانَ]

وَقَدْ كانَ قُبَيْلَ الإسْلامِ بَيْنَ مُراد وهَمْدانَ وقْعةٌ، أصابَتْ فيها هَمْدانُ مِنْ مُراد ما أرادُوا، حَتّى أثْخَنُوهُمْ في يَوْمٍ كانَ يُقالُ لَهُ: يَوْمُ الرَّدْمِ، فكانَ الَّذي قادَ هَمْدانَ إلى مُراد الأَجْدَعُ بنُ مالِكٍ في ذلك اليَوْمِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: الَّذي قادَ هَمْدانَ في ذلك اليَوْمِ مالِكُ بنُ حَرِيمٍ الهَمْدانِيُّ.

[شِعْرُ فرْوةَ في يَوْمِ الرَّدْمِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وفي ذلك اليَوْمِ يَقُولُ فرْوةُ بنُ مُسَيْكٍ:

مَرَرْنا على لُفاةَ وهُنَّ خوصٌ ... يُنازِعْنَ الأعِنّةَ يَنْتَحِينا
فَإنْ نَغْلِبْ فغَلّابُونَ قِدْمًا ... وإنْ نُغْلَبْ فغَيْرُ مُغَلَّبِينا
وَما إنْ طِبُّنا جُبْنٌ ولكن ... مَنايانا وطُعْمةُ آخَرِينا
كَذاكَ الدَّهْرُ دَوْلَتُهُ سِجالٌ ... تَكُرُّ صُرُوفُهُ حِينًا فحِينا
فَبَيْنا ما نُسَرُّ بِهِ ونَرْضى ... ولَوْ لُبِسَتْ غَضارَتُهُ سِنِينا
إذِ انْقَلَبَتْ بِهِ كَرّاتُ دَهْرٍ ... فألْفيتَ الأُلى غُبِطُوا طَحِينا
فَمَنْ يُغْبَطْ بِرَيْبِ الدَّهْرِ مِنْهُمْ ... يَجِدْ رَيْبَ الزَّمانِ لَهُ خَؤُونا
فَلَوْ خَلَدَ المُلُوكُ إذًا خَلَدْنا ... ولَوْ بَقِيَ الكِرامُ إذًا بَقِينا
فَأفْنى ذلكمْ سَرَواتِ قَوْمِي ... كَما أفْنى القُرُونَ الأوَّلِينا

قالَ ابنُ هِشامٍ: أوَّلُ بَيْتٍ مِنْها، وقَوْلُهُ: «فَإنْ نَغْلِبْ» عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

[قُدُومُ فرْوةَ على الرَّسُولِ وإسْلامُهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولَمّا تَوَجَّهَ فرْوةُ بنُ مُسَيْكٍ إلى رَسُولِ الله ﷺ مُفارِقًا لِمُلُوكِ كِنْدةَ، قالَ:

لَمّا رَأيْتُ مُلُوكَ كِنْدةَ أعْرَضَتْ كالرِّجْلِ خانَ الرِّجْلَ عِرْقُ نَسائِها
قرَّبــتُ راحِلَــتي أَؤُمُّ مُحَمَّدًا أرْجُو فواضِلَها وحُسْـنَ ثَرائِها

قالَ ابنُ هِشامٍ: أنْشَدَنِي أبو عُبَيْدَةَ: «أرْجُو فواضِلَهُ وحُسْنَ ثَنائِها».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا انْتَهى إلى رَسُولِ الله ﷺ، قالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ، فيما بَلَغَنِي: «يا فرْوةُ، هَلْ ساءَكَ ما أصابَ قَوْمَكَ يَوْمَ الرَّدْمِ؟»، قالَ: يا رَسُولَ الله، مَنْ ذا يُصِيبُ قَوْمَهُ مِثْلُ ما أصابَ قَوْمِي يَوْمَ الرَّدْمِ لا يَسُوءُهُ ذلكَ! فقالَ رَسُولُ الله ﷺ لَهُ: «أما إنَّ ذلك لَمْ يَزِدْ قَوْمَكَ في الإسْلامِ إلّا خَيْرًا». واسْتَعْمَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ على مُراد وزُبَيْد ومَذْحِج كُلِّها، وبَعَثَ مَعَهُ خالِدَ ابنَ سَعِيدِ بنِ العاصِ على الصَّدَقةِ، فكانَ مَعَهُ في بِلادِهِ حَتّى تُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ.

قُدُومُ عَمْرو بن مَعدي كرِب في أُناسٍ مِنْ بَنِي زُبَيْدٍ

وَقَدِمَ على رَسُولِ الله ﷺ عَمْرو بن معدي كرِب في أُناسٍ مِنْ بَنِي زُبَيْدٍ، فأسْلَمَ، وكانَ عَمْرٌو قَدْ قالَ لِقَيْسِ بنِ مَكْشُوحٍ المُرادِيِّ، حِينَ انْتَهى إلَيْهِمْ أمْرُ رَسُولِ الله ﷺ: يا قَيْسُ، إنَّكَ سَيِّدُ قَوْمِكَ، وقَدْ ذُكِرَ لَنا أنَّ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ يُقالُ لَهُ: مُحَمَّدٌ قَدْ خَرَجَ بِالحِجازِ، يَقُولُ: إنَّهُ نَبِيٌّ، فانْطَلِقْ بِنّا إلَيْهِ حَتّى نَعْلَمَ عِلْمَهُ، فإنْ كانَ نَبِيًّا كَما يَقُولُ، فإنَّهُ لَنْ يَخفى عَلَيْكَ، وإذا لَقِيناهُ اتَّبَعْناهُ، وإنْ كانَ غَيْرَ ذلك عَلِمْنا عِلْمَهُ. فأبى عَلَيْهِ قَيْسٌ ذلك، وسَفَّهُ رَأْيَهُ، فرَكِبَ عَمْرو بن معدي كرِب حَتّى قَدِمَ على رَسُولِ الله ﷺ، فأسْلَمَ وصَدَّقَهُ وآمَنَ بِهِ.

فَلَمّا بَلَغَ ذلك قَيْسَ بنَ مَكْشُوحٍ أوْعَدَ عَمْرًا، وتَحَطَّمَ عَلَيْهِ، وقالَ: خالَفَني وتَرَكَ رَأْيِي، فقالَ عَمْرو بن معدي كرِب في ذلك:

أمَرْتُكَ يَوْمَ ذِي صنعا ... ءَ أمْرًا بادِيًا رُشْدُهْ

أمَرْتُكَ بِاتِّقاءِ اللـ ... ـه والمَعْرُوفِ تَتَّعِدُهْ

خَرَجْتُ مِن المُنى مِثْلَ الـ ... ـحُمَيِّرِ غَرَّهُ وتِدُهْ

تَمُنّاني على فَرَسٍ ... عَلَيْهِ جالِسًا أُسْدُهْ

عَلَيَّ مُفاضَةٌ كالنَّهْـ ... ـيِ أخلَصَ ماءَهُ جَدَدُهْ

تَرُدُّ الرُّمْحَ مُنْثَنِي الـ ... ـسِّنانِ عَوائِرًا قِصَدُهْ

فَلَوْ لاقَيْتَنِي لَلَقِيـ ... ـتَ لَيْثًا فَوْقَهُ لِبَدُهْ

تُلاقِي شَنْبَثًا شَثْنَ الْـ ... ـبَراثِنِ ناشِزًا كَتَدُهْ

يُسامي القِرْنَ إنْ قِرْنٌ ... تَيَمَّمُهُ فيعْتَضِدُهْ

فيأْخُذُهُ فيَرْفَعُهُ ... فيخْفِضُهُ فيقْتَصِدُهْ

فيدْمَغُهُ فيحْطِمُهُ ... فيخْضِمُهُ فيزْدَرِدُهْ

ظَلُوم الشَّرَكِ فيما ... أحْرَزَتْ أنْيابُهُ ويَدُهْ

قالَ ابنُ هِشامٍ: أنْشَدَني أبو عُبَيْدَةَ:

أمَرْتُكَ يَوْمَ ذِي صنعا ... ء أمْرًا بَيِّنًا رُشْدُهْ

أمَرْتُكَ بِاتِّقاءِ الله ... تَأْتِيهِ وتَتَّعِدُهْ

فَكُنْتَ كذي الحُمَيِّرِ غَرَّهُ مِمّا بِهِ وتِدُهْ

وَلَمْ يَعْرِفْ سائِرَها.

[ارْتِدادُهُ وشِعْرُهُ في ذلك]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فأقامَ عَمْرو بن معدي كرب في قَوْمِهِ مِنْ بَنِي زُبَيْدٍ وعَلَيْهِمْ فرْوةُ بنُ مُسَيْكٍ، فلَمّا توفي رَسُولُ الله ﷺ ارْتَدَّ عَمْرو بن معدي كرب، وقالَ حِينَ ارْتَدَّ:

وَجَدْنا مُلْــكَ فرْوةَ شَرَّ مُلْكٍ ... حِمارًا ســافَ مُنْخُــرهُ بِثَفْرِ
وَكُنْــتَ إذا رَأيْــتَ أبا عُمَيْرٍ ... تَرى الحُوَلاءَ مِنْ خَبَثٍ وغَدْرِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: قَوْلُهُ «بِثَفْرِ» عَنْ أبي عُبَيْدةَ.

قُدُومُ الأشْعَثِ بنِ قَيْسٍ في وفْدِ كِنْدةَ

[قُدُومُهُمْ وإسْلامُهُمْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدِمَ على رَسُولِ الله ﷺ الأشْعَثُ بنُ قَيْسٍ في وفْدِ كِنْدةَ، فحَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ بنُ شِهابٍ أنَّهُ قَدِمَ على رَسُولِ الله ﷺ في ثَمانِينَ راكِبًا مِنْ كِنْدةَ، فدَخَلُوا على رَسُولِ الله ﷺ مَسْجِدَهُ، وقَدْ رَجَّلُوا جُمَمَهُمْ وتَكَحَّلُوا، وعَلَيْهِمْ جُبَبُ الحِبَرةِ، وقَدْ كَفَّفُوها بِالحَرِيرِ، فلَمّا دَخَلُوا على رَسُولِ الله ﷺ قالَ: «ألَمْ تُسْلِمُوا؟» قالُوا: بَلى، قالَ: «فما بالُ هذا الحَرِيرِ في أعْناقِكُمْ»، قالَ: فشَقُّوهُ مِنْها فألْقَوْهُ.

[انْتِسابُ الوَفْدِ إلى آكِلِ المُرارِ]

ثُمَّ قالَ لَهُ الأشْعَثُ بنُ قَيْسٍ: يا رَسُولَ الله، نَحْنُ بَنُو آكِلِ المُرارِ، وأنْتَ ابنُ آكِلِ المُرارِ، قالَ: فتَبَسَّمَ رَسُولُ الله ﷺ وقالَ: «ناسَبُوا بِهذا النَّسَبِ

العَبّاسَ بنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ، ورَبِيعةَ بنَ الحارِثِ»، وكانَ العَبّاسُ ورَبِيعةُ رَجُلَيْنِ تاجِرَيْنِ وكانا إذا شاعا في بَعْضِ العَرَبِ فسُئِلا مِمَّنْ هُما؟ قالا: نَحْنُ بَنُو آكِلِ المُرارِ، يَتَعَزَّزانِ بِذلك، وذلك أنَّ كِنْدةَ كانُوا مُلُوكًا. ثُمَّ قالَ لَهُمْ: «لا، بَلْ نَحْنُ بَنُو النَّضْرِ بن كِنانة، لا نقفو أُمَّنا، ولا نَنْتَفي مِنْ أبينا»، فقالَ الأشْعَثُ بنُ قَيْسٍ: هَلْ فرَغْتُمْ يا مَعْشَرَ كِنْدةَ؟ واللهِ لا أَسْمَعُ رَجُلًا يَقُولُها إلّا ضَرَبْتُهُ ثَمانِينَ.

[نَسَبُ الأشْعَثِ إلى آكِلِ المُرارِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: الأشْعَثُ بنُ قَيْسٍ مِنْ ولَدِ آكِلِ المُرارِ مِنْ قِبَلِ النِّساءِ، وآكِلُ المُرارِ: الحارِثُ بنُ عَمْرِو بنِ حُجْرِ بنِ عَمْرِو بنِ مُعاوِيةَ بنِ الحارِثِ ابنِ مُعاوِيةَ بنِ ثَوْرِ بنِ مُرَتِّعِ بنِ مُعاوِيةَ بنِ كِنْدِيٍّ، ويُقالُ كِنْدةَ، وإنَّما سُمِّيَ آكِلَ المُرارِ؛ لِأنَّ عَمْرَو بنَ الهَبُولةِ الغَسّانِيَّ أغارَ عَلَيْهِمْ، وكانَ الحارِثُ غائِبًا، فغَنِمَ وسَبى، وكانَ فيمَنْ سَبى أُمُّ أُناس بِنْتُ عَوْفِ بنِ مُحَلِّمٍ الشَّيْبانِيِّ، امْرَأةُ الحارِثِ بن عَمْرٍو، فقالَتْ لِعَمْرٍو في مَسِيرِهِ: لَكَأنِّي بِرَجُلٍ أدْلَمَ أسْوَدَ، كَأنَّ مَشافِرَهُ مَشافِرُ بَعِيرٍ آكِلِ مُرارٍ قَدْ أخَذَ بِرَقَبَتِكَ، تَعْنِي الحارِثَ، فسُمِّيَ آكِلَ المُرارِ. والمُرارُ: شَجَرٌ. ثُمَّ تَبِعَهُ الحارِثُ في بَنِي بَكْرِ بنِ وائِلٍ، فلَحِقَهُ، فقَتَلَهُ، واسْتَنْقَذَ امْرَأتَهُ وما كانَ أصابَ. فقالَ الحارِثُ بنُ حِلِّزَةَ اليَشْكُرِيُّ لِعَمْرِو ابنِ المُنْذِرِ، وهُوَ عَمْرُو بنُ هِنْدٍ اللَّخْمِيُّ:

وَأَقَدْناكَ رَبَّ غَسّانَ بِالمُنْذِرِ كَرْهًا إذْ لا تُكالُ الدِّماءُ

لِأنَّ الحارِثَ الأعْرَجَ الغَسّانِيَّ قَتَلَ المُنْذِرُ أباهُ، وهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ. وهذا الحَدِيثُ أطْوَلُ مِمّا ذَكَرْتُ، وإنَّما مَنَعَنِي مِنِ اسْتِقْصائِهِ ما ذَكَرْتُ

مِن القَطْعِ. ويُقالُ: بَلْ آكِلُ المُرارِ: حُجْرُ بنُ عَمْرِو بنِ مُعاوِيةَ، وهُوَ صاحِبُ هذا الحَدِيثِ، وإنَّما سُمِّيَ آكِلَ المُرارِ لِأنَّهُ أكَلَ هُوَ وأصْحابُهُ في تِلْكَ الغَزْوةِ شَجَرًا يُقالُ لَهُ: المُرارُ.

قُدُومُ صُرَد بنِ عَبْدِ الله الأزْدِيِّ

[إسْلامُهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدِمَ على رَسُولِ الله ﷺ صُرَدُ بنُ عَبْدِ الله الأزْدِيُّ، فأسْلَمَ وحَسُنَ إسْلامُهُ، في وفْدٍ مِن الأزْدِ، فأمَّرَهُ رَسُولُ الله ﷺ على مَنْ أسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ، وأمَرُوهُ أنْ يُجاهِدَ بِمَنْ أسْلَمَ مَنْ كانَ يَلِيهِ مِنْ أهْلِ الشِّرْكِ مِنْ قِبَلِ اليَمَنِ.

[قِتالُهُ أهْلَ جُرَش]

فَخَرَجَ صُرَدُ بنُ عَبْدِ الله يَسِيرُ بِأمْرِ رَسُولِ الله ﷺ، حَتّى نَزَلَ بِجُرَش، وهِيَ يَوْمئِذٍ مَدِينةٌ مُغْلَقةٌ، وبِها قَبائِلُ مِنْ قَبائِلِ اليَمَنِ، وقَدْ ضَوَتْ إلَيْهِمْ خَثْعَمُ، فدَخَلُوها مَعَهُمْ حِينَ سَمِعُوا بِسَيْرِ المُسْلِمِينَ إلَيْهِمْ، فحاصَرُوهُمْ فيها قَرِيبًا مِنْ شَهْرٍ، وامْتَنَعُوا فيها مِنْهُ، ثُمَّ إنَّهُ رَجَعَ عَنْهُمْ قافِلًا، حَتّى إذا كانَ إلى جَبَلٍ لَهُمْ يُقالُ لَهُ: شَكَرٌ، ظَنَّ أهْلُ جُرَش أنَّهُ إنَّما ولّى عَنْهُمْ مُنْهَزِمًا، فخَرَجُوا في طَلَبِهِ، حَتّى إذا أدْرَكُوهُ عَطَفَ عَلَيْهِمْ، فقَتَلَهُمْ قَتْلًا شَدِيدًا.

[إخْبارُ الرَّسُولِ وافِدَي جُرَش بِما حَدَثَ لِقَوْمِها]

وَقَدْ كانَ أهْلُ جُرَش بَعَثُوا رَجُلَيْنِ مِنهُمْ إلى رَسُولِ الله ﷺ بِالمَدِينةِ يَرْتادانِ ويَنْظُرانِ، فبَيْنا هُما عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ عَشِيّةً بَعْدَ صَلاةِ العَصْرِ،

إذْ قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «بأيِّ بِلادِ الله شَكْرُ؟»، فقامَ إلَيْهِ الجُرَشِيّانِ فقالا: يا رَسُولَ الله، بِبِلادِنا جَبَلٌ يُقالُ لَهُ: كَشْرٌ، وكَذلك يُسَمِّيهِ أهْلُ جُرَشَ، فقالَ: «إنَّه لَيْسَ بكَشْرٍ، ولَكِنَّهُ شَكْرٌ»، قالا: فما شَأْنُهُ يا رَسُولَ الله؟ قالَ: «إنَّ بُدْنَ الله لَتُنْحَرُ عِنْدَهُ الآنَ»، قالَ: فجَلَسَ الرَّجُلانِ إلى أبي بَكْرٍ أوْ إلى عُثْمانَ، فقالَ لَهُما: ويْحَكُما! إنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَيَنْعى لَكُما قَوْمَكُما، فقُوما إلى رَسُولِ الله ﷺ فاسْألاهُ أنْ يَدْعُوَ الله أنْ يَرْفَعَ عَنْ قَوْمِكُما، فقاما إلَيْهِ، فسَألاهُ ذلك، فقالَ: «اللهُمَّ ارْفَعْ عَنْهُمْ»، فخَرَجا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ الله ﷺ راجِعِينَ إلى قَوْمِهِما، فوَجَدا قَوْمَهُما قَدْ أُصِيبُوا يَوْمَ أصابَهُمْ صُرَدُ بنُ عَبْدِ الله، في اليَوْمِ الَّذي قالَ فيهِ رَسُولُ الله ﷺ ما قالَ، وفي السّاعةِ الَّتي ذَكَرَ فيها ما ذَكَرَ.

[إسْلامُ أهْلِ جُرَشَ]

وخَرَجَ وفْدُ جُرَشَ حَتّى قَدِمُوا على رَسُولِ الله ﷺ فأسْلَمُوا، وحَمى لَهُمْ حِمًى حَوْلَ قَرْيَتِهِمْ، على أعْلامٍ مَعْلُومةٍ، لِلْفَرَسِ والرّاحِلةِ ولِلْمُثِيرةِ - بَقَرةِ الحَرْثِ -، فمَنْ رَعاهُ مِن النّاسِ فما لَهُمْ سُحْتٌ. فقالَ في تِلْكَ الغَزْوةِ رَجُلٌ مِن الأزد:

وَكانَت خَثْعَم تُصِيبُ مِنَ الأزْدِ في الجاهِلِيّةِ، وكانُوا يَعْدُونَ في الشَّهْرِ الحَرامِ:

يا غَزْوةً ما غَزَوْنــا غَيْرَ خائِبَةٍ	فيها البِغالُ وفيها الخَيْلُ والحُمُرُ
حَــتّى أتَيْنا حُمَــيْرًا في مَصانِعِها	وجَمْعُ خَثْعَمَ قَدْ شاعَتْ لَها النُّذُرُ
إذا وضَعْتُ غَلِيلًا كُنْتُ أحْمِلُهُ	فما أُبالِي أدانُوا بَعْدُ أمْ كَفَرُوا

قُدُومُ رَسُولِ مُلُوكِ حِمْيَرَ بِكِتابِهِمْ

[قُدُومُ رَسُولِ مُلُوكِ حِمْيَرَ]

وَقَدِمَ على رَسُولِ الله ﷺ كِتابُ مُلُوكِ حِمْيَرَ، مَقْدَمَهُ مِنْ تَبُوكَ، ورَسُولُهُمْ إِلَيْهِ بِإِسْلامِهِمُ الحارِثُ بنُ عَبْدِ كُلالٍ، ونُعَيْمُ بنُ عَبْدِ كُلالٍ، والنُّعْمانُ قَيْلُ ذِي رُعَيْنٍ ومَعافِرَ وهَمْدانَ، وبَعَثَ إِلَيْهِ زُرْعَةَ ذُو يَزَن مالكَ بنَ مُرَّةَ الرُّهاوِيَّ بِإِسْلامِهِمْ ومُفارَقَتِهِمُ الشِّرْكَ وأَهْلَهُ.

[كِتابُ الرَّسُولِ إِلَيْهِمْ]

فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ الله ﷺ:

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ الله النَّبِيِّ، إلى الحارِثِ بنِ عَبْدِ كُلالٍ، وإلى نُعَيْمِ بنِ عَبْدِ كُلالٍ، وإلى النُّعْمانِ قَيْلِ ذِي رُعَيْنٍ ومَعافِرَ وهَمْدانَ.

أَمّا بَعْدُ ذلكم، فإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُم اللهَ الَّذي لا إِلَهَ إِلّا هُوَ، أَمّا بَعْدُ، فإِنَّهُ قد وقَع بِنا رَسُولُكُمْ مُنْقَلَبَنا مِنْ أَرْضِ الرُّومِ، فلَقِيَنا بِالمَدِينةِ، فبَلَّغَ ما أرسلتُم بِهِ، وخَبَّرَنا ما قِبَلَكُمْ، وأَنْبَأَنا بِإِسْلامِكُمْ وقَتْلِكُمُ المُشْرِكِينَ، وأَنَّ اللهَ قَدْ هَداكُمْ بِهُداهُ، إِنْ أَصْلَحْتُمْ وأَطَعْتُمُ اللهَ ورَسُولَهُ، وأَقَمْتُمُ الصَّلاةَ، وآتَيْتُمُ الزَّكاةَ، وأَعْطَيْتُمْ مِن المَغانِمِ خُمُسَ الله، وسَهْمَ الرَّسُولِ وصَفِيَّهُ، وما كُتِبَ على المُؤْمِنِينَ مِن الصَّدَقةِ مِن العَقارِ، عُشْرَ ما سَقَتِ العَيْنُ وسَقَتِ السَّماءُ، وعلى ما سَقى الغَرْبُ نِصْفُ العُشْرِ، وإِنَّ في الإِبِلِ الأَرْبَعِينَ ابنةَ لَبُونٍ، وفي ثَلاثِينَ مِن الإبِلِ ابنُ لَبُونٍ ذَكَرٌ، وفي كُلِّ خَمْسٍ

مِن الإبِلِ شاةٌ، وفي كُلِّ عَشْرٍ مِن الإبِلِ شاتانِ، وفي كُلِّ أرْبَعِينَ مِن البَقَرِ بَقَرةٌ، وفي كُلِّ ثَلاثِينَ مِن البَقَرِ تَبِيعٌ، جَذَعٌ أوْ جَذَعةٌ، وفي كُلِّ أرْبَعِينَ مِن الغَنَمِ سائِمةٌ وحْدَها، شاةٌ، وإنَّها فريضةُ الله الَّتِي فرَضَ على المُؤْمِنِينَ في الصَّدَقةِ، فمَنْ زادَ خَيْرًا فهُوَ خَيْرٌ لَهُ، ومَنْ أدّى ذلك وأشْهَدَ على إسْلامِهِ، وظاهَرَ المُؤْمِنِينَ على المُشْرِكِينَ، فإنَّهُ مِن المُؤْمِنِينَ، لَهُ ما لَهُمْ، وعَلَيْهِ ما عَلَيْهِمْ، ولَهُ ذِمّةُ الله وذِمّةُ رَسُولِهِ، وإنَّهُ مَنْ أسْلَمَ مِنْ يَهُودِيٍّ أوْ نَصْرانِيٍّ، فإنَّهُ مِن المُؤْمِنِينَ، لَهُ ما لَهُمْ، وعَلَيْهِ ما عَلَيْهِمْ، ومَنْ كانَ على يَهُودِيَّتِهِ أوْ نَصْرانِيَّتِهِ فإنَّهُ لا يُرَدُّ عَنْها، وعَلَيْهِ الجِزْيةُ على كُلِّ حالٍ؛ ذَكَرٍ أوْ أُنْثى، حُرٍّ أوْ عَبْدٍ، دِينارٌ وافٍ مِنْ قِيمةِ المَعافِرِ أوْ عِوَضُهُ ثِيابًا، فمَنْ أدّى ذلك إلى رَسُولِ الله ﷺ فإنَّ لَهُ ذِمّةَ الله وذِمّةَ رَسُولِهِ، ومَنْ مَنَعَهُ فإنَّهُ عَدُوٌّ لله ولِرَسُولِهِ.

أمّا بَعْدُ، فإنَّ رَسُولَ الله مُحَمَّدًا النَّبِيَّ أرْسَلَ إلى زُرْعةَ ذِي يَزَنٍ أنْ إذا أتاكُمْ رُسُلِي فأُوصِيكُمْ بِهِمْ خَيْرًا؛ مُعاذُ بنُ جَبَلٍ، وعَبْدُ الله بنُ زَيْدٍ، ومالِكُ بنُ عُبادةَ، وعُقْبةُ بنُ نَمِرٍ، ومالِكُ بن مُرّة، وأصحابُهم، وأنِ اجْمَعُوا ما عِنْدَكُمْ مِنَ الصَّدَقةِ والجِزْيةِ مِنْ مَخالِيفِكُمْ، وأبْلِغُوها رُسُلِي، وأنَّ أمِيرَهُمْ مُعاذُ بنُ جَبَلٍ، فلا يَنْقَلِبَنَّ إلّا راضِيًا.

أمّا بَعْدُ، فإنَّ مُحَمَّدًا يَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلّا الله وأنَّهُ عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، ثُمَّ إنَّ مالِكَ بنَ مُرّةَ الرُّهاوِيَّ قَدْ حَدَّثَنِي أنَّكَ أسْلَمْتَ مِنْ أوَّلِ حِمْيَرَ، وقَتَلْتَ المُشْرِكِينَ، فأبْشِرْ بِخَيْرٍ، وآمُرُكَ بِحِمْيَرَ خَيْرًا، ولا تَخُونُوا ولا تَخاذَلُوا؛ فإنَّ رَسُولَ الله هُوَ ولِيُّ غَنِيِّكُمْ وفَقِيرِكُمْ، وإنَّ الصَّدَقةَ لا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ ولا لِأهْلِ بَيْتِهِ، إنَّما هِيَ زَكاةٌ يُزَكّى بِها على فُقَراءِ المُسْلِمِينَ وابنِ السَّبِيلِ، وإنَّ مالِكًا

قَدْ بَلَّغَ الخَبَرَ، وحَفِظَ الغَيْبَ، وآمُرُكُمْ بِهِ خَيْرًا، وإنِّي قَدْ أرْسَلْتُ إلَيْكُمْ مِنْ صالِحِي أهْلِي وأُولِي دِينِهِمْ وأُولِي عِلْمِهِمْ، وآمُرُكَ بِهِمْ خَيْرًا؛ فإنَّهُمْ مَنْظُورٌ إلَيْهِمْ، والسَّلامُ عَلَيْكُمْ ورَحْمَةُ الله وبَرَكاتُهُ.

وَصِيّةُ الرَّسُولِ مُعاذًا حِينَ بَعَثَهُ إلى اليَمَنِ

[بَعْثُ الرَّسُولِ مُعاذًا على اليَمَنِ وشَيْءٌ مِنْ أمْرِهِ بِها]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ أنَّهُ حُدِّثَ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ حِينَ بَعَثَ مُعاذًا أوْصاهُ وعَهِدَ إلَيْهِ، ثُمَّ قالَ لَهُ: «يَسِّرْ ولا تُعَسِّرْ، وبَشِّرْ ولا تُنَفِّرْ، وإنَّكَ سَتَقْدَمُ على قَوْمٍ مِنْ أهلِ الكِتاب، يَسألُونَكَ: ما مِفْتاحُ الجَنّةِ؟ فقُلْ: شَهادةُ أنْ لا إلَهَ إلّا الله وحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ».

قالَ: فخَرَجَ مُعاذٌ، حَتّى إذا قَدِمَ اليَمَنَ قامَ بِما أمَرَهُ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ، فأتَتْهُ امْرَأةٌ مِنْ أهْلِ اليَمَنِ فقالَتْ: يا صاحِبَ رَسُولِ الله، ما حَقُّ زَوْجِ المَرْأةِ عَلَيْها؟ قالَ: وَيْحَكِ، إنَّ المَرْأةَ لا تَقْدِرُ على أنْ تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِها، فاجْهَدِي نَفْسَكِ في أداءِ حَقِّهِ ما اسْتَطَعْتِ. قالَتْ: والله لَئِنْ كُنْتَ صاحِبَ رَسُولِ الله ﷺ إنَّكَ لَتَعْلَمُ ما حَقُّ الزَّوْجِ على المَرْأةِ. قالَ: ويْحَكِ، لَوْ رَجَعْتِ إلَيْهِ فوَجَدْتِهِ تَنْثَعِبُ مَنْخِراهُ قَيْحًا ودَمًا، فمَصِصْتِ ذلكِ حَتّى تُذْهِبِيهِ ما أدَّيْتِ حَقَّهُ.

إسْلامُ فَرْوةَ بنِ عَمْرٍو الجُذامِيِّ

[إسْلامُهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وبَعَثَ فَرْوةُ بنُ عَمْرِو بنِ النّافِرةِ الجُذامِيُّ، ثُمَّ النُّفاثِيُّ،

إلى رَسُولِ الله ﷺ رَسُولًا بإسْلامِهِ، وأهْدى لَهُ بَغْلةً بَيْضاءَ، وكانَ فرْوةُ عامِلًا لِلرُّومِ على مَنْ يَلِيهِمْ مِن العَرَبِ، وكانَ مَنْزِلُهُ مُعانَ وما حَوْلَها مِنْ أرْضِ الشّامِ.

[حَبْسُ الرُّومِ لَهُ وشِعْرُهُ في مَحْبَسِهِ]

فَلَمّا بَلَغَ الرُّومَ ذلك مِنْ إسْلامِهِ طَلَبُوهُ حَتّى أخَذُوهُ، فحَبَسُوهُ عِنْدَهُمْ، فقالَ في مَحْبَسِهِ ذلك:

طَرَقَتْ سُلَيْمى مَوْهِنا أصْحابِي ... والرُّومُ بَيْنَ البابِ والقِرْوانِ
صَدَّ الخيالُ وساءَهُ ما قَدْ رَأى ... وهَمَمْتُ أنْ أُغْفي وقَدْ أبْكاني
لا تَكْحَلِنَّ العَيْنَ بَعْدِي إثْمِدًا ... سَلْمى ولا تَدِيَنَّ لِلْإِتْيانِ
وَلَقَدْ عَلِمْتَ أبا كُبَيْشَةَ أنَّنِي ... وسْطَ الأعِزّةِ لا يُحَص لِساني
فَلَئِنْ هَلَكْتُ لَتَفْقِدُنَّ أخاكُم ... ولَئِنْ بَقِيتُ لَتَعْرِفُنَّ مَكانِي
وَلَقَدْ جَمَعْتُ أجَلَّ ما جَمَعَ الفَتى ... مِنْ جَوْدةٍ وشَجاعةٍ وبَيانِ

فَلَمّا أجْمَعَتِ الرُّومُ لِصَلْبِهِ على ماءٍ لَهُمْ يُقالُ لَهُ: عَفْراءُ بِفِلَسْطِينَ، قالَ:

ألا هَلْ أتى سَلْمى بِأنَّ حَلِيلَها ... على ماءِ عَفْرا فوْقَ إحْدى الرَّواحِلِ
على ناقةٍ لَمْ يَضْرِبِ الفَحْلُ أُمَّها ... مُشَذَّبةٌ أطْرافُها بِالمَناجِلِ

[مَقْتَلُهُ]

فَزَعَمَ الزُّهْرِيُّ ابنُ شِهابٍ أنَّهُمْ لَمّا قَدَّمُوهُ لِيَقْتُلُوهُ قالَ:

بَلِّغْ سَراةَ المُسْلِمِينَ بِأنَّنِي ... سَلْمٌ لِرَبِّي أعْظُمِي ومَقامِي

ثُمَّ ضَرَبُوا عُنُقَهُ، وصَلَبُوهُ على ذلك الماءِ، يَرْحَمُهُ الله تَعالى.

فَصْلٌ

وَذَكَرَ وَفْدَ جُرَش، وَأَنَّ خَثْعَمَ ضَوَتْ[1] إليها حينَ حاصرَهُمْ صُرَدُ بنُ عَبْدِ اللهِ، وَأَنْشَدَ: [من البسيط]

حَتّى أَتَيْنا حُمَيْرًا فِي مَصانِعِها وَجَمْعُ خَثْعَمَ قَدْ ساعَتْ لَها النُّذُرُ

وَيُرْوى «خُمَيْرًا» بِالخاءِ المُعْجَمةِ، وَفِي حِمْيَرَ حُمَير الأدْنى، وَهُوَ حُمَيرُ ابنُ الغَوْثِ بنِ سَعْدِ بنِ عَوْفِ بنِ عَدِيٍّ بنِ مالِكِ بنِ زَيْدِ بنِ شُدَدَ بنِ زُرْعةَ وَهُوَ حُمَير الأصْغَرُ بنُ سَبَأَ الأصْغَرِ بنِ كَعْب كَهْفِ الظُّلمِ بنِ [زيدِ][2] الجمهورِ ابنِ عمرو بنِ قَيْسِ بنِ مُعاوِيةَ بنِ جُشَمَ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ وائِلِ بنِ الغَوْثِ ابنِ حَيْدانَ بنِ قَطَنِ بنِ عَرِيبِ بنِ زُهَيْرِ بنِ الهَمَيْسع بنِ حُمَير الأكبرِ، وهو العَرنْجَجُ، وَقالَ الأبْرَهِيّ - وَهُوَ مِنْ عُلَماءِ حِمْيَر بِالنَّسَبِ، وَهُوَ مَنْسُوبٌ إلى أَبْرَهةَ بنِ الصَّباحِ الحِمْيَرِيّ فِي حُمَير الأدْنى المَبْدُوءِ بِذِكْرِهِ - خُمَير، وَعلى هَذا القَوْلِ تَصِحُّ رِوايةُ الخاءِ المَنْقُوطةِ، وَمَنْ رَواهُ بِالحاءِ المُهْمَلةِ فَهُوَ تَصْغِيرُ حُمَيِّر تَصغِيرَ التَّرخيم. والعَرنْجَجُ فِي لُغةِ حِمْيَر: العَتِيقُ.

وَذَكَرَ حَدِيثَ ضِمامِ بنِ ثَعْلَبَةَ، وَهُوَ الَّذِي قالَ فِيهِ طَلْحةُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ: جاءَنا أعْرابِيٌّ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثائِرَ الرَّأْسِ يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ، وَلا يُفْقَهُ ما يَقُولُ، حَتّى دَنا، فَإذا هُوَ يَسْأَلُ عَن الإسْلامِ... الحَدِيث، رَواهُ مالِكٌ فِي «موطَّئه» عَنْ عَمِّهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ طَلْحةَ[3]، وَقَدْ تَرْجَمَ عَلَيْهِ أَبُو داوُدَ لِما فِيهِ مِنْ دُخُولِ المُشْرِكِ المَسْجِدَ.

---

(١) أي: انضمت إليها.

(٢) ليس في (ب).

(٣) «الموطأ»، كتاب قصر الصلاة في السفر: (١: ١٧٥).

وَذَكَرَ مَعَهُ حَدِيثَ اليَهُودِ حِينَ دَخَلُوا المَسْجِدَ، وَذَكَرُوا أنّ رَجُلًا مِنْهُمْ وامْرَأَةً زَنَيا(١)، وَقالَ بِهِ الشّافِعِيّ، وَكَرِهَ [مالِكٌ](٢) رحمه الله دُخُولَ الذِّمِّيِّ المَسْجِدَ، وَخَصّصَ أَبُو حَنِيفةَ المَسْجِدَ الحَرامَ لِقَوْلِ اللهِ تَبارَكَ وَتَعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ الآيَةَ [التوبة: ٢٨]، وَتَعَلَّقَ مالِكٌ رحمه الله بِالعِلّةِ الّتِي نَبّهَتْ عَلَيْها الآية، وهي التَّنجيس، فَعَمّ المساجدَ كُلَّها.

فَصْلٌ

وذَكَرَ الجارُودَ العَبْدِيّ، وَهُوَ بِشْرُ بنُ عَمْرِو [بنِ المُعلّى](٣)، يُكَنّى أبا المُنْذِرِ، وَقالَ الحاكِمُ: يُكَنّى أبا غِياثٍ وَأبا عِتابٍ، وَسُمِّيَ الجارُودَ؛ لِأَنّهُ أغارَ على قَوْمٍ مِنْ بَكْرٍ، فَجَرّدَهُمْ، قالَ الشّاعِرُ(٤): [من الطويل]

وَدُسْناهُمُ بِالخَيْلِ مِنْ كُلِّ جانِبٍ ... كَما جَرَّدَ الجارُودُ بَكْرَ بنَ وائِلِ

وذَكَرَ فِي آخِرِ حَدِيثِ الجارُودِ الغَرُورَ بنَ النُّعْمانِ بنِ المُنْذِرِ، وَكانَ كِسْرى حِينَ قَتَلَ النُّعْمانَ صَيّرَ أَمْرَ الحِيرةِ إلى هانِئِ بنِ قَبِيصةَ الشَّيْبانِيّ، وَلَمْ يَبْقَ لِآلِ المُنْذِرِ رَسْمٌ وَلا أَمْرٌ يُذْكَرُ حَتّى كانت الرّدّة، ومات هانئ بنُ قَبِيصةَ فَأَظْهَرَ أَهْلُ الرِّدّةِ [أَمْرَ](٥) الغَرُورِ بنِ النّعْمانِ، واسْمُهُ: المُنْذِرُ، وَإِنّما سُمِّيَ الغَرُورَ لِأَنّهُ غَرّ قَوْمَهُ فِي تِلْكَ الرِّدّةِ، أَوْ غَرُّوهُ واسْتَعانُوا بِهِ على حَرْبِهِمْ فَقُتِلَ هُنالِكَ، وَزَعَمَ

---

(١) «سنن أبي داود»، كتاب الصلاة: (١: ١٣٢).

(٢) ليس في (أ).

(٣) ليس في (ب).

(٤) أنشده ابن الأعرابي، كما في «الحيوان» للجاحظ: (٥: ٥٥٣)، وذكر شطره الثاني. وانظر: «المعارف» لابن قتيبة: (ص: ٣٣٨).

(٥) ليس في (ب).

وَثِيمةُ بنُ مُوسى[١] أنّهُ أسْلَمَ بَعْدَ ارْتِدادِهِ، واللهُ أعْلَمُ.

فَصْلٌ

وَذَكَرَ وَفْدَ [بَنِي][٢] حَنِيفةَ، واسْمُ حَنِيفةَ أُثالُ بنُ لُجَيْمِ بنِ صعبِ بنِ عَلِيّ ابنِ بَكْرِ بنِ وائِلٍ مَعَ مُسَيْلِمةَ على النّبيّ ﷺ، وهو مُسيلِمةُ بن ثُمامةَ بنِ كَبيرِ[٣] ابنِ حبيبِ بنِ الحارِثِ بنِ عَبْدِ الحارِثِ بنِ هِفّان بنِ ذُهْلِ بنِ الدُّولِ بنِ حَنِيفةَ، يُكَنّى أبا ثُمامةَ، وَقِيلَ: أبا هارُونَ، وكان يُسَمّى بِالرّحْمَنِ فِيما رُوِيَ [عَنِ][٤] الزُّهْرِيّ قَبْلَ مَوْلِدِ عَبْدِ اللهِ والد رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقُتِلَ وَهُوَ ابنُ مِئةٍ وَخَمْسِينَ سَنةً، وَكانَتْ قُرَيْشٌ حِينَ سَمِعَتْ: «بِسْمِ اللهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ» قالَ قائِلُهُمْ: دُقَّ فُوك، إنّما تَذْكُرُ مُسَيْلِمةَ رَحْمانَ اليَمامةِ، وَكانَ الرَّجّالُ الحَنَفِيّ، واسْمُهُ نَهارُ بنُ عُنْفُوةَ ـ والعُنْفُوةُ يابِسُ الحَلِيّ[٥]، وَهُوَ نَباتٌ، وَذَكَرَهُ أبُو حَنِيفةَ فَقالَ فِيهِ: عُنْثُوة بِالثّاءِ المُثَلّثةِ، وَقالَ: هُوَ يابِسُ الحَلِيّ، والحَلِيّ: النَّصِيّ، وَهُوَ نَبْتٌ ـ قَدِمَ فِي [وَفْدِ اليَمامةِ][٦] على النّبِيّ ﷺ ....

---

(١) وثيمة بن موسى بن الفرات الوشاء الفارسي الفَسَوي، توفي سنة (٢٣٧هـ). صنَّف كتابًا في الردة. «وفيات الأعيان» (٦: ١٢).

والحافظ ابن حجر ينقل عنه في «الإصابة»، ونقل عنه في «الإصابة» (٩: ٥٠٣) في ترجمة الغرور بن النعمان: «قال وثيمة في كتاب الردة: كان اسمه المنذر ولقبه الغرور، ويقال: هو اسمه، وكان يقول بعد أن أسلم: لست الغرور ولكني المغرور».(ج)

(٢) ليس في (ب).

(٣) كذا في النسخ، و«جمهرة» الكلبي: (ص: ٥٤٣)، وانظر: «تبصير المنتبه» (٣: ١١٨٨).

(٤) ليس في (ب).

(٥) قال أبو حنيفة في «النبات» (ص: ٢٢): «الحَلِيُّ: يبيس النَّصِيّ، لا يُفضل عليه كلأ مما تأكل الإبل والغنم».

(٦) ليس في (ب).

فَآمَنَ وَتَعَلَّمَ سُوَرًا(١) مِن القُرْآنِ، فَرَآهُ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا جالِسًا مَعَ رَجُلَيْنِ [مِنْ أَصْحابِهِ](٢)، أَحَدُهُما فُراتُ بنُ حَيّانَ، والآخَرُ: أَبُو هُرَيْرةَ، فَقالَ: «ضِرْسُ أَحَدِكُمْ فِي النّارِ مِثْلُ أُحُدٍ»(٣)، فَما زالا خائِفَيْنِ حَتّى ارْتَدَّ الرَّجّالُ، وَآمَنَ بِمُسَيْلِمةَ، وَشَهِدَ زُورًا أَنّ النَّبِيّ ﷺ قَدْ شَرِكَهُ مَعَهُ فِي النُّبُوّةِ، وَنَسَبَ إِلَيْهِ بَعْضَ ما تَعَلَّمَ مِن القُرْآنِ، فَكانَ مِنْ أَقْوى أَسْبابِ الفِتْنَةِ على بني حنيفة، وَقَتَلَهُ زَيْدُ بنُ الخَطّابِ يَوْمَ اليَمامةِ، ثُمّ قَتَلَ زَيْدَ بنَ الخَطّابِ سَلَمةُ بنُ صبيحٍ الحنفي.

وكانَ مُسيلِمةُ صاحبَ نَيْرُوجاتٍ(٤) يُقالُ: إِنّهُ أَوّلُ مَنْ أَدْخَلَ البَيْضةَ فِي القارُورةِ، وَأَوّلُ مَنْ وَصَلَ جَناحَ الطّائِرِ(٥) المَقْصُوصَ، وَكانَ يَدَّعِي أَنّ ظَبْيةً تَأْتِيهِ مِن الجَبَلِ فَيَحْلُبُ لَبَنَها، وَقالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي حَنِيفةَ يَرْثِيهِ(٦): [من مجزوء الكامل]

لَهَفِي عَلَيْكَ أَبا ثُمامَهْ ... لَهَفِي على رُكْنَي(٧) شَمامَهْ
كَمْ آيَةٍ لَكَ فِيهِمُ ... كالشَّمْسِ تَطْلُعُ مِنْ غَمامَهْ

وَكَذَبَ، بَلْ كانَتْ آيتُهُ مَنْكُوسةً، تَفَلَ فِي بِئْرِ قَوْمٍ سَأَلُوهُ ذَلِكَ تَبَرُّكًا فَمَلُحَ ماؤُها، وَمَسَحَ رَأْسَ صَبِيٍّ فَقَرِعَ قَرَعًا فاحِشًا، وَدَعا لِرَجُلٍ فِي ابنَيْنِ لَهُ بِالبَرَكةِ،

---

(١) في (ف): «سورة».
(٢) ليس في (ب).
(٣) ذكره الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٥/ ٢٧٣).
(٤) كذا في النسخ، والنِّيرَنْج أو النيرج: هو شيء كالسِّحر، وليس به. أصلها في الفارسية: نيرنك. وتذكر الكتب المجوسية أن لهذه النيرنجات تأثيراتٍ عجيبة خارقة للعادات. انظر: «المعرب» للجواليقي، تحقيق: د. ف عبد الرحيم: (ص: ٦١٣).
(٥) في (س): «الطير».
(٦) الشعر في «المعارف» (ص: ٤٠٥).
(٧) كذا في (أ)، (ب)، (س)، وإحدى نسخ «المعارف».

فَرَجَعَ إلى مَنْزِلِهِ فَوَجَدَ أحَدَهُما قَدْ سَقَطَ فِي البِئْرِ، والآخَرَ قَدْ أكَلَهُ الذِّئْبُ، وَمَسَحَ على عَيْنَيْ رَجُلٍ اسْتَشْفى بِمَسْحِهِ، فابْيَضَّتْ عَيْناهُ.

واسْمُ مُؤَذِّنِهِ: حُجَيْرٌ، وَكانَ أوّلَ ما أُمِرَ أنْ يَذْكُرَ مُسَيْلِمةَ فِي الأذانِ تَوَقّفَ، فَقالَ لَهُ مُحَكّمُ بنُ طُفَيْل: صَرِّحْ حُجَيْرُ. فَذَهَبَتْ مَثَلًا.

وَأمّا سَجاح الّتِي تَنَبّأتْ فِي زَمانِهِ وَتَزَوَّجَها، فَكانَ مُؤَذِّنُها جَنَبَةَ بنَ طارِقٍ، وَقالَ القُتَبيّ: اسْمُهُ: زهيرُ بنُ عمير[1]، وقيل: إن شَبَثَ بن رِبْعِيٍّ أذّنَ لَها أيْضًا، وَتُكَنّى: أُمّ صادِرٍ، وَكانَ آخِرُ أمْرِها أنْ أسْلَمَتْ فِي زَمانِ عُمَرَ رضي الله عنه، كُلُّ هَذا مِنْ كِتابِ الواقِدِيّ وَغَيْرِهِ.

وكان مُحكَّمُ بنُ طُفيلٍ الحنفيُّ صاحبَ حَرْبِهِ وَمُدَبِّرَ أمْرِهِ، وَكانَ أشْرَفَ مِنْهُ فِي حَنِيفةَ، وَيُقالُ فِيهِ: مُحْكَمٌ[2] وَمُحَكَّمٌ، وَفِيهِ يَقُولُ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ[3]:

[من البسيط]

يا مُحْكَمَ بنَ طُفَيْلٍ قَدْ أُتِيحَ لَكُمْ ... للهِ درُّ أبِيكُـمْ حَيّـةُ الـوادِي

وَقالَ أيْضًا: [من الكامل]

يَخْبِطْنَ بِالأيْـدِي حِياض مُحَكَّمِ

وَقَوْلُ ابنِ إسْحاقَ: أُنْزِلُوا ـ يَعْنِي: وَفْدَ بَنِي حَنِيفةَ ـ بِدارِ بنتِ الحدث[4]. الصَّوابُ: بِنْت الحارث، واسمُها: كيِّسةُ بنتُ [الحارثِ بنِ][5] كُرَيزِ بنِ

(١) في (ب)، (ج)، (ف): «عمرو»، ومثله في «المعارف».

(٢) بعده في (ف): «بن طفيل».

(٣) «ديوانه»، عن «الروض» (١ : ٤٦٨).

(٤) الذي ثبت في مطبوعة «السيرة»: «بنت الحارث».

(٥) ليس في (ب).

حَبِيبِ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي غَزْوةِ قُرَيْظَةَ[١] الكَلامُ على كَيِّسةَ وَكَيْسةُ بِالتَّخْفِيفِ، وَأَنّها كانَت امْرَأَةً لِمُسَيْلِمةَ قَبْلَ ذَلِكَ؛ فَلِذَلِكَ أَنْزَلَهُمْ بِدارِها، ثُمّ خَلَفَ عَلَيْها عَبْدُ اللهِ بنُ عامِرٍ، وَذَكَرْنا هُنالِكَ أَنّ الصّوابَ ما قالَهُ ابنُ إسْحاقَ [أنّ اسْمَ تِلْكَ المَرْأَةِ][٢] زَيْنَبُ بِنْتُ الحارِثِ، كَذلك وَقَعَ فِي رِوايةِ يُونُسَ عَن ابنِ إسْحاقَ، والمَذْكُورةُ هُنا هي كَيِّسةُ بِنْتُ الحارِثِ، وَإِيّاهُ عَنى النبيُّ[٣] ﷺ حِينَ خَطَبَ فَقالَ: «أُرِيتُ فِي يَدَيّ إسْوارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ فَكَرِهْتُهما، فَنَفَخْتُ فِيهِما فَطارا، فَأَوّلْتُهما كَذّابَ اليَمامةِ والعَنْسِيّ صاحِبَ صَنْعاءَ»[٤].

فَأَمّا مُسَيْلِمةُ فَقَتَلَهُ خالِدُ بنُ الوَلِيدِ، وَأَفْنى قَوْمَهُ قَتْلًا وَسَبْيًا. وَأَمّا الأسودُ بنُ كَعْبٍ العَنْسِيّ ـ وَعَنْسٌ مِنْ مَذْحِج ـ فاتّبَعَهُ[٥] قَبائِلُ مِنْ مَذْحِج واليَمَن على أَمْرِهِ، وَغَلَبَ على صَنْعاءَ، وَكانَ يُقالُ لَهُ: ذُو الخِمارِ، وَيُلَقَّبُ: عَبهَلةَ، وَكانَ يَدَّعِي أَنّ سُحَيقًا وَشُقَيقًا يَأْتِيانِهِ بِالوَحْيِ، وَيَقُول: هُما مَلَكانِ يَتَكَلَّمانِ على لِسانِي[٦]، فِي خُدَعٍ كَثِيرةٍ يُزَخْرِفُ بِها[٧]، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ مالِكِ بنِ عَنْسٍ، [وَبَنُو عَنْسٍ][٨] جُشَمُ وَجُشَيْمٌ وَمالِكٌ وَعامِرٌ وَعَمْرٌو، وعزيزٌ وَمُعاوِيةُ وَعَتِيكٌ وَشِهابٌ والقِرِّيّةُ وَيامٌ[٩]،

---

(١) انظر: (٦: ٢٩٤).

(٢) سقط من (ب).

(٣) في (ف): «رسول الله».

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التعبير، «فتح الباري» (١٢: ٤٢٠)، ومسلم في كتاب الرؤيا: (٤: ١٧٨١).

(٥) في (ص): «فاتبعته».

(٦) في (ب): «لسانه».

(٧) انظر: «دلائل النبوة» للبيهقي: (٥: ٣٣٤، ٣٣٦).

(٨) في (ب): «وعنس».

(٩) انظر: «جمهرة» ابن حزم: (ص: ٤٠٥).

وَمِنْ وَلَدِ يام بنِ عَنْسٍ عمّارُ بن ياسِرٍ، وَأَخَواهُ عَبْدُ اللهِ وَحُوَيْرِثٌ[١] ابنا ياسِرِ ابنِ عمرِو بنِ مالِكٍ، قَتَلَهُ فَيْرُوزُ الدَّيْلَمِيّ، وَقَيْسُ بنُ مَكْشُوحٍ، وَداذَوَيْهِ رَجُلٌ مِن الأبناءِ[٢]، دَخَلُوا عَلَيْهِ مِنْ سَرَبٍ صَنَعَتْهُ لَهُم امْرَأَةٌ كانَ قَدْ غَلَبَ عَلَيْها مِن الأبناءِ[٣]، فَوَجَدُوهُ سَكْرانَ لا يَعْقِلُ مِن الخَمْرِ، فَخَبَطُوهُ بِأَسْيافِهِمْ وَهُمْ يَقُولُونَ: [من الرجز]

ضَلَّ نَبِيٌّ ماتَ وهوَ سَكْرانْ والنّاسُ تَلْقى جُلَّهُمْ كالذِّبّانْ
النّارُ والنُّورُ[٤] لَدَيْهِمْ[٥] سِيّانْ

ذَكَرَهُ الدُّولابِيّ[٦]، وَزادَ[٧] ابنُ إسْحاقَ فِي رِوايةِ يُونُسَ عَنْهُ: أَنّ امْرَأَتَهُ سَقَتْهُ البَنْجَ [فِي شَرابِهِ][٨] تِلْكَ اللّيْلَةَ، وَهِيَ الّتِي احْتَفَرَتِ السَّرَبَ لِلدُّخُولِ عَلَيْهِ، وَكانَ اغْتَصَبَها؛ لِأَنّها كانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النّساءِ، وَكانَتْ مُسْلِمةً صالِحةً،

(١) في (ب): «جويرية»، وفي (ص): «الحويرث»، وفي «جمهرة ابن حزم» (ص: ٤٠٥): «الحريث».

(٢) الأبناء: قوم من العجم سكنوا اليمن، وهم الذين أرسلهم كسرى مع سيف بن ذي يزن لما جاء يستنجده على الحبشة فنصروه وملكوا اليمن، وتدبروا وتزوجوا في العرب، فقيل لأولادهم: الأبناء، وغلب عليهم هذا الاسم لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم. انظر: «تاج العروس» (بنى).

(٣) في (س): «الأنبار».

(٤) في (ف): «النور والنار».

(٥) في (ف): «لهم».

(٦) أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد، صاحب التصانيف، منها: «الأسماء والكنى»، و«المولد والوفاة»، توفي سنة (٣١٠هـ). انظر: «العبر» للذهبي: (٢: ١٤٥-١٤٦)، و«فهرسة ابن خير» (ص: ٤٧٠، ٥٣٤).

(٧) في (أ)، (ح)، (ف): «وذكر».

(٨) عن (ب)، (ج).

وَكانَتْ تحدِّثُ عنه أنّه كانَ لا يغتسِلُ مِن جَنابةٍ، واسْمُها: المَرْزُبانةُ، وَفِي صُورةِ قَتْلِهِ اخْتِلافٌ.

وَقَوْلُهُ ﷺ: «أُرِيتُ سِوارَيْنِ[١] مِنْ ذَهَبٍ، فَنَفَخْتُهما فَطارا»، قالَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ بِالتَّعْبِيرِ[٢]: تَأْوِيلُ نَفْخِهِ إِيّاهما أَنَّهُما بريحِه قُتِلا؛ لأنه لم يغزُهما بِنَفْسِهِ، وَتَأْوِيلُ الذَّهَبِ أَنَّهُ زُخْرُفٌ، فَدَلَّ لَفْظُهُ على زَخْرَفَتِهما وَكَذِبِهِما، وَدَلَّ الإِسْوارانِ بِلَفْظِهِما على مَلِكَيْنِ؛ لِأَنَّ الأساوِرَةَ هُم المُلُوكُ، وَبِمَعْناهُما على التَّضْيِيقِ عَلَيْهِ لِكَوْنِ السِّوارِ مُضَيِّقًا على الذِّراعِ.

فَصْلٌ

وَذَكَرَ زَيْدَ الخَيْلِ، وَهُوَ زَيْدُ بنُ مُهَلْهِلِ بنِ زَيْدِ بنِ مُنْهِبٍ، يكنى: أبا مُكَنِفٍ الطّائي، واسمُ طَيِّئٍ أُدَدُ، وَقِيلَ لَهُ: زَيْدُ الخَيْلِ لِخَمْسٍ[٣] أَفْراسٍ كانَتْ لَهُ، [لَها][٤] أَسْماءٌ أَعْلامٌ ذَهَبَ عَنِّي حِفْظُها الآنَ.

وَذَكَرَ قَوْلَهُ عليهِ السّلامُ: «إِنْ يَنْجُ زَيْدٌ مِنْ حُمّى المَدِينَةِ». قالَ الرّاوِي: وَلَمْ يُسَمِّها بِاسْمِها الحُمّى، وَلا أُمَّ مِلْدَم، سَمّاها بِاسْمٍ آخَرَ ذَهَبَ [عَنِّي[٥]، والاِسْمُ الّذِي ذَهَبَ][٦] عَنِ الرّاوِي [مِنْ أَسْماءِ الحُمّى هُوَ أُمُّ كَلْبَةَ][٧]، ذُكِرَ لِي أَنَّ

---

(١) السِّوار: لغة في الإسوار، وهي الحلية التي تُلبس في المعصم.

(٢) في (ف): «بالتفسير».

(٣) في (ص): «لخمسة». وكلاهما صواب، فالفرس يقال للذكر والأنثى.

(٤) ليس في (أ).

(٥) بعده في (ف): «اسمها».

(٦) ليس في (ب).

(٧) ليس في (ب).

أبا عُبَيْدةَ ذَكَرَهُ فِي «مَقاتِلِ الفُرْسانِ»، وَلَمْ أرَهُ، وَلَكِنْ رَأيْتُ البَكْرِيَّ[١] ذَكَرَهُ فِي باب فَردةً مِنْ أَسْماءِ البِلادِ، وَلَها أيْضًا اسْمٌ سِوى هَذِهِ الأَسْماءِ ذَكَرَهُ ابنُ دريدٍ في «الجمهرة»[٢]، قالَ: سَباطِ مِنْ أَسْماءِ الحُمّى على وَزْنِ رَقاشِ.

وَأمّا أُمّ مَلْدَمٍ[٣]، بِالدّالِ وَبِالذّالِ، وَبِفتح المِيمِ وَكسرها[٤]، وَهُوَ مِن اللَّدْمِ، وَهُوَ شِدّةُ الضّرْبِ.

وَيَحْتَمِلُ أنْ تكُونَ[٥] أُمّ كَلْبةَ هَذا الاِسْمُ مُغَيَّرًا مِنْ كُلْبة بِضَمِّ الكافِ؛ والكُلَبةُ شدّةُ الرِّعدة، وكُلَبُ البردِ شدائده، فَهَذِهِ أُمّ كَلْبَةَ بِالهاءِ، وَهِيَ الحُمّى، وَأمّا أُمُّ كَلْبٍ فَشُجَيرةٌ لَها نورٌ حَسَنٌ، وَهِيَ إذا حُرِّكَتْ أَنْتَنُ شَيْءٍ. وَزَعَمَ أَبُو حَنِيفةَ أَنَّ الغَنَمَ إذا مَسَّتْها لَمْ يُسْتَطَعْ أنْ تُقْرَبَ[٦] الغَنَمُ لَيْلَتَها تِلْكَ مِنْ شدّةِ إنتانِها.

وَذَكَرَ فِي خَبَرِ زَيْدِ الخَيْلِ فِي رِوايةِ أَبِي عَلِيٍّ البَغْدادِيّ[٧] ما هَذا نَصُّهُ: خَرَجَ نفرٌ من طَيِّئٍ يريدون النَّبي ﷺ بالمَدِينةِ وُفُودًا، وَمَعَهُمْ زَيْدُ الخَيْلِ، وَوَزَرُ ابنُ سُدُوسٍ النَّبْهانِيّ، وَقَبِيصةُ بنُ الأَسْوَدِ بن عامِرِ بنِ جُوَيْنٍ الجَرْمِيّ، وَهُوَ النَّصْرانِيّ، وَمالِكُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ خَيْبَرِيّ بنِ أَفْلَتَ بنِ سلسلةَ، وَقُعَيْنُ بنُ خُلَيْفٍ

---

(١) «معجم ما استعجم» (٢: ١٠١٨).

(٢) «جمهرة اللغة» (١: ٣٣٦). (ج)

(٣) بعده في (ف): «فيقال».

(٤) في (ف): «وبكسرها».

(٥) في (ف): «يكون».

(٦) في (ف): «يقرب».

(٧) هو أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي، كان أهل المغرب ينسبونه إلى بغداد؛ لأنه لما قدم إليهم قدم من بغداد. ولم أجد هذا الخبر في كتاب «الأمالي»، وهو أشبه كتب القالي بأن يُذكر فيه.

الطَّرِيفِيّ، ورَجُلٌ مِنْ جَدِيلةَ، ثُمّ مِنْ بَنِي بَوْلانَ، فَعَقَلُوا رَواحِلَهُمْ بِفِناءِ المَسْجِدِ وَدَخَلُوا، فَجَلَسُوا قَرِيبًا مِن النّبِيّ ﷺ حَيْثُ يَسْمَعُونَ صَوْتَهُ، فَلَمّا نَظَرَ النّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ قالَ: «إِنّي خَيْرٌ لَكُمْ مِن العُزّى وَلاتِها[1]، وَمِن الجَمَلِ[2] الأَسْوَدِ الّذِي تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ، وَمِمّا حازَتْ مَناعِ[3]، مِنْ كُلِّ ضارٍّ غَيْرِ نَفّاعٍ»، فَقامَ زَيْدُ الخَيْلِ، وكانَ مِنْ أَعْظَمِهِمْ خَلْقًا وَأَحْسَنِهِمْ وَجْهًا وَشَعْرًا، وَكانَ يركبُ الفرسَ العظيمَ الطّويلَ فَتَخُطُّ رِجْلاهُ فِي الأَرْضِ كَأَنّهُ حِمارٌ، فَقالَ لَهُ النّبِيُّ ﷺ ولا يَعْرِفُهُ: «الحَمْدُ للهِ الّذِي أَتى بِك مِنْ سَهْلِك وَحَزْنِك، وَسَهّلَ قَلْبَك لِلْإِيمانِ»، ثُمّ قَبَضَ على يَدِهِ فَقالَ: «مَنْ أَنْتَ؟» فَقالَ: أنا زَيْدُ الخَيْلِ بنُ مُهَلْهِلٍ، وَأنا أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ، وَأَنّك عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَقالَ [لَهُ][4]: «[بَلْ][5] أنتَ زيدُ الخير»، ثُمّ قالَ: «يا زَيْدُ، ما خُبِّرْتُ عَنْ رَجُلٍ قَطُّ شَيْئًا إِلّا رَأَيْتُه دُونَ ما أُخْبِرْتُ عَنْهُ غَيْرَك»، فَبايَعَهُ، وَحَسُنَ إِسْلامُهُ، وَكَتَبَ لَهُ كِتابًا على ما أرادَ، وَأَطْعَمَهُ قُرًى كَثِيرةً، مِنْها: فَدَكُ، وَكَتَبَ لِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمْ على[6] قَوْمِهِ إِلّا وَزَرَ بنَ سُدُوسٍ، فَقالَ: إِنّي لَأَرى رَجُلًا لَيَمْلِكَنّ رِقابَ العَرَبِ، وَلا واللهِ لا يَمْلِكُ رَقَبَتِي عَرَبِيٌّ أَبَدًا، ثُمّ لَحِقَ بِالشّامِ وَتَنَصّرَ وَحَلَقَ رَأْسَهُ، فَلَمّا قامَ زَيْدٌ مِنْ عِنْدِ النّبِيّ ﷺ قالَ: «أيّ فَتًى إن لَم تُدْرِكْهُ أُمُّ كَلْبَةَ»، يَعْنِي[7]: الحُمّى، وَيُقالُ: بَلْ قالَ: «إِنْ نَجا مِنْ

(١) كذا في (ج)، (س)، وفي (أ)، (ب): «آلّاتها». وفي (ص)، (ف): «الاتها»

(٢) كذا في النسخ. وفي «تاج العروس» عن ابن دريد: «ومن الحجر الأسود». وفُسِّر بأنه صنم من حجر أسود.

(٣) في «تاج العروس»: «مناع: هضبة في جبلي طيئ».

(٤) عن (ج)، (ص)، (ف).

(٥) ليس في (ب).

(٦) في (ب): «من».

(٧) في (ب): «وهي».

آجامِ المَدِينةِ»، فَقالَ زَيْدٌ حِينَ انْصَرَفَ[١]: [من الطويل]

أُنِيخَتْ بِآجامِ المَدِينةِ أَرْبَعًا
وَعَشْرًا يُغَنِّي فَوْقَها اللَّيْلَ طائِرُ

فَلَمّا قَضَتْ أَصْحابُها كُلَّ بُغْيةٍ
وَخَطَّ كِتابًا فِي الصَّحِيفةِ ساطِرُ

شَدَدْتُ عَلَيْها رَحْلَها وَشَلِيلَها
مِن الدَّرْسِ والشَّعْراءِ والبَطْنُ ضامِرُ[٢]

الدَّرْسُ: الجَرَبُ. والشَّعْراءُ: ذُبابٌ.

قالَ أَبُو الحَسَنِ المَدائِنِيّ[٣] فِي حَدِيثِهِ: وَأَهْدى زَيْدٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِخْذَمًا والرَّسُوبَ، وَكانا سَيْفَيْنِ لِصَنَمٍ يلي الفِلْسَ[٤]، فَلَمّا انْصَرَفُوا قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ما قَدِمَ عَلَيّ رَجُلٌ مِن العَرَبِ يُفَضِّلُهُ قَوْمُهُ إِلّا رَأَيْتُهُ دُونَ ما يُقالُ إِلّا ما كانَ مِنْ زَيْدٍ، فَإِنْ يَنْجُ زَيْدٌ مِنْ حُمّى المَدِينةِ فَلِأَمْرٍ ما هُوَ».

وَقَوْلُهُ: [من الطويل]

أَلا رُبَّ يَوْمٍ لَوْ مَرِضْتُ لَعادَنِي عَوائِدُ مَنْ لَمْ يَبْرَ مِنْهُنّ يَجْهَدِ

---

(١) البيتان الأول والثالث في «الأغاني» (١٨: ٦٥٥٣).

(٢) في (أ)، (ح): «سليلها» بالسين. والشليل ـ كما في «الاشتقاق» لابن دريد ـ: مِسْحٌ يُطرح على عجُز البعير تحت الرحل.

(٣) هو علي بن محمد المدائني، عالم أخباري، صاحب التصانيف في المغازي والأنساب. توفي في سنة (٢٢٤هـ) عن ثلاث وتسعين سنة. انظر: «العبر» للذهبي: (١: ٣٩١).

(٤) كذا ضُبط بكسر فسكون في «التاج» عن ابن دريد، وضبطه ياقوت بضم الفاء واللام، وضبطه النسابون بفتح فسكون، وهو صنم طيّئ. انظر: «الأصنام» للكلبي: (ص: ١٥، ٥٩).

بَعْدَهُ[١][٢]: [من الطويل]

فَلَيْتَ اللّواتِي عُدْنَنِي لَمْ يَعُدْنَنِي وَلَيْتَ اللّواتِي غِبنَ عَنِّيَ شُهَّدِي

قُدُومُ عَدِيٍّ بنِ حاتِمٍ

وَهُوَ عَدِيُّ بنُ حاتِمِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ سعدِ بنِ حَشْرجِ بنِ امرئِ القَيسِ بنِ عَدِيِّ بنِ رَبِيعةَ بنِ جَرْوَلَ بنِ ثُعَلَ بنِ عمرِو بنِ الغَوثِ بن طَيِّئ، يُكَنّى أبا طَرِيفٍ. وَحَدِيثُ إسْلامِهِ صَحِيحٌ عَجِيبٌ خَرَّجَهُ التِّرمِذِيُّ[٣].

وَأُخْتُهُ الّتِي ذُكِرَ إسْلامُها أحْسَبُ اسْمَها سَفّانةَ؛ لِأنّي وَجَدْتُ فِي خَبرٍ عَنِ امْرَأةِ حاتِمٍ تَذْكُرُ فِيهِ مِنْ سَخائِهِ، قالَتْ: فَأَخَذَ حاتِمٌ عَدِيًّا يُعَلِّلُهُ مِن الجُوعِ، وَأخَذْتُ أنا سَفّانةَ.

وَلا يُعْرَفُ لِعَدِيٍّ ولدٌ؛ انقرضَ عقِبُهُ. ولحاتمٍ عَقِبٌ مِنْ قِبلِ عَبْدِ اللهِ بنِ حاتِمٍ، ذَكَرَهُ القُتَبِيُّ[٤]، وَلا تُعْرَفُ[٥] لَهُ بِنتٌ إلّا سَفّانةُ، فَهِيَ إذًا هَذِهِ المَذْكُورةُ فِي السِّيرةِ، واللهُ أعْلَمُ.

وَأُمُّ حاتمٍ: عِنَبة بنتُ عفيفٍ، كانَتْ مِنْ أكْرَمِ النّاسِ، وَهِيَ الّتِي تَقُولُ[٦]: [من الطويل]

---

(١) في (ف): «وبعده».

(٢) هو أحد أبيات أربعة قالها وقد اشتدت الحمى به. انظر: «الأغاني» (١٨: ٦٥٥٤)، و«معجم ما استعجم» (٢: ١٠١٨).

(٣) «عارضة الأحوذي»، أبواب التفسير، تفسير فاتحة الكتاب: (١١: ٧٢-٧٤).

(٤) «المعارف» (ص: ٣١٣).

(٥) في (ف): «ولا يعرف».

(٦) «الشعر والشعراء» (ص: ٢٤١-٢٤٢).

لَعَمْرِي لَقِدْمًا عَضّنِي الجُوعُ عَضّةً
فَآلَيْـتُ[١] أَلّا أحْـرِمَ الدَّهْرَ جائِعا

والسَّفّانةُ: الدُّرّةُ، وَبِها كانَ يُكَنّى حاتِمٌ[٢].

وَذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ حَدِيثَ فَرْوةَ وَقَوْلَهُ: [من الكامل]

طَرَقَتْ سُلَيْمى مَوْهِنًا أصْحابِي والـرُّومُ بَيْنَ البـابِ والقِرْوانِ

القِرْوانُ: يَجُوزُ أنْ يَكُونَ جَمْعَ قِرْوٍ، وهو حوضُ الماءِ، مثل: صِنوان، وَيَجُوزُ أنْ يَكُونَ جَمْعَ: قَرِيٍّ، وهو مجرى الماء، مِثْلُ صَلِيبٍ وَصُلْبان[٣]. وَأصَحُّ ما قِيلَ فِي القَرْوِ أنّهُ حُوَيْضٌ مِنْ خَشَبٍ تُسْقى فِيهِ الدَّوابّ، وَتَلِغُ فِيهِ الكِلابُ، وَفِي المَثَلِ: ما فِيها لاعِي قَرْوٍ، أيْ: ما فِي الدّارِ حَيَوانٌ، وَأرادَ[٤]: بِلاعِي قَرْوٍ: لاعِقَ قَرْوٍ[٥]، وَقَلَبَ القافَ الأُولى ياءً لِلتَّضْعِيفِ، وَحَسَّنَ ذَلِكَ أنّهُ اسْمُ فاعِلٍ، وَقَدْ يُبْدِلُونَ مِنْ آخِرِ حَرْفٍ فِي اسْمِ الفاعِلِ ياءً، وَإنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ تَضْعِيفٌ، كَقَوْلِهِمْ فِي الخامِسِ: خامِيهِمْ، وَفِي سادِسِهِمْ سادِيهِمْ، وَكَذَلِكَ إلى العاشِرِ؛ وَنَحْوٌ مِنْهُ ما أنْشَدَ سِيبَوَيْهِ[٦]: [من الرجز]

وَلِضَفادِي جَمِّه نَقانِقُ

---

(١) في (ف): «وآليت».

(٢) انظر ترجمة سفانة في «أسد الغابة» (٧: ١٤٣).

(٣) كأنه يريد ضبط القاف بين الكسر كصِنْوان، والضم كصُلبان.

(٤) في (ف): «فأراد».

(٥) المثل في «المستقصى» للزمخشري: (٢: ٣١٧).

(٦) «الكتاب» (٢: ٢٧٣)، وصدره:

ومَنْهلٍ ليس له حوازقُ

أيْ: لِضَفادِع، وَأنْشَدَ أيضًا[١]: [من البسيط]

مِنَ الثَّعالي ووَخْزٌ مِنْ أَرانِيها

أرادَ الثّعالِبَ وَأرانِبها، وَإذا كانَ هَذا مَعْرُوفًا فَلاعِي قَرْوٍ أحَقُّ بأنْ يُقْلَبَ آخِرُهُ ياءً كَراهيةَ اجْتِماعِ قافَيْنِ.

وَذَكَرَ قُدُومَ وَفْدِ كِنْدةَ، وَفِيهِ قَوْلُهُ ﷺ: «لا نَقْفُو أُمَّنا، وَلا نَنْتَفِي مِنْ أبينا»، وَفِي هَذا ما يَدُلُّ على أنّ الأشْعَثَ قَدْ أصابَ فِي بَعْضِ قَوْلِهِ: «نَحْنُ وَأنْتَ بَنُو آكِلِ المُرارِ»، وَذَلِكَ أنَّ فِي جَدّاتِ النّبيّ ﷺ مَنْ هِيَ مِنْ ذَلِكَ القَبيلِ، مِنْهُنّ: دَعْدُ[٢] بِنْتُ سُرَيْرِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ الحارثِ الكِنْديّ المَذْكُورِ، وَهِيَ أُمُّ كِلابِ بنِ مُرّةَ، وَقِيلَ: بَلْ هِيَ جَدّةُ كِلابٍ أُمُّ أُمّهِ هِنْدٍ، وَقَدْ ذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ هِنْدًا هَذِهِ وَأنّها وَلَدَتْ كِلابًا.

* * *

(١) «الكتاب» (٢: ٢٧٣)، والبيت بتمامه:

لها أشاريرُ من لحمٍ تُتَمِّرُهُ   من الثعالي ووخزٌ من أرانيها

(٢) كذا، وفي «نسب قريش» لمصعب: (ص: ١٣): «هند بنت سرير».

إسْلامُ بَنِي الحارِثِ بنِ كَعْبٍ على يَدَيْ خالِدِ بنِ الوَلِيدِ لمّا سارَ إلَيْهِمْ

[دَعْوة خالِد النّاس إلى الإسْلامِ وإسْلامُهُمْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خالِدَ بنَ الوَلِيدِ، في شَهْرِ رَبِيعٍ الآخِرِ أوْ جُمادى الأُولى، سَنَةَ عَشْرٍ، إلى بَنِي الحارِثِ بنِ كَعْبٍ بِنَجْرانَ، وأمَرَهُ أنْ يَدْعُوَهُمْ إلى الإسْلامِ قَبْلَ أنْ يُقاتِلَهُمْ ثَلاثًا، فإن اسْتَجابُوا فاقْبَلْ مِنْهُمْ، وإنْ لَمْ يَفْعَلُوا فقاتِلْهُمْ. فخَرَجَ خالِدٌ حَتّى قَدِمَ عَلَيْهِمْ، فبَعَثَ الرُّكْبانَ يَضْرِبُونَ في كُلِّ وجْهٍ، ويَدْعُونَ إلى الإسْلامِ، ويَقُولُونَ: أيُّها النّاسُ، أسْلِمُوا تَسْلَمُوا.

فَأسْلَمَ النّاسُ، ودَخَلُوا فيما دُعُوا إلَيْهِ، فأقامَ فيهِمْ خالِدٌ يُعَلِّمُهُم الإسْلامَ وكِتابَ اللهِ وسُنّةَ نَبِيِّهِ ﷺ، وبِذلك كانَ أمَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إنْ هُمْ أسْلَمُوا ولَمْ يُقاتِلُوا.

[كِتابُ خالِدٍ إلى الرَّسُولِ يَسْألُهُ رَأْيَهُ في البَقاءِ أو المَجِيءِ]

ثُمَّ كَتَبَ خالِدُ بنُ الوَلِيدِ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ: مِنْ خالِدِ بنِ الوَلِيدِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ ورَحْمَةُ اللهِ وبَرَكاتُهُ، فإنِّي أحْمَدُ إلَيْكَ اللهَ الَّذي لا إلَهَ إلّا هُوَ، أمّا بَعْدُ، يا رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْكَ، فإنَّكَ بَعَثْتَنِي إلى بَنِي الحارِثِ ابن كَعْبٍ، وأمَرْتَنِي إذا أتَيْتُهمْ ألّا أُقاتِلَهُمْ ثَلاثةَ أيّامٍ، وأنْ أدْعُوَهُمْ إلى

الإسْلامِ، فإنْ أسْلَمُوا أقَمْتُ فيهِمْ، وقَبِلْتُ مِنْهُمْ، وعَلَّمْتُهم مَعالِمَ الإسْلامِ وكِتابَ اللهِ وسُنّةَ نَبِيِّهِ، وإنْ لَمْ يُسْلِمُوا قاتَلْتُهم. وإنِّي قَدِمْتُ عَلَيْهِمْ فدَعَوْتُهمْ إلى الإسْلامِ ثَلاثةَ أيّامٍ، كما أمَرَني رَسُولُ اللهِ ﷺ، وبَعَثْتُ فيهِمْ رُكْبانًا، قالُوا: يا بَنِي الحارِثِ، أسْلِمُوا تَسْلَمُوا، فأسْلَمُوا ولَمْ يُقاتِلُوا، وأنا مُقِيمٌ بَيْنَ أظْهُرِهِمْ، آمُرُهُمْ بِما أمَرَهُم اللهُ بِهِ، وأنْهاهُمْ عَمّا نَهاهُم اللهُ عَنْهُ، وأُعَلِّمُهُمْ مَعالِمَ الإسْلامِ وسُنّةَ النَّبِيِّ ﷺ حَتّى يَكْتُبَ إلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، والسَّلامُ عَلَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ ورَحْمَةُ اللهِ وبَرَكاتُهُ.

[كِتابُ الرَّسُولِ إلى خالِدٍ يَأْمُرُهُ بِالمَجِيءِ]

فَكَتَبَ إلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللهِ إلى خالِدِ بنِ الوَلِيدِ، سَلامٌ عَلَيْكَ، فإنِّي أحْمَدُ إلَيْكَ اللهَ الَّذي لا إلَهَ إلّا هُوَ، أمّا بَعْدُ، فإنَّ كِتابَكَ جاءَنِي مَعَ رَسُولِكَ تُخْبِرُ أنَّ بَنِي الحارِثِ بنِ كَعْبٍ قَدْ أسْلَمُوا قَبْلَ أنْ تُقاتِلَهُمْ، وأجابُوا إلى ما دَعَوْتَهمْ إلَيْهِ مِن الإسْلامِ، وشَهِدُوا أنْ لا إلَهَ إلّا اللهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ ورَسُولُهُ، وأنْ قَدْ هَداهُم اللهُ بِهُداهُ، فبَشِّرْهُمْ وأنْذِرْهُمْ، وأقْبِلْ ولْيُقْبِلْ مَعَكَ وفْدُهُمْ، والسَّلامُ عَلَيْكَ ورَحْمَةُ اللهِ وبَرَكاتُهُ».

[قُدُومُ خالِدٍ مَعَ وفْدِهِمْ على الرَّسُولِ]

فَأقْبَلَ خالِدٌ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وأقْبَلَ مَعَهُ وفْدُ بَنِي الحارِثِ بنِ كَعْبٍ، مِنْهُمْ قَيْسُ بنُ الحُصَيْنِ ذِي الغُصّةِ، ويَزِيدُ بنُ عَبْدِ المَدانِ، ويَزِيدُ بنُ المُحَجَّلِ، وعَبْدُ اللهِ بنُ قُرادٍ الزِّيادِيُّ، وشَدّادُ بنُ عَبْدِ اللهِ القَنانِيُّ، وعَمْرُو ابنُ عَبْدِ اللهِ الضّبابِيُّ.

[حَدِيثُ وفْدِهِمْ مَعَ الرَّسُولِ]

فَلَمّا قَدِمُوا على رَسُولِ الله ﷺ فرَآهُمْ، قالَ: «مَنْ هَؤُلاءِ القَوْمُ الَّذينَ كَأَنَّهُمْ رِجالُ الهِنْدِ؟»، قِيلَ: يا رَسُولَ الله، هَؤُلاءِ رِجالُ بَنِي الحارِثِ بنِ كَعْبٍ. فلَمّا وقَفُوا على رَسُولِ الله ﷺ سَلَّمُوا عَلَيْهِ، وقالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الله، وأَنَّهُ لا إِلَهَ إِلّا الله، قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَأَنا أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلّا الله، وأَنِّي رَسُولُ الله».

ثُمَّ قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَنْتُمُ الَّذينَ إذا زُجِرُوا اسْتَقْدَمُوا؟»، فسَكَتُوا، فلَمْ يُراجِعْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، ثُمَّ أَعادَها الثّانِيَةَ، فلَمْ يُراجِعْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، ثُمَّ أَعادَها الثّالِثَةَ، فلَمْ يُراجِعْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، ثُمَّ أَعادَها الرّابِعَةَ، فقالَ يَزِيدُ بنُ عَبْدِ المَدانِ: نَعَمْ يا رَسُولَ الله، نَحْنُ الَّذينَ إذا زُجِرُوا اسْتَقْدَمُوا. قالَها أَرْبَعَ مِرارٍ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَوْ أَنَّ خالِدًا لَمْ يَكْتُبْ إِلَيَّ أَنَّكُمْ أَسْلَمْتُمْ ولَمْ تُقاتِلُوا، لَأَلْقَيْتُ رُؤُوسَكُمْ تَحْتَ أَقْدامِكُمْ»، فقالَ يَزِيدُ بن عَبْدِ المَدانِ: أَما والله ما حَمِدْناكَ ولا حَمِدْنا خالِدًا. قالَ: «فمَنْ حَمِدْتُمْ؟» قالُوا: حَمِدْنا الله عَزَّ وجَلَّ الَّذي هَدانا بِكَ يا رَسُولَ الله. قالَ: «صَدَقْتُمْ».

ثُمَّ قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «بِمَ كُنْتُمْ تَغْلِبُونَ مَنْ قاتَلَكُمْ في الجاهِلِيّةِ؟». قالُوا: لَمْ نَكُنْ نَغْلِبُ أَحَدًا. قالَ: «بَلى، قَدْ كُنْتُمْ تَغْلِبُونَ مَنْ قاتَلَكُمْ»، قالُوا: كُنّا نَغْلِبُ مَنْ قاتَلَنا يا رَسُولَ الله أَنّا كُنّا نَجْتَمِعُ ولا نَفْتَرِقُ، ولا نَبْدَأُ أَحَدًا بِظُلْمٍ. قالَ: «صَدَقْتُمْ». وأَمَّرَ رَسُولُ الله ﷺ على بَنِي الحارِثِ بنِ كَعْبٍ قَيْسَ بنَ الحُصَيْنِ.

فَرَجَعَ وفْدُ بَنِي الحارِثِ إلى قَوْمِهِمْ في بَقِيّةٍ مِنْ شَوّالٍ، أَوْ في صَدْرِ ذِي

القَعْدةِ، فلَمْ يَمْكُثُوا بَعْدَ أنْ رَجعُوا إلى قَوْمِهِمْ إلّا أرْبَعةَ أشْهُرٍ حَتّى تُوُفي رَسُولُ الله ﷺ، ورَحِمَ وبارَكَ، ورَضِيَ وأنْعَمَ.

[بَعْثُ الرَّسُولِ عَمْرَو بنَ حَزْمٍ بِعَهْدِهِ إلَيْهِمْ]

وَقَدْ كانَ رَسُولُ الله ﷺ بَعثَ إلَيْهِمْ بَعْدَ أنْ ولّى وفْدُهُمْ عَمْرَو بنَ حَزْمٍ؛ لِيُفَقِّهَهُمْ في الدِّينِ، ويُعَلِّمَهُمُ السُّنّةَ ومَعالِمَ الإسْلامِ، ويَأْخُذَ مِنْهُمْ صَدَقاتِهِمْ، وكَتَبَ لَهُ كِتابًا عَهِدَ إلَيْهِ فيهِ عَهْدَهُ، وأمَرَهُ فيهِ بِأمْرِهِ:

«بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هذا بَيانٌ مِن الله ورَسُوله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، عَهْدٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ الله لِعَمْرِو بنِ حَزْمٍ، حِينَ بَعَثَهُ إلى اليَمَنِ، أمَرَهُ بِتَقْوى الله في أمْرِهِ كُلِّهِ؛ فإنَّ الله مَعَ الَّذينَ اتَّقَوْا والَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ، وأمَرَهُ أنْ يَأْخُذَ بِالحَقِّ كما أمَرَهُ الله، وأنْ يُبَشِّرَ النّاسَ بِالخَيْرِ، ويَأْمُرَهُمْ بِهِ، ويُعَلِّمَ النّاسَ القُرْآنَ، ويُفَقِّهَهُمْ فيهِ، ويَنْهى النّاسَ، فلا يَمَسُّ القُرْآنَ إنْسانٌ إلّا وهُوَ طاهِرٌ، ويُخْبِرَ النّاسَ بِالَّذِي لَهُمْ، والَّذِي عَلَيْهِمْ، ويَلِينَ لِلنّاسِ في الحَقِّ، ويَشْتَدَّ عَلَيْهِمْ في الظُّلْمِ؛ فإنَّ الله كَرِهَ الظُّلْمَ ونَهى عَنْهُ فقالَ: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، ويُبَشِّرَ النّاسَ بِالجَنّةِ وبِعَمَلِها، ويُنْذِرَ النّاسَ النّارَ وعَمَلَها، ويَسْتَأْلِفَ النّاسَ حَتّى يُفَقَّهُوا في الدِّينِ، ويُعَلِّمَ النّاسَ مَعالِمَ الحَجِّ وسُنَّتَهُ وفَرِيضَتَهُ، وما أمَرَ الله بِهِ، والحَجّ الأكْبَر الحَجّ الأكْبَر، والحَجّ الأصْغَر هُوَ العُمْرةُ، ويَنْهى النّاسَ أنْ يُصَلِّيَ أحَدٌ في ثَوْبٍ واحِدٍ صَغِيرٍ، إلّا أنْ يَكُونَ ثَوْبًا يُثْنِي طَرَفيهِ على عاتِقَيهِ، ويَنْهى النّاسَ أنْ يَحْتَبِيَ أحَدٌ في ثَوْبٍ واحِدٍ يُفْضِي بِفَرْجِهِ إلى السَّماءِ، ويَنْهى أنْ يَعْقِصَ أحَدٌ شَعَرَ رَأْسِهِ في قَفاهُ، ويَنْهى إذا كانَ بَيْنَ النّاسِ هَيْجٌ عَن

الدُّعاءِ إلى القَبائِلِ والعَشائِرِ، ولْيَكُنْ دَعواهُمْ إلى الله عَزَّ وجَلَّ وحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، فمَنْ لَمْ يَدْعُ إلى الله، ودَعا إلى القَبائِلِ والعَشائِرِ فلْيُقْطَفُوا بِالسَّيْفِ، حتّى تَكُونَ دَعْواهُمْ إلى الله وحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، ويَأْمُرَ النّاسَ بِإسْباغِ الوُضُوءِ وُجُوهَهُمْ وأيْدِيَهُمْ إلى المَرافِقِ وأرْجُلَهُمْ إلى الكَعْبَيْنِ، ويَمْسَحُونَ بِرُؤُوسِهِمْ كَما أمَرَهُم الله، وأمَرَ بِالصَّلاةِ لِوَقْتِها، وإتْمامِ الرُّكُوعِ والسُّجُودِ والخُشُوعِ، ويُغَلِّسُ بِالصُّبْحِ، ويُهَجِّرُ بِالهاجِرةِ حِينَ تَمِيلُ الشَّمْسُ، وصَلاةُ العَصْرِ والشَّمْسُ في الأرْضِ مُدْبِرةٌ، والمَغْرِبُ حِينَ يُقْبِلُ اللَّيْلُ، لا يُؤَخَّرُ حَتّى تَبْدُوَ النُّجُومُ في السَّماءِ، والعِشاءُ أوَّلَ اللَّيْلِ، وأمَرَ بِالسَّعْيِ إلى الجُمُعةِ إذا نُودِيَ لَها، والغُسْلِ عِنْدَ الرَّواحِ إلَيْها، وأمَرَهُ أنْ يَأْخُذَ مِن المَغانِمِ خُمُسَ الله، وما كُتِبَ على المُؤْمِنِينَ في الصَّدَقةِ مِن العَقارِ عُشْرَ ما سَقَتِ العَيْنُ وسَقَتِ السَّماءُ، وعلى ما سَقى الغَرْبُ نِصْفُ العُشْرِ، وفي كُلِّ عَشْرٍ مِن الإبِلِ شاتانِ، وفي كُلِّ عِشْرِينَ أرْبَعُ شِياهٍ، وفي كُلِّ أرْبَعِينَ مِن البَقَرِ بَقَرةٌ، وفي كُلِّ ثَلاثِينَ مِنَ البَقَرِ تَبِيعٌ؛ جَذَعٌ أوْ جَذَعةٌ، وفي كُلِّ أرْبَعِينَ مِن الغَنَمِ سائِمةٌ وحْدَها شاةٌ، فإنَّها فرِيضةُ الله الَّتِي افْتَرَضَ على المُؤْمِنِينَ في الصَّدَقةِ، فمَنْ زادَ خَيْرًا فهُوَ خَيْرٌ لَهُ. وإنَّهُ مَنْ أسْلَمَ مِنْ يَهُودِيٍّ أوْ نَصْرانِيٍّ إسْلامًا خالِصًا مِنْ نَفْسِهِ، ودانَ بِدِينِ الإسْلامِ، فإنَّهُ مِن المُؤْمِنِينَ، لَهُ مِثْلُ ما لَهُمْ، وعَلَيْهِ مِثْلُ ما عَلَيْهِمْ، ومَنْ كانَ على نَصْرانِيَّتِهِ أوْ يَهُودِيَّتِهِ فإنَّهُ لا يُرَدُّ عَنْها. وعلى كُلِّ حالِمٍ؛ ذَكَرٍ أوْ أُنْثى، حُرٍّ أوْ عَبْدٍ، دِينارٌ وافٍ أوْ عِوَضُهُ ثِيابًا، فَمَنْ أدّى ذلك، فإنَّ لَهُ ذِمّةَ الله وذِمّةَ رَسُولِهِ، ومَنْ مَنَعَ ذلك، فإنَّهُ عَدُوٌّ لله ولِرَسُولِهِ ولِلْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا. صَلَواتُ الله على مُحَمَّدٍ، والسَّلامُ عَلَيْهِ ورَحْمةُ الله وبَرَكاتُهُ».

قُدُومُ وَفْدِ بَنِي الحارِثِ بنِ كَعْبٍ

ذَكَرَ فِيهِمْ يَزِيدَ بنَ عَبْدِ المَدانِ، واسْمُ عَبْدِ المَدانِ: عَمْرُو بنُ الدَّيّانِ، والدَّيّانُ اسْمُهُ: يَزِيدُ بنُ قَطَنِ بنِ زِيادِ بنِ الحارِثِ بنِ مالِكِ بنِ رَبِيعةَ بنِ كعبِ ابنِ الحارِثِ بنِ كَعْبٍ الحارِثِيُّ[١].

وَذَكَرَ فِيهِمْ أَيْضًا ذا الغُصّةِ، واسْمُهُ: الحُصَيْنُ[٢] بنُ يَزِيدَ بنِ شَدّادٍ الحارِثِيّ، وَقِيلَ لَهُ: ذُو الغُصّةِ لِغُصّةٍ كانَتْ فِي حَلْقِهِ لا يَكادُ يُبِينُ مِنْها، وذَكَرَه عُمر بن الخَطّابِ رضي الله عنه يَوْمًا، فَقالَ: لا تُزادُ امْرَأَةٌ فِي صَداقِها على كَذا وَكَذا، وَلَوْ كانَتْ بِنْتَ ذِي الغُصّةِ.

وَذَكَرَ فِيهِمْ عَمْرَو بنَ عَبْدِ اللهِ الضِّبابِيّ، وَهُوَ ضِبابٌ بِكَسْرِ الضّادِ فِي بني الحارِثِ بنِ كعبِ بنِ مَذْحِجٍ، وَضِبابٌ أَيْضًا فِي قُرَيْشٍ وَهُوَ ابنُ حُجَيْرِ بنِ عَبْدِ بنِ مَعِيصِ بنِ عامِرٍ أخُو حَجَرِ بنِ عَبْدٍ، وَفِي حَجَرٍ وَحُجَيْرٍ يَقُولُ الشّاعِرُ:

[من البسيط]

أُنْبِيتُ أنّ غُواةً مِنْ بَنِي حَجَرٍ ... وَمِنْ حُجَيْرٍ بِلا ذَنْبٍ أراغُونِي[٣]
أَغْنُوا بَنِي حَجَرٍ عَنّا غُواتَكُمُ ... وَيا حُجَيْرُ إِلَيْكُمْ لا تَبُورُونِي[٤]

والضِّبابُ فِي بَنِي عامِرِ بنِ صَعْصَعةَ، وَهُمْ ضَبٌّ وَمُضِبٌّ وَحِسْلٌ وَحُسَيْلٌ بَنُو مُعاوِيَةَ بنِ كِلابٍ.

---

(١) انظر: «جمهرة» ابن حزم: (ص: ٤١٦-٤١٧).

(٢) الذي في «السيرة»: قيس بن الحصين. وانظر: «أسد الغابة» ترجمة الحصين: (٢: ٣٠).

(٣) كذا في (ب): «أراغوني»، بالغين. وأراغه: أراده، وخادعه. وفي غيرها: أراعوني، بالعين المهملة: وأراعه: أفزعه.

(٤) أغنُوا: اكفُوني ونوبوا عني. وباره يبوره بَورًا: جرَّبه واختبره.

وَأمّا الضَّبابُ بِالفَتْحِ، فَفِي نَسَبِ النّابِغةِ الذُّبْيانِيِّ ضَبابُ بنُ يَرْبُوعِ بنِ غَيْظٍ. وَأمّا الضُّباثُ[١] بِالضَّمِّ فَزَيْدٌ وَمَنْجى ابنا ضُباثٍ[٢] مِنْ بَنِي بَكْرٍ، ذَكَرَهُ الدّارَقُطْنِيّ[٣].

قُدُومُ رِفاعةَ بنِ زَيْدٍ الجُذامِيِّ

[إسْلامُهُ وحَمْلُهُ كِتابَ الرَّسُولِ إلى قَوْمِهِ]

وَقَدِمَ على رَسُولِ الله ﷺ في هُدْنةِ الحُدَيْبِيةِ، قبلَ خَيْبَرَ، رِفاعةُ بنُ زَيْدٍ الجُذامِيُّ ثُمَّ الضُّبَيْبِيُّ، فأهْدى لِرَسُولِ الله ﷺ غُلامًا، وأسْلَمَ فحَسُنَ إسْلامُهُ، وكَتَبَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ كِتابًا إلى قَوْمِهِ. وَفي كِتابِهِ:

«بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هذا كِتابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ الله، لِرِفاعةِ ابنِ زَيْدٍ. إنِّي بَعَثْتُهُ إلى قَوْمِهِ عامّةً، ومَنْ دَخَلَ فيهِمْ، يَدْعُوهُمْ إلى الله وإلى رَسُولِهِ، فمَنْ أقْبَلَ مِنْهُمْ ففي حِزْبِ الله وحِزْبِ رَسُولِهِ، ومَنْ أدْبَرَ فلَهُ أمانُ شَهْرَيْنِ».

فلَمّا قَدِمَ رِفاعةُ على قَوْمِهِ أجابُوا وأسْلَمُوا، ثُمَّ سارُوا إلى الحَرّةِ؛ حَرّةِ الرَّجْلاءِ، ونَزَلُوها.

---

(١) كذا في (أ)، (ح): «الضباث»، بالثاء. وهو الموافق لما في «المؤتلف» للدارقطني: (٣: ١٤٦٦).

(٢) كذا في (أ)، (ح): «ضباث»، بالثاء.

(٣) انظر: «المؤتلف والمختلف» (٣: ١٤٦٦-١٤٦٨).

فَصْلٌ

وَذَكَرَ وُفُودَ رِفاعةَ الضُّبَيْبِيِّ، وَأَنَّهُ أَهْدى لِرَسُولِ اللهِ ﷺ غُلامًا، وَذَلِكَ الغُلامُ هُوَ الَّذِي يُقالُ لَهُ: مِدْعَمٌ، وَقَعَ ذِكْرُهُ فِي «المُوَطَّأ»(١).

قُدُومُ وفْدِ هَمْدانَ

[أَسْماؤُهُمْ وكَلِمةُ ابنِ نَمَطٍ بَيْنَ يَدِي الرَّسُولِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وقَدِمَ وفْدُ هَمْدانَ على رَسُولِ الله ﷺ، فيما حَدَّثَنِي مَنْ أثِقُ بِهِ، عَنْ عَمْرِو بنِ عَبْدِ الله بنِ أُذَيْنَةَ العَبْدِيِّ، عَنْ أبي إسْحاقَ السَّبِيعِيِّ، قالَ: قَدِمَ وفْدُ هَمْدانَ على رَسُولِ الله ﷺ، مِنْهُمْ مالِكُ بن نَمَطٍ، وأبو ثَوْرٍ، وهُوَ ذُو المِشْعارِ، ومالِكُ بنُ أَيْفَعَ، وضِمامُ بنُ مالِكٍ السَّلْمانِيُّ، وعَمِيرةُ بنُ مالِكٍ الخارِفِيّ، فلَقُوا رَسُولَ الله ﷺ مَرْجِعَهُ مِنْ تَبُوكَ وعَلَيْهِمْ مُقَطَّعاتُ الحِبَراتِ، والعَمائِمُ العَدَنِيّةُ، بِرِحالِ المَيْسِ على المَهْرِيّةِ والأَرْحَبِيّةِ، ومالِكُ ابنُ نَمَطٍ ورَجُلٌ آخَرُ يَرْتَجِزانِ بِالقَوْمِ، يَقُولُ أحَدُهُما:

هَمْدانُ خَيْرٌ سُوقةً وأقْيالْ ... لَيْسَ لَهَا في العالَمِينَ أمْثالْ
مَحَلُّها الهَضْبُ ومِنْها الأَبْطال ... لَهَا إطاباتٌ بِها وآكالْ

وَيَقُولُ الآخَرُ:

إلَيْكَ جاوَزْنَ سَوادَ الرِّيفِ ... في هَبَواتِ الصَّيْفِ والخَرِيفِ
مُخَطَّماتٍ بِحِبالِ اللِّيفِ

---

(١) «الموطأ»، كتاب الجهاد: (٢: ٤٥٩).

فَقامَ مالِكُ بنُ نَمَطٍ بَيْنَ يَدَيْهِ فقالَ: يا رَسُولَ الله، نَصِيّةٌ مِنْ هَمْدانَ، مِنْ كُلِّ حاضِرٍ وبادٍ، أَتَوْكَ على قُلُصٍ نَواجٍ، مُتَّصِلة بِحَبائِلِ الإسْلامِ، لا تَأْخُذُهُمْ في الله لَوْمةُ لائِمٍ، مِنْ مِخْلافِ خارِفٍ ويامٍ وشاكِرٍ أَهْلِ السُّودِ والقَودِ، أجابُوا دَعْوةَ الرَّسُولِ، وفارَقُوا الإلَهاتِ الأنْصابَ، عَهْدُهُمْ لا يُنْقَضُ ما أقامَتْ لَعْلَعُ، وما جَرى اليَعْفُورُ بِصُلْعٍ.

[كِتابُ الرَّسُولِ بِالنَّهْيِ]

فَكَتَبَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ كِتابًا فيهِ:

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هذا كِتابٌ مِنْ رَسُولِ الله مُحَمَّدٍ، لِمِخْلافِ خارِفٍ وأَهْلِ جَنابِ الهَضْبِ وحِقافِ الرَّمْلِ، مَعَ وافِدِها ذِي المِشْعارِ مالِكِ ابنِ نَمَطٍ، ومَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ، على أَنَّ لَهُمْ فِراعَها ووِهاطَها، ما أقامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكاةَ، يَأْكُلُونَ عِلافَها، ويَرْعَوْنَ عافيَها، لَهُمْ بِذلك عَهْدُ الله وذِمامُ رَسُولِهِ، وشاهِدُهُمُ المُهاجِرُونَ والأنْصارُ».

فقالَ في ذلك مالِكُ بنُ نَمَطٍ:

ذَكَرْتُ رَسُولَ الله في فَحْمةِ الدُّجى ... ونَحْنُ بِأَعلى رَحْرَحانَ وصَلْدَدِ

وَهُنَّ بِنا خُوصٌ طَلائِحُ تَغْتَلي ... بِرُكْبانِها في لاحِبٍ مُتَمَدِّدِ

على كُلِّ فتْلاءِ الذِّراعَيْنِ جَسْرةٍ ... تَمُرُّ بِنا مَرّ الهِجَفِّ الخَفَيْدَدِ

حَلَفْتُ بِرَبِّ الرّاقِصاتِ إلى مِنًى ... صَوادِرَ بِالرُّكْبانِ مِنْ هَضْبِ قَرْدَدِ

بِأَنَّ رَسُولَ الله فينا مُصَدَّقٌ ... رَسُولٌ أتى مِنْ عِنْدِ ذِي العَرْشِ مُهْتَدِي

فَما حَمَلَتْ مِنْ ناقةٍ فوْقَ رَحْلِها ... أَشَدَّ على أَعْدائِهِ مِنْ مُحَمَّدِ

وَأَعْطى إذا ما طالِبُ العُرْفِ جاءَهُ ... وأَمْضى بِحَدِّ المَشْرَفي المُهَنَّدِ

ذِكْرُ الكَذّابَينِ مُسَيْلِمة الحَنَفي والأَسْوَد العَنْسِيّ

قال ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ كانَ تَكَلَّمَ في عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ الكَذّابانِ مُسَيْلِمةُ بنُ حَبِيبٍ بِاليَمامةِ في بَنِي حَنِيفةَ، والأَسْوَدُ بنُ كَعْبٍ العَنْسِيَّ بِصَنْعاءَ.

[رُؤْيا الرَّسُولِ فيهِما]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بنُ عَبْدِ الله بنِ قُسَيْطٍ، عَنْ عَطاءِ بنِ يَسارٍ أَوْ أَخِيهِ سُلَيْمانَ بنِ يَسارٍ، عَنْ أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ وهُوَ يَخْطُبُ النّاسَ على مِنْبَرِهِ، وهُوَ يَقُولُ: «أيُّها النّاسُ، إنِّي قَدْ رَأَيْتُ لَيْلَةَ القَدْرِ، ثُمَّ أُنْسِيتُها، ورَأَيْتُ في ذِراعَيَّ سِوارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ، فكَرِهْتُهما، فنَفَخْتُهُما فَطارا، فأَوَّلْتُهما هَذَيْنِ الكَذّابَيْنِ؛ صاحِبَ اليَمَنِ، وصاحِبَ اليَمامةِ».

[حَدِيثُ الرَّسُولِ عَنِ الدَّجّالِينَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مَنْ لا أَتَّهِمُ عَنْ أَبي هُرَيْرةَ أَنَّهُ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «لا تَقُومُ السّاعةُ حَتّى يَخْرُجَ ثَلاثُونَ دَجّالًا، كُلُّهُمْ يَدَّعِي النُّبُوّةَ».

خُرُوجُ الأُمَراءِ والعُمّالِ على الصَّدَقاتِ

[الأُمَراءُ وأَسْماءُ العُمّالِ وما تَوَلَّوْهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ بَعَثَ أُمَراءَهُ وعُمّالَهُ على الصَّدَقاتِ، إلى كُلِّ ما أَوْطَأَ الإسْلامُ مِنَ البُلْدانِ، فبَعَثَ المُهاجِرَ بنَ أَبي أُمَيَّةَ

ابن المُغِيرةِ إلى صَنْعاءَ، فخَرَجَ عَلَيْهِ العَنْسِيُّ وهُوَ بِها، وبَعَثَ زِيادَ بنَ لَبِيدٍ أخا بَنِي بَياضةَ الأنْصارِيَّ إلى حَضْرَمَوْتَ وعلى صَدَقاتِها، وبَعَثَ عَدِيَّ بنَ حاتِمٍ على طيِّئٍ وصَدَقاتِها وعلى بَنِي أسَدٍ، وبَعَثَ مالِكَ بنَ نُوَيْرةَ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: اليَرْبُوعِيَّ ـ على صَدَقاتِ بَنِي حَنْظَلةَ، وفَرَّقَ صَدَقةَ بَنِي سَعْدٍ على رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ، فبَعَثَ الزِّبْرِقانَ بنَ بَدْرٍ على ناحِيةٍ مِنْها، وقَيْسَ بنَ عاصِمٍ على ناحِيةٍ، وكانَ قَدْ بَعَثَ العَلاءَ بنَ الحَضْرَمِيِّ على البَحْرَيْنِ، وبَعَثَ عَلِيَّ بنَ أبِي طالِبٍ رِضْوانُ الله عَلَيْهِ إلى أهْلِ نَجْرانَ لِيَجْمَعَ صَدَقَتَهُمْ ويَقْدَمَ عَلَيْهِ بِجِزْيَتِهِمْ.

كِتابُ مُسَيْلِمةَ إلى رَسُولِ الله والجَوابُ عَنْهُ

وَقَدْ كانَ مُسَيْلِمةُ بنُ حَبِيبٍ قَدْ كَتَبَ إلى رَسُولِ الله ﷺ:

مِنْ مُسَيْلِمةَ رَسُولِ الله، إلى مُحَمَّدٍ رَسُولِ الله، سَلامٌ عَلَيْكَ، أمّا بَعْدُ، فإنِّي قَدْ أُشْرِكْتُ في الأمْرِ مَعَكَ، وإنَّ لَنا نِصْفَ الأرْضِ، ولِقُرَيْشٍ نِصْفَ الأرْضِ، ولَكِنَّ قُرَيْشًا قَوْمٌ يَعْتَدُونَ.

فَقَدِمَ عَلَيْهِ رَسُولانِ لَهُ بِهذا الكِتابِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ أشْجَعَ، عَنْ سَلَمةَ بنِ نُعَيْمِ بنِ مَسْعُودٍ الأشْجَعِيِّ، عَنْ أبِيهِ نُعَيْمٍ، قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ لَهُما حِينَ قَرَأَ كِتابَهُ: «فما تَقُولانِ أنْتُما؟» قالا: نَقُولُ كَما قالَ، فقالَ: «أما والله لَوْلا أنَّ الرُّسُلَ لا تُقْتَلُ لَضَرَبْتُ أعْناقَكُما».

ثُمَّ كَتَبَ إلى مُسَيْلِمةَ: بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ الله،

إلى مُسَيْلِمَةَ الكَذّابِ، السَّلامُ على مَنِ اتَّبَعَ الهُدى، أمّا بَعْدُ، فإنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ، والعاقِبةُ لِلْمُتَّقِينَ. وذلك في آخِرِ سَنةِ عَشْرٍ.

وَذَكَرَ وَفْدَ هَمْدانَ، وَمالِكَ بنَ نَمَطٍ الهَمْدانِيَّ الّذِي يُقالُ لَهُ: ذُو المِشْعارِ، وَكُنْيَتُهُ: أَبُو ثَوْرٍ، وَقَعَ فِي النُّسْخةِ، وَفِي أَكْثَرِ النّسَخِ: «وَأَبُو ثَوْرٍ» بِالواوِ، كَأَنَّهُ غَيْرُهُ، والصَّوابُ سُقُوطُ الواوِ؛ لِأَنّهُ هُوَ، وَقَدْ يُخرَّجُ إثباتُ الواوِ على إضْمارِ «هُوَ»، كَأَنّهُ قالَ: وَهُوَ أَبُو ثَوْرٍ ذُو المِشْعارِ، [وَقَدْ ذَكَرَهُ ابنُ قُتَيْبَةَ، فَقالَ فِي «غَرِيبِ الحَدِيثِ»: مالِكٌ ذُو المِشْعارِ[1]][2]، وَذَكَرَهُ أَبُو عُمَرَ فَقالَ: ذُو المِشْعارِ يُكَنّى: أَبا ثَوْرٍ[3]، وَفِي الكِتابِ الّذِي كَتَبَهُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَذا كِتابٌ مِنْ مُحَمّدٍ رَسُولِ اللهِ إلى مِخْلافِ خارِفٍ وَيامٍ وَأَهْلِ جَنابِ الهَضْبِ وَحِقافِ الرَّمْلِ مَعَ وافِدِها ذِي المِشْعارِ مالِكِ بنِ نَمَطٍ»[4]، فَهَذا كُلُّهُ يَدُلُّ على أنّ الواوَ فِي قَوْلِهِ: وَأَبُو ثَوْرٍ ذُو المِشْعارِ لا مَعْنى لَهُ.

وَقَوْلُهُ: «عَلَيْهِمْ مُقَطّعاتُ الحِبَراتِ»: المُقَطَّعاتُ [مِن الثّيابِ][5] فِي تَفْسِيرِ أَبِي عُبَيْدٍ هِيَ القِصارُ، واحْتجّ بِحَدِيثِ ابنِ عَبّاسٍ فِي صَلاةِ الضُّحى: «إذا تَقَطَّعَتِ الظِّلالُ»؛ أَيْ: قَصُرَتْ، وَبِقَوْلِهِمْ فِي الأَراجِيزِ: «مُقَطّعات»[6]، وَخَطّأَهُ ابنُ قُتَيْبَةَ فِي هَذا التَّأْوِيلِ، وَقالَ: إنّما المُقَطّعاتُ الثِّيابُ المَخِيطةُ كالقُمُصِ

---

(١) «غريب الحديث» (١: ٥٤٨).

(٢) سقط من (أ)، (س).

(٣) «الاستيعاب» (٣: ١٣٦٠).

(٤) «السيرة» (٢: ٥٩٨).

(٥) ليس في (ب).

(٦) «غريب الحديث» لأبي عُبيد: (١: ١٦١-١٦٢).

وَنَحْوِها، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنّها تُقَطَّعُ وَتُفَصَّلُ ثُمّ تُخاطُ، واحْتَجّ بِحَدِيثٍ رَواهُ عَنْ بَعْضِ وَلَدِ عَبْدِ المَلِكِ بنِ مَرْوانَ، وَفِيهِ أَنّهُ خَرَجَ وَعَلَيْهِ مُقَطَّعاتٌ يَجُرُّها، فَقالَ لَهُ شَيْخٌ مِنْ بَنِي أُمَيّةَ: لَقَدْ رَأَيْتُ أباك، وَكانَ مُشَمِّرًا غَيْرَ جَرّارٍ لِثِيابِهِ، فَقالَ لَهُ الفَتى: لَقَدْ هَمَمْتُ بِتَقْصِيرِها، فَمَنَعَنِي قَوْلُ الشّاعِرِ فِي أَبِيك: [من الطويل]

قَصِير الثِّيابِ فاحِشٌ عِنْدَ ضَيْفِهِ ... لِشَـرِّ قُرَيْشٍ في قريـشٍ مُرَكَّبا

والظّاهِرُ فِي قَوْلِهِ: «عَلَيْهِ مُقَطّعاتُ الحِبَراتِ» ما قالَهُ ابنُ قُتَيْبَةَ، وَلا مَعْنى لِوَصْفِها بِالقِصَرِ فِي هَذا المَوْطِنِ.

والمَهْرِيّةُ [إِبِلٌ][(١)] مَنْسُوبةٌ إلى مَهْرةَ بنِ حَيْدان بنِ الحافِ بنِ قُضاعةَ. والأَرْحَبِيّةُ: مَنْسُوبةٌ إلى أَرْحَبَ؛ بَطْنٍ مِنْ هَمْدانَ.

وَيامٌ هُوَ يامُ بنُ أُصْبى[(٢)]، وَخارِفُ بنُ الحارِثِ بَطْنانِ مِنْ هَمْدانَ، يُنْسَبُ إلى يامٍ: زُبَيْدٌ اليامِيُّ المُحَدِّثُ، وَأَهْلُ الحَدِيثِ يَقُولُونَ فِيهِ: الإِيامِيّ[(٣)].

والفِراعُ: ما عَلا مِن الأَرْضِ. والوِهاطُ: ما انْخَفَضَ مِنْها، واحِدُها: وَهْطٌ. وَلَعْلَعٌ: اسْمُ جَبَلٍ. والصُّلَّعُ: الأَرْضُ المَلْساءُ.

والخَفَيْدَدُ: وَلَدُ النّعامةِ. والهِجَفُّ: الضّخْمُ.

وَذَكَرَ حَدِيثَ عَمْرِو بنِ مَعْدِي كرِب، وقيسِ بنِ مَكْشُوح. وذكر في الشعر:

[من مجزوء الوافر]

---

(١) ليس في (ب).

(٢) «جمهرة» ابن حزم: (ص: ٣٩٤).

(٣) هو زُبَيد بن الحارث، أبو عبد الرحمن، كان ثقةً ثبتًا، توفي في سنة (١٢٢هـ). انظر: «تهذيب الكمال» (٩: ٢٨٩-٢٩٢).

تُلاقي شَـنْبَثًا شَـثْنَ الـ ـــبَراثِنِ ناشِزًا كَتَدُهْ[١]

ألفيتُ في خطِّ[٢] أبي بحرٍ على هذا البيتِ قال: قال لي القاضي: لا أعرفُ شَنْبثًا الآن[٣]، ولعلَّه: تُلاقِ شَرَنْبَثًا، وجزمَ «تُلاقِ» بما في قوله: « فلو لاقيتَنِي» من قُوّةِ الشَّرط، فكأنه أراد[٤]: إن لاقَيْتَنِي تُلاقِ.

❋ ❋ ❋

(١) الكتَدُ والكتِدُ: مجتمع الكتفين من الإنسان والفرس. وناشز: مرتفع.

(٢) في (ف): «بخط».

(٣) قال في «تاج العروس» (شنبث): «أورده الصاغاني وصاحب «اللسان» في (ش ب ث) [ولم أجده في «اللسان»] وقالا: هو الأسد، كالشُنابث، بالضم، وهو صوابه، وهما أيضًا: الغليظ الشديد». أما أبو ذر الخشني فقال: (ص: ٤٤٣): «الشنبث: الذي يتعلق بقرنه ولا يزايله». هذا والشرنبث: الأسد.

(٤) في (ب): «قال».

حَجّةُ الوَداعِ

[تَجَهُّزُ الرَّسُولِ واسْتِعْمالُهُ على المَدِينةِ أبا دُجانةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا دَخَلَ على رَسُولِ اللهِ ﷺ ذُو القَعْدةِ، تَجَهَّزَ لِلْحَجِّ، وأمَرَ النّاسَ بِالجَهازِ لَهُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ القاسِمِ، عَنْ أبيهِ القاسِمِ ابنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عائِشةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قالَتْ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى الحَجِّ لِخَمْسِ لَيالٍ بَقِينَ مِنْ ذِي القَعْدةِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: فاسْتَعْمَلَ على المَدِينةِ أبا دُجانةَ السّاعِدِيَّ، ويُقالُ: سِباعَ بنَ عُرْفُطةَ الغِفارِيَّ.

[ما أمَرَ بِهِ الرَّسُولُ عائِشةَ في حَيْضِها]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ القاسِمِ، عَنْ أبيهِ القاسِمِ ابنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عائِشةَ، قالَتْ: لا يَذْكُرُ ولا يَذْكُرُ النّاسُ إلّا الحَجَّ، حتّى إذا كانَ بِسَرِفَ وقَدْ ساقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَهُ الهَدْيَ وأشْرافٌ مِنْ أشْرافِ النّاسِ، أمَرَ النّاسَ أنْ يُحِلُّوا بِعُمْرةٍ، إلّا مَنْ ساقَ الهَدْيَ، قالَتْ: وحِضْتُ ذلك اليَوْمَ، فدَخَلَ عَلَيَّ وأنا أبكي، فقالَ: «ما لكِ يا عائِشةُ؟ لَعَلَّكِ نُفِسْتِ؟» قالَتْ: قُلْتُ: نَعَمْ، واللهِ لَوَدِدْتُ أنِّي لَمْ أخْرُجْ مَعَكُمْ عامِي في هذا السَّفَرِ، فقالَ: «لا تَقُولِنَّ ذلكِ؛ فإنَّكِ تَقْضِينَ كُلَّ ما يَقْضِي الحاجُّ إلّا أنَّكِ لا تَطُوفِينَ

بِالبَيْتِ». قالَتْ: ودَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ مَكّةَ، فحَلَّ كُلُّ مَنْ كانَ لا هَدْيَ مَعَهُ، وحَلَّ نِساؤُهُ بِعُمْرةٍ، فلَمّا كانَ يَوْمُ النَّحْرِ أُتِيتُ بِلَحْمِ بَقَرٍ كَثِيرٍ، فطُرِحَ في بَيْتِي، فقُلْتُ: ما هذا؟ قالُوا: ذَبَحَ رَسُولُ الله ﷺ عَنْ نِسائِهِ البَقَرَ. حَتّى إذا كانَتْ لَيْلةُ الحَصْبةِ، بَعَثَ بِي رَسُولُ الله ﷺ مَعَ أخِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ أبِي بَكْرٍ فأعْمَرَنِي مِنَ التَّنْعِيمِ مَكانَ عُمْرَتِي الَّتِي فاتَتْنِي.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي نافِعٌ مَوْلى عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ، عَنْ عَبْدِ الله ابنِ عُمَرَ، عَن حَفْصةَ بنتِ عُمَرَ، قالَتْ: لمّا أمَرَ رَسُولُ الله ﷺ نِساءَهُ أنْ يَحْلِلْنَ بِعُمْرةٍ، قُلْنَ: فما يَمْنَعُكَ يا رَسُولَ الله أنْ تَحِلَّ مَعَنا؟ فقالَ: «إنِّي أهْدَيْتُ ولَبَّدْتُ، فلا أحِلُّ حَتّى أنْحَرَ هَدْيِي».

مُوافاةُ عَلِيٍّ في قُفُولِهِ مِنَ اليَمَنِ رَسُولَ الله في الحَجِّ

[ما أمَرَ بِهِ الرَّسُولُ عَلِيًّا مِنْ أُمُورِ الحَجِّ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبِي نَجِيحٍ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ كانَ بَعَثَ عَلِيًّا رَضِيَ الله عَنْهُ إلى نَجْرانَ، فلَقِيَهُ بِمَكّةَ وقَدْ أحْرَمَ، فدَخَلَ على فاطِمةَ بِنْتِ رَسُولِ الله ﷺ ورَضِيَ عَنْها، فوَجَدَها قَدْ حَلَّتْ وتَهَيَّأَتْ، فقالَ: ما لكِ يا بِنْتَ رَسُولِ الله؟ قالَتْ: أمَرَنا رَسُولُ الله ﷺ أنْ نَحِلَّ بِعُمْرةٍ فحَلَلْنا. ثُمَّ أتى رَسُولَ الله ﷺ، فلَمّا فرَغَ مِن الخَبَرِ عَنْ سَفَرِهِ، قالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «انْطَلِقْ فطُفْ بِالبَيْتِ، وحِلَّ كَما حَلَّ أصْحابُكَ». قالَ: يا رَسُولَ الله، إنِّي أهْلَلْتُ كَما أهْلَلْتَ، فقالَ: «ارْجِعْ فاحْلِلْ كَما حَلَّ أصْحابُكَ»، قالَ: يا رَسُولَ الله، إنِّي قُلْتُ حِينَ أحْرَمْتُ: اللهُمَّ إنِّي أُهِلُّ بِما أهَلَّ بِهِ نَبِيُّكَ

وعَبْدُكَ ورَسُولُكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، قالَ: «فهَلْ مَعَكَ مِنْ هَدْيٍ؟» قالَ: لا. فأشْرَكَهُ رَسُولُ الله ﷺ في هَدْيِهِ، وثَبَتَ على إحْرامِهِ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، حتّى فرَغا مِنَ الحَجِّ، ونَحَرَ رَسُولُ الله ﷺ الهَدْيَ عَنْهما.

[شَكا عَلِيًّا جُنْدُهُ إلى الرَّسُولِ لِانْتِزاعِهِ عَنهُمْ حُلَلًا مِنْ بَزِّ اليَمَنِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي يَحْيى بنُ عَبْدِ الله بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ أبِي عَمْرةَ، عَنْ يَزِيدَ بنِ طَلْحةَ بنِ يَزِيدَ بنِ رُكانةَ، قالَ: لمّا أقْبَلَ عَلِيٌّ رَضِيَ الله عَنْهُ مِن اليَمَنِ لِيَلْقى رَسُولَ الله ﷺ بِمَكّةَ، تَعَجَّلَ إلى رَسُولِ الله ﷺ واسْتَخْلَفَ على جُنْدِهِ الّذينَ مَعَهُ رَجُلًا مِنْ أصْحابِهِ، فعَمَدَ ذلك الرَّجُلُ فكَسا كُلَّ رَجُلٍ مِن القَوْمِ حُلّةً مِن البَزِّ الّذي كانَ مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ الله عَنْهُ. فلَمّا دَنا جَيْشُهُ خَرَجَ لِيَلْقاهُمْ، فإذا عَلَيْهِمُ الحُلَلُ، قالَ: ويْلَكَ، ما هذا؟ قالَ: كَسَوْتُ القَوْمَ لِيَتَجَمَّلُوا بِهِ إذا قَدِمُوا في النّاسِ، قالَ: ويْلَكَ، انْزِعْ قَبْلَ أنْ تَنْتَهِيَ بِهِ إلى رَسُولِ الله ﷺ. قالَ: فانْتَزَعَ الحُلَلَ مِن النّاسِ، فرَدَّها في البَزِّ. قالَ: وأظْهَرَ الجَيْشُ شَكْواهُ لِما صُنِعَ بِهِمْ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ مَعْمَرِ بنِ حَزْمٍ، عَنْ سُلَيْمانَ بن مُحَمَّدِ بنِ كَعْبِ بنِ عُجْرةَ، عَنْ عَمَّتِهِ زَيْنَبَ بِنْتِ كَعْبٍ، وكانَتْ عِنْدَ أبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عَنْ أبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قالَ: اشْتَكى النّاسُ عَلِيًّا رِضْوانُ الله عَلَيْهِ، فقامَ رَسُولُ الله ﷺ فينا خَطِيبًا، فسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «أيُّها النّاسُ، لا تَشْكُوا عليًّا، فواللهِ إنَّهُ لَأخْشَنُ في ذاتِ الله ـ أوْ في سَبِيلِ الله ـ مِنْ أنْ يُشْكى».

حَجّةُ الوَداعِ

ذَكَرَ فِيها حَدِيثَ عائِشةَ رضي الله عنها وَقَوْله[١]: «فَأَهْلَلْنا بِالحَجّ، وَما نَذْكُرُ إلّا أَمْرَ الحَجّ»، وَهَذا يَدُلُّ على أَنّهُمْ أفْرَدُوا، وَقَدْ بَيّنَ ذَلِكَ جابرٌ فِي حَدِيثِهِ أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أفْرَدَ الحَجّ، وَهَذا هُوَ الصَّحِيحُ فِي حَدِيثِ جابِرٍ، وَقَدْ رُوِيَ مِنْ طُرُقٍ[٢] فِيها لِينٌ عَنْ جابِرٍ أَنّهُ قالَ: «قَرَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ الحَجّ والعُمْرةِ، وَطافَ لَهُما طَوافًا واحِدًا، وَسَعى لَهُما سَعْيًا واحِدًا»، رَواهُ الدّارَقُطْنِيّ[٣]، وَرُوِيَ أيْضًا أنّ جابِرًا قالَ: «حَجّ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلاثَ حَجّاتٍ؛ حَجَّتَيْنِ [مِن][٤] قَبْلِ الهِجْرةِ، وَحَجّتَهُ الّتِي قَرَنَها بِعُمْرَتِهِ». وَأَمّا حَدِيثُ ابنِ عَبّاسٍ فَصَحِيحٌ، وَقالَ فِيهِ: طافَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ حَجَّتِهِ وَعُمْرَتِهِ طَوافًا واحِدًا[٥]، وَقَد اخْتُلِفَ عَنْ عَلِيٍّ؛ فَرُوِيَ عَنْهُ أَنّهُ طافَ عَنْهُما طَوافَيْنِ، وَلَمْ يُخْتَلَفْ عَنْهُ أَنّهُ كانَ قارِنًا[٦]، [وَكَذَلِكَ حَدِيثُ عِمْرانَ بنِ حُصَيْنٍ، فِي أَنّهُ عَلَيْهِ السَّلامُ كانَ قارِنًا][٧]، وَأَمّا حَدِيثُ أَنَسٍ فَصَرَّحَ فِيهِ بِأَنّهُ كانَ قارِنًا، وَقالَ: «ما تَعُدُّونا إلّا صِبْيانًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُصَرِّحُ بِهِما جَمِيعًا»[٨] يَعْنِي الحجَّ والعمرة. فاختلفتِ الرِّوايات في إحرامِ رسولِ الله ﷺ كما تَرى: هَلْ كانَ مُفْرِدًا أوْ قارِنًا، أوْ مُتَمَتِّعًا، وَكُلُّها

---

(١) في (ف): «وقولها».
(٢) في (ب)، (ج): «طريق».
(٣) «سنن الدارقطني»، كتاب الحج: (٢: ٢٦١).
(٤) ليس في (ب)، (ج)، (ص)، (ف).
(٥) «سنن الدارقطني»، كتاب الحج: (٢: ٢٧٨).
(٦) السابق، كتاب الحج: (٢: ٢٦١).
(٧) ليس في (أ)، (ح). والحديث في «سنن الدارقطني»، كتاب الحج: (٢: ٦٤-٦٥).
(٨) «سنن النسائي»، كتاب مناسك الحج: (٥: ١٥٠).

صِحاحٌ إلّا مَنْ قالَ: كانَ مُتَمَتِّعًا، وَأرادَ بِهِ أنّهُ أهَلَّ بِعُمْرةٍ، وَأمّا مَنْ قالَ: تَمَتّعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ أيْ: أمَرَ بالتّمَتُّعِ، وَفَسْخ الحَجّ بالعُمْرةِ، فَقَدْ يَصِحُّ هَذا التّأْويلُ، وَيَصِحّ أيْضًا أنْ يُقالَ: تَمَتّعَ إذا قَرَنَ؛ لِأَنّ القِرانَ ضَرْبٌ مِن المُتْعةِ؛ لِما فِيهِ مِنْ إسْقاطِ أحَدِ السَّفَرَيْنِ.

والّذِي يَرْفَعُ الإشْكالَ حَدِيثُ البُخارِيِّ أنّهُ أهَلّ بِالحَجّ، فَلَمّا كانَ بِالعَقِيقِ أتاهُ آتٍ من ربِّه فَقالَ لَهُ: [«صلِّ بِهَذا الوادِي المُبارَكِ وقُلْ][(١)]: لَبّيْكَ بِحَجّةٍ وَعُمْرةٍ مَعًا»[(٢)]، فَقَدْ صارَ قارِنًا بَعْدَ أنْ كانَ مُفْرِدًا، وَصَحّ القَوْلانِ جَمِيعًا، وَأمْرُهُ لِأَصْحابِهِ أنْ يَفْسَخُوا الحَجّ بالعُمْرةِ خُصُوصٌ لَهُمْ، وَلَيْسَ لِغَيْرِهِمْ أنْ يَفْعَلَهُ، وَإنّما فَعَلَ ذَلِكَ لِيُذْهِبَ مِنْ قُلُوبِهِمْ أمْرَ الجاهِلِيّةِ فِي تَحْرِيمِهِم العُمْرةَ فِي أشْهُرِ الحَجّ، فَكانُوا يَرَوْنَ العُمْرةَ فِي أشْهُرِ[(٣)] الحَجِّ مِنْ أكْبَرِ الكَبائِرِ، وَيَقُولُونَ[(٤)]: «إذا بَرَأ الدّبَرُ، وَعَفا الأثَرُ، وانْسَلَخَ صَفَر حَلّتِ العُمْرةُ لِمَن اعْتَمَرَ»[(٥)]، وَلَمْ يَفْسَخْ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَجَّهُ كَما فَعَلَ أصْحابُهُ؛ لِأَنّهُ ساقَ الهَدْيَ وَقَلّدَهُ، واللهُ سُبْحانَهُ يَقُولُ: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وقالَ حِينَ رَأى أصْحابَهُ قَدْ شَقّ عَلَيْهِمْ خِلافُهُ: «لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أمْرِي ما اسْتَدْبَرْتُ لَجَعَلْتُها عُمْرةً، وَلَما سُقْتُ الهَدْيَ»[(٦)].

---

(١) في (ص): «إنك بواد مبارك فقل».

(٢) «فتح الباري»، كتاب الحج: (٣: ٣٩٢).

(٣) في (ص): «أيام».

(٤) في (ب): «وكانوا يقولون».

(٥) «فتح الباري»، كتاب الحج: (٣: ٤٢٢). والدَّبَر: ما كان يحصل بظهور الإبل من الحمل عليها ومشقة السفر، فإنه كان يبدأ بعد انصرافهم من الحج. وعفا الأثر: أي أثر الإبل وغيرها في سيرها، ويحتمل أثر الدَّبَر المذكور.

(٦) «فتح الباري»، كتاب الحج: (٣: ٥٠٤).

قالَ شَيْخُنا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إنّما نَدِمَ على تركِ ما هُوَ أَسْهَلُ وَأَرْفَقُ، لا على تَرْكِ ما هُوَ أَفْضَلُ وَأَوْفَقُ، وَذَلِكَ لِما رَأى مِنْ كَراهةِ أَصْحابِهِ لِمُخالَفَتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ ساقَ الهديَ معه من أصحابِه إلّا طلحةُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ، فَلَمْ يُحِلّ حَتّى نَحَرَ، وَعَلِيٌّ أَيْضًا أتى مِن اليَمَنِ وَساقَ الهَدْيَ فَلَمْ يُحِلّ إلّا بِإِحْلالِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

* * *

[خُطْبَةُ الرَّسُولِ في حَجّةِ الوَداعِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ مَضى رَسُولُ الله ﷺ على حَجِّهِ، فأرى النّاسَ مَناسِكَهُمْ، وأعْلَمَهُمْ سُنَنَ حَجِّهِمْ، وخَطَبَ النّاسَ خُطْبَتَهُ الَّتِي بَيَّنَ فيها ما بَيَّنَ، فحَمِدَ الله وأثنى عَلَيْهِ، ثُمَّ قالَ: «أيُّها النّاسُ، اسْمَعُوا قَوْلِي؛ فإنِّي لا أدْرِي لَعَلِّي لا ألْقاكُمْ بَعْدَ عامِي هذا بِهذا المَوْقِفِ أبَدًا. أيُّها النّاسُ، إنَّ دِماءَكُمْ وأمْوالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرامٌ إلى أنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هذا، وكَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هذا. وإنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، فيسْألُكُمْ عَنْ أعْمالِكُمْ، وقَدْ بَلَّغْتُ، فمَنْ كانَتْ عِنْدَهُ أمانةٌ فلْيُؤَدِّها إلى مَن ائْتَمَنَهُ عَلَيْها. وإنَّ كُلَّ رِبًا مَوْضُوعٌ، ولَكِنْ لَكُمْ رُؤُوسُ أمْوالِكُمْ، لا تَظْلِمُونَ ولا تُظْلَمُونَ، قَضى الله أنَّهُ لا رِبا، وإنَّ رِبا عَبّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، وإنَّ كُلَّ دَمٍ كانَ في الجاهِلِيّةِ مَوْضُوعٌ، وإنَّ أوَّلَ دِمائِكُمْ أضَعُ دَمُ ابنِ رَبِيعةَ بنِ الحارِثِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ـ وكانَ مُسْتَرْضَعًا في بَنِي لَيْثٍ فقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ ـ فهُوَ أوَّلُ ما أبْدَأُ بِهِ مِنْ دِماءِ الجاهِلِيّةِ. أمّا بَعْدُ أيُّها النّاسُ، فإنَّ الشَّيْطانَ قَدْ يَئِسَ مِنْ أنْ يُعْبَدَ بِأرْضِكُمْ هَذِهِ أبَدًا، ولَكِنَّهُ إنْ يُطَعْ فيما سِوى ذلك فقَدْ رَضِيَ بِهِ مِمّا تَحْقِرُونَ مِنْ أعْمالِكُمْ، فاحْذَرُوهُ على دِينِكُمْ. أيُّها النّاسُ، إنَّ النَّسِيءَ زِيادةٌ في الكُفْرِ، يُضَلُّ بَه الَّذينَ كَفَرُوا، يُحِلُّونَهُ عامًا ويُحَرِّمُونَهُ عامًا لِيُواطِئُوا عِدّةَ ما حَرَّمَ الله، فيُحِلُّوا ما حَرَّمَ الله، ويُحَرِّمُوا ما أحَلَّ الله، وإنَّ الزَّمانَ قَد اسْتَدارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ الله السَّمواتِ والأرْضَ، وإنَّ عِدّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ الله اثْنا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْها أرْبَعةٌ حُرُمٌ، ثَلاثةٌ مُتَوالِيةٌ،

ورَجَبُ مُضَرَ، الَّذي بَيْنَ جُمادى وشَعْبانَ. أمّا بَعْدُ أيُّها النّاسُ، فإنَّ لَكُمْ على نِسائِكُمْ حَقًّا، ولَهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقًّا، لَكُمْ عَلَيْهِنَّ ألّا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أحَدًا تَكْرَهُونَهُ، وعَلَيْهِنَّ ألّا يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فإنْ فعَلْنَ فإنَّ الله قَدْ أذِنَ لَكُمْ أنْ تَهْجُرُوهُنَّ في المَضاجِعِ وتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فإن انْتَهَيْنَ فلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وكُسْوَتُهُنَّ بِالمَعْرُوفِ، واسْتَوْصُوا بِالنِّساءِ خَيْرًا؛ فإنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوانٌ، لا يَمْلِكْنَ لِأنْفُسِهِنَّ شَيْئًا، وإنَّكُمْ إنَّما أخَذْتُمُوهُنَّ بِأمانَةِ الله، واسْتَحْلَلْتُم فُرُوجَهُنَّ بِكَلِماتِ الله، فاعْقِلُوا أيُّها النّاسُ قَوْلِي؛ فإنِّي قَدْ بَلَّغْتُ، وقَدْ تَرَكْتُ فيكُمْ ما إنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فلَنْ تَضِلُّوا أبَدًا، أمْرًا بَيِّنًا، كِتابَ الله وسُنَّةَ نَبِيِّهِ. أيُّها النّاسُ، اسْمَعُوا قَوْلِي واعْقِلُوهُ، تَعَلَّمُنَّ أنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ أخٌ لِلْمُسْلِمِ، وأنَّ المُسْلِمِينَ إخْوةٌ، فلا يَحِلُّ لِامْرِئٍ مِنْ أخِيهِ إلّا ما أعْطاهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ، فلا تَظْلِمُنَّ أنْفُسَكُمْ، اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ».

فَذُكِرَ لِي أنَّ النّاسَ قالُوا: اللهُمَّ نَعَمْ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ:

«اللهُمَّ اشْهَدْ».

[اسْمُ الصّارِخِ بِكَلامِ الرَّسُولِ وما كانَ يُرَدِّدُهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي يَحْيى بنُ عَبّادِ بنِ عَبْدِ الله بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أبيهِ عَبّادٍ قالَ: كانَ الرَّجُلُ الَّذي يَصْرُخُ في النّاسِ بقولِ رَسُولِ الله ﷺ وهُوَ بِعَرَفَةَ، رَبيعةَ بنَ أُمَيّةَ بنِ خَلَفٍ. قالَ: يَقُولُ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «قُلْ: يا أيها النّاسُ، إنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: هَلّا تَدْرُونَ أيَّ شَهْرٍ هذا؟» فيقُولُ لَهُمْ، فيقُولُونَ: الشَّهْرُ الحَرامُ، فيقُولُ: «قُلْ لَهُمْ: إنَّ الله قَدْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِماءَكُمْ وأمْوالَكُمْ إلى أنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ، كَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هذا»، ثُمَّ يَقُول: «قل: يا

أيها النّاسُ، إنَّ رَسُولَ الله ﷺ يقُولُ: هَلْ تَدْرُونَ أيُّ بَلَدٍ هذا؟» قالَ: فيصْرُخُ بِهِ، قالَ: فيقُولُونَ: البَلَدُ الحَرامُ، قالَ: فيقُولُ: «قُلْ لَهُمْ: إنَّ الله قَدْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِماءَكُمْ وأمْوالَكُمْ إلى أنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ كَحُرْمةِ بَلَدِكُمْ هذا»، قالَ: ثُمَّ يَقُولُ: «قُلْ: يا أيُّها النّاسُ، إنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: هَلْ تَدْرُونَ أيَّ يَوْمٍ هذا؟» قالَ: فيقُولُهُ لَهُمْ، فيقُولُونَ: يَوْمُ الحَجِّ الأكْبَرِ، قالَ: فيقُولُ: «قُلْ لَهُمْ: إنَّ الله قَدْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِماءَكُمْ وأمْوالَكُمْ إلى أنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ كَحُرْمةِ يَوْمِكُمْ هذا».

[رِوايةُ ابنِ خارِجةَ عَمّا سَمِعَهُ مِنَ الرَّسُولِ في حَجّةِ الوَداعِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنِي لَيْثُ بنُ أبي سُلَيْمٍ عَنْ شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ الأشْعَرِيِّ، عَنْ عَمْرِو بنِ خارِجةَ، قالَ: بَعَثَني عَتّابُ بنُ أسِيدٍ إلى رَسُولِ الله ﷺ في حاجةٍ، ورَسُولُ الله ﷺ واقِفٌ بِعَرَفةَ، فبَلَغْتُهُ، ثُمَّ وقَفْتُ تَحْتَ ناقةِ رَسُولِ الله ﷺ، وإنَّ لُغامَها لَيَقَعُ على رَأْسِي، فسَمِعْتُهُ وهُوَ يَقُولُ: «أيُّها النّاسُ، إنَّ الله قَدْ أدّى إلى كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وإنَّهُ لا تَجُوزُ وصِيّةٌ لِوارِثٍ، والوَلَدُ لِلْفِراشِ، ولِلْعاهِرِ الحَجَرُ، ومَنِ ادَّعى إلى غَيْرِ أبيهِ، أوْ تَوَلّى غَيْرَ مَوالِيهِ، فعَلَيْهِ لَعْنةُ الله والمَلائِكةِ والنّاسِ أجْمَعِينَ، لا يَقْبَلُ الله مِنْهُ صَرْفًا ولا عَدْلًا».

[بَعْضُ تَعْلِيمِ الرَّسُولِ في الحَجِّ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبي نَجِيحٍ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ حِينَ وقَفَ بِعَرَفةَ قالَ: «هذا المَوْقِفُ» لِلْجَبَلِ الَّذي هُوَ عَلَيْهِ «وكُلُّ عَرَفةَ مَوْقِفٌ». وقالَ حِينَ وقَفَ على قُزَحَ صَبِيحةَ المُزْدَلِفةِ: «هذا المَوْقِفُ، وكُلُّ

المُزْدَلِفةِ مَوْقِفٌ». ثُمَّ لمّا نَحَرَ بِالمَنْحَرِ بِمِنى قالَ: «هذا المَنْحَر، وكُلُّ مِنًى مَنْحَرٌ». فقَضى رَسُولُ الله ﷺ الحَجَّ وقَدْ أراهُمْ مَناسِكَهُمْ، وأعْلَمَهُمْ ما فرَضَ الله عَلَيْهِمْ مِنْ حَجِّهِمْ مِن المَوْقِفِ، ورَمْيِ الجِمارِ، وطَوافٍ بِالبَيْتِ، وما أُحِلَّ لَهُمْ مِنْ حَجِّهِمْ، وما حُرِّمَ عَلَيْهِمْ، فكانَتْ حجّةَ البَلاغِ، وحجّةَ الوَداعِ؛ وذلك أنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمْ يَحُجَّ بَعْدَها.

وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي خُطْبَةِ الوَداعِ: «وَرَجَبُ مُضَرَ الّذِي بَيْنَ جُمادى وَشَعْبانَ»، إنّما قالَ ذَلِكَ لِأنّ رَبِيعةَ كانَتْ تُحَرِّمُ رَمَضانَ وَتُسَمِّيهِ رَجَبًا؛ مِنْ رَجبْتُ الرّجُلَ وَرَجَّبْتُهُ إذا عَظَّمْتَه، وَرَجَّبْتُ النّخْلةَ إذا دَعَّمْتَها، فَبَيّنَ عَلَيْهِ السّلامُ أنّهُ رَجَبُ مُضَرَ، لا رَجَبُ رَبِيعةَ، وَأنّهُ الّذِي بَيْنَ جُمادى وَشَعْبانَ، وَقَدْ تَقَدّمَ تَفْسِيرُ قَوْله[١]: «إنّ الزّمانَ قَدِ اسْتَدارَ»، وَتَقَدّمَ اسْمُ ابنِ رَبِيعةَ[٢] المُسْتَرْضَعِ فِي هُذَيْلٍ، وَأنّ اسْمَهُ آدَمُ، وَقِيلَ: تَمّامٌ، وَكانَ سَبَبَ قَتْلِهِ حَرْبٌ كانَتْ بَيْنَ قَبائِلِ هُذَيْلٍ تَقاذَفُوا فِيها بِالحِجارةِ فَأصابَ الطِّفْلَ حَجَرٌ وَهُوَ يَحْبُو بَيْنَ البُيُوتِ، كَذَلِكَ ذَكَرَ الزُّبَيْرُ[٣].

❋ ❋ ❋

(١) انظر: (١: ٢٧٤).

(٢) في (ب)، (ج): «ابن أبي ربيعة». وهو خطأ.

(٣) انظر: «نسب قريش» لمصعب: (ص: ٨٧-٨٨)، و«جمهرة» ابن حزم: (ص: ٧٠-٧١).

بَعْثُ أُسامةَ بنِ زَيْدٍ إلى أرْضِ فِلَسْطِينَ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ قَفَلَ رَسُولُ الله ﷺ، فأقامَ بِالمَدِينةِ بَقِيَّةَ ذِي الحِجَّةِ والمُحَرَّمَ وصَفَرَ، وضَرَبَ على النّاسِ بَعْثًا إلى الشّامِ، وأمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسامةَ بن زَيْدِ بنِ حارِثةَ مَوْلاه، وأمَرَهُ أنْ يُوطِئَ الخَيْلَ تُخُومَ البَلْقاءِ والدّارُومِ مِنْ أرْضِ فِلَسْطِينَ، فتَجَهَّزَ النّاسُ، وأوعِبَ مَعَ أُسامةَ بنِ زَيْدٍ المُهاجِرُونَ الأوَّلُونَ.

بَعْثُ أُسامةَ

وَأمَّرَ[١] رَسُولُ اللهِ ﷺ أُسامةَ على جَيْشٍ كَثِيفٍ، وَأمَرَهُ أن يُغِيرَ على أُبنى صباحًا، وأن يُحرِّق[٢]. وأُبنى هِيَ القَرْيةُ الّتِي عِنْدَ مُؤْتةَ حَيْثُ قُتِلَ أبُوهُ زَيْدٌ؛ وَلِذَلِكَ أمَّرَهُ على حَداثةِ سِنِّهِ لِيُدْرِكَ ثَأْرَهُ[٣]. وَطَعَنَ فِي إمارَتِهِ أهْلُ الرِّيَبِ، فَقالَ ﷺ: «وايْمُ اللهِ إنّهُ لَخَلِيقٌ بالإمارةِ، وَإنْ كانَ أبُوهُ لَخَلِيقًا بِها»[٤]، وَإنّما طَعَنُوا فِي إمْرَتِهِ لِأنّهُ مَوْلًى مَعَ حَداثةِ سِنّهِ؛ لِأنّهُ كانَ إذْ ذاكَ ابنَ ثمانِ عَشْرةَ سَنةً.

وَكانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أسْوَدَ الجِلْدةِ، وَكانَ أبُوهُ أبْيَضَ صافِيَ البَياضِ، نَزَعَ فِي

(١) في (ب): «وأمَّره رسول... على جيش».

(٢) في (ف): «تحرق».

(٣) في (ب): «ثأر أبيه».

(٤) «مغازي الواقدي» (٣: ١١١٩)، و«طبقات ابن سعد» (٤: ٤٥).

اللَّوْنِ إلى أُمِّهِ بَرَكَةَ، وَهِيَ أُمُّ أَيْمَنَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ حَدِيثُها[١]، وَكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحِبُّهُ وَيَمْسَحُ خَشْمَهُ وَهُوَ صَغيرٌ بِثَوْبِهِ، وعَثَرَ يَوْمًا فَأَصابَهُ جُرْحٌ [فِي رَأْسِهِ][٢]، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَمُصُّ[٣] دَمَهُ وَيَمُجُّهُ، وَيَقُولُ: «لَوْ كانَ أُسامةُ جاريةً لحلَّيناها[٤] حتى يُرغب فيها»، وكان يُسمّى الحِبَّ ابنَ الحِبِّ.

وَذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ عِدّةَ الغَزَواتِ، وَهِيَ سِتٌّ وَعِشْرُونَ، وَقالَ الواقِدِيّ[٥]: كانَتْ سَبْعًا وَعِشْرِينَ، وَإِنَّما جاءَ الخِلافُ لِأَنَّ غَزْوةَ خَيْبَرَ اتَّصَلَتْ بِغَزْوةِ وادِي القُرى، فَجَعَلَها بَعْضُهُمْ غَزْوةً واحِدةً.

وَأَمّا البُعُوثُ والسَّرايا فَقِيلَ: هِيَ سِتٌّ وَثَلاثُونَ كَما فِي الكِتابِ، وَقِيلَ: ثَمانٍ وأربعون وهو قول الواقدي، وَنَسَبَ المَسْعُودِيُّ[٦] إلى بَعْضِهِمْ أَنَّ البُعُوثَ والسَّرايا كانَتْ سِتِّينَ.

وقاتَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي تِسْعِ غَزَواتٍ، وَقالَ الواقِدِيُّ: قاتَلَ فِي إحْدى عَشْرةَ غَزْوةً، مِنْها الغابةُ وَوادِي القُرى، واللهُ أَعْلَمُ.

* * *

(١) انظر: (٦: ٥٢٦).

(٢) ليس في (ب).

(٣) في (ب): «يمسح».

(٤) في (ح): «لجليتها». وحلى العروسَ: أعطاها ما تتزين به من المصوغات.

(٥) قال الواقدي في «مغازيه» (١: ٧): «فكانت مغازي النبي ﷺ التي غزا بنفسه سبعًا وعشرين غزوة، وكان ما قاتل فيها تسعًا... وكانت السرايا سبعًا وأربعين سرية».

(٦) «مروج الذهب ومعادن الجوهر» (طبعة بيروت): (٣: ٢٢). والذي قال المسعودي هو: «وقد قيل: إن سراياه وبعوثه ﷺ كانت ستًّا وستين».

خُرُوجُ رُسُلِ رَسُولِ الله إلى المُلُوكِ

[تَذْكِيرُ الرَّسُولِ قَوْمَهُ بِما حَدَثَ لِلْحَوارِيِّينَ حِينَ اخْتَلَفُوا على عِيسى]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وقَدْ كانَ رَسُولُ الله ﷺ بَعَثَ إلى المُلُوكِ رُسُلًا مِنْ أَصْحابِهِ، وكَتَبَ مَعَهُمْ إلَيْهِمْ يَدْعُوهُمْ إلى الإسْلامِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: حَدَّثَنِي مَنْ أَثِقُ بِهِ عَنْ أَبي بَكْرٍ الهُذَلِيِّ، قالَ: بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَرَجَ على أَصْحابِهِ ذاتَ يَوْمٍ بَعْدَ عُمْرَتِهِ الَّتِي صُدَّ عَنْها يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ، فقالَ: «أَيُّها النّاسُ، إنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَنِي رَحْمَةً وكافّةً، فلا تَخْتَلِفُوا عَلَيَّ كَما اخْتَلَفَ الحَوارِيُّونَ على عِيسى بنِ مَرْيَمَ»، فقالَ أَصْحابُهُ: وكَيْفَ اخْتَلَفَ الحَوارِيُّونَ يا رَسُولَ الله؟ قالَ: «دَعاهُمْ إلى الَّذي دَعَوْتُكُمْ إلَيْهِ، فأَمّا مَنْ بَعَثَهُ مَبْعَثًا قَرِيبًا فرَضِيَ وَسَلِمَ، وأَمّا مَنْ بَعَثَهُ مَبْعَثًا بَعِيدًا فكَرِهَ وَجْهَهُ وتَثاقَلَ، فشَكا ذلك عِيسى إلى الله، فأَصْبَحَ المُتَثاقِلُونَ وكُلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِلُغَةِ الأُمّةِ الَّتِي بُعِثَ إلَيْها».

[أَسَماءُ الرُّسُلِ ومَنْ أُرْسِلُوا إلَيْهِمْ]

فَبَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ رُسُلًا مِنْ أَصْحابِهِ، وكَتَبَ مَعَهُمْ كُتُبًا إلى المُلُوكِ يَدْعُوهُمْ فيها إلى الإسْلامِ، فبَعَثَ دِحْيَةَ بنَ خَلِيفَةَ الكَلْبِيَّ إلى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ، وبَعَثَ عَبْدَ الله بنَ حُذافةَ السَّهْمِيَّ إلى كِسْرى مَلِكِ فارِسَ، وبَعَثَ عَمْرَو بنَ أُمَيّةَ الضَّمْرِيَّ إلى النَّجاشِيِّ مَلِكِ الحَبَشةِ، وبَعَثَ حاطِبَ بنَ

أبي بَلْتَعةَ إلى المُقَوْقِسِ مَلِكِ الإسْكَنْدَرِيّةِ، وبَعَثَ عَمْرَو بنَ العاصِ السَّهْمِيَّ إلى جَيْفَرٍ وعَيّادٍ ابنَي الجُلَنْدى الأَزْدِيَّيْنِ مَلِكَيْ عُمانَ، وبَعَثَ سَلِيطَ بنَ عَمْرٍو، أحَدَ بَنِي عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ، إلى ثُمامةَ بنِ أُثالٍ وهَوْذَةَ بنِ عَلِيٍّ الحَنَفيينِ، مَلِكَي اليَمامةِ، وبَعَثَ العَلاءَ بنَ الحَضْرَمِيِّ إلى المُنْذِرِ بنِ ساوى العَبْدِيِّ مَلِكَ البَحْرَيْنِ، وبَعَثَ شُجاعَ بن وهْبٍ الأَسْدِيَّ إلى الحارِثِ بنِ أبي شِمْرٍ الغَسّانِيِّ، مَلِكِ تُخُومِ الشّامِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: بَعَثَ شُجاعَ بنَ وهْبٍ إلى جَبَلةَ بنِ الأَيْهَمِ الغَسّانِيِّ، وبَعَثَ المُهاجِرَ بنَ أبي أُمَيّةَ المَخْزُومِيَّ إلى الحارِثِ بنِ عَبْدِ كُلالٍ الحِمْيَرِيِّ مَلِكِ اليَمَنِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: أنا نَسِيتُ سَلِيطًا وثُمامةَ وهَوْذَةَ والمُنْذِرَ.

[رِوايةُ ابنِ حَبِيبٍ عَنْ بَعْثِ الرَّسُولِ رُسُلَهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بنُ أبي حَبِيبٍ المِصْرِيُّ: أنَّهُ وجَدَ كِتابًا فيهِ ذِكْرُ مَنْ بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ إلى البُلْدانِ ومُلُوكِ العَرَبِ والعَجَمِ، وما قالَ لِأصْحابِهِ حِينَ بَعَثَهُمْ. قالَ: فبَعَثْتُ بِهِ إلى مُحَمَّدِ بنِ شِهابٍ الزُّهْرِيِّ فعَرَفَهُ، وفيهِ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَرَجَ على أصْحابِهِ فقالَ لَهُمْ: «إنَّ الله بَعَثَنِي رَحْمةً وكافّةً، فأدُّوا عَنِّي يَرْحَمُكُم الله، ولا تَخْتَلِفُوا عَلَيَّ كَما اخْتَلَفَ الحَوارِيُّونَ على عِيسى بنِ مَرْيَمَ»، قالُوا: وكَيْفَ يا رَسُولَ الله كانَ اخْتِلافُهُمْ؟ قالَ: «دَعاهُمْ لِمِثْلِ ما دَعَوْتُكُمْ لَهُ، فأمّا مَنْ قَرُبَ بِهِ فأحَبَّ وسَلِمَ، وأمّا مَنْ بَعُدَ بِهِ فكَرِهَ وأَبى، فشَكا ذلك عِيسى مِنْهُمْ إلى الله، فأصْبَحُوا وكُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِلُغةِ القَوْمِ الَّذِينَ وُجِّهَ إلَيْهِمْ».

[أَسماءُ رُسُلِ عِيسى]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ مِنْ بَعْثِ عِيسى بنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِن الحَوارِيِّينَ والأَتْباعِ الَّذينَ كانُوا بَعْدَهُمْ في الأَرْضِ: بطرسُ الحَوارِيُّ، ومَعَهُ بُولسُ، وكانَ بُولسُ مِن الأَتْباعِ، ولَمْ يَكُنْ مِن الحَوارِيِّينَ إلى رُومِيَّةَ، وأندرائسُ ومنتا إلى الأَرْضِ الَّتِي يَأْكُلُ أَهْلُها النّاسَ، وتوماسُ إلى أَرْضِ بابِلَ مِنْ أَرْضِ المَشْرِقِ، وفيلبسُ إلى أَرْضِ قَرْطاجَنَّةَ، وهِيَ إفْرِيقِيَّةُ، ويُحَنَّسُ إلى أفسوسَ، قَرْيَةُ الفِتْيَةِ أَصْحابِ الكَهْفِ، ويعقوبسُ إلى أوراشلمَ، وهِيَ إيلِياءُ، قَرْيَةُ بَيْتِ المَقْدِسِ، وابنُ ثَلْماءَ إلى الأَعْرابِيَّةِ، وهِيَ أَرْضُ الحِجازِ، وسيمن إلى أَرْضِ البَرْبَرِ، ويَهُوذا، ولَمْ يَكُنْ مِن الحَوارِيِّينَ، جُعِلَ مَكانَ يودس.

أَرْسالُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إلى المُلوكِ

ذكرَ فيهِ أَرسالَ[١] عيسى بنِ مَرْيَمَ الحَوارِيِّينَ، وَأَصَحُّ ما قِيلَ فِي مَعْنى الحَوارِيِّينَ أنّ الحَوارِيَّ هُوَ الخُلْصانُ؛ أي: الخالِصُ[٢] مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْهُ الحُوّارى والحَوَرُ[٣]، وَقَوْلُ المُفَسِّرِينَ هُوَ: الخُلْصانُ كَلِمةٌ فَصَيْحةٌ، أَنْشَدَ أَبُو حَنِيفةَ[٤]: [من الطويل]

---

(١) كذا ضبط في (خ) بفتح الهمزة، وهو الصواب، وهو جمع رَسَل بفتحتين، وهم الجماعة من الناس.

(٢) بعده في (ف): «الصافي».

(٣) الحُوّارى: الدقيق الأبيض. وهو لباب الدقيق. والحَوَرُ: أن يشتد بياض العين وسواد سوادها، وتستدير حدقتها، وترقّ جفونها، ويبيض ما حواليها.

(٤) «ديوان الكميت» (ت: طريفي): (ص: ٣٤٣)، و«اللسان» (عوذ)، وبدون نسبة في «المخصص» (٣: ١٢٦).

خَلِيلَيّ خُلْصانَيّ لَمْ يُبْقِ حبُّها مِن القَلْبِ إلّا عُوّذًا سينالُها

قالَ: والعُوَّذُ ما لَمْ تُدْرِكْهُ الماشِيةُ لِارْتِفاعِهِ، أوْ لِأنّهُ بأهْدافٍ[1]، فكأنّهُ قَدْ عاذَ مِنْها.

وَأَصَحُّ ما قِيلَ فِي مَعْنى المَسِيحِ على كَثْرةِ الأقْوالِ فِي ذَلِكَ أنَّهُ الصِّدِّيق بِلُغَتِهِمْ، ثُمّ عَرّبَتْهُ العَرَبُ.

وَكانَ إرْسالُ المَسِيحِ[2] لِلْحوارِيِّينَ بَعْدَما رُفِعَ وَصُلِبَ الّذِي شُبِّهَ بِهِ، فَجاءَتْ مَرْيَمُ الصِّدِّيقةُ[3] والمَرْأةُ الّتِي كانَتْ مَجْنُونةً، فَأبْرَأها المَسِيحُ، وَقَعَدَتا عِنْدَ الجِذْعِ تَبْكِيانِ، وَقَدْ أصابَ أُمَّهُ مِن الحُزْنِ عَلَيْهِ ما لا يعلمُهُ إلّا اللهُ تعالى، فَأُهْبِطَ إلَيْهِما، وقال: علامَ تَبْكِيانِ؟ فَقالَتا: عَلَيْك، فَقالَ: إنّي لَمْ أُقْتَلْ، وَلَمْ أُصْلَبْ، وَلَكِنّ اللهَ رَفَعَنِي وَكَرَّمَنِي، وَشُبِّهَ عَلَيْهِمْ فِي أمْرِي، أبْلِغا عَنِّي الحَوارِيّينَ أمْرِي أنْ يَلْقَوْنِي فِي مَوْضِعِ[4] كَذا لَيْلًا، فَجاءَ الحَوارِيُّونَ ذَلِكَ المَوْضِعَ، فَإذا الجَبَلُ [قَد][5] اشْتَعَلَ نُورًا لِنُزُولِهِ بِهِ، ثُمّ أمَرَهُمْ أنْ يَدْعُوا النّاسَ إلى دِينِهِ وَعِبادةِ رَبّهِمْ، فَوَجَّهَهُمْ إلى الأُمَمِ الّتِي ذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ وَغَيْرُهُ، ثُمّ كُسِيَ كُسْوةَ المَلائِكةِ، فَعَرَجَ مَعَهُمْ، فَصارَ مَلَكِيًّا إنْسِيًّا سَمائِيًّا أرْضِيًّا.

---

(١) الأهداف: جمع هَدَف، وهو كل مرتفع.

(٢) في (ب): «عيسى».

(٣) بعده في (أ): «صلى الله عليها»، وفي (ح): «صلى الله عليها وسلم».

(٤) في (ب): «في مكان».

(٥) ليس في (أ).

فَصْلٌ

وَذَكَرَ فِي الأُمَمِ الأُمَّةَ [الّتي][1] يَأْكُلُونَ النّاسَ، وَهُمْ [مِنْ][2] الأساوِدةِ فِيما ذَكَرَهُ الطَّبَرِيّ.

وَذَكَرَ فِي الحَوارِيِّينَ زُرَيْبَ بنَ بَرْثُمْلِي، وَهُوَ الّذِي عاشَ إلى زمنِ عُمَرَ وَسَمِعَ نَضْلةَ بنَ مُعاوِيةَ[3] أذانَهُ فِي الجَبَلِ وكَلَّمَه، فَإذا رَجُلٌ عَظِيمُ الخَلْقِ رَأْسُهُ كَدَورِ[4] الرَّحى، فَسَأَلَ نَضْلةَ والجَيْشَ الّذِينَ كانُوا مَعَهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقالُوا: قُبِضَ. وَعَنْ[5] أَبِي بَكْرٍ: فَقالُوا: قُبِضَ، ثُمّ سَأَلَهُمْ عَنْ عُمَرَ، فَقالُوا: هُوَ حيٌّ ونحنُ جيشه، فقال لهم: أقرِئُوهُ السّلامَ[6]، ثُمّ أمَرَهُمْ أنْ يُبَلِّغُوه عَنْهُ وَصايا كَثِيرةً، وَأنْ يُحَذِّرَ النّاسَ مِنْ خِصالٍ إذا ظَهَرَتْ فِي أُمّةِ مُحَمّدٍ فَقَدْ قَرُبَ الأَمْرُ، ومِنْها لُبْسُ الحَرِيرِ، وَشُرْبُ الخَمْرِ، وَأنْ يَكْتَفِيَ الرِّجالُ بِالرِّجالِ والنِّساءُ بِالنِّساءِ.

وَذَكَرَ فِيها أيضًا المعازفَ والقِيانَ وَأشْياءَ غَيْرَ هَذِهِ، فَقالُوا لَهُ: ومَنْ أنْتَ يَرْحَمُك اللهُ؟ فَقالَ: زُرَيْبُ بنُ بَرْثُمْلِي حواريُّ عيسى بنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِما السّلامُ، دَعَوْتُ اللهَ أنْ يُحْيِيَنِي حَتّى أرى أُمّةَ مُحَمّدٍ ﷺ، أوْ نَحْوَ هَذا الكَلامِ، وَقَدْ أرَدْتُ الخُلُوصَ إلى مُحَمّدٍ ﷺ فَلَمْ أسْتَطِعْ، حالَ بيني وبينَهُ الكفار.

---

(١) في (ب)، (ج)، وصلب (ح): «الذين». و«التي» سقطت من (س).

(٢) عن (ب)، (ج)، (ص)، (ف).

(٣) في (ب): «بن عبيد».

(٤) الدور: الطبقة من الشيء المدار بعضه فوق بعض.

(٥) في (ب): «ثم سألهم عن...».

(٦) في (ف): «عني السلام».

وذكر الدّارَقطنيُّ[١] فِي هَذا الحَدِيثِ مِنْ طَرِيقِ مالِكِ بنِ أَنَسٍ مَرْفُوعًا أَنّ عُمَرَ قالَ لِنَضْلَةَ: إِنْ لَقِيتَه فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السّلامَ؛ فَإِنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «إِنّ بِذَلِكَ الجَبَلِ وَصِيًّا مِنْ أَوْصِياءِ عِيسى عَلَيْهِ السّلامُ».

والخَبَرُ بِهَذا مَشْهُورٌ عَنْهُ، وفيهِ طُولٌ فاخْتَصَرْناهُ، وَيُقالُ: إِنّهُ الآنَ حَيّ. وَمَنْ قالَ: إِنّ الخَضِرَ وَإِلْياسَ قَدْ ماتا، فَمِنْ أَصْلِهِ أَيْضًا أَنّ زُرَيبًا قد مات؛ لأنهم يحتجُّون بِالحَدِيثِ الصّحِيحِ: «إِلى رَأْسِ مِئَةِ سَنَةٍ لا يَبْقى على الأَرْضِ مِمَّنْ هُوَ عَلَيْها أَحَدٌ»[٢].

فَصْلٌ

وَذَكَرَ إِرْسالَ عَمْرِو بنِ أُمَيّةَ إِلى النَّجاشِيّ، وَقَدْ قَدّمْنا ذِكْرَ ما قالَ وَما قِيلَ لَهُ، وَكَذَلِكَ ذَكَرْنا خَبَرَ سَلِيطٍ مَعَ هَوْذَةَ، وَما قالَ لَهُ، وَخَبَرَ عَبْدِ اللهِ بنِ حُذافةَ مَعَ كِسْرى، وَكَلامَهُ مَعَهُ، وَنَذْكُرُ هُنا بَقِيّةَ الأَرْسالِ وَكَلامَهُمْ.

فَمِنْهُمْ: دِحْيةُ بنُ خَلِيفةَ الكَلْبِيُّ، فَقَدِمَ دِحْيةُ على قَيْصَرَ، وَقَدْ ذَكَرْنا مَعْنى هَذا الِاسْمِ، أَعْنِي اسْمَ دِحْيةَ واسْمَ قَيْصَرَ فِيما مَضى مِن الكِتابِ[٣]، فَلَمّا قَدِمَ دِحْيةُ على قَيْصَرَ قالَ لَهُ: يا قَيْصَرُ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْك، والّذِي أَرْسَلَهُ خَيْرٌ مِنْهُ وَمِنْك، فاسْمَعْ بِذُلٍّ، ثُمّ أَجِبْ[٤] بِنُصْحٍ؛ فَإِنَّك إِنْ لَمْ تَذَلَّلْ[٥]

(١) انظر: «المطالب العالية» لابن حجر (١٨: ٤٠٥)، قال بعد إيراده: «أخرجه الدارقطني في غرائب مالك من طريقه»، وانظر كذلك «الجامع الكبير» (١٥: ٧٤٤). (ج)

(٢) أخرجه البخاري، «فتح الباري»، كتاب العلم: (١: ٢١١).

(٣) انظر: (١: ٢٤٤)، (٦: ٢٨٠).

(٤) في (ب): «وأجب».

(٥) في (ص): «تتذلل».

لَمْ تَفْهَمْ، وَإِنْ لَمْ تَنْصَحْ لَمْ تُنْصِفْ. قالَ: هاتِ. قالَ: هَلْ تَعْلَمُ أكانَ المَسِيحُ يُصَلِّي؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ إلى مَنْ كانَ المسيحُ يُصلِّي له، وأدعوكَ إلى مَنْ دَبَّرَ خَلْقَ السَّمواتِ والأَرْضِ والمَسِيحُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَأَدْعُوكَ إلى هَذا النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ مُوسى، وَبَشَّرَ بِهِ عيسى بن مَرْيَمَ [عليهما السلام][1] بَعْدَهُ، وَعِنْدَكَ مِنْ ذَلِكَ أثرةٌ[2] مِنْ عِلْمٍ تَكْفِي مِن العِيانِ وَتَشْفِي مِن الخَبَرِ، فَإِنْ أَجَبْتَ كانَتْ لَكَ الدُّنْيا والآخِرةُ، وَإِلّا ذَهَبَتْ عَنْكَ الآخِرةُ وَشُورِكْت فِي الدُّنْيا، واعْلَمْ أنّ لَك رَبًّا يَقْصِمُ الجَبابِرةَ، وَيُغَيِّرُ النِّعَمَ.

فَأَخَذَ قَيْصَرُ الكِتابَ فَوَضَعَهُ على عَيْنَيْهِ وَرَأْسِهِ وَقَبَّلَهُ، ثُمّ قالَ: أما واللهِ ما تَرَكْتُ كِتابًا إلّا قَرَأْته، وَلا عالِمًا إلّا سَأَلْته، فَما رَأَيْتُ إلّا خَيْرًا، فَأَمْهِلْنِي حَتّى أَنْظُرَ مَنْ كانَ المَسِيحُ يُصَلِّي لَهُ؛ فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُجِيبَك اليَوْمَ بِأَمْرٍ أرى غَدًا ما هُوَ أَحْسَنُ [مِنْهُ][3]، فَأَرْجِعَ عَنْهُ، فَيَضُرَّنِي ذَلِكَ، وَلا يَنْفَعَنِي، أَقِمْ حَتّى أَنْظُرَ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ أتاهُ وَفاةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ. وَفِي غَزْوةِ تَبُوكَ بَقِيّةُ حَدِيثِ قَيْصَرَ، فانْظُرْهُ هُنالِكَ[4][5].

وَأَمّا حاطِبُ [بنُ أبي بلتعة][6] فَقَدِمَ على المُقَوْقِسِ، واسْمُهُ: جُرَيْجُ بنُ مِينا، فَقالَ لَهُ: إنّهُ قَدْ كانَ قَبْلَكَ رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنّهُ الرّبُّ الأعلى، فَأَخَذَهُ اللهُ نكالَ الآخِرةِ والأُولى، فانْتَقَمَ بِهِ، ثُمّ انْتَقَمَ مِنْهُ، فاعْتَبِرْ بغَيرِك، وَلا يُعْتَبَرْ بِك[7]. قال:

---

(١) عن (ص).

(٢) في (ب)، (ج): «أثارة». وكلاهما بمعنى: البقية من العلم.

(٣) ليس في (أ).

(٤) في (ف): «فانظر هناك».

(٥) انظر: (٧: ٣٢٠).

(٦) عن (س).

(٧) في (ص): «ولا يعتبر بك غيرك».

هاتِ، قال: إنّ لكَ دِينًا لَنْ تَدَعَهُ إلا لِما هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، وَهُوَ الإسْلامُ، الكافِي بِهِ اللهُ فَقْدَ ما سِواهُ. إنّ هَذا النّبيَّ ﷺ [دَعا النّاسَ][1]، فَكانَ أشَدَّهُمْ عَلَيْهِ قُرَيْشٌ، وَأعْداهُمْ لَهُ يَهُودُ، وَأقْرَبَهُمْ مِنْهُ النّصارى، وَلَعَمْرِي ما بِشارةُ مُوسى بِعِيسى إلّا كَبِشارةِ عِيسى بِمُحَمّدٍ صلى الله عليهم أجمعين، وَما دُعاؤُنا إيّاكَ إلى القُرْآنِ إلّا كَدُعائِك[2] أهْلَ التّوْراةِ إلى الإنْجِيلِ، وَكُلُّ نَبِيٍّ أدْرَكَ قَوْمًا فَهُمْ مِنْ أُمّتِهِ فالحَقُّ عَلَيْهِمْ أنْ يُطِيعُوهُ، فَأنْتَ مِمّنْ أدْرَكَهُ هَذا النّبِيّ، وَلَسْنا نَنْهاكَ عَنْ دِينِ المَسِيحِ، وَلَكِنّا نَأْمُرُك بِهِ.

قالَ المُقَوْقِسُ: إنّي قَدْ نَظَرْتُ فِي أمْرِ هَذا النّبِيّ، فَوَجَدْتُهُ لا يأمرُ بمزهودٍ فِيهِ، وَلا يَنْهى إلّا عَنْ مَرْغُوبٍ عَنْهُ، وَلَمْ أجِدْهُ بِالسّاحِرِ الضّالّ، وَلا الكاهِنِ الكذّابِ، وَوَجَدْتُ مَعَهُ آلَةَ النّبُوّةِ بِإخْراجِ الخَبْءِ والإخْبارِ بالنَّجْوى، وَسَأنْظُرُ.

فَأهْدى لِلنّبِيّ ﷺ أُمّ إبْراهِيمَ القِبْطِيّةَ، واسْمُها: مارِيةُ بِنْتُ شَمْعُونَ، وَأُخْتَها مَعَها، واسْمُها: سِيرِينُ، وَهِيَ أُمُّ عبدِ الرّحمن بنِ حَسّانَ بنِ ثابتٍ، وَغُلامًا اسْمُهُ: مَأْبُورٌ[3]، وَبَغْلةً اسْمُها: دُلْدُل، وَكُسْوةً، وَقَدَحًا مِنْ قَوارِيرَ كانَ يَشْرَبُ فِيهِ النّبيُّ ﷺ، [وكاتَبَهُ][4].

وَأمّا العَلاءُ بنُ الحَضْرَمِيّ فَقَدِمَ على المُنْذِرِ بنِ ساوى فَقالَ لَهُ: «يا مُنْذِرُ، إنّك عَظِيمُ العَقْلِ فِي الدُّنْيا، فَلا تَصْغُرَنَّ عَن الآخِرةِ، إنَّ هَذِهِ المَجُوسِيّةَ شَرُّ دِينٍ لَيْسَ فِيها تكرُّمُ العَرَبِ، وَلا عِلْمُ أهْلِ الكِتابِ، يَنْكِحُونَ ما يُسْتَحْيا مِنْ

---

(١) ليس في (ب).

(٢) في (ب): «كدعاء».

(٣) ورد في النسخ: «مابور» بتسهيل الهمزة، وفي مستدرك «تاج العروس» (أبر): «مأبور».

(٤) ليس في (ص).

نِكاحِهِ، وَيَأْكُلونَ ما يُتَكَرَّمُ عن أَكْلِهِ، ويعبدون[١] فِي الدُّنْيا نارًا تَأْكُلُهُمْ يَوْمَ القِيامةِ، وَلَسْتَ بِعَدِيمِ عَقْلٍ وَلا رَأْيٍ، فانْظُرْ: هَلْ يَنْبَغِي لِمَنْ لا يَكْذِبُ أَلّا تُصَدِّقَهُ، وَلِمَنْ لا يَخُونُ أَلّا تَأْمَنَهُ، وَلِمَنْ لا يُخْلِفُ أَلّا[٢] تثِقَ بِهِ، فَإِنْ كانَ هَذا هَكَذا، فَهُوَ هَذا النَّبيُّ الأُمّيُّ [الّذِي][٣] واللهِ لا يَسْتَطِيعُ ذُو عَقْلٍ أَنْ يَقُولَ: لَيْتَ ما أَمَرَ بِهِ نَهى عَنْهُ، [أَوْ ما نَهى عنه أَمَرَ به][٤]، أو[٥] ليتَهُ زادَ فِي عَفْوِهِ، أَوْ نَقَصَ مِنْ عِقابِهِ، إنّ كلَّ ذَلِكَ مِنْهُ على أُمْنِيّةِ أَهْلِ العَقْلِ وَفِكْرِ أَهْلِ البَصَرِ.

فَقالَ المُنْذِرُ: قَدْ نَظَرْتُ فِي هذا الّذِي فِي يَدِي، فَوَجَدْتُهُ لِلدّنْيا دُونَ الآخِرةِ، وَنَظَرْتُ فِي دِينِكُمْ، فَوَجَدْتهُ لِلْآخِرةِ والدُّنْيا، فَما يَمْنَعُنِي مِنْ قَبُولِ دِينٍ فِيهِ أُمْنِيّةُ الحَياةِ[٦] وَراحةُ المَوْتِ، وَلَقَدْ عَجِبْتُ أَمْسِ مِمّنْ يَقْبَلُهُ، وَعَجِبْتُ اليَوْمَ مِمّنْ يَرُدُّهُ، وَإِنّ مِنْ إعْظامِ مَنْ جاءَ بِهِ أَنْ يُعَظَّمَ رَسُولُهُ، وَسَأَنْظُرُ.

فَصْلٌ

وَمِمّا [وَقَعَ][٧] فِي السِّيرةِ فِي حَدِيثِ العَلاءِ قَوْلُ النّبيّ ﷺ [لَهُ][٨]: «إذا سُئِلْتَ عَنْ مِفْتاحِ الجَنّةِ فَقُلْ: مِفْتاحُها: لا إلَهَ إلّا اللهُ».

وفي البخاري: قيل لِوَهْبٍ: أَلَيْسَ مِفْتاحُ الجَنّةِ لا إلَهَ إلّا اللهُ؟ فَقالَ: بَلى،

(١) في (ف): «ويعتقدون».
(٢) في (ب)، (ج)، (ص): «أن تأمنه... أن تثق به».
(٣) ليس في (ب).
(٤) سقط من (ب).
(٥) في (ف): «و».
(٦) في (م)، (س): «الحياة الدنيا».
(٧) ليس في (أ).
(٨) ليس في (س)، (ف).

وَلَكِنْ لَيْسَ مِنْ مِفْتاحٍ إلّا وَلَهُ أَسْنانٌ، فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتاحٍ لَهُ أَسْنانٌ فُتِحَ لَك، وَإِلّا لَمْ يُفْتَحْ لَك(١).

وَفِي رِوايَةِ غَيْرِهِ: أَنّ ابنَ عَبّاسٍ ذُكِرَ لَهُ قَوْلُ وَهْبٍ، فَقالَ: صَدَقَ، وَأَنا أُخْبِرُكُمْ عَنِ الأَسْنانِ ما هِيَ، فَذَكَرَ الصّلاةَ والزّكاةَ وَشَرائِعَ الإسْلامِ.

وَأَمّا عَمْرُو بنُ العاصِي، فَقَدِمَ على الجُلَنْدى، فَقالَ لَهُ: يا جُلَنْدى إنّك وَإِنْ كُنْتَ مِنّا بَعِيدًا، فَإِنّك مِن اللهِ غَيْرُ بَعِيدٍ، إنّ الّذِي تَفَرّدَ بِخَلْقِك أَهْلٌ أَنْ تُفْرِدَهُ بِعِبادَتِك، وَأَلّا تُشْرِكَ بِهِ مَنْ لَمْ يُشْرِكْهُ فِيك، واعْلَمْ أَنّهُ يُمِيتُك الّذِي أَحْياك، وَيُعِيدُك الّذِي بَدَأَك(٢)، فانْظُرْ(٣) فِي هَذا النّبِيّ الأُمّيّ الّذِي جاءَ بِالدُّنْيا والآخِرةِ، فَإِنْ كانَ يُرِيدُ بِهِ(٤) أَجْرًا فامْنَعْهُ، أَوْ يَمِيلُ بِهِ هَوًى فَدَعْهُ، ثُمّ انْظُرْ فِيما يَجِيءُ بِهِ: هَلْ يُشْبِهُ ما يَجِيءُ بِهِ النّاسُ، فَإِنْ كانَ يُشْبِهُهُ فَسَلْهُ العِيانَ(٥)، وَتَخَيَّرْ عَلَيْهِ فِي الخَبَرِ، وَإِنْ(٦) كانَ لا يُشْبِهُهُ فاقْبَلْ ما قالَ، وَخَفْ ما وَعَدَ.

قالَ الجُلَنْدى: إنّهُ واللهِ لَقَدْ دَلّنِي على هَذا النّبِيّ الأُمّيّ أَنّهُ لا يَأْمُرُ بِخَيْرٍ إلّا كانَ أَوّلَ مَنْ أَخَذَ بِهِ، وَلا يَنْهى عَنْ شَرٍّ إلّا كانَ أَوّلَ تارِكٍ لَهُ، وَأَنّهُ يَغْلِبُ فَلا يَبْطَرُ، وَيُغْلَبُ فَلا يَضْجَرُ، وَأَنّهُ يَفِي بِالعَهْدِ، وَيُنْجِزُ المَوْعُودَ، وَأَنّهُ لا يَزالُ سِرٌّ قَد أُطْلِعَ عَلَيْهِ يساوي فِيهِ أهله، وأشهدُ أنه نبي.

---

(١) «فتح الباري»، كتاب الجنائز: (٣: ١٠٩).

(٢) في (ص): «أبداك». وأصل بداك وأبداك: بدأك وأبدأك. وقد سهلت الهمزة، ومعناهما: أنشأك وأوجدك.

(٣) في (ف): «وانظر».

(٤) في (ف): «له».

(٥) أي: الحجة والدليل. وتخير عليه في الخبر، أراد: اختر ما تراه من الأخبار وفاضل بينها.

(٦) في (ح)، (ص): «وإلا يشبهه».

وَأمّا شُجاعُ بنُ وَهْبٍ، فَقَدِمَ على جَبَلةَ بنِ الأيْهَمِ، وَهُوَ جَبَلةُ بنُ الأيهمِ ابنِ الحارِثِ[١] بنِ أبِي شِمْرٍ، وَجَبَلةُ هُوَ الّذِي أسْلَمَ ثُمّ تَنَصّرَ مِنْ أجْلِ لَطْمةٍ حاكَمَ فِيها إلى[٢] أبِي عُبَيْدةَ بنِ الجَرّاحِ، وَكانَ طُولُهُ اثْنَيْ عَشَرَ شِبْرًا، وَكانَ يَمْسَحُ بِرِجْلَيْهِ الأرْضَ وَهُوَ راكِبٌ، فَقالَ لَهُ: يا جَبَلةُ، إنّ قَوْمَك نَقَلُوا هَذا النّبِيَّ الأُمِّيَّ مِنْ دارِهِ إلى دارِهِمْ - يَعْنِي الأنْصارَ - فَآوَوْهُ وَمَنَعُوهُ، وَإنّ هَذا الدِّينَ الّذِي أنْتَ عَلَيْهِ لَيْسَ بِدِينِ آبائِك، وَلَكِنّك مَلَكْتَ الشّامَ وَجاوَرْتَ بها[٣] الرُّومَ، وَلَوْ جاوَرْتَ كِسْرى دِنْتَ بِدِينِ الفُرْسِ لملكِ العراق، وقد أقرَّ بِهَذا النّبِيِّ[٤] مِنْ أهْلِ دِينِك مَنْ إنْ فَضَّلْناهُ عَلَيْكَ لَمْ يُغْضِبْك، وَإنْ فَضّلْناكَ عَلَيْهِ لَمْ يُرْضِك، فَإنْ أسْلَمْتَ أطاعَتْك الشّامُ وَهابَتْك الرُّومُ، وَإنْ لَمْ يَفْعَلُوا كانَتْ لَهُم الدُّنْيا وَلَك الآخِرةُ، وَكُنْتَ قَد اسْتَبْدَلْت المَساجِدَ بِالبِيَعِ، والأذانَ بِالنّاقُوسِ، والجُمَعَ بِالشَّعانِينِ[٥]، والقِبْلةَ بِالصَّلِيبِ، وَكانَ ما عِنْدَ اللهِ خَيْرًا وَأبْقى.

فَقالَ لَهُ جَبَلةُ: إنّي واللهِ لَوَدِدْتُ أنّ النّاسَ اجْتمَعُوا على هَذا النّبِيّ اجْتِماعَهُمْ على خَلْقِ السّمَواتِ والأرْضِ، وَلَقَدْ سَرّنِي اجْتِماعُ قَوْمِي لَهُ، وَأعْجَبَنِي قَتْلُهُ أهْلَ الأوْثانِ واليَهُودَ، واسْتِبْقاؤُهُ النَّصارى، وَلَقَدْ دَعانِي قَيْصَرُ إلى قِتالِ أصْحابِهِ

---

(١) في «جمهرة» الكلبي: (ص: ٦١٨)، وابن حزم: (ص: **٣٧٢**): «الحارث بن ثعلبة بن عمرو ابن جفنة»، ثم ذكر الحارث بن أبي شمر وأنهما - أي: جبلة والحارث بن أبي شمر - كانا ملكين.

(٢) في (س): «لأبي عبيدة».

(٣) في (ص): «به». وقد أعاد الضمير مؤنثًا على الشام.

(٤) في (ب)، (ج): «النبي الأمي».

(٥) الشعانين: عيد مسيحي يقع يوم الأحد السابق لعيد الفصح، يُحتفل فيه بذكرى دخول السيد المسيح بيت المقدس. وهو من الألفاظ التي دخلت العربية دون تغيير.

يَوْمَ مُؤْتَةَ، فَأَبَيْتُ عَلَيْهِ، فانْتَدَبَ لهُ مالِكَ بنَ زافلة[١] مِنْ سَعْدِ العَشِيرةِ فَقَتَلَهُ اللهُ، وَلَكِنِّي لَسْتُ أرى حَقًّا يَنْفَعُهُ، وَلا باطِلًا يَضُرُّهُ، والّذي يَمُدُّنِي إِلَيْهِ أقْوى مِن الّذِي يَخْتَلِجُنِي[٢] عَنْهُ، وَسَأَنْظُرُ.

وَأَمّا المُهاجِرُ بنُ [أبي][٣] أُمَيّةَ، فَقَدِمَ على الحارِثِ بنِ عَبْدِ كُلالٍ، فقالَ لَهُ: يا حارِثُ، إنّك كُنْتَ أوّلَ مَنْ عَرَضَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ نَفْسَهُ، [فَخَطِيتَ عَنْهُ][٤]، وَأَنْتَ أعْظَمُ المُلُوكِ قَدْرًا، فَإذا نَظَرْتَ فِي غَلَبةِ المُلُوكِ فانْظُرْ فِي غالِبِ المُلُوكِ، وَإذا سَرّك يَوْمُكَ فَخَفْ غَدَكَ، وَقَدْ كانَ قَبْلَك مُلُوكٌ ذَهَبَتْ آثارُها وبقِيَتْ أخبارُها، عاشوا طويلًا، وأمّلُوا بَعِيدًا، وَتَزَوَّدُوا قَلِيلًا، مِنْهُمْ مَنْ أدْرَكَهُ المَوْتُ، وَمِنْهُمْ مَنْ أكَلَتْهُ النِّقَمُ، وَإنّي أدْعُوك إلى الرّبِّ الّذِي إذا أَرَدْتَ الهُدى لم يَمْنَعْك، وَإنْ أرادَك لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْك[٥] أحَدٌ، وَأدْعُوك إلى النّبِيِّ الأُمِّيِّ الّذي لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ أحْسَنُ مِمّا يَأْمُرُ بِهِ، وَلا أقْبَحُ مِمّا يَنْهى عَنْهُ، واعْلَمْ أنّ لَك رَبًّا يُمِيتُ الحَيّ وَيُحْيِي المَيِّتَ، وَيَعْلَمُ خائِنَةَ الأعْيُنِ، وَما تُخْفِي الصّدُورُ.

فَقالَ الحارِثُ: قَدْ كانَ هَذا النّبِيُّ عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَيّ فَخَطِيتُ عَنْهُ، وَكانَ ذُخْرًا لِمَنْ صارَ إلَيْهِ، وَكانَ أمْرُهُ أمْرًا يَشُقُّ، فَحَضَرَهُ اليَأْسُ وَغابَ عَنْهُ الطَّمَعُ، وَلَمْ يَكُنْ لِي قَرابةٌ أحْتَمِلُهُ [عَلَيْها][٦]، وَلا لِي فِيهِ هَوًى أتّبِعُهُ لَهُ، غَيْرَ أنِّي أرى أمْرًا لَمْ يُوَسْوِسْهُ الكَذِبُ، وَلَمْ يُسْنِدْهُ الباطِلُ، لَهُ بَدْءٌ سارّ، وَعاقِبةٌ نافِعةٌ، وَسَأَنْظُرُ.

---

(١) «تاريخ الرسل والملوك» (٣: ٣٧، ٤١). وهو عنده: مالك بن رافلة (بالراء المهملة).

(٢) أي: يدفعني عنه ويبعدني.

(٣) ليس في (س)، (ص).

(٤) ليس في (أ). وأصل «خطيت عنه»: «خطئت عنه»، وسُهلت الهمزة، ومعنى «خطئت عنه»: انصرفت عنه غير متعمدٍ للخطأ.

(٥) في (ب): «لم يمنعك منه».

(٦) ليس في (ح).

وَمِمّا قالَهُ[١] دِحْيةُ بنُ خَلِيفةَ فِي قُدُومِهِ على قيصر: [من المتقارب]

ألا هَـلْ أتاهـا علـى نأيِهـا ... بأنِّـي قدِمـتُ علـى قيصرِ
فقرَّرتُـهُ بصـلاةِ المسيـحِ ... وَكانَتْ مِـن الجَوْهَرِ الأحْمَرِ
وَتَدْبِيـرِ رَبِّـك أمْرَ السّـماءِ ... والارْضِ فأغْضـى وَلَمْ يُنْكِرِ
وَقُلْت: تُقِرُّ بِبُشْرى المسيحِ ... فقال: سـأنظرُ، قلـتُ: انظُرِ
فـكادَ يُقِـرُّ بِأمْـرِ الرَّسُـولِ ... فَمـالَ إلـى البَـدَلِ الأعْوَرِ
فَشَكَّ وَجاشَـتْ لَها[٢] نَفْسُهُ ... وَجاشَتْ نُفُوسُ بَنِي الأصْفَرِ
علـى وَضْعِهِ بِيَدَيْـهِ الكِتا بَ ... على الرّأسِ والعَيْنِ والمَنْخَرِ
فَأصْبَـحَ قَيْصَـرُ مِـنْ أمْـرِهِ ... بِمَنْزِلَـةِ الفَـرَسِ الأشْـقَرِ؟

يُرِيدُ بِالفَرَسِ الأشْقَرِ: مَثَلًا لِلْعَرَبِ، يَقُولُونَ: أشْقَرُ إنْ تتَأخَّرْ تُعْقَرْ، وَإنْ تتَقَدّمْ تُنْحَرْ.

وَقالَ الشّاعِرُ فِي هَذا المَعْنى[٣]: [من الطويل]

وَهَلْ كُنْـتُ إلّا مِثْلَ سَـيِّقِهِ العِدى
إنِ اسْتَقْدَمَتْ نَحْرٌ وَإنْ جَبأتْ عَقْرُ؟

وَفِي حَدِيثِ دِحْيةَ مِنْ رِوايةِ الحارِثِ فِي «مُسْنَدِهِ» أن رسول الله ﷺ قالَ: «مَنْ يَنْطَلِقُ بِكِتابِي هَذا إلى قَيْصَرَ وَلَهُ الجَنّةُ؟»، فَقالُوا: وَإنْ لَمْ يَقْبلْ يا رَسُولَ اللهِ؟ قالَ: «وَإنْ لَمْ يَقْبلْ»، فانْطَلَقَ بِهِ رَجُلٌ، يَعْنِي: دِحْيةَ، وَذَكَرَ الحَدِيثَ.

---

(١) في (ف): «قال».

(٢) في (أ)، (ب): «له».

(٣) البيت في «لسان العرب» (جبأ) و(سوق) غير منسوب. والسيقة: ما استاقه العدو من الدواب. وجبأت: تأخَّرت.

ذِكْرُ جُمْلَةِ الغَزَواتِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قالَ: حَدَّثَنا أبو مُحَمَّدٍ عَبْدُ المَلِكِ بنُ هِشامٍ، قالَ: حَدَّثَنا زِيادُ بنُ عَبْدِ اللهِ البَكّائِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ إسْحاقَ المُطَّلِبِيِّ: وكانَ جَمِيعُ ما غَزا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِنَفْسِهِ سَبْعًا وعِشْرِينَ غَزْوَةً، مِنْها غَزْوَةُ ودّانَ، وهِيَ غَزْوَةُ الأَبْواءِ، ثُمَّ غَزْوَةُ بُواطَ، مِنْ ناحِيَةِ رَضْوى، ثُمَّ غَزْوَةُ العَشِيرَةِ، مِنْ بَطْنِ يَنْبُعَ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَدْرٍ الأُولى، يَطْلُبُ كُرْزَ بنَ جابِرٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَدْرٍ الكُبْرى، الَّتِي قَتَلَ اللهُ فيها صَنادِيدَ قُرَيْشٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي سُلَيْمٍ، حَتّى بَلَغَ الكُدْرَ، ثُمَّ غَزْوَةُ السَّوِيقِ، يَطْلُبُ أبا سُفيانَ بنَ حَرْبٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ غَطَفانَ، وهِيَ غَزْوَةُ ذِي أَمَرّ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَحْرانَ؛ مَعْدِنٌ بِالحِجازِ، ثُمَّ غَزْوَةُ أُحُدٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ حَمْراءَ الأَسَدِ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ، ثُمَّ غَزْوَةُ ذاتِ الرِّقاعِ مِنْ نَخْلٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَدْرٍ الآخِرَة، ثُمَّ غَزْوَةُ دُومَةِ الجَنْدَلِ، ثُمَّ غَزْوَةُ الخَنْدَقِ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي لِحْيانَ، مِنْ هُذَيْلٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ ذِي قَرَدٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي المُصْطَلِقِ مِنْ خُزاعةَ، ثُمَّ غَزْوَةُ الحُدَيْبِيَةِ، لا يُرِيدُ قِتالًا، فصَدَّهُ المُشْرِكُونَ، ثُمَّ غَزْوَةُ خَيْبَرَ، ثُمَّ عُمْرَةُ القَضاءِ، ثُمَّ غَزْوَةُ الفَتْحِ، ثُمَّ غَزْوَةُ حُنَيْنٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ الطّائِفِ، ثُمَّ غَزْوَةُ تَبُوكَ. قاتَلَ مِنْها في تِسْعِ غَزَواتٍ: بَدْرٍ، وأُحُدٍ، والخَنْدَقِ، وقُرَيْظَةَ، والمُصْطَلِقِ، وخَيْبَرَ، والفَتْحِ، وحُنَيْنٍ، والطّائِفِ.

ذِكْرُ جُمْلةِ السَّرايا والبُعُوثِ

وَكانَتْ بُعُوثُهُ ﷺ وسَراياهُ ثَمانِيًا وثَلاثِينَ، مِنْ بَيْنِ بَعْثٍ وسَرِيّةٍ: غَزْوةُ عُبَيْدةَ بنِ الحارِثِ أسْفَلَ مِنْ ثَنِيّةِ ذِي المَرْوةِ، ثُمَّ غَزْوةُ حَمْزةَ بن عَبْدِ المُطَّلِبِ ساحِلَ البَحْرِ، مِنْ ناحيةِ العِيصِ، وبَعْضُ النّاسِ يُقَدِّمُ غَزْوةَ حَمْزةَ قَبْلَ غَزْوةِ عُبَيْدةَ، وغَزْوةُ سَعْدِ بنِ أبي وقّاصٍ الخَرّارَ، وغَزْوةُ عَبْدِ الله بن جَحْشٍ نَخْلةَ، وغَزْوةُ زَيْدِ بنِ حارِثةَ القَرَدةَ، وغَزْوةُ مُحَمَّدِ بنِ مَسْلَمةَ كَعْبَ بنَ الأشْرَفِ، وغَزْوةُ مَرْثَدِ بنِ أبي مَرْثَدٍ الغَنَوِيِّ الرَّجِيعَ، وغَزْوةُ المُنْذِرِ بنِ عَمْرٍو بِئْرَ مَعُونةَ، وغَزْوةُ أبي عُبَيْدةَ بنِ الجَرّاحِ ذا القَصّة، من طريق العِراقِ، وغَزْوةُ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ تُرَبةَ مِنْ أرْضِ بَنِي عامِرٍ، وغَزْوةُ عَلِيِّ بن أبي طالِبٍ اليَمَنَ، وغَزْوةُ غالِبِ بنِ عَبْدِ الله الكَلْبِيِّ، كَلْبِ لَيْثٍ، الكَدِيدَ، فأصابَ بَنِي المُلَوِّحِ.

خَبَرُ غَزْوةِ غالِبِ بنِ عَبْدِ الله اللَّيْثِيِّ بَنِي المُلَوَّحِ

[شَأْنُ ابنِ البَرْصاءِ]

وَكانَ مِنْ حَدِيثِها أنَّ يَعْقُوبَ بنَ عُتْبةَ بنِ المُغِيرةِ بنِ الأخْنَسِ، حَدَّثَنِي عَنْ مُسْلِمِ بن عَبْدِ الله بنِ خُبَيْبٍ الجُهَنِيِّ، عَن المُنْذِرِ، عَنْ جُنْدَبِ بنِ مَكِيثٍ الجُهَنِيِّ، قالَ: بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ غالِبَ بنَ عَبْدِ الله الكَلْبِيَّ، كَلْبَ ابنَ عَوْفِ بنِ لَيْثٍ، في سَرِيّةٍ كُنْتُ فيها، وأمَرَهُ أنْ يَشُنَّ الغارةَ على بَنِي المُلَوَّحِ وهُمْ بِالكَدِيدِ، فخَرَجْنا، حَتّى إذا كُنّا بِقُدَيْدٍ لَقِينا الحارِثُ بنُ مالِكٍ، وهُوَ ابنُ البَرْصاءِ اللَّيْثِيُّ، فأخَذْناهُ، فقالَ: إنِّي جِئْتُ أُرِيدُ الإسْلامَ، ما خَرَجْتُ إلّا

إلى رَسُولِ الله ﷺ، فقُلْنا لَهُ: إنْ تَكُ مُسْلِمًا فلَنْ يَضِيرَكَ رِباطُ لَيْلةٍ، وإنْ تَكُ على غَيْرِ ذلك كُنّا قد اسْتَوْثَقْنا مِنْكَ، فشَدَدْناهُ رِباطًا، ثُمَّ خَلَّفْنا عَلَيْهِ رَجُلًا مِنْ أصْحابِنا أسْوَدَ، وقُلْنا لَهُ: إنْ عازَّكَ فاحْتَزَّ رَأْسَهُ.

[بَلاءُ ابنِ مَكِيثٍ في هَذِهِ الغَزْوَةِ]

قالَ: ثُمَّ سِرْنا حَتّى أتَيْنا الكَدِيدَ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فكُنّا في ناحِيَةِ الوادِي، وبَعَثَنِي أصْحابِي رَبِيئةً لَهُمْ، فخَرَجْتُ حَتّى آتِيَ تَلًّا مُشْرِفًا على الحاضِرِ، فأسْنَدْتُ فيهِ، فعَلَوْتُ على رَأْسِهِ، فنَظَرْتُ إلى الحاضِرِ، فواللهِ إنِّي لَمُنْبَطِحٌ على التَّلِّ، إذْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْهُمْ مِنْ خِبائِهِ، فقالَ لِامْرَأتِهِ: إنِّي لَأرى على التَّلِّ سَوادًا ما رَأَيْتُهُ في أوَّلِ يَوْمِي، فانْظُرِي إلى أوْعِيَتِكِ هَلْ تَفْقِدِينَ مِنْها شَيْئًا، لا تَكُون الكِلابُ جَرَّتْ بَعْضَها، قالَ: فنَظَرَتْ، فقالَتْ: لا واللهِ ما أفْقِدُ شَيْئًا، قالَ: فناوِلِينِي قَوْسِي وسَهْمَيْنِ، فناوَلَتْهُ، قالَ: فأرْسل سَهْمًا، فواللهِ ما أخْطَأَ جَنْبِي، فأنْزِعُهُ فأضَعُهُ، وثَبَتُّ مَكانِي، قالَ: ثُمَّ أرْسَلَ الآخَرَ، فوَضَعَهُ في مَنْكِبِي، فأنْزِعُهُ فأضَعُهُ، وثَبَتُّ مَكانِي، فقالَ لِامْرَأتِهِ: لَوْ كانَ رَبِيئةً لِقَوْمٍ لَقَدْ تَحَرَّكَ، لَقَدْ خالَطَهُ سَهْمايَ لا أبا لَكِ، إذا أصْبَحْتِ فابْتَغِيهِما فخُذِيهِما، لا يَمْضَغهُما عَلَيَّ الكِلابُ. قالَ: ثمَّ دخل.

[نجاء المُسْلِمِينَ بِالنَّعَمِ]

قالَ: وأمْهَلْناهُمْ، حَتّى إذا اطْمَأنُّوا وناموا، وكانَ في وجْهِ السَّحَرِ، شَنَنّا عَلَيْهِمُ الغارةَ، قالَ: فقَتَلْنا، واسْتَقْنا النَّعَمَ، وخَرَجَ صَرِيخُ القَوْمِ، فجاءَنا دَهْمٌ لا قِبَلَ لَنا بِهِ، ومَضَيْنا بِالنَّعَمِ، ومَرَرْنا بِابنِ البَرْصاءِ وصاحِبِهِ، فاحتملناهما مَعَنا، قالَ: وأدْرَكْنا القَوْم حَتّى قَربوا مِنّا، قالَ: فما بَيْنَنا وبَيْنَهُمْ إلّا وادِي

قُدَيْدٍ، فأرْسَلَ اللهُ الوادِيَ بِالسَّيْلِ مِنْ حَيْثُ شاءَ تَبارَكَ وتَعالى، مِنْ غَيْرِ سَحابةٍ نَراها، ولا مَطَرٍ، فجاءَ بِشَيْءٍ لَيْسَ لِأحَدٍ بِهِ قُوَّةٌ، ولا يَقْدِرُ على أنْ يُجاوِزَهُ، فوَقَفُوا يَنْظُرُونَ إلَيْنا، وإنّا لَنَسُوقُ نَعَمَهُمْ، ما يَسْتَطِيعُ مِنْهُمْ رَجُلٌ أنْ يُجِيزَ إلَيْنا، ونَحْنُ نَحْدُوها سِراعًا، حَتّى فُتْناهُمْ، فلَمْ يَقْدِرُوا على طَلَبِنا.

[شِعارُ المُسْلِمِينَ في هَذِهِ الغَزْوةِ]

قالَ: فقَدِمْنا بِها على رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أسْلَمَ، عَنْ رَجُلٍ مِنْهُمْ: أنَّ شِعارَ أصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كانَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ: أمِتْ أمِتْ. فقالَ راجِزٌ مِن المُسْلِمِينَ وهُوَ يَحْدُوها.

أبى أبو القاسِمِ أن تعزِبِي ... في خَضِلٍ نَباتُهُ مُغْلَوْلِبِ
صُفْرٍ أعاليه كلون المَذْهَبِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُرْوى: «كَلَوْنِ الذَّهَبِ».

تَمَّ خَبَرُ الغَزاةِ، وعُدْتُ إلى ذِكْرِ تَفْصِيلِ السَّرايا والبُعُوثِ.

[تَعْرِيفٌ بِعِدّةِ غَزَواتٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وغَزْوةُ عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَنِي عَبْدِ اللهِ ابنِ سَعْدٍ مِنْ أهْلِ فدَكَ، وغَزْوةُ أبي العَوْجاءِ السُّلَمِيِّ أرْضَ بَنِي سُلَيْمٍ، أُصِيبَ بِها هُوَ وأصْحابُهُ جَمِيعًا، وغَزْوةُ عُكّاشَةَ بنِ مِحْصَنٍ الغَمْرةَ، وغَزْوةُ أبي سَلَمةَ ابنِ عَبْدِ الأسَدِ قَطَنًا، ماءٌ مِنْ مِياهِ بَنِي أسَدٍ، مِنْ ناحِيةِ نَجْدٍ، قُتِلَ بِها مَسْعُودُ ابنُ عُرْوةَ، وغَزْوةُ مُحَمَّدِ بنِ مَسْلَمةَ أخِي بَنِي حارِثةَ القُرَطاءَ مِنْ هَوازِنَ،

وغَزْوةُ بَشِيرِ بنِ سَعْدٍ بَنِي مُرّةَ بِفَدَكَ، وغَزْوةُ بَشِيرِ بنِ سَعْدٍ ناحِيةَ خَيْبَرَ، وغَزْوةُ زَيْدِ بنِ حارِثةَ الجَمُومَ مِنْ أرْضِ بَنِي سُلَيْمٍ، وغَزْوةُ زَيْدِ بنِ حارِثةَ جُذامَ، مِنْ أرْضِ خُشَيْنٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ عَنْ نَفْسِهِ، والشّافِعِيُّ عَنْ عَمْرِو بنِ حَبِيبٍ عَن ابنِ إسْحاقَ مِنْ أرْضِ حِسْمى.

غَزْوةُ زَيْدِ بنِ حارِثةَ إلى جُذامَ

[سَبَبُها]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ مِنْ حَدِيثِها كَما حَدَّثَنِي مَنْ لا أتَّهِمُ، عَنْ رِجالٍ مِنْ جُذامَ كانُوا عُلَماءَ بِها، أنَّ رِفاعةَ بنَ زَيْدٍ الجُذامِيَّ لمّا قَدِمَ على قَوْمِهِ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِكِتابِهِ يَدْعُوهُمْ إلى الإسْلامِ، فاسْتَجابُوا لَهُ، لَمْ يَلْبَثْ أنْ قَدِمَ دِحْيةُ بنُ خَلِيفةَ الكَلْبِيُّ مِنْ عِنْدِ قَيْصَرَ صاحِبِ الرُّومِ، حِينَ بَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلَيْهِ ومَعَهُ تِجارةٌ لَهُ، حَتّى إذا كانُوا بِوادٍ مِنْ أوْدِيَتِهِمْ يُقالُ لَهُ: شَنارٌ، أغارَ على دِحْيةَ بنِ خَلِيفةَ الهُنَيْدُ بنُ عُوصٍ، وابنُهُ عُوصُ بنُ الهُنَيْدِ الضُّلَعِيّانِ، والضُّلَيْعُ: بَطْنٌ مِنْ جُذامَ، فأصابا كُلَّ شَيْءٍ كانَ مَعَهُ، فبَلَغَ ذلك قَوْمًا مِن الضُّبَيْبِ، رَهْطُ رِفاعةَ بنِ زَيْدٍ، مِمَّنْ كانَ أسْلَمَ وأجابَ، فنَفَرُوا إلى الهُنَيْدِ وابنِهِ، فيهِمْ مِنْ بَنِي الضُّبَيْبِ النُّعْمانُ بنُ أبِي جِعالٍ، حَتّى لَقُوهُمْ، فاقْتَتَلُوا، وانْتَمى يَوْمَئِذٍ قُرّةُ بنُ أشْقَرَ الضَّفاوِيُّ ثُمَّ الضُّلَعِيُّ، فقالَ: أنا ابنُ لُبنى، ورَمى النُّعْمانَ بنَ أبِي جِعالٍ بسَهْمٍ، فأصابَ رُكْبَتَهُ، فقالَ حِينَ أصابَهُ: خُذْها وأنا ابنُ لُبنى، وكانَتْ لَهُ أُمٌّ تُدْعى: لُبنى، وقَدْ كانَ حَسّانُ بنُ مِلّةَ الضُّبَيْبِيُّ

قَدْ صَحِبَ دِحْيةَ بنَ خَلِيفةَ قَبْلَ ذلك، فعَلَّمَهُ أُمَّ الكِتابِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: قُرّةُ بنُ أَشْقَرَ الضَّفارِيُّ، وحَيّانُ بنُ مِلّةَ.

[تَمَكُّنُ المُسْلِمِينَ مِنَ الكُفّارِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنِي مَنْ لا أَتَّهِمُ، عَنْ رِجالٍ مِنْ جُذامَ، قالَ: فاسْتَنْقَذُوا ما كانَ في يَدِ الهُنَيْدِ وابنِهِ، فرَدُّوهُ على دِحْيةَ، فخَرَجَ دِحْيةُ حَتّى قَدِمَ على رَسُولِ اللهِ ﷺ، فأَخْبَرَهُ خَبَرَهُ، واسْتَسْقاهُ دَمَ الهُنَيْدِ وابنِهِ، فبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلَيْهِمْ زَيْدَ بنَ حارِثةَ، وذلك الَّذي هاجَ غَزْوةَ زَيْدٍ جُذامَ، وبَعَثَ مَعَهُ جَيْشًا، وقَدْ وجَّهَتْ غَطَفانُ مِنْ جُذامَ ووائِلٌ ومَنْ كانَ مِنْ سَلامانَ وسَعْد بن هُذَيْمٍ، حِينَ جاءَهُمْ رِفاعةُ بنُ زَيْدٍ بِكِتابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتّى نَزَلُوا الحَرّةَ، حَرّةَ الرَّجْلاءِ، ورِفاعةُ بنُ زَيْدٍ بِكُراعِ رَبّةَ، لَمْ يَعْلَمْ، ومَعَهُ ناسٌ مِنْ بَنِي الضُّبَيْبِ، وسائِرُ بَنِي الضُّبَيْبِ بِوادِي مَدانٍ، مِنْ ناحِيةِ الحَرّةِ، مِمّا يَسِيلُ مُشَرِّقًا، وأَقْبَلَ جَيْشُ زَيْدِ بنِ حارِثةَ مِنْ ناحِيةِ الأَوْلاجِ، فأَغارَ بِالماقِصِ مِنْ قِبَلِ الحَرّةِ، فجَمَعُوا ما وجَدُوا مِنْ مالٍ أَوْ ناسٍ، وقَتَلُوا الهُنَيْدَ وابنَهُ ورَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي الأَجْنَفِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: مِنْ بَنِي الأَحْنَفِ.

[شَأْنُ حَسّانَ وأُنَيْفٍ ابنِي مِلّةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ في حَدِيثِهِ: ورَجُلًا مِنْ بَنِي الخَصِيبِ. فلَمّا سَمِعَتْ بِذلك بَنُو الضُّبَيْبِ والجَيْشُ بِفيفاءِ مَدانٍ، رَكِبَ نَفَرٌ مِنْهُمْ، وكانَ فِيمَنْ رَكِبَ مَعَهُمْ حَسّانُ بنُ مِلّةَ، على فرَسٍ لِسُوَيْدِ بنِ زَيْدٍ، يُقالُ لَها: العَجاجةُ، وأُنَيْفُ

ابنُ مِلّةَ على فرَسٍ لِمَلّةَ يُقالُ لَهَا: رِغالٌ، وأبو زَيْدِ بنُ عَمْرٍو على فرسٍ يُقال لَهُ لَهَا: شمرٌ، فانْطَلَقُوا حتّى إذا دَنَوْا مِنَ الجَيْشِ، قالَ أبو زَيْدٍ وحَسّانُ لِأُنَيْفِ بنِ مِلّةَ: كُفَّ عَنّا وانْصَرِفْ، فإنّا نَخْشى لِسانَكَ، فوَقَفَ عَنْهُما، فلَمْ يَبْعُدا مِنْهُ حَتّى جَعَلَتْ فرَسُهُ تَبْحَثُ بِيَدَيْها وتَوَثَّبُ، فقالَ: لَأنا أضَنُّ بِالرَّجُلَيْنِ مِنْكَ بِالفَرَسَيْنِ، فأرْخى لَهَا، حَتّى أدْرَكَهُما، فقالا لَهُ: أمّا إذا فعَلْتَ ما فعَلْتَ فكُفَّ عَنّا لِسانَكَ، ولا تَشْأَمْنا اليَوْمَ، فتواصَوْا ألا يَتَكَلَّمَ مِنْهُمْ إلّا حَسّانُ ابنُ مِلّةَ، وكانَتْ بَيْنَهُمْ كَلِمةٌ في الجاهِلِيّةِ قَدْ عَرَفَها بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، إذا أرادَ أحَدُهُمْ أنْ يَضْرِبَ بِسَيْفِهِ قالَ: بُوري أوْ ثُوري، فلَمّا بَرَزُوا على الجَيْشِ، أقْبَلَ القَوْمُ يَبْتَدِرُونَهُمْ، فقالَ لَهُمْ حَسّانُ: إنّا قَوْمٌ مُسْلِمُونَ، وكانَ أوَّلَ مَنْ لَقِيَهُمْ رَجُلٌ على فرَسٍ أدْهَمَ، فأقْبَلَ يَسُوقُهُمْ، فقالَ أُنَيْفٌ: بُوري، فقالَ حَسّانُ: مَهْلًا، فلَمّا وقَفُوا على زَيْدِ بنِ حارِثَةَ قالَ حَسّانُ: إنّا قَوْمٌ مُسْلِمُونَ، فقالَ لَهُ زَيْدٌ: فاقْرَؤُوا أُمَّ الكِتابِ، فقَرَأَها حَسّانُ، فقالَ زَيْدُ بنُ حارِثَةَ: نادُوا في الجَيْشِ أنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَيْنا ثُغْرةَ القَوْمِ الَّتِي جاؤُوا مِنْها إلّا مَنْ خَتَرَ.

[قُدُومُهُمْ على الرَّسُولِ، وشِعْرُ أبِي جِعالٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وإذا أُخْتُ حَسّانَ بنِ مِلّةَ ـ وهِيَ امْرَأةُ أبِي وَبرِ بنِ عَدِيِّ بن أُمَيّةَ بنِ الضُّبَيْبِ ـ في الأُسارى، فقالَ لَهُ زَيْدٌ: خُذْها، وأخَذَتْ بِحَقْوَيْهِ، فقالَتْ أُمُّ الفَزْرِ الضُّلَعِيّةُ: أتَنْطَلِقُونَ بِبَناتِكُمْ وتَذَرُونَ أُمَّهاتِكُمْ؟ فقالَ أحَدُ بَنِي الخَصِيبِ: إنَّها بَنُو الضُّبَيْبِ وسِحْرُ ألْسِنَتِهِمْ سائِرَ اليَوْمِ. فسَمِعَها بَعْضُ الجَيْشِ، فأخْبَرَ بِها زَيْدَ بنَ حارِثَةَ، فأمَرَ بِأُخْتِ حَسّانَ ففُكَّتْ يَداها مِنْ حَقْوَيْهِ، وقالَ لَهَا: اجْلِسِي مَعَ بَناتِ عَمِّكِ حَتّى يَحْكُمَ اللهُ فيكُنَّ

حُكْمَهُ. فرَجَعُوا، ونَهى الجَيْشَ أنْ يَهْبِطُوا إلى وادِيهِم الَّذي جاؤُوا مِنْهُ، فأمْسَوْا في أهْلِيهِمْ، واسْتَعْتَمُوا ذَوْدًا لِسُوَيْدِ بنِ زَيْدٍ، فلَمّا شَرِبُوا عَتَمَتَهُمْ، رَكِبُوا إلى رِفاعةَ بنِ زَيْدٍ، وكانَ مِمَّنْ رَكِبَ إلى رِفاعةَ بنِ زَيْدٍ تِلْكَ اللَّيْلَةَ أبو زَيْدِ بنُ عَمْرٍو، وأبو شَمّاسِ بنُ عَمْرٍو، وسُوَيْدُ بنُ زَيْدٍ، وبَعْجةُ بنُ زَيْدٍ، وبَرْذَعُ بنُ زَيْدٍ، وثَعْلَبةُ بنُ زَيْدٍ، ومَخْرَبةُ بنُ عَدِيٍّ، وأُنَيْفُ بنُ مِلّةَ، وحَسّانُ ابن مِلّةَ، حَتّى صَبَّحُوا رِفاعةَ بنَ زَيْدٍ بِكُراعِ رَبّةَ بِظَهْرِ الحَرّةِ، على بِئْرٍ هُنالِكَ مِنْ حَرّةِ لَيْلى، فقالَ لَهُ حَسّانُ بنُ مِلّةَ: إنَّكَ لَجالِسٌ تَحْلُبُ المِعْزى ونِساءُ جُذامَ أُسارى قَدْ غَرَّها كِتابُكَ الَّذي جِئْتَ بِهِ. فدَعا رِفاعةُ بنُ زَيْدٍ بِجَمَلٍ لَهُ، فجَعَلَ يَشُدُّ عَلَيْهِ رَحْلَهُ وهُوَ يَقُولُ:

هَلْ أنْتَ حَيٌّ أوْ تُنادِي حَيّا

ثُمَّ غَدا وهُمْ مَعَهُ بِأُمَيّةَ بنِ ضَفارةَ أخِي الخَصِيبِيِّ المَقْتُولِ، مُبَكِّرِينَ مِنْ ظَهْرِ الحَرّةِ، فسارُوا إلى جَوْفِ المَدِينةِ ثَلاثَ لَيالٍ، فلَمّا دَخَلُوا المَدِينةَ، وانْتَهَوْا إلى المَسْجِدِ، نَظَرَ إلَيْهِمْ رَجُلٌ مِن النّاسِ، فقالَ: لا تُنِيخُوا إبِلَكُمْ فتُقَطَّعَ أيْدِيهِنَّ. فنَزَلُوا عَنْهُنَّ وهُنَّ قِيامٌ، فلَمّا دَخَلُوا على رَسُولِ الله ﷺ ورَآهُمْ ألاحَ إلَيْهِمْ بِيَدِهِ: أنْ تَعالَوْا مِنْ وراءِ النّاسِ، فلَمّا اسْتَفْتَحَ رِفاعةُ بنُ زَيْدٍ المَنْطِقَ، قامَ رَجُلٌ مِن النّاسِ فقالَ: يا رَسُولَ الله، إنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ سَحَرةٌ، فرَدَّدَها مَرَّتَيْنِ، فقالَ رِفاعةُ بنُ زَيْدٍ: رَحِمَ الله مَنْ لَمْ يَحْذُنا في يَوْمِهِ هذا إلّا خَيْرًا. ثُمَّ دَفَعَ رِفاعةُ بن زَيْدٍ كِتابَهُ إلى رَسُولِ الله ﷺ الَّذي كانَ كَتَبَهُ لَهُ، فقالَ: دُونَكَ يا رَسُولَ الله قَدِيمًا كِتابُهُ، حَدِيثًا غَدْرُهُ. فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اقْرَأْهُ يا غُلامُ وأعْلِنْ»، فلَمّا قَرَأَ كِتابَهُ اسْتَخْبَرَهُ، فأخْبَرُوهُمُ الخَبَرَ، فقالَ

رَسُولُ الله ﷺ: «كَيْفَ أَصْنَعُ بِالقَتْلى؟» ثَلاثَ مَرّاتٍ. فقالَ رِفاعةُ: أَنْتَ يا رَسُولَ الله أَعْلَمُ، لا نُحَرِّمُ عَلَيْكَ حَلالًا، ولا نُحَلِّلُ لَكَ حَرامًا، فقالَ أبو زَيْدِ ابنُ عَمْرٍو: أَطْلِقْ لَنا يا رَسُولَ الله مَنْ كانَ حَيًّا، ومَنْ قُتِلَ فهُوَ تَحْتَ قَدَمِي هَذِهِ.

فَقالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «صَدَقَ أبو زَيْدٍ، ارْكَبْ مَعَهُمْ يا عَلِيُّ». فقالَ لَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ الله عَنْهُ: إنَّ زَيْدًا لَنْ يُطِيعَنِي يا رَسُولَ الله. قالَ: «فخُذْ سَيْفِي هذا»، فأَعْطاهُ سَيْفَهُ، فقالَ عَلِيٌّ: لَيْسَ لِي يا رَسُولَ الله راحِلةٌ أَرْكَبُها. فحَمَلُوهُ على بَعِيرٍ لِثَعْلَبَةَ بنِ عَمْرٍو يُقالُ لَهُ: مِكْحالٌ، فخَرَجُوا، فإذا رَسُولٌ لِزَيْدِ بنِ حارِثَةَ على ناقةٍ مِنْ إبِلِ أبي وَبرٍ يُقالُ لَها: الشمرُ، فأَنْزَلُوهُ عَنْها، فقالَ: يا عَلِيُّ، ما شَأْنِي؟ فَقالَ: ما لَهُمْ، عَرَفُوهُ فأَخَذُوهُ، ثُمَّ سارُوا فلَقُوا الجَيْشَ بِفَيفاءِ الفَحْلَتَيْنِ، فأَخَذُوا ما في أَيْدِيهِمْ، حَتّى كانُوا يَنْزِعُونَ لَبِيدَ المَرْأةِ مِنْ تَحْتِ الرَّحْلِ، فقالَ أبو جِعالٍ حِينَ فرَغُوا مِنْ شَأْنِهِمْ:

وعاذِلةٍ ولَمْ تَعْذُلْ بِطِبٍّ ... ولَوْلا نَحْنُ حُشَّ بها السَّعِيرُ
تُدافِعُ في الأُسارى بِابنَتَيْها ... ولا يُرْجى لَها عِتْقٌ يَسِيرُ
وَلَوْ وُكِلَتْ إلى عُوصٍ وأَوْسٍ ... لَحارَ بِها عَنِ العِتْقِ الأُمُورُ
وَلَوْ شَهِدَتْ رَكائِبَنا بِمِصْرٍ ... تُحاذِرُ أَنْ يُعَلَّ بِها المَسِيرُ
وَرَدْنا ماءَ يَثْرِبَ عَنْ حِفاظٍ ... لِرَبْعٍ إنَّهُ قَرَبٌ ضَرِيرُ
بِكُلِّ مُجَرَّبٍ كالسِّيدِ نَهْدٍ ... على أَقْتادِ ناجِيةٍ صَبُورُ
فِدًى لِأَبي سُلَيْمى كُلُّ جَيْشٍ ... بِيَثْرِبَ إذْ تَناطَحَتِ النُّحُورُ
غَداةَ تَرى المُجَرَّبَ مُسْتَكِينًا ... خِلافَ القَوْمِ هامَتُهُ تَدُورُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: قَوْلُهُ: «وَلا يُرْجى لَها عِتْقٌ يَسِيرُ»، وقَوْلُهُ: «عَنِ العِتْقِ الأُمُورُ» عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

تَمَّتِ الغَزاةُ، وعُدْنا إلى تَفْصِيلِ ذِكْرِ السَّرايا والبُعُوثِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وغَزْوةُ زَيْدِ بنِ حارِثَةَ أيْضًا الطَّرَفَ مِنْ ناحِيَةِ نَخْلٍ، مِنْ طَرِيقِ العِراقِ.

غَزْوةُ زَيْدِ بنِ حارِثَةَ بَنِي فَزارةَ ومُصابُ أُمِّ قِرْفَةَ

[بَعْضُ مَنْ أُصِيبَ بِها]

وَغَزْوةُ زَيْدِ بنِ حارِثَةَ أيْضًا وادِيَ القُرى، لَقِيَ بِهِ بَنِي فَزارةَ، فأُصِيبَ بِها ناسٌ مِنْ أصْحابِهِ، وارْتُثَّ زَيْدٌ مِنْ بَيْنَ القَتْلى، وفيها أُصِيبَ ورْدُ بنُ عَمْرِو بنِ مداشٍ، وكانَ أحَدَ بَنِي سَعْدِ بنِ هُذَيْلٍ، أصابَهُ أحَدُ بَنِي بَدْرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: سَعْدُ بنُ هُذَيْمٍ.

[مُعاوَدةُ زَيْدٍ لَهُمْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا قَدِمَ زَيْدُ بنُ حارِثَةَ آلى ألّا يَمَسَّ رَأْسَهُ غُسْلٌ مِنْ جَنابةٍ حَتّى يَغْزُوَ بَنِي فزارةَ، فلَمّا اسْتَبَلَّ مِنْ جِراحَتِهِ بَعَثَهُ رَسُولُ الله ﷺ إلى بَنِي فَزارةَ في جَيْشٍ، فقَتَلَهُمْ بوادِي القُرى، وأصابَ فيهِمْ، وقَتَلَ قَيْسُ ابنُ المُسَحَّرِ اليَعْمُرِيُّ مَسْعَدةَ بنَ حَكَمةَ بنِ مالِكِ بنِ حُذَيْفةَ بنِ بَدْرٍ، وأُسِرَتْ أُمُّ قِرْفَةَ فاطِمةُ بِنْتُ رَبِيعةَ بنِ بَدْرٍ، كانَتْ عَجُوزًا كَبِيرةً عِنْدَ مالِكِ ابنِ حُذَيْفةَ بن بَدْرٍ، وبِنْتٌ لَها، وعَبْدُ الله بنُ مَسْعَدةَ، فأمَرَ زَيْدُ بنُ حارِثةَ

قَيْسَ بنَ المُسَحَّرِ أنْ يَقْتُلَ أُمَّ قِرْفةَ، فقَتَلَها قَتْلًا عَنِيفًا، ثُمَّ قَدِمُوا على رَسُولِ الله ﷺ بابنةِ أُمِّ قِرْفةَ، وبِابنِ مَسْعَدةَ.

[شَأْنُ أُمِّ قِرْفةَ]

وكانَتْ بِنْتُ أُمِّ قِرْفةَ لِسَلَمةَ بنِ عَمْرِو بنِ الأَكْوَعِ، كانَ هُوَ الَّذي أصابَها، وكانَتْ في بَيْتِ شَرَفٍ مِنْ قَوْمِها، كانَت العَرَبُ تَقُولُ: لَوْ كُنْتَ أعَزَّ مِنْ أُمِّ قِرْفةَ ما زِدْتَ. فسَألَها رَسُولَ الله ﷺ سَلَمةُ، فوَهَبَها لَهُ، فأهْداها لِخالِهِ حَزْنِ ابنِ أبي وهْبٍ، فوَلَدَتْ لَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بنَ حَزْنٍ.

[شِعْرُ ابنِ المُسَحَّرِ في قَتْلِ مَسْعَدةَ]

فَقالَ قَيْسُ بنُ المُسَحَّرِ في قَتْلِ مَسْعَدةَ:

سَعَيْتُ بِوَرْدٍ مِثْلَ سَعْيِ ابنِ أُمِّهِ ... وإنِّي بِوَرْدٍ في الحَياةِ لَثائِر
كَرَرْتُ عَلَيْهِ المُهْرَ لَمّا رَأَيْتُهُ ... على بَطَلٍ مِنْ آلِ بَدْرٍ مُغاوِر
فَرَكَّبْتُ فيهِ قَعْضَبِيًّا كَأنَّهُ ... شِهابٌ بِمَعْراة يُذَكّى لِناظِر

غَزْوةُ عَبْدِ الله بنِ رَواحةَ لِقَتْلِ اليُسَيرِ بنِ رِزامٍ

وَغَزْوةُ عَبْدِ الله بنِ رَواحةَ خَيْبَرَ مَرَّتَيْنِ: إحْداهُما الَّتي أصابَ فيها اليُسَيرَ بنَ رِزامٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: ابنُ رازِمٍ.

[مَقْتَلُ اليُسَيرِ]

وَكانَ مِنْ حَدِيثِ اليُسَيرِ بنِ رِزامٍ أنَّهُ كانَ بِخَيْبَرِ يَجْمَعُ غَطَفانَ لِغَزْوِ

رَسُولِ الله ﷺ، فبَعَثَ إلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ عَبْدَ الله بنَ رَواحةَ في نَفرٍ مِنْ أصْحابِهِ، مِنْهُمْ عَبْدُ الله بنُ أُنَيْسٍ، حَلِيفُ بَنِي سَلِمةَ، فلَمّا قَدِمُوا عَلَيْهِ كَلَّمُوهُ، وقَرَّبُوا لَهُ، وقالُوا لَهُ: إنَّكَ إنْ قَدِمْتَ على رَسُولِ الله ﷺ اسْتَعْمَلَكَ وأكْرَمَكَ، فلَمْ يَزالُوا بِهِ حتّى خَرَجَ مَعَهُمْ في نَفَرٍ مِنْ يَهُودَ، فحَمَلَهُ عَبْدُ الله ابنُ أُنَيْسٍ على بَعِيرِهِ، حَتّى إذا كانَ بِالقَرْقَرةِ مِنْ خَيْبَرَ، على سِتّةِ أمْيالٍ، نَدِمَ اليُسَيرُ بنُ رِزامٍ على مَسِيرِهِ إلى رَسُولِ الله ﷺ، ففَطِنَ لَهُ عَبْدُ الله بنُ أُنَيْسٍ، وهُوَ يُرِيدُ السَّيْفَ، فاقْتَحَمَ بِهِ، ثُمَّ ضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ، فقَطَعَ رِجْلَهُ، وضَرَبَهُ اليُسَيرُ بِمِخْرَشٍ في يَدِهِ مِنْ شَوْحَطٍ فأمَّهُ، ومالَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْ أصْحابِ رَسُولِ الله ﷺ على صاحِبِهِ مِنْ يَهُودَ فقَتَلَهُ، إلّا رَجُلًا واحِدًا أفْلَتَ على رِجْلَيْهِ، فلَمّا قَدِمَ عَبْدُ الله بنُ أُنَيْسٍ على رَسُولِ الله ﷺ تَفَلَ على شَجَّتِهِ، فلَمْ تَقِحْ ولَمْ تُؤْذِهِ.

[غَزْوةُ ابنِ عَتِيكٍ خَيْبَرَ]

وَغَزْوةُ عَبْدِ الله بنِ عَتِيكٍ خَيْبَرَ، فأصابَ بِها أبا رافِعِ بنَ أبي الحُقَيْقِ.

غَزْوةُ عَبْدِ الله بنِ أُنَيْسٍ
لِقَتْلِ خالِدِ بنِ سُفيانَ بنِ نُبَيْحٍ الهُذَلِيِّ

[مَقْتَلُ ابنُ نُبَيْحٍ]

وَغَزْوةُ عَبْدِ الله بنِ أُنَيْسٍ خالِدَ بنَ سُفيانَ بنِ نُبَيْحٍ، بَعَثَهُ رَسُولُ الله ﷺ إلَيْهِ وهُوَ بِنَخْلةَ أوْ بِعُرَنةَ، يَجْمَعُ لِرَسُولِ الله ﷺ النّاسَ لِيَغْزُوَهُ، فقَتَلَهُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ الزُّبَيْرِ، قالَ: قالَ عَبْدُ الله

ابنُ أُنَيْسٍ: دَعاني رَسُولُ الله ﷺ، فقالَ: «إنَّهُ قَدْ بَلَغَني أنَّ ابنَ سُفيانَ بنِ نُبَيْحٍ الهُذَلِيَّ يَجْمَعُ لِي النّاسَ لِيَغْزُونِي، وهُوَ بِنَخْلةَ أوْ بِعُرَنةَ، فأْتِهِ فاقْتُلْهُ». قُلْتُ: يا رَسُولَ الله، انْعَتْهُ لِي حَتّى أعْرِفَهُ. قالَ: «إنَّكَ إذا رَأيْتَهُ أذْكَرَكَ الشَّيْطانَ، وآيةُ ما بَيْنَكَ وبَيْنَهُ أنَّكَ إذا رَأيْتَهُ وجَدْتَ لَهُ قُشَعْرِيرةً».

قالَ: فَخَرَجْتُ مُتَوَشِّحًا سَيْفي، حَتّى دَفَعْتُ إلَيْهِ وهُوَ في ظُعُنٍ يَرْتادُ لَهُنَّ مَنْزِلًا، وحَيْثُ كانَ وقْتُ العَصْرِ، فلَمّا رَأيْتُهُ وجَدْتُ ما قالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ مِن القُشَعْرِيرةِ، فأقْبَلْتُ نَحْوَهُ، وخَشِيتُ أنْ تَكُونَ بَيْنِي وبَيْنَهُ مُجاوَلةٌ تَشْغَلُني عَن الصَّلاةِ، فصَلَّيْتُ وأنا أمْشِي نَحْوَهُ، أُومِئُ بِرَأْسِي، فلَمّا انْتَهَيْتُ إلَيْهِ قالَ: مَنِ الرَّجُلُ؟ قُلْتُ: رَجُلٌ مِن العَرَبِ سَمِعَ بِكَ وبِجَمْعِكَ لِهذا الرَّجُلِ، فجاءَكَ لِذلك. قالَ: أجَلْ، إنِّي لَفي ذلك. قالَ: فمَشَيْتُ مَعَهُ شَيْئًا، حَتّى إذا أمْكَنَني حَمَلْتُ عَلَيْهِ بِالسَّيْفِ فقَتَلْتُهُ، ثُمَّ خَرَجْتُ وتَرَكْتُ ظَعائِنَهُ مُنْكَبّاتٍ عَلَيْهِ، فلَمّا قَدِمْتُ على رَسُولِ الله ﷺ فرَآنِي، قالَ: «أفْلَحَ الوَجْهُ»، قُلْتُ: قَدْ قَتَلْتُهُ يا رَسُولَ الله. قالَ: «صَدَقْتَ».

[إهْداءُ الرَّسُولِ عَصًا لابنِ أُنَيْسٍ]

ثُمَّ قامَ بِي فأدْخَلَني بَيْتَهُ، فأعْطانِي عَصًا، فقالَ: «أمْسِكْ هَذِهِ العَصا عِنْدَكَ يا عَبْدَ الله بنَ أُنَيْسٍ». قالَ: فخَرَجْتُ بِها على النّاسِ، فقالُوا: ما هَذِهِ العَصا؟ قُلْتُ: أعْطانِيها رَسُولُ الله ﷺ، وأمَرَنِي أنْ أُمْسِكَها عِنْدِي. قالُوا: أفَلا تَرْجِعُ إلى رَسُولِ الله ﷺ فتَسْألَهُ: لِمَ ذلك؟ قالَ: فرَجَعْتُ إلى رَسُولِ الله ﷺ، فقُلْتُ: يا رَسُولَ الله، لِمَ أعْطَيْتَنِي هَذِهِ العَصا؟ قالَ: «آيةٌ بَيْنِي وبَيْنَكَ يَوْمَ القِيامةِ، إنَّ أقَلَّ النّاسِ المُتَخَصِّرُونَ يَوْمَئِذٍ»، قالَ: فَقَرَنَها

عَبْدُ الله بنُ أُنَيْسٍ بِسَيْفِهِ، فلَمْ تَزَلْ مَعَهُ حَتّى ماتَ، ثُمَّ أَمَرَ بِها فضُمَّتْ في كَفَنِهِ، ثُمَّ دُفِنا جَمِيعًا.

[شِعْرُ ابنِ أُنَيْسٍ في قَتْلِهِ ابنَ نُبَيْحٍ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وقالَ عَبْدُ الله بنُ أُنَيْسٍ في ذلك:

تَرَكْتُ ابنَ ثَوْرٍ كالحُوارِ وحَوْلَهُ ... نَوائِحُ تَفْـرِي كُلَّ جَيْبٍ مُقَدَّدِ
تَناوَلْتُهُ والظُّعْنُ خَلْفي وخَلْفَهُ ... بِأَبْيَضَ مِنْ ماءِ الحَدِيدِ مُهَنَّدِ
عَجُومٍ لِهـامِ الدّارِعِينَ كَأَنَّهُ ... شِهابُ غَضًى مِنْ مُلْهَبٍ مُتَوَقِّدِ
أَقُولُ لَهُ والسَّيْفُ يَعْجُمُ رَأْسَهُ ... أنا ابنُ أُنَيْسٍ فارِسًا غَيْرَ قُعْدُدِ
أنا ابنُ الَّذي لَمْ يُنْزِلِ الدَّهرُ قِدْرَهُ ... رَحِيبُ فِنـاءِ الدّارِ غَيْرُ مُزَنَّدِ
وَقُلْتُ لَهُ خُذْها بِضَرْبَةِ ماجِدٍ ... حَنِيفٍ على دِيـنِ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
وَكُنْتُ إذا هَـمَّ النَّبِيُّ بِكافِرٍ ... سَـبَقْتُ إِلَيْهِ بِاللِّسانِ وبِاليَدِ

تَمَّت الغَزاةُ، وعُدْنا إلى خَبَرِ البُعُوثِ.

[غَزَواتٌ أُخَرُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وغَزْوةُ زَيْدِ بنِ حارِثَةَ وجَعْفَرِ بنِ أَبي طالِبٍ وعَبْدِ الله ابنِ رَواحةَ مُؤْتَةَ مِنْ أَرْضِ الشّامِ، فأُصِيبُوا بِها جَمِيعًا، وغَزْوةُ كَعْبِ بنِ عُمَيْرٍ الغِفارِيِّ ذاتَ أَطْلاحٍ مِنْ أَرْضِ الشّامِ، أُصِيبَ بِها هُوَ وأَصْحابُهُ جَمِيعًا. وغَزْوةُ عُيَيْنَةَ بنِ حِصْنِ بنِ حُذَيْفَةَ بنِ بَدْرٍ بَنِي العَنْبَرِ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ.

غَزْوةُ عُيَيْنةَ بنِ حِصْنٍ بَنِي العَنْبَرِ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ

[وَعْدُ الرَّسُولِ عائِشةَ بِإعْطائِها سَبْيًا مِنهُم لِتُعْتِقَهُ]

وكانَ مِنْ حَدِيثِهِمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَهُ إِلَيْهِمْ، فأغارَ عَلَيْهِمْ، فأصابَ مِنْهُمْ أناسًا، وسَبى مِنْهُمْ أُناسًا.

فَحَدَّثَنِي عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ: أَنَّ عائِشةَ قالَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يا رَسُولَ اللهِ، إنَّ عَلَيَّ رَقَبةً مِنْ ولَدِ إسْماعِيلَ. قالَ: «هذا سَبْيُ بَنِي العَنْبَرِ يَقْدَمُ الآنَ، فنُعْطِيكِ مِنْهُمْ إنْسانًا فتُعْتِقِينَهُ».

[بَعْضُ مَنْ سُبِيَ، وبَعْضُ مَنْ قُتِلَ، وشِعْرُ سَلْمى في ذلك]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا قُدِمَ بِسَبْيِهِمْ على رَسُولِ اللهِ ﷺ، رَكِبَ فيهِمْ وفْدٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، حَتّى قَدِمُوا على رَسُولِ اللهِ ﷺ، مِنْهُمْ رَبِيعةُ بن رُفيعٍ، وسَبْرةُ ابنُ عَمْرٍو، والقَعْقاعُ بنُ مَعْبَدٍ، ووَرْدانُ بنُ مُحْرِزٍ، وقَيْسُ بنُ عاصِمٍ، ومالِكُ ابنُ عَمْرٍو، والأقْرَعُ بنُ حابِسٍ، وفِراسُ بنُ حابِسٍ، فكَلَّمُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فيهِمْ، فأعْتَقَ بَعْضًا، وأفْدى بَعْضًا، وكانَ مِمَّنْ قُتِلَ يَوْمئِذٍ مِنْ بَنِي العَنْبَرِ: عَبْدُ اللهِ وأخَوانِ لَهُ، بَنُو وهْبٍ، وشَدّادُ بنُ فِراسٍ، وحَنْظَلةُ بنُ دارِمٍ، وكانَ مِمَّنْ سُبِيَ مِنْ نِسائِهِمْ يَوْمئِذٍ: أَسَماءُ بِنْتُ مالِكٍ، وكأس بِنْتُ أرِيٍّ، ونَجْوةُ بِنْتُ نَهْدٍ، وجُمَيْعةُ بِنْتُ قَيْسٍ، وعَمْرةُ بِنْتُ مَطَرٍ. فقالَتْ في ذلك اليَوْمِ سَلْمى بِنْتُ عَتّابٍ:

لَعَمْرِي لَقَدْ لاقَتْ عَدِيُّ بنُ جُنْدَبٍ ... مِنَ الشَّرِّ مَهْواةً شَدِيدًا كَؤُودُها
تَكَنَّفَها الأعْداءُ مِنْ كُلِّ جانِبٍ ... وغُيِّبَ عَنْها عِزُّها وجُدُودُها

[شِعْرُ الفَرَزْدَقِ في ذلك]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وقالَ الفَرَزْدَقُ في ذلك:

وعِنْدَ رَسُولِ الله قامَ ابنُ حابِسٍ ... بِخُطّـةِ سَـوّارٍ إلى المَجْدِ حازِمِ
لَهُ أطْلَقَ الأسْرى الَّتِي في حِبالِهِ ... مُغَلَّلـةً أعْناقُها في الشَّـكائِمِ
كَفى أُمَّهاتِ الخالِفِـينَ عَلَيْهِمُ ... غِلاءَ المُفادِي أوْ سِهامَ المَقاسِمِ

وَهَذِهِ الأبْياتُ في قَصِيدةٍ لَهُ. وعَدِيُّ بنُ جُنْدَبٍ مِنْ بَنِي العَنْبَرِ، والعَنْبَرُ ابن عَمْرِو بنِ تَمِيمٍ.

غَزْوةُ غالِبِ بنِ عَبْدِ الله أرْضَ بَنِي مُرّةَ

[مَقْتَلُ مِرْداسٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وغَزْوةُ غالِبِ بنِ عَبْدِ الله الكَلْبِيِّ كَلْبِ لَيْثٍ أرْضَ بَنِي مُرّةَ، فأصابَ بِها مِرْداسَ بنَ نَهِيكٍ، حَلِيفًا لَهُمْ مِن الحُرقةِ، مِنْ جُهَيْنةَ، قَتَلَهُ أُسامةُ بنُ زَيْدٍ ورَجُلٌ مِن الأنْصارِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: الحُرقةُ، فيما حَدَّثَنِي أبو عُبَيْدةَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ مِنْ حَدِيثِهِ عَنْ أُسامةَ بنِ زَيْدٍ، قالَ: أدْرَكْتُهُ أنا ورَجُلٌ مِن الأنْصارِ، فلَمّا شَهَرْنا عَلَيْهِ السِّلاحَ، قالَ: أشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلّا الله. قالَ: فلَمْ نَنْزِعْ عَنْهُ حَتّى قَتَلْناهُ، فلَمّا قَدِمْنا على رَسُولِ الله ﷺ أخْبَرْناهُ خَبَرَهُ، فقالَ: «يا أُسامةُ، مَنْ لَكَ بِلا إلَهَ إلّا الله؟» قالَ: قُلْتُ: يا رَسُولَ الله، إنَّهُ إنَّما قالَها تَعَوُّذًا بِها مِن القَتْلِ. قالَ: «فمَنْ لَكَ بِها يا أُسامةُ؟» قالَ: فوالّذي

بَعَثَهُ بِالحَقِّ ما زالَ يُرَدِّدُها عَلَيَّ حَتّى لَوَدِدْتُ أَنَّ ما مَضى مِنْ إِسْلامِي لَمْ يَكُنْ، وأَنِّي كُنْتُ أَسْلَمْتُ يَوْمئِذٍ، وأَنِّي لَمْ أَقْتُلْهُ، قالَ: قُلْتُ: أَنْظِرْنِي يا رَسُولَ الله، إِنِّي أُعاهِدُ الله أَلا أَقْتُلَ رَجُلًا يَقُولُ: لا إِلَهَ إِلّا الله أَبَدًا، قالَ: «تَقُولُ بَعْدِي يا أُسامةُ»، قالَ: قُلْتُ بَعْدَكَ.

غَزْوةُ عَمْرِو بنِ العاصِ ذاتَ السَّلاسِلِ

[إِرْسالُ عَمْرٍو ثُمَّ إِمْدادُهُ]

وَغَزْوةُ عَمْرِو بنِ العاصِ ذاتَ السَّلاسِلِ مِنْ أَرْضِ بَنِي عُذْرةَ. وكانَ مِنْ حَدِيثِهِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَعَثَهُ يَسْتَنْفِرُ العَرَبَ إلى الشّامِ؛ وذلك أَنَّ أُمَّ العاصِ ابن وائِلٍ كانَت امْرَأَةً مِنْ بَلِيٍّ، فبَعَثَهُ رَسُولُ الله ﷺ إِلَيهِمْ يَسْتَأْلِفُهُمْ لِذلك، حَتّى إذا كانَ على ماءٍ بِأَرْضِ جُذامَ، يُقالُ لَهُ: السَّلْسَلُ، وبِذلك سُمِّيَتْ تِلْكَ الغَزْوةُ غَزْوةَ ذاتِ السَّلاسِلِ، فلَمّا كانَ عَلَيْهِ خافَ، فبَعَثَ إلى رَسُولِ الله ﷺ يَسْتَمِدُّهُ، فبَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ أَبا عُبَيْدةَ بنَ الجَرّاحِ في المُهاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، فيهِمْ أبو بَكْرٍ وعُمَرُ، وقالَ لِأَبِي عُبَيْدةَ حِينَ وجَّهَهُ: «لا تَخْتَلِفا»، فخَرَجَ أبو عُبَيْدةَ، حَتّى إذا قَدِمَ عَلَيْهِ قالَ لَهُ عَمْرٌو: إِنَّما جِئْتَ مَدَدًا لِي، قالَ أبو عُبَيْدةَ: لا، ولَكِنِّي على ما أنا عَلَيْهِ، وأَنْتَ على ما أَنْتَ عَلَيْهِ. وكانَ أبو عُبَيْدةَ رَجُلًا لَيِّنًا سَهْلًا، هَيِّنًا عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيا، فقالَ لَهُ عَمْرٌو: بَلْ أَنْتَ مَدَدٌ لِي، فقالَ أبو عُبَيْدةَ: يا عَمْرُو، وإِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ لِي: «لا تَخْتَلِفا»، وإِنَّكَ إِنْ عَصَيْتَنِي أَطَعْتُكَ، قالَ: فإِنِّي الأَمِيرُ عَلَيْكَ، وأَنْتَ مَدَدٌ لِي، قالَ: فدُونَكَ. فصَلّى عَمْرٌو بِالنّاسِ.

[وَصِيّةُ أبي بَكْرٍ رافِعَ بنَ رافِعٍ]

قالَ: وكانَ مِن الحَدِيثِ في هَذِهِ الغَزاةِ، أنَّ رافِعَ بنَ أبي رافِعٍ الطّائِيَّ، وهُوَ رافِعُ بنُ عَمِيرةَ، كانَ يُحَدِّثُ فيما بَلَغَنِي عَنْ نَفْسِهِ، قالَ: كُنْتُ امْرأً نَصْرانِيًّا، وسُمِّيتُ سَرْجِسَ، فكُنْتُ أدَلَّ النّاسِ وأهْداهُمْ بِهذا الرَّمْلِ، كُنْتُ أدْفِنُ الماءَ في بَيْضِ النَّعامِ بِنَواحِي الرَّمْلِ في الجاهِلِيّةِ، ثُمَّ أُغِيرُ على إبِلِ النّاسِ، فإذا أدْخَلْتُها الرَّملَ غَلَبْتُ عَلَيْها، فلَمْ يَسْتَطِعْ أحَدٌ أنْ يَطْلُبَنِي فيهِ، حَتّى أمُرَّ بِذلك الماءِ الَّذي خَبَأْتُ في بَيْضِ النَّعامِ فأسْتَخْرِجَهُ فأشْرَبَ مِنْهُ.

فلَمّا أسْلَمْتُ خَرَجْتُ في تِلْكَ الغَزْوةِ الَّتي بَعَثَ فيها رَسُولُ اللهِ ﷺ عَمْرَو بنَ العاصِ إلى ذاتِ السَّلاسِلِ، قالَ: فَقُلْتُ: واللهِ لَأخْتارَنَّ لِنَفْسِي صاحِبًا، قالَ: فصَحِبْتُ أبا بَكْرٍ، قالَ: فكُنْتُ مَعَهُ في رَحْلِهِ، قالَ: وكانَتْ عَلَيْهِ عَباءةٌ لَهُ فدَكِيّةٌ، فكانَ إذا نَزَلْنا بَسَطَها وإذا رَكِبنا لَبِسَها، ثُمَّ شَكَّها عَلَيْهِ بِخِلالٍ لَهُ، قالَ: وذلك الَّذي لَهُ يَقُولُ أهْلُ نَجْدٍ حِينَ ارْتَدُّوا كُفّارًا: نَحْنُ نُبايِعُ ذا العَباءةِ. قالَ: فلَمّا دَنَوْنا مِن المَدِينةِ قافِلِينَ، قالَ: قُلْتُ: يا أبا بَكْرٍ، إنَّما صَحِبْتُكَ لِيَنْفَعَنِي اللهُ بِكَ، فانْصَحْنِي وعَلِّمْنِي، قالَ: لَوْ لَمْ تَسْألْنِي ذلك لَفَعَلْتُ، قالَ: آمُرُكَ أنْ تُوَحِّدَ اللهَ ولا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وأنْ تُقِيمَ الصَّلاةَ، وأنْ تُؤْتِيَ الزَّكاةَ، وتَصُومَ رَمَضانَ، وتَحُجَّ هذا البَيْتَ، وتَغْتَسِلَ مِن الجَنابةِ، ولا تَتَأمَّرْ على رَجُلٍ مِن المُسْلِمِينَ أبَدًا. قالَ: قُلْتُ: يا أبا بَكْرٍ، أما أنا واللهِ فإنِّي أرْجُو ألا أُشْرِكَ باللهِ أحَدًا أبَدًا، وأمّا الصَّلاةُ فلَنْ أتْرُكَها أبَدًا إنْ شاءَ اللهُ، وأمّا الزَّكاةُ فإنْ يَكُ لِي مالٌ أُؤَدِّها إنْ شاءَ اللهُ، وأمّا رَمَضانُ فلَنْ أتْرُكَهُ أبَدًا إنْ شاءَ اللهُ، وأمّا الحَجُّ فإنْ أسْتَطِعْ أحُجَّ إنْ شاءَ اللهُ تَعالى، وأمّا

الجَنابةُ فسَأغْتَسِلُ مِنْها إنْ شاءَ اللهُ، وأمّا الإمارةُ فإنِّي رَأيْتُ النّاسَ يا أبا بَكْرٍ لا يَشْرُفُونَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وعِنْدَ النّاسِ إلّا بِها، فلِمَ تَنْهانِي عَنْها؟ قالَ: إنَّكَ إنَّما اسْتَجْهَدْتَنِي لِأجْهَدَ لَكَ، وسَأُخْبِرُكَ عَنْ ذلك: إن اللهَ عَزَّ وجَلَّ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِهذا الدِّينِ، فجاهَدَ عَلَيْهِ حَتّى دَخَلَ النّاسُ فيهِ طَوْعًا وكَرْهًا، فلَمّا دَخَلُوا فيهِ كانُوا عُوّاذَ اللهِ وجِيرانَهُ، وفي ذِمَّتِهِ، فإيّاكَ لا تُخْفِر اللهَ في جِيرانِهِ، فيُتْبِعَكَ اللهُ خَفْرَتَهُ؛ فإنَّ أحَدَكُمْ يُخْفَرُ في جارِهِ فيَظَلُّ ناتِئًا عَضَلُهُ؛ غَضَبًا لِجارِهِ أنْ أُصِيبَتْ لَهُ شاةٌ أوْ بَعِيرٌ، فاللهُ أشَدُّ غَضَبًا لِجارِهِ. قالَ: ففارَقْتُهُ على ذلك.

قالَ: فلَمّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وأُمِّرَ أبو بَكْرٍ على النّاسِ، قالَ: قَدِمْتُ عَلَيْهِ، فقُلْتُ لَهُ: يا أبا بَكْرٍ، ألَمْ تَكُ نَهَيْتَنِي عَنْ أنْ أتَأمَّرَ على رَجُلَيْنِ مِن المُسْلِمِينَ؟ قالَ: بَلى، وأنا الآنَ أنهاكَ عَنْ ذلك، قالَ: فقُلْتُ لَهُ: فما حَمَلَكَ على أنْ تَلِيَ أمْرَ النّاسِ؟ قالَ: لا أجِدُ مِنْ ذلك بُدًّا، خَشِيتُ على أُمّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الفُرْقةَ.

[تَقْسِيمُ عَوْفٍ الأشْجَعِيِّ الجَزُورَ بَيْنَ قَوْمٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: أخْبَرَنِي يَزِيدُ بنُ أبِي حَبِيبٍ، أنَّهُ حُدِّثَ عَنْ عَوْفِ بنِ مالِكٍ الأشْجَعِيِّ، قالَ: كُنْتُ في الغَزاةِ الَّتِي بَعَثَ فيها رَسُولُ اللهِ ﷺ عَمْرَو ابنَ العاصِ إلى ذاتِ السَّلاسِلِ، قالَ: فصَحِبْتُ أبا بَكْرٍ وعُمَرَ، فمَرَرْتُ بِقَوْمٍ على جَزُورٍ لَهُمْ قَدْ نَحَرُوها، وهُمْ لا يَقْدِرُونَ على أنْ يُعَضُّوها، قالَ: وكُنْتُ امْرأً لَبِقًا جازِرًا، قالَ: فقُلْتُ: أتُعْطُونَنِي مِنْها عَشِيرًا على أنْ أقْسِمَها بَيْنَكُمْ؟ قالُوا: نَعَمْ، قالَ: فأخَذْتُ الشَّفْرَتَيْنِ، فجَزَّأْتُها مَكانِي، وأخَذْتُ مِنْها جُزْءًا،

فحَمَلْتُهُ إلى أصْحابِي، فاطَّبَخْناهُ فأكَلْناهُ. فقالَ لِي أبو بَكْرٍ وعُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما: أنّى لَكَ هذا اللَّحْمُ يا عَوْفُ؟ قالَ: فأخْبَرْتُهما خَبَرَهُ، فقالا: واللهِ ما أحْسَنْتَ حِينَ أطْعَمْتَنا هذا، ثمَّ قاما يَتقيَّأان ما في بُطُونِهِما مِنْ ذلك، قالَ: فلَمّا قَفَلَ النّاسُ مِنْ ذلك السَّفَرِ، كُنْتُ أوَّلَ قادِمٍ على رَسُولِ اللهِ ﷺ، قالَ: فجِئْتُهُ وهُوَ يُصَلِّي في بَيْتِهِ، قالَ: فقُلْتُ: السَّلامُ عَلَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ ورَحْمَةُ اللهِ وبَرَكاتُهُ، قالَ: «أعَوْفُ بنُ مالِكٍ؟» قالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، بِأبِي أنْتَ وأُمِّي، قالَ: «أصاحِبُ الجَزُورِ؟»، ولَمْ يَزِدْنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ على ذلك شَيْئًا.

فَصْلٌ

وَذَكَرَ غَزْوةَ عُمَرَ إلى تُرَبَة، وهي تُرَبةُ بفتحِ الرّاءِ، أرض كانَتْ لِخَثْعَم، وَفِيها جاءَ المَثَلُ: «صادَفَ بَطْنُهُ بَطْنَ تُرَبَةَ»[١]، يُرِيدُونَ الشِّبَعَ والخِصْبَ. قالَ البَكْرِيّ: وَكَذَلِكَ: عُرَنةُ بِفَتْحِ الرّاءِ يَعْنِي الّتِي عِنْدَ عَرَفةَ[٢].

وذَكَرَ غَزْوةَ ذاتِ السَّلاسِلِ ـ والسّلاسِلُ: مِياهٌ، واحدُها سَلْسَلٌ ـ وأنّ عمرَو ابنَ العاصي كانَ الأمِيرَ يَوْمئِذٍ، وَكانَ عَلَيْهِ السّلامُ أمَرَهُ أنْ يَسِيرَ إلى بَلِيّ، وَأنّ أُمّ أبِيهِ العاصِي كانَتْ مِنْ بَلِيّ، واسْمُها: سَلْمى فِيما ذَكَرَ الزُّبيرُ، وَأمّا أُمُّ عَمْرٍو فَهِيَ لَيْلى، تُلَقَّبُ بِالنّابِغةِ[٣]، سُبِيَتْ مِنْ بَنِي جِلّانِ بنِ عَنَزةَ بنِ رَبِيعةَ.

---

(١) «مجمع الأمثال» للميداني: (٢: ٨)، و«لسان العرب» (ترب). وفيهما: «عَرَف بطني». وقال في «اللسان»: والمثل لعامر بن مالك أبي البراء، يُضرب للرجل يصير إلى الأمر الجلي بعد الأمر الملتبس. وتُربة: واد بالقرب من مكة على مسافة يومين منها.

(٢) «معجم ما استعجم» (٢: ٩٣٥).

(٣) «جمهرة ابن حزم» (ص: ١٦٣).

وَذَكَرَ فِي هَذِهِ السَّرِيّةِ صُحْبَةَ رافِعِ بنِ أَبِي رافِعٍ لِأَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ[١] رافِعُ بنُ عميرةَ، وَيُقالُ [فِيهِ][٢]: ابنُ عُمَيْرٍ، وَهُوَ الّذِي كَلَّمَهُ الذِّئْبُ، وَلَهُ شِعْرٌ مشهورٌ[٣] في تكليمِ الذِّئْبِ لَهُ، وَكانَ الذِّئْبُ قَدْ أغارَ على غَنَمِهِ فاتّبَعَهُ، فَقالَ لَهُ الذّئْبُ: ألا أَدُلّكَ على ما هُوَ خَيْرٌ لَك؟ قَدْ بُعِثَ نَبِيُّ اللهِ، وَهُوَ يَدْعُو إلى اللهِ، فالحَقْ بِهِ. فَفَعَلَ ذَلِكَ رافِعٌ وَأسْلَمَ.

وَذَكَرَ فِي حديثِهِ مع أبي بكرٍ أَنّه أطعَمَهُ وَعُمَرَ لَحْمَ جَزُورٍ كانَ قَدْ أَخَذَ مِنْها عَشِيرًا على أنْ يُجَزِّئَها لِأَهْلِها، فَقامَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَتَقَيّآ ما أكَلا، وَقالا: أَتُطْعِمُنا مِثْلَ هَذا! وَذَلِكَ واللهُ أَعْلَمُ أَنّهُما كَرِها أُجْرةً مَجْهُولةً؛ لِأنّ العَشِيرَ واحِدُ الأَعْشارِ على غَيْرِ قِياسٍ، يُقالُ: بُرْمةٌ أَعْشارٌ إذا انْكَسَرَتْ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ العَشِيرُ بِمَعْنى العُشْرِ، كالثَّمِينِ بِمَعْنى الثُّمْنِ، وَلَكِنَّهُ عامَلَهُمْ عَلَيْهِ قَبْلَ إخْراجِ الجَزُورِ مِنْ جِلْدِها، وَقَبْلَ النّظَرِ إلَيْها، أوْ يَكُونا كَرِها جِزارةَ الجَزّارِ على كُلِّ حالٍ، واللهُ[٤] أعْلَمُ.

وَذَكَرَ غَزْوةَ غالِبِ بنِ عَبْدِ اللهِ، وَقَتْلَهُ مِرْداسَ بنَ نَهِيكٍ مِن الحُرقة، وَقالَ ابنُ هِشامٍ: الحُرْفةُ[٥] فِيما ذَكَرَ أَبُو عُبَيْدةَ، وَقالَ ابنُ حَبِيبٍ: فِي يَشْكُرَ [حُرقةُ ابنُ ثَعْلَبَةَ][٦]، وَحُرقةُ بنُ مالِكٍ، كِلاهُما مِنْ بَنِي حُبَيِّبِ بنِ كَعْبِ بنِ يَشْكُرَ،

(١) في (ب): «ويقال».

(٢) ليس في (ب).

(٣) انظره في «أسد الغابة» (٢: ١٩٦).

(٤) في (ف): «فالله».

(٥) في (ف): «الحرقة» بالقاف.

(٦) سقط من (ب). ثم ذكر: «وفي قضاعة حرقة بن خزيمة». ثم كرره بعد ذلك بعد قوله: «كلاهما من بني حبيب بن كعب بن يشكر»، ففي نصها تخليط وزيادة.

وَفِي قُضاعةَ: حُرقةُ بنُ حَزِيمةَ بنِ نَهْدٍ، وَفِي تَمِيمٍ حُرقةُ بنُ زيدِ بنِ مالكِ بنِ حَنْظَلةَ، وَقالَ القاضِي أبُو الوَلِيدِ: هَكَذا وَقعَتْ هَذِهِ الأسْماءُ كُلُّها بِالقافِ، وَذَكَرَها الدّارَقُطْنِيّ كُلَّها بِالفاءِ(١).

وَذَكَرَ غَزْوةَ مُحَمّدِ بنِ مَسْلَمةَ إلى القُرَطاءِ، وَهُمْ بَنُو قُرْطٍ وَقُرَيطٍ وَقَرِيطِ بني أبِي بَكْرِ بنِ كِلابِ بنِ رَبِيعةَ بنِ [عامِرِ بنِ صَعْصَعةَ(٢)].

وَذَكَرَ حَيّانَ بنَ مِلّةَ، وَهُوَ حَسّانُ بنُ مِلّةَ، وَكَذَلِكَ قالَهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِن الكِتابِ، وَهُوَ قَوْلُ ابنِ هِشامٍ.

وَذَكَرَ سَعْدَ بنَ هُذَيْمٍ(٣)، وَإنّما هُوَ سَعْدُ بنُ](٤) زَيْدِ بنِ لَيْثِ بنِ سُودِ بنِ أسلُم ابنِ الحافِ بنِ قُضاعةَ، وَإنّما نُسِبَ إلى هُذَيْمٍ لأنّ هُذَيمًا حَضَنَهُ وهو عبدٌ حَبَشيٌّ(٥).

حَدِيثُ أُمِّ قِرْفةَ

الّتِي جَرى فِيها المَثَلُ: «أمْنَعُ مِنْ أُمِّ قِرْفةَ»(٦)؛ لِأنّها كانَتْ يُعَلَّقُ فِي بَيْتِها خَمْسُونَ سَيْفًا كُلُّهُمْ لَها ذُو مَحْرَمٍ، واسْمُها فاطِمةُ بِنْتُ حُذَيْفةَ(٧) [بنِ بَدْرٍ](٨)، كُنِيَتْ بِابنِها قِرْفةَ، قَتَلَهُ النّبِيُّ ﷺ فِيما ذَكَرَ الواقِدِيّ.

---

(١) «المؤتلف والمختلف» (٢: ٨١٦-٨١٧).

(٢) «جمهرة النسب» للكلبي: (ص: ٣٢٢).

(٣) بعده في (ص): «في قول ابن هشام». والمثبت في «السيرة» عن ابن إسحاق: «هذيل».

(٤) سقط من (ب).

(٥) انظر: «جمهرة ابن حزم» (ص: ٤٤٣-٤٤٤).

(٦) «الأمثال» لأبي عبيد: (ص: ٣٦٢).

(٧) الذي في «السيرة»: «بنت ربيعة». وكذلك في «مغازي الواقدي» (٢: ٥٦٥).

(٨) ليس في (ب).

وَذَكَرَ أنّ سائِرَ بَنِيها، وَهُمْ تِسْعةٌ، قُتِلُوا مَعَ طُلَيْحةَ بنِ بُزاخةَ فِي الرِّدّةِ، وَهُمْ: حَكَمةُ، وَخَرَشةُ، وَجَبَلةُ، وَشَرِيكٌ، وَوالانُ[١]، وزمْلٌ[٢]، وحِصْنٌ[٣]، وَذَكَرَ باقِيَهُمْ.

وَذَكَرَ أنّ أمَّ قِرْفةَ قُتِلَتْ يَوْمَ بُزاخةَ أيْضًا، وَذَكَرَ أن عَبْدَ اللهِ بنَ جَعْفَرٍ أنْكَرَ ذَلِكَ[٤]، وَهُوَ الصّحِيحُ كَما فِي هَذا الكِتابِ، وذكر الدُّولابيُّ أنَّ زيدَ ابنَ حارِثةَ حِينَ قَتَلَها رَبَطَها بِفَرَسَيْنِ، ثُمّ رَكَضا بِها حَتّى ماتَتْ، وَذَلِكَ لِسَبِّها رَسُولَ اللهِ ﷺ.

وَذَكَرَ المَرْأةَ الّتِي سَألَها رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ سَلَمَةَ وَهِيَ بِنْتُ أُمّ قِرْفةَ، وَفِي «مُصَنَّفِ أبِي داوُدَ»، وَخَرّجَهُ مُسْلِمٌ أيْضًا؛ أنّ النّبِيّ ﷺ قالَ لِسَلَمةَ: «هَبْ لِي المَرْأةَ يا سَلَمةُ، للهِ أبُوك» فَقالَ: هِيَ لَك يا رَسُولَ اللهِ، فَفَدى بِها أسِيرًا [كانَ][٥] فِي قُرَيْشٍ مِن المُسْلِمِينَ[٦].

وَهَـذِهِ الرِّوايـةُ أحْسَـنُ وأصَـحّ مِنْ روايـةِ ابنِ إسْحـاقَ؛ فَإنّهُ ذَكَرَ أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهَبَها لِخالِهِ بِمَكّةَ، وَهُوَ حَزْنُ بنُ أبِي وَهْبِ بن عائِذِ بنِ عمرانَ ابنِ مَخْزُوم، وَفاطِمةُ جَدّةُ النّبِيّ ﷺ أُمُّ أبِيهِ هِيَ بِنْتُ عَمْرِو بنِ عائِذٍ، فَهَذِهِ الخُؤُولةُ[٧] الّتِي ذَكَرَ، وَقُتِلَ عَبْدُ الرحمنِ بنُ حزنٍ يوم اليَمامةِ شَهِيدًا، وَحَزْنٌ

---

(١) كذا في النسخ: «والان»، وقد سهلت الهمزة، والأصل: «وآلان». انظر: «تاج العروس» (وأل).

(٢) كذا في (ب)، «زمل»، بالزاي، وفي غيرها بالراء.

(٣) في (ص): «وحصين». ومثله في «جمهرة» الكلبي: (ص: ٤٣٤).

(٤) في (ص): «وذكر عن عبد الله بن جعفر أنه كان أنكر».

(٥) ليس في (ب).

(٦) أخرجه في كتاب الجهاد، «سنن أبي داود» (٣: ٦٤)، ومسلم: (٣: ١٣٧٥-١٣٧٦).

(٧) في (أ): «فهذه هي الخؤولة».

هَذا هُوَ جَدُّ سَعِيدِ بنِ المُسَيَّبِ بنِ حَزْنٍ(١).

وَمَسْعَدةُ الّذِي ذَكَرَ فِي هَذا الحَدِيثِ أنّهُ قُتِلَ هُوَ ابنُ حَكَمةَ بنِ حُذَيْفةَ بنِ بَدْرٍ، وَسَلَمةُ الّذِي كانَتْ(٢) عِنْدَهُ الجارِيةُ قِيلَ: هُوَ سَلَمةُ بنُ الأكْوَعِ، واسْمُ الأكْوَعِ: سِنانٌ، وَقِيلَ: هُوَ سَلَمةُ بنُ سَلامةَ بنِ وَقْشٍ، قالَهُ الزُّبَيْرُ.

غَزْوةُ ابنِ أبِي حَدْرَدٍ بَطْنَ إضَمٍ وقَتْلُ عامِرِ بن الأضْبَطِ الأشْجَعِيِّ وغَزْوةُ ابنِ أبِي حَدْرَدٍ وأصْحابِهِ بَطْنَ إضَمٍ وكانَتْ قَبْلَ الفَتْحِ

[مَقْتَلُ ابنِ الأضْبَطِ وما نَزَلَ فيهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بنُ عَبْدِ الله بنِ قُسَيْطٍ، عَنِ القَعْقاعِ ابنِ عَبْدِ الله بنِ أبِي حَدْرَدٍ، عَنْ أبيهِ عَبْدِ الله بنِ أبِي حَدْرَدٍ، قالَ: بَعَثَنا رَسُولُ الله ﷺ إلى إضَمٍ فِي نَفَرٍ مِن المُسْلِمِينَ، فيهِمْ أبو قَتادةَ الحارِثُ ابنُ رِبْعِيٍّ، ومُحَلِّمُ بنُ جَثّامةَ بنِ قَيْسٍ، فخَرَجْنا حَتّى إذا كُنّا بِبَطْنِ إضَمٍ مَرَّ بِنّا عامِرُ بنُ الأضْبَطِ الأشْجَعِيُّ على قَعُودٍ لَهُ، ومَعَهُ مُتَيِّعٌ لَهُ، ووَطْبٌ مِنْ لَبَنٍ.

قالَ: فلَمّا مَرَّ بِنا سَلَّمَ عَلَيْنا بِتَحِيّةِ الإسْلامِ، فأمْسَكْنا عَنْهُ، وحَمَلَ عَلَيْهِ مُحَلِّمُ بنُ جَثّامةَ، فقَتَلَهُ لِشَيْءٍ كانَ بَيْنَهُ وبَيْنَهُ، وأخَذَ بَعِيرَهُ، وأخَذَ مُتَيِّعَهُ. قالَ: فلَمّا قَدِمْنا على رَسُولِ الله ﷺ وأخْبَرْناهُ الخَبَرَ، نَزَلَ فينا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٤: ٢١٧).

(٢) في (أ)، (ب): «كان».

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [النساء: ٩٤] إلى آخرِ الآيةِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: قَرَأَ أبو عَمْرِو بنُ العَلاءِ: «وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا» لِهذا الحَدِيثِ.

[ابنُ حابِسٍ وابنُ حِصْنٍ يَخْتَصِمانِ في دَمِ ابنِ الأَضْبَطِ إلى الرَّسُولِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ الزُّبَيْرِ، قالَ: سَمِعْتُ زِيادَ بنَ ضُمَيْرَةَ بنِ سَعْدٍ السُّلَمِيَّ يُحَدِّثُ عَنْ عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أبيهِ، عَنْ جَدِّهِ، وكانا شَهِدا حُنَيْنًا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، قالَ: صَلّى بِنا رَسُولُ الله ﷺ الظُّهْرَ، ثُمَّ عَمِدَ إلى ظِلِّ شَجَرَةٍ، فجَلَسَ تَحْتَها، وهُوَ بِحُنَيْنٍ، فقامَ إلَيْهِ الأَقْرَعُ بنُ حابِسٍ، وعُيَيْنَةُ بنُ حِصْنِ بنِ حُذَيْفَةَ بنِ بَدْرٍ، يَخْتَصِمانِ في عامِرِ بنِ أَضْبَطَ الأَشْجَعِيِّ: عُيَيْنَةُ يَطْلُبُ بِدَمِ عامِرٍ، وهُوَ يَوْمَئِذٍ رَئِيسُ غَطَفانَ، والأَقْرَعُ ابن حابِسٍ يَدْفَعُ عَنْ مُحَلِّمِ بنِ جَثّامَةَ؛ لِمَكانِهِ مِنْ خِنْدِف، فتَداوَلا الخُصُومةَ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ، ونَحْنُ نَسْمَعُ، فسَمِعْنا عُيَيْنَةُ بنَ حِصْنٍ وهُوَ يَقُولُ: واللهِ يا رَسُولَ الله لا أَدْعُهُ حَتّى أُذِيقَ نِساءَهُ مِن الحُرْقةِ مِثْلَ ما أَذاقَ نِسائِي، ورَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: «بَلْ تَأْخُذُونَ الدِّيةَ خَمْسِينَ في سَفَرِنا هذا، وخَمْسِينَ إذا رَجَعْنا»، وهُوَ يَأْبى عَلَيْهِ، إذْ قامَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي لَيْثٍ يُقالُ لَهُ: مُكَيْثِرٌ، قَصِيرٌ مَجْمُوعٌ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: مُكَيْتِلٌ ـ فقالَ: واللهِ يا رَسُولَ الله ما وجَدْتُ لِهذا القَتِيلِ شَبَهًا في غُرّةِ الإسْلامِ إلّا كَغَنَمٍ ورَدَتْ فرُمِيَتْ أُولاها، فنَفَرَتْ أُخْراها، اسْنُنِ اليَوْمَ وغَيِّرْ غَدًا. قالَ: فرَفَعَ رَسُولُ الله ﷺ يَدَهُ فَقالَ: «بَلْ تَأْخُذُونَ الدِّيَةَ خَمْسِينَ في سَفَرِنا هذا، وخَمْسِينَ إذا رَجَعْنا». قالَ: فقَبِلُوا الدِّيَةَ.

قالَ: ثُمَّ قالُوا: أيْنَ صاحِبُكُمْ هذا، يَسْتَغْفِرُ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ، قالَ: فقامَ رَجُلٌ آدَمُ ضَرْبٌ طَوِيلٌ، عَلَيْهِ حُلَّةٌ لَهُ قَدْ كانَ تَهَيَّأَ لِلْقَتْلِ فيها، حَتّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ، فقالَ لَهُ: «ما اسْمُكَ؟» قالَ: أنا مُحَلِّمُ بنُ جَثّامةَ، قالَ: فرَفَعَ رَسُولُ الله ﷺ يَدَهُ، ثُمَّ قالَ: «اللهُمَّ لا تَغْفِرْ لِمُحَلِّمِ بنِ جَثّامةَ» ثَلاثًا. قالَ: فقامَ وهُوَ يَتَلَقّى دَمْعَهُ بِفَضْلِ رِدائِهِ.

قالَ: فأمّا نَحْنُ فنَقُولُ فيما بَيْنَنا: إنّا لَنَرْجُو أنْ يَكُونَ رَسُولُ الله ﷺ قَدِ اسْتَغْفَرَ لَهُ، وأمّا ما ظَهَرَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ فهذا.

[مَوْتُ مُحَلِّمٍ وما حَدَثَ لَهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني مَنْ لا أتَّهِمُ عَنِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ، قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ: «أمَّنْتَهُ بالله ثُمَّ قَتَلْتَهُ!» ثُمَّ قالَ لَهُ المَقالةَ الَّتِي قالَ، قالَ: فوالله ما مَكَثَ مُحَلِّمُ بنُ جَثّامةَ إلّا سَبْعًا حَتّى ماتَ، فلَفَظَتْهُ ـ والَّذِي نَفْسُ الحَسَنِ بِيَدِهِ ـ الأرْضُ، ثُمَّ عادُوا لَهُ، فلَفَظَتْهُ الأرْضُ، ثُمَّ عادُوا فلَفَظَتْهُ، فلَمّا غُلِبَ قَوْمُهُ عَمِدُوا إلى صُدَّيْنِ فسَطَحُوهُ بَيْنَهُما، ثُمَّ رَضَمُوا عَلَيْهِ الحِجارةَ حَتّى وارَوْهُ. قالَ: فبَلَغَ رَسُولَ الله ﷺ شَأْنُهُ، فقالَ: «والله إنَّ الأرْضَ لَتَطّابَقُ على مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ، ولَكِنَّ الله أرادَ أنْ يَعِظَكُمْ في حُرَمِ ما بَيْنَكُمْ بِما أراكُمْ مِنْهُ».

[دِيةُ ابنِ الأضْبَطِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأخْبَرَنا سالِمٌ أبو النَّضْرِ أنَّهُ حُدِّثَ: أنَّ عُيَيْنةَ بنَ حِصْنٍ وقَيْسًا حِينَ قالَ الأقْرَعُ بنُ حابِسٍ وخَلا بِهِمْ: يا مَعْشَرَ قَيْسٍ، مَنَعْتُمْ رَسُولَ الله ﷺ قَتِيلًا يَسْتَصْلِحُ بِهِ النّاسَ، أفَأمِنْتُمْ أنْ يَلْعَنَكُمْ رَسُولُ الله ﷺ،

فيلْعَنَكُمُ اللهِ بِلَعْنَتِهِ، أَوْ أَنْ يَغْضَبَ عَلَيْكُمْ فيغْضَبَ اللهُ عَلَيْكُمْ بِغَضَبِهِ؟ واللهِ الَّذي نَفْسُ الأَقْرَعِ بِيَدِهِ لَتُسَلِّمُنَّهُ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَيَصْنَعَنَّ فيهِ ما أرادَ، أَوْ لَآتِيَنَّ بِخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يَشْهَدُونَ باللهِ كُلُّهُمْ: لَقُتِلَ صاحِبُكُمْ كافِرًا، ما صَلّى قَطُّ، فلَأُطِلَّنَّ دَمَهُ، فلَمّا سَمِعُوا ذلك قَبِلُوا الدِّيَةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: مُحَلِّمٌ في هذا الحَدِيثِ كُلِّهِ عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ، وهُوَ مُحَلِّمُ بنُ جَثّامةَ بنِ قَيْسٍ اللَّيْثِيُّ.

وَقالَ ابنُ إسْحاقَ: ملجمٌ، فيما حَدَّثَناهُ زِيادٌ عَنْهُ.

غَزْوةُ ابنِ أبي حَدْرَدٍ لِقَتْلِ رِفاعةَ بنِ قَيْسٍ الجُشَمِيِّ

[سَبَبُها]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وغَزْوةُ ابنِ أبي حَدْرَدٍ الأَسْلَمِيِّ الغابةَ.

وكانَ مِنْ حَدِيثِها فيما بَلَغَنِي عَمَّنْ لا أَتَّهِمُ، عَن ابنِ أبي حَدْرَدٍ، قالَ: تَزَوَّجْتُ امْرَأةً مِنْ قومِي، وأصدقتُها مِئَتي دِرْهَمٍ، قالَ: فجِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَسْتَعِينُهُ على نِكاحِي، فقالَ: «وكَمْ أصدقتَ؟» فقلتُ: مِئَتي دِرْهَمٍ يا رَسُولَ اللهِ، قالَ: «سُبْحانَ اللهِ، لَوْ كُنْتُمْ تَأْخُذُونَ الدَّراهِمَ مِنْ بَطْنِ وادٍ ما زِدْتُمْ، واللهِ ما عِنْدِي ما أُعِينُكَ بِهِ». قالَ: فلَبِثْتُ أيّامًا، وأقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي جُشَمَ بنِ مُعاوِيَةَ، يُقالُ لَهُ: رِفاعةُ بنُ قَيْسٍ، أَوْ قَيْسُ بنُ رِفاعةَ، في بَطْنٍ عَظِيمٍ مِنْ بَنِي جُشَمَ، حَتّى نَزَلَ بِقَوْمِهِ ومَنْ مَعَهُ بِالغابةِ، يُرِيدُ أَنْ يَجْمَعَ قَيْسًا على حَرْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وكانَ ذا اسْمٍ في جُشَمَ وشَرَفٍ. قالَ: فدَعانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ ورَجُلَيْنِ مَعِي مِن المُسْلِمِينَ، فقالَ: «اخْرُجُوا إلى هذا الرَّجُلِ حَتّى تَأْتُوا مِنْهُ

بِخَبَرٍ وعِلْمٍ». قالَ: وقَدَّمَ لَنا شارِفًا عَجْفاءَ، فحَمَلَ عَلَيْها أحَدَنا، فو الله ما قامَتْ بِهِ ضَعْفًا حَتّى دَعَمَها الرِّجالُ مِنْ خَلْفِها بِأيْدِيهِمْ، حَتّى اسْتَقَلَّتْ، وما كادَتْ، ثُمَّ قالَ: «تَبَلَّغُوا عَلَيْها واعْتَقِبُوها».

[انْتِصارُ المُسْلِمِينَ ونَصِيبُ ابنِ أبي حَدْرَدٍ مِنْ فَيْءٍ اسْتَعانَ بِهِ على الزَّواجِ]

قالَ: فخَرَجْنا ومَعَنا سِلاحُنا مِنَ النَّبْلِ والسُّيُوفِ، حَتّى إذا جِئْنا قَرِيبًا مِن الحاضِرِ عُشَيْشِيَّةً مَعَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، قالَ: كَمَنْتُ في ناحِيَةٍ، وأمَرْتُ صاحِبَيَّ، فكَمَنَا في ناحِيَةٍ أُخْرى مِنْ حاضِرِ القَوْمِ، وقُلْتُ لَهُما: إذا سَمِعْتُماني قَدْ كَبَّرْتُ وشَدَدْتُ في ناحِيَةِ العَسْكَرِ فكَبِّرا وشُدّا معي. قالَ: فوالله إنّا لَكَذلك نَنْتَظِرُ غِرّةَ القَوْمِ، أوْ أنْ نُصِيبَ مِنْهُمْ شَيْئًا. قالَ: وقَدْ غَشِيَنا اللَّيْلُ حَتّى ذَهَبَتْ فحْمةُ العِشاءِ، وقَدْ كانَ لَهُمْ راعٍ قَدْ سَرَحَ في ذلك البَلَدِ، فأبْطَأَ عَلَيْهِمْ حَتّى تَخَوَّفُوا عَلَيْهِ.

قالَ: فقامَ صاحِبُهُمْ ذلك رِفاعةُ بنُ قَيْسٍ، فأخَذَ سَيْفَهُ فجَعَلَهُ في عُنُقِهِ، ثُمَّ قالَ: والله لَأتَّبِعَنَّ أثَرَ راعِينا هذا، ولَقَدْ أصابَهُ شَرٌّ، فقالَ لَهُ نَفَرٌ مِمَّنْ مَعَهُ: والله لا تَذْهَبْ، نَحْنُ نَكْفيكَ، قالَ: والله لا يَذْهَبُ إلّا أنا، قالُوا: فنَحْنُ مَعَكَ، قالَ: والله لا يَتْبَعُني أحَدٌ مِنْكُمْ. قالَ: وخَرَجَ حَتّى يَمُرَّ بِي. قالَ: فلَمّا أمْكَنَني نَفَحْتُهُ بِسَهْمِي فوَضَعْتُهُ في فُؤاده. قالَ: فواللهِ ما تَكَلَّمَ، ووَثَبْتُ إلَيْهِ فاحْتَزَزْتُ رَأْسَهُ. قالَ: وشَدَدْتُ في ناحِيَةِ العَسْكَرِ، وكَبَّرْتُ، وشَدَّ صاحِبايَ وكبّرا. قالَ: فوالله ما كانَ إلّا النَّجاءُ مِمَّنْ فيهِ، عِنْدَكَ، عِنْدَكَ، بِكُلِّ ما قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْ نِسائِهِمْ وأبنائِهِمْ، وما خَفَّ مَعَهُمْ مِنْ أمْوالِهِمْ. قالَ: واسْتَقْنا إبِلًا عَظِيمةً، وغَنَمًا كَثِيرةً، فجِئْنا بِها إلى رَسُولِ الله ﷺ. قالَ:

وجِئْتُ بِرَأْسِهِ أَحْمِلُهُ مَعِي. قالَ: فأعانَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ تِلْكَ الإبِلِ بِثَلاثَةَ عَشَرَ بَعيرًا في صَداقِي، فجَمَعْتُ إلَيَّ أَهْلِي.

غَزْوةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ إلى دُومةِ الجَنْدَلِ

[شَيْءٌ مِنْ وعْظِ الرَّسُولِ لِقَوْمِهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مَنْ لا أَتَّهِمُ عَنْ عَطاءِ بنِ أبي رَباحٍ، قالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ البَصْرةِ يَسْأَلُ عَبْدَ اللهِ بنَ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ عَنْ إرْسالِ العِمامةِ مِنْ خَلْفِ الرَّجُلِ إذا اعْتَمَّ، قالَ: فقالَ عَبْدُ اللهِ: سَأُخْبِرُكَ إنْ شاءَ اللهُ عَنْ ذلك بِعِلْمٍ:

كُنْتُ عاشِرَ عَشَرةِ رَهْطٍ مِنْ أصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ في مَسْجِدِهِ: أبو بَكْرٍ، وعُمَرُ، وعُثْمانُ، وعَلِيٌّ، وعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ، وابنُ مَسْعُودٍ، ومُعاذُ بن جَبَلٍ، وحُذَيْفةُ بنُ اليَمانِ، وأبو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ، وأنا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إذْ أقْبَلَ فتًى مِن الأنْصارِ، فسَلَّمَ على رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ جَلَسَ، فقالَ: يا رَسُولَ اللهِ، صَلّى اللهُ عَلَيْكَ، أيُّ المُؤْمِنِينَ أفْضَلُ؟ فقالَ: «أحْسَنُهُمْ خُلُقًا»، قالَ: فأيُّ المُؤْمِنِينَ أكْيَسُ؟ قالَ: «أكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلْمَوْتِ، وأحْسَنُهُم اسْتِعْدادًا لَهُ قَبْلَ أنْ يَنْزِلَ بِهِ، أُولَئِكَ الأكْياسُ»، ثُمَّ سَكَتَ الفَتى، وأقْبَلَ عَلَيْنا رَسُولُ اللهِ ﷺ فقالَ: «يا مَعْشَرَ المُهاجِرِينَ، خَمْسُ خِصالٍ إذا نَزَلْنَ بِكُمْ، وأعُوذُ باللهِ أنْ تُدْرِكُوهُنَّ: إنَّهُ لَمْ تَظْهَرِ الفاحِشةُ في قَوْمٍ قَطُّ حَتّى يُعْلِنُوا بِها إلّا ظَهَرَ فيهِمُ الطّاعُونُ والأوْجاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ في أسْلافِهِمُ الَّذينَ مَضَوْا، ولَمْ يَنْقُصُوا المِكْيالَ والمِيزانَ إلّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وشِدّةِ المُؤْنةِ

وجَوْرِ السُّلْطانِ، ولَمْ يَمْنَعُوا الزَّكاةَ مِنْ أَمْوالِهِمْ إلّا مُنِعُوا القَطْرَ مِن السَّماءِ، فلَوْلا البَهائِمُ ما مُطِرُوا، وما نَقَضُوا عَهْدَ الله وعَهْدَ رَسُولِهِ إلّا سُلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ، فأَخَذَ بَعْضَ ما كانَ في أَيْدِيهِمْ، وما لَمْ يَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتابِ الله وتَجَبَّرُوا فيما أَنزَلَ الله إلّا جَعَلَ الله بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ».

[تَأْمِيرُ ابنِ عَوْفٍ واعْتِمامُهُ]

ثُمَّ أَمَرَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بنَ عَوْفٍ أَنْ يَتَجَهَّزَ لِسَرِيَّةٍ بَعَثَهُ عَلَيْها، فأَصْبَحَ وقَدِ اعْتَمَّ بِعِمامَةٍ مِنْ كَرابِيس سَوْداءَ، فأَدْناهُ رَسُولُ الله ﷺ مِنْهُ، ثُمَّ نَقَضَها، ثُمَّ عَمَّمَهُ بِها، وأَرْسَلَ مِنْ خَلْفِهِ أَرْبَعَ أَصابِعَ أَوْ نَحْوًا مِنْ ذلك، ثُمَّ قالَ: «هَكَذا يا ابنَ عَوْفٍ فاعْتَمَّ؛ فإنَّهُ أَحْسَنُ وأَعْرَفُ»، ثُمَّ أَمَرَ بَلالًا أَنْ يَدْفَعَ إلَيْهِ اللِّواءَ، فدَفَعَهُ إلَيْهِ، فحَمِدَ الله تَعالى، وصلى الله على نَفْسِهِ، ثمَّ قالَ: «خُذْهُ يا ابنَ عَوْفٍ، اغْزُوا جَمِيعًا في سَبِيلِ الله، فقاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بالله، لا تَغُلُّوا، ولا تَغْدِرُوا، ولا تُمَثِّلُوا، ولا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، فهذا عَهْدُ الله وسِيرةُ نَبِيِّهِ فيكُمْ». فأَخَذَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ اللِّواءَ. قالَ ابنُ هِشامٍ: فخَرَجَ إلى دُومةِ الجَنْدَلِ.

غَزْوةُ أبي عُبَيْدَةَ بنِ الجَرّاحِ إلى سِيفِ البَحْرِ

[نَفادُ الطَّعامِ وخَبَرُ دابّةِ البَحْرِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني عُبادةُ بنُ الوَلِيدِ بن عُبادةَ بنِ الصّامِتِ، عَنْ أبيهِ، عَنْ جَدِّهِ عُبادةَ بنِ الصّامِتِ، قالَ: بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ سَرِيَّةً إلى سِيفِ البَحْرِ، عَلَيْهِمْ أبو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرّاحِ، وزَوَّدَهُمْ جِرابًا مِنْ تَمْرٍ، فجَعَلَ يَقُوتُهُمْ إيّاهُ، حَتّى صارَ إلى أنْ يَعُدَّهُ عَلَيْهِمْ عَدَدًا. قالَ: ثُمَّ نَفِدَ التَّمْرُ، حَتّى

كانَ يُعْطى كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ كُلَّ يَوْمٍ تَمْرَةً. قالَ: فقَسَمَها يَوْمًا بَيْنَنا، قالَ: فنَقَصَتْ تَمْرَةٌ عَنْ رَجُلٍ، فوَجَدْنا فقْدَها ذلك اليَوْمَ. قالَ: فلَمّا جَهَدَنا الجُوعُ أخْرَجَ الله لَنا دابّةً مِن البَحْرِ، فأصَبنا مِنْ لَحْمِها ووَدَكِها، وأقَمْنا عَلَيْها عِشْرِينَ لَيْلةً، حَتّى سَمِنّا وابْتَلَلْنا، وأخَذَ أمِيرُنا ضِلَعًا مِنْ أضْلاعِها فوَضَعَها على طَرِيقِهِ، ثُمَّ أمَرَ بِأجْسَمِ بَعِيرٍ مَعَنا، فحَمَلَ عَلَيْهِ أجْسَمَ رَجُلٍ مِنّا. قالَ: فجَلَسَ عَلَيْهِ، قالَ: فخَرَجَ مِنْ تَحْتِها وما مَسَّتْ رَأْسَهُ. قالَ: فلَمّا قَدِمْنا على رَسُولِ الله ﷺ أخْبَرْناهُ خَبَرَها، وسَألْناهُ عَمّا صَنَعْنا في ذلك مِنْ أكْلِنا إيّاهُ، فقالَ: «رِزْقٌ رَزَقَكُمُوهُ الله».

بَعْثُ عَمْرِو بنِ أُمَيّةَ الضَّمْرِيِّ لِقِتالِ أبِي سُفيانَ بنِ حَرْبٍ وما صَنَعَ في طَرِيقِهِ

[قُدُومُهُ مَكّةَ وتَعَرُّفُ القَوْمِ عَلَيْهِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: ومِمّا لَمْ يَذْكُرْهُ ابنُ إسْحاقَ مِنْ بُعُوثِ رَسُولِ الله ﷺ وسَراياهُ بَعْثُ عَمْرِو بنِ أُمَيّةَ الضَّمْرِيِّ، بَعَثَهُ رَسُولُ الله ﷺ ـ فيما حَدَّثَنِي مَنْ أثِقُ بِهِ مِنْ أهْلِ العِلْمِ ـ بَعْدَ مَقْتَلِ خُبَيْبِ بنِ عَدِيٍّ وأصْحابِهِ إلى مَكّةَ، وأمَرَهُ أنْ يَقْتُلَ أبا سُفيانَ بنَ حَرْبٍ، وبَعَثَ مَعَهُ جَبّارَ بنَ صَخْرٍ الأنْصارِيَّ، فخَرَجا حَتّى قَدِما مَكّةَ، وحَبَسا جَمَلَيْهِما بِشِعْبٍ مِنْ شِعابِ يَأْجَجَ، ثُمَّ دَخَلا مَكّةَ لَيْلًا، فقالَ جَبّارٌ لِعَمْرٍو: لَوْ أنّا طُفْنا بِالبَيْتِ وصَلَّيْنا رَكْعَتَيْنِ؟ فقالَ عَمْرٌو: إنَّ القَوْمَ إذا تَعَشَّوْا جَلَسُوا بِأفْنِيَتِهِمْ، فقالَ: كَلّا إنْ شاءَ الله، فقالَ عَمْرٌو: فطُفْنا بِالبَيْتِ وصَلَّيْنا، ثُمَّ خَرَجْنا نُرِيدُ أبا سُفيان، فوالله إنّا لَنَمْشِي بِمَكّةَ إذْ نَظَرَ إلَيَّ رَجُلٌ مِنْ أهْلِ مَكّةَ فعَرَفَنِي، فقالَ: عَمْرُو بنُ أُمَيّةَ! والله

إنْ قَدِمَها إلّا لِشَرٍّ، فقُلْتُ لِصاحِبِي: النَّجاءَ، فخَرَجْنا نَشْتَدُّ حَتّى أصْعَدْنا في جَبَلٍ، وخَرَجُوا في طَلَبِنا، حَتّى إذا عَلَوْنا الجَبَلَ يَئِسُوا مِنّا، فرَجَعْنا، فدَخَلْنا كَهْفًا في الجَبَلِ، فبِتْنا فيهِ، وقَدْ أخَذْنا حِجارةً فرَضَمْناها دُونَنا، فلَمّا أصْبَحْنا غَدَا رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَقُودُ فرَسًا لَهُ، ويَخْلِي عَلَيْها، فغَشِيَنا ونَحْنُ في الغارِ، فقُلْتُ: إنْ رَآنا صاحَ بِنا، فأُخِذْنا فقُتِلْنا.

[قَتْلُهُ أبا سُفيانَ وهَرَبُهُ]

قالَ: ومَعِي خِنْجَرٌ قَدْ أعْدَدْتُهُ لِأبِي سُفيانَ، فأخْرُجُ إلَيْهِ، فأضْرِبُهُ على ثَدْيِهِ ضَرْبةً، وصاحَ صَيْحةً أسْمَعَ أهْلَ مَكّةَ، وأرْجِعُ فأدْخُلُ مَكانِي، وجاءَهُ النّاسُ يَشْتَدُّونَ وهُوَ بِآخِرِ رَمَقٍ، فقالُوا: مَنْ ضَرَبَكَ؟ فقالَ: عَمْرُو بنُ أُمَيّةَ، وغَلَبَهُ المَوْتُ، فماتَ مَكانَهُ، ولَمْ يَدْلُلْ على مَكانِنا، فاحْتَمَلُوهُ. فقُلْتُ لِصاحِبِي لمّا أمْسَيْنا: النَّجاءَ، فخَرَجْنا لَيْلًا مِنْ مَكّةَ نُرِيدُ المَدِينةَ، فمَرَرْنا بِالحَرَسِ وهُمْ يَحْرُسُونَ جِيفةَ خُبَيْبِ بنِ عَدِيٍّ، فقالَ أحَدُهُمْ: واللهِ ما رَأيْتُ كاللَّيْلةِ أشْبَهَ بِمِشْيةِ عَمْرِو بنِ أُمَيّةَ، لَوْلا أنّهُ بِالمَدِينةِ لَقُلْتُ: هُوَ عَمْرُو بنُ أُمَيّةَ، قالَ: فلَمّا حاذى الخَشَبةَ شَدَّ عَلَيْها فأخَذَها فاحْتَمَلَها، وخَرَجا شَدًّا، وخَرَجُوا وراءَهُ، حَتّى أتى جُرْفًا بِمَهْبِطِ مَسِيلِ يَأْجَجَ، فرَمى بِالخَشَبةِ في الجُرْفِ، فغَيَّبَهُ اللهُ عَنْهُمْ، فلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، قالَ: وقُلْتُ لِصاحِبِي: النَّجاءَ النَّجاءَ، حَتّى تَأْتِيَ بَعِيرَكَ فتَقْعُدَ عَلَيْهِ، فإنِّي سَأشْغَلُ عَنْكَ القَوْمَ، وكانَ الأنْصارِيُّ لا رُجْلةَ لَهُ.

[قَتْلُهُ بَكْرِيًّا في غارٍ]

قالَ: ومَضَيْتُ حَتّى أخْرُجَ على ضَجْنان، ثُمَّ أوَيْتُ إلى جَبَلٍ، فأدْخُلُ كَهْفًا، فبَيْنا أنا فيه، إذْ دَخَلَ عَلَيَّ شَيْخٌ مِنْ بَنِي الدِّيلِ أعْوَرُ، في غُنَيْمةٍ لَهُ،

فقالَ: مَنِ الرَّجُلُ؟ فقُلْتُ: مِنْ بَنِي بَكْرٍ، فمَنْ أنْتَ؟ قالَ: مِنْ بَنِي بَكْرٍ، فقُلْتُ: مَرْحَبًا، فاضْطَجَعَ، ثُمَّ رَفَعَ عَقِيرَتَهُ فقالَ:

وَلَسْتُ بِمُسْلِمٍ ما دُمْتُ حَيًّا ولا دانٍ لِدِينِ المُسْــلِمِينا

فَقُلْتُ في نَفْسِي: سَتَعْلَمُ، فأمْهَلْتُهُ، حَتّى إذا نامَ أخَذْتُ قَوْسِي، فجَعَلْتُ سِيَتَها في عَيْنِهِ الصَّحِيحةِ، ثُمَّ تَحامَلْتُ عَلَيْهِ حَتّى بَلَغَت العَظْمَ، ثُمَّ خَرَجْتُ النَّجاءَ، حَتّى جِئْتُ العَرْجَ، ثُمَّ سَلَكْتُ رَكُوبةَ، حَتّى إذا هَبَطْتُ النَّقِيعَ إذا رَجُلانِ مِنْ قُرَيْشٍ مِن المُشْرِكِينَ، كانَتْ قُرَيْشٌ بَعَثَتْهُما عَيْنًا إلى المَدِينةِ، يَنْظُرانِ ويَتَحَسَّسانِ، فقُلْتُ اسْتَأْسِرا، فأبَيا، فأرْمِي أحَدَهُما بِسَهْمٍ فأقْتُلُهُ، واسْتَأْسَرَ الآخَرُ، فأُوثِقُهُ رِباطًا، وقَدِمْتُ بِهِ المَدِينةَ.

سَرِيّةُ زَيْدِ بنِ حارِثةَ إلى مَدْيَنَ

[بَعْثُهُ هُوَ وضُمَيْرةُ وقِصّةُ السَّبْيِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وسَرِيّةُ زَيْدِ بنِ حارِثةَ إلى مَدْيَنَ. ذَكَرَ ذلك عَبْدُ اللهِ ابنُ حَسَنِ بنِ حَسَنٍ، عَنْ أمه فاطِمة بنت الحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ، عَلَيْهِمْ رِضْوانُ اللهِ، أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ زَيْدَ بنَ حارِثةَ نَحْوَ مَدْيَنَ، ومَعَهُ ضُمَيْرةُ مَوْلى عَلِيِّ ابنِ أبي طالِبٍ رِضْوانُ اللهِ عَلَيْهِ، وأَخٌ لَهُ. قالَتْ: فأصاب سَبْيًا مِنْ أهْلِ مِيناءَ، وهِيَ السَّواحِلُ، وفيها جُمّاعٌ مِن النّاسِ، فبِيعُوا، ففُرِّقَ بَيْنَهُمْ، فخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وهُمْ يَبْكُونَ، فقالَ: «ما لَهُمْ؟» فقِيلَ: يا رَسُولَ اللهِ، فُرِّقَ بَيْنَهُمْ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَبِيعُوهُمْ إلّا جَمِيعًا». قالَ ابنُ هِشامٍ: أرادَ الأُمَّهاتِ والأوْلادَ.

سَرِيّةُ سالِمِ بنِ عُمَيْرٍ لِقَتْلِ أبي عَفَكٍ

[سَبَبُ نِفاقِ أبي عَفَكٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وغَزْوةُ سالِمِ بنِ عُمَيْرٍ لِقَتْلِ أبي عَفَكٍ، أحَدُ بَنِي عَمْرِو ابنِ عَوْفٍ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عُبَيْدةَ، وكانَ قَدْ نَجَمَ نِفاقُهُ حِينَ قَتَلَ رَسُولُ الله ﷺ الحارِثَ بنَ سُوَيْدِ بنِ صامِتٍ، فقالَ:

لَقَدْ عِشْتُ دَهْرًا وما إنْ أرى ... مِن النّاسِ دارًا ولا مَجْمَعا

أبَرَّ عُهُودًا وأوْفى لِمَنْ ... يُعاقِدُ فيهِمْ إذا ما دَعا

مِنْ أوْلادِ قَيْلَةَ في جَمْعِهِمْ ... يَهُدُّ الجِبالَ ولَمْ يَخْضَعا

فَصَدَّعَهُمْ راكِبٌ جاءَهُمْ ... حَلالٌ حَرامٌ لِشَتّى مَعا

فَلَوْ أنَّ بِالعِزِّ صَدَّقْتُمُ ... أو المُلْكِ تابَعْتُمُ تُبَّعا

[قَتْلُ ابنِ عُمَيْرٍ لَهُ، وشِعْرُ المزيرية]

فَقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ لِي بِهذا الخَبِيثِ؟»، فخَرَجَ سالِمُ بنُ عُمَيْرٍ، أخُو بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، وهُوَ أحد البَكّاءِين، فقَتَلَهُ، فقالَتْ أُمامةُ المزيرية في ذلك:

تُكَذِّبُ دِينَ الله والمَرْءَ أحْمَدا ... لَعَمْرُ الَّذي أمْناكَ أنْ بِئْسَ ما يُمْنِي

حَباكَ حَنِيفٌ آخِرَ اللَّيْلِ طَعْنَةً ... أبا عَفَكٍ خُذْها على كِبَرِ السِّنِّ

غَزْوةُ عُمَيْرِ بنِ عَدِيٍّ الخَطْمِيِّ لِقَتْلِ عَصْماءَ بِنْتَ مَرْوانَ

[نِفاقُها وشِعْرُها في ذلك]

وغَزْوةُ عُمَيْرِ بنِ عَدِيٍّ الخَطْمِيِّ عَصْماءَ بِنْتَ مَرْوانَ، وهِيَ مِنْ بَنِي أُمَيّةَ

ابن زَيْدٍ، فلَمّا قُتِلَ أبو عَفَكٍ نافَقَتْ، فذَكَرَ عَبْدُ الله بنُ الحارِثِ بنِ الفُضَيْلِ عَنْ أبيهِ، قالَ: وكانَتْ تَحْتَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي خَطْمةَ، ويُقالُ لَهُ: يَزِيدُ بنُ زَيْدٍ، فقالَتْ تَعِيبُ الإسْلامَ وأهْلَهُ:

باسْــتِ بَنِي مالِكٍ والنَّبِيتِ ... وعَوْفٍ وباسْتْ بَنِي الخَزْرَجِ

أطَعْتُــمْ أتاوِيَّ مِــنْ غَيْرِكُمْ ... فلا مِــنْ مُــرادٍ ولا مَذْحِجِ

تُرَجُّونَهُ بَعْدَ قَتْــلِ الرُّؤُوسِ ... كَمــا يُرْتَجى مَــرَقُ المُنْضَجِ

ألا أنِــفٌ يَبْتَــغِي غِــرّة ... فيقْطَــعُ مِنْ أمَــلِ المُرْتَجِي

[شِعْرُ حَسّانَ في الرَّدِّ عَلَيْها]

قالَ: فأجابَها حَسّانُ بنُ ثابِتٍ، فقالَ:

بَنُــو وائِــلٍ وبَنُــو واقِــفٍ ... وخَطْمةُ دُونَ بَــنِي الخَزْرَجِ

مَتى ما دَعَتْ سَــفَهًا ويْحَها ... بِعَوْلَتِهــا والمَنايــا تَــجِي

فَهَــزَّتْ فتًى ماجِــدًا عِرْقُهُ ... كَرِيمُ المَداخِــلِ والمَخْرَجِ

فَضَرَّجَهــا من نَجِيــعِ الدّما ... ءِ بَعْــدَ الهُــدُوِّ فلَــمْ يَحْرَجِ

[خُرُوجُ الخَطْمِيِّ لِقَتْلِها]

فَقالَ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ بَلَغَهُ ذلك: «ألا آخِذٌ لِي مِن ابنةِ مَرْوانَ؟» فسَمِعَ ذلك مِنْ قَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ عُمَيْرُ بنُ عَدِيٍّ الخَطْمِيُّ، وهُوَ عِنْدَهُ، فلَمّا أمْسى مِنْ تِلْكَ اللَّيْلةِ سَرى عَلَيْها في بَيْتِها فقَتَلَها، ثُمَّ أصْبَحَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، فقالَ: يا رَسُولَ الله، إنِّي قَدْ قَتَلْتُها. فَقالَ: «نَصَرْتَ الله ورَسُولَهُ يا عُمَيْرُ»، فقالَ: هَلْ عَلَيَّ شَيْءٌ مِنْ شَأْنِها يا رَسُولَ الله؟ فَقالَ: «لا يَنْتَطِحُ فيها عَنْزانِ».

[شَأْنُ بَنِي خَطْمَةَ]

فَرَجَعَ عُمَيْرٌ إلى قَوْمِهِ، وبَنُو خَطْمةَ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ مَوْجُهُمْ في شَأْنِ بِنْتِ مَرْوانَ، ولَهَا يَوْمَئِذٍ بَنُونَ خَمْسةُ رِجالٍ، فلَمّا جاءَهُمْ عُمَيْرُ بنُ عَدِيٍّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ الله ﷺ، قالَ: يا بَنِي خَطْمةَ، أنا قَتَلْتُ ابنةَ مَرْوانَ، فكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ. فذلك اليَوْمُ أوَّلُ ما عَزَّ الإسْلامُ في دارِ بَنِي خَطْمةَ، وكانَ يَسْتَخْفي بِإسْلامِهِمْ فيهِمْ مَنْ أسْلَمَ، وكانَ أوَّلَ مَنْ أسْلَمَ مِنْ بَنِي خَطْمةَ عُمَيْرُ بنُ عَدِيٍّ، وهُوَ الَّذي يُدْعى القارِئَ، وعَبْدُ الله بنُ أوْسٍ، وخُزَيْمةُ بنُ ثابِتٍ، وأسْلَمَ يَوْمَ قُتِلَت ابنةُ مَرْوانَ رِجالٌ مِنْ بَنِي خَطْمةَ لمّا رَأَوْا مِنْ عِزِّ الإسْلامِ.

أسْرُ ثُمامةَ بنِ أُثالٍ الحَنَفي وإسْلامُهُ
والسَّرِيّةُ الّتِي أسَرَتْ ثُمامةَ بنَ أُثالٍ الحَنَفي

[إسْلامُهُ]

بَلَغَني عَنْ أبي سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عَنْ أبي هُرَيرةَ أنَّهُ قالَ: خَرَجَتْ خَيْلٌ لِرَسُولِ الله ﷺ، فأخَذَتْ رَجُلًا مِنْ بَنِي حَنِيفةَ، لا يَشْعُرُونَ مَنْ هُوَ، حَتّى أتَوْا بِهِ رَسُولَ الله ﷺ، فقالَ: أتَدْرُونَ مَنْ أخَذْتُمْ، هذا ثُمامةُ بنُ أُثالٍ الحَنَفي، أَحْسِنُوا إسارَهُ. ورَجَعَ رَسُولُ الله ﷺ إلى أهْلِهِ، فقالَ: اجْمَعُوا ما كانَ عِنْدَكُمْ مِنْ طَعامٍ فابْعَثُوا بِهِ إلَيْهِ، وأمَرَ بِلِقْحَتِهِ أنْ يُغْدى عَلَيْهِ بِها ويُراحَ، فجَعَلَ لا يَقَعُ مِنْ ثُمامةَ مَوْقِعًا، ويَأْتِيهِ رَسُولُ الله ﷺ فيقُولُ: «أسْلِمْ يا ثُمامةُ»، فيقُولُ: إيْهًا يا مُحَمَّدُ، إنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذا دَمٍ، وإنْ تُرِدِ الفِداءَ فسَلْ ما شِئْتَ.

فمَكَثَ ما شاءَ الله أنْ يَمْكُثَ، ثُمَّ قالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا: «أَطْلِقُوا ثُمامةَ»، فلَمّا أَطْلَقُوهُ خَرَجَ حَتّى أتى البَقِيعَ، فتَطَهَّرَ فأَحْسَنَ طُهُورَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ فبايَعَ النَّبِيَّ ﷺ على الإسْلامِ، فلَمّا أَمْسى جاؤُوهُ بِما كانُوا يَأْتُونَهُ مِن الطَّعامِ، فلَمْ يَنَلْ مِنْهُ إلّا قَلِيلًا، وبِاللِّقْحةِ فلَمْ يُصِبْ مِنْ حِلابِها إلّا يَسِيرًا، فعَجِبَ المُسْلِمُونَ مِنْ ذلك، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ بَلَغَهُ ذلك: «مِمَّ تَعْجَبُونَ؟ أمِنْ رَجُلٍ أَكَلَ أَوَّلَ النَّهارِ في مِعى كافِرٍ، وأَكَلَ آخِرَ النَّهارِ في مِعى مُسْلِمٍ، إنَّ الكافِرَ يَأْكُلُ في سَبْعةِ أَمْعاءٍ، وإنَّ المُسْلِمَ يَأْكُلُ في مِعًى واحِدٍ».

[خُرُوجُهُ إلى مَكّةَ وقِصَّتُهُ مَعَ قُرَيْشٍ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: فبَلَغَنِي أَنَّهُ خَرَجَ مُعْتَمِرًا، حَتّى إذا كانَ بِبَطْنِ مَكّةَ لَبّى، فكانَ أَوَّلَ مَنْ دَخَلَ مَكّةَ يُلَبِّي، فأَخَذَتْهُ قُرَيْشٌ، فقالُوا: لَقَدِ اخْتَرْتَ علينا، فلَمّا قدَّموه لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ: دَعُوهُ فإنَّكُمْ تَحْتاجُونَ إلى اليَمامةِ لِطَعامِكُمْ، فخَلُّوهُ، فقالَ الحَنَفي في ذلك:

وَمِنّا الَّذي لَـبّى بِمَكّةَ مُعْلِنًا ... بِرَغْمِ أبي سُفيانَ في الأَشْهُرِ الحُرُم

وَحُدِّثْتُ أَنَّهُ قالَ لِرَسُولِ الله ﷺ حِينَ أَسْلَمَ: لَقَدْ كانَ وجْهُكَ أَبْغَضَ الوُجُوهِ إلَيَّ، ولَقَدْ أَصْبَحَ وهُوَ أَحَبُّ الوُجُوهِ إلَيَّ. وقالَ في الدِّينِ والبِلادِ مِثْلَ ذلك.

ثُمَّ خَرَجَ مُعْتَمِرًا، فلَمّا قَدِمَ مَكّةَ قالُوا: أَصَبَوْتَ يا ثُمامُ؟ فقالَ: لا، ولَكِنِّي اتَّبَعْتُ خَيْرَ الدِّينِ؛ دِينَ مُحَمَّدٍ، ولا والله لا تَصِلُ إلَيْكُمْ حَبّةٌ مِن اليَمامةِ حَتّى يَأْذَنَ فيها رَسُول الله ﷺ. ثُمَّ خَرَجَ إلى اليَمامةِ، فمَنَعَهُمْ أنْ يَحْمِلُوا إلى مَكّةَ شَيْئًا، فكَتَبُوا إلى رَسُولِ الله ﷺ: إنَّكَ تَأْمُرُ بِصِلةِ الرَّحِمِ، وإنَّكَ قَدْ

قَطَعْتَ أرْحامَنا وقَدْ قَتَلْتَ الآباءَ بِالسَّيْفِ، والأبناءَ بِالجُوْعِ. فكَتَبَ رَسُولُ الله ﷺ إلَيْهِ أنْ يُخَلِّيَ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ الحَمْلِ.

سَرِيَّةُ عَلْقَمةَ بنِ مُجَزِّزٍ

[سَبَبُ إرْسالِ عَلْقَمةَ]

وَبَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ عَلْقَمةَ بنَ مُجَزِّزٍ.

لمّا قُتِلَ وقّاصُ بنُ مُجَزِّزٍ المُدْلِجِيُّ يَوْمَ ذِي قَرَد، سَألَ عَلْقَمةُ بنُ مُجَزِّزٍ رَسُولَ الله ﷺ أنْ يَبْعَثَهُ في آثارِ القَوْمِ لِيُدْرِكَ ثَأْرَهُ فيهِمْ.

[دُعابةُ ابنِ حُذافةَ مَعَ جَيْشِهِ]

فَذَكَرَ عَبْدُ العَزيزِ بنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ عَمْرِو بنِ عَلْقَمةَ، عَنْ عَمْرِو ابنِ الحَكَمِ بنِ ثَوْبانَ، عَنْ أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قالَ: بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ عَلْقَمةَ بنَ مُجَزِّزٍ، قالَ أبو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ: وأنا فيهِمْ، حَتّى إذا بَلَغْنا رَأْسَ غَزاتِنا أوْ كُنّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، أذِنَ لِطائِفةٍ مِن الجَيْشِ، واسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ الله بنَ حُذافةَ السَّهْمِيَّ، وكانَ مِنْ أصْحابِ رَسُولِ الله ﷺ، وكانَتْ فيهِ دُعابةٌ، فلَمّا كانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ أوْقَدَ نارًا، ثُمَّ قالَ لِلْقَوْمِ: ألَيْسَ لِي عَلَيْكُمُ السَّمْعُ والطّاعةُ؟ قالُوا: بَلى، قالَ: أفَما أنا آمُرُكُمْ بِشَيْءٍ إلّا فعَلْتُمُوهُ؟ قالُوا: نَعَمْ، قالَ: فإنِّي أعْزِمُ عَلَيْكُمْ بِحَقِّي وطاعَتِي إلّا تَواثَبْتُمْ في هَذِهِ النّارِ، قالَ: فقامَ بَعْضُ القَوْمِ يَحْتَجِزُ، حَتّى ظَنَّ أنَّهُمْ واثِبُونَ فيها، فقالَ لَهُمُ: اجْلِسُوا؛ فإنَّما كُنْتُ أضْحَكُ مَعَكُمْ، فذُكِرَ ذلك لِرَسُولِ الله ﷺ بَعْدَ أنْ قَدِمُوا عَلَيْهِ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ أمَرَكُمْ بِمَعْصِيةٍ مِنْهُمْ فلا تُطِيعُوهُ».

وذَكَرَ مُحَمَّدُ بنُ طَلْحةَ أنَّ عَلْقمةَ بنَ مُجزِّزٍ رَجعَ هُوَ وأصْحابُهُ ولَمْ يَلْقَ كَيْدًا.

سَرِيّةُ كُرْزِ بنِ جابرٍ لِقَتْلِ البَجَلِيِّينَ الَّذينَ قَتَلُوا يَسارًا

[شَأْنُ يَسارٍ]

حَدَّثَني بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ طَلْحةَ، عَنْ عُثْمانَ ابنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قالَ: أصابَ رَسُولُ الله ﷺ في غَزْوةِ مُحارِبٍ وبَنِي ثَعْلَبةَ عَبْدًا يُقالُ لَهُ: يَسارٌ، فجَعَلَهُ رَسُولُ الله ﷺ في لِقاحٍ لَهُ كانَتْ تَرْعى في ناحِيةِ الجَمّاءِ، فقَدِمَ على رَسُولِ الله ﷺ نَفَرٌ مِنْ قَيْسِ كُبّةَ مِنْ بَجِيلةَ، فاسْتَوْبَؤوا وطُحِلُوا، فقالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: «لَوْ خَرَجْتُمْ إلى اللِّقاحِ فشَرِبْتُمْ مِنْ ألْبانِها وأبْوالِها»، فخَرَجُوا إلَيْها.

[قَتْلُ البَجَلِيِّينَ وتَنْكِيلُ الرَّسُولِ بِهِمْ]

فَلَمّا صَحُّوا وانْطَوَتْ بُطُونُهُمْ، عَدَوْا على راعِي رَسُولِ الله ﷺ يَسارٍ، فذَبَحُوهُ وغَرَزُوا الشَّوْكَ في عَيْنَيْهِ، واسْتاقُوا اللِّقاحَ، فبَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ في آثارِهِمْ كُرْزَ بنَ جابرٍ، فلَحِقَهُمْ، فأتى بِهِمْ رَسُولَ الله ﷺ مَرْجِعَهُ مِنْ غَزْوةِ ذِي قَرَد، فقَطَعَ أيْدِيَهُمْ وأرْجُلَهُمْ، وسَمَلَ أعْيُنَهُمْ.

غَزْوةُ عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ إلى اليَمَنِ

وَغَزْوةُ عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ رِضْوانُ الله عَلَيْهِ إلى اليَمَنِ، غَزاها مَرَّتَيْنِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: قالَ أبو عَمْرٍو المَدَنِيُّ: بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ عَلِيَّ بنَ أبي طالِبٍ إلى اليَمَنِ، وبَعَثَ خالِدَ بنَ الوَلِيدِ في جُنْدٍ آخَرَ، وقالَ: إنِ التَقَيْتُما فالأمِيرُ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ. وقَدْ ذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ بَعْثَ خالِدِ بنِ الوَلِيدِ في حَدِيثِهِ، ولَمْ يَذْكُرْهُ في عِدّةِ البُعُوثِ والسَّرايا، فينْبَغِي أنْ تَكُونَ العِدّةُ في قَوْلِهِ تِسْعةً وثَلاثِينَ.

بَعْثُ أُسامةَ بنِ زَيْدٍ إلى أرْضِ فِلَسْطِينَ وهُوَ آخِرُ البُعُوثِ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وبَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ أُسامةَ بنَ زَيْدِ بنِ حارِثةَ إلى الشّامِ، وأمَرَهُ أنّ يُوطِئَ الخَيْلَ تُخُومَ البَلْقاءِ والدّارومِ، مِنْ أرْضِ فِلَسْطِينَ، فتَجَهَّزَ النّاسُ، وأُوعِبَ مَعَ أُسامةَ المُهاجِرُونَ الأوَّلُونَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وهُوَ آخِرُ بَعْثٍ بَعَثَهُ رَسُولُ الله ﷺ.

وَذَكَرَ غَزْوةَ أبِي حَدْرَدٍ، واسْمُهُ: سلمةُ[١] بنُ عمير، وقيل: عبدُ بنُ عمير.

وَذَكَرَ قَتْلَ مُحَلِّمِ بنِ جَثّامةَ وَخَبَرَهُ، وفِي غَيْرِ رِوايةِ ابنِ إسْحاقَ أنّ مُحَلِّمَ ابنَ جَثّامةَ ماتَ بِحِمْصَ[٢] فِي إمارةِ ابنِ الزُّبَيْرِ، وأما الذي نزلتْ فيه الآية: ﴿لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ﴾ [النساء: ٩٤]، فالِاخْتِلافُ فِيهِ شَدِيدٌ، فَقَدْ قِيلَ: اسْمُهُ فُلَيْتٌ[٣]، وَقِيلَ: هُوَ مُحَلِّمٌ كَما تَقَدَّمَ. وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي المِقْدادِ بنِ عَمْرٍو،

(١) كذا، والذي في «أسد الغابة» (٢: ٤١٣)، (٦: ٦٩): «سلامة».

(٢) في (ب): «بالشام».

(٣) كذا في النسخ. والذي في «أسد الغابة» (٤: ٤١٠): «قليب».

وَقِيلَ: فِي أُسامةَ، وَقِيلَ: فِي أَبِي الدَّرْداءِ، واخْتُلِفَ أَيْضًا فِي المَقْتُولِ فَقِيلَ: مِرْداسُ بنُ نَهِيكٍ، وَقِيلَ: عامِرُ بن الأضْبَطِ، فاللهُ أَعْلَمُ. كُلُّ هَذا مَذْكُورٌ فِي التّفاسِيرِ والمُسْنَداتِ.

وَذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ ثُمامةَ بنَ أُثالٍ الحَنَفِيَّ وَإسْلامَهُ، وَقَدْ خرَّج أهلُ الصَّحيح[1] حديثَ إسلامه، وفيه أنه قالَ للنبيِّ ﷺ: إنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ على شاكِرٍ، وَإِنْ تُرِدِ المالَ تُعْطَهُ، فَقالَ عَلَيْهِ السّلامُ: «اللهُمّ أَكْلَةٌ مِنْ جَزُورٍ أَحَبُّ إِلَيّ مِنْ دَمِ ثُمامةَ»، فَأَطْلَقَهُ، فَتَطَهَّرَ وَأَسْلَمَ، وَحَسُنَ إِسْلامُهُ، وَنَفَعَ اللهُ بِهِ الإِسْلامَ كَثِيرًا، وَقامَ بَعْدَ وَفاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَقامًا حَمِيدًا حِينَ ارْتَدّتِ اليَمامةُ مَعَ مُسَيْلِمةَ، وَذَلِكَ أَنّهُ قامَ فِيهِمْ خَطِيبًا، وَقالَ: يا بَنِي حَنِيفةَ، أَيْنَ عَزَبَتْ عُقُولُكُمْ، بِسْمِ اللهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ: ﴿حمٓ * تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ * غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ [غافر: ١-٣]، أَيْنَ هَذا مِنْ: يا ضِفْدَعُ نِقِّي كَما تَنِقِّينَ، لا الشّرابَ تُكَدِّرِينَ، وَلا الماءَ تَمْنَعِينَ، مما كان يهذي به مُسيلِمة، فأطاعَهُ[2] منهم ثَلاثةُ آلافٍ، وانْحازُوا إلى المُسْلِمِينَ، فَفَتَّ ذَلِكَ فِي أَعْضادِ حَنِيفةَ.

وَذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ أَنّهُ الذي قالَ فيه النبيُّ ﷺ: «المؤمنُ يأكلُ فِي مِعًى واحِدٍ...» الحَدِيثَ[3]، وَقالَ: أَبُو عُبَيْدٍ هُوَ أَبُو بَصْرةَ الغِفارِيُّ[4]، وَفِي «مُسْنَدِ

---

(١) «فتح الباري»، كتاب المغازي: (٨: ٨٧)، ومسلم، كتاب الجهاد: (٣: ١٣٨٦).

(٢) في (ف): «وأطاعه».

(٣) «فتح الباري»، كتاب الأطعمة: (٩: ٥٣٦). وانظر ما ذكره ابن حجر: (٩: ٥٣٨)، ومسلم، كتاب الأشربة: (٣: ١٦٣١-١٦٣٢).

(٤) «غريب الحديث» (٣: ٢٣).

ابنِ أَبِي شَيْبَةَ» أنه جَهْجاهٌ الغِفارِيّ[١]، وَفِي «الدّلائِلِ» أنّ اسْمَهُ نَضْلةُ[٢]، وَقَدْ أَمْلَيْنا فِي [مَعْنى][٣] قَوْلِهِ: «يَأْكُلُ فِي سَبْعةِ أمْعاءٍ» نَحْوًا مِنْ كُرّاسةٍ رَدَدْنا فِيهِ قَوْلَ مَنْ قالَ: إنّهُ مَخْصُوصٌ بِرَجُلٍ واحِدٍ، وَبَيّنّا مَعْنى الأكْلِ والسّبْعةِ الأمْعاءِ، وَأنّ الحَدِيثَ وَرَدَ على سَبَبٍ خاصّ، وَلَكِنْ مَعْناهُ عامّ، وَأَتَيْنا فِي ذَلِكَ بِما فِيهِ شِفاءٌ والحَمْدُ لله. وَقَوْلُهُ فِي رِوايةِ البُخارِيّ: «ذا دَمٍ» رَواهُ أَبُو داوُدَ: «ذا ذِمٍّ»[٤] بِالذّالِ المُعْجَمةِ.

ما زادَهُ ابنُ هِشامٍ مِمّا لَمْ يَذْكُرْهُ ابنُ إسْحاقَ

وَذَكَرَ الشَّيْخُ الحافِظُ أَبُو بَحْرٍ سُفْيانُ بنُ العاصِي رَحِمَهُ اللهُ فِي هذا الموضع، قالَ: نَقَلْتُ مِنْ حاشِيةِ نُسْخةٍ[٥] مِنْ كِتابِ «السِّيرة»[٦] مَنْسُوبةٍ بِسَماعِ أَبِي سَعِيدٍ عَبْدِ الرَّحِيمِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ وَأخَويه مُحَمّدٍ وَأَحْمَدَ ابنَيْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ الرحيم ما هذا نصُّه:

وَجَدْتُ بِخَطِّ أخِي قَوْلَ ابنِ هِشامٍ: هَذا مِمّا لَمْ يَذْكُر ابنُ إسْحاقَ هُوَ غَلَطٌ مِنْهُ، قَدْ ذَكَرَهُ ابنُ إسْحاقَ عَنْ جَعْفَرِ بنِ عَمْرِو بنِ أُمَيّةَ، عَنْ عَمْرِو بنِ أُمَيّةَ فِيما حَدّثَ أَسَدٌ عَنْ يَحْيى بنِ زَكَرِيّا، عَن ابنِ إسْحاقَ، والقائِلُ فِي الحاشِيةِ: «وَجَدْتُ بِخَطِّ أخِي» هُوَ أَبُو بَكْرِ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ الرّحِيمِ.وَفِي الكِتابِ

---

(١) «مسند ابن أبي شيبة» (٢: ١٠٨)، وانظر الخبر في «تاريخ الطبري» (٢: ٥٤١-٥٤٢).

(٢) انظر: «فتح الباري» (٩: ٥٣٨)، ولم أقف عليه في «الدلائل» لقاسم بن ثابت.

(٣) ليس في (ب).

(٤) كذا ضبط في «السنن»، كتاب الجهاد: (٣: ٥٧)، بكسر الذال، وفُسّر الذِّم بالذمام والحرمة.

(٥) بعده في (ج): «بخط شيبة».

(٦) في (ب)، (ص): «السِّير».

المَذْكُورِ قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ المَذْكُورُ فِي غَزْوةِ الطَّائِفِ بَعْدَ قَوْلِهِ: فَوَلَدَتْ لَهُ داوُدَ بنَ أَبِي مُرّةَ[١]. إلى ههُنا انْتَهى سَماعِي مِنْ أخِي، وَما بَقِيَ مِنْ هَذا الكِتابِ سَمِعْتُهُ مِن ابنِ هِشامٍ نَفْسِهِ.

وذَكَرَ سَرِيّةَ عَمْرِو بنِ أُمَيّةَ وَحَلَّه لِخُبَيْبِ بنِ عَدِيٍّ مِنْ خَشَبَتِهِ الّتِي صُلِبَ فِيها، وَفِي «مُسْنَدِ ابنِ أبي شيبة» زيادةٌ حَسَنةٌ أنّهُما حِينَ حَلّاهُ مِن الخَشَبةِ التَقَمَتْهُ الأرْضُ[٢].

وذَكَرَ ابنُ هِشامٍ مَقْتَلَ العَصْماءِ بِنْتِ مَرْوانَ، وَفِي خَبَرِها قالَ ﷺ: «لا يَنْتَطِحُ فِيها عَنْزانِ»، وَكانَتْ تَسُبُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَتَلَها بَعْلُها على ذَلِكَ، فَقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اشْهَدُوا[٣] أنّ دَمَها هَدَرٌ». قال الدّارَقُطني: من هاهنا يقومُ أصْلُ التَّسْجيلِ فِي الفِقْهِ؛ لِأَنّهُ قَدْ أشْهَدَ على نَفْسِهِ بِإمْضاءِ الحُكْمِ[٤]، وَوَقَعَ فِي «مُصَنَّفِ حمادِ بنِ سلمةَ» أنّها كانتْ يهودية، وَكانَتْ تَطْرَحُ المَحايضَ[٥] فِي مَسْجِدِ بَنِي خطْمةَ، فَأهْدَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ دمَها، وقال: «لا ينتطحُ فيها عَنْزان».

* * *

(١) انظر «السيرة» فيما مضى: (٢: ٤٨٣).

(٢) «مسند ابن أبي شيبة» (٢: ٣٨٣)، رقم (٩٠٢) من حديث عمرو بن أمية رضي الله عنه. (ج)

(٣) في (ف): «أشهد».

(٤) «سنن الدارقطني»، كتاب الأقضية: (٤: ٢١٦-٢١٧).

(٥) المحايض: جمع مِحْيض، وهي خرقة دم الحيض.

ابْتِداءُ شَكْوى رَسُولِ الله ﷺ

[بَدْءُ الشَّكْوى]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فبَيْنا النّاسُ على ذلك ابْتُدِئَ رَسُول الله ﷺ بِشَكْوِه الَّذي قَبَضَهُ الله فيهِ، إلى ما أرادَ بِهِ مِنْ كَرامَتِهِ ورَحْمَتِهِ، في لَيالٍ بَقِينَ مِنْ صَفَرٍ، أوْ في أوَّلِ شَهْرِ رَبِيعٍ الأوَّلِ، فكانَ أوَّلَ ما ابْتُدِئَ بِهِ مِنْ ذلك، فيما ذُكِرَ لِي، أنَّهُ خَرَجَ إلى بَقِيعِ الغَرْقَدِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، فاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، ثُمَّ رَجَعَ إلى أهْلِهِ، فلَمّا أصْبَحَ ابْتُدِئَ بِوَجَعِهِ مِنْ يَوْمِهِ ذلك.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ عُمَرَ، عَنْ عُبَيْدِ بنِ جُبَيْرٍ، مَوْلى الحَكَمِ بن أبي العاصِ، عَنْ عَبْدِ الله بنِ عَمْرِو بنِ العاصِ، عَنْ أبي مُوَيْهِبَةَ مَوْلى رَسُولِ الله ﷺ، قالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ الله ﷺ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ فقالَ: «يا أبا مُوَيْهِبَةَ، إنِّي قَدْ أُمِرْتُ أنْ أسْتَغْفِرَ لِأهْلِ هذا البَقِيعِ، فانْطَلِقْ مَعِي»، فانْطَلَقْتُ مَعَهُ، فلَمّا وقَفَ بَيْنَ أظْهُرِهِمْ قالَ: «السَّلام عَلَيْكُم يا أهل المَقابِرِ، لِيَهْنِئْ لَكُمْ ما أصْبَحْتُمْ فيهِ مِمّا أصْبَحَ النّاسُ فيهِ، أقْبَلَت الفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، يَتْبَعُ آخِرُها أوَّلَها، الآخِرَةُ شَرٌّ مِن الأُولى».

ثُمَّ أقْبَلَ عَلَيَّ فقالَ: «يا أبا مُوَيْهِبَةَ، إنِّي قَدْ أُوتِيتُ مَفاتِيحَ خَزائِنِ الدُّنْيا والخُلْدَ فيها، ثُمَّ الجَنَّةَ، فخُيِّرْتُ بَيْنَ ذلك وبَيْنَ لِقاءِ رَبِّي والجَنَّةِ». قالَ: فقُلْتُ: بِأبي أنْتَ وأُمِّي، فخُذْ مَفاتِيحَ خَزائِنِ الدُّنْيا والخُلْدَ فيها، ثُمَّ الجَنَّةَ، قالَ: «لا

واللهِ يا أبا مُوَيْهِبَةَ، لَقَدِ اخْتَرْتُ لِقاءَ رَبِّي والجَنَّةَ». ثُمَّ اسْتَغْفَرَ لِأَهْلِ البَقِيعِ ثُمَّ انصَرَفَ، فبَدَأَ بِرَسُولِ الله ﷺ وجَعُهُ الَّذي قَبَضَهُ الله فيهِ.

[تَمْرِيضُهُ في بَيْتِ عائِشَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بنُ عُتْبَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ مُسْلِمٍ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ الله بنِ عَبْدِ الله بنِ عُتْبَةَ بنِ مَسْعُودٍ، عَنْ عائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قالَتْ: رَجَعَ رَسُولُ الله ﷺ مِن البَقِيعِ، فوَجَدَنِي وأنا أجِدُ صُداعًا في رَأْسِي، وأنا أَقُولُ: وا رأساه، فقالَ: «بَلْ أنا والله يا عائِشة وا رأساه». قالَتْ: ثُمَّ قالَ: «وما ضَرَّكِ لَوْ مُتِّ قَبْلِي، فقُمْتُ عَلَيْكِ وكَفَّنْتُكِ، وصَلَّيْتُ عَلَيْكِ ودَفَنْتُكِ؟» قالَتْ: قُلْتُ: والله لَكَأَنِّي بِكَ لَوْ قَدْ فعَلْتَ ذلك لَقَدْ رَجَعْتَ إلى بَيْتِي فأَعْرَسْتَ فيهِ بِبَعْضِ نِسائِكَ، قالَتْ: فتَبَسَّمَ رَسُولُ الله ﷺ، وتَتامَّ بِهِ وجَعُهُ، وهُوَ يَدُورُ على نِسائِهِ، حَتّى اسْتُعِزَّ بِهِ وهُوَ في بَيْتِ مَيْمُونَةَ، فدَعا نِساءَهُ فاسْتَأْذَنَهُنَّ في أنْ يُمَرَّضَ في بَيْتِي، فأذِنَّ لَهُ.

ذِكْرُ أزْواجِهِ ﷺ أُمَّهاتِ المُؤْمِنِينَ

[أَسْماؤُهُنَّ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وكُنَّ تِسْعًا: عائِشةُ بِنْتُ أبي بَكْرٍ، وحَفْصةُ بِنْتُ عُمَرَ ابنِ الخَطّابِ، وأُمُّ حَبِيبةَ بِنْتُ أبي سُفيانَ بنِ حَرْبٍ، وأُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أبي أُمَيَّةَ ابنِ المُغِيرةِ، وسَوْدةُ بِنْتُ زَمْعةَ بنِ قَيْسٍ، وزَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشِ بنِ رِئابٍ، ومَيْمُونةُ بِنْتُ الحارِثِ بنِ حَزْنٍ، وجُوَيْرِيةُ بِنْتُ الحارِثِ بنِ أبي ضِرارٍ، وصَفيةُ بِنْتُ حُيَيِّ بنِ أخْطَبَ؛ فيما حَدَّثَنِي غَيْرُ واحِدٍ مِنْ أهْلِ العِلْمِ.

[زَواجُهُ بِخَدِيجَةَ]

وَكانَ جَمِيعُ مَنْ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلاثَ عَشْرةَ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وهِيَ أَوَّلُ مَنْ تَزَوَّجَ، زَوَّجَهُ إيّاها أبوها خُوَيْلِدُ بنُ أَسَدٍ، ويُقالُ: أَخُوها عَمْرُو ابنُ خُوَيْلِدٍ، وأَصْدَقَها رَسُولُ اللهِ ﷺ عِشْرِينَ بَكْرةً، فوَلَدَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ولَدَهُ كُلَّهُمْ إلّا إبْراهِيمَ، وكانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ أبي هالةَ بنِ مالِكٍ، أَحَدِ بَنِي أُسَيِّدِ ابنِ عَمْرِو بنِ تَمِيمٍ، حَلِيفِ بَنِي عَبْدِ الدّارِ، فوَلَدَتْ لَهُ هِنْدَ بنَ أبي هالةَ، وزَيْنَبَ بِنْتَ أبي هالةَ، وكانَتْ قَبْلَ أبي هالةَ عِنْدَ عَتِيقِ بنِ عابِدِ بنِ عَبْدِ اللهِ ابنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ، فوَلَدَتْ لَهُ عَبْدَ اللهِ وجارِيةً.

قالَ ابنُ هِشامٍ: جارِيةٌ مِنَ الجَوارِي، تَزَوَّجَها صَيْفِي بنُ أبي رِفاعةَ.

[زَواجُهُ بِعائِشَةَ]

وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عائِشَةَ بِنْتَ أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ بِمَكَّةَ وهِيَ بِنْتُ سَبْعِ سِنِينَ، وبَنى بِها بِالمَدِينةِ وهِيَ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ أَوْ عَشْرٍ، ولَمْ يَتَزَوَّجْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكْرًا غَيْرَها، زَوَّجَهُ إيّاها أبوها أبو بَكْرٍ، وأَصْدَقَها رَسُولُ اللهِ ﷺ أربع مئة دِرْهَمٍ.

[زَواجُهُ بِسَوْدَةَ]

وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ بنِ قَيْسِ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بن عَبْدِ وُدِّ بنِ نَصْرِ بنِ مالِكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ، زَوَّجَهُ إيّاها سَلِيطُ ابنُ عَمْرٍو، ويُقالُ: أبو حاطِبِ بنُ عَمْرِو بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ وُدِّ بنِ نَصْرِ بنِ مالِكِ بنِ حِسْلٍ، وأَصْدَقَها رَسُولُ اللهِ ﷺ أربع مئة دِرْهَمٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ابنُ إسْحاقَ يُخالِفُ هذا الحَدِيثَ، يَذْكُرُ أَنَّ سَلِيطًا وأبا حاطِبٍ كانا غائِبَيْنِ بِأَرْضِ الحَبَشةِ في هذا الوَقْتِ.

وَكانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ السَّكْرانِ بنِ عَمْرِو بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ وُدِّ بنِ نَصْرِ بنِ مالِكِ بن حِسْلٍ.

[زَواجُهُ بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ]

وَتَزَوَّجَ رَسُولُ الله ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشِ بنِ رِئابٍ الأسَدِيّةَ.

زَوَّجَهُ إيّاها أخُوها أبو أحْمَدَ بنُ جَحْشٍ، وأصْدَقَها رَسُولُ الله ﷺ أربع مئة دِرْهَمٍ، وكانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ زَيْدِ بنِ حارِثَةَ، مَوْلى رَسُولِ الله ﷺ، ففيها أنزَلَ الله تَبارَكَ وتَعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

[زَواجُهُ بِأُمِّ سَلَمَةَ]

وَتَزَوَّجَ رَسُولُ الله ﷺ أُمَّ سَلَمَةَ بِنْتَ أبي أُمَيّةَ بنِ المُغِيرةِ المَخْزُومِيّةَ، واسْمُها هِنْدُ، زَوَّجَهُ إيّاها سَلَمةُ بنُ أبي سَلَمَةَ ابنُها، وأصْدَقَها رَسُولُ الله ﷺ فِراشًا حَشْوُهُ لِيفٌ، وقَدَحًا، وصَحْفةً، ومِجَشّةً، وكانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ أبي سَلَمةَ ابنِ عَبْدِ الأسَدِ، واسْمُهُ عَبْدُ الله، فوَلَدَتْ لَهُ سَلَمةَ وعُمَرَ وزَيْنَبَ ورُقَيّةَ.

[زَواجُهُ بِحَفْصةَ]

وَتَزَوَّجَ رَسُولُ الله ﷺ حَفْصةَ بِنْتَ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ، زَوَّجَهُ إيّاها أبوها عُمَرُ بنُ الخَطّابِ، وأصْدَقَها رَسُولُ الله ﷺ أربع مئة دِرْهَمٍ، وكانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ خُنَيْسِ بنِ حُذافةَ السَّهْمِيِّ.

[زَواجُهُ بِأُمِّ حَبِيبَةَ]

وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُمَّ حَبِيبَةَ، واسْمُها رَمْلَةُ بِنْتُ أبي سُفيانَ بنِ حَرْبٍ، زَوَّجَهُ إيّاها خالِدُ بنُ سَعِيدِ بنِ العاصِ، وهُما بِأَرْضِ الحَبَشَةِ، وأَصْدَقَها النَّجاشِيُّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أربع مئة دِينارٍ، وهُوَ الَّذي كانَ خَطَبَها على رَسُولِ اللهِ ﷺ، وكانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ عُبَيْدِ اللهِ بنِ جَحْشٍ الأَسَدِيِّ.

[زَواجُهُ بِجُوَيْرِيَةَ]

وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جُوَيْرِيَةَ بِنْتَ الحارِثِ بنِ أبي ضِرارٍ الخُزاعِيَّةَ، كانَتْ في سَبايا بَنِي المُصْطَلِقِ مِنْ خُزاعةَ، فوَقَعَتْ في السَّهْمِ لِثابِتِ بنِ قَيْسِ ابنِ الشَّمّاسِ الأنْصارِيِّ، فكاتَبَها على نَفْسِها، فأتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَسْتَعِينُهُ في كِتابَتِها. فقالَ لَها: «هَلْ لَكِ في خَيْرٍ مِنْ ذلك؟» قالَتْ: وما هُوَ؟ قالَ: «أَقْضِي عَنْكِ كِتابَتَكِ وأتَزَوَّجُكِ؟» فقالَتْ: نَعَمْ، فتَزَوَّجَها.

قالَ ابنُ هِشامٍ: حَدَّثَنا بِهذا الحَدِيثِ زِيادُ بنُ عَبْدِ اللهِ البَكّائِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ إسْحاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ جَعْفَرِ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوةَ، عَنْ عائِشَةَ.
قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: لمّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ غَزْوةِ بَنِي المُصْطَلِقِ، ومَعَهُ جُوَيْرِيةُ بِنْتُ الحارِثِ، فكانَ بِذاتِ الجَيْشِ، دَفَعَ جُوَيْرِيَةَ إلى رَجُلٍ مِن الأنْصارِ وَدِيعةً، وأمَرَهُ بِالِاحْتِفاظِ بِها، وقَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينَةَ، فأَقْبَلَ أبوها الحارِثُ بنُ أبي ضِرارٍ بِفِداءِ ابنَتِهِ، فلَمّا كانَ بِالعَقِيقِ نَظَرَ إلى الإبِلِ الَّتي جاءَ بِها لِلْفِداءِ، فرَغِبَ في بَعِيرَيْنِ مِنْها، فغَيَّبَهُما في شِعْبٍ مِنْ شِعابِ العَقِيقِ، ثُمَّ أتى النَّبِيَّ ﷺ، فقالَ: يا مُحَمَّدُ، أَصَبْتُمُ ابنَتِي، وهذا فِداؤُها، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فأَيْنَ البَعِيرانِ اللَّذانِ غَيَّبْتَ بِالعَقِيقِ في شِعْبِ كَذا وكَذا؟»

فقالَ الحارِثُ: أَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلّا الله، وأنَّكَ رَسُولُ الله، صَلّى الله عَلَيْك، فوالله ما اطَّلَعَ على ذلك إلّا الله تَعالى. فأسْلَمَ الحارِثُ، وأسْلَمَ مَعَهُ ابنانِ لَهُ وناسٌ مِنْ قَوْمِهِ، وأرْسَلَ إلى البَعِيرَيْنِ فجاءَ بِهِما، فدَفَعَ الإبِلَ إلى النَّبِيِّ ﷺ، ودُفِعَتْ إلَيْهِ ابنَتُهُ جُوَيرِيةُ، فأسْلَمَتْ وحَسُنَ إسْلامُها، وخَطَبَها رَسُولُ الله ﷺ إلى أبيها، فزَوَّجَهُ إيّاها، وأصْدقها أربع مئة دِرْهَمٍ، وكانَتْ قَبْلَ رَسُولِ الله ﷺ عِنْدَ ابنِ عَمٍّ لَها يُقالُ لَهُ: عَبْدُ الله.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: اشْتَراها رَسُولُ الله ﷺ مِنْ ثابِتِ بنِ قَيْسٍ، فأعْتَقَها وتَزَوَّجَها، وأصْدقها أربع مئة دِرْهَمٍ.

[زَواجُهُ بِصَفيةَ]

وَتَزَوَّجَ رَسُولُ الله ﷺ صَفيةَ بِنْتَ حُيَيِّ بنِ أَخْطَبَ، سَباها مِنْ خَيْبَرَ، فاصْطَفاها لِنَفْسِهِ، وأوْلَمَ رَسُولُ الله ﷺ ولِيمةً ما فيها شَحْمٌ ولا لَحْمٌ، كانَ سَوِيقًا وتَمْرًا، وكانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ كِنانةَ بنِ الرَّبِيعِ بنِ أبي الحُقَيْقِ.

[زَواجُهُ بِمَيْمُونةَ]

وَتَزَوَّجَ رَسُولُ الله ﷺ مَيْمُونةَ بِنْتَ الحارِثِ بنِ حَزْنِ بنِ بَجِيرِ بن هُزَمَ ابنِ رُوَيْبةَ بنِ عَبْدِ الله بنِ هِلالِ بنِ عامِرِ بنِ صَعْصَعةَ، زَوَّجَهُ إيّاها العَبّاسُ ابن عَبْدِ المُطَّلِبِ، وأصْدَقَها العَبّاسُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أربع مئة دِرْهَمٍ، وكانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ أبي رُهْمِ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ أبي قَيْسِ بنِ عَبْدِ وُدِّ بنِ نَصْرِ ابن مالِكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ، ويُقالُ: إنَّها الَّتِي وهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِيِّ ﷺ، وذلك أنَّ خِطْبةَ النَّبِيِّ ﷺ انْتَهَتْ إلَيْها وهِيَ على بَعِيرِها، فقالَتِ:

البَعِيرُ وما عَلَيْهِ للهِ ولِرَسُولِهِ. فأنْزَلَ اللهُ تَبارَكَ وتَعالى: ﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

وَيُقالُ: إنَّ الَّتِي وهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِيِّ ﷺ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ.

وَيُقالُ: أُمُّ شَرِيكٍ، غَزِيَّةُ بِنْتُ جابِرِ بن وهْبٍ، مِنْ بَنِي مُنْقِذِ بنِ عَمْرِو ابنِ مَعِيصِ بن عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ.

ويُقالُ: بَلْ هِيَ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي سامةَ بنِ لُؤَيٍّ، فأرْجَأها رَسُولُ اللهِ ﷺ.

[زَواجُهُ بزَيْنَبَ بِنْتَ خُزَيْمةَ]

وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ خُزَيْمةَ بنِ الحارِثِ بن عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ هِلالِ بنِ عامِرِ بنِ صَعْصَعةَ، وكانَتْ تُسْمى أُمَّ المَساكِينِ؛ لِرَحْمَتِها إيّاهُمْ، ورِقَّتِها عَلَيْهِمْ، زَوَّجَهُ إيّاها قَبِيصةُ بنُ عَمْرٍو الهِلالِيُّ، وأصْدَقَها رَسُولُ اللهِ ﷺ أربع مئة دِرْهَمٍ، وكانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ عُبَيْدَةَ ابن الحارِثِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ، وكانَتْ قَبلَ عُبَيْدةَ عِنْدَ جَهْمِ ابنِ عَمْرِو بن الحارِثِ، وهُوَ ابنُ عَمِّها.

[عِدَّتُهُنَّ وشَأْنُ الرَّسُول مَعَهُنَّ]

فهؤلاء اللّاتِي بَنى بِهِنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ إحْدى عَشْرةَ، فماتَ قَبْلَهُ مِنْهُنَّ ثِنْتانِ: خَدِيجةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وزَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمةَ. وتُوُفِّي عَنْ تِسْعٍ قَدْ ذَكَرْناهُنَّ فِي أوَّلِ هذا الحَدِيثِ، وثِنْتانِ لَمْ يَدْخُلْ بِهِما: أَسَماءُ بِنْتُ النُّعْمانِ الكِنْدِيّةُ، تَزَوَّجَها فوَجَدَ بِها بَياضًا، فمَتَّعَها ورَدَّها إلى أهْلِها، وعَمْرةُ بِنْتُ يَزِيدَ الكِلابِيّةُ، وكانَتْ حَدِيثَةَ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، فلَمّا قَدِمَتْ على رَسُولِ اللهِ ﷺ اسْتَعاذَتْ مِنْ

رَسُولِ الله ﷺ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنِيعٌ عائِذُ الله»، فرَدَّها إلى أهْلِها، ويُقالُ: إنَّ الَّتِي اسْتَعاذَتْ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ كِنْدِيّة بِنْتُ عَمٍّ لِأَسْماءَ بِنْتِ النُّعْمانِ، ويُقالُ: إنَّ رَسُولَ الله ﷺ دَعاها، فقالَتْ: إنّا قَوْمٌ نُؤْتى ولا نَأْتِي، فرَدَّها رَسُولُ الله ﷺ إلى أهْلِها.

[تَسْمِيةُ القُرَشِيّاتِ مِنْهُنَّ]

القُرَشِيّاتُ مِنْ أزْواجِ النَّبِيِّ ﷺ سِتٌّ: خَدِيجةُ بِنْتُ خُوَيْلِدِ بنِ أسَدِ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ قُصَيِّ بنِ كِلابِ بنِ مُرّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ، وعائِشَةُ بِنْتُ أبي بَكْرِ بنِ أبي قُحافةَ بنِ عامِرِ بنِ عَمْرِو بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ تَيْمِ بنِ مُرّةَ بن كَعْبِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غالِبٍ، وحَفْصةُ بِنْتُ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ بنِ نُفيلِ ابنِ عَبْدِ العُزّى بنِ عَبْدِ الله بنِ قُرْطِ بنِ رِياحِ بنِ رَزاحِ بنِ عَدِيِّ بنِ كَعْبِ ابنِ لُؤَيٍّ، وأُمُّ حَبِيبةَ بِنْتُ أبي سُفيانَ بنِ حَرْبِ بنِ أُمَيّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ قُصَيِّ بن كِلابِ بنِ مُرّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ، وأُمُّ سَلَمةَ بِنْتُ أبي أُمَيّةَ بنِ المُغِيرةِ بنِ عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومِ بنِ يَقَظَةَ بنِ مُرّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ، وسَوْدةُ بِنْتُ زَمْعةَ بنِ قَيْسِ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ وُدٍّ بنِ نَصْرِ بنِ مالِكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ.

[تَسْمِيةُ العَرَبِيّاتِ وغَيْرِهِنَّ]

والعَرَبِيّاتُ وغَيْرُهُنَّ سَبْعٌ: زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشِ بنِ رِئابِ بنِ يَعْمُرَ بنِ صَبِرةَ بن مُرّةَ بنِ كَبِيرِ بنِ غَنْمِ بنِ دُودانَ بنِ أسَدِ بنِ خُزَيْمةَ، ومَيْمُونةُ بِنْتُ الحارِثِ بن حَزْنِ بنِ بَجِيرِ بنِ هُزَمَ بنِ رُوَيْبةَ بنِ عَبْدِ الله بنِ هِلالِ بنِ عامِرِ ابنِ صَعْصَعةَ بنِ مُعاوِيةَ بنِ بَكْرِ بنِ هَوازِنَ بنِ مَنْصُورِ بنِ عِكْرِمةَ بنِ

خَصَفةَ بن قَيْسِ بنِ عَيْلانَ، وزَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمةَ بنِ الحارِثِ بنِ عَبْدِ الله ابنِ عَمْرِو بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ هِلالِ بنِ عامِرِ بن صَعْصَعةَ بنِ مُعاوِيةَ، وجُوَيْرِيةُ بِنْتُ الحارِثِ بنِ أبي ضِرارٍ الخُزاعِيّةُ، ثُمَّ المُصْطَلِقِيّةُ، وأَسْماءُ بِنْتُ النُّعْمانِ الكِنْدِيّةُ، وعَمْرةُ بِنْتُ يَزِيدَ الكِلابِيّةُ.

[غَيْرُ العَرَبِيّاتِ]

وَمِنْ غَيْرِ العَرَبِيّاتِ: صَفيةُ بِنْتُ حُيَيِّ بنِ أَخْطَبَ، مِنْ بَنِي النَّضِيرِ.

ذِكرُ أزواجِ النبيِّ ﷺ

قَدْ[1] تَقدّمَ فِي مَواضِعَ مِنَ الكِتابِ نُبَذٌ كافِيةٌ مِن التَّعْرِيفِ بِهِنّ، وَذَكَرَ ههُنا خَدِيجةَ، وَأنّها كانَتْ عِنْدَ أبِي هالةَ، وَكانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ عَتِيقِ بنِ عائِذٍ، قالَ ابنُ أبِي خَيْثَمةَ[2]: وَلَدَتْ لِعَتيق عَبْدَ مَنافٍ، وَكانَ اسْمُ أبِي هالةَ هِنْدَ بنَ زُرارةَ ابنِ النّبّاشِ، وَقِيلَ: بَلْ أبُو هالةَ هُوَ زُرارةُ، وابنُهُ هِنْدٌ، ماتَ هِنْدٌ في طاعونِ البصرة.

وَمِمّا نَزِيدُهُ هُنا فِي ذِكْرِ عائِشةَ، أنّها كانَتْ تُكَنّى أُمَّ عَبْدِ الله، رَوى ابنُ الأعْرابِيّ[3] فِي «المُعْجَمِ» حَدِيثًا مَرْفُوعًا: أنّها أسْقَطَتْ جَنِينًا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ

---

(١) في (ف): «وقد».

(٢) هو أبو بكر أحمد بن زهير بن حرب البغدادي، صاحب «التاريخ الكبير»، الكثير الفائدة، كان ابن أبي خيثمة ثقةً مأمونًا، توفي سنة (٢٧٩هـ). انظر: «فهرسة ابن خير» (ص: ٢٠٦)، و«سير أعلام النبلاء» (١١: ٤٩٢)، و«النهاية في طبقات القراء» (١: ٥٤).

(٣) هو أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد، الإمام المحدث، نزيل مكة. ولد سنة نيف وأربعين ومئتين، ألّف عن شيوخه معجمًا كبيرًا، وتوفي بمكة سنة (٣٤٠هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (ص: ٤٠٧).

فَسُمِّيَ عَبْدَ اللهِ، فَكانَتْ تُكَنّى بِهِ، وَهَذا الحَدِيثُ يَدُورُ على داوُدَ بنِ المُحَبَّرِ، وَهُوَ ضَعِيفٌ، وَأَصَحُّ مِنْهُ حَدِيثُ أَبِي داوُدَ أَنّ رسولَ الله ﷺ قالَ لَها: «تكَنَّي بِابنِ أُخْتِكِ عَبْدِ اللهِ بن الزُّبير»، ويُروى: «بِابنِكِ عَبْدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ»[١]؛ لِأَنّها كانَتْ قَدِ اسْتَوْهَبَتْهُ مِنْ أَبَوَيْهِ، فَكانَ فِي حَجْرِها يدعوها أُمًّا، ذَكَرَهُ ابنُ إسْحاقَ [في روايةِ يُونس][٢] وَغَيْره.

وَأَصَحُّ ما رُوِيَ فِي فَضْلِها على النِّساءِ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السّلامُ: «فَضْلُ عائِشَةَ على النِّساءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ على الطّعام[٣]»[٤]، وَأَرادَ الثَّرِيدَ بِاللّحْمِ[٥]، كَذلك رَواهُ مَعْمَرٌ[٦] فِي «جامِعِهِ» مُفَسَّرًا عَنْ قَتادةَ، وَأَبانُ يَرْفَعُهُ، فَقالَ فِيهِ: «كَفَضْلِ الثّرِيدِ باللّحْمِ»، وَوَجْهُ التَّفْضِيلِ مِنْ هَذا الحَدِيثِ أَنّهُ قالَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ: «سَيِّدُ أُدمِ الدُّنْيا والآخِرةِ اللّحْمُ»، مَعَ أَنّ الثّرِيدَ إذا أُطْلِقَ لَفْظُهُ فَهُوَ ثَرِيدُ اللّحْمِ[٧]، وَأَنْشَدَ سِيبَوَيْهِ[٨]: [من الوافر]

إذا ما الخُبْزُ تأدِمُهُ بلحمٍ فذاكَ أمانةَ اللهِ الثّرِيدُ

وَلَوْلا ما تَقَدّمَ مِن الحَدِيثِ المُخَصّصِ لِخَدِيجةَ بِالفَضْلِ عَلَيْها حَيْثُ قالَ:

---

(١) «سنن أبي داود»، كتاب الأدب: (٤: ٢٩٣).

(٢) عن (ص).

(٣) في (ف): «على سائر الطعام».

(٤) أخرجه الشيخان في كتاب الصحابة، «فتح الباري» (٧: ١٠٦)، ومسلم: (٤: ١٨٨٧).

(٥) في (ب)، (ج): «وأراد بالثرد اللحم».

(٦) بل هو حديث متفق عليه ـ كما قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢: ١٤٤) ـ رواه البخاري حديث رقم ٣٧٧٠)، ورواه مسلم حديث (٢٤٤٦)، والترمذي (٣٨٨٧).

(٧) في (ص): «الثريد باللحم».

(٨) «الكتاب» (٣: ٦١).

«واللهِ ما أبْدَلَنِي اللهُ خَيْرًا مِنْها»[١] لَقُلْنا بتَفْضِيلِها على خَدِيجةَ، وَعلى نِساءِ العالَمِينَ، وَكَذلِكَ القَوْلُ فِي مَرْيَمَ الصِّدِّيقةِ، فَإنّها عِنْدَ كَثِيرٍ مِن العُلَماءِ نَبيّةٌ نزَلَ عَلَيْها جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السّلامُ بِالوَحْيِ، وَلا يُفَضَّلُ على الأنْبياءِ غَيْرُهُمْ، وَمَنْ قالَ: لَمْ تكُنْ نَبيّةً، وَجَعَلَ قوله تعالى: ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢] مَخْصُوصًا بِعالَمِ زَمانِها، [فَمِنْ قَوْلِهِ: إنّ عائِشةَ وَخَدِيجةَ أفضَلُ مِنْها، وَكَذلِكَ يَقُولُونَ فِي سائِرِ أزْواجِ النَّبيِّ ﷺ: إنّهنّ أفضلُ نساءِ العالَمين][٢]، وَنَزَعُوا فِي تَصْحِيحِ هَذا المَذْهَبِ بِما يَطُولُ ذِكْرُهُ، واللهُ أعْلَمُ[٣].

وَذَكَرَ أُمَّ سَلَمةَ، وَأنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أصدقَها مِجَشّة، وهي الرَّحى. ومنه سُمِّيَ الجَشِيشُ. وَذَكَرَ مَعَ المِجَشّةِ أشْياءَ لا تُعْرَفُ قِيمَتُها، [مِنْها][٤] جَفْنَةٌ وَفِراشٌ. وَفِي «مُسْنَدِ البزّارِ» ذِكْرُ قِيمَتِها، قالَ أنَسٌ: أصْدَقَها مَتاعًا قِيمَتُهُ عَشَرةُ دَراهِم، قالَ البَزّارُ: وَيُرْوى أرْبَعُونَ درهمًا[٥].

وَذَكَرَ جُوَيْرِيةَ بِنْتَ الحارِثِ بنِ أبِي ضِرارٍ، وكانتْ قبلَهُ عندَ مُسافِعِ بنِ صَفْوانَ الخُزاعِيِّ وَقالَ: أسْلَمَ الحارِثُ، وَأسْلَمَ ابناهُ، وَلَمْ يُسَمِّهِما، وَهُما الحارِثُ بنُ الحارِثِ وَعَمْرُو بنُ الحارث، ذكرهُ البُخاري[٦].

---

(١) انظر: (٢: ٣٧١).

(٢) سقط من (ب).

(٣) بعده في (ب)، (ج): «وفي مسند البزار أن رسول الله ﷺ قال في فاطمة: هي سيدة نساء أهل الجنة». ولم أجده في «كشف الأستار»، ولا في «مجمع الزوائد» منسوبًا إلى البزار، فالله أعلم.

(٤) ليس في (ب).

(٥) «كشف الأستار عن زوائد البزار»، كتاب النكاح: (٢: ١٦١).

(٦) «فتح الباري»، كتاب التوحيد: (٣: ٤٠٣-٤٠٤).

وَذَكَرَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، وَأَنَّ أخاها أبا أحْمَدَ هُوَ الّذِي أنْكَحَها مِن النبيِّ ﷺ، وَهَذا خِلافُ ما ثَبَتَ فِي الحَدِيثِ أنّها كانَتْ تَفْخَرُ على صَواحِبها وَتَقُولُ: «زَوَّجكُنّ أهْلُوكُنّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وزَوَّجَنِي رَبُّ العالَمِينَ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَواتٍ»[١]، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ أنّه لمّا نزلت الآية: ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧] قامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَدَخَلَ عَلَيْها بِغَيْرِ إذْنٍ[٢].

وَلَمْ يَذْكُرِ ابنُ إسْحاقَ فِي أزْواجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَرافِ بِنْتَ خَلِيفةَ أُخْتَ دِحْيةَ بنِ خَلِيفةَ [الكَلْبِيّ][٣]، وَذَكَرَها غَيْرُهُ، وَلَمْ تَقُمْ عِنْدَهُ إلّا يَسِيرًا حَتّى ماتَتْ[٤]، وَكَذَلِكَ العالِيةُ بِنْتُ ظَبْيانَ ذَكَرَها غَيْرُهُ فِي أزْواجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ[٥]. وَكَذَلِكَ وَسْناءُ بِنْتُ الصَّلْتِ، تَزَوّجَها ثُمّ خَلّى سَبِيلَها، وَيُقالُ فِيها: سَناءُ بِنْتُ أسْماءَ بنِ الصّلْتِ[٦]. وَمِنْهُنّ أسْماءُ بِنْتُ النُّعْمانِ بنِ الجَوْنِ الكِنْدِيّةُ، اتّفَقُوا على تَزْوِيجِ رسولِ الله ﷺ إيّاها، واخْتَلَفُوا فِي سببِ فراقِ النبيِّ ﷺ لها. وكذلك [قيل في شرافِ بنتِ خَلِيفةَ: إنّها هَلَكَتْ قَبْلَ أنْ يَدْخُلَ بِها، فاللهُ أعْلَمُ.

وَذَكَرَ][٧] خَوْلَةَ، وَيُقالُ فِيها: خُوَيْلَةُ، ذُكِرَتْ فِيمَنْ تَزَوَّجها النّبِيُّ ﷺ،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٣: ١٩٥-١٩٦)، ومسلم والنسائي في كتاب النكاح، مسلم: (٢: ١٠٤٨-١٠٤٩)، والنسائي: (٦: ٧٩).

(٢) «أسد الغابة» (٧: ١٦١)، وقال: «ولم يدخل بها فيما قيل».

(٣) ليس في (ب).

(٤) «أسد الغابة» (٧: ١٨٨).

(٥) «أسد الغابة» (٧: ١٥٣).

(٦) «أسد الغابة» (٧: ١٧).

(٧) سقط من (ب).

وَيُقالُ[١]: هِيَ الّتِي وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنّبِيِّ ﷺ[٢].

تَمْرِيضُ رَسُولِ اللهِ في بَيْتِ عائِشَةَ

[مَجِيئُهُ إلى بَيْتِ عائِشَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بنُ عُتْبَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ مُسْلِمٍ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُتْبَةَ، عَنْ عائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قالَتْ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَمْشِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِهِ: أَحَدُهُما الفَضْلُ بنُ العَبّاسِ، ورَجُلٌ آخَرُ، عاصِبًا رَأْسَهُ، تَخُطُّ قَدَماهُ، حَتّى دَخَلَ بَيْتِي.

قالَ عُبَيْدُ اللهِ: فحَدَّثْتُ هذا الحَدِيثَ عَبْدَ اللهِ بنَ العَبّاسِ، فقالَ: هَلْ تَدْرِي مَنِ الرَّجُلُ الآخَرُ؟ قالَ: قُلْتُ: لا؟ قالَ: عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ.

[شِدّةُ المَرَضِ وصَبُّ الماءِ عَلَيْهِ]

ثُمَّ غُمِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، واشْتَدَّ بِهِ وجَعُهُ، فقالَ: «هَرِيقُوا عَلَيَّ سَبْعَ قِرَبٍ مِنْ آبارٍ شَتّى حَتّى أَخْرُجَ إلى النّاسِ فأَعْهَدَ إلَيْهِمْ». قالَتْ: فأَقْعَدْناهُ في مِخْضَبٍ لِحَفْصةَ بِنْتِ عُمَرَ، ثُمَّ صَبَبنا عَلَيْهِ الماءَ حَتّى طَفِقَ يَقُولُ: «حَسْبُكُمْ حَسْبُكُمْ».

[كَلِمةٌ لِلنَّبِيِّ واخْتِصاصُهُ أبا بَكْرٍ بِالذِّكْرِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ الزُّهْرِيُّ: حَدَّثَنِي أَيُّوبُ بنُ بَشِيرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ

---

(١) بعده في (ف): «فيها».

(٢) لم أجد ذكرًا لخولة فيما طبع من «السيرة»، وانظر «أسد الغابة» (٧: ٩٣).

خَرَجَ عاصِبًا رَأْسَهُ حَتّى جَلَسَ على المِنْبَرِ، ثُمَّ كانَ أَوَّلَ ما تَكَلَّمَ بِهِ أَنَّهُ صَلّى على أَصْحابِ أُحُدٍ، واسْتَغْفَرَ لَهُمْ، فأَكْثَرَ الصَّلاةَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قالَ: «إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبادِ الله خَيَّرَهُ الله بَيْنَ الدُّنْيا وبَيْنَ ما عِنْدَهُ، فاخْتارَ ما عِنْدَ الله». قالَ: ففَهِمَها أبو بَكْرٍ، وعَرَفَ أَنَّ نَفْسَهُ يُرِيدُ، فبَكى وقالَ: بَلْ نَحْنُ نَفْدِيكَ بِأَنْفُسِنا وأبنائِنا، فقالَ: «على رِسْلِكَ يا أبا بَكْرٍ»، ثُمَّ قالَ: «انْظُرُوا هَذِهِ الأَبْوابَ اللّافِظَةَ في المَسْجِدِ، فسُدُّوها إِلّا بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ؛ فإِنِّي لا أَعْلَمُ أَحَدًا كانَ أَفْضَلَ في الصُّحْبَةِ عِنْدِي يَدًا مِنْهُ». قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُرْوى: «إِلّا بابَ أَبِي بَكْرٍ».

قالَ ابنُ إِسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَبْدِ الله، عَنْ بَعْضِ آلِ أَبِي سَعِيدِ بن المُعلّى: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ يَوْمَئِذٍ في كَلامِهِ هذا: «فإِنِّي لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِن العِبادِ خَلِيلًا لاتَّخَذْتُ أبا بَكْرٍ خَلِيلًا، ولَكِنْ صُحْبَةٌ وإِخاءُ إِيمانٍ حَتّى يَجْمَعَ الله بَيْنَنا عِنْدَهُ».

[أَمْرُ الرَّسُولِ بِإِنْفاذِ بَعْثِ أُسامَةَ]

وَقالَ ابنُ إِسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ وغَيْرِهِ مِن العُلَماءِ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ اسْتَبْطَأَ النّاسَ في بَعْثِ أُسامَةَ ابنِ زَيْدٍ وهُوَ في وجَعِهِ، فخَرَجَ عاصِبًا رَأْسَهُ حَتّى جَلَسَ على المِنْبَرِ، وقَدْ كانَ النّاسُ قالُوا في إِمْرَةِ أُسامَةَ: أَمَّرَ غُلامًا حَدَثًا على جِلّةِ المُهاجِرِينَ والأَنْصارِ، فَحَمِدَ الله وأَثْنى عَلَيْهِ بِما هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ قالَ: «أَيُّها النّاسُ، أَنْفِذُوا بَعْثَ أُسامَةَ، فلَعَمْرِي لَئِنْ قُلْتُمْ في إِمارَتِهِ لَقَدْ قُلْتُمْ في إِمارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ، وإِنَّهُ لَخَلِيقٌ لِلْإِمارَةِ، وإِنْ كانَ أَبُوهُ لَخَلِيقًا لَها». قالَ: ثُمَّ نَزَلَ

رَسُولُ الله ﷺ، وانْكَمَشَ النّاسُ في جَهازِهِمْ، واستعزّ بِرَسُولِ الله ﷺ وجَعُهُ، فخَرَجَ أُسامةُ وخَرَجَ جَيْشُهُ مَعَهُ حَتّى نَزَلُوا الجُرْفَ، مِن المَدِينةِ على فرْسَخٍ، فضَرَبَ بِهِ عَسْكَرَهُ، وتَتامَّ إلَيْهِ النّاسُ، وثَقُلَ رَسُولُ الله ﷺ، فأقامَ أُسامةُ والنّاسُ لِيَنْظُرُوا ما الله قاضٍ في رَسُولِ الله ﷺ.

[وَصِيّةُ الرَّسُولِ بِالأنْصارِ]

وَقالَ ابنُ إسْحاقَ: قالَ الزُّهْرِيُّ: وحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ كَعْبِ بنِ مالِكٍ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ يَوْمَ صَلّى واسْتَغْفَرَ لِأَصْحابِ أُحُدٍ، وذَكَرَ مِنْ أمْرِهِمْ ما ذَكَرَ مَعَ مَقالَتِهِ يَوْمئِذٍ: «يا مَعْشَرَ المُهاجِرِينَ، اسْتَوْصُوا بِالأنْصارِ خَيْرًا؛ فإنَّ النّاسَ يَزِيدُونَ، وإنَّ الأنْصارَ على هَيْئَتِها لا تَزِيدُ، وإنَّهُمْ كانُوا عَيْبَتِي الَّتِي أوَيْتُ إلَيْها، فأحْسِنُوا إلى مُحْسِنِهِمْ، وتَجاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ».

قالَ عَبْدُ الله: ثُمَّ نَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ فدَخَلَ بَيْتَهُ، وتَتامَّ بِهِ وجَعُهُ، حَتّى غُمِرَ.

[شَأْنُ اللَّدُودِ]

قالَ عَبْدُ الله: فاجْتَمَعَ إلَيْهِ نِساءٌ مِنْ نِسائِهِ: أُمُّ سَلَمَةَ، ومَيْمُونَةُ، ونِساءٌ مِنْ نِساءِ المُسْلِمِينَ، مِنْهُنَّ أسماءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، وعِنْدَهُ العَبّاسُ عَمُّهُ، فأجْمَعُوا أنْ يَلُدُّوهُ، وقالَ العَبّاسُ: لَألُدَّنَّهُ. قالَ: فلَدُّوهُ، فلَمّا أفاقَ رَسُولُ الله ﷺ قالَ: «مَنْ صَنَعَ هذا بِي؟» قالُوا: يا رَسُولَ الله، عَمُّكَ، قالَ: «هذا دَواءٌ أتى بِهِ نِساءٌ جِئْنَ مِنْ نَحْوِ هَذِهِ الأرْضِ»، وأشارَ نَحْوَ أرْضِ الحَبَشةِ، قالَ: «وَلِمَ فعَلْتُمْ ذلك؟» فقالَ عَمُّهُ العَبّاسُ: خَشِينا يا رَسُولَ الله أنْ يَكُونَ بِكَ ذاتُ الجَنْبِ، فقالَ: «إنَّ ذلك لَداءٌ ما كانَ الله عَزَّ وجَلَّ لِيَقْذِفَنِي بِهِ، لا يَبْقَ في البَيْتِ أحَدٌ إلّا

لُدَّ إلّا عَمِّي»، فلَقَدْ لُدَّتْ مَيْمُونةُ وإنَّها لَصائِمةٌ؛ لِقَسَمِ رَسُولِ الله ﷺ؛ عُقُوبةً لَهُمْ بِما صَنَعُوا بِهِ.

[دُعاءُ الرَّسُولِ لِأُسامةَ بِالإشارةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني سَعِيدُ بنُ عُبَيْدِ بنِ السَّبّاقِ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ أُسامةَ، عَنْ أبيهِ أُسامةَ بنِ زَيْدٍ، قالَ: لمّا ثَقُلَ رَسُولُ الله ﷺ هَبَطْتُ وهَبَطَ النّاسُ مَعِي إلى المَدِينةِ، فدَخَلْتُ على رَسُولِ الله ﷺ، وقَدْ أُصْمِتَ فلا يَتَكَلَّمُ، فجَعَلَ يَرْفَعُ يَدَهُ إلى السَّماءِ ثُمَّ يَضَعُها عَلَيَّ، فأعْرِفُ أنَّهُ يَدْعُو لِي.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ ابنُ شِهابٍ الزُّهْرِيُّ: حَدَّثَني عُبَيْدُ بنُ عَبْدِ الله ابنِ عُتْبةَ، عَنْ عائِشةَ، قالَتْ: كانَ رَسُولُ الله ﷺ كَثِيرًا ما أسْمَعُهُ يَقُولُ: «إنَّ الله لَمْ يَقْبِضْ نَبِيًّا حَتّى يُخَيِّرَهُ. قالَتْ: فلَمّا حُضِرَ رَسُولُ الله ﷺ كانَ آخِرُ كَلِمةٍ سَمِعْتُها وهُوَ يَقُولُ: «بَلِ الرَّفِيقُ الأعلى مِن الجَنّةِ»، قالَتْ: فقُلْتُ: إذًا والله لا يَخْتارُنا، وعَرَفْتُ أنَّهُ الَّذي كانَ يَقُولُ لَنا: «إنَّ نَبِيًّا لَمْ يُقْبَضْ حَتّى يُخَيَّرَ».

[صَلاةُ أبي بَكْرٍ بِالنّاسِ]

قالَ الزُّهْرِيُّ: وحَدَّثَني حَمْزةُ بنُ عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ، أنَّ عائِشةَ قالَتْ: لمّا اسْتُعِزَّ بِرَسُولِ الله ﷺ قالَ: «مُرُوا أبا بَكْرٍ فلْيُصَلِّ بِالنّاسِ». قالَتْ: قُلْتُ: يا نَبِيَّ الله، إنَّ أبا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ، ضَعِيفُ الصَّوْتِ، كَثِيرُ البُكاءِ إذا قَرَأَ القُرْآنَ.قالَ: «مُرُوهُ فلْيُصَلِّ بالنّاسِ». قالَتْ: فعُدْتُ بِمِثْلِ قَوْلِي، فقالَ: «إنَّكُنَّ صَواحِبُ يُوسُفَ، فمُرُوهُ فلْيُصَلِّ بِالنّاسِ»، قالَت: فوالله ما أقُولُ ذلك إلّا أنِّي كُنْتُ أُحِبُّ أنْ يُصْرَفَ ذلك عَنْ أبي بَكْرٍ، وعَرَفْتُ أنَّ النّاسَ لا يُحِبُّونَ

رَجُلًا قامَ مَقامَهُ أبدًا، وأنَّ النّاسَ سَيَتَشاءَمُونَ بِهِ في كُلِّ حَدَثٍ كانَ، فكُنْتُ أُحِبُّ أنْ يُصْرَفَ ذلك عَنْ أبي بَكْرٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ ابنُ شِهابٍ: حَدَّثَني عَبْدُ المَلِكِ بنُ أبي بَكْرِ ابنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن الحارِثِ بنِ هِشامٍ، عَنْ أبيهِ، عَنْ عَبْدِ الله بنِ زَمْعَةَ ابنِ الأَسْوَدِ بنِ المُطَّلِبِ بنِ أسَدٍ، قالَ: لمّا اسْتُعِزَّ بِرَسُولِ الله ﷺ وأنا عِنْدَهُ في نَفَرٍ مِن المُسْلِمِينَ، قالَ: دَعاهُ بَلالٌ إلى الصَّلاةِ فقالَ: «مُرُوا مَنْ يُصَلِّي بِالنّاسِ». قالَ: فَخَرَجْتُ فإذا عُمَرُ في النّاسِ، وكانَ أبو بَكْرٍ غائِبًا، فقُلْتُ: قُمْ يا عُمَرُ فصَلِّ بِالنّاسِ، قالَ: فقامَ، فلَمّا كَبَّرَ سَمِعَ رَسُولُ الله ﷺ صَوْتَهُ، وكانَ عُمَرُ رَجُلًا مِجْهَرًا. قالَ: فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فأيْنَ أبو بَكْرٍ؟ يَأْبَى الله ذلك والمُسْلِمُونَ، يَأْبَى الله ذلك والمُسْلِمُونَ». قالَ: فبُعِثَ إلى أبي بَكْرٍ، فجاءَ بَعْدَ أنْ صَلّى عُمَرُ تِلْكَ الصَّلاةَ، فصَلّى بِالنّاسِ. قالَ: قالَ عَبْدُ الله ابنُ زَمْعَةَ: قالَ لِي عُمَرُ: ويْحَكَ، ماذا صَنَعْتَ بِي يا ابنَ زَمْعَةَ، والله ما ظَنَنْتُ حِينَ أمَرْتَنِي إلّا أنَّ رَسُولَ الله ﷺ أمَرَكَ بِذلك، ولَوْلا ذلك ما صَلَّيْتُ بِالنّاسِ. قالَ: قُلْتُ: والله ما أمَرَنِي رَسُولُ الله ﷺ بِذلك، ولَكِنِّي حِينَ لَمْ أرَ أبا بَكْرٍ رَأَيْتُكَ أحَقَّ مَنْ حَضَرَ بِالصَّلاةِ بِالنّاسِ.

وفاةُ رسول الله ﷺ

ذَكَرَ خُرُوجَهُ عليه السّلام فِي مَرَضِهِ إلى المَسْجِدِ، وَأنّ أبا بَكْرٍ كانَ الإمامَ، وَأنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كانَ يَأْتَمُّ بِهِ، وَهَذا الحَدِيثُ مُرْسَلٌ فِي السِّيرةِ، والمَعْرُوفُ فِي الصِّحاحِ أنّ أبا بَكْرٍ كانَ يُصَلّي بِصَلاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ والنّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاةِ

أَبِي بَكْرٍ[١]، وَلَكِنْ قَدْ رُوِيَ عَنْ أَنَسٍ مِنْ طَرِيقٍ مُتَّصِلٍ أَنَّ أبا بَكْرٍ كانَ الإمامَ يَوْمئِذٍ، واخْتُلِفَ فِيهِ عَنْ عائِشةَ[٢]، وَرَوى الدّارَقُطْنِيّ مِنْ طَرِيقِ المُغِيرةِ بنِ شُعْبةَ [أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ][٣]: «ما ماتَ نَبِيٌّ حَتّى يَؤُمَّهُ رجلٌ من أمّتِه»[٤]، وذكر أَبُو عُمَرَ هَذا الحَدِيثَ إِلّا أَنَّهُ ساقَهُ عَنْ رَبِيعةَ بنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُرْسَلًا، وَقَدْ أَسْنَدَهُ البَزّارُ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ ابنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عُمَرَ عَنْ[٥] أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما[٦].

وَفِي مَراسِيلِ الحَسَنِ البَصْرِيّ أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرِضَ عَشَرةَ أيّامٍ، صَلّى أَبُو بَكْرٍ بِالنّاسِ تِسْعةَ أيّامٍ [مِنْها][٧]، ثُمّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي اليَوْمِ العاشِرِ مِنْها يُهادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ أُسامةَ والفَضْلِ [بنِ العَبّاسِ[٨]][٩] حَتّى صَلّى خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، رَواهُ الدّارَقُطْنِيّ، فَفِي هَذا الحَدِيثِ أَنّهُ مَرِضَ عَشَرةَ أيّامٍ، وَهُوَ[١٠] غَرِيبٌ، وَفِيهِ أَنّ أَحَدَ الرّجُلَيْنِ كانَ أُسامةَ، والمَعْرُوفُ عَن ابنِ عَبّاسٍ أَنّهُ كانَ عَلِيَّ بنَ أَبِي طالِبٍ، وَفِيهِ صَلاتُهُ عَلَيْهِ السّلامُ خَلْفَ أَبِي بكر.

---

(١) «فتح الباري»، كتاب الأذان: (٢: ١٦٦).

(٢) «المسند» (٦: ١٥٩) في صلاته ﷺ خلف أبي بكر.

(٣) سقط من (ب).

(٤) «سنن الدارقطني»، كتاب الصلاة: (١: ٢٨٢).

(٥) في (ب): «بن أبي بكر».

(٦) «مسند البزار» (١: ٥٥، ٢١٣).

(٧) ليس في (ب).

(٨) في (ف): «عباس».

(٩) ليس في (ب).

(١٠) في (ب)، (ح)، (ص): «وهذا».

فَصْلٌ

وَذَكَرَ حَدِيثَ العَبّاسِ، وَأَنّهُ قالَ: لَأُلُدّنّهُ، فَلَدُّوهُ، وَحَسِبُوا أَنّ بِهِ ذاتَ الجَنْبِ، فَفِي هَذا الحَدِيثِ أَنّ العَبّاسَ حَضَرَ وَلَدَّهُ مَعَ مَنْ لَدَّ.

وَفِي الصّحِيحَيْنِ أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «لا يَبْقَيَنّ أَحَدٌ بِالبَيْتِ إِلّا لُدّ إِلّا عَمِّي العَبّاس؛ فَإِنّهُ لَمْ يَشْهَدْكُمْ»[1]، وَهَذا أَصَحُّ مِنْ رِوايَةِ ابن إسحاق، وَإِنّما لَدُّوهُ لِأَنّهُ عَلَيْهِ السّلامُ قَدْ قالَ «فِي القُسْطِ[2] سَبْعَةُ أَشْفِيَةٍ: يُلَدُّ بِهِ مِنْ ذاتِ الجَنْبِ، وَيُسْعَطُ بِهِ مِن العُذرةِ»، وَلَمْ يَذْكُر الخَمْسةَ. قالَ ابنُ شِهابٍ: فَنَحْنُ نَسْتَعْمِلُهُ فِي أَدْوِيَتِنا كُلِّها لَعَلّنا نُصِيبُها.

واللَّدُودُ: فِي جانِبِ الفَمِ مِنْ داخِلِهِ، يُجْعَلُ هُناكَ الدّواءُ وَيُحَكُّ بِالإِصْبَعِ قَلِيلًا.

وَقَوْلُهُ فِي ذاتِ الجَنْبِ: «ذاكَ داءٌ ما كانَ اللهُ لِيَقْذِفَنِي بِهِ»[3]، وَفِي رِوايَةٍ أُخْرى: «وَهِيَ مِن الشَّيْطانِ، وَما كانَ اللهُ لِيُسَلِّطَها عَلَيّ». [وقد ذُكِرَ أَنّ أسماءَ بنتَ عُمَيسٍ هي التي لدَّتْهُ، والله أعلم][4]، وهذا يدلُّ على أنها من سيِّئِ الأَسْقامِ الّتِي تَعوّذَ منها النبي ﷺ فِي دُعائِهِ حَيْثُ يَقُولُ: «اللهُمّ إِنّي أَعُوذُ بك

---

(١) «فتح الباري»، كتاب الطب: (١٠: ١٦٦)، ومسلم، كتاب السلام: (٤: ١٧٣٣). لدَّ المريض يلدُّه لدًّا ولُدودًا: أخذ بلسانه فمده إلى أحد شقي الفم وصب الدواء في الشق الآخر. واللَّدود ـ بفتح اللام ـ ما يُصب من الأدوية.

(٢) القُسط: عقار معروف في الأدوية طيب الريح. وذات الجنب: الدُّمَّل الكبيرة التي تظهر في باطن الجنب وتنفجر إلى داخل. والعذرة: داء في الحلق.

(٣) بعده في (ف): «وقال في هذا الحديث من رواية الطبري له: «أنا أكرم على الله من أن يقذفني بها».

(٤) عن (أ).

من الجنونِ والجُذام وسيِّئ الأسْقام»[١]، وَإنْ كانَ صاحِبُها مِن الشُّهَداءِ السّبْعةِ، وَلَكِنّهُ عَلَيْهِ السّلامُ قَدْ تَعوّذَ مِن الغَرَقِ والحَرَقِ، مَعَ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السّلامُ: «الغَرِيقُ شَهِيدٌ، والحَرِيقُ شَهِيدٌ»[٢].

والوَجَعُ الّذِي كانَ بِالنّبِيّ ﷺ فَلُدَّ هُوَ الوَجَعُ الّذِي [كان][٣] يُسَمّى خاصِرةً[٤]، وَقَدْ جاءَ ذِكْرُهُ فِي كِتابِ النُّذُورِ مِن «المُوَطّأ»، قالَ فِيهِ: «فَأصابَتْنِي خاصِرةٌ»[٥]، قالَتْ عائِشةُ: وَكَثِيرًا ما كانَ يُصِيبُ رَسُولَ اللهِ ﷺ الخاصِرةُ. قالَتْ: وَلا نَهْتَدِي لِاسْمِ الخاصِرةِ[٦]، وَنَقُولُ: أخذَ رسولَ الله ﷺ عِرْقُ الكُلْيةِ. وَفِي «مُسْنَدِ الحارِثِ بنِ أَبِي أُسامةَ» يَرْفَعُهُ إلى النّبِيِّ ﷺ، قال: «الخاصرةُ: عِرقٌ في الكُلْيةِ إذا تَحَرّكَ وَجِعَ صاحِبُهُ، دَواؤُهُ العَسَلُ بِالماءِ المُحْرَقِ». وَهُوَ حَدِيثٌ يَرْوِيهِ عَبْدُ الرَّحِيم بنُ عُمر عَن الزُّهْرِيّ عَنْ عُرْوةَ، وَعَبْدُ الرّحِيمِ ضَعِيفٌ مَذْكُورٌ عِنْدَ المُحَدِّثِينَ فِي الضُّعفاءِ، وَلَكِنْ قَدْ رَوَتْ عَنْهُ جَماعةٌ مِنْهُمْ.

وَقَوْلُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «هَذا يَوْمُ بِنْتِ خارِجةَ يا رَسُولَ اللهِ». بِنْتُ خارِجةَ اسْمُها: حَبِيبةُ، وَقِيلَ: مُلَيْكة، وَخارِجةُ هُوَ ابنُ زَيْدِ بنِ أَبِي زُهَيْرٍ، وابنُ خارِجةَ هُوَ زَيْدُ بنُ خارِجةَ[٧] الّذِي تَكَلَّمَ بَعْدَ المَوْتِ فِيما رَوى ثِقاتُ[٨]

---

(١) «كشف الأستار عن زوائد البزار»، كتاب الطب: (٣: ٣٩٠).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الوتر: (٢: ٩٢-٩٣).

(٣) عن (ب).

(٤) هو وجع في الخاصرة، وهي من الإنسان: ما بين أعلى الفخذ وأسفل الأضلاع، وقيل: وجع في الكُليتين.

(٥) «الموطأ» (٢: ٤٧٤).

(٦) «مسند الإمام أحمد» (٦: ١١٨).

(٧) انظر: «أسد الغابة» ترجمة خارجة بن زيد: (٢: ٨٥)، وترجمة ابنه زيد: (٢: ٢٨٤).

(٨) في (ح): «الثقات»، وفي (ف): «الثقات ثقات».

الحَدِيثِ، لا يَخْتَلِفُونَ فِي ذَلِكَ، وَذَلِكَ أَنّهُ ماتَ فِي زَمَنِ عُثْمانَ رضي الله عنه، فَلَمّا سُجِّي عَلَيْهِ سَمِعُوا جَلْجَلةً فِي صَدْرِهِ، ثُمّ تَكَلّمَ، فَقالَ: أَحْمَدُ أَحْمَدُ فِي الكِتابِ الأوّلِ، صَدَقَ صَدَقَ، وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ الضّعِيفُ فِي نَفْسِهِ القَوِيّ فِي أَمْرِ اللهِ فِي الكِتابِ الأوّلِ، صَدَقَ صَدَقَ، عُمَرُ بنُ الخَطّابِ، القَوِيُّ الأَمِينُ فِي الكِتابِ الأوّلِ، صَدَقَ صَدَقَ، عُثْمانُ بنُ عَفّانَ على مِنْهاجِهِمْ مَضَتْ أَرْبَعٌ وَبَقِيَتْ سَنَتانِ، أَتَت الفِتَنُ، وَأَكَلَ الشّدِيدُ الضَّعِيفَ، وَقامَتِ السّاعةُ، وسيأتيكم خبرُ بِئْرِ أَرِيسٍ[1]، وَما بِئْرُ أَرِيسٍ؟!

قالَ سَعِيدُ بنُ المُسَيَّبِ: ثُمّ هَلَكَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي خَطْمةَ فَسُجِّيَ بِثَوْبٍ، فَسَمِعُوا جَلْجَلةً فِي صَدْرِهِ، ثُمّ تَكَلَّمَ، فَقالَ: إنّ أخا بَنِي الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ صَدَقَ صَدَقَ، وَكانَتْ وَفاتُهُ فِي خِلافةِ عُثْمانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَقَدْ عَرَضَ مِثْلُ هَذِهِ القِصّةِ لِرَبِيعِ بنِ خِراشٍ أَخِي رِبْعِيِّ بنِ خراشٍ، قالَ رِبْعِيٌّ: ماتَ أَخِي فَسَجَّيْناهُ، وَجَلَسْنا عِنْدَهُ، فَبَيْنَما نَحْنُ كَذَلِك إذْ كَشَفَ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ، ثُمّ قالَ: السّلام عليكم، قلت: سبحانَ الله! أبعدَ الموت؟ قالَ: إِنِّي لَقِيتُ رَبِّي بِرَوْحٍ وَرَيْحانٍ[2]، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبان، وَكَسانِي ثِيابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ؛ أَسْرِعُوا بِي إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَإِنّهُ قَدْ أَقْسَمَ أَلّا يَبْرَحَ حَتّى آتِيَهُ أَوَأُدْرِكَهُ، وَإِنّ الأَمْرَ أَهْوَنُ مما تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ، فَلا تَغْتَرُّوا، ثُمّ واللهِ كَأَنّما كانَتْ نَفْسُهُ حَصاةً فَأُلْقِيَتْ فِي طَسْتٍ.

---

(١) بئر أريس: بئر بالمدينة مقابل مسجد قباء، فيها سقط خاتم النبي ﷺ من يد عثمان في السنة السادسة من خلافته، واستدلوا بعدم الحصول عليه على حادث عظيم في الإسلام. وانظر «معجم البلدان» (١ : ٢٩٨).

(٢) في (ب)، (ص): «فتلقاني بروح».

[اليَوْمُ الَّذي قَبَضَ الله فيهِ نَبِيَّهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ الزُّهْرِيُّ: حَدَّثَنِي أَنَسُ بنُ مالِكٍ: أَنَّهُ لمّا كانَ يَوْمُ الإِثْنَيْنِ الَّذي قَبَضَ الله فيهِ رَسُولَهُ ﷺ، خَرَجَ إلى النّاسِ وهُمْ يُصَلُّونَ الصُّبْحَ، فرُفِعَ السِّتْرُ وفُتِحَ البابُ، فخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ، فقامَ على بابِ عائِشَةَ، فكادَ المُسْلِمُونَ يُفْتَتَنُونَ في صَلاتِهِمْ بِرَسُولِ الله ﷺ حِينَ رَأَوْهُ؛ فرَحًا بِهِ، وتَفَرَّجُوا، فأشارَ إلَيْهِمْ أنِ اثْبُتُوا على صَلاتِكُمْ، قالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ الله ﷺ سُرُورًا لمّا رَأى مِنْ هَيْئَتِهِمْ في صَلاتِهِمْ، وما رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ أحسَنَ هَيْئَةً مِنْهُ تِلْكَ السّاعةَ، قالَ: ثُمَّ رَجَعَ وانْصَرَفَ النّاسُ وهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ أفْرَقَ مِنْ وجَعِهِ، فرَجَعَ أبو بَكْرٍ إلى أهْلِهِ بِالسُّنْحِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ إبْراهِيمَ بنِ الحارِثِ، عَنِ القاسِمِ ابنِ مُحَمَّدٍ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ حِينَ سَمِعَ تَكْبِيرَ عُمَرَ في الصَّلاةِ: «أيْنَ أبو بَكْرٍ؟ يَأْبى الله ذلك والمُسْلِمُونَ». فلَوْلا مَقالةٌ قالَها عُمَرُ عِنْدَ وفاتِهِ لَمْ يَشُكَّ المُسْلِمُونَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَد اسْتَخْلَفَ أبا بَكْرٍ، ولَكِنَّهُ قالَ عِنْدَ وفاتِهِ: إنْ أَسْتَخْلِفْ فقَدِ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، وإنْ أتْرُكْهُمْ فقَدْ تَرَكَهُمْ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي. فعَرَفَ النّاسُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمْ يَسْتَخْلِفْ أحَدًا. وكانَ عُمَرُ غَيْرَ مُتَّهَمٍ على أبي بَكْرٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي أبو بَكْرِ بنُ عَبْدِ الله بنِ أبي مُلَيْكَةَ، قالَ: لمّا كانَ يَوْمُ الإِثْنَيْنِ خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ عاصِبًا رَأْسَهُ إلى الصُّبْحِ، وأبو بَكْرٍ

يُصَلِّي بِالنّاسِ، فلَمّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَفَرَّجَ النّاسُ، فعَرَفَ أبو بَكْرٍ أَنَّ النّاسَ لَمْ يَصْنَعُوا ذلك إلّا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فنَكَصَ عَنْ مُصَلّاهُ، فدَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ في ظَهْرِهِ وقالَ: «صَلِّ بِالنّاسِ»، وجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى جَنْبِهِ، فصَلّى قاعِدًا عَنْ يَمِينِ أبي بَكْرٍ، فلَمّا فرَغَ مِن الصَّلاةِ أقْبَلَ على النّاسِ فكَلَّمَهُمْ رافِعًا صَوْتَهُ، حَتّى خَرَجَ صَوْتُهُ مِنْ بابِ المَسْجِدِ، يَقُولُ: «أيُّها النّاسُ، سُعِّرَتِ النّارُ، وأقْبَلَتِ الفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، و إنِّي واللهِ ما تمسكُونَ عليَّ بِشَيْءٍ، إنِّي لَمْ أُحِلَّ إلّا ما أحَلَّ القُرْآنُ، ولَمْ أُحَرِّمْ إلّا ما حَرَّمَ القُرْآنُ».

قالَ: فلَمّا فرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ كَلامِهِ، قالَ لَهُ أبو بَكْرٍ: يا نَبِيَّ اللهِ، إنِّي أراكَ قَدْ أصْبَحْتَ بِنِعْمةٍ مِن اللهِ وفَضْلٍ كَما تُحِبُّ، واليَوْمُ يَوْمُ بِنْتِ خارِجَةَ، أفَآتِيها؟ قالَ: نَعَمْ، ثُمَّ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وخَرَجَ أبو بَكْرٍ إلى أهْلِهِ بِالسُّنْحِ.

[شَأْنُ العَبّاسِ وعَلِيٍّ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: قالَ الزُّهْرِيُّ: وحَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بنُ كَعْبِ بنِ مالِكٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبّاسٍ، قالَ: خَرَجَ يَوْمئِذٍ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ رِضْوانُ اللهِ عَلَيْهِ على النّاسِ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فقالَ لَهُ النّاسُ: يا أبا حَسَنٍ، كَيْفَ أصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قالَ: أصْبَحَ بِحَمْدِ اللهِ بارِئًا، قالَ: فأخَذَ العَبّاسُ بِيَدِهِ، ثُمَّ قالَ: يا عَلِيُّ، أنْتَ واللهِ عَبْدُ العَصا بَعْدَ ثَلاثٍ، أحْلِفُ باللهِ لَقَدْ عَرَفْتُ المَوْتَ في وجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَما كُنْتُ أعْرِفُهُ في وُجُوهِ بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ، فانْطَلِقْ بِنا إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فإنْ كانَ هذا الأمْرُ فينا

عَرَفْناهُ، وإنْ كانَ في غَيْرِنا أمَرْناهُ فأوْصى بِنا النّاسَ.

قالَ: فقالَ لَهُ عَلِيٌّ: إنِّي واللهِ لا أفْعَلُ، واللهِ لَئِنْ مُنِعْناهُ لا يُؤْتِيناهُ أحَدٌ بَعْدَهُ. فتُوُفِّي رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ اشْتَدَّ الضَّحاءُ مِنْ ذلك اليَوْمِ.

[سِواكُ الرَّسُولِ قُبَيْلَ الوَفاةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بنُ عُتْبَةَ، عَن الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عائِشَةَ، قالَ: قالَتْ: رَجَعَ إلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ في ذلك اليَوْمِ حِينَ دَخَلَ مِن المَسْجِدِ، فاضْطَجَعَ في حِجْرِي، فدَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ مِنْ آلِ أبي بَكْرٍ وفي يَدِهِ سِواكٌ أخْضَرُ. قالَتْ: فنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلَيْهِ في يَدِهِ نَظَرًا عَرَفْتُ أنَّهُ يُرِيدُهُ، قالَتْ: فقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ، أتُحِبُّ أنْ أُعْطِيَكَ هذا السِّواكَ؟ قالَ: «نَعَمْ»، قالَتْ: فأخَذْتُهُ فمَضَغْتُهُ لَهُ حَتّى لَيَّنْتُهُ، ثُمَّ أعْطَيْتُهُ إيّاهُ، قالَتْ: فاسْتَنَّ بِهِ كَأشَدِّ ما رَأيْتُهُ يَسْتَنُّ بِسِواكٍ قَطُّ، ثُمَّ وضَعَهُ، ووَجَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَثْقُلُ في حَجْرِي، فذَهَبْتُ أنْظُرُ في وجْهِهِ فإذا بَصَرُهُ قَدْ شَخَصَ وهُوَ يَقُولُ: «بَلِ الرَّفِيقُ الأعلى مِنَ الجَنّةِ»، قالَتْ: فقُلْتُ: خُيِّرْتَ فاخْتَرْتَ والَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ. قالَتْ: وقُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي يَحْيى بنُ عَبّادِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أبيهِ عَبّادٍ، قالَ: سَمِعْتُ عائِشَةَ تَقُولُ: ماتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ سَحْرِي ونَحْرِي وفي دَوْلَتِي، لَمْ أظْلِمْ فيهِ أحَدًا، فمِنْ سَفَهِي وحَداثَةِ سِنِّي أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قُبِضَ وهُوَ في حَجْرِي، ثُمَّ وضَعْتُ رَأْسَهُ على وِسادةٍ وقُمْتُ ألْتَدِمُ مَعَ النِّساءِ وأضْرِبُ وَجْهِي.

فَصْلٌ

وَذَكَرَ أنّ آخِرَ كَلِمةٍ تكلَّمَ بِها عَلَيْهِ السّلامُ: «اللهُمّ الرَّفِيقَ الأعلى»، وَهَذا مُنْتَزعٌ مِنْ قَوْلِهِ تبارَكَ وتَعالى: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، فَهَذا هُوَ الرَّفِيقُ الأعلى، وَلَمْ يَقُلِ: الرُّفَقاء؛ لِما قَدّمْناهُ فِي هَذا الكِتابِ[١] مِمّا حَسَّنَ ذَلِكَ، مَعَ أنّ [أهْلَ][٢] الجَنّةِ يَدْخُلُونَها على قَلْبِ رَجُلٍ واحِدٍ.

فَهَذِهِ آخِرُ كَلِمةٍ تكلّمَ بِها ﷺ، وَهِيَ تَتَضَمّنُ مَعْنى التّوْحِيدِ الّذِي يَجِبُ أنْ يَكُونَ آخِرَ كَلامِ المُؤْمِنِ[٣]؛ لِأَنّهُ قالَ: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [النساء: ٦٩]، وَهُمْ أصْحابُ الصّراطِ المُسْتَقِيمِ، وَهُمْ أهْلُ لا إلَهَ إلّا اللهُ، قالَ اللهُ تَعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦-٧]، ثُمّ بَيَّنَ فِي الآيةِ المُتَقَدِّمةِ مَن الّذِينَ أنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ فَذَكَرَهُمْ، وَهُم[٤] الرَّفِيقُ الأعلى الذين ذَكَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ حين خُيِّر فاخْتارَ، وَبَعْضُ الرُّواةِ يَقُولُ عَنْ عائشةَ فِي هذا الحديث: فأشار بِأُصْبُعِهِ وَقالَ: «فِي الرّفِيقِ»، وَفِي رِوايةٍ أُخْرى أنّهُ قالَ: «اللهُمّ الرّفِيقَ»، وَأشارَ بِالسّبّابةِ، يُرِيدُ التّوْحِيدَ، فَقَدْ دَخَلَ بِهَذِهِ الإشارةِ فِي عُمُومِ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السّلامُ: «مَنْ كانَ آخِرُ كَلامِهِ لا إلَهَ إلّا اللهُ دَخَلَ الجَنّةَ»[٥]، وَلا شَكّ أنّهُ عَلَيْهِ السّلامُ فِي أعلى دَرَجاتِ الجَنّةِ وَلَوْ لَمْ يُشِرْ، وَلَكِنْ ذَكَرْنا هَذا لِئَلّا

(١) انظر: (٦: ٤٥٧).

(٢) سقط من (ح).

(٣) في (ف): «المؤمنين».

(٤) في (ب): «وهم أهل الرفيق».

(٥) «سنن أبي داود»، كتاب الجنائز: (٣: ١٩٠).

يَقُولَ القائِلُ: لِمَ لَمْ يَكُنْ آخِرُ كَلامِهِ: لا إِلَهَ إِلّا اللهُ.

وَأَوّلُ كَلِمةٍ تكَلّمَ بِها ﷺ وَهُوَ مُسْتَرْضِعٌ عِنْدَ حَلِيمةَ أَنْ قالَ: «اللهُ أَكْبَرُ»، رَأَيْتُ ذَلِكَ فِي بَعْضِ كُتُبِ الواقِدِيّ.

وَأَمّا[١] آخِرُ ما أَوْصى بِهِ[٢] عَلَيْهِ السّلامُ فأَنْ[٣] قالَ: «الصّلاةَ وما ملَكتْ أيمانُكم» حَرَّكَ بها لِسانَهُ وَما يَكادُ يُبِينُ[٤]. وَفِي قَوْلِهِ: «وما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ» قولان: قِيلَ: أرادَ الرِّفْقَ بِالمَمْلُوكِ، وَقِيلَ: أرادَ الزَّكاةَ؛ لِأَنّها فِي القُرْآنِ مَقْرُونةٌ بِالصَّلاةِ، وَهِيَ مِنْ مِلْكِ اليَمِينِ، قالَهُ الخَطّابِيّ[٥].

وَقَوْلُ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها: فَمِنْ سَفَهِي وَحَداثةِ سِنِّي أَنْ[٦] قُبِضَ فِي حَجْرِي، فَوَضَعْتُ رَأْسَهُ على الوِسادةِ وَقُمْتُ أَلْتَدِمُ مَعَ النِّساءِ[٧].

الِالتِدامُ: ضَرْبُ الخَدِّ بِاليَدِ، وَلَمْ يَدْخُلْ هَذا فِي التَّحْرِيمِ؛ لِأَنّ التّحْرِيمَ إِنّما وَقَعَ على الصُّراخِ والنَّوحِ، وَلُعِنَت الخارِقةُ والحالِقةُ والصّالِقةُ[٨] وَهِيَ الرّافِعةُ لِصَوْتِها، وَلَمْ يَذْكُر اللَّدْمَ، لَكِنّهُ وَإِنْ لَمْ يَذْكُرْهُ، فَإِنّهُ مَكْرُوهٌ فِي حالِ المُصِيبةِ، وَتَرْكُهُ أَحْمَدُ إِلّا على أَحْمَدَ: [من الكامل]

---

(١) في (ب): «وآخر كلامه... أن قال».

(٢) بعده في (ف): «عند الموت».

(٣) في (أ)، (ج)، (س): «بأن».

(٤) «سنن ابن ماجه»، كتاب الجنائز: (١: ٥١٩)، والوصايا: (٢: ٩٠٠-٩٠١).

(٥) «غريب الحديث» للخطابي: (١: ٥٦٥-٥٦٦).

(٦) في (ف): «أنه».

(٧) بعده في (س): «وأضرب وجهي».

(٨) مسلم، كتاب الإيمان: (١: ١٠٠)، والخارقة: التي تشق ثوبها عند المصيبة، وكذلك التي تحلق شعرها.

فالصَّبْرُ يُحْمَدُ فِي المَصائِبِ[١] كُلِّها
إلّا عَلَيْك فَإنَّهُ مَذْمُومُ

وَقَدْ كانَ يُدْعى لابِسُ الصَّبْرِ حازِمًا
فَأَصْبَحَ يُدْعى حازِمًا حِينَ يَجْزَعُ

واتَّفَقُوا أنّهُ تُوُفّيَ ﷺ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، قالُوا كُلُّهُمْ: وَفِي رَبِيعِ الأول، غير أنّهم قالُوا، أوْ قالَ أكْثَرُهُمْ: فِي الثّانِي عَشَرَ مِنْ رَبِيعٍ، وَلا يَصِحُّ أنْ يَكُونَ تُوُفّيَ ﷺ يوم الاثنين [إلّا][٢] فِي الثّانِي مِن الشَّهْرِ أو الثّالِثَ عَشَرَ أو الرّابِعَ عَشَرَ أو الخامِسَ عَشَرَ؛ لِاجْتماعِ المُسْلِمِينَ على أنّ وَقْفةَ عَرَفةَ فِي حَجّةِ الوَداعِ كانَتْ يَوْمَ الجُمُعةِ، وَهُوَ التّاسِعُ مِنْ ذِي الحَجّةِ، فَدَخَلَ ذُو الحَجّةِ يَوْمَ الخَمِيسِ، فَكانَ المُحَرَّمُ إمّا الجُمُعة وَإمّا السّبْت، فَإنْ كانَ الجُمُعة فَقَدْ كانَ صَفَرٌ إمّا السّبْت وَإمّا الأحَد، فَإنْ كانَ السّبْت فَقَدْ كانَ رَبِيعٌ الأحَدَ أو الِاثْنَيْنِ، وَكَيْفما دارَتِ الحالُ على هَذا الحِسابِ، فَلَمْ يَكُن الثّانِي عَشَرَ مِنْ رَبِيعٍ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ بِوَجْهٍ.

وذَكَرَ الطّبَرِيُّ عَنِ ابنِ الكَلْبِيِّ وَأبِي مِخْنَفٍ أنّهُ تُوُفّيَ فِي الثّانِي مِنْ رَبِيعٍ الأوّلِ، وَهَذا القَوْلُ وَإنْ كانَ خِلافَ [قول][٣] الجُمْهُورِ فَإنّهُ لا يَبْعُدُ أنْ كانَتِ الثّلاثةُ الأشْهُرُ الّتِي قَبْلَها[٤] كُلّها مِنْ تِسْعةٍ وَعِشْرِينَ، فَتَدَبّرْهُ، فَإنّهُ صَحِيحٌ، وَلَمْ أرَ أحَدًا تَفَطَّنَ لَهُ، وَقَدْ رَأيْتُ لِلْخُوارِزْمِيّ أنّهُ تُوُفّيَ عَلَيْهِ السّلامُ فِي أوّلِ

---

(١) في (ب)، (ح): «في المواطن».

(٢) ليس في (أ).

(٣) عن (ج). وفي (أ)، (ب)، (ح): «أهل الجمهور».

(٤) في (ف): «قبله».

يَوْمٍ مِنْ رَبِيعِ الأوّلِ، وَهَذا أقْرَبُ فِي القِياسِ مما ذَكَرَه الطَّبَرِيُّ عَن ابنِ الكَلْبِيِّ وَأبي مِخْنَفٍ[١].

فَصْلٌ

وَذَكَرَ عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها أنّها ناوَلَتْهُ السِّواكَ حِينَ رَأتْهُ يَنْظُرُ إلَيْهِ، فاسْتاكَ بِهِ، وَفِيهِ مِن الفِقْهِ: التّنَظُّفُ والتّطَهُّرُ[٢] لِلْمَوْتِ؛ وَلِذَلِكَ يُسْتَحَبُّ الِاسْتِحْدادُ[٣] لِمَن اسْتَشْعَرَ القَتْلَ أو المَوْتَ كَما فَعَلَ خُبَيْبٌ؛ لِأنّ المَيِّتَ قادِمٌ على رَبّهِ، كَما أنّ المُصَلِّيَ مُناجٍ لِرَبِّهِ، فالنّظافَةُ مِنْ شَأْنِهِما، وَفِي الحَدِيثِ: «إنّ اللهَ نَظِيفٌ يُحِبُّ النّظافَةَ»[٤]، خَرّجَهُ التِّرْمِذِيّ، وَإنْ كانَ مَعْلُولَ السّنَدِ فَإنّ مَعْناهُ صَحِيحٌ، وَلَيْسَ النّظِيفُ مِنْ أسْماءِ الرَّبّ، وَلَكِنّهُ حَسُنَ فِي هَذا الحَدِيثِ لِازْدِواجِ الكَلامِ، وَلِقُرْبِ مَعْنى النّظافَةِ مِنْ مَعْنى القُدسِ[٥]، وَمِنْ أسْمائِهِ سُبْحانَهُ: القُدُّوسُ.

وَكانَ السِّواكُ [المَذْكُورُ][٦] فِي هَذا الحَدِيثِ مِنْ عَسِيبِ[٧] نَخْلٍ فِيما رَوى بَعْضُهُمْ، والعَرَبُ تَسْتاكُ بِالعُسُبِ، وَكانَ أحَبَّ السِّواكِ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ صُرْعُ[٨] الأراكِ، وواحِدُها: صَرِيعٌ، وَهُوَ قَضِيبٌ يَنْطَوِي مِن الأراكةِ حَتّى يَبْلُغَ

---

(١) لوط بن يحيى.

(٢) في (ف): «والتطهير».

(٣) أي: إزالة شعر العانة.

(٤) «عارضة الأحوذي»، أبواب الأدب: (١٠: ٢٤٠-٢٤١).

(٥) أي الطهر، يقال: قدُس قدسًا: طَهُر.

(٦) ليس في (أ).

(٧) هي جريدة النخل، والذي لم ينبت عليه الخوص.

(٨) انظر: «تاج العروس» (صرع).

التُّرابَ، فَيَبْقى فِي ظِلِّها، فَهُوَ أَلْيَنُ مِنْ فَرْعِها.

وَمِمّا رُوِيَ مِنْ قَوْلِ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها فِي مَعْنى قَوْلِها: «بَيْنَ سَحْرِي[١] وَنَحْرِي» أَنّها قالَتْ: «قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بين حاقِنتي وذاقِنَتِي»، فالحاقِنةُ: الثُّغْرةُ[٢]، والذّاقِنةُ: تَحْتَ الذَّقَنِ، وَيُقالُ لَها: النُّونةُ أَيْضًا. وَرُوِيَ أَيْضًا: [بَيْنَ][٣] شَجْرِي[٤] ـ بِالجيمِ والشِّيْنِ ـ وَنَحْرِي. وَسُئِلَ عُمارةُ بنُ عَقِيلٍ[٥] عَنْ مَعْناهُ، فَشَبَّكَ بَيْنَ أصابِعِ يَدَيْهِ وَضَمَّهما إلى نحره، وغُسِّلَ ﷺ [حينَ قُبِضَ][٦] مِنْ بِئْرٍ لِسَعْدِ بنِ خَيْثَمةَ يُقالُ لَها: بِئْرُ الغَرْسِ[٧].

❋ ❋ ❋

---

(١) السَّحْر: الرئة؛ أي: إنه مات ﷺ وهو مستند إلى صدرها، وما يحاذي سحرها منه. والنَّحْر: أعلى الصدر بين الترقوتين من الحلق.

(٢) أي: المنخفض بين الترقوتين.

(٣) ليس في (أ)، (ج)، (ص).

(٤) الشجر: الذقن، ومجتمع اللحيين.

(٥) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية، كان شاعرًا محكم الرصف، وكان ينحو نحو أبيه وجده جرير، وكان نحاة البصرة يأخذون اللغة عنه، توفي سنة (٢٣٩هـ). انظر: «طبقات الشعراء» لابن المعتز: (ص: ٣١٦)، و«الأعلام» للزركلي: (٥: ٣٧).

(٦) ليس في (ب).

(٧) بئر الغرس بالمدينة، وهي بقباء، وكان النبي ﷺ يستطيب ماءها.

[مَقالةُ عُمَرَ بَعْدَ وفاةِ الرَّسُولِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: قالَ الزُّهْرِيُّ: وحَدَّثَنِي سَعِيدُ بنُ المُسَيَّبِ، عَنْ أبي هُرَيْرةَ، قالَ: لمّا تُوُفي رَسُولُ الله ﷺ قامَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ، فقالَ: إنَّ رِجالًا مِن المُنافِقِينَ يَزْعُمونَ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ تُوُفي، وإنَّ رَسُولَ الله ﷺ ما ماتَ، ولَكِنَّهُ ذَهَبَ إلى رَبِّهِ كَما ذَهَبَ مُوسى بنُ عِمْرانَ، فقَدْ غابَ عَنْ قَوْمِهِ أرْبَعِينَ لَيْلةً، ثُمَّ رَجَعَ إلَيْهِمْ بَعْدَ أنْ قِيلَ: قد ماتَ، و واللهِ لَيَرْجِعَنَّ رَسُولُ الله ﷺ كَما رَجَعَ مُوسى، فلَيَقْطَعَنَّ أيْدِي رِجالٍ وأرْجُلَهُمْ زَعَمُوا أنَّ رَسُولَ الله ﷺ ماتَ.

[مَوْقِفُ أبي بَكْرٍ بَعْدَ وفاةِ الرَّسُولِ]

قالَ: وأقْبَلَ أبو بَكْرٍ حَتّى نَزَلَ على بابِ المَسْجِدِ حِينَ بَلَغَهُ الخَبَرُ، وعُمَرُ يُكَلِّمُ النّاسَ، فلَمْ يَلْتَفِتْ إلى شَيْءٍ حَتّى دَخَلَ على رَسُولِ الله ﷺ في بَيْتِ عائِشةَ، ورَسُولُ الله ﷺ مُسَجًّى في ناحِيةِ البَيْتِ، عَلَيْهِ بُرْدٌ حِبَرةٌ، فأقْبَلَ حَتّى كَشَفَ عَنْ وجْهِ رَسُولِ الله ﷺ. قالَ: ثُمَّ أقْبَلَ عَلَيْهِ فقَبَّلَهُ، ثُمَّ قالَ: بأبي أنْتَ وأُمِّي، أمّا المَوْتةُ الَّتِي كَتَبَ اللهُ عَلَيْكَ فقَدْ ذُقْتَها، ثُمَّ لَنْ تُصِيبَكَ بَعْدَها مَوْتةٌ أبَدًا. قالَ: ثُمَّ رَدَّ البُرْدَ على وجْهِ رَسُولِ الله ﷺ، ثُمَّ خَرَجَ وعُمَرُ يُكَلِّمُ النّاسَ، فقالَ: على رِسْلِكَ يا عُمَرُ، أنْصِتْ، فأبى إلّا أنْ يَتَكَلَّمَ، فلَمّا رَآهُ أبو بَكْرٍ لا يُنْصِتُ أقْبَلَ على النّاسِ، فلَمّا سَمِعَ النّاسُ كَلامَهُ أقْبَلُوا عَلَيْهِ وتَرَكُوا عُمَرَ، فحَمِدَ اللهَ وأثْنى عَلَيْهِ ثُمَّ قالَ:

أيُّها النّاسُ، إنَّهُ مَنْ كانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فإنَّ مُحَمَّدًا قَدْ ماتَ، ومَنْ كانَ يَعْبُدُ الله فإنَّ الله حَيٌّ لا يَموتُ. قالَ: ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

قالَ: فواللهِ لَكَأَنَّ النّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أنّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ حَتّى تَلاها أبو بَكْرٍ يَوْمئِذٍ، قالَ: وأخَذَها النّاسُ عَنْ أبي بَكْرٍ، فإنَّما هِيَ في أفْواهِهِمْ، قالَ: فقالَ أبو هُرَيْرَةَ: قالَ عُمَرُ: والله ما هُوَ إلّا أنْ سَمِعْتُ أبا بَكْرٍ تَلاها، فعَقِرْتُ حَتّى وقَعْتُ إلى الأرْضِ ما تَحْمِلُني رِجْلايَ، وعَرَفْتُ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ ماتَ.

أمْرُ سَقِيفةِ بَنِي ساعِدةَ

[تفرُّق الكَلِمة]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولمّا قُبِضَ رَسُولُ الله ﷺ انْحازَ هذا الحَيُّ مِن الأنْصارِ إلى سَعْدِ بنِ عُبادةَ في سَقِيفةِ بَنِي ساعِدةَ، واعْتَزَلَ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ والزُّبَيْرُ ابن العَوّامِ وطَلْحةُ بنُ عُبَيْدِ الله في بَيْتِ فاطِمةَ، وانْحازَ بَقِيّةُ المُهاجِرِينَ إلى أبي بَكْرٍ، وانْحازَ مَعَهُمْ أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ في بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ، فأتى آتٍ إلى أبي بَكْرٍ وعُمَرَ فقالَ: إنَّ هذا الحَيَّ مِن الأنْصارِ مَعَ سَعْدِ بنِ عُبادةَ في سَقِيفةِ بَنِي ساعِدةَ، قَدِ انْحازُوا إلَيْهِ، فإنْ كانَ لَكُمْ بِأمْرِ النّاسِ حاجةٌ فأدْرِكُوا قَبْلَ أنْ يَتفاقَمَ أمْرُهُمْ، ورَسُولُ الله ﷺ في بَيْتِهِ لَمْ يُفْرَغْ مِنْ أمْرِهِ قَدْ أغْلَقَ دُونَهُ البابَ أهْلُهُ.

قالَ عُمَرُ: فَقُلْتُ لِأبي بَكْرٍ: انْطَلِقْ بِنا إلى إخْوانِنا هَؤُلاءِ مِن الأنْصارِ؛ حَتّى نَنْظُرَ ما هُمْ عَلَيْهِ.

[ابنُ عَوْفٍ ومَشُورَتُهُ على عُمَرَ بِشَأْنِ بَيْعةِ أبي بَكْرٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ مِنْ حَدِيثِ السَّقِيفةِ حِينَ اجْتَمَعَتْ بِها الأنْصارُ، أنَّ عَبْدَ الله بنَ أبي بَكْرٍ حَدَّثَني عَنِ ابنِ شِهابٍ الزُّهْرِي، عَنْ عُبَيْدِ الله ابنِ عَبْدِ الله بنِ عُتْبَةَ بنِ مَسْعُودٍ، عَنْ عَبْدِ الله بنِ عَبّاسٍ، قالَ: أخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ، قالَ: وكُنْتُ في مَنْزِلِهِ بِمِنًى أنْتَظِرُهُ، وهُوَ عِنْدَ عُمَرَ في آخِرِ حجّةٍ حَجَّها عُمَرُ، قالَ: فَرَجَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ مِنْ عِنْدِ عُمَرَ فوَجَدَنِي في مَنْزِلِهِ بمِنًى أنْتَظِرُهُ، وكُنْتُ أُقْرِئُهُ القُرْآنَ، قالَ ابنُ عَبّاسٍ، فقالَ لِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ: لَوْ رَأيْتَ رَجُلًا أتى أمِيرَ المُؤْمِنِينَ، فقالَ: يا أمِيرَ المُؤْمِنِينَ، هَلْ لَكَ في فُلانٍ؟ يَقُولُ: والله لَوْ قَدْ ماتَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ لَقَدْ بايَعْتُ فُلانًا، والله ما كانَتْ بَيْعةُ أبي بَكْرٍ إلّا فلْتةً فتَمَّتْ.

قالَ: فغَضِبَ عُمَرُ فقالَ: إنِّي إنْ شاءَ الله لَقائِمٌ العَشِيّةَ في النّاسِ فمُحَذِّرُهُمْ هَؤُلاءِ الَّذينَ يُرِيدُونَ أنْ يَغْصِبُوهُمْ أمْرَهُمْ، قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فقُلْتُ: يا أمِيرَ المُؤْمِنِينَ لا تَفْعَلْ؛ فإنَّ المَوْسِمَ يَجْمَعُ رَعاعَ النّاسِ وغَوْغاءَهُمْ، وإنَّهُمْ هُم الَّذينَ يَغْلِبُونَ على قُرْبِكَ حِينَ تَقُومُ في النّاسِ، وإنِّي أخْشى أنْ تَقُومَ فتَقُولَ مَقالةً يَطِيرُ بِها أُولَئِكَ عَنْكَ كُلَّ مَطِيرٍ، ولا يَعُوها ولا يَضَعُوها على مَواضِعِها، فأمْهِلْ حَتّى تَقْدَمَ المَدِينةَ؛ فإنَّها دارُ السُّنّةِ، وتَخْلُص بِأهْلِ الثِّقةِ وأشْرافِ النّاسِ فتَقُول ما قُلْتَ بِالمَدِينةِ مُتَمَكِّنًا، فيعِي أهْلُ الفِقْهِ مَقالَتَكَ، ويَضَعُوها على مَواضِعِها. قالَ: فقالَ عُمَرُ: أما والله إنْ شاءَ الله

لَأقُومَنَّ بِذلك أوَّلَ مَقامٍ أقُومُهُ بِالمَدِينةِ.

[خُطْبةُ عُمَرَ عِنْدَ بَيْعةِ أبي بَكْرٍ]

قالَ ابنُ عَبّاسٍ: فقَدِمْنا المَدِينةَ في عَقِبِ ذِي الحَجّةِ، فلَمّا كانَ يَوْمُ الجُمُعةِ عَجَّلْتُ الرَّواحَ حِينَ زالَتِ الشَّمْسُ، فأجِدُ سَعِيدَ بنَ زَيْدِ بنِ عَمْرِو ابنِ نُفيلٍ جالِسًا إلى رُكْنِ المِنْبَرِ، فجَلَسْتُ حَذْوَهُ تَمَسُّ رُكْبَتِي رُكْبَتَهُ، فلَمْ أنْشَبْ أنْ خَرَجَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ، فلَمّا رَأيْتُهُ مُقْبِلًا، قُلْتُ لِسَعِيدِ بنِ زَيْدٍ: لَيَقُولَنَّ العَشِيّةَ على هذا المِنْبَرِ مَقالةً لَمْ يَقُلْها مُنْذُ اسْتُخْلِفَ، قالَ: فأنْكَرَ عَلَيَّ سَعِيدُ بنُ زَيْدٍ ذلك، وقالَ: ما عَسى أنْ يَقُولَ مِمّا لَمْ يَقُلْ قَبْلَهُ؟

فجَلَسَ عُمَرُ على المِنْبَرِ، فلَمّا سَكَتَ المُؤَذِّنُونَ قامَ فأثْنى على اللهِ بِما هُوَ أهْلٌ لَهُ، ثُمَّ قالَ: أمّا بَعْدُ، فإنِّي قائِلٌ لَكُمُ اليَوْمَ مَقالةً قَدْ قُدِّرَ لي أنْ أقولَها، ولا أدْرِي لَعَلَّها بَيْنَ يَدَيْ أجَلِي، فمَنْ عَقَلَها ووَعاها فلْيأخُذْ بِها حَيْثُ انْتَهَتْ بِهِ راحِلَتُهُ، ومَنْ خَشِيَ ألّا يَعِيَها فلا يَحِلُّ لِأحَدٍ أنْ يَكْذِبَ عَلَيَّ، إنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا، وأنْزَلَ عَلَيْهِ الكِتابَ، فكانَ مِمّا أنْزَلَ عَلَيْهِ آيةُ الرَّجْمِ، فقَرَأْناها وعُلِّمْناها ووَعَيْناها، ورَجَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ورَجَمْنا بَعْدَهُ، فأخْشى إنْ طالَ بِالنّاسِ زَمانٌ أنْ يَقُولَ قائِلٌ: واللهِ ما نَجِدُ الرَّجْمَ في كِتابِ اللهِ، فيَضِلُّوا بِتَرْكِ فرِيضةٍ أنْزَلَها اللهُ، وإنَّ الرَّجْمَ في كِتابِ اللهِ حَقٌّ على مَنْ زَنى إذا أُحْصِنَ مِن الرِّجالِ والنِّساءِ، و إذا قامَت البَيِّنةُ، أوْ كانَ الحَبَلُ أو الِاعْتِرافُ.

ثُمَّ إنّا قَدْ كُنّا نَقْرَأُ فيما نَقْرَأُ مِنْ كِتابِ اللهِ: «لا تَرْغَبُوا عَنْ آبائِكُمْ فإنَّهُ كُفْرٌ بِكُمْ أنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبائِكُمْ».

ألا إنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ: «لا تُطْرُونِي كَما أُطْرِيَ عِيسى بنُ مَرْيَمَ، وقُولُوا: عَبْدُ الله ورَسُولُهُ».

ثُمَّ إنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أنَّ فُلانًا قالَ: والله لَوْ قَدْ ماتَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ لَقَدْ بايَعْتُ فُلانًا، فلا يَغُرَّنَّ امرأً أنْ يَقُولَ: إنَّ بَيْعةَ أبي بَكْرٍ كانَتْ فلْتةً فتَمَّتْ، وإنَّها قَدْ كانَتْ كَذلك، إلّا أنَّ الله قَدْ وقى شَرَّها، ولَيْسَ فيكُمْ مَنْ تَنْقَطِعُ الأعْناقُ إلَيْهِ مِثْلُ أبي بَكْرٍ، فمَنْ بايَعَ رَجُلًا عَنْ غَيْرِ مَشُورةٍ مِن المُسْلِمِينَ، فإنَّهُ لا بَيْعةَ لَهُ هُوَ ولا الَّذي بايَعَهُ تَغِرّةً أنْ يُقْتَلا، إنَّهُ كانَ مِنْ خَبَرِنا حِينَ تَوَفّى الله نَبِيَّهُ ﷺ أنَّ الأنْصارَ خالَفُونا، فاجْتَمَعُوا بِأشْرافِهِمْ في سَقِيفةِ بَنِي ساعِدَةَ، وتَخَلَّفَ عَنّا عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ والزُّبَيرُ بنُ العَوّامِ ومَنْ مَعَهُما، واجْتَمَعَ المُهاجِرُونَ إلى أبي بَكْرٍ، فقُلْتُ لِأبي بَكْرٍ: انْطَلِقْ بِنا إلى إخْوانِنا هَؤُلاءِ مِن الأنْصارِ، فانطَلَقْنا نَؤُمُّهُمْ حَتّى لَقِيَنا مِنْهُم رجلانِ صالِحانِ، فذَكَرا لَنا ما تَمالَأَ عَلَيْهِ القَوْمُ، وقالَا: أيْنَ تُرِيدُونَ يا مَعْشَرَ المُهاجِرِينَ؟ قُلْنا: نُرِيدُ إخْوانَنا هَؤُلاءِ مِن الأنْصارِ، قالا: فلا عَلَيْكُمْ ألّا تَقْرَبُوهُمْ يا مَعْشَرَ المُهاجِرِينَ، اقْضُوا أمْرَكُمْ. قالَ: قلت: والله لَنَأْتِيَنَّهُم. فانْطَلَقْنا حَتّى أتَيْناهُمْ في سَقِيفةِ بَنِي ساعِدةَ، فإذا بَيْنَ ظَهْرانَيْهِمْ رَجُلٌ مُزَمَّلٌ، فقُلْتُ: مَنْ هذا؟ فقالُوا: سَعْدُ بنُ عُبادةَ، فقُلْتُ: ما لَهُ؟ فقالُوا: وَجِعٌ. فلَمّا جَلَسْنا تَشَهَّدَ خَطِيبُهُمْ، فأثْنى على الله بِما هُوَ لَهُ أهْلٌ، ثُمَّ قالَ: أمّا بَعْدُ، فنَحْنُ أنْصارُ الله وكَتِيبةُ الإسْلامِ، وأنْتُمْ يا مَعْشَرَ المُهاجِرِينَ رَهْطٌ مِنّا، وقَدْ دَفَّتْ دافّةٌ مِنْ قَوْمِكُمْ، قالَ: وإذا هُمْ يُرِيدُونَ أنْ يَحْتازُونا مِنْ أصْلِنا، ويَغْصِبُونا الأمْرَ، فلَمّا سَكَتَ أرَدْتُ أنْ أتَكَلَّمَ، وقَدْ زَوَّرْتُ في نَفْسِي مَقالةً قَدْ أعْجَبَتْنِي،

أُرِيدُ أنْ أُقَدِّمَها بَيْنَ يَدَيْ أبي بَكْرٍ، وكُنْتُ أُدارِي مِنْهُ بَعْضَ الحَدِّ، فقالَ أبو بَكْرٍ: على رِسْلِكَ يا عُمَرُ، فكَرِهْتُ أنْ أُغْضِبَهُ، فتَكَلَّمَ، وهُوَ كانَ أعْلَمَ مِنِّي وأوقَرَ، فواللهِ ما تَرَكَ مِنْ كَلِمةٍ أعْجَبَتْنِي مِنْ تَزْوِيرِي إلّا قالَها في بَدِيهَتِهِ أوْ مِثْلَها أوْ أفْضَلَ، حَتّى سَكَتَ، قالَ: أمّا ما ذَكَرْتُمْ فيكُمْ مِنْ خَيْرٍ، فأنْتُمْ لَهُ أهْلٌ، ولَنْ تَعْرِفَ العَرَبُ هذا الأمْرَ إلّا لِهذا الحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ، هُمْ أوْسَطُ العَرَبِ نَسَبًا ودارًا، وقَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، فبايِعُوا أيَّهما شِئْتُمْ، وأخَذَ بِيَدِي وبِيَدِ أبي عُبَيْدَةَ بنِ الجَرّاحِ، وهُوَ جالِسٌ بَيْنَنا، ولَمْ أكْرَهْ شَيْئًا مِمّا قالَهُ غَيْرَها، كانَ واللهِ أنْ أُقَدَّمَ فتُضْرَبَ عُنُقِي، لا يُقَرِّبُنِي ذلك إلى إثْمٍ، أحَبُّ إلَيَّ مِنْ أنْ أتَأمَّرَ على قَوْمٍ فيهِمْ أبو بَكْرٍ.

قالَ قائِلٌ مِنَ الأنْصارِ: أنا جُذَيْلُها المُحَكَّكُ، وعُذَيْقُها المُرَجَّبُ، مِنّا أمِيرٌ ومِنْكُمْ أمِيرٌ يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ.

قالَ: فكَثُرَ اللَّغَطُ، وارْتَفَعَت الأصْواتُ، حَتّى تَخَوَّفْتُ الاخْتِلافَ، فقُلْتُ: ابْسُطْ يَدَكَ يا أبا بَكْرٍ، فبَسَطَ يَدَهُ، فبايَعْتُهُ، ثُمَّ بايَعَهُ المُهاجِرُونَ، ثُمَّ بايَعَهُ الأنْصارُ، ونَزَوْنا على سَعْدِ بنِ عُبادةَ، فقالَ قائِلٌ مِنْهُمْ: قَتَلْتُمْ سَعْدَ بنَ عُبادةَ. قالَ: فقُلْتُ: قَتَلَ اللهُ سَعْدَ بنَ عُبادةَ.

[تَعْرِيفٌ بِالرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ لَقِيا أبا بَكْرٍ وعُمَرَ في طَرِيقِهِما إلى السَّقِيفةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: قالَ الزُّهْرِيُّ: أخْبَرَنِي عُرْوةُ بنُ الزُّبَيْرِ أنَّ أحَدَ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ لَقُوا مِنَ الأنْصارِ حِينَ ذَهَبُوا إلى السَّقِيفةِ عُوَيْمُ بنُ ساعِدةَ، والآخَرُ مَعْنُ بنُ عَدِيٍّ أخُو بَنِي العَجْلانِ، فأمّا عُوَيْمُ بنُ ساعِدةَ فهُوَ الَّذي بَلَغَنا أنَّهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: مَن الَّذينَ قالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ لَهُمْ: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ

﴿يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]؟ فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «نِعْمَ المَرْءُ مِنْهُمْ عُوَيْمُ بنُ ساعِدَةَ». وأمّا مَعْنُ بنُ عَدِيٍّ، فبَلَغَنا أن النّاس بكَوا على رَسُولِ الله ﷺ حِينَ تَوَفّاهُ الله عَزَّ وجَلَّ، وقالُوا: واللهِ لَوَدِدْنا أنّا مُتْنا قَبْلَهُ، إنّا نَخْشى أنْ نُفْتَتَنَ بَعْدَهُ. قالَ مَعَنُ بنُ عَدِيٍّ: لَكِنِّي واللهِ ما أُحِبُّ أنِّي مُتُّ قَبْلَهُ حَتّى أُصَدِّقَهُ مَيِّتًا كَما صَدَّقْتُهُ حَيًّا. فقُتِلَ مَعْنٌ يَوْمَ اليَمامةِ شَهِيدًا في خِلافةِ أبي بَكْرٍ يَوْمَ مُسَيْلِمةَ الكَذّابِ.

[خُطْبةُ عُمَرَ قَبْلَ أبي بَكْرٍ عِنْدَ البَيْعةِ العامّةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، قالَ: حَدَّثَنِي أَنَسُ بنُ مالِكٍ، قالَ: لمّا بُويِعَ أبو بَكْرٍ في السَّقِيفةِ وكانَ الغَدُ، جَلَسَ أبو بَكْرٍ على المِنْبَرِ، فقامَ عُمَرُ، فتَكَلَّمَ قَبْلَ أبي بَكْرٍ، فحَمِدَ الله وأثْنى عَلَيْهِ بِما هُوَ أهْلُهُ، ثُمَّ قالَ: أيُّها النّاسُ، إنِّي كُنْتُ قُلْتُ لَكُمْ بِالأمْسِ مَقالةً ما كانَتْ مِمّا وجَدْتُها في كِتابِ الله، ولا كانَتْ عَهْدًا عَهِدَ إلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ، ولَكِنِّي قَدْ كُنْتُ أرى أنَّ رَسُولَ الله ﷺ سَيُدَبِّرُ أمْرَنا، يَقُولُ: يَكُونُ آخِرنا، وإنَّ الله قَدْ أبْقى فيكُمْ كِتابَهُ الَّذي بِهِ هَدى الله رَسُولَهُ ﷺ، فإنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ هَداكُم الله لِما كانَ هَداهُ لَهُ، وإنَّ الله قَدْ جَمَعَ أمْرَكُمْ على خَيْرِكُمْ، صاحِبِ رَسُولِ الله ﷺ، ثانِي اثْنَيْنِ إذْ هُما في الغارِ، فقُومُوا فبايِعُوهُ، فبايَعَ النّاسُ أبا بَكْرٍ بَيْعةَ العامّةِ بَعْدَ بَيْعةِ السَّقِيفةِ.

[خُطْبةُ أبي بَكْرٍ]

فَتَكَلَّمَ أبو بَكْرٍ، فحَمِدَ الله، وأثْنى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ أهْلُهُ، ثُمَّ قالَ:

«أمّا بَعْدُ، أيُّها النّاسُ، فإنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ ولَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، فإنْ أحْسَنْتُ فأعِينُونِي، وإنْ أسَأْتُ فقَوِّمُونِي، الصِّدْقُ أمانةٌ، والكَذِبُ خِيانةٌ، والضَّعِيفُ فيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقَّهُ إنْ شاءَ الله، والقَوِيُّ فيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتّى آخُذَ الحَقَّ مِنْهُ إنْ شاءَ الله، لا يَدَعُ قَوْمٌ الجِهادَ في سَبِيلِ الله إلّا ضَرَبَهُم الله بِالذُّلِّ، ولا تَشِيعُ الفاحِشةُ في قَوْمٍ قَطُّ إلّا عَمَّهُم الله بِالبَلاءِ، أطِيعُونِي ما أطَعْتُ الله ورَسُولَهُ، فإذا عَصَيْتُ الله ورَسُولَهُ فلا طاعةَ لِي عَلَيْكُمْ. قُومُوا إلى صَلاتِكُمْ يَرْحَمْكُمُ الله».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي حُسَيْنُ بنُ عَبْدِ الله، عَنْ عِكْرِمةَ، عَن ابنِ عَبّاسٍ، قالَ: والله إنِّي لأمْشِي مَعَ عُمَرَ في خِلافَتِهِ وهُوَ عامِدٌ إلى حاجةٍ لَهُ، وفي يَدِهِ الدِّرّةُ، وما مَعَهُ غَيْرِي، قالَ: وهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ، ويَضْرِبُ وحْشِيَّ قَدَمه بِدِرَّتِهِ، قالَ: إذِ الْتَفَتَ إلَيَّ فقالَ: يا ابنَ عَبّاسٍ، هَلْ تَدْرِي ما كانَ حَمَلَنِي على مَقالَتِي الَّتِي قُلْتُ حِينَ تُوُفِّي رَسُولُ الله ﷺ؟ قالَ: قُلْتُ: لا أدْرِي يا أمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أنْتَ أعْلَمُ، قالَ: فإنَّهُ والله إنْ كانَ الَّذي حَمَلَنِي على ذلك إلّا أنِّي كُنْتُ أقْرَأُ هذِهِ الآيةَ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فوالله إنْ كُنْتُ لأظُنُّ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ سَيَبْقى في أُمَّتِهِ حَتّى يَشْهَدَ عَلَيْها بِآخِرِ أعْمالِها، فإنَّهُ لَلَّذِي حَمَلَنِي على أنْ قُلْتُ ما قُلْتُ.

جهازُ رَسُولِ الله ﷺ ودَفْنُهُ

[مَنْ تَوَلّى غُسْلَ الرَّسُولِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا بُويِعَ أبو بَكْرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ، أقْبَلَ النّاسُ على

جَهازِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الثُّلاثاءِ، فحَدَّثَني عَبْدُ اللهِ بنُ أبي بَكْرٍ وحُسَيْنُ ابن عَبْدِ اللهِ وغَيْرُهُما مِنْ أصْحابِنا: أنَّ عَلِيَّ بنَ أبي طالِبٍ، والعَبّاسَ بنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ، والفَضْلَ بنَ العَبّاسِ، وقُثَمَ بنَ العَبّاسِ، وأُسامةَ بنَ زَيْدٍ، وشُقْرانَ مَوْلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، هُم الَّذينَ وَلُوا غَسْلَهُ، وأنَّ أوْسَ بنَ خَوْلِيٍّ، أحَدَ بَنِي عَوْفِ بنِ الخَزْرَجِ، قالَ لِعَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ: أنْشُدُكَ اللهَ يا عَلِيُّ وحَظَّنا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وكانَ أوْسٌ مِنْ أصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وأهْلِ بَدْرٍ، قالَ: ادْخُلْ، فدَخَلَ فجَلَسَ، وحَضَرَ غُسْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فأسْنَدَهُ عَلِيُّ ابنُ أبي طالِبٍ إلى صَدْرِهِ، وكانَ العَبّاسُ والفَضْلُ وقُثَمُ يُقَلِّبُونَهُ مَعَهُ، وكانَ أُسامةُ بنُ زَيْدٍ وشُقْرانُ مَوْلاهُ هُما اللَّذانِ يَصُبّانِ الماءَ عَلَيْهِ، وعَلِيٌّ يُغَسِّلُهُ، قَدْ أسْنَدَهُ إلى صَدْرِهِ، وعَلَيْهِ قَمِيصُهُ يُدَلِّكُهُ بِهِ مِنْ ورائِهِ، لا يُفْضِي بِيَدِهِ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وعَلِيٌّ يَقُولُ: بِأبي أنْتَ وأُمِّي، ما أطْيَبَكَ حَيًّا ومَيِّتًا! ولَمْ يُرَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْءٌ مِمّا يُرى مِن المَيِّتِ.

[كَيْفَ غُسِّلَ الرَّسُولُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني يَحْيى بنُ عَبّادِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أبيهِ عَبّادٍ، عَنْ عائِشَةَ، قالَتْ: لمّا أرادُوا غَسْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ اخْتَلَفُوا فيهِ؛ فَقالُوا: واللهِ ما نَدْرِي، أنُجَرِّدُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ ثِيابِهِ كَما نُجَرِّدُ مَوْتانا، أوْ نَغْسِلُهُ وعَلَيْهِ ثِيابُهُ؟ قالَتْ: فلَمّا اخْتَلَفُوا ألْقى اللهُ عَلَيْهِمُ النَّوْمَ، حَتّى ما مِنْهُمْ رَجُلٌ إلّا ذَقَنُهُ في صَدْرِهِ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ مُكَلِّمٌ مِنْ ناحِيَةِ البَيْتِ لا يَدْرُونَ مَنْ هُوَ: أنِ اغْسِلُوا النَّبِيَّ وعَلَيْهِ ثِيابُهُ، قالَتْ: فقامُوا إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فغَسَلُوهُ وعَلَيْهِ قَمِيصُهُ، يَصُبُّونَ الماءَ فوْقَ القَمِيصِ، ويَدْلُكُونَهُ والقَمِيصُ دُونَ أيْدِيهِمْ.

[تَكْفينُ الرَّسُولِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا فُرِغَ مِنْ غُسْلِ رَسُولِ الله ﷺ كُفِّنَ في ثَلاثةِ أثْوابٍ؛ ثَوْبَيْنِ صُحارِيَّيْنِ، وبُرْدٍ حِبَرةٌ، أُدْرِجَ فيها إدْراجًا، كَما حَدَّثَني جَعْفَرُ ابنُ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ، عَنْ أبيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ والزُّهْرِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ.

[حَفْرُ القَبْرِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني حُسَيْنُ بنُ عَبْدِ الله، عَنْ عِكْرِمةَ، عَنِ ابنِ عَبّاسٍ، قالَ: لمّا أرادُوا أنْ يَحْفِرُوا لِرَسُولِ الله ﷺ، وكانَ أبو عُبَيْدةَ بنُ الجَرّاحِ يَضْرَحُ كَحَفْرِ أهْلِ مَكّةَ، وكانَ أبو طَلْحةَ زَيْدُ بنُ سَهْلٍ هُوَ الَّذي يَحْفِرُ لِأهْلِ المَدينةِ، فكانَ يَلْحَدُ، فدَعا العَبّاسُ رَجُلَيْنِ، فقالَ لِأحَدِهِما: اذْهَبْ إلى أبي عُبَيْدةَ بنِ الجَرّاحِ، ولِلْآخَرِ: اذْهَبْ إلى أبي طَلْحةَ، اللهُمَّ خِرْ لِرَسُولِ الله ﷺ. فوَجَدَ صاحِبُ أبي طَلْحةَ أبا طَلْحةَ، فجاءَ بِهِ، فلَحَدَ لِرَسُولِ الله ﷺ.

[دَفْنُ الرَّسُولِ والصَّلاةُ عَلَيْهِ]

فَلَمّا فُرِغَ مِنْ جَهازِ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ الثُّلاثاءِ، وُضِعَ في سَريرِهِ في بَيْتِهِ، وقَدْ كانَ المُسْلِمُونَ اخْتَلَفُوا في دَفْنِهِ؛ فقالَ قائِلٌ: نَدْفِنُهُ في مَسْجِدِهِ، وقالَ قائِلٌ: بَلْ نَدْفِنُهُ مَعَ أصْحابِهِ، فقالَ أبو بَكْرٍ: إنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «ما قُبِضَ نَبِيٌّ إلّا دُفِنَ حَيْثُ يُقْبَضُ»، فرُفِعَ فِراشُ رَسُولِ الله ﷺ الَّذي تُوُفِّي عَلَيْهِ، فحُفِرَ لَهُ تَحْتَهُ، ثُمَّ دَخَلَ النّاسُ على رَسُولِ الله ﷺ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ أرْسالًا، دَخَلَ الرِّجالُ، حَتّى إذا فرَغُوا أُدْخِلَ النِّساءُ، حَتّى إذا فرَغَ

النِّساءُ أُدْخِلَ الصِّبْيانُ، ولَمْ يَؤُمَّ النّاسَ على رَسُولِ الله ﷺ أحَدٌ.

ثُمَّ دُفِنَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ وسَطِ اللَّيْلِ لَيْلَةَ الأرْبِعاءِ.

[دَفْنُ الرَّسُولِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ، عَنِ امْرَأتِهِ فاطِمَةَ بِنْتِ عُمارةَ، عَنْ عَمْرةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ أسْعَدَ بنِ زُرارةَ، عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْها: جَوْفَ اللَّيْلِ مِنْ لَيْلةِ الأرْبِعاءِ.

[مَنْ تَوَلَّى دَفْنَ الرَّسُولِ]

وَكانَ الَّذينَ نَزَلُوا في قَبْرِ رَسُولِ الله ﷺ عَلِيَّ بنَ أبي طالِبٍ، والفَضْلَ بنَ عَبّاسٍ، وقُثَمَ بنَ عَبّاسٍ، وشُقْرانَ مَوْلى رَسُولِ الله ﷺ.

وَقَدْ قالَ أوْسُ بنُ خَوْلِيٍّ لِعَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ: يا عَلِيُّ، أنْشُدُكَ الله وحَظَّنا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، فقالَ لَهُ: انْزِلْ، فنَزَلَ مَعَ القَوْمِ، وقَدْ كانَ مَوْلاهُ شُقْرانُ حِينَ وضَعَ رَسُولَ الله ﷺ في حُفْرَتِهِ وبَنى عَلَيْهِ قَدْ أخَذَ قَطِيفةً، و قَدْ كانَ رَسُولُ الله ﷺ يَلْبَسُها ويَفْتَرِشُها، فدَفَنَها في القَبْرِ، وقالَ: والله لا يَلْبَسُها أحَدٌ بَعْدَكَ أبَدًا. قالَ: فدُفِنَتْ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ.

[أحْدَثُ النّاسِ عَهْدًا بِالرَّسُولِ]

وَقَدْ كانَ المُغِيرةُ بنُ شُعْبَةَ يَدَّعِي أنَّهُ أحْدَثُ النّاسِ عَهْدًا بِرَسُولِ الله ﷺ، يَقُولُ: أخَذْتُ خاتَمِي فألْقَيْتُهُ في القَبْرِ، وقُلْتُ: إنَّ خاتَمِي سَقَطَ مِنِّي، وإنَّما طَرَحْتُهُ عَمْدًا لِأمَسَّ رَسُولَ الله ﷺ، فأكُونَ أحْدَثَ النّاسِ عَهْدًا بِهِ ﷺ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي أبي إسْحاقُ بنُ يَسارٍ، عَنْ مِقْسَمٍ أبي القاسِمِ، مَوْلى عَبْدِ الله بنِ الحارِثِ بنِ نَوْفَلٍ، عَنْ مَوْلاهُ عَبْدِ الله بنِ الحارِثِ، قالَ: اعْتَمَرْتُ مَعَ عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ رِضْوانُ الله عَلَيْهِ في زَمانِ عُمَرَ ـ أوْ زَمانِ عُثْمانَ ـ فنَزَلَ على أُخْتِهِ أُمِّ هانِئٍ بِنْتِ أبي طالِبٍ، فلَمّا فرَغَ مِنْ عُمْرَتِهِ رَجَعَ فسُكِبَ لَهُ غُسْلٌ، فاغْتَسَلَ، فلَمّا فرَغَ مِنْ غُسْلِهِ دَخَلَ عَلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ العِراقِ، فقالُوا: يا أبا حَسَنٍ، جِئْنا نَسْأَلُكَ عَنْ أمْرٍ نُحِبُّ أنْ تُخْبِرَنا عَنْهُ، قالَ: أظُنُّ المُغِيرةَ بنَ شُعْبَةَ يُحَدِّثُكُمْ أنَّهُ كانَ أحْدَثَ النّاسِ عَهْدًا بِرَسُولِ الله ﷺ؟ قالُوا: أجَلْ، عَنْ ذلك جِئْنا نَسْألُكَ، قالَ: كَذَبَ، قالَ: أحْدَثُ النّاسِ عَهْدًا بِرَسُولِ الله ﷺ قُثَمُ بنُ عَبّاسٍ.

[خَمِيصةُ الرَّسُولِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي صالِحُ بنُ كَيْسانَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ الله ابنِ عَبْدِ الله بنِ عُتْبَةَ، أنَّ عائِشةَ حَدَّثَتْهُ، قالَتْ: كانَ على رَسُولِ الله ﷺ خَمِيصةٌ سَوْداءُ حِينَ اشْتَدَّ بِهِ وجَعُهُ، قالَتْ: فهُوَ يَضَعُها مَرّةً على وجْهِهِ، ومَرّةً يَكْشِفُها عَنْهُ، ويَقُولُ: «قاتَلَ الله قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أنْبِيائِهِمْ مَساجِدَ»، يُحَذِّرُ مِنْ ذلك على أُمَّتِهِ. قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي صالِحُ بنُ كَيْسانَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ الله بنِ عَبْدِ الله بنِ عُتْبَةَ، عَنْ عائِشةَ، قالَتْ: كانَ آخِرُ ما عَهِدَ رَسُولُ الله ﷺ أنْ قالَ: «لا يُتْرَكُ بِجَزِيرةِ العَرَبِ دِينانِ».

[افْتِتانُ المُسْلِمِينَ بَعْدَ مَوْتِ الرَّسُولِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولمّا تُوُفِّي رَسُولُ الله ﷺ عَظُمَتْ بِهِ مُصِيبةُ المُسْلِمِينَ، فكانَتْ عائِشةُ، فيما بَلَغَنِي، تَقُولُ: لمّا تُوُفِّي رَسُولُ الله ﷺ ارْتَدَّت العَرَبُ،

واشْرَأَبَّتِ اليَهُودِيَّةُ والنَّصْرانِيّةِ، ونَجَمَ النِّفاقُ، وصارَ المُسْلِمُونَ كالغَنَمِ المَطِيرةُ في اللَّيْلَةِ الشّاتِيةِ؛ لِفَقْدِ نَبِيِّهِمْ ﷺ، حَتّى جَمَعَهُم الله على أبي بَكْرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: حَدَّثَنِي أبو عُبَيْدةَ وغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ أَنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ مَكّةَ لمّا تُوفي رَسُولُ الله ﷺ هَمُّوا بِالرُّجُوعِ عَنِ الإسْلامِ، وأرادُوا ذلك، حَتّى خافَهُمْ عَتّابُ بنُ أَسِيدٍ فتَوارى، فقامَ سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو فحَمِدَ الله وأثنى عَلَيْهِ، ثُمَّ ذَكَرَ وفاةَ رَسُولِ الله ﷺ، وقالَ: إنَّ ذلك لَمْ يَزِدِ الإسْلامَ إلّا قُوّةً، فمَنْ رابَنا ضَرَبنا عُنُقَهُ. فتَراجَعَ النّاسُ وكَفُّوا عَمّا هَمُّوا بِهِ، وظَهَرَ عَتّابُ ابنُ أَسِيدٍ.

فَهذا المَقامُ الّذي أرادَ رَسُولُ الله ﷺ في قَوْلِهِ لِعُمَرَ بنِ الخَطّابِ: «إنَّهُ عَسى أنْ يَقُومَ مَقامًا لا تَذُمُّهُ».

[شِعْرُ حَسّانَ بنِ ثابِتٍ في مَرْثِيَّتِهِ الرَّسُولَ]

وَقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ يَبْكِي رَسُولَ الله ﷺ، فيما حَدَّثَنا ابنُ هِشامٍ، عَنْ أبي زَيْدٍ الأنْصارِيِّ:

بِطَيْبَــةَ رَسْــمٌ لِلرَّسُــولِ ومَعْهَدُ ... مُنِيرٌ وقَدْ تَعْفُو الرُّسُــومُ وتَهْمُدُ
وَلا تَمْتَحِي الآياتُ مِنْ دارِ حُرْمةٍ ... بِها مِنْبَرُ الهادِي الَّذي كانَ يَصْعَدُ
وَواضِــحُ آثــارٍ وبــاقِي مَعالِــمٍ ... ورَبْعٌ لَهُ فيــهِ مُصَلّى ومَسْــجِدُ
بِها حُجُراتٌ كانَ يَنْزِلُ وسْــطَها ... مِنَ الله نُــورٌ يُسْــتَضاءُ ويُوقَدُ
مَعارِفُ لَمْ تُطمَس على العَهْد آيها ... أتاها البِلى فــالآيُ مِنْهــا تَجَدَّدُ
عَرَفْتُ بِها رَسْــمَ الرَّسُولِ وعَهْدَهُ ... وقَبْرًا بِهــا واراهُ في التُّرْبِ مُلْحِدُ
ظَلِلْتُ بِها أبْكِي الرَّسُولَ فأسْعَدَتْ ... عُيُونٌ ومِثْلاها مِنَ الجَفْنِ تُسْعَدُ

يُذَكِّـرْنَ آلاءَ الرَّسُـولِ وما أرى ... لَهَـا مُحْصِيًا نَفْـسِي فنَفْسِي تَبَلَّدُ
مُفَجَّعَـةً قَدْ شَـفَّها فقْـدُ أَحْمَدَ ... فظَلَّـتْ لِآلاءِ الرَّسُـولِ تُعَـدِّدُ
وَمَـا بَلَغَتْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَشِـيرَهُ ... ولَكِنْ لِنَفْسِي بَعْدُ ما قَدْ تَوَجَّدُ
أطالَتْ وُقُوفًا تَذْرِفُ العَيْنَ جُهْدَها ... على طَلَلِ القَـبْرِ الَّذي فيهِ أَحْمَدُ
فَبُورِكْتَ يا قَبْرَ الرَّسُولِ وبُورِكَتْ ... بِلادٌ ثَوى فيها الرَّشِـيدُ المُسَدَّدُ
وَبُـورِكَ لَحْدٌ مِنْكَ ضُمِّـنَ طَيِّبًا ... عَلَيْهِ بِنـاءٌ مِنْ صَفيـحٍ مُنَضَّدُ
تَهِيـلُ عَلَيْهِ التُّربَ أيْـدٍ وأَعْيُنٌ ... عَلَيْـهِ وقَدْ غارَتْ بِذلك أَسْـعُدُ
لَقَدْ غَيَّبُوا حِلْمًـا وعِلْمًا ورَحْمَةً ... عَشِـيَّةَ عَلَّـوْهُ الثَّرى لا يُوَسَّـدُ
وَراحُوا بِحُزْنٍ لَيْـسَ فيهِمْ نَبِيُّهُمْ ... وقَدْ وهَنَتْ مِنْهُمْ ظُهُورٌ وأَعْضُدُ
يُبَكُّونَ مَن تبْكي السّمَواتُ يَوْمَهُ ... ومَنْ قَدْ بَكَتْهُ الأَرْضُ فالنّاسُ أَكْمَدُ
وَهَـلْ عَدَلَتْ يَوْمًـا رَزِيّةُ هالِكٍ ... رَزِيّـةَ يَوْمٍ مـاتَ فيـهِ مُحَمَّدُ؟
تَقَطَّعُ فيـهِ مَنْزِلُ الـوَحْيِ عَنْهُمُ ... وقَـدْ كانَ ذا نُورٍ يَغُـورُ ويُنْجِدُ
يَدُلُّ على الرَّحْمَنِ مَـنْ يَقْتَدِي بِهِ ... ويُنْقِذُ مِنْ هَوْلِ الخَزايا ويُرْشِـدُ
إمـامٌ لَهُمْ يَهْدِيهِـمُ الحَقَّ جاهِدًا ... مُعَلِّمُ صِدْقٍ إنْ يُطِيعُوهُ يُسْـعَدُوا
عَفُوٌّ عَنِ الـزَّلّاتِ يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ ... وإنَّ يُحْسِـنُوا فاللهُ بِالخَـيْرِ أَجْوَدُ
وَإنْ نابَ أَمْرٌ لَـمْ يَقُومُوا بِحَمْلِهِ ... فمِنْ عِنْدِهِ تَيْسِـيرُ ما يَتَشَـدَّدُ
فَبَيْنـا هُـمُ في نِعْمـةِ اللهِ بَيْنَهُمْ ... دَلِيلٌ بَـهْ نَهْجُ الطَّرِيقَـةِ يُقْصَدُ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أنْ يَجُورُوا عَنِ الهُدى ... حَرِيصٌ على أنْ يَسْتَقِيمُوا ويَهْتَدُوا
عَطُوفٌ عَلَيْهِـمْ لا يُثَنِّي جَناحَهُ ... إلى كَنَـفٍ يَحْنُو عَلَيْهِـمْ ويَمْهَدُ
فَبَيْنا هُمُ في ذلك النُّـورِ إذْ غَدا ... إلى نُورِهِمْ سَهْمٌ مِنَ المَوْتِ مُقْصِدُ
فَأَصْبَـحَ مَحْمُـودًا إلى اللهِ راجِعًا ... يُبَكِّيهِ حَقُّ المُرْسَـلاتِ ويُحْمَدُ

وَأَمْسَتْ بِلادُ الحُرْمِ وَحْشًا بِقاعُها لِغَيْبةِ ما كانَتْ مِـن الوَحْيِ تُعْهَدُ
قِفارًا سِوى مَعْمُورةِ اللَّحْدِ ضافَها فقِيـدٌ يبكّينيهُ بَـلاطٌ وغَرْقَدُ
وَمَسْجِدُهُ فالمُوحِشاتُ لِفَقْدِهِ خَـلاءٌ لَهُ فيـهِ مَقـامٌ ومَقْعَـدُ
وَبِالجَمْرةِ الكُبْرى لَهُ ثَمَّ أوْحَشَتْ دِيـارٌ وعَرْصـاتٌ ورَبْـعٌ ومَوْلِدُ
فَبَكِّي رَسُـولَ اللهِ يا عَـيْنُ عَبْرةً ولا أعْرِفَنْكِ الدَّهْرَ دمعُك يَجمُدُ
وما لكِ لا تَبْكِينَ ذا النِّعْمةِ الَّتِي على النّـاسِ مِنْها سـابِغٌ يُتَغَمَّدُ
فَجُودِي عَلَيْـهِ بِالدُّمُوعِ وأعْوِلِي لِفَقْـدِ الَّذي لا مِثْلُهُ الدَّهْرَ يُوجَدُ
وَما فقَـدَ الماضُونَ مِثْـلَ مُحَمَّدٍ ولا مِثْلُـهُ حَتّى القِيامـةِ يُفْقَدُ
أعَـفَّ وأوْفى ذِمّـةً بَعْـدَ ذِمّةٍ وأقْـرَبَ مِنْـهُ نائِـلًا لا يُنَكَّدُ
وَأبْـذَلَ مِنْـهُ لِلطَّرِيـفِ وتالِدٍ إذا ضَـنَّ مِعْطاءٌ بِمـا كانَ يُتْلَدُ
وَأكْرَمَ صِيتًا في البُيُوتِ إذا انْتَمى وأكْـرَمَ جَـدًّا أبْطَحِيًّا يُسَـوَّدُ
وَ أمْنَـعَ ذِرْواتٍ وأثْبَتَ في العُلا دَعائِـمَ عِزٍّ شـاهِقاتٍ تُشَـيَّدُ
وَأثْبَتَ فرْعًا في الفُـرُوعِ ومَنْبِتًا وعُودًا غَذاهُ المُـزْنُ فالعُودُ أغْيَدُ
رَبَـاهُ ولِيـدًا فاسْـتَتَمَّ تَمامُـهُ على أكْرَمِ الخَـيْراتِ رَبٌّ مُمَجَّدُ
تَناهَتْ وصاةُ المُسْـلِمِينَ بِكَفِّهِ فلا العِلْمُ مَحْبُوسٌ ولا الرَّأْيُ يُفْنَدُ
أقُـولُ ولا يُلْـقى لِقَـوْلِيَ عائِبٌ مِن النّاسِ إلّا عازِبُ العَقْلِ مُبْعَدُ
وَلَيْسَ هَـوايَ نازِعًا عَـنْ ثَنائِهِ لَعَـلِّي بِـهِ في جَنّةِ الخُـلْدِ أخْلُدُ
مَعَ المُصْطَـفى أرْجُو بِذاكَ جِوارَهُ وفي نَيْلِ ذاكَ اليَوْمِ أسْـعى وأجْهَدُ

وَقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ أيْضًا يَبْكِي رَسُولَ اللهِ ﷺ:

ما بـالُ عَيْنِـكَ لا تَنـامُ كَأنَّما كُحِلَتْ مَآقِيها بِكُحْلِ الأرْمَدِ
جَزَعًا على المَهْـدِيِّ أصْبَحَ ثاوِيًا يا خَـيْرَ مَنْ وطِئَ الحَصى لا تَبْعَدِ

وَجْهِي يَقِيكَ التُّرْبَ لَهْفي لَيْتَنِي ... غُيِّبْتُ قَبْلَكَ في بَقِيعِ الغَرْقَدِ
بِأبي وأُمِّي مَنْ شَهِدْتُ وفاتَهُ ... في يَوْمِ الإثْنَيْنِ النَّبِيُّ المُهْتَدِي
فَظَلِلْتُ بَعْدَ وفاتِهِ مُتَبَلِّدًا ... مُتَلَدِّدًا يا لَيْتَنِي لَمْ أُولَدِ
أأُقِيمُ بَعْدَكَ بِالمَدِينَةِ بَيْنَهُمْ ... يا لَيْتَنِي صُبِّحْتُ سَمَّ الأسْوَدِ
أوْ حَلَّ أمْرُ الله فينا عاجِلًا ... في رَوْحَةٍ مِنْ يَوْمِنا أوْ مِنْ غَدِ
فَتَقُومُ ساعَتُنا فنَلْقى طَيِّبًا ... مَحْضًا ضَرائِبُهُ كَرِيمَ المَحْتِدِ
يا بِكْرَ آمِنَةَ المَبارِكَ بِكْرُها ... ولَدَتْهُ مُحْصَنَةٌ بِسَعْدِ الأسْعُدِ
نُورًا أضاءَ على البَرِيَّةِ كُلِّها ... مَنْ يُهْدَ لِلنُّورِ المُبارَكِ يَهْتَدِي
يا رَبِّ فاجْمَعْنا مَعًا ونَبِيَّنا ... في جَنَّةٍ تَثْنِي عُيُونُ الحُسَّدِ
في جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ فاكْتُبْها لَنا ... يا ذا الجَلالِ وذا العُلا والسُّودَدِ
والله أسْمَعُ ما بَقِيتُ بِهالِكٍ ... إلّا بَكَيْتُ على النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
يا ويْحَ أنْصارِ النَّبِيِّ ورَهْطِهِ ... بَعْدَ المُغَيَّبِ في سَواءِ المَلْحَدِ
ضاقَتْ بِالأنْصارِ البِلادُ فأصْبَحُوا ... سُودًا وُجُوهُهُمُ كَلَوْنِ الإثْمِدِ
وَلَقَدْ ولَدْناهُ وفينا قَبْرُهُ ... وفُضُولَ نِعْمَتِهِ بِنا لَمْ نَجْحَدِ
والله أكْرَمَنا بِهِ وهَدى بِهِ ... أنْصارَهُ في كُلِّ ساعَةِ مَشْهَدِ
صَلّى الإلَهُ ومَنْ يَحُفُّ بِعَرْشِهِ ... والطَّيِّبُونَ على المُبارَكِ أحْمَدِ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ يَبْكِي رَسُولَ الله ﷺ:

نَبِّ المَساكِينَ أنَّ الخَيْرَ فارَقَهُمْ ... مَعَ النَّبِيِّ تَوَلّى عَنْهُمُ سَحَرا
مَنْ ذا الَّذي عِنْدَهُ رَحْلِي وراحِلَتِي ... ورِزْقُ أهْلِي إذا لَمْ يُؤْنِسُوا المَطَرا
أمْ مَنْ نُعاتِبُ لا نَخْشى جَنادِعَهُ ... إذا اللِّسانُ عَتا في القَوْلِ أوْ عَثَرا
كانَ الضِّياءَ وكانَ النُّورَ نَتْبَعُهُ ... بَعْدَ الإلَهِ وكانَ السَّمْعَ والبَصَرا

فَلَيْتَنا يَوْمَ وارَوْهُ بِملْحدِهِ وغَيَّبُوهُ وأَلْقَوْا فوْقَهُ المَدَرا
لَمْ يَتْرُكِ اللهُ مِنّا بَعْدَهُ أَحَدًا ولَمْ يَعِشْ بَعْدَهُ أُنْثى ولا ذَكَرا
ذَلَّتْ رِقابُ بَنِي النَّجّارِ كُلِّهِم وكانَ أَمْرًا مِنَ امْرِ اللهِ قَدْ قُدِرا
واقْتُسِمَ الفيءُ دُونَ النّاسِ كُلِّهِم وبَدَّدُوهُ جِهارًا بَيْنَهُمْ هَدَرًا

وَقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ يَبْكِي رَسُولَ اللهِ ﷺ أيْضًا:

آلَيْتُ ما في جَمِيعِ النّاسِ مُجْتَهِدًا مِنِّي أَلْيةَ بَرٍّ غيرَ إفنادِ
تا اللهِ ما حَمَلَتْ أُنْثى ولا وضَعَتْ مِثْلَ الرَّسُولِ نَبِيِّ الأُمَّةِ الهادِي
وَلا بَرا اللهُ خَلْقًا مِنْ بَرِيَّتِهِ أَوْفى بِذِمّةِ جارٍ أَوْ بِمِيعادِ
مِنَ الَّذي كانَ فينا يُسْتَضاءُ بِهِ مُبارَكَ الأَمْرِ ذا عَدْلٍ وإِرْشادِ
أَمْسى نِساؤُكَ عَطَّلْنَ البُيُوتَ فما يَضْرِبنَ فوْقَ قَفا سِتْرٍ بِأَوْتادِ
مِثْلَ الرَّواهِبِ يَلْبَسْنَ المباذِلَ قَدْ أَيْقَنَّ بِالبُؤْسِ بَعْدَ النِّعْمةِ البادِي
يا أَفْضَلَ النّاسِ إنِّي كُنْتُ في نَهَرٍ أَصْبَحْتُ مِنْهُ كَمِثْلِ المُفْرَدِ الصّادِي

قالَ ابنُ هِشامٍ: عَجُزُ البَيْتِ الأَوَّلِ عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

فَصْلٌ

وَذَكَرَ أَنّهُمْ كُلِّمُوا حِينَ أرادُوا نَزْعَ قَمِيصِهِ لِلْغُسْلِ، وَكُلُّهُمْ سَمِعَ الصَّوْتَ، وَلَمْ يُرَ الشَّخْصُ، وَذَلِكَ مِنْ كَراماتِهِ ﷺ ، وَمِنْ آياتِ نُبُوَّتِهِ بَعْدَ المَوْتِ، فَقَدْ كانَ لَهُ ﷺ كَراماتٌ وَمُعْجِزاتٌ فِي حَياتِهِ، وَقَبْلَ مَوْلِدِهِ، وَبَعْدَ مَوْتِهِ، وَمِنْها ما رَواهُ أَبُو عُمَرَ رضي اللهُ عنه فِي «التَّمْهِيد» مِنْ طُرُقٍ صِحاحٍ: أَنّ أَهْلَ بَيْتِهِ سَمِعُوا وَهُوَ مُسَجًّى بَيْنَهُمْ قائِلًا يَقُولُ: «السّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ يا أَهْلَ البَيْتِ، إنَّ فِي اللهِ عِوَضًا مِنْ كُلِّ تالِفٍ، وخَلَفًا مِنْ كُلِّ هالِكٍ، وَعَزاءً

مِنْ كُلِّ مُصِيبةٍ، فاصْبِرُوا واحْتَسِبُوا، إنّ اللهَ مَعَ الصّابِرِينَ، وَهُوَ حَسْبُنا وَنِعْمَ الوَكِيلُ». قالَ: فَكانُوا يَرَوْنَ أَنّهُ الخَضِرُ ﷺ[١].

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا أَنّ الفضلَ بنَ عبّاسٍ كانَ يُغَسِّله هُوَ وَعَلِيٌّ، فَجَعَلَ الفَضْلُ وَهُوَ يَصُبُّ الماءَ يَقُولُ: أَرِحْنِي؛ فَإِنِّي أَجِدُ شَيْئًا يَتَنَزَّلُ على ظَهْرِي.

وَمِنْها أَنّهُ ﷺ لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ شَيْءٌ مِمّا يَظْهَرُ مِن المَوْتى، وَلا تَغَيّرَتْ لَهُ رائِحةٌ، وَقَدْ طالَ مُكْثُهُ فِي البَيْتِ قَبْلَ أَنْ يُدْفَنَ، وَكانَ مَوْتُهُ فِي شَهْرِ أَيْلُولَ، فَكانَ طَيِّبًا حَيًّا وَمَيِّتًا، وَإِنْ كانَ عَمُّهُ العَبّاسُ قَدْ قالَ لِعَلِيّ: إنّ ابنَ أَخِي قد ماتَ لا شَكّ، وَهُوَ مِنْ بَنِي آدَمَ يَأْسُنُ كَما يَأْسِنُونَ فَوارُوهُ. وَكانَ مِمّا زادَ العَباسُ يَقِينًا بِمَوْتِهِ ﷺ أَنّهُ كانَ قَدْ رَأى قَبْلَ ذَلِكَ بيسيرٍ كأَنّ القمرَ رُفِعَ مِن الأَرْضِ إلى السَّماءِ بِأَشْطانٍ، فَقَصَّها على نَبِيِّ اللهِ ﷺ، فَقالَ لَهُ: «هُوَ ابنُ أَخِيك»[٢].

وَرَوى يُونُسُ بنُ بُكَيْرٍ فِي السِّيرةِ أَنّ أُمَّ سَلَمَةَ قالَتْ: «وَضَعْتُ يَدِي على صَدْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مَيِّتٌ، فَمَرَّتْ عَلَيّ جُمَعٌ لا آكُلُ وَلا أَتَوَضّأُ إلّا وَجَدْتُ رِيحَ المِسْكِ مِنْ يَدِي»، وَفِي رِوايَتِهِ أَيْضًا: أَنّ عَلِيًّا نُودِيَ وَهُوَ يُغَسِّلُهُ: أَنِ ارْفَعْ طَرْفَكَ إلى السّماءِ[٣].

وَفِيها أَيْضًا: أَنّ عَلِيًّا والفَضْلَ حِينَ انْتَهَيا فِي الغُسْلِ إلى أَسْفَلِهِ سَمِعُوا مُنادِيًا يَقُولُ: لا تَكْشِفُوا عَوْرةَ نَبِيِّكُمْ ﷺ[٤].

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٧: ٢٤٤-٢٤٥).

(٢) أخرجه الدارمي: (٢: ١٣٧٧). (ج)

(٣) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٧: ٢٤٤-٢٤٥).

(٤) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٧: ٢٤٤-٢٤٥).

وَأَمّا جَزَعُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَقَوْلُهُ: «[واللهِ][١] ما ماتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَيَرْجِعَنَّ كَما رَجَعَ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ» حَتّى كَلَّمَهُ أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللهُ وَذَكَّرَهُ بِالآيَةِ، فَعَقِرَ[٢] حَتّى سَقَطَ إِلى الأَرْضِ، وما كانَ مِنْ ثَباتِ جَأْشِ أَبِي بَكْرٍ في قُوَّتِهِ[٣] فِي ذَلِكَ المَقامِ، فَفِيهِ ما كانَ عَلَيْهِ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه من شِدَّةِ التَّأَلُّهِ، وَتَعَلُّقِ القَلْبِ بِالإِلَهِ؛ وَلِذَلِكَ قالَ لَهُمْ: «مَنْ كانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ ماتَ، وَمَنْ كانَ يَعْبُدُ اللهَ، فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ»[٤].

وَمَنْ قُوَّةِ تَأَلُّهِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حِينَ أَجْمَعَ أَصْحابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ على رَدِّ جَيْشِ أُسامةَ حِينَ رَأَوُا الرِّدَّةَ قَد اسْتَعَرَتْ نارُها، وَخافُوا على نِساءِ المَدِينَةِ وَذَرارِيِّها، فَقالَ: «واللهِ لَوْ لَعِبَتِ الكِلابُ بِخَلاخِيلِ[٥] نِساءِ المَدِينَةِ، ما رَدَدْتُ جَيْشًا أَنْفَذَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ»، وَكَلَّمَهُ عُمَرُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ، وَسالِمٌ مَوْلى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَكانَ أَشَدَّ شَيْءٍ عَلَيْهِ أَنْ يُخالِفَ رَأْيُهُ رَأْيَ سالِمٍ، فَكَلَّمُوهُ[٦] أَنْ يَدَعَ لِلْعَرَبِ زَكاةَ ذَلِكَ العامِ تَأَلُّفًا لَهُمْ حَتّى يَتَمَكَّنَ لَهُ الأَمْرُ، فَقَدْ كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَأَلَّفُهُمْ، وَكَلَّمَهُ عُمَرُ أَنْ يُوَلِّيَ مَكانَ أُسامةَ مَنْ هُوَ أَسَنُّ مِنْهُ وَأَجْلَدُ، فَأَخَذَ بِلِحْيَةِ عُمَرَ وَقالَ لَهُ: «يا ابنَ الخَطّابِ، أَتَأْمُرُنِي أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ حالٍّ عَقْدًا عَقَدَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، واللهِ لَأَنْ أَخِرَّ مِن السَّماءِ إِلى الأَرْضِ فَتَخْطِفَنِي الطَّيْرُ، أَحَبُّ إِلَيّ من أن أُمالِئَكُمْ على هَذا الرَّأْيِ»، وَقالَ لَهُمْ: «واللهِ لَوْ أُفْرِدْتُ مِنْ جَمِيعِكُمْ

(١) ليس في (ب).
(٢) سيأتي تفسيرها بعد.
(٣) في غير (أ)، (س)، (ف): «وقوته».
(٤) «فتح الباري»، كتاب الجنائز: (٣: ١١٣).
(٥) الخلاخيل: جمع خلخال. وهي حلية كالسوار تلبسها النساء في أرجلهن.
(٦) في (ف): «فكلمه».

لَقاتَلْتهمْ وَحْدِي حَتّى تَنْفَرِدَ سالِفَتِي[(١)]، وَلَوْ مَنَعُونِي[(٢)] عِقالًا مما فرضَه الله عليهم لَجاهَدْتُهمْ عَلَيْهِ، أوفي شَكٍّ أَنْتُمْ أنّ وَعْدَ اللهِ لَحَقّ؟! وَأنّ قَوْلَهُ لَصِدْقٌ؟! وَلَيُظْهِرَنّ اللهُ هَذا الدِّينَ، وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ». ثُمّ خَرَجَ وَحْدَهُ إلى ذِي القَصّةِ[(٣)] حَتّى اتّبَعُوهُ، وَسُمِعَ الصَّوْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي كُلّ قَبِيلةٍ: ألا إنّ الخَلِيفةَ قَدْ تَوَجّهَ إلَيْكُم، الهَرَبَ الهَرَبَ، حَتّى اتّصَلَ الصَّوْتُ مِنْ يَوْمِهِ بِبِلادِ حِمْيَرَ، وَكَذَلِكَ فِي أَكْثَرِ أحْوالِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ كانَ يَلُوحُ الفَرْقُ فِي التّألُّهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُمَرَ، ألا تَرى إلى قَوْلِهِ حِينَ قالَ له النّبيُّ ﷺ: «سَمِعْتُك وَأنْتَ تَخْفِضُ مِنْ صَوْتِك» يَعْنِي فِي صَلاةِ اللّيْلِ، فقال: قد أسمعتُ مَن ناجيتُ، وَقالَ لِلْفارُوقِ: «سَمِعْتُك وَأنْتَ تَرْفَعُ مِنْ صَوْتِك»، فَقالَ: كَيْ أطْرُدَ الشّيْطانَ، وَأُوقِظَ الوَسْنانَ. قالَ عبد الكريم ابنُ هَوازِنَ القُشَيْرِيّ[(٤)]، وَذَكَرَ هَذا الحَدِيثَ: «انْظُرُوا إلى فَضْلِ الصِّدِّيقِ على الفارُوقِ، هَذا فِي مَقامِ المُجاهَدةِ، وَهَذا فِي بِساطِ المُشاهَدةِ».

وَكَذَلِكَ ما كانَ مِنْهُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَدْ ذَكَرْنا مَقالَتَهُ لِلنّبِيّ ﷺ ذَلِكَ اليَوْمَ وَهُوَ مَعَهُ فِي العَرِيشِ، وَكَذَلِكَ فِي أَمْرِ الصّدَقةِ حِينَ رَغِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيها، فَجاءَ عُمَرُ بِنِصْفِ مالِهِ، وَجاءَ الصِّدِّيقُ بِجَمِيعِ مالِهِ، فَقالَ لَهُ النّبِيّ ﷺ: «ما أبْقَيْتَ لِأَهْلِك؟» قالَ[(٥)]: اللهَ وَرَسُولَهُ، وَكَذَلِكَ فِعْلُه فِي قَسْمِ الفَيْءِ حِينَ سَوّى

(١) السالفة: جانب العنق.

(٢) في (ف): «منعوا».

(٣) ذو القصة: موضع على بريد من المدينة تلقاء نجد. والبريد: أميال اختلف في عددها.

(٤) هو الإمام الزاهد أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري، صاحب «الرسالة القشيرية في رجال الطريقة»، وكان علّامة في فنون كثيرة، توفي في سنة (٤٦٥هـ) عن ٩٠ سنة. انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٨: ٢٢٧).

(٥) في (ف): «فقال».

بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَقالَ: هُمْ إخوةٌ، أبُوهُم الإسْلامُ، فَهُمْ في هذا الفَيْءِ أُسْوةٌ[١]، وَأُجُورُ أهْلِ السّوابِقِ على اللهِ. وَفَضَّلَ عُمَرُ فِي قَسْمِ الفَيْءِ بَعْضَهُمْ على بَعْضٍ على حَسَبِ سَوابِقِهِمْ، ثُمّ قالَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ: لَئِنْ بَقِيتُ إلى قابلٍ لَأُسَوِّيَنّ بَيْنَ النّاسِ، وَأرادَ الرُّجُوعَ إلى رَأْيِ أبِي بَكْرٍ. ذَكَرَهُ أبُو عُبَيْدٍ[٢] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَعَنْ جَمِيعِ أصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَمِنْ ذَلِكَ ما رُوِيَ عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها وَغَيْرِها مِن الصّحابةِ أنّ النّبيّ ﷺ لمّا قُبِضَ، وارْتَفَعَت الرَّنّةُ[٣]، وَسَجّى رَسُولَ اللهِ ﷺ المَلائكةُ، دَهِشَ النّاس، وطاشتْ عقولُهم وأُفحِمُوا واخْتَلَطُوا، فَمِنْهُمْ مَنْ خُبِلَ[٤]، [وَمِنْهُمْ مَنْ أُصْمِتَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أُقْعِدَ إلى الأرْضِ، فكانَ عُمَرُ مِمّنْ خُبِلَ][٥] وَجَعَلَ يَصِيحُ وَيَحْلِفُ: ما ماتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. وكان مِمّنْ أُخْرِسَ عُثْمانُ بنُ عَفّانَ حَتّى جَعَلَ يُذْهَبُ بِهِ وَيُجاءُ وَلا يَسْتَطِيعُ كَلامًا، وَكانَ مِمّنْ أُقْعِدَ: عَلِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ حَراكًا، وَأَمّا عَبْدُ اللهِ بنُ أُنَيسٍ فَأَضنى[٦] حَتّى ماتَ كَمَدًا، وَبَلَغَ الخَبَرُ أبا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهُوَ بِالسُّنحِ[٧]، فَجاءَ وعيناهُ تَهمِلان، وزفراتُهُ تتردَّدُ فِي صَوتهِ[٨]، ....

---

(١) بعده في (ح): «وإخوة».

(٢) كتاب «الأموال» (٢٧٦-٢٧٨).

(٣) الرنة: صوت الحزين.

(٤) خبلَه الحزنُ: أفسدَ عقلَه. «القاموس» (خبل). (ج)

(٥) سقط من (ب).

(٦) أضنى: لزم الفراش من المرض.

(٧) السُّنح: موضع قرب المدينة كان به مسكن أبي بكر رضي الله عنه.

(٨) في (ف): «صدره».

وَغُصَصُهُ[١] تَرْتَفِعُ كَقِطَعِ الجِرَّةِ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ رِضْوانُ اللهِ عَلَيْهِ جَلْدُ العَقْلِ والمَقالَـةِ، حَتّى دَخَـلَ على رَسُـولِ اللهِ ﷺ فأَكَـبَّ عَلَيْـهِ، وَكَشَـفَ وَجْهَـهُ [وَمَسَحَهُ][٢] وَقَبَّلَ جَبِينَهُ، وَجَعَلَ يَبْكِي وَيَقُولُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وانْقَطَعَ لِمَوْتِك[٣] ما لَمْ يَنْقَطِعْ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِن الأَنْبياءِ مِن النُّبُوّةِ، فَعَظُمْتَ عَن الصِّفةِ، وَجَلَلْتَ عَن البُكاءِ، وخَصصت حَتّى صِرْتَ مَسْلاةً[٤]، وعَممت حَتّى صِرْنا فِيك سَواءً، وَلَوْ أَنّ مَوْتَك كانَ اخْتِيارًا لَجُدْنا لِمَوْتِك بِالنُّفُوسِ، وَلَوْلا أَنّك نَهَيْتَ عن البكاءِ لأنفدنا عليك ماءَ الشُّؤون[٥]، فأما ما لا نَسْتَطِيعُ نَفيَهُ[٦] فَكَمَدٌ وَإِدْنافٌ يَتَحالَفانِ لا يَبْرَحانِ، اللهُمّ أَبْلِغْهُ[٧] عَنّا، اذْكُرْنا يا مُحَمّدُ عِنْدَ رَبِّك، وَلْنَكُنْ مِنْ بالِك، فَلَوْلا ما خَلّفْتَ مِن السَّكِينةِ، لَمْ نَقُمْ لِما خَلّفت مِن الوَحْشةِ، اللهُمّ أَبْلِغْ نَبِيّك[٨] عَنّا، واحْفَظْهُ فِينا. ثُمّ خَرَجَ لَمّا قَضى النّاسُ غَمَراتِهِمْ[٩]، وَقامَ خَطِيبًا فِيهِمْ بِخُطْبَةٍ جُلّها الصّلاةُ على النّبيّ مُحَمّدٍ ﷺ،

(١) الغُصَص: جمع غُصّة، وهو ما اعترض في الحلق من طعام أو شراب. أراد مكان الغُصَص. والجِرّة ـ بفتح الجيم وكسرها ـ: ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه.

(٢) ليس في (ص).

(٣) في (ص): «بموتك... بموت».

(٤) في «التعازي والمراثي» للمبرد: (ص: ٤٠) منسوبًا للإمام علي: «حتى صرتَ مُسلِّيًا عمن سواك»، يقال: سلاه يسلوه سُلوًّا وسُلوانًا: نسيه وطابت نفسه بعد فراقه، وسلّاه: جعله يسلو.

(٥) الشؤون: جمع شأن، وهو مجرى الدمع من العين.

(٦) أي: تنحيته وصرفه. والكمد: الحزن الشديد. وأدنَفَ المريض: اشتد مرضه.

(٧) في (ف): «فأبلغه».

(٨) في (ب): «عنّا نَبيك».

(٩) الغمرات: جمع غَمْرة: وهي الشدة، والمراد: لما هدأت نفوسهم مما بهم من موته ﷺ.

وَقالَ فِيها: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنّ مُحَمّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَخاتَمُ أَنْبيائِهِ، وَأَشْهَدُ أَنّ الكِتابَ كَما نَزَلَ، وَأَنّ الدِّينَ كَما شُرِعَ، وَأَنّ الحَدِيثَ كَما حُدِّثَ، وَأَنّ القَوْلَ كَما قالَ، وَأَنّ اللهَ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ، فِي كَلامٍ طَوِيلٍ، ثُمّ قالَ: أَيّها النّاسُ، مَنْ كانَ يَعْبُدُ مُحَمّدًا فَإِنّ مُحَمَّدًا قَدْ ماتَ، وَمَنْ كانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنّ اللهَ حَيٌّ لَمْ يَمُتْ[1]، وَإِنّ اللهَ قَدْ تَقَدَّمَ لَكُمْ فِي أَمْرِهِ، فَلا تَدَعُوهُ جَزَعًا، وَإِنّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالى قَد اخْتارَ لِنَبِيِّهِ ﷺ ما عِنْدَهُ على ما عِنْدَكُمْ، وَقَبَضَهُ إِلى ثَوابِهِ، وَخَلَّفَ فِيكُمْ كِتابَهُ وَسُنّةَ نَبِيِّهِ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِما عَرَفَ، وَمَنْ فَرّقَ بَيْنَهُما أَنْكَرَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [النساء: ١٣٥]، وَلا يَشْغَلَنَّكُم الشّيْطانُ بِمَوْتِ نَبِيّكُمْ وَلا يَلْفِتَنَّكُمْ عن دِينِكم، وعاجِلُوا الشّيْطانَ بِالخِزْيِ تُعْجِزُوهُ، وَلا تَسْتَنْظِرُوهُ[2] فَيَلْحَقَ بِكَمْ.

فَلَمّا فَرَغَ مِنْ خُطْبَتِهِ قالَ: يا عُمَرُ، أأَنْتَ[3] الّذِي بَلَغَنِي عَنْك أَنّك تَقُولُ على بابِ نَبِيِّ اللهِ: «والّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ ما ماتَ نَبِيُّ اللهِ»؟ أَمّا عَلِمْتَ أَنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال يَوْمَ كَذا: كَذا وَكَذا، وَقالَ اللهُ تعالى فِي كِتابِهِ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]؟

فَقالَ عُمَرُ: واللهِ لَكَأَنّي لَمْ أَسْمَعْ بِها فِي كِتابِ اللهِ تَعالى قَبْلَ الآنَ لِما نَزَلَ بِنا، أَشْهَدُ أَنّ الكِتابَ كَما نَزَلَ، وَأَنّ الحَدِيثَ كَما حُدِّثَ، وَأَنّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالى حَيّ لا يَمُوتُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، صَلَواتُ اللهِ على رَسُولِهِ، وَعِنْدَ اللهِ نَحْتَسِبُ رَسُولَهُ. وَقالَ عُمَرُ فِيما كانَ مِنْهُ: [من الطويل]

---

(١) في (ف): «لا يموت».

(٢) في (ب): «ولا تستطهروه».

(٣) في (ف): «أنت».

لَعَمْـرِي لَقَـدْ أيْقَنْتُ أنّـك مَيِّتٌ ... وَلَكِنّمـا أبْدى الّـذِي قُلْتُهُ الجَزَعْ
وَقُلْتُ: يَغِيبُ الوَحْـيُ عَنّا لِفَقْدِهِ ... كَما غابَ مُوسـى ثُمّ يَرْجِعْ كَما رَجَعْ
وَكانَ هَـوايَ أنْ تَطُـولَ حَياتُـهُ ... وَلَيْـسَ لِحَيٍّ فِي بَقـا مَيِّتٍ طَمَعْ
فَلَمّا كَشَـفْنا البُرْدَ عَنْ حُرِّ وَجْهِهِ ... إذا الأمْرُ بِالجَدْعِ المُوعِّبِ قَدْ وَقَعْ[1]
فَلَـمْ تَكُ لِي عِنْـدَ المُصِيبةِ حِيلَةٌ ... أرُدُّ بِهـا أهْلَ الشّـماتةِ والقَذَعْ[2]
سِـوى آذِنِ اللهِ الـذي فِـي كِتابِهِ ... وَمـا آذَنَ اللهُ العِبـادَ بِـهِ يَقَـعْ[3]
وَقَـدْ قُلْتُ مِنْ بَعْـدِ المَقالةِ قَوْلَةً ... لَها فِي حُلُوقِ الشّامِتِينَ بِهِ بَشَعْ[4]
ألا إنّمـا كانَ النّبِـيُّ مُحَمّـدٌ ... إلى أجَلٍ وافى بِهِ المَوْتُ فانْقَطَعْ
نَدِيـنُ على العَـلّاتِ مِنّـا بِدِينِهِ ... وَنُعْطِـي الّذِي أعطى ونمنعُ ما منَعْ[5]
وَوَلّيْـتُ مَحْزُونًـا بِعَيْنٍ سَـخِينةٍ ... أُكَفْكِفُ دَمْعِي والفُـؤادُ قَدِ انْصَدَعْ
وَقُلْـت لِعَيْنِي: كُلُّ دَمْـعٍ ذَخَرْتِهِ ... فَجُودِي بِهِ إنّ الشَّـجِيَّ لَهُ دُفَعْ[6]

وَفِي هَذا الخَبَرِ أنّ عُمَرَ قالَ: فَعَقِرْتُ إلى الأرْضِ، يَعْنِي: حِينَ قالَ لَهُ أبُو بَكْرٍ ما قالَ، يُقالُ: عَقِرَ الرّجُلُ: إذا سَقَطَ إلى الأرْضِ مِنْ [قامَتِهِ][7]، وَحَكاهُ

(١) الجَدْع: القَطْع، وجَدْع مُوعِبٌ ـ ولم يقع لي فَعَّل منه ـ مستأصل. يصف وفاته ﷺ بالأمر الجلل.
(٢) القَذَع: الفحش.
(٣) سوى آذن الله، أي: ما أذنَ به الله، يقال: أذِنَ به إذنًا: علم، فاسم الفاعل وهو آذن يُراد به اسم المفعول.
(٤) يقال: بَشِعَ بالطعام بَشَعًا: لم يُسِغْه.
(٥) العَلّات: جمع عَلّة، وهي الضَّرة، وبنو العَلّات: بنو أمهات شتى من رجل واحد. وأبناء العلات يُستعمل في الجماعة المختلفين. يقول: ندين بدينه وإن اختلفنا قبائل وشعوبًا.
(٦) الشجيّ: من شجاه الهم وحزنه. والدُّفَع ـ كذا ضُبط في (أ) ـ جمع دُفعة، وهي في الأصل: الدُّفقة من المطر.
(٧) ليس في (ب). وفي «النهاية»: «العَقَر ـ بفتحتين ـ: أن يسلم الرجل قوائمه من الخوف».

يَعْقُوبُ: عَفرَ الرَّجلُ بِالفاءِ كَأَنَّهُ مِن العَفرِ[١]، وَهُوَ التّرابُ، وَصَوَّبَ ابنُ كَيْسانَ الرِّوايَتَيْنِ.

وَقالَتْ عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْها: «تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَوْ نَزَلَ بالجِبالِ الصُّمِّ ما نَزَلَ بِأَبِي لَهاضَها[٢]، ارْتَدّتِ العَرَبُ واشْرَأَبَّ النِّفاقُ، فَما اخْتَلَفُوا فِي نُقْطَةٍ إِلّا طارَ أَبِي بِحَظِّها وَعنائِها».

وَيُرْوى: «فِي بُقْطَةٍ» بِالباءِ، قالَهُ الهَرَوِيُّ في «الغريبين»، وفسَّرَهُ باللُّمعة[٣]، ونحوها، واستشهدَ بالحديثِ في النّهي عَنْ بَقْطِ الأرْضِ، وَبَقْطُها ضَرْبٌ مِن المُخابَرةِ[٤] [قَدْ فَسَّرَهُ][٥].

كَيْفَ صُلِّـيَ على جِنازَتِهِ ﷺ

ذَكَرَ ابنُ إِسْحاقَ وَغَيْرُهُ أَنّ المُسْلِمِينَ صَلَّوْا عَلَيْهِ أَفْذاذًا، لا يَؤُمُّهُمْ أَحَدٌ، كُلّما جاءَتْ طائِفَةٌ صَلَّتْ عَلَيْهِ، وَهَذا خُصُوصٌ بِهِ عليه السّلام، وَلا يَكُونُ هَذا الفِعْلُ إِلّا عَنْ تَوْقِيفٍ، وَكَذَلِكَ رُوِيَ أَنّهُ أوصى بذلك، ذَكَرَهُ الطّبَرِيُّ[٦] مُسْنَدًا، وَوَجْهُ الفِقْهِ فِيهِ: أَنّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالى افْتَرَضَ الصّلاةَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ:

---

(١) العَفَر ـ وتسكَّن العين ـ: ظاهر التراب.

(٢) أي: كسرها. واشرأَبَّ النفاق: ارتفع وعلا، يقال: اشرأَبَّ إليه وله اشرئبابًا: مد عنقه لينظر. أو: هو ارتفع وعلا، وكلُّ رافع رأسَه مشرئبّ. وفي نقطة: في أمرٍ وقضية.

(٣) اللمعة: الموضع الذي يكثر فيه الحشيش والرطب من النبات. وفي «النهاية» (البقطة) هي البقعة من بقاع الأرض. ويجوز أن تكون الفرقة من الناس. ثم قال في (نقط): هكذا أثبته بعضهم بالنون، أي: نقطة، وذكره الهروي في الباء، وأُخِذَ عليه.

(٤) المخابرة: المزارَعة على نصيب معين كالثلث والربع.

(٥) ليس في (ص).

(٦) «تاريخ الرسل والملوك» (٣: ١٩١-١٩٢).

﴿صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وَحُكْمُ هَذِهِ الصَّلاةِ الّتِي تَضَمّنَتْها الآيةُ ألّا تَكُونَ بِإمامٍ، والصّلاةُ عَلَيْهِ عِنْدَ مَوْتِهِ داخِلةٌ فِي لَفْظِ الآيةِ، وَهِيَ مُتَناوِلةٌ لَها وَلِلصّلاةِ[1] عَلَيْهِ على كُلِّ حالٍ، وَأيْضًا فَإنّ الرَّبَّ تبارك وتعالى قد أخبر أنّهُ يُصَلِّي عَلَيْهِ وَمَلائِكَتُهُ، فَإذا[2] كانَ الرَّبُّ هُوَ المُصَلِّي سبحانه والمَلائِكةُ قَبْلَ المُؤْمِنِينَ، وَجَبَ أنْ تَكُونَ صَلاةُ المُؤْمِنِينَ تَبَعًا لِصَلاةِ المَلائِكةِ، وَأنْ تَكُونَ المَلائِكةُ هُم الإمامُ والأمام، والحَدِيثُ الّذِي ذَكَرْناهُ عَن الطّبَرِيّ فِيهِ طُولٌ، وَقَدْ رَواهُ البَزّارُ[3] أيْضًا مِنْ طَرِيقِ مُرّةَ عَن ابنِ مَسْعُودٍ، وَفِيهِ أنّهُ [حِينَ][4] جَمَعَ أهْلَهُ فِي بَيْتِ عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها، أنّهُمْ قالُوا: فمن يصلِّي عليك يا رسولَ الله؟ قالَ: «مهلًا غَفَرَ اللهُ لَكُمْ، وَجَزاكُمْ عَنْ نَبِيّكُمْ خَيْرًا»، فَبَكَيْنا وَبَكى رسولُ الله[5] ﷺ، فَقالَ: «إذا غَسَّلْتُمُونِي وَكَفّنْتُمُونِي، فَضَعُونِي على سَرِيرِي فِي بَيْتِي هَذا على شَفِيرِ[6] قَبْرِي، ثُمّ اخْرُجُوا عَنِّي ساعةً، فَإنّ أوّلَ مَنْ يُصَلِّي عَلَيّ جَلِيسِي وَخَلِيلِي جِبْرِيلُ، ثُمّ مِيكائِيلُ، ثُمّ إسْرافِيلُ، ثُمّ مَلَكُ المَوْتِ مَعَ جُنُودِهِ، ثُمّ المَلائِكةُ بِأجْمَعِها، ثُمّ ادْخُلُوا عَلَيَّ فَوْجًا بَعْدَ فَوْجٍ، فَصَلُّوا عَلَيّ وَسَلِّمُوا[7] تَسْلِيمًا، وَلا تُؤْذُونِي بِتَزْكِيةٍ[8]، وَلا ضَجّةٍ، وَلا رَنّةٍ، وَلْيَبْدَأْ بِالصّلاةِ عَلَيّ رِجالُ بَيْتِي

(١) في (ف): «والصلاة».

(٢) في (ف): «وإذا».

(٣) «كشف الأستار عن زوائد البزار» (١: ٣٩٨-٣٩٩).

(٤) ليس في (ب)، (ج).

(٥) في (ف): «النبي».

(٦) أي: جانب قبري.

(٧) في (ف): «ثم سلموا».

(٨) في «كشف الأستار»: «بباكية».

ثُمّ نِساؤُهُمْ، وأنتُمْ بعدُ أَقرِئوا أَنفُسَكُم السَّلامَ مِنِّي، وَمَنْ غابَ مِنْ أصْحابِي فأقرِئُوهُ مِنِّي السّلامَ، وَمَنْ تابَعَكُمْ بَعْدِي على دِينِي فأقرِئُوهُ مِنِّي السّلامَ، فَإنِّي أُشْهِدُكُمْ أنِّي قَدْ سَلّمْتُ على مَنْ تابَعَنِي على دِينِي [مِن اليَوْمِ][1] إلى يَوْمِ القِيامةِ»، قُلْنا: فَمَنْ يُدْخِلُكَ قَبْرَكَ يا رَسُولَ اللهِ؟ قالَ: «أَهْلِي مَعَ مَلائِكةٍ كَثِيرٍ يَرَوْنَكُمْ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ».

فَصْلٌ

وَكانَ مَوْتُهُ ﷺ خَطبًا كالِحًا[2]، ورُزءًا لِأَهْلِ الإسْلامِ فادِحًا، كادَتْ تُهَدُّ لَهُ الجِبالُ، وَتَرْجُفُ الأرْضُ، وَتكْسِفُ النَّيِّراتُ، لِانْقِطاعِ خَبَرِ السَّماءِ، وَفَقْدِ مَنْ لا عِوَضَ مِنْهُ، مَعَ ما آذَنَ بِهِ مَوْتُهُ ﷺ مِن إقبالِ الفِتَنِ السُّحْم[3]، والحوادثِ الدُّهْم، والكُرَبِ المُدلهمّة، والهزاهِزِ[4] المُضْلِعةِ، فَلَوْلا ما أنْزَلَ اللهُ تعالى مِن السَّكِينةِ على المُؤْمِنِينَ، [وَأَسْرَجَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ نُورِ اليَقِينِ][5]، وَشَرَحَ لَهُ صُدُورَهُمْ مِنْ فَهْمِ كِتابِهِ المُبِينِ لانْقَصَفتِ الظُّهُورُ، وَضاقَتْ عَنِ الكُرَبِ الصُّدُورُ، وَلَعاقَهُم الجزَعُ عَنْ تَدْبِيرِ الأُمُورِ، فَقَدْ كانَ الشَّيْطانُ أطْلَعَ إلَيْهِمْ رَأْسَهُ، وَمَدّ إلى إغْوائِهِمْ مَطامِعَهُ، فَأَوْقَدَ نارَ الشّنَآنِ، وَنَصَبَ رايَةَ الخِلافِ، وَلَكِنْ أبى اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى إلّا أنْ يُتِمَّ نُورَهُ، وَيُعْلِيَ

---

(١) عن (ص). وفي «كشف الأستار»: «من يومي هذا».

(٢) كالحًا: عابسًا شديدًا.

(٣) السُّحم: السود، جمع أسحم سحماء.

(٤) الهزاهز: الفتن يهتز فيها الناس. والمُضلِعة: الثقيلة، يقال: أضلعته الخطوب: أثقلته واشتدت عليه.

(٥) سقط من (ب).

كَلِمَتَهُ، وَيُنْجِزَ مَوْعُودَهُ(١)، فَأَطْفَأَ نارَ الرِّدَّةِ، وَحَسَمَ مادّةَ الخِلافِ والفِتْنةِ على يَدَي الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ وَلِذَلِكَ قالَ أَبُو هُرَيْرةَ: «لَوْلا أَبُو بَكْرٍ لَهَلَكَتْ أُمّةُ مُحَمّدٍ ﷺ بَعْدَ نَبِيِّها»، وَلَقَدْ كانَ مَنْ قَدِمَ المَدِينةَ يَوْمئِذٍ مِن النّاسِ إذا أَشْرَفُوا عَلَيْها سَمِعُوا لِأَهْلِها ضَجِيجًا، وَلِلْبُكاءِ فِي [جَمِيعِ](٢) أَرْجائِها عَجِيجًا، حَتّى صَحِلَتِ(٣) الحُلوق، ونُزِفَتِ الدُّموع، وحُقَّ لهم ذلك ولمن بَعْدَهُمْ، كَما رُوِيَ عَنْ أَبِي ذُؤَيْبٍ الهُذَلِيّ، واسْمُهُ: خُوَيْلِدُ بنُ خالِدٍ، وَقِيلَ: ابنُ مُحَرِّثٍ(٤) قالَ: بَلَغَنا(٥) أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلِيلٌ، فاسْتَشْعَرْتُ حُزْنًا وَبِتُّ بِأَطْوَلِ لَيْلةٍ لا يَنْجابُ دَيْجُورُها(٦)، وَلا يَطْلُعُ نُورُها، فَظَلِلْتُ أُقاسِي طُولَها، حَتّى إذا كانَ قُرْبُ السَّحَرِ أَغْفَيْت، فَهَتَفَ به هاتِفٌ وَهُوَ يَقُولُ: [من الكامل]

خَطْبٌ أَجَلُّ أَناخَ بِالإِسْـلامِ ... بَيْنَ النَّخِيلِ وَمَعْقِدِ الآطام(٧)
قُبِـضَ النَّبِيُّ مُحَمّـدٌ فَعُيُونُنا ... تَذْرِي الدُّمُوعَ عليه بالتّسجام

قالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ: فَوَثَبْتُ مِنْ نَومِي فَزِعًا [مَرعُوبًا](٨)، فَنَظَرْتُ إلى السَّماءِ، فَلَمْ أَرَ إلّا سَعْدًا الذّابِح(٩)، فَتَفَأَّلْتُ بِهِ ذَبْحًا يَقَعُ فِي العَرَبِ، وَعَلِمْتُ

(١) في (أ): «وعده». وفي (ب): «موعده».
(٢) ليس في (ب).
(٣) أي: أصابتها بُحّة وخشونة.
(٤) في «أسد الغابة» (٦: ١٠٢): «قيل: اسمه خويلد بن خالد بن المحرِّث».
(٥) انظر: «أسد الغابة» (٦: ١٠٢-١٠٤).
(٦) أي: ظلامها.
(٧) الآطام: جمع أُطْم وأُطُم، وهو الحصن.
(٨) ليس في (ج)، (ص)، (ف).
(٩) سعد الذابح: كوكبان نيّران بينهما قيد ذراع، وفي نحر أحدهما نجم صغير لقربه منه كأنه يذبحه.

أنّ النبيّ ﷺ قَدْ قُبِضَ وَهُوَ مَيِّتٌ مِنْ عِلّتِهِ، فَرَكِبْتُ ناقَتِي وَسِرْت، فَلَمّا أَصْبَحْتُ طَلَبْتُ شَيْئًا أَزْجُرُ بِهِ[١]، فَعَنّ لِي شَيْهَمٌ - يَعْنِي: القُنْفُذَ - قَدْ قَبَضَ على صِلٍّ - يَعْنِي: الحَيّةَ - فَهِيَ تَلْتَوِي عَلَيْهِ، والشَّيْهَمُ يَقْضِمُها حَتّى أَكَلَها، فَزَجَرْتُ ذَلِكَ وَقُلْتُ: شَيْهَمٌ: شَيْءٌ مُهِمّ، والتِواءُ الصِّلِّ: التِواءُ الناسِ عن الحقِّ على القائمِ بَعْدَ النّبِيِّ[٢] ﷺ، ثُمّ أَكْلُ الشَّيْهَمِ إيّاها غَلَبَةُ القائِمِ بَعْدَهُ على الأَمْرِ. فَحَثَثْتُ ناقَتِي حَتّى إذا كُنْتُ بِالغابَةِ زَجَرْتُ الطّائِرَ فَأَخْبَرَنِي بِوَفاتِهِ، وَنَعَبَ غُرابٌ سانِحٌ فَنَطَقَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَتَعَوّذْتُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ ما عَنَّ لِي فِي طَرِيقِي، وَقَدِمْتُ المَدِينَةَ وَلَها ضَجِيجٌ بِالبُكاءِ كَضَجِيجِ الحَجِيجِ إذا أَهَلُّوا بِالإِحْرامِ، فَقُلْتُ: مَهْ؟ فَقالُوا: قُبِضَ رَسُولُ اللهِ[٣] ﷺ، فَجِئْتُ المَسْجِدَ فَوَجَدْتُهُ خالِيًا، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَوجدتُ بابَهُ مُرْتَجًا، وَقِيلَ: هُوَ مُسَجًّى قد خلا بِهِ أَهْلُهُ، فَقُلْت: أَيْنَ النّاسُ؟ فَقِيلَ: فِي سَقِيفَةِ بَنِي ساعِدَةَ، صارُوا إلى الأَنْصارِ، فَجِئْتُ إلى السَّقِيفَةِ فَأَصَبْتُ[٤] أبا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَبا عُبَيْدَةَ بنَ الجَرّاحِ وَسالِمًا وَجَماعَةً مِنْ قُرَيْشٍ، وَرَأَيْتُ الأَنْصارَ فِيهِمْ سَعْدُ بنُ عُبادَةَ، وَفِيهِمْ شُعَراؤُهُمْ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ وَكَعْبُ بنُ مالِكٍ وَمَلأٌ مِنْهُمْ، فَأَوَيْتُ إلى قُرَيْشٍ، وَتَكَلّمَتِ الأَنْصارُ فَأَطالُوا الخِطابَ وَأَكْثَرُوا الصَّوابَ، وَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَلِلّهِ دَرُّهُ مِنْ رَجُلٍ لا يُطِيلُ الكَلامَ وَيَعْلَمُ مَواضِعَ فَصْلِ الخِطابِ، واللهِ لَقَدْ تَكَلّمَ بِكَلامٍ لا يَسْمَعُهُ سامِعٌ إلّا

---

(١) زجر الطير: هو التيمن والتشاؤم بها، فكانوا يتيمنون بسنوحها، والسانح: ما أتاك عن يمينك من ظبي أو طائر، ويتشاءمون ببروحها، والبارح: ما أتاك عن يسارك.

(٢) في (ف): «رسول الله».

(٣) في (ف): «النبي».

(٤) في (ص): «فوجدت»، وفي (ف): «وأصبت».

انْقادَ لَهُ وَمالَ إِلَيْهِ، ثُمّ تَكَلَّمَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَعْدَهُ دُونَ كَلامِهِ، ومدَّ يده فَبايَعَهُ وَبايَعُوهُ، وَرَجَعَ أَبُو بَكْرٍ وَرَجَعْتُ مَعَهُ.

قالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ: فَشَهِدْتُ الصَّلاةَ على مُحَمّدٍ ﷺ، وَشَهِدْتُ دَفْنَهُ. ثُمّ أَنْشَدَ أَبُو ذُؤَيْبٍ يَبْكِي النَّبِيّ ﷺ: [من الكامل]

لَمّا رَأَيْتُ النّاسَ فِي عَسَلانِهِمْ ... ما بَيْنَ مَلْحُودٍ لَهُ وَمُضَرَّحِ[1]
مُتَبادِرِينَ لِشَرْجَعٍ بِأَكُفِّهِمْ ... نَصَّ الرِّقابِ لِفَقْدِ أَبْيَضَ أَرْوَحِ[2]
فَهُناكَ صِرْتُ إلى الهُمُومِ وَمَنْ يَبِتْ ... جارَ الهُمُومِ يَبِيتُ غَيْرَ مُرَوَّحِ[3]
كَسَفَتْ لِمَصْرَعِهِ النُّجُومُ وَبَدْرُها ... وَتَزَعْزَعَتْ آطامُ بَطْنِ الأَبْطَحِ[4]
وَتَزَعْزَعَتْ أَجْبالُ يَثْرِبَ كُلُّها ... وَنَخِيلُها لِحُلُولِ خَطْبٍ مُفْدِحِ[5]
وَلَقَدْ زَجَرْتُ الطَّيْرَ قَبْلَ وَفاتِهِ ... بِمُصابِهِ، وَزَجَرْتُ سَعْدَ الأَذْبَحِ[6]

(١) عَسَل الثعلب والذئب يعسِل عَسَلًا: مضى مسرعًا، واضطرب في عَدوه. ضرب الشاعر ذلك مثلًا لما عليه المسلمون حينئذٍ. وملحود له: مدفون له. والمضرَح: الذي وُضع في الضريح وهو القبر.

(٢) الشرجع: النعش يُحمل عليه الميت. ونَصَّ الشيء: حرَّكه. وراح الشيء يروح: طابَ ريحُه، فهو أروَح.

(٣) رَوَّح فلانًا: أدخله في الراحة، ضد التعب.

(٤) الأبطح: أبطح مكة، وهو مسيل مائها.

(٥) كذا في (ب)، (ص)، وفي (ف): «وتذعذعت» بالذال، وهو صواب أيضًا بمعنى: التحريك الشديد. وفي (أ): «ورَعدت». وفي (ج): «وتضعضعت». وتزعزع الشيء: تحرك بشدة. ومُفدِح، من أفدح الأمر: وجده فادحًا. وفي «تاج العروس» عن «الصحاح» أنه لم يسمع «أفدحه الدين» ممن يوثق بعربيته. وفي بيت أبي ذؤيب ما يمكن أن يكون شاهدًا على السماع.

(٦) في (ف): «الذابح».

وَقالَ أبُو سُفْيانَ بنُ الحارِثِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ يَبْكِي رَسُولَ اللهِ ﷺ(١):

[من الوافر]

أرِقْتُ فَباتَ لَيْلِي لا يَزُولُ ... ولَيلُ أخِي المُصِيبةِ فِيهِ طُولُ
وَأسْعَدَنِي البُكاءُ وَذاكَ فِيما ... أُصِيبَ المُسْلِمُونَ بِهِ قَلِيلُ
لَقَدْ عَظُمَتْ مُصِيبَتُنا وَجَلَّتْ ... عَشِيَّةَ قِيلَ: قَدْ قُبِضَ الرَّسُولُ
وَأضْحَتْ أرْضُنا مِمّا عَراها ... تَكادُ بِنا جَوانِبُها تَمِيلُ
فَقَدْنا الوَحْيَ والتَّنْزِيلُ فِينا ... يَرُوحُ بِهِ وَيَغْدُو جَبْرَئِيلُ
وَذاكَ أحَقُّ ما سالَتْ عَلَيْهِ ... نُفُوسُ النّاسِ أوْ كَرَبَتْ تَسِيلُ
نَبِيٌّ كانَ يَجْلُو الشَّكَّ عَنّا ... بِما يُوحى إلَيْهِ وَما يَقولُ
وَيَهْدِينا فَلا نَخْشى ضَلالًا ... عَلَيْنا والرَّسُولُ لَنا دَلِيلُ
أفاطِمُ إنْ جَزِعْتِ فَذاكَ عُذْرٌ ... وَإنْ لَمْ تَجْزَعِي ذاكِ السَّبِيلُ
فَقَبْرُ أبِيكِ سَيِّدُ كُلِّ قَبْرٍ ... وَفِيهِ سَيِّدُ النّاسِ الرَّسُولُ

وَلَمّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ودُفِنَ، ورجعَ المهاجِرون والأنصارُ إلى رِحالِهِمْ، وَرَجَعَتْ فاطِمةُ إلى بَيْتِها، اجْتَمَعَ إلَيْها نِساؤُها، فَقالَتْ: [من الكامل]

اغْبَرَّ آفاقُ السَّماءِ وَكُوِّرَتْ ... شَمْسُ النَّهارِ وَأظْلَمَ العَصْرانِ
فالأرْضُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ كَئِيبةٌ ... أسَفًا عَلَيْهِ كَثِيرةُ الرَّجَفانِ
فَلْتَبْكِهِ شَرْقُ البِلادِ وَغَرْبُها ... وَلْتَبْكِهِ مُضَرٌ وَكُلُّ يَمانِ
وَلْيَبْكِهِ الطَّوْدُ المُعَظَّمُ جَوُّهُ ... والبَيْتُ ذُو الأسْتارِ والأرْكانِ(٢)
يا خاتَمَ الرُّسْلِ المباركَ ضَوؤُهُ ... صَلّى عَلَيْك مُنَزِّلُ الفُرقانِ(٣)

---

(١) انظر: «أسد الغابة» (٦: ١٤٦-١٤٧).

(٢) في (ص): «جوره». والطود: الجبل العظيم الذاهب صعدًا في الجو.

(٣) في (ج): «القرآن».

فَصْلٌ

وَأَمّا الِاخْتِلافُ فِي كَفَنِهِ ﷺ كَمْ ثَوْبًا كانَ، وَفِي الّذِينَ أَدْخَلُوهُ قَبْرَهُ وَنَزَلُوا فِيهِ، فَكَثِيرٌ، وَأَصَحُّ ما رُوِيَ فِي كَفَنِهِ أَنّهُ كُفِّنَ فِي ثَلاثَةِ أَثْوابٍ بِيضٍ سَحُولِيّةٍ[١]، وَكانَتْ تِلْكَ الأَثْوابُ مِنْ كُرْسُفٍ[٢]، وَكَذَلِكَ قَمِيصُهُ عَلَيْهِ السّلامُ كانَ مِنْ قُطْنٍ، وَوَقَعَ فِي السِّيرَةِ مِنْ غَيْرِ رِوايَةِ البَكّائِيّ أَنّها كانَتْ إِزارًا وَرِداءً وَلُفافَةً[٣]، وَكانَت اللَّبِنُ الّتِي نُضِّدَتْ عَلَيْهِ فِي قَبْرِهِ تِسْعَ لَبِناتٍ.

وَذَكَرَ ابنُ إِسْحاقَ فِيمَنْ أَلْحَدَهُ شُقْرانَ مَوْلاهُ، واسْمُهُ: صالِحٌ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَهُوَ عَبْدٌ قَبْلَ أَنْ يُعْتَقَ، فَلَمْ يُسْهَمْ لَهُ، انْقَرَضَ عَقِبُهُ فَلا عَقِبَ لَهُ.

وَذَكَرَ ابنُ إِسْحاقَ مَراثِيَ حَسّانَ فِي النّبِيّ ﷺ، وَلَيْسَ فِيها ما يُشْكِلُ فَنَشْرَحَهُ، وَقَدْ رَثاهُ كَثِيرٌ مِن الشُّعَراءِ وَغَيْرِهم، وَأَكْثَرُهُمْ أَفْحَمَهُمُ المُصابُ عَن القَوْلِ، وَأَعْجَزَتْهُم الصِّفةُ عَن التَّأْبِينِ، وَلَنْ يُبْلَغَ بالإِطْنابِ فِي مَدْحٍ وَلا رثاءٍ كُنْهُ محاسِنِهِ ﷺ، وَلا قَدْر مُصِيبةِ فَقدِهِ على أَهْلِ الإِسْلامِ، فَصَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ صَلاةً تَتّصِلُ مَدى اللّيالِي والأَيّامِ، وَأَحَلَّهُ أَعلى مراتِبِ الرّحمةِ والرِّضوانِ والإِكرامِ، وجزاهُ عَنّا أَفْضَلَ ما جَزى بِهِ نَبِيًّا عَنْ أُمّتِهِ، وَلا خالَفَ بِنا عَنْ مِلّتِهِ،

---

(١) أخرجه الشيخان في كتاب الجنائز، «فتح الباري» (٣: ١٣٥)، ومسلم: (٢: ٦٤٩). وسحولية ـ بضم السين وفتحها ـ هي ثياب بيض نقية لا تكون إلا من القطن، منسوبة إلى سحول؛ مدينة باليمن تُحمل منها هذه الثياب.

(٢) الكرسُف: القطن.

(٣) أخرجه البزار، ولفظه: «في ثلاثة أثواب بيض، وإزار، ولفافة». انظر: «كشف الأستار» (١: ٣٨٤)، و«مجمع الزوائد» (٣: ٢٣). ووقع بعده في النسخ ما عدا (ص) ـ وهي نسخة عتيقة ـ: «وهو موجود في كتب الحديث والشروح»، وأخشى أ ن تكون زيادة ناسخ تناقلتها النسخ الأخرى، فهي لا تشبه لغة المؤلف ولا علمه بالعربية.

إِنَّهُ وَلِيُّ الطَّوْلِ والفَضْلِ والإِنْعامِ، وَهُوَ حَسْبُنا وَنِعْمَ الوكيل، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين[١].

---

(١) ختام النسخة (أ):

«وكان الفرغ من نَسْخِه من نسخةٍ صحيحةٍ مقابلة على نسخة مقروءة على المؤلف رحمه الله، وذلك في ليلة يسفر صباحها عن نهار الأحد ثامن عشر من ربيع الآخرة [كذا] سنة سبع وثمان مئة، على يد أضعف خلق الله وأحوجهم إلى عفوه وغفرانه، أحمد بن عبد المؤمن ابن منصور الزواوي المالكي، غفر الله له ولوالديه، ولمستنسخه ولوالديه، ولمن دعا لهم بالمغفرة، ولجميع المسلمين، يا رب العالمين. وصلى الله على أشرف الخلق، سيدنا محمد وآله وصحبه وأزواجه وذريته والتابعين، وتابعي التابعين إلى يوم الدين».

ختام نسخة (ب):

«كمل الجزء الثاني من الروض الأنف والمشرع الرّوى للإمام الفقيه المحدِّث أبي القاسم السهيلي، برّد الله ثراه، وجعل الجنة مأواه، وهو آخر الكتاب، على يد العبد الضعيف، فقير رحمة ربه، أسير وصمة ذنبه، محمد بن محمد بن علي بن بدر البابي، عامله الله بلطفه، وغفر له، وأعانه على ما هو بصدده. وذلك بتاريخ مستهل شهر ذي الحجة الحرام، من شهور سنة تسع وثلاثين وثمان مئة، أحسن الله خاتمتها... والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين».

ختام نسخة (ج):

«كمل الكتاب المبارك، روض الأنف، من أوله إلى آخره، بحمد الله وعونه، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم».

ختام الجزء الأول من نسخة (د):

«تم الجزء الأول بحمد الله وكرمه في نهاية الثلاثاء سادس عشر شهر جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة، على يد الفقير الحقير الراجي عَفْوَ ربِّه القدير حسين بن أبي الفرج ابن محمد بن منصور الخطيب يومئذ بقرية... غفر الله له ولوالديه ولمن علَّمه وأحسن إليه، ولسائر المسلمين أجمعين. برسم الخزانة الشريفة القضائية العزية الحاكم يومئذ بمدينة الفُوغة ومَعَرّة مَصْرين وما أضيف إليهما. أعانه الله على ما هو موليه، وجمع ... خير الدنيا والآخرة، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله =

[تم الجزء السابع، وهو الأخير، والحمد لله رب العالمين][١]

* * *

= على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

ختام الجزء الأول من نسخة (هـ):

ينتهي هذا الجزء بفصل أول مَن جَمَّع بالمدينة، ويمثل نصف الروض.

ختام الجزء الثالث من نسخة (ح):

«وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وسلم تسليمًا كثيرًا. تم بحول الله في الثاني من ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين وست مئة».

ختام الجزء الثالث من نسخة (س):

«كمل السفر الثالث من روض الأنف، والحمد لله على حسن عونه، وجميل إحسانه، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله رب العالمين. وفرغ من نسخه نهاية الأحد سادس شهر الله رمضان المعظم قدره، من شهور سنة أربع وأربعين وست مئة، أحسن الله تقضيها في عافية، على يد كاتبه العبد الحقير الفقير إلى الله تعالى، الراجي عفو ربِّه يوم القيامة، يوم الحسرة والندامة عمر بن... موسى بن... عفا الله عنه، وعن والده، وقارئه وسامعه، وأعلى لهم الدرجة في دار الكرامة، ولمن نظر فيه... ولكافة المسلمين أجمعين، آمين آمين».

نسخة (ص):

لم أجد لها في المصورة خاتمة.

ختام النسخة (ف):

«كمل بحول الله وقوته بكرة نهار الثلاثاء استهلال شهر ربيع الآخر سنة ثمان وعشرين وسبع مئة. وكتبه العبد الفقير إلى الله تعالى جبريل ياقوت بن عبد الله عفا الله عنه وغفر له. والحمد لله رب العالمين أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليمًا كثيرًا».

(١) هذه العبارة من صنيعنا. (ج)

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع | الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع | الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

